المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعـــة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الأصولية في الفكر الديني اليهودي، والنصراني المعاصر، وأثرها على العالم الإسلامي، وطرق مواجهتها

بحـــــث تكميـــــلي لنيل درجة الدكتوراه العالمية العالية

إشراف
أ . د . أحمد السيد علي رمضان

إعداد الطالبة
حنان بنت زكي بن حسين العباسي الهاشمي

العام الدراسي
1430هـ - 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

µ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبعد...

إن لفظ (الأصولية) من الألفاظ الشائكة التي تناولها المفكرون والعلماء، والكتاب المعاصرون من الجانبين الإسلامي والغربي بالاستقراء والبحث والتمحيص، والتحليل للوقوف على بدايات إطلاقه ومقاصده ومرجعيته اللغوية، والشرعية، و منطلقاته الفكرية، حيث شاع بناؤه في وقتنا الحاضر بعد إلصاقه بالإسلام بإطلاقات تفتقر المصداقية والشفافية ـ كالتطرف، والإرهاب، والقتل، والتدمير...ـ ما دعا تداعيات إطلاقه غير الدقيق؛ لشغل مساحة كبيرة في الثقافتين الإسلامية والغربية بحثياً، وإعلامياً، فعُقدت المؤتمرات، واللقاءات، والحوارات،... وأخذت حيزاً واسعاً من التناول الجدلي لتحديد ماهيتها وكنهها ومازالت مثار جدل ونقاشات،... فما الذي أكسبه هذا الاهتمام غير المسبوق؟

إنها قضية العصر الهامة، وجدير بها أن تأخذ هذا الحيز لأنها تشكل القضية المصيرية للجانب الإسلامي؛ لإرتباطها بالإحتلال السافر لفلسطين بإدعاءات أصولية غربية مضللة؛ لحولقتها بأطرها الضيقة حيث نشأت ووأدها في مهدها.

وفي ظل متابعتنا لأحداث العالم بعد أحداث سبتمبر 2001م عَرض عليَّ فضيلة الشيخ الدكتور محمد عمر بقسم العقيدة بجامعة أم القرى القضية لتكون موضوع أطروحتي في الدكتوراه ولم تسعن الفرحة بتلقي العرض، ولم أخفِ ترحيبي اللحظي للمشاركة المتواضعة في الرد على الدعاوى الباطلة وإظهار الوجه الحقيقي للأصوليتين المتطرفتين اليهودية والنصرانية، وإبراز روح الإسلام وسماحته في التعامل مع المخالف. لا سيما أهل الكتاب منهم. وكنت أعلم ما يحف الموضوع من المخاطر من جانب، والمخاطرة من جانب آخر، كونه من الموضوعات الجديدة والمعاصرة بالساحة العربية في الأطروحات العلمية، والأهم لارتباطه بالسياسة قلباً وموضوعاً ارتباطاً وثيقاً، وخشيت في كثير من الفصول طغيان الجانب السياسي والتاريخي على الموضوع العقدي الأساسي روح القضية والأطروحة، فحاولت ما أمكنني تجنب ذلك إلا ما أقحمنا فيه ـ إقحام القائل مجبرُ أخاك لا بطل ـ مما لابد منه؛ لإظهار الحقائق وكمال الصورة.

كما أدركت الصعوبة الثانية والتي لا تقل أهمية عن الأولى وهي ندرة المراجع والمصادر التي تغذي الفصول والأبواب، وعزمت على تتبع حركة معارض الكتاب الدولية، والتواصل بالمكتبات العالمية عبر الشبكة العنكبوتية، وزيارة بعض أرباب المكتبات الخاصة الثرية بالمصادر،...نسأل الله أن نوفق بتقديم نقرة نفع لأمَّتنا بجهدنا المتواضع.

هذا وقد تتبعت في أطروحتي مفهوم الأصولية في الفكر اليهودي، والنصراني، وأهداف نشأتها، وتداعياتها، كما لو كان واقعاً مسلماً به من خلال تنظيماتهما السياسية، وآثارهما على العالم الغربي، وأثرهما التدميري الخطر على العالم الإسلامي، بعد تفنيد الدعاوى الكاذبة من عدة قنوات أهمها: كتبهم، ومناهضيهم، والمنصفين منهم. وبنيت خاتمة الأطروحة على نتائج ملخص الدراسة ملحقة بمقترحات وتوصيات للمساهمة بجهد المقل لخروج الأمة من أزمتها الراهنة التي شملت جميع المناحي الحياتية، وشجعني على المضي قدماً في الموضوع لما في طرحه من السبق والجدة والحداثة في مفرداته، وعرضه حيث سيتم تناوله من جانب يكاد يكون مفقوداً في الدراسات المتخصصة في الأصوليتين ومراجعها بحسب ما وقع بين يدي، ألا وهو جانب العلاقة بينهما منذ النشأة قديماً وحديثاً، فمعظم الدراسات التي تم الإطلاع عليها في هذا المجال تتناول الموضوع عن كل أصولية على حده مع التطرق للأخرى من باب الدعم، والحضور الفكري المساعد على قيام الأولى بمساندة ودعم الثانية مع عدم التفصيل في الجزيئات المهمة كالنشأة، والمرجعية التشريعية، والطوائف، والأفكار والمعتقدات، والأثر على مجتمعاتهم، ثم على عالمنا الإسلامي على اختلاف نوعية التناول بحسب الطرح.

وقد اعتمدت في بحثي المنهجية العلمية الآتية:

1- الجمع بين المنهج: الاستقرائي التاريخي، التحليلي، الاستنباطي. النقدي.
2- أسلوب القراءة الموسعة والمكثفة في كل ما يتصل بموضوع البحث قديماً، وحديثاً.
3- استخلصت ما يؤيد هذه القضية من أحداث التاريخ، ووثائقه دون التوسع في سرد الأحداث التفصيلية أو المكررة ما أمكن، وفصلت بالمسألة (الصهيونية) والتي لم يسبق أن أشرت لها في خطة البحث، بعد أن ظهر لي من خلال القراءة ارتباطها الوثيق بالأصوليتين اليهودية والنصرانية المعاصرة.
4- اتبعت في المعلومات التي جمعتها أسلوباً علمياً منسقاً بحيث تسلم كل نقطة في البحث إلى التي تليها؛ لتكتمل القضية تأصيلاً وتفسيراً وتحليلاً.

5- اعتمدت الموضوعية في الطرح والعرض، وذلك بالتعضيد بالأدلة التشريعية أولاً، ثم الشواهد والتصريحات التي ترقى إلى مستوى الاستدلال بها.
6- التزمت الأمانة العلمية بنسب كل الأقوال إلى قائليها ومصادرها، ذاكرة في الهامش، اسم الكتاب، فالمؤلف، فالجزء والصفحة، فالمترجم، فالدار، والمدينة، والطبعة وسنة النشر، وإن كان النقل بتصرف، وإن تم نقل الفكرة فقط دون النص: انظر،... وهكذا.
7- ذكرت بيانات المصدر كاملة في أول مرة يرد فيها، واكتفيت بعد ذلك بذكر اسم المؤلف مختصراً، والصفحة، والجزء إن وجد. والطبعة إن اختلفت.
8- دللت على القضايا من الكتاب والسنة متى ما وجد هناك دليل، مبينة رقم الآية في حالة الاستدلال بالقرآن الكريم، وفي الحديث بيان راوي الحديث، ودرجته.
9- دللت على القضايا في الكتاب المقدس بعهديه القديم، والجديد ورمزت للكتب بالرموز المعتمدة بكتبهم مع وضع فهرس خاص بها بفهارس الرسالة.
10- اعتمدت على الكتب العربية، والكتب الأجنبية المترجمة، ورتبت في النهاية الكتب، وفقاً لأسماء الكتب ترتيباً هجائياً.
11- أشرت إلى أسماء الأسفار وأرقامها بنفس النص.

وقد رتبت خطة البحث على النحو الآتي:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، ثم الخاتمة، وثبت الملاحق، والمراجع، والفهرس.

أما المقدمة فقد تضمنت أهمية الموضوع، ودواعي اختياره، ومنهج البحث فيه ثم الخطة.

التمهيد: وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالأصولية.

المبحث الثاني: العلاقة بين اليهود والنصارى، وينقسم إلى:

أولاً: العلاقة بين اليهود والنصارى قديماً.

ثانياً: العلاقة بين اليهود والنصارى في العصر الحديث والمعاصر، وعلاقتهما بالصهيونية.

الباب الأول: التنظيمات الأصولية اليهودية المعاصرة، ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: **نشأة الأصولية اليهودية المعاصرة وتطورها.**

الفصل الثاني: **أهداف الأصولية اليهودية المعاصرة.**

الفصل الثالث: **المصادر التشريعية عند الأصولية اليهودية.**

الفصل الرابع: **العقائد والأفكار الخاصة بأشراط الساعة الكبرى عند الأصولية اليهودية المعاصرة.**

الفصل الخامس: **الأحزاب والتنظيمات الأصولية اليهودية المعاصرة.**

الفصل السادس: **الآثار المترتبة على معتقدات وأفكار نهاية العالم على المجتمع اليهودي. من الناحية: السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الإعلامية، الاجتماعية، التربوية، والثقافية.**

الباب الثاني: التيارات الأصولية الإنجيلية المعاصرة، ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: **نشأة الأصولية النصرانية المعاصرة، تطورها، وأثر التغيير البروتستانتي في ظهورها، وأهدافها.**

الفصل الثاني: **المصادر التشريعية للأصولية الإنجيلية المعاصرة.**

الفصل الثالث: **العقائد والأفكار عند الأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصرة في مسائل نهاية العالم.**

الفصل الرابع: **التنظيمات والحركات الأصولية البروتستانتية المعاصرة.**

الفصل الخامس: **أثر معتقدات نهاية العالم على المجتمع النصراني**، من خلال:

- انقسام الفرق النصرانية على بعضها بين مناهض ومناوئ.
- السماح باختراق الصهيونية اليهودية للنصرانية وتحريفها؛ لتشكيل تحالف غير معهود بينهما ضد الإسلام والمسلمين، لتسويغ احتلال فلسطين، وهدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث لتعجيل مجيء المسيح، وحكم العالم لألف عام.
- مساندة ودعم الصهيونية العالمية؛ لتحقيق وعدهم المزعوم ـ أرض المعاد ـ.

الباب الثالث: خطر الفكر الأصولي اليهودي والنصراني على العالم الإسلامي، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **أساليب الهجمة الأصولية على الإسلام في المجال: السياسي، العسكري، الاقتصادي، الإعلامي، الاجتماعي، التعليمي، والثقافي.**

الفصل الثاني: **أثر المعتقدات الأصولية في واقع المسلمين المعاصر.**

الفصل الثالث: **مناقشة مزاعم التيارات الأصولية الفكرية والعقدية ونقضها.** وتشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرد عليهم من خلال:

1- نصوص من التوراة تدل على خلاف مزاعمهم.

2- الفرق اليهودية المناهضة للأصولية اليهودية المتطرفة.
3- من أقوال وشهادات الحاخامات، والعلماء منهم من المتقدمين والمتأخرين.
4- نصوص من الإنجيل تدل على خلاف مزاعمهم.
5- الفرق النصرانية المناهضة للفرق النصرانية الأصولية المتطرفة.
6- من أقوال وشهادات القساوسة والعلماء منهم من المتقدمين والمتأخرين

المبحث الثاني: عرض الأدلة السمعية والآثار المثبتة في أشراط الساعة المختلف عليها عند:

1- الأصولية اليهودية المعاصرة.
2- الأصولية النصرانية المعاصرة.
3- عند المسلمين.

المبحث الثالث: بيان أوجه الاختلاف والاتفاق في عقيدة نهاية العالم في المصادر الإسلامية مع ماورد في الأصوليتان اليهودية والنصرانية وإثبات الوجه الصحيح.

الباب الرابع: طرق مواجهة الخطر الأصولي اليهودي والنصراني، **ويشتمل على خمسة فصول:**

الفصل الأول: **الإعداد الإيماني من خلال:**

1- تقوية الوازع الديني في الدفاع عن الدين والأمة.
2- نبذ الفرقة ودواعيها ببيان التوحيد الصحيح والثبات على الحق.
3- إقرار سنة الجهاد، وإعداد النشء لها.

الفصل الثاني: **الإعداد الفكري (التربوية، والتعليم، والثقافة) من خلال:**

1- دور العلماء وطلبة العلم.
2- دور المؤسسات التعليمية.
3- دور رابطة العالم الإسلامي.
4- دور الندوة العالمية للشباب.
5- دور الجمعيات الإسلامية.

الفصل الثالث: **الإعداد الاقتصادي: من خلال:**

1- واجب المقاطعة وشرعيتها.
2- بناء اقتصاد إسلامي عالمي، يضاهي المصارف الأجنبية.
3- الاكتفاء الذاتي في: التصنيع، والإنتاج المحلي والدولي الإسلامي.

الفصل الرابع: **الإعداد الإعلامي.**

الفصل الخامس: **عقد المؤتمرات المستمرة، وإنشاء المنظمات، وهيئة الأمم الإسلامية المتحدة.**

الخاتمة وتشتمل على:
أولاً: نتائج الدراسة.
ثانياً: التوصيات والمقترحات.
الفهارس.

وفي الختام لا يسعني إلا تقديم جزيل الشكر والتقدير والعرفان بعد الله عز وجل لجامعة أم القرى الموقرة ممثلة في سعادة عميد الدراسات العليا، ووكيل قسم الدعوة وأصول الدين، ورئيس قسم العقيدة، وأعضاء هيئة التدريس لما قدموه من الدعم المباشر وغير المباشر في إعدادي للرسالة بدءً من وضع الخطة وإلى لحظاتي هذه التي أناقش بها الرسالة.

ولوكيلة كلية الدعوة وأصول الدين للتطوير الأكاديمي وخدمة المجتمع سعادة د. لؤلؤة عبدالكريم القويفلي عظيم الشكر والامتنان لما أسدته لي من التوجيهات والنصح بدءً من دراستي بالسنة المنهجية وإلى ساعتي هذه فجزاها الله عني خير الجزاء.

ولا يوفيني شكري مهما أطنبت لسعادة أ.د. أحمد السيد علي رمضان المشرف على الرسالة لما بذله من جهد كبير لمساعدتي في تخطي الصعاب التي واجهتها في إعداد الرسالة حيث أنني تعرضت لموقف من أشد المواقف قسوة على باحث مجتهد (مثلي) يجهل التعامل مع معطيات التقنيات الحديثة من منطلق علمي تقني. ذلك أنني وبعد الوصول للمرحلة النهائية للرسالة استعداداً لتسليمها تعرض جهازي الحاسوب لفيروس جعل من الرسالة جملة من الكتابات (اليابانية الهيلغروفية الخليط) وعجز معظم مهندسي الحاسوب في مناطق المملكة من استعادة مادتي العلمية ودراساتي البحثية. ومكثت في حالة اكتئاب لمدة ستة أشهر، لا سيما وأن ليس للرسالة مسودات ورقية. مما اضطرني التماس العذر لمرات عدة من سعادة المشرف على الرسالة وطلبه التكرم برفع خطاب للقسم لطيًّ قيدي بعد يأس داهمني. إلا أنه جزاه الله خيراً لم يجعل لليأس في قلبي سبيلا. إذ ظل يشجعني لأن أبدأ من جديد. وكان الأمر بالنسبة لي كالمستحيل. بيدً أن اصراره ومساندته ودعمه وتشجيعه وتذكيره الدائم بالاحتساب كان يجدد الأمل بنفسي بين فترة وأخرى إلى أن أعانني الله على إنجازها، فله مني عظيم الشكر والثناء والامتنان والدعاء.

والشكر والتقدير موصول لفضيلة الشيخ: أ. د. محمد بن عبدالعزيز العلي أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفضيلة الشيخ: أ. د. يحي بن محمد ربيع أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة.

وأقدم شكري وثنائي لموظفي مكتبة الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية الذين لم يألوا جهداً في دعم الباحثات بكافة الوسائل المتاحة. فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

كما وأقدم أجَلّ الشكر والتقدير والعرفان للسيد الوالد زكي بن حسين العباسي الهاشمي ـ يحفظه الله ـ ؛ لما لدعمه الروحي، ودعائه ورضاه، وتحمله انشغالي عنه في إنجاز رسالتي الأثر الكبير الذي ساعدني على تخطي الصعاب، فله من أعماق قلبي كل الشكر والبر والوفاء. وأقدم ثمرة جهدي عرفاناً وثناءً وحباً للوالدة الحبيبة والتي كانت تنتظر هذا اليوم بشوق.

كما أقدم وافر الشكر والحب والتقدير لأشقائي وشقيقاتي لدعمهم النفسي، وتوفير بعض المراجع التي أثرت بحثي. وأخص منهم: الدكتور عدنان، وفراس. وشقيقاتي: شكران، وابتسام، وإيمان؛ لدعمهم النفسي ووقوفهم بجانبي في جميع مراحل الدراسة، وتوفيرهم لي جملة من المراجع التي أثرت بحثي.

وشكري وعميق ثنائي لكل من سعادة الدكتورة: لينا بن صديق، والأستاذة: جواهر صالح الشثري، والابنة: تهاني عبدالله الأشقر؛ لتوفير عدد من الكتب المترجمة والنادرة من خارج الوطن ما كان مدعاة لتأصيل العديد من فصول البحث، فجزاهن الله عني خير الجزاء.

ويعذرني كل من دعمني وساندني بقليل أو كثير ولم أذكره في لحظات تسجيل شكري هذا وله مني خالص التقدير والعرفان والدعاء. هذا وبالله التوفيق.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالأصولية.

المبحث الثاني: العلاقة بين اليهود والنصارى.

- أولاً: العلاقة بين اليهود والنصارى قديماً.
- ثانياً: العلاقة بين اليهود والنصارى في العصر الحديث والمعاصر، وعلاقتهما بالصهيونية.

المبحث الأول
التعريف بالأصولية

إن تحديد المفاهيم بدقة في أي بحث، أو دراسة أكاديمية يعتبر من أهم العناصر الأساسية؛ لأن الباحث عندما يُحدِّد، ويُعرِّف المفاهيم التي يتناولها في بحثه بدقة ابتداءً، يستطيع أن يُعبِّر عن الفكرة التي يريد التحدث عنها بصورة محددة ورؤية واضحة، فيدرك القارئ أهدافه وماذا يريد أن يقول.

والمفاهيم عبارة عن: «أفكار وتعبيرات تجريدية نطلقها عادة للتعبير عن أشياء نحس ونشعر بها في عقولنا ولا نستطيع أن نلمسها؛ لذا نعمل على التعبير عنها. وهي في تغير، وتطور مستمر، ولا تحتفظ بشكلها الأصلي، وتتبدل وِفْق معطيات العلوم والدراسات العلمية والميدانية، فنجد مثلاً مفاهيمٌ تلغي مفاهيماً كانت قائمة لتحل محلها، ومفاهيمٌ تنقسم على نفسها وتتبدل»(1). كما أن هناك مفاهيم لها معنى اصطلاحي يختلف عن المعنى اللغوي بل ربما تبتعد تماماً عن المعاني التي كانت معتمدة ومستخدمة لها في فترة سابقة، ويعود ذلك إلى التقدم السريع والمستمر في شتى مناحي الحياة العلمية، والعملية، والأدبية، وإلى التغييرات السياسية والأيديولوجية، وهذا التقدم والتغيير يحتاج باستمرار إلى تحديث المفاهيم أو إعادة صياغتها للتعبير عنها، إضافةً إلى أن الإنسان كلما ازداد علمه تبدلت مفاهيمه وتغيرت.

وقد طال التبديل والتغيير جميع مناح العلوم والدراسات العلمية، والأدبية، ولعل مفهوم الأصولية موضوع بحثنا قد طرأ عليه ما طرأ على غيره من المفاهيم؛ ممَّا أدى إلى تغيير معناه الاصطلاحي الآن عن معناه اللغوي الذي كان سائداً في السابق. وعلى الرغم من أنه كثيراً ما تختلف الدلالة اللفظية للكلمة عن دلالتها الاصطلاحية إلا أن العلم لا يهتم عادة بالدلالة اللفظية طالما أن الكلمة قد أصبحت ذات دلالة اصطلاحية(2).

وبما أن مفهوم الأصولية في هذه الدراسة هو: مركز العصب منها ومدارها وعليه تَّعول مفرداتها، وعناصرها، ومعطياتها، ونتائجها، وتوصياتها؛ لذا نرى أنه من الأهمية بمكان إعطاء المفهوم حقه التأصيلي البحثي ـ ما أمكن ـ وذلك بالوقوف على معناه، ومدلولاته اللغوية، وأبعاده، وإطلاقاته التراثية والمعاصرة بتؤدةٍ وبسطٍ مشبع.

فلفظ الأصولية الذي مصدره (أ ص ل) ومشتقاته ورد بمعاجم التراث العربية والأجنبية بإطلاقات مغايرة تماماً لما عليه في وقتنا الحاضر مع فروق بينهما ممَّا أضفى عليه طابعاً نزوعياً يتواءم سلباً، وإيجاباً مع المضاف إليه سواء كان مذهباً: دينياً، أو سياسياً، أو علمياً، أو اجتماعياً، أو إعلامياً، أو...، كلا حسب أهدافه ومراميه.

وسنبسط ـ بإذن الله تعالى ـ معنى اللفظ، ومفهومه بحسب ما توافر لدينا من مصادر اللغة العربية التراثية والمعاصرة، واللغات الأجنبية كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية القديمة منها والمعاصرة؛ ـ لأنها بمثابة الأم والحاضنة ـ، والمعاصرة، ثم نعرج على معناه إبتداءً في مصدري التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم في التوراة والإنجيل، ثم نقف على مفهومه في الاصطلاح الشرعي، مروراً بالفكر الإسلامي، وأخيراً نبيّن معنى اللفظ بالمفهوم المعاصر ماذا يراد به عند إطلاقه؟ وبالله نستعين.

أولاً: مفهوم لفظ الأصولية لغةً:

من خلال البحث والتقصي في المعاجم والقواميس والموسوعات العربية وغير العربية التراثية، والمعاصرة ـ التي وقعت بين أيدينا ـ لم نعثر على لفظ الأصولية مركباً، وإنما ورد المصدر من الجذر (أ ص ل) بمشتقاته المختلفة.

بيد أن الموسوعات والمعاجم الأجنبية المعاصرة أوردت اللفظ متأخراً في بعضها مع تقييده تارة وإطلاقه أخرى، وتبعتها في ذلك بعض الموسوعات العربية المتأخرة غير المحسوبة على اللغة وصرفها، أو الموثقة من المجمعات اللغوية الدولية العربية الرسمية المعترف بها. والمعاني المشتقة من المصدر في اللغة جاءت على النحو الآتي:

1 ـ مفهوم لفظ (الأصولية) في معاجم اللغة العربية (التراثية والمعاصرة):

ورد لفظ الجذر: أصل ومشتقاته: «أصيل، استأصل، الأصيل، الأصول، والأصالة،...» في المعاجم العربية التراثية والمعاصرة على النحو الآتي:

ورد بلفظ **أصل** أي: الأساس والمنشأ: فأصل الشيء: أساسه. وأساس الحائط: أصله. وهو ما يستند وجود الشيء إليه. فالأب أصل الولد. والنهر: أصل الجدول(3).

---

(1) أساليب البحث العلمي: أركان أونجل، ص17: 18، معهد الإدارة العامة، الرياض (ط1، 1403هـ).

(2) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام ودوره في مكافحة الجريمة: أحمد علي المجدوب، ص35، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، (ط1، 1407هـ).

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب أبو عمرو، باب الهمزة والصاد، مادة: أصل، ص79، دار الفكر بيروت، (ط1: 1425هـ)، وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير =

وبمعنى **أصيل:** أي شريف. يقال: رجل أصيل: أي حسيب شريف. ولا أصل له: أي لا حسب ولا نسب. وبلفظ **استأصل:** أي اقتلع فيقال: استأصل شأفتهم: أي قطع دابرهم. **والأصيل** العشي: وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب(1).

والأصول: يطلق ويراد بها: العلوم وقواعدها التي تبنى عليها الأحكام، والنسبة **أصولي**: وهو الأصل الذي يفتقر إليه، ولا يفتقر إلى غيره. وإذا أطلق لفظ **الأصالة:** فيعني في الرأي: جودته. وفي النسب: عراقته(2). وبهذا فالمعنى يطلق ويراد به:

أ ـ الأساس الذي ينبني عليه غيره.

ب ـ القواعد والقوانين التي تبنى عليها الأحكام.

ج ـ ما يُفتقر إليه، ولا يَفتقِر إلى غيره.

ونلاحظ أن المعاني السابقة مجتمعه تعني: المنشأ، والمبدأ، والقاعدة، والأساس، **وهي ذاتها في المعاجم العربية المعاصرة فلا مغايرة بينهما.**

2 ـ لفظ الأصولية في معاجم اللغات الأجنبية التراثية والمعاصرة: إنجليزي، فرنسي، ألماني:

جاء في المورد أن كلمة: أصل: Fundamenlal وردت في المعاجم التراثية الإنجليزية، والألمانية بمعنى: الأساس، والمبدأ، أو النظرية، ومنها النسبة: Fundamental بزيادة "AL" والتي تعني: أساسي، أو أصلي، أو أوَّلي.

أما في المعاجم الفرنسية التراثية فإننا نجد أن كلمة: Racine تعني أيضاً جذر، أو منشأ، ومنها الاشتقاق Raciner ، أي: الذي رسخ أصله(3). وفي المجمل يتحد المعنى التراثي في اللغات الثلاث مع اللغة العربية الآنف الذكر. وبذا نستطيع القول بأن لفظ: الأصولية مركباً لا أصل له لا في المعاجم التراثية العربية، ولا المعاجم الأجنبية.

غير أن معاجم اللغة الإنجليزية المعاصرة انفردت عن قريناتها الألمانية والفرنسية بالمعنى الاشتقاقي وذلك بزيادة (ALISM) لتصبح الكلمة: Fundamentalism، ويعني مذهب العصمة(4)(5). ويميز نيكي كدي أستاذ التاريخ في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس بين المصطلحين: الإنجليزي، والفرنسي فيرى أن الأول يدل في الاستخدام الإنجليزي على الإيمان بالمعنى اللفظي للكتاب المقدس والأنبياء، أما في المفهوم الثاني فثمة إلماح إلى حفظ الممارسات التقليدية للكنيسة(6).

ونرى أننا إذا أخذنا بهذا المفهوم الاشتقاقي مجرداً على إطلاقه ـ كما هو ـ لا نرى له علاقة بالمفهوم أو اشتقاقه اللغوي، وإن قيَّدناه على اعتبار أن مفهوم مذهب العصمة عند البروتستانت، يعتمد على أساس النصوص وأصولها، وهو يعني المبدأ والمنشأ والأساس فيها، وهو هو نفسه.

وعليه يمكننا القول أن المعنى الاشتقاقي المعاصر في الإنجليزية، يتقارب مع المعنى في المعاجم التراثية للغات الأخرى، هذا مع الأخذ بالاعتبار بأن اللفظ لم يظهر في المعاجم العربية والأوربية إلا متأخراً، وعلى مراحل متقطعة وليس بإجماع لغوي موثق صادر من مجلس أو مجمع رسمي دولي عربي، أو أوربي، وليس أدلَّ على ذلك من أنه لم يظهر في معجم روبير الكبير الصادر عام(1966م)، بيد أنه ورد في قاموس لاروس الصادر بنفس العام(1966م)، والذي جعل أخص خصائصها التزمَّت والتطرف حين عرَّفها مطلقاً بقوله الأصولية: «هي موقف أولئك الذين يرفضون تكييف العقيدة مع الظروف الجديدة»(7).

=

للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، باب الألف مع الصاد ج1، ص21، دار العلم بيروت، (ط: ب).

(1) انظر: لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله عبد الكبير وآخرون، مادة: أصل، ج1، ص89، دار المعارف، القاهرة (ط. ب)، وانظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي، باب اللام: ص1242، تحقيق مؤسسة الرسالة، بيروت(ط4: 1415هـ). وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين الزبيدي، مادة: أصل ج7، ص: 208، مكتبة الحياة، بيروت (ط. ب).

(2) انظر: العجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ج1، ص40، دار الدعوة استنابول (ط3، ب).

(3) انظر: قاموس المورد، منير بعلبكي، ص373، دار العلم للملايين، بيروت (ط. ب: 1981م)، بتصرف. وانظر: قاموس الجيب (عربي فرنسي، فرنسي عربي) متري ألياس، ص11، 13، دار الياس العصرية، القاهرة، (ط. ب: 1981م).

(4) مذهب العصمة: يعتقد أصحابه: أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ وهي حركة ظهرت في القرن العشرين، تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا في قضايا العقيدة والأخلاق فقط، بل في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب. (الموسوعة العربية الميسرة: محمد شفيق غربال، ج2، ص1216، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (ط1: 1965م).

(5) انظر : المورد ص373.

(6) انظر: الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير: حسين سعد، ص35، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط1: 2005م).

(7) القاموس الوحيد (ألماني، عربي): رياض فياض، ص293، المطبعة العصرية، القاهرة (ط3، ب)، وانظر:

=

كما أن الموسوعة العالمية: Encyclopaediaunivrsalis الصادرة عام **(1968م)** لم تذكر للمفهوم طرفاً. ثم ما لبث أن خبا.

وفي مطلع عام **(1979م)** ظهر المفهوم من جديد من خلال قاموس الجيب الفرنسي، والذي حدَّ الأصولية، وقيَّدها عند الكاثوليك دون غيرهم وقال: «استعداد فكري لدى بعض الكاثوليك الذين يكرهون التكييف مع ظروف الحياة الحديثة»(1).

ثم أخذ في الظهور والشيوع في الثمانينات الميلادي في معظم القواميس والمعاجم اللغوية فقاموس لاروس الكبير الصادر عام (1984م) أطلقها بقوله: «موقف جمود وتصلب معارض لكل نمو أو لكل تطور»(2)، وهو بهذا لم يخصص مذهب أو طائفة بل وأخرجها عن القيد الديني في موضع آخر بقوله: «هي مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي»(3)، وكأنه بتعريفه هذا يربط بين الدين والسياسة ويوثِّق العلاقة بينهما. وقد خالفه قاموس لاروس الفرنسي الصادر عام (1987م) مؤكداً على تعريف قاموس الجيب الفرنسي بقوله: «موقف بعض الكاثوليك الذين يرفضون كل تطور عندما يعلنون انتسابهم إلى التراث»(4). والفهم الغربي لمصطلح الأصولية لا يرى الأبعاد الاجتماعية للحركة الأصولية، بل يلاحظ ما يعتبره العودة إلى الصنمية الدينية المُحْكَمة بالنصوص، والحركات الأصولية، وهو ما يعبّر عنه جيل كيبل بقوله: «هي حركات مقابل حركات إعادة تنصير المجتمع النصراني، ومشابهة لحركة غوش إيمونيم التي تمثل حركة إعادة تهويد اليهود»(5).

بقي أن نُوضِّح علاقة المفاهيم الأوروبية بالعربية، ومن أين جاء لفظ الأصولية كلفظ مركب إلى عالمنا العربي؟ يقول د.الجابري في كتابه حوار المشرق والمغرب: «أن كلمة أصولية ليست ترجمة Fundamentalisme، بل ربما العكس هو الصحيح؛ حيث إن الكلمة الأجنبية هي التي صيغت للتعبير عن الحركات السلفية، وبما أن اللغات الأوربية لا يوجد بها ما يقابل كلمة السلف Traditonalism، والتي تعني التقليد، أوNationalism Islamique ، والتي تعني الدعوة الإسلامية؛ ولأن هذه المصطلحات لا تفي بالغرض، عمد الكاتب أنور عبد الملك عام: 1965م في مؤلفه مختارات من الأدب العربي المعاصر بالفرنسية إلى اقتراح لفظ: Fundamentalisme؛ لكي يكون ترجمة لمضمون حركة: الأفغاني وعبده، ولقي هذا الاقتراح اللفظي قبولاً في الغرب، ثم أخذ المترجمون العرب الكلمة فترجموها بالأصولية، وكان الأولى منهم إعادتها إلى أصلها العربي وهو سلفي»(6).

ونحن إن قبلنا هذا التوجه الظني ولم نستبعده؛ ذلك أن صدور كتابه الآنف الذكر يسبق صدور المعاجم والقواميس الأوربية المذكورة؛ إلا أننا لا نجعله السبب كله بل ربما سبباً من جملة أسباب لم نقف عليها.

ثانياً: مفهوم لفظ الأصولية في مصادر الأديان الثلاثة:

1 ـ الإسلام:

سنبحث أصل الكلمة من خلال مصدري التشريع الإسلامي: الكتاب، والسنة.

أ ـ لفظ (الأصولية) في القرآن الكريم ومشتقاتها:

لم يرد لفظ الأصولية في القرآن الكريم صراحة، وإنما ورد مصدر الكلمة ومشتقاتها كما في اللغة: أصل، أصلها، أصولها، أصيلاً، الآصال،...، وذلك في أحد عشر موضعاً(7) نذكر منها:

<u>الأصل</u>: قال تعالى: ﴿يُوسُف الرَّعد إبرَاهِيم الحِجر النَّحل الإسرَاء﴾ (سورة الصافات، آية: 64)، قال ابن كثير: «غذيت من النار، ومنها خلقت، وقال مجاهد أي: أصل منبتها في قرار النار»(8). وهذا

=

الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها: روجيه جارودي، تعريب: د.خليل أحمد خليل، ص13، دار عام الفين، باريس (ط. ب:2000م).

(1) الأصوليات المعاصرة، جارودي، ص13.
(2) نفسه: ص13.
(3) نفسه: ص13.
(4) نفسه: ص14.
(5) الأصولية الإسلامية، إمبراطورية الشرق الجديدة: جيل كيبل، حوار: فؤاد أبو منصور، مجلة معلومات، عدد3، مايو1993م، ص33، وجيل كيبل: كاتب فرنسي، وهناك من يعتبره الاختصاصي الأول في الحركات الأصولية، من مؤلفاته: ضواحي الإسلام، النبي فرعون. نفس المرجع.
(6) انظر: موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، مصطلحات ومفاهيم: عامر رشيد مبيض. ص95. دار القلم. حلب (ط1: 1420هـ) بتصرف.
(7) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. مادة: أصل. ص34. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط. ب) .
(8) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير. ج4، ص12. دار المعرفة. بيروت (ط6: 1413هـ).

يعني: المنشأ والأساس.

أصـــلها: قـــال تعـــالى: ﴿الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الانسان المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين﴾ (سورة إبراهيم، آية: 24)، « قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كلمة طيبة: لا إله إلا الله، كشجرة طيبة: المؤمن، أصلها ثابت: بقوله: لا إله إلا الله في قلبه، وفرعها في السماء»(1)، يرفع عمله بقوله إلى السماء، أي: أنه وقر في القلب. وهنا يعني لفظ أصل على: الشيء الثابت.

أصولها: قال تعالى: ﴿العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم﴾ (سورة الحشر، آية: 5)، قال ابن جرير: لمَّا حاصر النبي يهود بني النضير أمر بقطع نخيلهم من أصولها، أي: من جذورها، ومنابتها إهانةً لهم، وإرعاباً لقلوبهم(2).

أصيلاً: ورد في أربع مواضع منها: قوله تعالى: ﴿البروج الطارق الأعلى﴾ (سورة الأحزاب، آية:42)، وقوله تعالى: ﴿الفيل قريش الماعون الكوثر الكافرون﴾ (سورة الإنسان، آية: 25) والأصيل: آخر النهار، وهو المساء(3).

الآصال: ورد في ثلاثة مواضع منها: قوله تعالى:﴿صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من﴾ (سورة الرعد، آية: 15)، والآصال: جمع أصيل، وهو آخر النهار(4)، وبما أن الليل سابق النهار؛ لقوله تعالى: ﴿نوح الجن المزمل المدثر القيامة الانسان المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق﴾ (سورة يس، آية: 40) فإن كلمة أصيلٍ، وآصال سواءٌ كان المقصود بها المساء، أو آخر النهار فهي بمثابة بداية اليوم؛ فتكون بالتالي كالأصل لليوم.

وبناءً عليه فإن كلمة أصل ومشتقاتها في القرآن الكريم تدور حول الشيء الثابت، والجذر، والمنشأ وهو ذات المعنى اللغوي.

ب ـ لفظ (الأصولية) ومشتقاتها في السنة النبوية المطهرة:

بالبحث بحسب ما وقع بين أيدينا من مراجع وجدنا أن السنة النبوية تتفق مع القرآن الكريم، واللغة العربية في ورود مصدر اللفظ ومشتقاته، ومعناه، ومدلولاته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أصل: عن عمرو بن ميمون قال، قال ^: **«... وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام... »**(5). الحديث.

أصلها: عن نافع بن عمر رضي الله عنهما قال: **«...إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها...»**(6) الحديث.

أستأصل: عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة قال: «......أرأيت إن **استأصلت** أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟.....»(7) الحديث. وهي بهذه المعاني لا تحتمل معنى مغاير لما سبق.

2 ـ مفهوم لفظ الأصولية بالكتب المقدسة عند اليهود، والنصارى:

ورد اللفظ **أصل** في الكتاب المقدس بعهديه في سبعة وخمسين موضعا(8). منها (46) في العهد القديم، و(11) موضعا في العهد الجديد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أ ـ لفظ (الأصولية) في التوراة:

---

(1) نفسه: ج2، ص549: 550.
(2) انظر: نفسه: ج4، ص36.
(3) انظر: نفسه: ج3، ص321.
(4) انظر: نفسه: ج2، ص526.
(5) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، وفيه قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ج7، ص62: 72، رقم الحديث:3700.
(6) صحيح البخاري: ،كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف. ج5، ص400، رقم الحديث: 2737.
(7) صحيح البخاري: باب الشروط في الجهاد، ج11. ص372، رقم الحديث:2731.
(8) انظر: فهرس الكتاب المقدس: د. جورج بوست، ص21، مطبعة الحرية، بيروت (ط11: 2000م).

أصل كما جاء في أشعيا3:
(.....ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى(1) **القائم راية الشعوب10إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا11....).**
وقوله في **حزقيال17** :
(...والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح هؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون6).
استأصل: يقول في التثنية**27:**
(واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وغيظ وسخط عظيم29...)، استأصلهم أي: غضب عليهم الرب غضباً شديداً مفنياً كالنار المشتعلة، وأهلكهم عن الأرض، كما تهلك الشجرة بقطعها من أصلها، وعن تربتها(2).

ب ـ لفظ (الأصولية) في الإنجيل:

جاء لفظ الأصول في الإنجيل بعدةِ معانٍ منها:
أصل: جاء في متى**3:**
(...والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة10...).
أصول: ورد في متى**3:**
(... هاهي ذي الفأس على أصول الشجر11...).
أصولها: كما جاء في لوقا**1:**
(... وقد تقصيتها جميعاً من أصولها3...).

وعليه فالاتفاق في المعنى بيّن لا يحتاج لمزيد بيان بين المعنى اللغوي في العربية، واللغات الأخرى. وما ورد في مصادر الأديان الثلاثة موضع البحث.

ثالثاً: مفهوم لفظ الأصولية اصطلاحاً:

كما ذكرت آنفاً لم يرد لفظ الأصولية في الموارد العربية، والأجنبية. ولكن ورد مصدر اللفظ (أ ص ل) بمعنى: المبادئ والقواعد.

وكلمة الأصول تعني: أصول الدين، فمن حيث إنها أساس لفروعها سمّيت قواعد، ومن حيث إنها مسالك واضحة لها سمِّيت مناهج، والعلوم الأصلية هي العلوم والقواعد(3).

وقد فرَّق الشهرستاني بين الأصول، والفروع، فقال: «الأصول تعني معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة: كل مسألة يتعيَّن الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسِماً إلى معرفة وطاعة، فالمعرفة أصل، والطاعة فرع، فمَن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومَن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً،...»(4).

رابعاً: مفهوم مصطلح الأصولية المعاصر:

قبل البدء لابد أن نعرف أن لفظ الأصولية يأتي على حالتين هما:

1- **أن يكون مطلقاً:** وإذا أطلق عُني به:
التمسك بمبادئ الدين التي لا يجوز التخلي عنها ورفض الوصايا العقائدية، والأخلاقية من المجتمعات أو المعتقدات الأخرى.

2- **أن يكون مقيّداً: أي أن يكون محدداً ومحصوراً** كأن يقال: أصولية نصرانية، أو أصولية يهودية، أو أصولية هندوسية، أو... وهكذا(5).

زمن ظهور المصطلح:

حدد الباحث جيل كيبل في كتابه الحركات الأصولية المعاصرة زمن ظهور المصطلح بقوله: يُؤرَخ للظهور العمومي لمصطلح سلفية أصولية على وجه العموم بسنوات العشرين من بدايات القرن

---

(1) يسي: اسم عبري، ربما كان معناه (رجل) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص1065.
(2) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: مبنى على آراء أفاضل اللاهوتية، ج2، ص482، دار الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت (ط. ب: 1973م).
(3) انظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا. ج1. ص98. الشركة العالمية للكتاب (ط ب: 1414هـ)، وانظر: المعجم الفلسفي: د.عبد المنعم الحفني، ص25، الدار الشرقية، القاهرة (ط1 :1410هـ). وانظر: المعجم الفلسفي: مراد وهبة وآخرون: ص19، دار: بدون، القاهرة (ط1، 1966م).
(4) الملل والنحل: الشهرستاني. تحقيق: محمد رشيد كيلاني. ج1. ص41: 42. دار صعب. بيروت (ط: 1986م).
(5) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني. ج1. ص42.

العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية؛ نتيجة لاحتدام الخلاف بين البروتستانت المحافظين، والحداثيين، والذي كان من ثماره نشر سلسلة (الأصول) ابتداءً من عام (1910م)، والمكونة من اثنتي عشر مجلداً، وتضم تسعين مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة(1)(2).

وفي عام (1920م) نظَّم البروتستانت المحافظون في التجمع المعمداني الشمالي مؤتمراً عن الأصول؛ لتجنيد، وتجميع المعارضة الليبرالية(3) . فظهر مصطلح الأصولية في هذه المناسبة عندما صاغه كيرتزلي لوز المحرر المحافظ للجريدة المعمدانية؛ لكي يصف هؤلاء هم الذين على استعداد لدخول الصراع من أجل الأصول(4).

وهذا يعني أن مصطلح الأصولية ظهر في الغرب؛ لتمييز الأمريكيين البروتستانت المحافظين، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأصوليين تمييزاً لهم عن غيرهم من البروتستانت المتحررين.

ثم استخدم المصطلح بعد ذلك لوصف جميع طوائف البروتستانت الأمريكيين الذين وقفوا ضد التغييرات الثقافية التي أتى بها الحداثيون.

وأول من نادى بهذا المصطلح رئيس تحرير مجلة نيويورك الأمريكية Newyork Watchman في افتتاحية عدد يناير عام (1920م).

ثم شاع استخدامه بعد حادثة سكوب مدرس الجيولوجيا عام (1925م)، والذي تعرض للمحاكمة بتهمة انتهاك قوانين الولاية في أمريكا، التي تمنع تدريس أي نظرية تعارض نظرية الخلق الإلهي للإنسان، حيث كان يدرس نظرية داروين لطلابه، فأثارت هذه المحاكمة مواجهة بين المدافعين عن الثقافة الأصولية، وبين النخبة الحداثية المفكرة والعلمية(5).

وفي أواخر القرن العشرين أصبح مصطلح الأصولية يمثل عدداً كبيراً من الهيئات، والمؤسسات التربوية والمنظمات الكنسية ذات النفع الخاص(6).

ويؤكد المستشرق البريطاني فريد هاليداي(7) على هذا الاستعمال النفعي الخاص بقوله : «لقد أصبح يطلق المصطلح على كل حركة تسعى إلى استنباط سلطتها من الدعوة إلى العودة إلى النصوص المقدسة وإلى الكتابات التي يفترض أنها نابعة من العناية الإلهية»(8). وهو بهذا حدّها وقيّدها على المجال الديني وعلى الاتجاهات المؤمنة بعصمة الكتاب المقدس، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات بمجمل الحياة بما في ذلك الشئون السياسية..(9).

وبهذا فإن الأصولية الغربية تربط بين السياسة، والدين، ولذا اعتبرها جورج كنعان: «بأنها نمطاً من الأعمال السياسية، والاجتماعية تعبر عن علاقة وثيقة بين عقائد المرء الأصولية، وبين سلوكه في الحقلين السياسي، والاجتماعي، من أجل تحقيق غرض ما، أو إشاعة فكرة، أو مفهوم، أو غرس عقيدة ما في الأذهان، أو التضحية من أجل تحقيق غايات مطلقة لا تقبل المساومة، أو

---

(1) الحداثة: نمط حضاري يختلف اختلافاً جذرياً عن الأنماط التقليدية التي تنتمي إلى الماضي، ومن لوازمها الأساسية في الفكر، والاقتصاد، والسياسة، شيوع العقلانية، فهي التي أدت إلى التقدم العلمي، والثقافي، وكانت الركيزة الفلسفية الأساسية لجميع الحركات الفكرية منذ عصر التنوير، ومن دونها لا يمكن فهم التنظيمات السياسية التي قامت عليها الدول الحديثة.(انظر: موسوعة الثقافة السياسية:عامر مبيض. ص516).

(2) انظر: الحركات الأصولية المعاصرة. جيل كيبل. ص118: 119.

(3) الليبرالية: مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة بالميادين الاقتصادي، والسياسي، ففي النطاق السياسي الفردي يؤكد المذهب على القبول بأفكار الآخرين، وأفعالهم، ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل، وفي إطارها الفلسفي تعتمد على النفعية لتحقيق أهدافها وعلى النطاق الاجتماعي: هي النظام السياسي المبني على أساس فصل الدين عن الدولة، أو التعددية الأيدلوجية، والتنظيمية الحزبية، والنقابية، من خلال البرلمان الديمقراطي، بسلطاته الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية للحفاظ عليها، وقد كفلت حرية الأفراد بما في ذلك حرية المعتقد. إلا أن الليبراليين في الغالب يتصرفون ضد الحرية لارتباط الليبرالية بالاستعمار، وما يتضمنه الاستعمار من استعباد للشعوب المستعمرة. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ج2. ص: 1135).

(4) انظر: مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا: عادل المعلم، ص48، مكتبة الشروق، القاهرة (ط1، 1425هـ).

(5) انظر: الحركات الأصولية المعاصرة. جيل كيبل. ص119. وانظر: الحركات الأصولية في الغرب: منى فياض. ص18. مقال: جريدة الحياة. عدد: 10404. 1412/1/21هـ. وانظر: الأصولية المسيحية في أمريكا: دراسة في الأبعاد الفلسفية (مقال) جورج المصري. ص42. مجلة الإنسان العدد الثامن: 1413هـ..

(6) انظر: حرب النعوت والألقاب ومفهوم الأصولية بين التصحيح والتسطيح: سعيد عبد الله سليمان. مجلة الباحث. بيروت السنة 12 عدد:4. اكتوبر/ ديسمبر: 93م. ص9: 25.

(7) استاذ العلاقات الدولية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية.مجلة الوسط. ديسمبر: 93م. ص63.

(8) الأصولية في عالمنا الراهن: فريدها ليداي. مجلة أبواب. ع1 صيف: 94م. ص56: 73.

(9) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. د. يوسف الحسن. ص10. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت (ط:197م).

التسوية»(1). ثم توسع المفهوم حتى أصبح يطلق على كل من تمسك بمبادئ لا يجوز التخلي عنها، ورفض الوصايا العقائدية، أو الأخلاقية، من المجتمعات، أو أي معتقدات أخرى، وهذا ما أكّده جارودي بقوله: «إن الأصولية تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة وتفرضها، فتقوم على معتقد ديني، أو سياسي مع الشكل الثقافي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها»(2).

وهذه التعريفات تعطي مؤشراً واضحاً لبدء خروج المصطلح في الغرب عن إطاره الديني لا إلى السياسي فحسب، بل أقحم حتى في المجال الاقتصادي، والعلمي، حيث ينقل عنهم الكاتب محمد السماك المفهوم بقوله: «إنها الإيمان المطلق بقوى السوق كحل لكل المشاكل الإنسانية»(3)، ويقول جارودي: «هي التي تزعم أن عندها جوابا لكل شيء باسم تصور قديم وضعي للعلم»(4).

ونظراً لتعميمه وخروجه عن الإطار الديني؛ أصبح يطلق على كل الحركات الإصلاحية في أديان العالم الأخرى، بأسلوب أبعد ما يكون عن الدقة، حيث توجد الأصولية البوذية، والهندوسية، والكنفوشسية، وجميعها تتفق في رفض النظريات المتطرفة الحديثة، بل وتكافح وتناضل؛ لإدخال الدين في السياسة(5).

يقول هاليداي فريد(6): « وعموماً فالحركات الأصولية المعاصرة ــ تزعم ــ أنها تسعى لاستنباط سلطانها من الدعوة إلى العودة إلى النصوص المقدسة، وإلى الكتابات التي يفترض أنها نابعة من العناية الإلهية»(7).

وبهذا أصبح المصطلح من المصطلحات المستخدمة بشكل واسع؛ للدلالة على حقائق ثابتة ــ برغم ما يطرأ عليها من المتغيرات البيّنة إلا أنها تدّعي لنفسها الثبات ــ من وجهة نظر أصحابها، وبذا أصبح استخدامه أشيع من دلالته، ومفهومه الفضفاضين. ويعلّق جارودي على ذلك بقوله: «إن استخدام مصطلح الأصولية مُضلل»(8).. وهذا لأنها تدعي الأصولية وهي على الحقيقة وصولية(9).

على ضوء ما بسطنا من معاني لمفهوم لفظ الأصولية في الإطلاق العام، بقي أن نُوضح ما الذي تعنيه إذا قُيِّد اللفظ بدين، أو مذهب، أو طائفة كقولنا الأصولية: اليهودية؟، أو الإنجيلية؟، أو الإسلامية؟

أولاً: الأصولية اليهودية: ماذا نعني بقولنا الأصولية اليهودية؟.

يُعرِّفها الكاتب شاحاك وميزوفينيسكي على أنها: «الإيمان بأن الأرثوذكسية اليهودية القائمة على التلمود البابلي، وبقية الكتابات التلمودية، ومُجمل الشريعة اليهودية الهالاخاه(10)،... بأنها ما زالت صالحة وسوف تظل كذلك أبداً، ولهذه التشريعات والقائمين عليها نفوذ في السياسات الإسرائيلية التقليدية من خلال الحركات، والتنظيمات، والأحزاب الدينية، والسياسية، التي أنشأت في أعقاب حرب عامي (1967: 1973م)»(11)،... «ويُعدُّ عملها نمطٌ من العمل السياسي الذي

---

(1) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورج كنعان، ج1. ص15. دار الدعوة والدعاة. بيروت (ط: 1995م).
(2) الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها: جارودي. ص12.
(3) الاستغلال الديني في الصراع السياسي: محمد السماك. ص116. دار النفائس. بيروت (ط1: 1420هـ).
(4) الأصوليات المعاصرة: جارودي. ص12.
(5) انظر: معارك في سبيل الإله الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام: كارين ارمسترونج، ترجمة: د. فاطمة نصر. وآخر. ص4. دار سطور. القاهرة (ط1: 2000م).
(6) هاليداي فريد "أستاذ العلاقات الدولية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية" اليسار فقد صدقيته والبدائل الأخرى غير موجودة، مقابلة في مجلة الوسط. 6ديسمبر (1993م) ص63.
(7) الأصولية في عالمنا الراهن: هاليدي فريد مجلة أبواب، بيروت، العدد1 (1994م)، ص 56-73.
(8) الأصوليات المعاصرة: جارودي، ص12.
(9) ذكر هذا الوصف بالوصولية من الباحثة: بمعنى أن أوربا أخذت من الدين مطية وذريعة للوصول لأهدافهم الأمبريالية. واليهود اتخذوه لأضفاء المسحة الدينية لإنفاذ مشاريعهم السياسية الاستيطانية وتبرير الاحتلال.
(10) الهالاخاه: كلمة عبرية تعني التشريع، أو القانون، وهي من أصل آرامي، ومعناها الطريق القويم، وكانت الكلمة في بادئ الأمر تشير إلى الحكم الشفهي الذي يصدره الفقهاء، ثم اتسع مدلولها فيما بعد وأصبحت تعني الجانب التشريعي لليهودية بشكل عام، بما في ذلك الشريعة الشفهية، والملاحظ أن التشريعات المختلفة هي محور الخلاف بين الفرق اليهودية في العصر الحديث، إذ يرى اليهود المتزمتون أنهم مكلفون بتنفيذ كل ما جاء في الشرائع اليهودية، وبصياغة حياتهم وفقاً لقواعدها، بينما يذهب الإصلاحيين إلى القول بأن التشريعات مرتبطة بزمان ومكان محددين، وأن قواعدها غير ملزمة، ويرى المحافظون أنهم ينفذون روح التشريعات دون حرفيتها. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبدالوهاب المسيري. ص59-60. دار الشروق. القاهرة (ط1: 2003م) بتصرف.
(11) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إسرائيل شاحاك وميزفينسكي نورتن، ج1، ص33-35. ترجمة: ناصر عفيفي. مكتبة الشرق الدولية. القاهرة (ط1، 2004م).

يعمل على تحقيق تغيير جذري في المجتمع»(1). وإذا أُطلقت تشير إلى القائلين بالعصمة الحرفية المطلقة للتوراة، وتقديس النص والأخذ بحرفيته، ومَن يضفي على المصادر الكتابية: الأسفار، والشفوية التلمود(2)، والحاخامات(3)؛ طابع القداسة، ويعطي الحاخامات سلطة أعلى من سلطة الأنبياء، والتوراة ذاتها(4)، كما جاء في التلمود: **(إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها، ولا تغييرها، ولو بأمر من الله، وقد وقع يوماً الخلاف بين الله وبين علماء اليهود** ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ــ **في مسألة، وبعد أن طال الجدل تكررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربانيين، واضطر الله** ــ تنزَّه عن ذلك جلّ في عُلاه ــ **أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور)**(5). وخلاصة القول أن مفهوم الأصولية إذا قُيِّد باليهودية فإنه يعني عندهم: تقديس النص، أي: تطبيقه حرفياً، وتقديس الشخص، أي بإعطاء الحاخامات سلطة عليا مطلقة، ويكون لكلامه سلطة أعلى من سلطة النص التشريعي ذاته. وأحياناً يُقيَّد بالصهيونية، والتي تطورت من خلال بعض طوائف الأصولية اليهودية فيما بعد للتحول إلى قوى سياسية، وثقافية كبرى على الساحة الإسرائيلية، وتزعم أنها اتخذت الشريعة منطلقاً لها في هذا العمل(6)؛ لأن الدين في التوراة سياسة، والسياسة دين فهي إذاً الأصولية اليهودية الصهيونية(7)، وهي خلاف الأولى، وسنفصل الكلام عنها في الباب الأول بإذن الله.

ثانياً: الأصولية الإنجيلية:

ماذا نعني بقولنا الأصولية الإنجيلية النصرانية؟ هي: حركة تمثل الاتجاه المحافظ في الفكر الديني النصراني الحديث، تدعو للعودة إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وتؤكد عصمته من الخطأ، لا في قضايا العقيدلالة فحسب، بل في كل ما يتعلق بالتاريخ، ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه الثاني إلى العالم، والحشر...، وغيرها(8).

وهي تفسر نصوصه تفسيراً حرفياً، ولا تحصر فهمه في اللاهوتيين من رجال الكنيسة فقط، وتهتم هذه الطائفة اهتماماً كبيراً بنبوءات نهاية العالم، وتؤكّد على تحقيقها تحقيقاً حرفياً، وتدعو إلى التشدد في مسائل العقيدة، وتؤمن بضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين وأحقيتهم فيها، وقيام دولتهم، كما تؤمن بضرورة بناء الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى، والعودة الثانية للمسيح بصورة حرفية كما وردت في كتبهم(9). وهي تمثل الجانب الصهيوني في النصرانية، ويطلق عليها (الأصولية المسيحية الصهيونية) لتبنيها الفكر اليهودي في عقائد نهاية العالم، وهي خلاف الأصولية المسيحية (الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والإنجيلية المخالفة لتوجهاتها).

ثالثاً: الأصولية الإسلامية = (السلفية):

ماذا نعني بقولنا الأصولية الإسلامية؟ سبق وأن ذكرنا أن مصطلح الأصولية لا أصل له في الفكر الإسلامي ومظانّه، وعلمنا أنه ظهر في الغرب مع بدايات القرن العشرين، ولكنه تبلور بصورته النهائية واعتمد في نهاياته، وهذا يعني أن المصطلح من وضعهم كما حلل ذلك جارودي

---

(1) الأصولية اليهودية في إسرائيل، إيان لوستيك، ترجمة: حسين زينة. ص10. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت (ط1: 1991م).

(2) التلمود: كلمة مشتقة من الجذر العبري (لامد) الذي يعني: الدراسة، والتعليم، وتعود كلمة(تلمود) العبرية، وكلمة تلميذ العربية إلى أصل سامي واحد، وهو من أهم الكتب الدينية عند بعض فرق اليهود، وهي حجر الأساس للشريعة الشفوية عند بعض الفرق، لأن من قام على تفسيرها الحاخامات الفريسيين.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. ج1. ص124. بتصرف).

(3) الحاخام: كلمة عبرية معناها الرجل الحكيم أو العاقل، وكان هذا المصطلح يطلق على جماعة المعلمين الفريسيين، وجمعها حاخاميم، ومنها أخذت كلمة حاخام لتدل على المفرد، وتستخدم كلمة حاخام للإشارة إلى الفقهاء اليهود والأحبار، ولكن المعنى الأكثر انتشاراً هو استخدام كلمة حاخام للإشارة إلى القائد الديني للجماعة اليهودية الذي كان يقوم بوظيفتين، أولهما: تفسير التوراة، وتطوير الشريعة الشفوية، فقد كان فقيهاً ومفتياً، ولكنه أصبح إلى جانب ذلك القائد الديني للجماعة اليهودية، وفي العصر الحديث يعطى الحاخام مكافأة شهرية أو سنوية عن أعماله، ولكن ينص في العقد على أنه يتقاضى الأجر عن الأعمال التي يقضيها خلال الأسبوع، وهي أعمال غير دينية، ولا يتقاضى أجر عن يوم السبت، أي اليوم الذي يلقي فيه الموعظة" (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. د. المسيري. ج1. ص59-60. بتصرف) أمثال الحاخام مناجم شنير زونس في نيويورك وقومه من يهود بيت المقدس.

(4) انظر: الإسلام كبديل: مراد هوفمان. ص107.

(5) انظر: برتوكولات حكماء صهيون: ترجمة: محمد التونسي. ص22- 23. دار التراث. القاهرة (ط. ب).

(6) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص7. مخطوط رسالة ماجستير في العلوم السياسية. جامعة بغداد: 1425هـ.

(7) انظر: قراءة سياسية للتوراة: شفيق مقار. ص9. رياض الريس. لندن. 87 م. نقلاً عن: السيف الأحمر. ص43.

(8) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقاتها بالصهيونية: محمد إبراهيم صقر. ص39. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة (ط1: 1424هـ).

(9) نفسه: ص39.

بقوله بأنه لفظ: «فرض نموذجيه الإنمائي، والثقافي، وبذلك تكون الأصولية الغربية هي العلة الأولى، ثم ولدت كل الأصوليات الأخرى في العالم الثالث بألوانها المختلفة؛ رداً على أصولية الغرب»(1).

هذا ورغم أن شيوع مصطلح: الأصولية الإسلامية، جاء مؤخراً في الكتابات العربية تعبيراً عن الحركة الإسلامية، إلا أنه يعتبر كما أسلفنا دخيلاً، وغير أصيل، وما زال معناه غير مقبول، أو مساغ من المسلمين الواعين؛ لما تحفه من مفاهيم غير إسلامية، ويرون أن مصطلح الحركة الإسلامية أفضل منه، ومصطلح السلفية هو الأدق.

فالغرب يستخدم المصطلح بحسب أهوائه، ورغباته السياسية، والإعلامية، التي يسلط الضوء عليها، وبما يخدم أهدافه الإمبريالية، لا بحسب مدلوله الاصطلاحي الإيجابي الموسوم به في دياناتهم اليهودية، والنصرانية، فإذا قُيّد بالإسلام ألصقت به نعوت أدنى ما يكون من درجات السلب حيث يعني سياسياً، وإعلامياً الإرهاب، والتطرف، والقتل، و...، وما ذلك إلا للحدّ من المد الإسلامي الجارف؛ ولإضعاف المسلمين، وكسر شوكتهم، والسيطرة عليهم. ومن هنا نجد أن المستشرقين(2) المنصفين منهم يستخدمون لفظ الأصولية الإسلامية قياساً على التسميات التي نشأت في الغرب، حيث يقترب مفهومه من حقيقة مقاصد الحركة الإسلامية، وتمشياً مع الواقع(3). وهذا ما يبرر ظهور الحركات الإسلامية التي نشأت من احتدام الصراع بين الشرق والغرب(4)؛ لذا نجد أن الكاتب مراد هوفمان عرّفها بواقعية وصدق في كتابه الإسلام كبديل ــ بحسب مفهومهم ــ بقوله: «أن الأصولية الإسلامية عبارة عن: موقف فكري ورؤية عالمية، ترى الالتزام بالإسلام كما كان في أول عهده، وكما عرفه السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم، منطلقاً ومثالاً يحتذي به، في صياغة المعايير، والقيم، وقواعد السلوك والمعاملات في عملية بناء الحاضر»(5). فهي حركة تجديد في الفكر الإسلامي تنظر إلى القضايا الراهنة من منطلق الشريعة الإسلامية، لإضفاء الطابع الشرعي على مقومات حياة الإنسان في الزمان الحاضر، فتنطوي على نظرة إلى الإنسان والمجتمع، وتتضمن حلاً لمشكلاتهما من منظور المدينة الأولى في عهد نبي الإسلام، والسلف الصالح؛ وبذلك تدعو لبناء حياة جديدة، وفقاً لتعاليم الإسلام، وأصوله(6).

والأصوليون الإسلاميون اليوم كما يعبر عنهم المستشرق مكسيم رودنسون بقوله: «هم مجموعات في العالم الإسلامي تقول دائماً: إن حل مشكلات العصر يتم عن طريق الإسلام، وهؤلاء يطالبون بالعودة إلى صدر الإسلام، ويؤكدون أن سبب المشاكل يكمن في الابتعاد عن الحلول التي طرحها رسول الله، والتي طبقها خلال حياته؛ إذ يجب العودة إلى هذه الحلول»(7). ومن هذا المنطلق يرى فضيلة الدكتور: يوسف القرضاوي، في كتابه مستقبل الأصولية الإسلامية: «أنه لا مانع من قبول المصطلح بهذا الاعتبار إذ يعني العودة إلى الأصول والتي هي الكتاب والسنة والتمسك بهما عملياً، ويرى أن قبول هذا المصطلح من قبيل قول الإمام الشافعي:

إنْ كان رفضاً حبُ آل محمد(8) فليشهد الثقلان(9) أني رافضي(10)

ثم يعقب بقوله: إن كان التمسك بالإسلام الصحيح عقيدة، وشريعة، ومنهاج حياة، والدعوة إليه، والاعتزاز به، والدفاع عن مبادئه، وحرماته أصولية؛ فليشهد الثقلان أننا أصوليون اقحاح(11)»(12).

---

(1) الأصوليات المعاصرة: جارودي. ص12.
(2) أمثال: مكسيم ودنسون، جاك بيرك، دومينيك شوفاليه...
(3) انظر: الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير: د.حسين سعد. ص45.
(4) انظر: الأصولية في العالم العربي، ريتشارد هرير كمجيان. ترجمة: عبد الوارث سعيد. ص1. دار الوفاء المنصورة. مصر (ط3: 1992م).
(5) ص107.
(6) انظر: الأصولية الإسلامية العربية. د. حسين سعد. ص41: 42.
(7) نفسه: ص43.
(8) رافضي: هي طائفة من الشيعة تعتقد بأحقية أهل البيت بالإمامة على باقي الصحابة بما فيهم الشيخان رضي الله عنهما، وأن الإمامة ركن من أركان الدين بنص النبي ^ وأن الأنبياء والأئمة معصومون، ويرجع سبب تسميتهم بالروافض؛ لرفضهم خلافة الشيخين وأكثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقد أطلق عليهم ذلك بعد رفضهم إمامة زيد بن علي وتفرقهم عنه لعدم موافقته على أفكارهم هذه. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: ج2. ص1069).
(9) الجن والإنس.
(10) انظر: ديوان الإمام الشافعي. باب حب آل البيت. ص32. مكتبة الإيمان. المنصورة. مصر (ط. ب).
(11) اقحاح: جمع قح بالضم: وهو الخالص من الكرم واللؤم وكل شيء، ويقال: أعرابي قح خالص عريق البداوة.
(12) مستقبل الأصولية الإسلامية: د. يوسف القرضاوي. ص16. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 1997م).

الفرق بين الأصوليتين: اليهودية ـ النصرانية، والإسلام:

إذا سلمنا بهذا المعنى غير الاعتباري في الإسلام، والجدلي عندهم، نجد أن هناك عدة فروقات بينهم نذكر منها:

1. إن مصطلح الأصولية التي بمعنى السلفية في البيئة الإسلامية يختلف تماماً عنه في البيئة الغربية، فيرمز في البيئة الإسلامية لأهل الاجتهاد، والاستنباط، ويطلق على: علوم أصول الفقه، وأصول الدين، وأصول الحديث، بينما في الغرب هو عنوان على أهل الجمود والتطرف والتدمير، وهذا ما أكده د.عمارة بقوله: «مصطلح الأصولية الإسلامية بمعناه الغربي غريب عن الواقع الإسلامي مُقحم عليه بقوة القصف الإعلامي؛ لأنه يعني في الغرب أهل الجمود بينما في التراث الإسلامي هو عنوان على أهل التجديد، والاجتهاد، والاستدلال، والإستنباط»(1). أما عند النصارى فبما أنهم يفسرون نصوص كتابهم المقدس تفسيراً حرفياً ويحصرون فهمه في اللاهوتيين من رجال الكنيسة فدل ذلك الجمود وبأنهم حرفيون معطلة.

2. إذا كانت الأصوليتان اليهودية والنصرانية تعنيا بالرجوع إلى القديم، فالفرق بينهما كبير؛ لأن الرجوع في الإسلام إلى القديم معناه الرجوع إلى الأصل الخيّر، أي إلى القرآن، والسنة، أما في اليهودية والنصرانية، فهو الرجوع إلى التوراة، والإنجيل المحرفتين والمليئتين بالترهات، والأباطيل، والأضاليل(2).

3. إذا كانت الأصولية في الغرب تصطتدم مع العلم، والثوابت اليقينية والبدهيات العقلية، وتعمق العنصرية، والدموية كل ذلك في نصوص لا تقبل المناقشة، والجدل، كما أنها تعتبر الحاخام أصلاً تفوق أهميته، وقداسته، واعتباره النص ذاته؛ لتصبح المصادر اليهودية نصوصاً، وأشخاصاً هي محور الأصولية الذميمة في المجتمع الغربي(3)، بينما الأصولية في الإسلام على عكس ذلك، فلا قداسة إلا للنص بأصليه الكتاب، والسنة، وأما العلماء فيأخذ منهم، ويرد بحسب مقتضيات النصوص وثبوتها، وصحتها.

4. إن مصطلح الأصولية عند النصارى لا يمكن تطبيقه بدقة على الحركات التي وضعت لنفسها أولويات تختلف اختلافاً كاملاً عما يدل عليه عندهم. فمثلاً السلفيون من المسلمين لا تشغلهم كثيراً مسائل وعقائد نهاية العالم، ولا تعول عليها جميع أمور الحياة، والسياسة، و... بيد أنها الشغل الشاغل اليهود والنصارى أساساً وتعول عليها جميع أمور حياتهم السياسية، والاجتماعية، والدينية.

5. الترجمة العربية الحرفية للكلمة الانجليزية: (Fundamentalism) أدت إلى ظهور كلمة الأصولية التي تعني دراسة الأصول، أي مصادر مختلف القواعد، والمبادئ في الشريعة الإسلامية، ومعظم المسلمين الذين يطلقون عليهم هذا المصطلح في الغرب ـ المقبوض عليهم تحت مسمى الإرهاب ـ لا يقومون بدراسة هذا العلم من العلوم الإسلامية، ولكن لهم اهتماماتهم السياسة والدينية المختلفة؛ وبذلك يكون استخدام مصطلح الأصولية الغربي في إطلاقه على المسلمين عندهم مضلل، ومعاد(4).

---

(1) الأصولية بين الغرب والإسلام: د. محمد عمارة. ص41. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).
(2) انظر: القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية: داود عبد العفو سنقرط. ص78. دار الفرقان. عَمان (ط2: 1987م).
(3) انظر: مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين عرض ونقد: د. عبد الله بركات. ص24.
(4) انظر: معارك في سبيل الإله: أرمسترونج. ص6.

المبحث الثاني
العلاقة بين اليهود والنصارى

ويشتمل على:

- أولاً: العلاقة بين اليهود والنصارى قديماً.
- ثانياً: العلاقة بين اليهود والنصارى في العصر الحديث والمعاصر، وعلاقتهما بالصهيونية.

المبحث الثاني
العلاقة بين اليهود والنصارى(1)

لقد أشار الله عز وجل في عدة مواضع من القرآن الكريم إلى العلاقة العدائية بين اليهود، والنصارى على مر التاريخ، ومنها قوله عز من قائل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة، آية: 113)، واستفاض في مواضع عدة، وفي عدد غير قليل من آيات الذكر الحكيم، في شرح تلك العداوة، والشحناء، والبغضاء بينهم(2)، والتي ستستمر إلى قيام الساعة ـ بإذن الله ـ كما أخبر، والله عز وجل هو من ألقى بينهما هذه العداوة ويقررها في قوله تعالى: ﴿الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد ...﴾ (سورة المائدة، آية: 64)، ومصداقاً لما أشار إليه القرآن الكريم نجد أن علاقتهما علاقة عداء، وبغض قديم متأصل، ومستمر، كما تشير كل المصادر والكتب التاريخية القديمة والحديثة، ولعل قائلاً يقول إن علاقتهما في الوقت الراهن تدل على خلاف ذلك، وهذا خلاف الواقع، إذ لا تعارض بين النص، والواقع، فنقول: بإن العلاقة بينهما علاقة بغضاء، وشحناء، فكما هو ملاحظ أن النصرانية وضعت اليهود ككبش فداء تنفّذ من خلاله مآربها الاستعمارية، في الحين الذي يتزايد فيه شر اليهود الذين يصبون جامه على الغرب، ضاربين عرض الحائط بالمواثيق لتحرج الغرب عالمياً، إلا أنه بسبب المصالح السياسية الإمبريالية، والاقتصادية، و... وغيرها، وكما ذكرنا آنفاً ما يتمتع به الطرفان من الوصولية والانتهازية التي فرضتها النصرانية، وقبلتها وتوشحت بها اليهودية؛ ممّا أدى إلى ظهور ما يشير إلى أن بينهم علاقات وُد، واحترام، واتفاق متبادل، ـ وهذا ما سنفصل القول فيه لاحقاً بإذن الله ـ ونقسم في هذا المبحث العلاقة بينهما إلى مرحلتين قديماً وحديثاً.

---

(1) تطلق عليهم الباحثة اسم النصارى كما جاء في كتاب الله قال تعالى: ﴿... طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت ﴾ (سورة التوبة، آية: 30)، وتطلق عليهم الـ (المسيحين) في الأوضاع التي لا مجال لتغيير المسمى بناءً على نص منقول، أو مسمى متداول، أو توضيح جزئية بعينها،... حسب مقتضيات السياق. إلا أن المسمى المعتمد المسمى القرآني بإذن الله.

(2) يعني: بين اليهود والنصارى. قاله الحسن ومجاهد. انظر: تفسير البغوي. ج2. ص50.

أولاً: العلاقة بين اليهود والنصارى قديماً

للوقوف على حقيقة العلاقة بينهما قديماً نعلم يقيناً أن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقفهم ابتداءً من لحظة ميلاد عيسىυ، ثم دعوته، فموته صلباً ـ كما يزعمون ـ بتحريض من اليهود إذا أنها أساس نقطة الخلاف بينهما وإلى زماننا هذا، ثم علاقتهم بأتباع المسيح من بعده خلال حقب التاريخ المختلفة.

وسنقف على عدد من المحطات التاريخية الهامة التي تتضح من خلالها العلاقة بينهما وهي:

1- **حال اليهود قبل مباشرة المسيح υ دعوته.**
2- **موقف اليهود من مولد المسيح υ.**
3- **موقف اليهود من رسالة المسيح υ ومعجزاته.**
4- **موقف اليهود من نهاية عيسى υ ودعوى صلبه.**
5- **موقف اليهود من أتباع المسيح υ من بعده.**

1. حال اليهود قبل مباشرة المسيح υ دعوته:

كان اليهود تحت ظل حكم الرومان الوثنيين آنذاك، وخلف أنطونيوس رأس الأسرة الهيرودية الحاكمة لأورشليم، ابنه هيردوس الأكبرمن عام (37: 4ق. م) الذي حمل اليهود على اعتناق الديانة الرومانية الوثنية، فكرهوه، ولم يكن شعبه اليهودي أقل منه ظلماً حيث اضطهدوا زكرياυ وقطعوه بالمناشير(1)، ثم جاء من بعده ابنه هيردوس الثاني من عام(4ق. م: 39م). وأراد أن يتقرب من الرومان فسار على خطى أبيه من القسوة، فطغى وبغى حيث أمر بدخول يحيى بن زكريا عليهما السلام السجن ثم أمر بقتله(2).

وقد بدأ عيسىυ مهام رسالته بعد دخول ابن خالته يحيىυ السجن. وتلخصت تعاليمه في أن: «ملكوت الله هو هبة الله للبشر أجمعين، وأنه يتم بإرادة الله، والحصول عليه يتم بالتوبة، والتنازل عن متاع الدنيا، والوصول إلى هذا الملكوت يصبح أمراً روحياً داخلياً في نفس كل مؤمن، ولا يكون بالانضمام إلى مملكة على هذه الأرض»(3). وبدأ υ دعوته لليهود بخطبة بشرهم فيها بملكوت الله، وأوضح لهم بأنه مرسل من عنده لإكمال الشريعة، لا لإبطالها كما ورد في أناجيل متى**5** حيث قال: **(لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة17، أوالأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل الحق أقول لكم، لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة، حتى يتم كل شيء، أو تزول السماء والأرض19)**، ثم حذّر المنحرفين والخارجين عن الدين من عذاب الله بقوله في متى**5**: **(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون**(4)**، أيها القادة الجهال العميان20، تركتم أثقل الناموس، الحق، والرحمة، والإيمان، تنقون خارج الكأس، والصحفة، وهما من داخل مملوءان اختطافاً، ودعارة. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة، تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحونون رياءً، ونفاقاً، إنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملئوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله25)**(5). وقد لقيυ من اليهود تعنتاً، واستكباراً، كما ولاقى أهوالاً، وشدائداً أثناء دعوته حين اصطدم بجدال عنيف حول مفاهيم الدين، وأصول الشريعة التي جاء بها موسىυ والتي حرّفوها على مدار الزمن، فكان يحاج الفريسيين ـ الزهاد المنقطعين للعبادة ـ، والكتبة ـ كتاب الشريعة، والوعاظ ـ، والكهنة ـ خدمة الهيكل والمعبد ـ، فيدحضهم بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، ويدلهم على الله، ويأمرهم بالاستقامة، ويفضح رياءهم، حتى ضاقوا به ذرعاً فقرروا التخلص منه(6).

ولما كان المسيح υ يتحدث باسم الله ويعفو عن المخطئين. عند ذلك قالوا: إن رسالة يوحنا ـــ يحيυ ـ عادت إلينا من جديد، وذاعت شهرته بسبب تعاليمه الداعية إلى الإصلاح الاجتماعي، والفضائل الأخلاقية، وكثر أتباعه،... وما لبث أن انفض من حوله عدد كبير عندما رفض أن يُتوج ملكاً، فاضطهدوه وقاوموا دعوته، ولم يكتفوا بذلك بل طعنوا في مولده υ، وظهرت هذه المقاومة والاضطهاد في عدة صور منها:

---

(1) انظر: التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن: نجيب زبيب. ص214. دار الهادي للطباعة. بيروت (ط2: 2002م).
(2) انظر: نفس المصدر. ص212.
(3) هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: يوسف أيوب حداد. ج1. ص238.
(4) الفريسيون: أي المنعزلين وهي: فرقة دينية وحزب سياسي يهودي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تعلي شأن الحكيم على حساب الكاهن، ويقال أهم خلفاء الحسيدين. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: د. المسيري. ج2. ص120).
(5) قصة الحضارة: ول ديورانت. ج9. ص11. دار الجيل. بيروت (ط. ب).
(6) انظر: النبوة والأنبياء: محمد علي الصابوني. ص208: 209. دار النصر. سوريا (ط2: 1395هـ).

2. موقف اليهود من مولد المسيح υ:

طعن اليهود في مولده υ، ذلك أن مولده جاء خلاف ما جرت به عادت النساء غير أمه عليها السلام، فرموا أمه بالزنا، وارتكاب الفاحشة ـ وهي البتول الطاهرة ـ واتهموها بأنها خانت حياءها، وعفتها فيه، وأتت به بطريق بشري غير شرعي(1)ـ عياذاً بالله ـ وقد واجه اليهود نبيهم عيسى υ تلميحاً بهذا الطعن، وهذا ظاهر من قولهم له في سفر يوحنا**4: (نحن لم نولد من زنا8).** ومما في جاء في التلمود اليهودي بهذا الشأن: **(يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين الزفت، والقطران، والنار، وأن أمه أتت به من المعسكر باندارا بمباشرة الزنى)**(2) . وفي موضع آخر: **(أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي، حملته أمه خلال فترة الحيض...وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب، ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه، منذ ذاك الحين، وثناً لهم يعبدونه)**(3). وما هذا الطعن وغيره الكثير،... في مولدهυ إلا دليل على إنكارهم له، وهذا الإنكار دليل على كفرهم به. وبالتالي كفرهم بالله.

3. موقف اليهود من رسالة المسيح υ ومعجزاته:

لم يقف الأمر عند اليهود في الطعن في مولدهυ. بل طعنوا في رسالته وأنكروا معجزاته، ووصفوها بما لا يليق، فلقد أعلنυ أنه رسول الله إلى بني إسرائيل، وصدع بالدعوة، كما يذكر إنجيل يوحنا**7** بقوله: **(ولما مضى من العيد نصفه، صعد يسوع إلى الهيكل، وبدأ يعلم الناس14، فدهش اليهود وتساءلوا كيف يعرف هذا الكتاب، وهو لم يتعلم؟ فأجابهم يسوع ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني16)**، وفي نفس الإصحاح: **(فرفع يسوع صوته، وهو يعلم في الهيكل28، قائلاً: وأنتم تعرفونني، وتعرفون من أين أنا، وأنا لم آت من عند ذاتي، ولكن الذي أرسلني هو حق، وأنتم لا تعرفونه أما أنا أعرفه؛ لأنني منه هو الذي أرسلني30)** ونظراً لأن عيسى لم يتلق العلم عن معلم ـــ من وجهة نظرهم ـــ، فاتهموه بأنه يتصل برئيس الشياطين، ووصفوه بأنه وثني، ومرتد حيث قالوا: **(يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود، وعبد الأوثان)**(4).

كما أنكروا معجزاته لما وجدوها واضحة متحققة، ومؤثرة، ورأوا إقبال الناس على دعوته وإيمانهم به، فخافوا على أطماعهم، ومكاسبهم المادية من الناس إذا هم اتبعوه، فاتهموه بأنه: ساحر وأنه تعلم السحر في مصر، وأنه قد عاد سراً إلى القدس، وأنه تعلم اسم الإله الأعظم، والذي به استطاع القيام بمعجزاته(5). وما ذلك إلا لأنهم كانوا ينتظرون المسيح ملكاً مخلصاً خاصاً بهم كما ورد في نبؤات بعض أنبيائهم، فلما تأهبوا لتنصيبه ملكاً عليهم، وأحس المسيح υ بعزمهم على هذا، تركهم ومضى في دعوته، ويشير يوحنا**6** إلى ذلك بقوله: **(وعلم يسوع أنهم على وشك أن يختطفوه ليقيموه ملكاً فعاد إلى الجبل وحده15)**، ويواصل اليهود إنكارهم لمعجزاتهυ، حتى قرون متأخرة، فهاهو ابن كمونه اليهودي والذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي يدلي في كتابه تنقيح الأبحاث للملل الثلاث برأيه في معجزاته υ بقوله: «ثم إن جميع ما ينقلونه عن السيد المسيح من المعجزات وغيرها، فهو عن الأفراد الذين هم أصحابه، فلا يكون متواتراً ولا موثوقاً إليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد في العقل أن يكون واقعاً بالحيل، أو بالمواطأة عليه. وإذا لم يثبت صحة نقلهم، لم يتحقق ما ادعوه من كونهم علموا بالضرورة من رأي الحواريين، والسيد المسيح أن شريعتهم لا تنسخ»(6).

4. موقف اليهود من نهاية المسيحυ ودعوى صلبه:

نظراً لأن عيسىυ كان يدعو لدين الله القويم، ويكشف النفاق الديني لجماعات الفريسيين، وشيوخ الشعب المرائين(7) والكتبة(8) وأمرهم بترك أعمال الكهانة، تآمروا على موته، لاسيما بعد ما زار أورشليم في عيد الفصح من عام(30م)، واستنكر وجود الصيارفة، والباعة في ساحة

---

(1) انظر: الجدل اليهودي في مواجهة العقيدة الإسلامية: عثمان علام. ص236. مخطوط: رسالة ماجستير جامعة الأزهر. أصول الدين بالزقازيق قسم العقيدة.
(2) إسرائيل والتلمود: إبراهيم خليل أحمد. ص60:61. دار المنار. القاهرة (ط: 1990م).
(3) فضح التلمود لتعاليم الحاخامين السرية:الأب آي.بي. برانايتيس. ص57. ت: زهدي الفاتح. دار النفائس. بيروت (ط3: 1985م).
(4) إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية: د. إبراهيم خليل أحمد. ص61. مكتبة الوعي العربي. بيروت (ط: 1967م).
(5) موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم: د.سارة العبادي. ص78. مكتبة الرشد.الرياض (ط1: 1426هـ).
(6) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: لسعد بن منصور بن كمونه. ص61: 62. المطبعة الفنية. القاهرة (ط. ب).
(7) المرائين: الإنسان الذي لا تطابق بين أعماله وأفكاره، ويطلق على المنافق الذي يصبح أحياناً أعمى عن الحق (انظر: العهد الجديد: حاشية أنجيل متى ص51 في تفسير النص).
(8) الكتبة: كتبة الشريعة.

الهيكل، فخاف اليهود من نجاح دعوته، وانتشارها، فأسرع مجلس (السهندرين)(1) إلى الاجتماع، وقرر القبض عليه بتهمة جريمة التجديف، أي: الكذب، حيث قاموا بإحضار شهود زور واتهموه بأنه قال: **(إنه ابن الله)**، وأنه قال كما جاء في متى20: **(إني أقدر أنقض هيكل الله26 وفي ثلاثة أيام أبنيه27)**.

وتصور الأناجيل المحرفة(2) الأيام الأخيرة من حياتهυ وإعلانه نهاية الرسالة والنبوة في بني إسرائيل وذلك بقوله في متى**44**: **(كان إنسان رب بيت غرس كرماً، وأحاطه السياج، وحفر فيه معصرة، وبنا برجا، وسلمه إلى كرامين، وسافر ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين؛ ليأخذوا إثماره فأخذ الكرامون عبيده21، وجلدوا بعضاً، وقتلوا بعضاً، ورجموا بعضاً، ثم أرسل عبيداً آخرين، أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم أبنه قائلاً: يهابون أبني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له : أولئك أردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الإثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناءون هو قد سار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا هو عجيب في أعيننا؛ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمه تعمل إثماره(3) ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه32)**، ومن هنا أدرك اليهود خطورة دعوته، وإعلانه نهاية الرسالة في بني إسرائيل، فما كان منهم إلا مطاردته، ومعاملته بعنف، وقسوة، كما وصف ذلك إنجيل متى**26** ذلك بقوله: **(أنه عقب عجزهم عن أن يقاوموا دعوة المسيح، ونقائها قرروا أن يضعوا حدا للتخلص منه30، حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب؛ ليمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه، ولكنهم قالوا: ليس في العيد؛ لئلا يكون شغب في الشعب35)**. ونظراً لمكانته υ في وسط شعبه، عزم اليهود على التمكين منه بمكر، وذلك بتأليب الشعب عليه، حيث أنهم لن يسلموه لهم لولا ذلك.

وتذكر الأناجيل بأنه أنبأ تلاميذه بمن سيتآمر عليه منهم مع اليهود لتسليمه إليهم، فيقول متى26: **(لما كان المساء اتكأ مع الإثني عشر3، وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم، إن واحد منكم يسلمني، فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو، فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة، هو يسلمني5)**.

فكان يهوذا الاسخربوطي أحد التلاميذ الاثنى عشر، وهو الذي سلمه لهم مقابل ثلاثين من الفضة، ويتقدم شاهد زور للمحكمة بالافتراء عليه بأنه قال أنه ابن الله، وقال: إني أقدر أن انقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه، فاستلمه رئيس الكهنة، وسأله عن هاتين التهمتين ولم يجبه المسيحυ إلا بقوله: «أنت قلت»؛ مما كان سبباً لتعريضه لأشد ألوان الأذى والذي وصفته الأناجيل بدقة(4)ومنها إنجيل متى26: **(فمزق رئيس الكهنة ثيابه66 قائلاً: قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود، وقالوا: مستوجب الموت، وبصقوا بوجهه ولكموه68...)**، كما تصور لهم النهاية الأثيمة والقاسية لحياتهυ حسبما رسموها في متى27: **(أخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية30، وجمعوا عليه كل الكتبة فعروه، وألبسوه رداء قرمزياً، وضفروا إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه، وقصبة في عينه وكانوا يجيئون قدامه ويستهزئوا به، نزعوا عنه الرداء، إذ كان المجتازون يجدفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل من على الصليب41)**، وهكذا ظل اعتقاد النصارى سائداً وإلى يومنا هذا، بتعذيب، وقتل اليهود لنبي الله عيسىυ. وهو السبب الرئيس لسوء العلاقة بينهما منذئذ وإلى اليوم عند بعض فرقهم(5).

---

(1) السهندرين: هيئة رسمية تتكون من واحد وأربعين عضواً، يرأسها رئيس الكهنة، وتمثل السلطة الشرعية في إسرائيل، (انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب. ص150. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 1978م)).

(2) جاء القرآن الكريم بخلاف المذكور في الأناجيل. جملة وتفصيلاً، بشأن رفعه عليه السلام، حيث قال الحق عزوجل اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ (سورة النساء، آيتان: 157-158).

(3) في هذا إشارة جلية على الأمة التي تعطي الإثمار حقه ألا وهي أمه المصطفى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

(4) هذا زعم من الأناجيل ولا وجود لشيء من ذلك في القرآن والسنة.

(5) أعلن الفاتيكان وثيقة بشأن موقف اليهود من دم المسيح عليه السلام عام (1963م) من هذا القرن وحددت مسؤولية الصلب بأنها مسؤولية شخصية، لا يؤخذ بجريرتها الشعب اليهودي كله، لا في ذلك الزمان الذي وقعت فيه، ولا في أي زمان لاحق له، وسيجري بيان ذلك بالباب الثاني إن شاء الله.

بعد أن رفعه الله تردت أحوال أتباعه، وانقسموا على أنفسهم إلى جماعتين: الأولى: يهودية نصرانية أيدته وناصرته، واتبعت تعاليمه، وعملت على نشرها، في أصقاع الأرض، وسميت بالنصرانية، والثانية: عارضته معارضة شديدة وبقيت على شريعة التوراة، وقاومت الدعوة، وحاربت حواريه، وأتباعه، وسقتهم صنوف العذاب(1).

5.موقف اليهود من أتباع المسيحυ مِن بعده:

1 ـ العلاقة بينهما في القرن الأول الميلادي:

لابد قبل البدء بعرض العلاقة بينهما خلال هذه القرن من الإشارة إلى أن الحكام الرومان، وغيرهم وعلى مر العصور أكرموا اليهود، ومنحوهم الحقوق الدينية، والمدنية، من حيث حرية الدين، والعبادة، وساووهم بشعوبهم. إلا أن اليهود بما يتمتعون به من الخصائص الثورية، يجلبون على أنفسهم النكبات، والإبادات الفردية والجماعية الواحدة تلو الأخرى، ونحن إذ نعرض ما لاقوه من اضطهادات الرومان، أو من النصارى لا يعني بمكان أنهم كانوا مسالمين وضحايا لهم إذ أن بسط هذه الأمور بتفاصيلها ليس من مفردات البحث، إنما التزمنا ببيان نوع العلاقة العدائية بالتحديد، بغض النظر عن مفرزات هذا التوجه العدواني القاهر، فذكرنا هذا للتنويه؛ لئلا يتوهم القارئ براءتهم، وتآلب العالم وتجنيه عليهم(2).

ظهرت رسالة عيسىυ في عصر الميلاد الأول التي حكمت فيها أسرة كلوديوس(3) والتي امتد حكمها من (14: 68م)، والتي اشتهرت بالبأس الشديد، وصلابة الإرادة، وتشبَهت هذه الأسرة بالإمبراطور(4) نيرون(5) (54: 68م) الظالم المستبد، حيث تسلط على اليهود ابتداءً، وخاصة لأن المسيح ظهر بينهم، ولما احتجوا على سوء معاملته لهم، وإدخال الطقوس الهيلينية(6) في معابدهم، وإجبارهم على تقديم القرابين لجوبيتر(7) الذي وضع له نُصب في الهيكل، واجههم نيرون بقسوة، وطلب من قائده فسباسيان(8) القضاء عليهم وإخماد ثورتهم مهما كلف الأمر، فجهز جيشاً كبيراً، واتجه به نحو أورشليم لإخضاعها، لكن أهلكه الله فحل محله فسباسيان على عرش روما، الذي عهد إلى ابنه تيطس القيام بالمهمة والقضاء على الثورة.

وفي عام(70م) توجه تيطس(9) إلى أورشليم، فهاجم بعنف ودمّر أورشليم تدميراً تاماً، وحرق الهيكل، وزالت اليهودية كدولة سياسية من الوجود، وأصبح اليهود منذ ذلك الوقت شعباً بلا

---

(1) انظر: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية: د.عرفان عبد الحميد. ص52. دار البيارق للطباعة. بيروت (ط1: 1997م).

(2) يمكن الرجوع للمؤلفات التي تلقي الضوء على أعمالهم الوحشية، منذ عهد موسى عليه السلام إلى وقتنا الراهن، مثل كتاب: المفسدون في الأرض للمؤلف: س . ناجي، والتطرف اليهودي لعبدالراضي محمد، اليهود من كتابهم للدكتور: محمد علي الخولي.

(3) أسرة رومانية مشهورة، كان أول من عرف منها: ابيوس كلاوديوس سابنيوس ،عندما كان قنصلاً 495ق. م. وهو أحد أفراد هيئة العشرة لسن القانون الروماني، عام (451: 449ق.م). (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: شفيق غربال. ج2. ص1468).

(4) الإمبراطور في الجمهورية الرومانية هو القائد الأعلى للجيش، وأول من اتخذ هذا اللقب يوليوس، وأغسطس لما لهما من مركز عسكري مرموق، واتخذه بعدهما جميع خلفائهما، واقتبسه عواهل النمسا، وألمانيا، وإنجلترا.. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص218).

(5) نيرون كلاوديوس: إمبراطور روماني، كان مضرب المثل في الوحشية والقسوة، قتل أمه ثم زوجته، وأحرق روما عام64، وأتهم النصارى بهذا الحريق، وبدأ على ضوءه اضطهاد الرومان للنصارى.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1866).

(6) الهيلينية: مصطلح يستخدمه المؤرخون للإشارة إلى التقاليد السائدة في المقاطعات التي كانت تتحدث اليونانية، في الإمبراطوريات السلوقية، والبطلمية، والرومانية، وقد أثرت الحضارة في روما، وقرطاجة، والهند، وثمة مناطق احتفظت بثقافتها الأصلية ولم تتأثر وبخاصة في الأرياف وتغلغلت الحضارة الهيلينية بين أعضاء الجماعات اليهودية في مصر، وسوريا، وبرقة، وسيا الصغرى،وفلسطين بعد غزو الأسكندر، واستمر طيلة العصر الروماني. وكان دعاتها بين أعضاء الجماعات اليهودية من النخبة الحاكمة المتمثلة في الكهنة، والأثرياء، واكتسبت بعد فترة أبعادا دينية وحضارية عميقة.(انظر: موسوعة اليهود: المسيري.ج1.ص419).

(7) جوبيتر: ـ عياذا بالله ـ في الأساطير اليونانية زعموا أنه سيد الأرباب، اغتصب العرش من أبيه خرونوس، كما زعموا بأنه قسم الكون بينه وبين أخوته، فحكم بوسيدون البحار، وهاديس العالم السفلي، وزيوس السماء والأرض، وتزوج زيوس الحوريات وأنجب منهن الآلهة، وهو صاحب الكلمة، وله القوة والقانون والحكم، ويسخر الرعد والبرق وينزل المطر.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص940).

(8) اسمه الكامل تيطوس فلافيوس فيسبانيانيوس، إمبراطور روماني، حكم من (69: 79م) كان في عهد نيرون حاكما على أفريقيا (انظر: معجم الحضارات السامية: هنري. س. عبودي. ص653).

(9) هو: تيطوس فلافيوس فيسبانوس، إمبراطور روماني (79: 81م) صحب والدة إلى دولة اليهودية في الشمال لقمع ثورتهم، من شدة قسوته، عمد اليهود إلى قتل زوجاتهم وأبناءهم وبعضهم بعضا لئلا يقعوا بيدهم، قدر عدد القتلى بمليون نسمة.(انظر: معجم الحضارات السامية: عبودي. ص290).

وطن. وبدأت فترة الضياع الحقيقية لليهود(1). وإلى هذا العهد كانت اليهودية والنصرانية شيئاً واحداً، وكذلك كانت العقائد، غير أن النصارى يختلفون عن اليهود في أمرين هما: عدم الالتزام بالسبت، والإختتان؛ لذا فقد تعرضا للاضطهاد القاسي والعنيف من الرومان معاً(2) بلا استثناء. وفي آخر هذا القرن ظهرت الرغبة في فصل النصرانية عن اليهودية في كتابات الآباء الرسوليين، فتذكر رسالة برنابا(3) التي كتبت في عهد نرفا(4) عام(96م) أن شريعة موسى ليست صالحة لليهود الذين لم يفهموها(5).

2 ـ العلاقة بينهما في القرن الثاني الميلادي:

في هذا القرن استمر اليهود في ثوراتهم ضد الرومان في عهد تراجان(6) (98: 117م)، وفي عام(130م) ثاروا في عهد هادريانوس(7) (117: 138م)؛ لاستعادة حريتهم بزعامة سمعان بركوكبا(8) الذي ادعى أنه المسيح المخلص، فحاصرتهم الفيالق الرومانية في أورشليم حتى هُزموا شر هزيمة(9)، واقتنع هادريانوس بأن اليهود لن يقهروا مادامت التوراة بين ظهرانيهم وملتزمون بأوامر الشريعة اليهودية، ونواهيها، فحرمهما معاً، وأعاد تسمية يهودا بفلسطين ليقطع مزاعم اليهود بأنهم لها وارثون، وقتل الكثير منهم، وسبا الآخرين إلى روما، في حين لجأ من نجا منهم إلى بابل، وصارت القدس العاصمة الدينية للنصرانية، فجعل العطلة والراحة يوم الأحد بدلاً من السبت، وصار التهود بدعة دينية وجريمة سياسية، يستحق صاحبها العنت والاضطهاد، وبلغت الحياة العامة لليهود حداً لا يطاق، وحرم عليهم دخول أورشليم إلا في يوم واحد في العام يسمح لهم فيه بالمجيء ليبكوا أمام خراب الهيكل(10).

في هذا الوقت وبعد عام(131م) بدأ فصل اليهودية عن النصرانية على يد القديس بولس(11)(12)، الذي عمل على تطوير العقيدة النصرانية، فأدخل فيها ما ليس منها، كعقيدة: «التثليث، والقول بألوهية عيسىυ، وحلول الله فيه، ـ عياذاً بالله ـ وإسقاط شريعة الختان، والميل

---

(1) انظر: التاريخ الحقيقي لليهود: نجيب زبيب، ص225. وانظر: تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين: د. فيليب حتي. ص:376. دار الثقافة. بيروت (ط.ب). وانظر: قصة الحضارة: ول ديورانت. ج10. ص150. دار الجيل. بيروت (ط.ب). وانظر: المفسدون في الأرض، جرائم اليهود السياسية، والاجتماعية عبر التاريخ: س. ناجي. ص94. المكتب العربي. دمشق (ط2: 1973م).

(2) انظر: إيلاف قريش: د. فيكتور سحاب. ص: 75. المركز الثقافي العربي. بيروت (ط. ب).

(3) برنابا: قديس يهودي أصله من قبرص، من أوائل المهتدين إلى الدين النصراني، اعتبره رسل المسيح واحدا منهم، وهو من أوائل المبشرين والداعين للدين النصراني. له إنجيل أبوكريفا غير معترف به رسميا عند النصارى. (انظر: معجم الحضارات السامية: هـ عبودي. ص220).

(4) هو: ماركوس نرفا، إمبراطور روماني(ح 96-98)، اتصف بالتواضع والاعتدال، والعطف على الفقراء والتسامح مع النصارى، عجز عن السيطرة على الحرس الإمبراطوري، فتبنى ترجان وأعطاه السلطة وبعدها بقليل توفي.(انظر: معجم الحضارات السامية، هـ عبودي. ص89).

(5) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: برناردي لازار. ترجمة: د.ماري شهرستان. ص46. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م). وانظر: المفسدون في الأرض. س ناجي. ص97.

(6) هو: ماركوس اولبيوس ترايانوس، إمبراطور روماني، ولد في اسبانيا، تبناه نرفا، وعهد إليه بالحكم من بعده كان رشيدا،قديرا حكيما، لم يستخدم سلطته إلا فيما يخدم شعبه، دعم حدود الإمبراطورية. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص502).

(7) هو: بوبليوس أيليوس هادريانوس، إمبراطور روماني، في عام 130م جعل من أورشليم مستعمرة رومانية وأطلق عليها اسم أيليا، مما أدى إلى قيام ثورة يهودية عام132م بزعامة (بركوكبا) انتهت بسحق الثوار، وتشتيت السكان.(انظر: معجم الحضارات السامية: هـ عبودي. ص879).

(8) زعيم الثورة اليهودية التي قامت على هدريانوس لبناءه مدينة أيليا مكان أورشليم، تم إخماد ثورته وسجن، حتى مات، ويقدر عدد القرى التي دمرت بالثورة 985 قرية، وعدد القتلى:85.000 نسمة.(انظر: معجم الحضارات السامية: هـ عبودي. ص220).

(9) انظر: التاريخ الحقيقي لليهود: نجيب زبيب. ص226. وانظر: قصة الحضارة: ول ديورانت. ج11. ص: 195. وانظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ: د. أحمد سوسة. هامش ص626.

(10) انظر: اليهودية عرض تاريخي: د. عرفان عبد الحميد. ص56.

(11) القديس بولس: واسمه شامول وهو من أهم رجال التالريخ النصراني. نشأ نشأة يهودية متحمسا لأبيه ووطنه. فكان يضطهد النصارى الأول. كلف من قبل رئيس الكنيس الذهاب إلى دمشق لمقاومة المسيحية سنة 35م وفي طريقه رأى نورا ساطعا بزعمهم وصوتاً يقول له: شامول لم تضطهدني؟ قال له: من أنت يارب؟ فأجابه الصوت: أنا يسوع الذي تضطهده. وأصاب شامول العمى. ثم ذهب إلى دمشق ونزل عند المسيحين، وانخرط في سلكهم. ثم سمى نفسه بولس. وأصبح أنشط المبشرين بالمسيحية في القرن الأول (انظر: الموسوعة العربية الميسرة. ج1. ص440).

(12) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: يوسف حداد. ص242. وانظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: برناردي لازار. ترجمة: د.ماري شهرستان. ص45. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م). وانظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: د.عرفان عبد الحميد. ص45- 48. دار عمار. الأردن (ط1: 2000م).

إلى حياة الرهبنة، والقول بالخطيئة الأولى للإنسان...»(1).

وبناءً على هذا التطوير في العقيدة أصبح اليهود: الشعب الحقير؛ لأنهم قتلة الإله، وأصبح بولس من أكبر المضطهدين لليهودية، حيث قاوم نفوذها وانتشارها، وكتب رسائله في هذا القرن لمحاربة اليهود(2).

ونظراً للفشل المتلاحق للحركات التي يقوم بها اليهود ضد النصارى، وضد حكوماتهم، وتفرقهم، وتشتيتهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، والفارسية، نجدهم قد غيروا أساليبهم الدفاعية، فعدلوا عن فكرة استعمال القوة إلى أساليب الدسائس وزرع الشقاق، ونشر الشائعات المغرضة، واستطاعوا بفضلها التقرب من الرومان؛ للانتقام منهم من جهة، ومحاربة النصرانية من جهة أخرى، فأججوا نار الفتنة بين الرومان، والنصارى، بهدف إضعاف الطرفين كي يتمكنوا منهما فيما بعد، ونجحوا في إيذاء النصارى، وألحقوا بهم أضراراً جسيمة، عندما تمكنوا من إقناع الإمبراطور أنطونينوس(3) بأن النصارى هم سبب الطاعون الذي نزل بأهل روما، وحرضوه على إفنائهم، فاستجاب الإمبراطور لطلب المستشار اليهودي جحودا وذلك بإفنائهم، كي يبعد الطاعون عن البلاد. فأمر بقتل جميع العازاريين(4). وفي عام(155م) ساهم اليهود أنفسهم في قتل العازاريين عام (177م)(5)، وأقدم الإمبراطور ديوكليتان(6) على إعدام عدد كبير من النصارى، ومنهم البابا كايوس، والبابا مارسيلينوس، إرضاءً لأصدقائه، ومرابيه اليهود(7).

ونرى أن العداء بين اليهود والنصارى في هذا القرن لم يكن دموياً فقط، بل أيضاً يقوم على الحرب الكلامية الشديدة اللهجة، فقد كتبت رسالة ديونييت المحفوظ في أعمال سان جوستان لشخص مجهول، يدعو الطوائف اليهودية بالمعتقدات الباطلة، ويعلن أنه يود إهداءه لليهود وإقناعهم بامتياز كلام المسيح(8).

3 ـ العلاقة بينهما في القرن الثالث الميلادي:

في هذا القرن كان اليهود يعتبرون أنفسهم في مستوى أعلى من النصارى؛ نظراً لأنهم يمتلكون الديانة الحقة التي تصدر عن قناعات لا تهتز، ويتمتعون بالاعتراف الشرعي من قبل السلطات الرومانية، فهم على الصعيد الرسمي أفضل من النصارى، الذين لا يتمتعون بهذا الاعتراف، ولهذا كان الرومان يعتبرون النصارى ضد القانون، وخطراً على الإمبراطورية، فساءت معاملتهم، واستطاع اليهود أن يشاركوا مواطني المدن التي يسكنون فيها والذين يسيئون معاملة النصارى، وينكلون بهم ويقودوهم إلى المحاكم، ففي إنطاكية مثلاً: طالب اليهود بمحاكمة، وإعدام بوليكاربوس ـ أسقف سميرنا الذي كتب رسالة إلى أهل فيلبي، تكشف لهم عن حال الكنيسة البكر في أوروبا في القرن الثاني ـ كما وطالبوا بتقوية محرقة الأسقف (المُطران)(9).

وهذا يوضح مرحلة الأزمة التي مرت بها الكنيسة في هذا القرن، ودليل على ضعفها، حيث لم تصل إلى الحركة التصاعدية العالمية التي أخذتها فيما بعد، من أجل هذا كان الكهنة يطمحون بأن يكون للكنيسة دور عالمي، فاعتبروا اليهود ألد أعدائهم ويجب أن يعملوا على ضعف انتشارهم، وتبشيرهم، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة، آية:113)، ويعني بلا أدنى شك، أن للكهنة دوراً كبيراً في تطور معاداة اليهودية،

---

(1) اليهودية عرض تاريخي، د. عرفان عبد الحميد. ص52.

(2) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص46.

(3) هو: بيوس أنطونينوس، خلف هادريان الذي تبناه، وأحسن إدارة الإمبراطورية، واعقبه أبنه بالتبني ماركوس.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص246).

(4) المعتقدين بإلوهية مريم العذراء على أنها: الأم العظيمة يلجاؤن إليها ويصلوا لها قائلين: أنت ملجأنا وعليك رجانا تشفعي فينا يا عذراء وتحنني على موتانا...(مقطع من محاضرة في عيد الفصح (الحبل بلا دنس) الرئيس الأعلى للأباء العازاريين في الشرق الموقع www.archmb.org .

(5) انظر: سفر التاريخ اليهودي: رجا عرابي. ص244- 245. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م).

(6) لم أعثر له على ترجمة فلربما ترجم الاسم بطريقة غير صحيحة، أو أشتهر باسم آخر غيره، وترجم له في موضع آخر.

(7) انظر: سفر التاريخ اليهودي، رجا عرابي. ص245. وانظر: المفسدون في الأرض. س ناجي. ص99. انظر : مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص50.

(8) انظر : مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص47.

(9) انظر: نفسه. ص49.

فـزادت الحـرب الكلاميـة بينهمـا، وكانـت التـوراة هـي وسـيلة الهجـوم والـدفاع(1). ونظـراً لأن النصارى لـم يعرفـوا العبريـة فاسـتعملوا ترجمـة سـتيفان السـيئة للتـوراة، والمليئـة بالمتناقضـات، وفسروها بطريقة حرة تماماً، حتى أنهم كانوا يلجؤن إلـى التزييف فـي دعـم عقائـدهم فـي مقـاطع أدخلها ستيفان، وكـذلك فعـل اليهـود أصـحاب اللغـة اليونانيـة، وهـذا مـا أدى إلـى نشـوء الترجمـة اليونانية الحرفية لأكيلاس(2).

ولضعف حجج النصارى القائمة على التفسير المزاجي للتوراة، أو علـى بعـض المتناقضـات للترجمة اليونانية، لم يحـاولوا فـي هـذا الوقـت أن يجلبـوا اليهـود إلـى عقيـدتهم ــ ينصـرونهم ــ، وينظرون إليهم على أنهم قتلة الإله بدون ندم، فالآباء، والأساقفة، والكهنة الذين كان عليهم محاربة اليهود، يعاملونهم بصورة سيئة ويسفهونهم، ويُسمونهم طائفة شريرة، ويُمزجون حججهم بالشتائم، وانتقدهم أسقف القسطنطينية (314ــ 335)؛ لأنهم رفضوا أن يقبلوا شهادة موسى والأنبياء حـول الثالوث الأقدس والتجسد، وسماهم المزورون، وأوجب القديسين كره اليهود؛ لأنهم يشتمون المسيح فـي كنوسـهم كـل يـوم، مؤكـدين بـأن الـروح النجسـة قـد اسـتولت علـيهم...(3). وقـد وضـح جـان كريزوستوم الحرب الكلامية ضد اليهود في هذا القرن في عظات ست(4). تبين من خلالها الوضع المتبادل والعلاقات والمشاحنات بينهما، ثم أنهى خطبته بقوله: «إنه لاشيء لا معقول أن نعمل مع الأشخاص الذين عاملوا الله بشكل مذل، وأن نعبد المصلوب في الوقت نفسه»(5).

4 ــ العلاقة بينهما في القرن الرابع الميلادي:

فـي هـذا القـرن رجحـت كفـة النصرانيــة، فلـم تقتصـر الحـرب بينهمـا علـى الحـرب الكلاميـة والكتابـات، لاسيما بعد أن عـلا صـوت الكنيسـة بعـد هزيمـة، ومـوت ليكنيـوس(6) فـي عـام (323م)، واعتلاء قسطنطين(7) عرش الإمبراطوريـة الرومانيـة بـدعم مـن جميـع النصـارى، فـاعتنق النصـرانية وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية، ومنذ ذلك الوقت تزايدت أهمية الأساقفة(8)، وتمتعت الكنيسة بـدعم النفوذ الإمبراطوري الذي مكنها من السيطرة التامـة، فورثـت الكنيسـة مـن الدولـة عجرفتهـا، وامتيازهـا، وكبرياءها، وتمتعت بنفس السلطة التي حاربتها قديماً(9).

وأول استخدام للسلطة الكنسية ظهـر فـي ملاحقـتهم لليهـود، حيـث زاد العـداء وأصـبح أكثـر شراسة من السابق، وتُرجم هذا العداء بتطبيق القوانين بوحي من الكنيسة، ووافق قسطنطين علـى قمع التبشير اليهودي، فأصدر قانوناً يحكم فيه علـى المرتـدين مـن النصـرانية إلـى اليهوديـة مـنهم بالحرق(10)، ووضع قوانين تمنعهم من الزواج بالنصارى، ومنع اليهودية من الزواج بنصـراني،

---

(1) انظر: نفسه والصفحة.
(2) انظر:نفسه والصفحة.
(3) انظر:المرجع السابق. ص54.
(4) في أول خطبة قال فيها "كريزوستوم": 1) اليهود جهـال، لا يفهمـون شـريعتهم، وبالتـالي فهـم كفـار، إنهـم بؤساء، شعبهم يشبه قطيعاً من الحيوانات من الوحوش الضاربة، لقد رفضوا المسيح، فإذاً هم ليسوا صـالحين إلا للشر، فكنسهم شبيه بالمسارح، لقد صلبوا الابن، ورفضوا الروح القدس، ونفوسهم يسكنها إبليس، ويجـب الانتباه والتيقظ من المرض اليهودي. 2) وجه "كريزوستوم" مؤمنيه بأن لا يرتادوا الكنس، ويقـول صـارخاً لا تتبعوا السبت، ولا الصــوم، ولا الطقوس اليهودية الأخرى إذا قابلتم متهوداً أنذروه من الهلاك وذكـروهم بأنهم جيش المسيــح. 3) ووجههم بقوله: "خرافنا محاطين بالذئاب اليهود، ثـم يكـرر أهربـوا مـنهم، واهربـوا من كفرهم، فإذا كنتم تعتقدون أن اليهوديـة هـي الحـق أتركـوا الكنيسـة، وإلا أتركـوا اليهوديـة. أمـا العظـات الثلاث الباقية، فهي لاهوتيـة أكثـر، فاسـتعان "كريزوسـتوف" بشـتائم الأنبيـاء ضـد اليهـود، ووصـف اليهـود باللصوص، والقذرين والفاسقين والجشعين، والبخلاء، وحائكي الخدع، وقامعي الفقراء، والذين زادوا الطـين بله في جرائمهم بقتل يسوع، فأعطي حججاً لمحاربة المجادلات، التي كانت ناشطة في أنطاكيـة، فأخـذ يمجـد بالكنيسة، ويبرهن أن إسرائيل مشتتة بسبب موت المسيح، وينصح مستمعيه أن لا يلجئـوا إلـى خطـب هـؤلاء اليهود (انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص55).
(5) مناهضة السامية: لازار. ص56.
(6) هـو: ليكنيـوس جـالريوس، تـرك والـده القيصـر المنصـب بعـد وفاتـه لأبنـاءه الأربعـة يتنـازعون عليـه وهم(ليكنيوس، قسطنطين، مكسنتيوس، ومكسمين) فتحلفـا(ليكنيوس وقسطنطين) ضـد الأخـرين وهزماهمـا، فحكم ليكنيوس في الشرق، وقسطنطين في الغرب، إلى أن تنازعا، فسقط ليكنيـوس وتـرك لقسطنطين الحكـم بمفرده.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج2. ص1380).
(7) قسطنطين جالريوس هو: ابن قسطانتس الأول، مال إلى النصرانية وأعتنقهـا أواخـر حياتـه وأصـدر منشـور عام: 313م، يقضي بالتسامح معهم، ولم يعمد إلا علـى فـراش المـوت، وهـو أول مـن أوجـد فكـرة المجـامع الدينية بعد عقده لمجمع نيقية لإقـرار العقيـدة النصـرانية.(انظر: الموسـوعة العربيـة الميسـرة. غربـال. ج2. ص1380).
(8) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: د. عرفـان. ص60. وانظـر: كنيسـة مدينـة الله أنطاكيـة العظمى: أسد رستم. ج1. ص192. المكتبة البوليسية. بيروت (ط1: 1989م).
(9) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: د. عرفان. ص52.
(10) انظر: نفسه. ص53: 58.

وحرم وجود خدم نصارى عند اليهود، ومنعهم من ممارسة الوظائف العامة، كما ألغى المحاكم الخاصة بهم، وفرض عليهم ضرائب قاسية للأديرة(1). ويتلخص العداء في هذا القرن بإصدار القوانين المعادية، والتي تساهم في وقف المد التبشيري اليهودي. والحد من أنشطتهم المدنية والعامة.

5 ـ العلاقة بينهما في القرن الخامس الميلادي:

مارست الكنيسة النصرانية في هذا القرن معظم سلطتها بالانتقام من اليهود، وتبلور العداء إلى جانب فرض القوانين السابقة في عدة قضايا أهمها:

1- نفي أحبار اليهود، وتهديدهم بالموت إذا استمروا في تعاليمهم.

2- إجبارهم على دفع الجزية اليهودية وغيرها من الضرائب، والغرامات على كافة المخالفات.

3- مهاجمة المعابد والكنس وحرقها في روما وغيرها في عهدي ثيودوسيوس الأول(2) وأركاديوس(3).

4- حرق المكتبات اليهودية، وإزالة ذكرى العالم القديم؛ لتهيئة الحكم الهادئ اللطيف للمسيح(4).

فثار اليهود بزعامة سيفورس وصرخوا ضد روما النصرانية، لكنهم قمعوا بشدة أثناء حكم غالوس حيث ذبح منهم النساء، والشيوخ، والأطفال، وفي عهد فوكاس عجزوا عن مناهضة الاضطهادات، والمذابح، والإيذاء، فاضطروا للخضوع والاستسلام إلى حين أن تتاح لهم فرصة الكفاح، وفي عهد كوسرى الثاني ملك الفرس أتاحت لهم الظروف ذلك بقيادة بنيامين الطبري، فحرقوا الكنائس، وهدموا الأديرة، ونهبوا أورشليم.....(5) ، ونظراً لتصدع الإمبراطورية الرومانية وانقسامها إلى شرقية وغربية منذ بدايات هذا القرن، ضعفت سلطة الكهنوت منذ مجمع فان عام(465م)، وسقوط روما عام (476م)(6). ومنذ انهيار الإمبراطورية الرومانية خضعت ظروف اليهود الغربيين لكل التقلبات(7).

6 ـ العلاقة بينهما في القرن السادس الميلادي:

يوجد انتصار ظاهري لليهود في هذا القرن نظراً لحماية الكنيسة لهم، ولم يتخذ السنودس(8) أي إجراء مؤلم ضدهم(9) ، واستطاع الكهنوت أن يؤسس عقوبات تدريجية تطبق على الكهنة الذين يخالفون قرارات المجامع المسكونية(10)، وعلى المدنيين تتضمن الحرمان، حيث اكتفت بعض المجامع، كمجمع أورليان عام(533م)، ومجمع كاليونيا عام (541م)، ومجمع ماكون عام(581م) بفرض المعمودية(11) للأطفال المنحدرين من زواج مختلط، ويُحل الزواج

---

(1) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية. القس: إكرام لمعي. ص59-60. دار الشروق (ط2: 1993م).

(2) هو: ثيودوسيوس الأول، تأثر بقسطنطين وساهم في إدخال الديانة النصرانية، بعد عقد مجمع أفسوس(431م)، وانتصر للأرثوذكسية على الآريوسية(الموحدة)، واستمر النزاع العقدي بعنف إلى نهاية الإمبراطورية (انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص218).

(3) أركاديوس (395م): حكم في الغرب عندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية، وغربية، وحكم في الشرق هونوريوس، وتميز عهودهم بالفتوحات والتوسع، على البلغار، والأسلاف، والفرس(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص218).

(4) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص60.

(5) انظر: نفس المصدر ص61.

(6) انظر: هل لليهودي حق ديني أو تاريخي في فلسطين. يوسف حداد. ج1. ص247: 248.

(7) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها. لازار. ص65.

(8) السنودس: المجلس الملي الإنجيلي العام، وهو الذي يضع القوانين والأنظمة والقواعد التي بموجبها تنظيم العمل بالكنائس الإنجيلية، وعن طريقه يتم انتخاب وفصل مندوبي الطائفة، كما وينظم الأنشطة، والمشروعات الكنسية (انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر من: 1854 إلى 1980م: أديب نجيب سلامة. ص114- 341. دار الثقافة. القاهرة (ط1: 1980م).

(9) انظر: مناهضة السامية، لازار، ص68.

(10) المجامع المسكونية: مفردها مجمع: ويشتمل على كل ممثلي الكنيسة الدينين، وتعتبر قراراته أساسا للعقيدة، وتصبح قوانين ودساتير إذا أقرها البابا، يعترف الكاثوليك بعشرين مجمعا مسكونيا عقدت في أزمنة مختلفة، بينما لا يعترف الأرثوذكس إلا بالبعة الأولى منها فقط.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال. ج2. ص1652).

(11) المعمودية: حمام مائي يغطس أو يغمر فيه الشخص طفلاً كان أو شيخ، إيذاناً بالدخول في النصرانية،كناية عن إعادة الولادة بحياة جديدة، فالماء يميت شكلا معينا من الحياة ليعطي آخر، فيغطس الإنسان القديم ليعطي إنسان جديد.(معجم اللاهوت الأرثوذكسي، بوريس بوبر ينسكوي: ترجمة: الأب إبراهيم سروج. ص130. مكتبة السائح. لبنان. طرابلس (ط1: 1999م).

إذا لم يقبل الشريك اليهودي بالاهتداء(1)،...، لكن بعض الأساقفة كانوا يحرضون الشعوب، فهجموا ضد الكُنس، ووضعوا اليهود أمام اختيار الموت، أو النفي، أو المعمودية، وقد أعطى هذا الخيارات بتحريض من الإمبراطور هيبراكليوس، ومن ثم أجبر اليهود على المعمودية، وأجبر الأسقف أفيتوس اليهود على الارتداد، أو المغادرة، كما تدخل البابا غريغوار؛ لتخفيف التحريض، والإثارة، حيث ذكر في رسائله إلى أساقفة مرسيليا: «يجب ألا يُجبر اليهود على العماد بالعنف، لكن باللطف»(2).

وفي عهد الملك ريكارد عام (589م) اضطرب الكهنوت(3) اليهودي لازدياد الاضطهاد، والإذلال، وأصبحت الحياة بالنسبة إليهم صعبة(4)، وفي عهد البابا جريجوري الأعظم (590: 604م) أسس ما يسمى **عقيدة ضد اليهود**، وهي تقود إلى مهاجمة اليهود بدنياً، وهذا التأسيس راجع ـ كما يقول ـ إلى أن اليهود لم يكونوا عمياناً عن رسالة المسيح، فقد كانوا يعلمون أن المسيح هو المسيا؛ لكنهم رفضوه؛ لأن قلوبهم قاسية، وأن اليهود يجب أن يعاقبوا على جريمة صلب المسيح، وأنهم رأوا بعيونهم معجزاته، وكيف تحققت نبوءات التوراة، والأنبياء في شخصه، مع ذلك رفضوا الاعتراف به(5)، وهذا يعني أن اليهود رأوا الحق ولمسوه، ثم رفضوه، وهذا النهج الذي سار عليه اليهود أدى إلى نشوء ما يسمى: ضد السامية(6).

7 ـ العلاقة بينهما في القرن السابع الميلادي:

في هذا القرن ضاعف الكهنوت جهوده كي يضمن التطبيق الشديد للقوانين، وهدف الأساقفة من ذلك الحصول على هداية اليهود، وقتل الروح اليهودية فيهم، ودعمتهم السلطة في ذلك، فكانوا كالسابق يجبرونهم على الانتقاء بين النفي، أو المعمودية، ومن ذلك تشكلت طبقة (الماران) أي: اليهودي المتنصر(7). وأصبحت حياة اليهود في هذا القرن صعبة حيث خضع لتشريعات قاسية مُملاة من قبل الملوك، فمنعوهم من: الاختتان، ومن الزواج من الأقارب حتى الجيل السادس، ولا يسمح لهم بالشهادة ضد النصارى، أو إقامة دعوى قضائية ضدهم، وأصدرت هذه القوانين عام (652م)، وصدّق عليها في المجمع الثاني عشر في توليدو عام (680م)(8).

8 ـ العلاقة بينهما في القرن الثامن الميلادي:

لقد حدث تحول جديد في علاقتهما؛ نتيجة للتبديل الفكري، والروحي لليهود الذي يعود إلى فعل التلموديين، والإفراط في مشاعر التمييز عندهم(9) فبدأ الاضطهاد الحقيقي لهم. وقد صاحب هذا التبدل الفكري لديهم في هذا القرن بالذات مركزية الكنيسة، فأصبحت مثل الإمبراطورية الرومانية، واحتلت مكانها في السلطة العالمية، ومن ثم انتشرت النصرانية، وأصبحت أوروبا كلها في نهاية هذا القرن نصرانية(10). وقد أدى هذا إلى أن التشريعات الصادرة ضد اليهود أخذت طابعاً أكثر صرامة من الماضي البسيط المحدود بعقوبات الحرمان من الكنيسة(11)، ومن ثم كانت حياة اليهود في تعاسة، وعدم استقرار، حيث ينظر إليهم كأعداء يجب إبادتهم(12).

---

(1) انظر: مناهضة السامية. لازار. ص68.

(2) نفسه. ص69.

(3) الكهنوت: رتبة وظيفية دينية، وهي سبيل الكهانة أي الأداة المقدسة المختارة للوساطة بين الإنسان، والخالق، وكان قبل الخروج من مصر في كل رب أسرة عبرية، وأول الذكور فيها، كانا يقومان بدور الكاهن، ثم انحصرت الكهانة في قبيلة اللاويين من أبناء هارون عليه السلام، ويعتبر الكاهن رئيس السنهدرين. وبذلك يرأس الكاهن جماعة اليهود، والنخبة الحاكمة التي تضم اللاويين، والكهنة، وأثرياءهم. ومهمة الكاهن لا تقتصر على إقامة الشعائر الدينية بل كانت تتعدى إلى مهمة تعليمية فقد كان الكاهن يعلم التوراة ويقوم بالإفتاء في أمور الدين وكتبة نصوص العهد القديم وتقديم القرابين وإقامة العبادات في المعبد. والكهنة هم المسئولون عما في الديانة اليهودية من عقائد وثنية نقلوها عن الشعوب التي عاشوا بينها كتقديس بعض المرتفعات وبعض أنواع الأشجار كشجر البلوط وبعض الشواهد واقتبس الكهنة من الوثنيين كثيرا من شرائعهم واحتفالاتهم وأعيادهم وطقوسهم. ولعب الكهنة دورا كبيرا في توجيه نصوص العهد القديم وشرائعه إلى الوجه التي تتفق مع مصالحهم وكانت مصالحهم تعترض أحياناً مع غيرهم أو فيما بينهم ككهنة في المعابد المحلية وكهنة في المعبد المركزي بالقدس لذا فقد نشأ خلاف بين كهنة أورشليم وكهنة المعابد الأخرى في بعض الأمور الطقسية. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص407).

(4) انظر: المرجع السابق. ص66.

(5) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية. ص65.

(6) انظر: نفس المصدر والصفحة.

(7) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص67.

(8) انظر: نفس المصدر. ص66.

(9) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص70.

(10) انظر: نفس المصدر. ص71.

(11) انظر: نفس المصدر، ص87.

(12) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: لمعي، ص63.

9 ـ العلاقة بينهما في القرن التاسع الميلادي من (810: 890):

بنهاية القرن الثامن، وبداية القرن التاسع كانت أوربا كلها نصرانية، وانتشرت انتشاراً واسعاً، وبعدها مباشرة استقر اليهود، واستوطنوا بأوربا أيضاً، فهاجروا إلى فرنسا، وألمانيا، وتوغلوا في بوهيما، وهنغاريا، وبولونيا، وتقابلوا مع دفعات أخرى من اليهود القادمين من القوقاز، وقاموا بالتبشير لبعض الشعوب التترية لتهويدها(1).

10 ـ العلاقة بينهما في القرن العاشر الميلادي:

نظراً لأن الكاثوليكية والإيمان النصراني تطور، وساد، وأصبح أساس معتقدات الدول الأوروبية، زاد اضطهادهم، وخوفاً من الطرد، والتعذيب، عملوا على الخضوع والخنوع، وأن يكونوا أصدقاء الحكام والطبقات العليا في المجتمعات التي عاشوا فيها، وذلك بالقبول الظاهري فقط(2)، ورأى اليهود أن محاربة النصارى في هذا الوقت يعد عملاً ثورياً، فنقدوا الرموز، والمعتقدات النصرانية، ودعموا ديانتهم بالعقل، حيث قاموا بشرح التوراة(3). كما شرعوا في التنوع في الأساليب الحربية؛ للبعد عن النمطية. ثم ما لبث أن تقوقعوا على أنفسهم في مجتمعات (الجيتو)(4) المنعزلة، وهدأت الأوضاع بينهما نسبياً؛ وانفصلوا عن سائر أفراد المجتمع، وعن العالم أجمع، وبدأوا بتنظيم شؤون حياتهم الداخلية وفق شرائعهم، منعا للانصهار، والتنصير الإكراهي، والمحافظة على الكينونة، ووضعوا نظاماً سرياً لكل حي، يعتمد في تفاصيله الإدارية على النظام الديمقراطي، وكونوا لهم هيئة تدعى(جروسيا)(5) من الأعيان، ورجال الدين، ومجلس مهمته الاتصال، وتنفيذ ما يعهد إليه من الهيئة الأولى، واتسم التنظيم بالدقة، وهذا التنظيم الجديد استفاده اليهود من التجارب المريرة التي مروا بها عبر القرون السابقة. فلما طال انعزالهم عن المجتمع، وزادت الإشاعات حولهم، عمدت الكنيسة إلى جعلها عزلة إجبارية،ـ فكانت هذه الفترة الفيصل العظيم بينهما ـ فأصدرت تعليماتها إلى الدول التابعة لها، بعدم السماح لهم بالانتشار في الأحياء النصرانية ضمن بلادهم، وهي بذلك تحد، وتمنع من انتشار الدعوة اليهودية. رغم توقفها منذ زمن(6). بيد أن اليهود لم يتأثروا من هذه التعليمات بل على العكس فقد صبت في صالحهم، وأصبحوا أحراراً في مزاولة بعض الأعمال المربحة التي كانت محرمة على أتباع الكنيسة، كتجارة الذهب، ومداولة الربا، وأعمال الارتهان، وهذه الأعمال أقصى ما كان يتمناه اليهودي؛ لأنها تدر عليهم الأرباح الطائلة دون منافس لهم، وتحوّج إليهم العظماء من الناس، ولا تربطهم بأرض، ولا وطن، وتسهل لهم الهجرة، والتنقل عند الأزمات، مما مكن اليهودي من الحصول على السيطرة، والنفوذ في كافة أقطار أوربا، وجعلهم أصحاب الحل، والربط في أكثر الدول وفي زمن قصير، فحصلوا على الوظائف العليا في الحكومات، واشتغلوا بالتجارة، وأصبحوا صيارفة، ورجال بنوك منذ هذا القرن، كما واشتغلوا بالعلم وخاصة الطب؛ ليكونوا ذوي فائدة للشعوب التي يعيشون معها(7).

11 ـ العلاقة بينهما في القرن الحادي عشر:

عاد الصراع بينهما في هذا القرن، وظهرت معالمه بشكل مغاير عما سبق، فقد أخذت الرسومات على حوائط الكنائس، والكاتدرائيات(8) الشكل الساخر من اليهود، وكان الرمز الغالب يمثل الكنيسة المنتصرة، والمجمع المنهزم، وعبرت بعض اللوحات عن اليهود بشكل العجل

---

(1) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار، ص71.
(2) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: لمعي، ص63.
(3) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص209. وانظر: المفسدون في الأرض: س ناجي. ص107: 108.
(4) الجيتو: ظاهرة تعني وضع اليهود في جزء خاص منفصل عن المدينة، تحاط به أسوار مرتفعة، وله بوابتان، يقف عليهما حرس نصراني، وتغلق أبوابه في المساء، ومن داخل الجيتو عاش اليهود حياة منفصلة تماماً عن المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، وقد أطلقت هذه الكلمة أولاً على الأحياء التي كان يسكنها اليهود قديماً، وخصوصاً في أوربا الشرقية، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق مجازاً وبصورة عامة للإشارة إلى الحارات والأحياء، التي كان أغلب سكانها اليهود في كل أنحاء الشتات وفي جميع الأزمنة (انظر:الجيتو اليهودي: سناء صبري. ص17: 20. دار القلم. دمشق (ط1: 1999م).
(5) اسم مجلس الشيوخ التي كانت نظم الحكم فيها ارستقراطية، يتألف المجلس من الملكية 28 عضو تختارهم الجمعية لمدى الحياة، ممن بلغوا الستين من أفراد الأسرة العريقة، ثم قصرت مدة العضوية على عام واحد فقط، وهو بمثابة حائل دون استبداد الهيئة الحاكمة، لذا فهي تتمتع بأهمية سياسية كبيرة.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج1. ص623).
(6) يذكر د. أحمد سوسة أن التبشير باليهودية أغلق نهائيا في منتصف القرن 13م. (انظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ. د. سوسة. ص627).
(7) انظر: المفسدون في الأرض: س ناجي. ص106: 107.
(8) الكاتدرائية = الكنيسة وهي مكان عبادة النصارى، ويرعاها الأسقف (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1416).

الذهبي، أو البومة، أو الحية(1). كما عامل اليهود في فلسطين النصارى معاملة سيئة، فما أن علم حكام أوربا بهذه المعاملة حتى بدءوا في ذبح اليهود في فرنسا، وانجلترا، وألمانيا، تنفيذاً لقول اليهود: «دمه علينا، وعلى أولادنا»، وذلك في مدينة يورك عام(1090م)(2). ثم ما لبث أن ظهرت في أوروبا كلها ضدهم سلسلة من الاضطهادات والتنكيل إلى جانب المذابح؛ نتيجة للخيانة، وموالاة المسلمين، فصدرت قرارات بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وفرض الإقامة الجبرية عليهم في مناطق مقفلة يحصرون فيها، والالتزام بلبس القُبّعات المدبّبة، ووضع شرائط صفراء على صدورهم؛ لفصلهم عن النصارى(3)، ورافقت حملات الاضطهاد هذه الحملة الصليبية الأولى عام (1099م) التي اجتاحت أورشليم، فأدت إلى موت جاليات يهودية كاملة(4).

12 ـ العلاقة بينهما في القرن الثاني عشر:

استمر الاضطهاد، والتنكيل الأوروبي حتى هذا القرن، ولعبت الكنيسة دوراً بارزاً في التحريض ضدهم، وأقيمت لهم مذابح في مدينة لندن عام (1189م)(5). ولم يقتصر العداء على التحريض، والذبح، بل ظهر أيضاً في التأليف، والكتابات، فكان كل من الفريقين يستخرج من التوراة ما يناسبه؛ ليرد به على الآخر(6)، ففي عام (1170م) ظهر كتاب حروب السيد يعقوب، حيث يبرهن فيه من نصوص التوراة أن المسيح لم يأت(7)، وقال بمثله مويزكوهين في كتاب دعم الإيمان(8)، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل عملوا على نشر الإلحاد، وأكدوا وجود جمعية سرية أقسمت أن تحطم النصرانية(9).

13 ـ العلاقة بينهما في القرن الثالث عشر:

انعزل اليهود عن العالم الخارجي من جديد؛ نظراً للظروف الاجتماعية العامة، والخاصة التي كانت تخضع لها البلاد، حيث تم إنشاء اتحاد النقابات، والجمعيات المهنية، وتنظيماتها النصرانية، وكانت تقيم احتفالات دينية عند الانضمام لهذه المنظمات، ولا يدخلها إلا الذي ينحني أمام راية القديس الشفيع، فلما لم يكن لليهود فيها مكان استثنوا منها، وبذا فقد تم عزلهم عن المجتمع مرغمين(10). ولم يجد اليهود ملجأ يتمسكون به إلا ديانتهم فانكبوا على دراسة التلمود، لكن نصارى شمالي فرنسا، وألمانيا أظهروا حقيقة التلمود للملأ، وحطّوا من شأنه، وعملوا على تشويهه إلى أن أصبح مجرد ادعاءات كلامية(11)ــ وهو كذلك: لا يعدوا أن يكون إلا مجرد ادعاءات من وضع رجال الدين من الحاخامات ـ وفي عام (1215م) مارس البابا أنيوشنت الثالث ضغوطاً على حكام أوروبا حتى لا يهدأ لليهود بال، وبناءً على توجيهاته انعقد مؤتمر لايتران، حيث اتخذ جملة من القرارات ضد اليهود(12). وفي عام(1232م) أطلق الحاخام مونيبليه سلمون اللعنة على كل من يقرأ كتاب دلائل الحائرين لموسى بن ميمون(13)، ولجأ إلى تعصب

---

(1) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص66.

(2) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص65. وانظر: اليهودية عرض تاريخي. د.عرفان. ص59.

(3) انظر: اليهودية عرض تاريخي: د.عرفان. ص58: 59.

(4) انظر: هل لليهود حق ديني وتاريخي في فلسطين: حداد. ص267.

(5) انظر: نفسه، ص59.

(6) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص125.

(7) إثبات أن يسوع ليس هو المسيح المنتظر يحتاج إلى أدلة قطعية لا تخضع للجدل.

(8) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص125.

(9) انظر: نفسه. ص210.

(10) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص79.

(11) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص268.

(12) انظر: نفس المصدر والصفحة.

(13) موسى بن ميمون (1135م-1204م) ولد في الأندلس إبان الحكم العربي الإسلامي، وهو يهودي من أصول عربية يعد من أهم حاخامات اليهود، إذ يقولون من موسى إلى موسى، أي من زمن النبي موسى إلى زمن موسى بن ميمون لأهميته وعبقريته عند اليهود، اتخذ فلسطين سكناً له، لكنه غادرها بعد فترة وجيزة إلى مصر، وأصبح طبيب عائلة صلاح الدين الأيوبي، خصوصاً لابنه الأكبر نور الدين، وتأثر جداً بالثقافة والفكر الإسلاميين، وهو ما ظهر في مؤلفاه الفكرية، من أهم كتبه بالعبرية مشناة التوراة الذي رتب فيه كل ما حواه العهد القديم من قوانين وتعليمات، إضافة إلى ما جاء في التلمود (المشناة والجمارا)، أما أهم كتبه والتي ألفها باللغة العربية وتظهر فيها مؤشرات الفكر الإسلامي الأندلسي فهو كتاب"دلالة الحائرين" وفيه حاول التوفيق بين العقل والدين، داحضاً نظرية أرسطو الأزلية، وعلى الرغم من ذلك فهو يكرر معتقدات التلمود بشأن: "الشعب المختار" "والمسيا" وإن كان يأطرها بإطار عقلي مبرر، وامتد تأثير موسى بن ميمون إلى العصر الحديث، وهو ما ظهر في الحركة الإصلاحية اليهودية، وحركة الاستنارة "الهسكالة" (انظر: دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: د. جمال البدري. ص256: 257. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م)).

الدومنيكان(1)، فوشوا على الكتاب، ومؤلفه، وجعلوه يحترق ضمن ما حرق من كتبهم في محاكم التفتيش(2). وفي عام (1239م) رفع اليهودي المتنصر نيقولا دونان إلى البابا غريغوار التاسع شكوى ضد التلمود، فأمر البابا بمصادرة كل أعداد هذا الكتاب وبإجراء تحقيق، ودراسة له بقيادة عميد جامعة باريس، وحصلت المجادلة عام (1240م) بين المدّعى نيقولا دونان، وأربع حاخامات، وانتهت بانقسام الحاخامات، وحُرّم التلمود(3). وفي نفس العام أحرق التلمود، بتشجيع من البابا أنيوشت الثالث(4). وبمثله عمل البابا غريغوري التاسع ــ ومَن جاء بعده إلى القرن الخامس عشر الميلادي (1425م) ــ فأمر رؤساء الكنائس في أوروبا بحرق التلمود، ومنعوا من إقامة أي كنس جديد مضايقة لهم(5). وعندما اجتاح المغول(6) أوروبا عام (1241م)، ووصلوا إلى حدود ألمانيا، انتشرت إشاعة أن بين المهاجمين من هم من سلالة القبيلة الإسرائيلية العاشرة التي احتجزها الاسكندر في جبال كاسبيان، وهم متحالفين مع يهود ألمانيا، فسبب ذلك مضايقة لهم في غرب، ووسط أوروبا(7). وحدث في هذا القرن العديد من الوقائع التي أثبتها المؤرخ اليهودي شيمون دي نوف في كتابه تاريخ اليهود تنطوي على مظاهر العداء الديني اليهودي للنصارى، وعلى الرغم من أن شيمون يحاول الإيحاء للقارئ أن الاتهامات التي يذكرها كانت ذرائع لاضطهاد اليهود في إنجلترا، إلا أنها تحمل في طياتها دليلاً على كراهيتهم وحقدهم عليهم، وأورد الوقائع الآتية:

1. في عام (1230م) أتهم اليهود بلندن بخطف طفل نصراني في الخامسة من عمره وهو ابن طبيب يدعى بنديكيت وإجراء عملية ختان له.

2. في عام (1244م) استخرجت جثة طفل نصراني مدفونة في الأرض في لندن، ووجدت على الجثة علامات غريبة، فسرت على إنها حروف عبرية، وأعلن آنذاك أن الطفل بيع لليهود، وجرى تعذيبه حتى الموت، وقد فرض ملك إنجلترا على يهود المدينة دفع حوالي (40.000) جنية إنجليزي مقابل هذه الجريمة.

3. في عام (1255م) عثر في مدينة لنكولن بلندن على جثة طفل يدعى هاف في الثامنة من عمره ملقاة في بئر، وأفاد صاحب البئر أن اليهود قتلوا الطفل وألقوه فيه، وأنهم كانوا يصلبون فتىً نصرانياً كل عام حسب طقوسهم الدينية، ليلعنوا اسم المسيح، وقد اعدم الملك هنري الثامن (18) يهودياً منهم شنقاً من أصل يهود المدينة البالغ عددهم (92) شخصاً، اتهموا بالتواطؤ على قتل الغلام.

4. وفي عام (1268م) اقتحم يهودي وصف بأنه مجنون قداساً داخل كنيسة في مدينة أكسفورد بلندن، وانتزع الصليب من يدي الكاهن ورماه أرضاً، وجعل يدوسه بقدميه، وقد أجبر يهود المدينة على تقديم صليب فضي إلى جامعة أكسفورد؛ كتعويض على هذه الإهانة، كما ألزموا بإقامة صليب من الرخام في مكان الحادثة(8). وفي عام (1290م) قام الملك إدوار الأول(9) بطرد اليهود من إنجلترا نهائياً(10). وهكذا أصبح فيما بعد الشكل المميز المشهور لأي شخص يهودي في هذا القرن بعد إذلالهم وطردهم هو شكل الشخص التائه في الأرض وهو على هيئة

---

(1) الدومينيكان: جماعة من الرهبان الكاثوليك، أسسها القديس دومنيك 1216م، اسمها الرسمي (جماعة الوعاظ) بدأت الوعظ بفرنسا لهدي الألبيين، ثم انتشرت في مختلف البلاد.وحياة الراهب الدومنيكي مكرسة للدراسة والصلاة، والوعظ، وللجماعة معاهد علمية خاصة لتعليم الرهبان، وتخريجهم.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص822).

(2) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص82.

(3) انظر: نفسه. ص117.

(4) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج.1 ص268. وانظر: مناهضة السامية: لازار. ص112.

(5) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص268.

(6) المغول: إمبراطورية إسلامية كبرى (شعب أسيوي) حكمت أجزاء واسعة من الهند، أسسها الإمبراطور بابر، ظهروا على مسرح التاريخ العالمي لأول مرة على يد جنكيزخان وخلفاؤه، عندما فتحوا أكثر أقاليم اوربا، وآسيا، وتضم القبائل المغولية عناصر كبيرة من الأتراك، وغيرهم من الشعوب.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1727).

(7) انظر: نفسه. ص269.

(8) انظر: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة: غازي محمد فريج. ص124: 126. دار النفائس للطباعة. بيروت (ط1: 1990م).

(9) هو: ابن الملك هنري الثالث (ح 1239: 1307) ساهم بقوة في حرب والده مع البارونات، وانتصر عليهم، ثم أصبح صاحب السيطرة على المملكة،قام بالحروب الصليبية عام:1270م، تميز حكمه بالحروب المستمرة(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص103).

(10) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص90.

رجل عجوز ذي لحية كثيفة، وأنف وظهر مقوس، وملامحه حزينة وعابسة وبائسة(1). وسيبقى دائماً تائهاً في الأرض حتى يقضي الله فيه أمره.

14 ـ العلاقة بينهما في القرن الرابع عشر:

في هذا القرن تداخلت الأسباب الاجتماعية مع الدينية في اضطهاد النصارى لليهود، حيث ضعفت الروح اليهودية بعدم مشاركتها المجتمع الخارجي، وعدم تحريها عن المسائل التي لا تشير إليها الشريعة، بل وتحريف العبادة، والدين، ومنها ما حدث من تزوير في التلمود، ما أدى لمنعه، وحرقه، وبالتالي أصبح اليهودي لا يفكر(2). ونتيجة للظروف الاجتماعية، وممارسات القمع الشديدة المفروضة عليه من قبل الحكام، اتجه اليهودي بدافع من ذاته، ومن القوانين المفروضة عليه، ومن المحيطين به إلى البحث عن مخرج، فوجد الذهب وكسبه، وجمعه، ووجد فيه ما يغنيه عن البحث في أمور الدين، فتهيأ له ليكون الصّراف، والدائن، والمرابي الذي يحتكر المعدن، ويوجهه لرغبات، ثم لقهر الشعوب التي يعيش بينها، ونتيجة لاقتنائهم الذهب، والثروات، والفوائد الضخمة التي يجنونها منه؛ سببت الفقر، والشح، والعوز القاسي للآخرين. فشعر النصراني الفقير بأن الذي يجرده من ماله ما هو إلا اليهودي عدو الله، فزداد الاستياء، وتعقدت الأمور، فوقعت كل ألوان العداوات عليهم من الشعب والحكومة معاً وزاد الاضطهاد(3).

وفي عام (1294م) تم طردهم من فرنسا، وسلب ممتلكاتهم، وتعذيب من يرفض تعميد أبنائه منهم(4) بتحريض من فيليب الرابع(5)، وفي عام (1348م) دمرت حملات الاضطهاد مئات من الجاليات اليهودية في ألمانيا(6)، وبلغ الاضطهاد مداه في عام (1349م) حيث اتهم النصارى اليهود بأنهم السبب في تفشي مرض الطاعون الأسود (الجوع)، ولذا كانوا يقدمون اليهود إلى المحرقة كقربان للآلهة الغاضبة، وضحايا للتكفير(7). وبعد عام (1351م) اتخذ الملك هنري الثالث في أسبانيا إجراءات مشددة ضدهم بتحريض من اليهودي المتنصر بول دي سانتا ماريا(8)، وفي عام (1391م) أنزل بهم مذبحة عامة في أشبيلية بأسبانيا حيث قتل منهم نحو (70.000) نفس، وفرّ الناجي منهم إلى أسوار غرناطة مدينتهم، وإلى المغرب، والجزائر، وتونس عن طريق البحر(9)، وحدث لهم مثل ذلك في البرتغال(10)، وأجبروا في نهاية القرن على الهجرة من معظم بلدان أوربا، في حين اضطر كثير منهم إلى اعتناق النصرانية تقية، وحفاظاً على أرواحهم في ردّة كاذبة، عرف أتباعها منذ ذلك التاريخ باسم المرّنوز، وهي كلمة أسبانية تعني الخنزير، وبعد ذلك أطلق عليهم في تركيا اسم الدونمة(11).

15 ـ العلاقة بينهما في القرن الخامس عشر:

رغم المعاناة التي حدثت لهم في القرن الماضي من تعذيب وذبح، وتهجير، إلا أنهم ظلوا يقاوموا النصارى، وبالتالي ظل الاضطهاد، والتنكيل قائماً. ففي عام(1475م) تم نهب المحاجر اليهودية بتحريض من اليهوديين المتنصرين بيترشفارتس، وهانس بايول وقد تسببا في إثارة الجماهير ضدهم(12)، وفي عام(1490م) تم عمل مذابح جماعية لهم في البرتغال، وأسبانيا(13)،

---

(1) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص66.
(2) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص83.
(3) انظر: نفس المصدر والصفحة.
(4) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص90. وانظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص269.
(5) هو ابن فيليب الثالث ابن القديس لويس (1268: 1314م)، اشتهر عصره بالحروب الداخلية والخارجية، اضطهد فرسان الهيكل واليهود والصيارفة،، وصادر أموالهم وخفض قيمة النقد.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة. غربال. ج2. ص1353).
(6) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص267.
(7) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص90. وانظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص269. وانظر: اليهودية عرض تاريخي: د.عرفان. ص59.
(8) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص115.
(9) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص271. وانظر: اليهودية عرض تاريخي: د.عرفان. ص59.
(10) انظر: اليهودية عرض تاريخي: د. عرفان. ص59.
(11) الدونمة: كلمة تركية بمعنى المرتدين وقد أطلقت على جماعة يهودية تركية من المتخفين، وأشهرت إسلامها تشبها بشبتاي تسفي ـ الذي أدعى أنه المسيح المنتظر ـ، ولما قبضت عليه الحكومة التركية وسجنته أسلم وهو في السجن. فاعتقد كثيرون من أتباعه أن إرتداده عن دينه واعتناقه الإسلام تلبية لأمر خفي من الرب وتلبية للإرادة الإلهية، فحذوا حذوه، وظلوا متمسكين خفية بالتقاليد اليهودية.(انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص112).
(12) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص115.
(13) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: لمعي. ص67.

وفي عام (1492م) أصدر ملك أسبانيا فرديناند[1] قراراً يقضي بطرد اليهود الذين لم يتنصروا، فغادر أسبانيا منهم ما بين مائة، ومائة وخمسين ألف إلى شمالي أفريقيا، وتركيا، وصقلية، وآخرون إلى بولندا، وظل معمولاً بهذا القرار حتى عام (1469م)[2]، وفي عام (1499م) كانت الضربة القاسية التي حلت بهم في أسبانيا، وهي اقتلاع الجاليات اليهودية منها نهائياً [3].وبهذا استسلم اليهود بعد مقاومة عنيفة، حيث تم الطّرد والترحيل النهائي، وفضّلت الغالبية العظمى منهم النفي دون أمل بالرجوع عن أن يغيروا دينهم[4].

(1) فرديناند: ملك أسبانيا، أرسل بعثة استكشافية لأمريكا بقيادة كرستوفر كولمبوس، عام(1492م) وكان حدثا عالميا جديد، واقتسمت أسبانيا والبرتغال العالم الجديد،وبلغت المملكة في عهده ذروة مجدها. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص136).

(2) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص273. وانظر: اليهودية عرض تاريخي: د. عرفان. ص59.

(3) انظر: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: حداد. ج1. ص267.

(4) انظر:مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: لازار. ص125.

ثانياً: العلاقة بين اليهود والنصارى في العصر الحديث(1) والمعاصر وعلاقتهما بالصهيونية

توطئة:

يجدر بنا قبل سرد بعض الحركات، والثورات التي قام بها اليهود، والنصارى كلٌ ضد الآخر في العصرين الحديث، والمعاصر والتي في منتهاها قلبت الأوضاع ـ كما سنوضح ــ في معظم جوانبها من الحرب، والتنافر إلى السلم، والتحالف، وتشكلت المصالح، والرؤى، وتبلورت فكرة تطبيع العلاقات؛ لتوظيف كلٍ منهما للآخر، وتوج هذا التحالف بالصهيونيتين الأولى منهما يهودية صهيونية، صهيونية هرتزل، وبن غوريون وغيرهما، والثانية غير يهودية وهي (الصهيونية النصرانية).

وبما أن عرض المسألة الصهيونية من منطلقات سياسية محضة، ليس من شأن الدراسة، لكننا اضطرننا لذلك مع الحذر من التوسع في المسألة بما أن الصهيونية السياسية أقحمت الدين اليهودي، والنصراني في براثنها؛ لتسويغ مخططاتها، ما دعانا لبسط المسألة من المنطلقات المذكورة؛ لتفنيد المزاعم، وإيضاح المغالطات التي عكف على تأليفها الاستعمار، واحدةٌ تلو الأخرى، وأيّدها بكل أسف الكثير من أبناء أمتنا من الكُتاب، والباحثين، ونحن إذ نخوض غمار السياسة مكرهين، لصعوبة، واستحالة تناول المسألة، وإدراك جزئياتها بدونها، إذ أنها صبغت أصوليتها الصهيونية ـ المزعومة ــ بالصبغة الدينية، وهي أبعد ما تكون عنها، وحاولنا جهدنا البعد عن الموضوعات السياسية البحتة التي لا تخدم الدراسة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا؛ لإثبات وتأكيد بأن مسألة (البعث اليهودي) لا ترتبط على الحقيقة بالعقيدة اليهودية، أو النصرانية بأي وجه، وإنما صُنعت بدقة بأيدي إمبريالية(2)؛ لتناسب توجهاته، وتبنتها الأصولية الصهيونية اليهودية، كعضو تابع لها ينفذ سياساتها ومخططاتها التوسعية.

ومن هنا لابد لنا أن نعرف مَن هو الصهيوني اليهودي، والصهيوني غير اليهودي، وما العلاقة التي تربطهما؟، ذلك أننا سبق أن عرفنا اليهود، وعلاقتهم بالنصارى قديماً كأهل ديانة واحدة، ثم افتراقهما، وتشكيل كل واحدة منهما ديانة مستقلة عن الأخرى، تسفه إحداهما الأخرى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة، آية: 113).

كما وعرفنا موقف النصارى من اليهود، حيث يقول الكاهن ويليام ميشيل: «اليهودي هو ناكر الجميل الوحيد في العالم، فعلى هذه الأرض التي احتضنته، وفتحت قلبها له، تآمر، ونفذ خططه الإجرامية، وتجبر، وتعالى، ونشر الفاحشة، و... وهو ما زال يتوارى خلف الأقوياء من غير اليهود يخطط للموت، وينظم ضد كل من حماه، وأشفق عليه»(3).

وعرفنا موقف اليهود من النصارى، والأغيار، وسعيهم لصنع الانقلابات، وبث الفتن في الشعوب التي يعيشون بينها، وقد جاء صريحاً بلا مواربة في فقرات مؤتمر مجمع بناي بريث(4)

---

(1) العصر الحديث: ويطلق عليه عصر النهضة، وحدد المؤرخون بدايته بسقوط القسطنطينية عام(1453م) على يد السلطان محمد الثاني والذي فتح بسقوطها الطريق أمام التوسع العثماني حتى بلغ أبواب فينا (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص219).

(2) الإمبريالية: ظاهرة سياسية اقتصادية، وعسكرية، ظهرت بظهور الإمبراطوريات من العصر القديم، وظهرت بأوربا في العصر الحديث بظهور القوميات وحركات الكشوف الجغرافية، وقيام المذهب التجاري، حيث نبرة استعلاء الجنس الآري، وتميزه. وأن من عداه فهو عبد له وله عقلية العبيد، وقد عبر عن هذه النظرة الشاذة المتطرفة في العصر الحديث: رديلرد كنج بقوله: " إن غير الأوربي هو من السلالات الأدنى التي لا قبل لها بالقانون، فكل من لم يكن أبيضاً أو بريطانياً فهو في المرتبة الأدنى"، وتتجسد الظاهرة الاستعمارية في الهيمنة على الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد، وترافق هذه الحركة حملات عسكرية، ويأخذ الاستعمار أشكالاً عدة منها: 1. الاستعمار الاستيطاني القديم 2. الاستعمار الجديد: ويتمثل في فرض السيطرة الأجنبية سياسياً واقتصادياً، وثقافياً على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها، دون استخدام أساليب الاستعمار التقليدية، من خلال عقد اتفاقات ثنائية غير متكافئة، تحد من حريات الدول وتكبلها، وتستغل مشكلاتها الاقتصادية والإدارية للتدخل في شؤونها، والضغط عليها من خلال القروض والمعونات المشروطة، وإقامة القواعد العسكرية، وإثارة الاضطرابات الداخلية سواء كانت طائفية، أو عرقية، أو إقليمية. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف: د. مانع الجهني، ج2. ص:953: 954. مطبعة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر الرياض (ط2: 1418هـ)).

(3) فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية: زهدي الفاتح. ص:31. دار النفائس. بيروت (ط2: 1407هـ).

(4) بناي بريث: عبارة عبرية معناها: أبناء العهد وبناي بريث واحدة من أقدم وأكبر المنظمات اليهودية تأسست =

المنعقد بباريس عام (1936م) الذي أُستُشهد فيه بنصوص من كتاب الزوهار(1)، ــ لطائفة القبالاه ــ(2) حيال علاقتهم بالأغيار، والثورات العالمية، والحركات الفكرية الهدامة في بعض فقرات المؤتمر ما نصه: «يسمح لليهودي أن يكذب، ويشهد زوراً للإيقاع بالمسيحي، فاسم الرب لا يدنس..حين نكذب على المسيحيين»، ويقول: «يجب السعي الدائم لغش المسيحيين»، وأيضاً: «من يفعل خيراً في المسيحيين، فلن يقوم من قبره قط»، ويقول في المؤتمر نفسه: «... والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها كهنتها الداخليين؛ ليكونوا رواداً في حركتنا، ويعملوا لأجلنا. أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق، والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها عن طريق اختلاق فضائح داخلية...، ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا أبناءكم يكونون كهنة،... فيهدمون كنائسهم،... وبكل أسف خان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة، نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبت علينا أحياناً، ونحن أيضاً سادة الحرب والسلام، بدون منازع، ونستطيع اليوم التصريح بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للنصارى، فكالفين كان واحداً من أولادنا. يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة بتشجيع المسؤولين اليهود، ودعم المال اليهودي، فنفذ مخطط الإصلاح الديني، كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً نجح برنامجه في الكنيسة الكاثوليكية. بإرادة المسؤولين اليهود، وتمويلهم. نحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا. برغم أن معظمهم وهم يخلصون لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا. إننا جدا ممتنون لما قدموه لنا ضد معاقل المدنية النصرانية، استعداداً لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم، حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوربا، والبقية آتية لا ريب عما قريب. فروسيا شرعت في تمهيد الطريق لمسيرتنا، فرنسا بحكومتها تحت أصبعنا، إنجلترا باعتمادها على تمويلنا تحت أقدامنا، ولكونها بروتستانتية فهي معولنا في القضاء على الكاثوليكية، أما أسبانيا، والمكسيك فهما دميتان بأيدينا، وثمة دول عديدة، علاوة على الولايات المتحدة واقعة في شراكنا. إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا، فلنغذ عن طريقها الحقد العالمي على الكنيسة الكاثوليكية، ولنمض لدعم مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح الثورة بين الجماهير، نشجعها على احتقار الوطنية، وازدراء وحدة العائلة والارتباط بمحبتها، واعتبار الدين أي دين هراء، ومضيعة للوقت. ولا يتماشى مع متطلبات العصر، ولن يهدأ لنا بال قبل أن نخلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم»(3).

كما ويؤكد الحاخام مائير كاهانا المتطرف أن علاقتهم بأمريكا بصورتها الحالية إنما هي علاقة مصالح لا أكثر من خلال الإجابة على السؤال الذي سأله إياه أحد الصحافيين، يقول السؤال: «تعتمد إسرائيل اقتصادياً، وعسكرياً إلى حد كبير على الولايات المتحدة الأمريكية، هل تعتقد بأنها ستسمح لك بتطبيق برنامجك المتعلق بالعرب؟ يجيب: لست مجبرا لأخذ الموافقة الأمريكية، إذ أن شأنها شأن أي دولة أخرى في العالم لا تحكمها القيم. وقد قال ديغول مرة: لا يوجد هناك أي حلفاء هناك مصالح، فإذا كانت الولايات المتحدة تعتقد بأن إسرائيل هي من ضمن مصالحها إذن؛ فلا يوجد هناك أي شيء لا تستطيع إسرائيل عمله، إنها مسألة مصالح بكل بساطة...»(4).

وفي ظل هذه الحقائق يبرز لنا سؤال لماذا تدعم أمريكا إسرائيل؟

إنها ببساطة الصهيونية، ذلك ما ظهر لنا بعد الاستقراء التاريخي(5) للفكر الأصولي اليهودي، والنصراني. كما واتضح لنا أن هناك لبساً بين مفاهيم (الأصولية اليهودية، والأصولية اليهودية الصهيونية)، (والأصولية المسيحية، والأصولية المسيحية الصهيونية)، ما حدى بنا إلى التأني في الطرح لجلاء اللبس من خلال معرفة: علاقة الأصولية الصهيونية بالأصولية اليهودية؟

=

عام (1843م) كهيئة يهودية أخوية على غرار الجمعيات الماسونية بهدف توحيد الإسرائيليين للعمل من أجل تنمية مصالحهم العليا ومصالح الإنسانية. وقد لعبت دوراً أساسياً في تأسيس مؤتمر رؤساء كبرى المنظمات اليهودية الأمريكية عام (1954م) كما كانت من مؤسسي المؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. المسيري. ج1. ص335).

(1) زوهار: كلمة عبرية تعني (الإشراق) أو الضياء، وكتاب الزوهار أهم كتب التراث القبالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص42).

(2) يعرف التراث الصوفي اليهودي باسم (القبالاه).

(3) من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع بناي بريث في باريس، مجلة كاثوليك جازيت، عدد شباط/ فبراير 1936. نقلاً عن: الصهيونية المسيحية: محمد السماك. ص: 13.

(4) مائير كاهانا من غلاة التطرف الأصولي اليهودي: فيليب سيمون. رفائيل ميرجي. ص151. ترجمة: عائدة عم علي. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).

(5) استقراء ناقص.

وهل هما شيء واحد؟ أم متغايران؟ وفيما يتغايران؟ ومنها ستتضح علاقة الصهيونية بالدراسة. ذلك أننا في أساس خطتنا المقدمة للقسم لم تكن الصهيونية مدرجة ضمن مفرداتها، ولم نعكف على دراستها، وأخذنا على عاتقنا مطلق الأصوليتين اليهودية والنصرانية. بيد أنه من خلال قراءاتنا بتاريخ النشأة والتطور تكشف لنا أنها تشكل العصب منها، ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي، وإلى عصرنا الحاضر.

لذا وجدنا أنه لابد لنا من بسطها تاريخياً بما يوضح الفكرة، ويربط بين العلاقات، لاسيما وأن الأصولية الصهيونية المسيحية لا ترتبط بالأصولية اليهودية الدينية بصلة(1)، وإنما ارتباطها الوظيفي بالأصولية الصهيونية اليهودية كونها الصوت الرسمي لإسرائيل، وبيدها زمام الحكومة بكل تنظيماتها، وتشكيلاتها وأحزابها، وهي الممثلة الرسمية عالمياً، ودولياً، ومحلياً لإسرائيل، وعلى يدها ولدت، ونشأت، وتطورت، وما زالت قائمة مؤثرة فيمن حولها، غير متأثرة بما يحدث من تصدع وانقسامات في غيرها من التنظيمات، والحركات الأصولية الدينية، أو العلمانية اللا دينية.

عليه وجدنا من الضرورة بمكان الإجابة على عدد من الأسئلة ذات الارتباط الوثيق بتسويغ الصهيونية العالمية باحتلال الأرض المقدسة، والممارسات غير الإنسانية تجاه شعبها، وهل ما تقوم به الأصوليتان الصهيونيتان يوافق الاتجاه الديني لدى الأصوليتين اليهودية، والنصرانية، وما الفرق بينهما؟ وللإجابة على ذلك يلزمنا التدرج في الإجابة على الآتي:

أولاً: مَن هو الصهيوني؟

ثانياً: ما مفهوم الصهيونية؟

ثالثاً: ما دين الصهيونية؟

رابعاً: ما أبرز خصائص الصهيونية؟ وما الفرق الجوهري بينها، وبين الأصولية اليهودية؟

خامساً: ما مبررات نشأة الصهيونية العالمية وفق أيديولوجيتها(2) المعاصرة؟ وما ردود الأفعال ومواقف رجال الدين الأصوليين داخل فلسطين، وخارجها من الصهيونية عند إعلانها بأنها المتحدث الرسمي باسم اليهود؟

أولاً: مَـــــــن هو الصهيوني؟

صهيوني كلمة مفرده جمعها صهاينة، وهم: كبار الساسة بالعالمَين الأوربي، والأمريكي، وغيرهم من الدينين، واللا دينيين، ممَن يدعُون إلى بناء وطن قومي لليهود على أي بقعة من بقاع الأرض؛ لجمع شتاتهم، ولم شملهم، وإعطاء أرض فلسطين لهم له أهمية؛ لأنها أرض لها أهميتها الإستراتيجية الخاصة على خارطة الشرق الأوسط العربي الإسلامي؛ لضمان المد الإمبريالي (الأورمريكا)(3) بالمنطقة.

وقد عرّف د. عبدالوهاب المسيري الصهيوني في موسوعته على أنه: «كل من يؤمن، ويؤيد الأيديولوجية الصهيونية سواء من خلال القيام بالاستيطان في فلسطين، أو دعمه بأي صور الدعم»(4).

ويميَز بين الصهيوني، واليهودي في الفكر، والمعتقد بقوله: «ويتميّز الصهيوني عن اليهودي بكونه ليس يهودياً بالضرورة، فهناك الصهيوني النصراني، والصهيوني اللاديني...، كما أنه ليس كل يهودي صهيوني بالضرورة»(5)، ثم يفرّق بينهم، وبين البشر من حيث التركيب من خلال النظرة الأوربية لهم ووجه استغلالهم، على أنه: «شعب عضوي منبوذ(6)نافع سيتم نقله خارج

---

(1) لأنها ببساطة لا تعدو عن كونها أصوات تعلو وتخبو وفق تقديرات التنظيمات والحركات الداخلية والخارجية، وقوة نفوذ زعمائها ومؤسسيها، فكم من التنظيمات والحركات والأحزاب الأصولية التي نشأت وبرزت، وكان لها قوة ونفوذ، وصوت مسموع، وأثر في القرارات السياسية،... ثم ما لبثت وأن خبا صوتها، وانصهرت في بوتقة تنظيمات أو حركات أخرى، أو تبوتقت وتشرنقت على ذاتها فذابت وانتهت، أو انقسمت على نفسها داخلياً، لاختلاف وجهات نظر منظريها الفكري أو السياسي، أو هلاك مؤسسيها وزعمائها، أو انسحاب مؤيديها وقلتهم، أو....مهما يكن من أسباب.

(2) أيديولوجية: مصطلح لاتيني الأصل استخدمه لأول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى: "علم الأفكار" بصفته مقابلاً للمحسوس وربما مناقض له، ويراد به أيضاً: العلم الذي يهتم بدراسة الأفكار والآراء والتصورات من حيث أصولها، ونشأتها، وخصائصها، وأشكالها، وقوانينها، وعلاقاتها بالعلامات والألفاظ الدالة عليها، وهي نتاج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة، والمجتمع والفرد، مما يحدد موقفاً فكرياً وعملياً معيناً لمعتنق هذا النسق الذي يربط ويكامل بين الأفكار في مختلف ميادين الحياة السياسية، والأخلاقية،...(انظر: الموسوعة الميسرة: الندوة العالمية للشباب. ج2. ص: 980).

(3) اختصار أوربا وأمريكا.

(4) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: المسيري. ج1. ص26.

(5) نفسه: ج1. ص26.

(6) شاع في أوربا هذا المصطلح بمعنى أنهم: جماعة وظيفية متماسكة عضوياً (مكتفية بذاتها) ولكنها فقدت =

أوربا لتوظيفه». وهنا يشير المسيري إلى أن اليهود «جماعة وظيفية استيطانية»(1) وظفتها (أورمريكا) لرعاية مصالحها بالمنطقة فحسب.

وهذا مما يصعب على اليهودي الصهيوني تجرعه على ما تجرعه في الماضي، والحاضر مع النصرانية من صنوف الذل، والهوان؛ لكونه وسيلة ومطمع لإنفاذ إرادة الآخرين دون أن يفرض إرادته، وأن ينقل لأي مكان في الأرض دون اختيار منه. ومن هنا تدخلت المسحة الصوفية الدينية اليهودية التي أضافتها البروتستانتية على ماهيته لينصاع لرغباتها، في ذات الوقت تنفذ إلى رغباتها الأمبريالية من خلال:

أولاً: إضفاء القداسة على ماهيتهم، وإدعاء بأنهم شعب الله المقدس، لترضي غروره، وينصاع راغباً مهيباً، غير مرغم في موجات من التعظيم، والتبجيل، والإكبار عوضاً عن الانسياق القهري المصحوب بالذل، والطرد، والانكسار من أوطان طالما عاشوا فيها هم وآباؤهم وذرياتهم(2).

ثانياً: تمرير القضية على الرأي العام العالمي؛ لحشد وضمان تأييد القرار؛ لطالما أن المسألة تعلقت بالمعتقدات الدينية.

ثالثاً: طمس وإخفاء الحقيقة الإمبريالية للإستراتيجية الاستعمارية (لأورمريكا).

ويعبر عن ذلك المسيري بقوله: «...لقد أضفت الصيغة المتهودة المراوغة ــ يقصد الصهيونية العالمية ــ في الخطاب الصهيوني لهرتزل طابع القداسة الصوفية... على هذا العنصر السيئ غير النافع بتجلياته، ورسالته المقدسة...، فيتحول الغرض من النقل: لا للتخلص منهم، وتأسيس دولة وظيفية تقوم على خدمة الغرب، والحفاظ على مصالحه؛ وإنما لإصلاح الشخصية اليهودية وتطبيعها»(3).

وكما نرى على محاولة تهويد الصيغ، وإبراز العنصر اليهودي كشعب مقدس ومختار، لابد وأن تظهر بجلاء حقيقتهم، ومن أفواههم، فها هو ذا هرتزل يؤكد في الخطاب الصهيوني على أن: «الغرض إصلاح الشخصية اليهودية، وما ذاك إلا لفسادها، وانعدام نفعها، وتطبيعها أي: تحويلها إلى قطاع منتج، نافع، وإلى مادة بشرية استعماليه يمكن توظيفها في خدمة المجتمع؛ ليصبح إنساناً طبيعياً، لا يختلف عن غيره من البشر»(4)، وهذا يعني: شذوذهم سلوكاً، وخلقاً، وفكراً عن المجتمعات التي يعيشون بداخلها، وهامشيتهم، كما ويعني: قسوتهم وغلظة قلوبهم.

وتُعرّف الباحثة ريجينا الشريف الصهاينة بقولها: «هم أولئك الذين يعتبرون أن اليهود شعباً قومياً مستقلاً ينبغي إعادة توطينه ككيان سياسي مستقل في فلسطين؛ لكي يقيم هناك دولة قومية خاصة باليهود وحدهم»(5)؛ وليصبح التعريف أقرب إلى الحقيقة وأكثر دقة نقول: «هم أولئك الذين يزعمون زعماً مضللاً، أن اليهود شعباً قومياً مستقلاً ينبغي إعادة توطينه ككيان سياسي مستقل في فلسطين، لكي يقيم هناك دولة قومية خاصة باليهود وحدهم»(6).

ثانياً: مفهوم الصهيونية:

من الصعب أن نجد تعريفاً علمياً محدداً، وواقعياً للصهيونية اليهودية؛ لأن أغلب المحاولات الرامية إلى تعريفها لا تعدو أن تكون متابعة تاريخية، أو دراسة فكرية لممثلي الصهيونية. الأوربيين، أو اليهود، أو الصهيونيتين معاً، والتي تختلف باختلاف شخوصهم، والقرارات الصادرة عن كل منهم، أو نظرة كلٍ من زاويته إلى الصهيونية من خلال زعم استيطاني قومي، أو عنصري فضفاض، أو عمل استيطاني ضيق الحدود، أو زعم ديني صوفي غير مبرر، أو استعمار إمبريالي انتهازي وظيفي لحاجة مجموعة من الأفراد للاستقرار، والأمان، وأخرى للمادة الوظيفية؛ لذا فالمفاهيم تتسع وتضيق، وتطلق وتتحدد، وتستقيم وتتمحور،... وفق تقديرات، وإيمان رجالات الساحة السياسية، والباحثين، والمحللين، والمفكرين، والإعلاميين، و... والتعريفات المعطاة للصهيونية كثيرة فمنهم مَن يعرف الصهيونية اليهودية بالنظر إلى نشأتها فقط دون أي اعتبارات أخرى، وهي الأقرب إلى الواقع، والحقيقة، ومنهم مَن يعرفها من منطلقاتها الأوربية النشأة فيخلط بين المزاعم الأوربية، والحقيقة، وهذه من أسوأ التعريفات، والتي لم نأخذ بها، ومنهم

= وظيفتها فتم نبذها، فأصبحت شعباً عضوياً منبوذاً. فهم لا ينتمون إلى الغرب ولا إلى أي وطن. تنبع قدسيته من وجهة نظرهم لأنفسهم من داخله، فهو موضع الحلول والكمون لذلك فهو مكتفي بذاته ومرجعيته هي ذاته.

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: المسيري. ج2. ص:200.
(2) أي عندما يتم تهجيرهم من أوربا وأمريكا إلى فلسطين قهراً دون رغباتهم.
(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: المسيري. ج2. ص202.
(4) نفسه: ج1. ص236.
(5) الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف. ص10.
(6) الباحثة.

مَن يعرفها بعدما التحمتا في المطامع، والأهداف، وسميت بالصهيونية العالمية، وكل هذه التعريفات لا تخلو من اللبس لإقحام الجانب الأوربي مزاعمه الدينية؛ للتلبيس على العالم، نذكر أهمها:

أ ـ ذكر (د. نديم عيسى) عدة تعريفات لها من مصادر مختلفة نأخذ أهمها:

● يقول: عرفتها الموسوعة البريطانية على أنها: «حركة قومية ظهرت أواخر القرن التاسع عشر بقصد إنشاء الدولة القومية اليهودية في فلسطين انطلاقا من إيمانها بالوحدة القومية الدينية للشعب اليهودي». ولا نتفق مع هذا التعريف ونرفضه جملة وتفصيلا لسببين:

الأول: لاحتوائه على جملة من المغالطات، والمزاعم الباطلة، كونه ورد في الموسوعة البريطانية مؤسسة الصهيونية الأوربية غير اليهودية.. منها:

1 ـ أن بريطانيا هي أول من روج، ونادى لقيام الصهيونية على مدى ثلاثة قرون، دون أن يلبي ندائها أحدٌ منهم.

2 ـ بداية نشأة الصهيونية اليهودية بنهاية القرن التاسع عشر، ونضجها، وتبلورها، واتحادها بالصهيونية الأوربية تحت مسمى الصهيونية العالمية بأوائل القرن العشرين.

الثاني: لم يؤمن اليهود الأصوليون في فلسطين، وخارجها، بالمنطلقات الدينية المكذوبة لهذا الفكر، وإلى وقتنا المعاصر بل الذي تبناه الفكر العلماني، تحت مسمي القومية.

وسنعرض للموقف البريطاني من نشأة الصهيونية غير اليهودية لاحقاً ـ بإذن الله ـ.

● عرّفتها الموسوعة اليهودية الجديدة على أنها: «حركة سياسية تسعى إلى تأسيس الوطن القومي اليهودي على أرض إسرائيل». وهذا التعريف جانب الحقيقة إذا أراد بأرض إسرائيل فلسطين أرض المعاد، وأصابها إذ لم يعين أرضاً.

● وموسوعة الصهيونية وإسرائيل، «ربطت بينها، وبين هرتزل على وجه الخصوص وعرّفتها: بأنها حركة سياسية أسسها هرتزل عام (1896م)، وهدفها إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين»(1). وهذا التعريف يلامس الحقيقة من عدة جوانب، عدا اختيار فلسطين وطناً، إذ لم تكن هدفاً أصيلاً لدى هرتزل الأسبنوزي المذهب.

ب ـ عرّفها المؤرخ أحمد سوسة بأنها: «حركة قومية عنصرية متطرفة، تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات، والأجناس، في وطن قومي واحد. بالضغط، والعنف، والتهديد، وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة»(2). وهذا التعريف أيضاً، وإن ألقى الضوء على الجوانب المظلمة من الحركة، إلا أنه لم يحدد أهدفها.

ج ـ ميّز (نورداو) بين الصهيونيتين بقوله: «تختلف الصهيونية الحديثة عن الصهيونية القديمة بكونها سياسية والأخرى دينية»(3)، ونؤيّد هذا التمييز، باستثناء تفسيره له، حيث قال أي أن: «الصهيونية المعاصرة حركة قومية، سياسية، بحتة. تستمد سلوكها السياسي من الواقع السياسي، والاجتماعي، ومن الأفكار المعاصرة، وتبنت العودة إلى أرض إسرائيل»(4). حيث جعل العودة لفلسطين هدفاً.

وقد أكد براندیس ذلك بقوله: «إن الحركة الصهيونية اليهودية، كانت تريد لليهود أن يعيشوا بملء اختيارهم إما في أرض آبائهم، أو في أية بلاد أخرى»(5).

ويلاحظ أن نقاط الارتكاز في هذه التعريفات تدور حول المحاور الآتية:

- أن العودة إلى أرض إسرائيل هو مبدأ: القومية السياسية، حيث كانت الأكثرية الساحقة من الصهاينة الأوائل تشدد في تسويغ برنامجها على الدعوات القومية العلمانية.

وهذا ما ذهب إليه هرتزل بتأكيده على أن: «المسألة اليهودية ليست مسألة دينية، أو اجتماعية، بل هي مسألة قومية»(6).

- أن الصهيونية جعلت هدفها الحركي خلق الدولة الإسرائيلية، بحيث ربطت نفسها بفكرة

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى.ص30. مخطوط رسالة دكتوراه في العلوم السياسية. جامعة بغداد (ط: 1995م).

(2) انظر: موجز من كتاب مفصل العرب واليهود في التاريخ: د. أحمد سوسة. ص369. مطبعة العربي للطباعة والنشر. بغداد (ط: 1981م). (جزء المقارنة بين شرائع حمورابي وشرائع التوراة).

(3) كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية: الصهيونية (1902): ماكس نورداو. ص137. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1970م.

(4) نفسه: ص137.

(5) كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، المسألة اليهودية وكيفية حلها: لويس دمبيتز براندیس. ص387. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1915م.

(6) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي:د. نديم عيسى. ص31.

الدولة(1). أياً كان موقعها.

- أن الحركة في أصلها سياسية بحتة، علمانية لا دينية، استغل الدين، وأقحم لإيجاد المسوغ الذي يضفي عليها الشرعية والتأييد العالمي.

- تهدف لإنقاذ اليهود من الاضطهاد الأممي بأي شكل. ولو بطرد الآمنين بالقوة من أوطانهم، أياً كانت.

- تسويغ التآمر الإمبريالي، والاحتلال كشكل من أشكال الحلول الدينية المفتعلة.

عليه: يمكن تعريف (الصهيونية العالمية) على أنها:

[حركة سياسية، استعمارية، إمبريالية، علمانية، نضجت، وتبلورت في بدايات القرن العشرين، وظّفت خصال اليهود، واستثمرتها لحل المسألة اليهودية العالمية من ناحية، وخدمة الأمبريالية من ناحية أخرى؛ باستعمار فلسطين لموقعها الاستراتيجي الهام، تحت مزاعم دينية].

ولعلنا لمسنا مما سبق عرضه مغايره في بعض المفاهيم بين كل صهيونية وأخرى، والتي قد تُشكل لبساً على البعض.

لذا رأينا من الضرورة بمكان التفريق بين صهيونيتين مختلفتين في الأهداف، والخصائص، والنشأة، ومتفقتين تحت مسمى واحد الصهيونية العالمية وهما:

1 ـ الصهيونية غير اليهودية، أو الصهيونية المسيحية (الأصولية النصرانية):

ظهرت الأصولية النصرانية بأوربا قبل الحركات الصهيونية اليهودية، وقبل المناداة بالبعث اليهودي،

وذلك في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، واتخذت من اليهود الأداة التي نفذت من خلالها لمآربها الاستعمارية بالشرق الأوسط، وانقسمت فرق النصارى على ضوئها إلى أصولية نصرانية: مناوئة لا تؤمن، ولا تؤيد الأفكار، والمزاعم الصهيونية، وصهيونية أصولية نصرانية مناهضة تتبنى وتدعم المزاعم الصهيوني، وكلاهما يدّعي الأصولية.

2 ـ الصهيونية اليهودية المسماة بـ (الأصولية الصهيونية):

التي تجلت بوضوح بالربع الأخير من القرن التاسع عشر، ونُعتت فيما بعد بالصهيونية الأصولية؛ بفضل جهود ودعم (أورمريكا)، كأحد إفرازات التحول الحاصل فيهما، نتيجة ظهور عدة عوامل أسفرت إلى ما آل إليه الوضع الراهن منها:

1- تبلور الفكر الاستعماري والمطامع في توسيع الأمبروطوريات الأوربية لتشمل الشرق الأوسط، والمنافسة بين الأمبروطوريات والممالك الأوربية على ثرواتها.

2- مرحلة الضعف الأخيرة التي مرت بها الخلافة الإسلامية المتمثلة بالأمبراطورية العثمانية التي فتحت الباب لتلك المطامع.

3- غياب الدين؛ وفقدان الهوية والتاريخ للمهاجرين الأوربيين وغيرهم من المهاجرين للولايات المتحدة؛.

4- ضعف كنيسة روما الكاثوليكية وإلغاء دورها؛ وكذا كنيسة إنجلترا البروتستانتية؛ وعلمنة المجتمع الأوربي.

5- المد الاستيطاني والهجرة المكثفة لليهود لـ (أورمريكا) بأعداد هائلة، وما يصاحبه من نزف وضرب لاقتصاديات البلاد، والذي أسفر عنه ارتفاع وتيرة اللاسامية ضدهم، ومحاولة إيجاد حل للمسألة اليهودية؛ لإيقاف هجرتهم، لا سيما بعدما عاثوا في الأرض الفساد، فقاموا بالانقلابات، والاضطرابات، والثورات، وحالات الشغب، والقتل، والاغتيالات... التي أججت شعوبهم المستقرة ضدهم؛ لتبديد أمنهم.

ولكل صهيونية أهدافها التي كانت بمثابة إرهاصات تحضيرية لهذا الظهور السافر. سنذكر طرفاً منها لاحقاً بإذن الله. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأهداف، وإن كانت متداخلة ومعقدة، ومركبة من عدة عناصر، يصعب تحليلها. إلا أنها تتلخص في هدفين أساسيين يتفرع عنهما سائر الأهداف باختلاف أنواعها، وتداخلاتها، وتبريرات كل من أدلى برأي في المسألة بحسب منظوره الشخصي سواء كان: دينياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو إعلامياً، أو ثقافياً، أو علمياً، أو تاريخياً، أو اجتماعياً، أو إنسانياً، أو نفسياً سيكولوجياً للبنية التركيبية العضوية لكليهما...، عليه فلا يخلو الأمر من هدفين:

الأول: يتمثل بالنظرة الاستعمارية الإمبريالية للشرق الأوسط والمرتبط بالمصالح الأورمريكة.

الثاني: تشترك فيه المنفعة للطرفين:

---

(1) انظر: من يحكم في تل أبيب: د. حامد ربيع، ص200. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت (ط1: 1975م).

الطرف الأول: للتخلص من اليهود بأي ثمن كان، على أن يدفع اليهود أنفسهم هذا الثمن، باستخدامهم كأداة وظيفية للاستعمار بحق الدعم، والتمكين، ووضع اليد.

الطرف الثاني: اليهود بامتلاك أي بقعة على وجه الأرض(1)؛ لجمع أمتهم، وقيام دولتهم.

أما الوسيلة المستخدمة لتبرير الغاية فهي (الدين)، والمتمثلة بِفِرية: الشعب المقدس، وأرض المعاد،...، وما يتكامل مع هذه الأفكار من أكاذيب إنجيلية(2)، زاعمة أن عودة المسيح المنتظر مترتبة على عودة اليهود لأرض فلسطين وبناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى، ولكلٍ منهما مسيحه، فبرغم اتفاقهما في الوسيلة، إلا أن غايتهما تختلف، فينتظر الأول مسيح يجيء للمرة الثانية، وهو المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، ومن ثم يؤمن اليهود به وبرسالته ويصبحوا نصارى، ويحكم العالم لمدة ألف عام سعيد، والآخر ملك من ذرية داود υ، ومجيئه يكون الأول، فيبادر بقتل، وذبح جميع شعوب العالم وإبادتها، مستخدما سيف الانتقام الدموي، ومن يؤمن به من النصارى يأمن ومن لا يؤمن به يقتل، ثم يحكم العالم لألف عام من العاصمة أورشليم. ومن المفارقات العجيبة أنهما ومع اختلاف الغاية التي تستوجب منهما الشقاق، والخلاف، والتنابذ، والعداوة، لرغبة كل منهما ترك الآخر دينه، إلا أنهما متفقان لا لشيء إلا لسيطرة فكرة الاستعمار الإمبريالي على الفكر الأورمريكي على العالم العربي، والعداء الذي لا يهدأ، ولا يستكين للإسلام، والمسلمين، وللدين الذي أظهره الله على سائر الأديان وختم به الرسالات ولو كره الكافرون.

ثالثاً: ما دين الصهيونية اليهودية؟

كما قلنا سابقاً أن زعماء الصهيونية علمانيون أقحاح، وبتعبير أدق لا دينيين، وهذا بلا شك سيخلق تصادماً، وفجوة كبيرة بين رجال الدين اليهود، ورجالات السياسة داخل وخارج فلسطين؛ لذا لم تعجز الصهيونية العالمية عن تبني، واحتواء كل الأفكار، والمعتقدات، والمقومات العلمانية، والسياسية، والدينية؛ لبوتقتها في إطار واحد، يخدم جميع المصالح، ويرضي جميع الأطراف لديمومة بقائها، وضمان المؤازرة عالمياً، وللتخفيف من حدة الصدامات والصراعات التي قد تنجم من شق طريق أحادي الفكر، والمعتقد، والتوجه، ولا يلبي البواعث النفسية، والسيكولوجية، والانثروبلوجية(3). لكافة شرائح المجتمع الوافد من الشتات، كلٍ حسب، معتقداته، وموروثاته، وتاريخه، وثقافته، وبالتالي يؤدي إلى فشل المشروع الصهيوني.

فالصهيونية بحاجة إلى الشعب؛ لتنفيذ مخططها الاستيطاني، والشعب بحاجة إلى دين، ووطن، ودولة، وأمن...، إذاً لابد من تقريب وجهات النظر.

لذا نجد أن الصهيونية العالمية استمدت مقوماتها الدينية من عدة مصادر منطلقة من احتياجات، وبواعث مجتمعها الجديد النفسية، والنظرة العالمية للمحتل، على رأسها:

أولاً: البواعث الدينية المزعومة ـ عند الأصولية الصهيونية العالمية ـ، والمتمثلة في عقيدة: أرض المعاد، وبناء الهيكل، والمسيا، وحكم العالم، والألفية السعيدة...

ثانياً: البواعث القومية(4) المتمثلة في: الاعتقاد بوحدة الشعب اليهودي(5)، وتكوينهم في قومية موحدة؛ لانحدارهم من سلالة واحدة هي ذرية يعقوبυ.

ثالثاً: البواعث الخفية والأساسية وهي الاستعمار الإمبريالي، والمتمثل في الاحتلال، والمرتبط بالاستعمار الأورمريكي؛ لتطابق الأهداف والمصالح.

---

(1) حيث كان يأمل اليهود تملك أي قطعة على الأرض ووقع الاختيار على عدد من الدول منها بأوربا، وأمريكا، وأفرقيا، ولم تكن فلسطين ضمن القائمة، وتحت الضغط الأوربي على اختيار فلسطين، اضطرت الأخيرة للإذعان؛ لأنها بحاجة للدعم العالمي أياً كان، ولعلم الطرفين التام بأن أحدهم منفرد لن يحقق غايته دون الآخر. وليس أدل على ذلك بأن النداءات من كلا الطرفين للآخر كلٍ على حده خلال ثلاثة قرون ماضية لم تثمر إلا بعد تحالفهما.

(2) الأفكار والأكاذيب الإنجيلية زرعت ورسخت في نسيج أبنائهم الفكري عن طريق التعليم، والثقافة، ووسائل الإعلام، على مدى قرنين من الزمان حتى باتت من الحقائق المسلم بها، والتي لا تقبل النقض... الخ

(3) الانثروبلوجيه: علم الإنسان، يدرس نواحي العلم الإنساني، وكل الظواهر من حيث تعلقها بالإنسان، وينقسم علم الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة فروع رئيسة: الأنثروبولوجيا الطبيعية وتدرس النمو الجسمي للإنسان، وعلم الإنسان القديم وعلم الأجناس...، والاجتماعية تدرس النظم الاجتماعية مقابل النظم البدائية،... والثقافية تدرس عادات الشعوب المتأخرة وتقاليدها دراسة تاريخية... (انظر: الموسوعة الميسرة: غربال. ج1. ص235).

(4) القومية هي: الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها، وتقوم على عنصرين أولهما: الموضوعية وهو: مجموعة الروابط المشتركة التي تجعل من شعب معين أمة بالمدلول العلمي،كالاشتراك في الأصل أو اللغة، أوالعقيدة، وثانيهما: معنوي وهو:الحالة النفسية التي يولدها قيام تلك الروابط التي هي شعور الانتماء المتبادل، وينشأ تعلق بالوحدة التي يكونها هذا الانتماء (انظر: الموسوعة الميسرة: غربال. ج2. ص 1408).

(5) انظر: إسرائيل الكبرى: أسعد رزوق. ص17. مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت (ط1: 1968م). بتصرف.

فهي إذاً علمانية ولم تجعل الدين مرتكزاً لها، لا في القرارات، أو السياسات، أو الأحوال العامة.

رابعاً: أبرز خصائص الصهيونية والفرق الجوهري بينها، وبين الأصولية الدينية اليهودية؟

بيَّنا سابقاً حقيقة التوجه ــ الديني ــ الصهيوني المنبثق من خليط من المزاعم القومية، والدينية، والاستعمارية الإمبريالية، فحرى بنا التأمل في خصائصها الفكرية؛ لتحديد مدى التمايز، أو الانصهار بينهما، والتي تميزها إلى حدٍ كبير عن الأصولية الدينية اليهودية، وتُظهر بجلاء الجانب الوصولي(1) في الحركة... منها:

1. وضعت الحركة الأصولية الصهيونية نصب عينها إحلال الفكرة القومية كعامل موحد لليهود أينما وجدوا، بدلاً من الرابطة الدينية التي حافظت على تميز وجود اليهود عن باقي الأمم(2)، كما يدعى الأصوليون الدينيون اليهود.

2. ترى الصهيونية إمكانية إقامة الدولة اليهودية بالجهد الإنساني، ومساعدة الرب بتذليل الظروف وتهيئتها لذلك، وإن كان المشروع علمانياً في حقيقته وظاهره، إلا أنهم يرون أنه بيد الله قدره ليصنع به الخلاص لشعبه، بينما اليهودية الدينية «تُحرم على اليهود الإسراع في عملية الخلاص عن طريق أي جهد بشري، وترى أن حالهم في شتاتهم مع ما يصاحبه من الآلام، إنما هي حال قضاها الله، وأن السعي لتبديلها من دون أمر إلهي يعد كفراً»(3).

3. اتسمت الحركة الصهيونية بطابع سياسي، قومي، علماني، استيطاني، لا بطابع ديني(4) ذلك لأن سلوكها لم ينطلق من مصدر ديني كما تزعم، فضلاً عن أن الحركة ليس لها موقف معين من الديانة اليهودية، ونعني بالموقف هنا الرؤية الساعية إلى تحقيق أحد الأمور الآتية:

أ ــ المحافظة على المفاهيم الدينية الموروثة، وذلك بعدم إحداث أي تغيير فيها، ورفض كل محاولات التجديد، والإصلاح في أي جانب من جوانبها الحياتية.

ب ــ الرؤية التجديدية التي تحاول شرح الدين، وتفسير العقيدة الأصلية تفسيراً عصرياً؛ ليناسب التغيرات الزمانية، والمكانية، والبحث عن حلول من داخل الدين للمشاكل الناجمة عن التفاعل بين الدين، والبيئة في الحدود الزمانية والمكانية.

ج ــ الرؤية الإصلاحية التي تسعى إلى إجراء تعديلات في مضمون الدين، والعقيدة الأصلية؛ مما اضطرهم إلى التخلي عن كثير من الأفكار الدينية الموروثة بعد أن ثبت عدم جدواها بالنسبة لليهودي المعاصر. ومن الطبيعي أن يكون من أهداف الإصلاح تخليص العقيدة الأصلية مما دخلها من عناصر غريبة عليها، والعودة بها إلى حالتها الأولى، وقد يكون هدف الإصلاح التجديدي من أجل مسايرة العصر بالتخلي عن بعض العقائد التي تقف عقبة في سبيل تحقيق الإصلاح(5).

يضاف إلى الخصائص السابقة أن دعاة الصهيونية أنفسهم كانوا من أتباع مذهب اللا أدرية(6) أي: المذهب المخالف للأديان جميعها، والذي لا يعترف إلا بما يدخل في نطاق التجربة الملموسة(7). كهرتزل الذي لا تقوم لديه فكرة الاستيطان على فكرة تحقيق الحنين الديني إلى صهيون، ولا ترمي إلى خلق مركز روحاني للشعب اليهودي. بل أنه يؤكد في كتاباته أن: «محنة اليهود، وتألب الشعوب عليهم، وظهور اللاسامية، وحل المسألة اليهودية، تعتبر المحرك الأساسي بالنسبة له، حيث يستمر هذا الدافع طالما أن العداء للسامية لا يمكن استئصاله من العالم»(8). ويرى أنه: «لكي يتسنى لليهود إزالة أسباب المحنة التي يقاسون منها عليهم أن يدركوا أنهم شعب

---

(1) تستخدم الباحثة لفظ وصولي للتعبير عن حقيقة الحركة الصهيونية حيث تدعي الأصولية الدينية المرجعية في الحين أنها وصولية تستخدم الدين معبراً للوصول لأهدافها الاستعمارية الاستيطانية.

(2) انظر: دوامة الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة. ص28. مجلة الدراسات الفلسطينية تصدرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية. قبرص. ع3: 1990م.

(3) مثل طائفة ناطروي كارتا، والفهود السود، والممثلين الأوائل لحركتي أغودات يسرائيل ومزراحي

(4) انظر: يوميات هرتزل: تيودور هرتزل، ترجمة: هلدا شعبان صايغ. ص324.منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1968م).

(5) انظر: الاستعمار وفلسطين: رفيق شاكر النتشة. ص386. دار الجليل. عمان. 1984م. نقلاً عن: الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي: د. محمد خليفة حسن. ص32: 34. دار المعارف للطباعة والنشر. القاهرة (ط:1981م).

(6) اللاأدرية: الاعتقاد بأن العقل عاجز عن مجاوزة حدود الخبرة الذاتية عند صاحبه، فمحال عليه إقامة البرهان على أي شئ يفترض وجوده في خارج تلك الحدود، وقد يدل المصطلح على الشك في وجود الله وخلود الإنسان ــ عياذاً بالله ــ ومن أشهر اللا أدريين في العصر الحديث: هربرت سبنسر، كونت....(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص1534).

(7) انظر: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها: غارودي. ص8.

(8) صهيونية هرتزل العلمانية: د. عبد الوهاب المسيري. ص138. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. مج3. ع4. كانون الثاني 1975م.

واحد، وإن إرادتهم هي التي تخلق الدولة، وأن الصهيونية تؤلف الدولة في طور التكوين»(1).

وبذلك فإن الدعاوى الأصولية، والتكريس النصراني لعودة إسرائيل قد استبدلاه من قبل الصهيونية الوصولية بنشاط ذي طابع دنيوي ـ أي بالقومية ـ خصوصاً وأن هرتزل قد حدد طبيعة المشكلة اليهودية بكونها: «ليست مسألة اجتماعية، أو دينية، إنما هي مسألة قومية ذات طابع علماني»(2). وربما يكون هذا أحد الأسباب التي دفعته لاتخاذ موقف سلبي من الدين اليهودي لمدة من الزمن، بعد مرحلة من اليأس المرير، حيث أكد في رسالة كتبها عام (1893م): «أن الحل الحقيقي والحاسم للمسألة اليهودية، يمكن أن يتم فقط بذوبان اليهود تماماً عن طريق اعتناقه النصرانية، والزواج المختلط»(3)،وتابع ردة فعله هذه في خطة طرحت في العام نفسه على البابا، واعداً إياه بتحويل اليهود إلى الكاثوليكية مقابل مساعدة البابا في استئصال المد اللاسامي المتصاعد فضلاً عن أن هرتزل، لم يكترث بالدين اليهودي طيلة حياته، حيث كان يجهل الكثير من شعائره، وطقوسه ولم يكن متمسكاً بالعبرية(4)، التي تعلمها قبل مدة وجيزة من عقد مؤتمر بازل عام (1897م)؛ بغية أداء مراسيم الصلاة في المؤتمر(5).

وبناء على ما سبق: نجد أن من أبرز خصائص الفكر الصهيوني، وسماته التنكر للدين، بكل موروثاته، وكان التفكير السلبي حيال الدين شائعاً بين عدد من الزعماء المؤسسين للصهيونية، من أبرزهم بوبر(6) الذي أكثر من انتقاداته للتاريخ اليهودي، وللممارسات الدينية اليهودية(7)، كما أن فلاديمير جابونتسكي(8) كان يبدي انتقادات حادة للدين اليهودي، ولزعمائه(9).

بل وكان الكثير منهم ملحدين(10)، وقد جمع هرتزبرغ أعمال (37) من أشهر الصهاينة وقدم نبذة عن الناحية الروحية لهؤلاء فوجد أن ما لا يقل عن (21) منهم تخلوا عن الفروض الدينية، من أبرزهم رائد الصهيونية العمالية موسى هيس (1812-1875م) ، والكاتب، والداعية الصهيوني بيرتس سمولنسكن (1842-1885م)، وأب الصهيونية هرتزل، والمفكر، والزعيم السياسي الصهيوني الألماني ماكس نورداو (1849 ــ1923م)، والكاتب، والمفكر، والأديب فيلسوف الثقافة الصهيونية أحادهعام (1856-19237م)، والمفكر المنظر للصهيونية العمالية الروسي نحمن سكرين، ومؤسس حركة عمال صهيون، وزعيمها دوف بوروخوف (1881-1917م)، ووايزمان، وبن غوريون(11)؛ لهذا دعا هرتزل أعضاء المؤتمر في بازل إلى استحالة استخدام الطرق الروحية؛ لإحياء، وتوجيه الوعي القومي اليهودي(12). وحاول هرتزل أن يقرب الصهيونية من اليهودية بقوله: «الصهيونية هي عودة إلى الطبيعة اليهودية قبل أن تصبح عودة إلى الأرض اليهودية»(13). للجمع بين الفكرين العلماني، والديني. ومنذ ذلك الحين أخذت

---

(1) قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل: د. أسعد رزوق. ص133. معهد البحوث والدراسات العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1971م).
(2) كتاب من الفكر الصهيوني المعاصر، بنو إسرائيل وأرض إسرائيل في الفكر الصهيوني المعاصر: ر.ج. رفي فير بلونسكي. ص13. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. شباط (ط: 1968م).
(3) يوميات هرتزل: تيودور هرتزل. ترجمة: هيلدا. ص341: 342.
(4) انظر: نفس المصدر: ص404.
(5) انظر: الاستعمار وفلسطين: النتشة. ص392.
(6) مفكر ألماني يهودي، ولد بفينا، حلولي، متطرف في حلوليته، وجودي النزعة، كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق، ومع هذا يعد من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين، ومن دعاة التصوف اليهودي، ومن أكبر مفسري العهد القديم ـ وهذا من التناقضات اليهودية ـ، عمل رئيس تحرير جريدة دي فيلت، الناطقة بلسان الحركة الصهيونية.(انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص163).
(7) انظر: الانتقاد الذاتي في الفكرة الصهيونية: جوزيف حاييم برنر. ص195: 196.
(8) مفكر صهيوني وقائد حركة الصهيونيين التصحيحين ولد في أوديسا بروسيا كان اهتمامه باليهودية ضئيلاً، إذ كان ينظر إليها من الخارج، ولم تكن له معرفة بالعبرية، استوعب الرؤية المعرفية الإمبريالية تماماً، فتبنى رؤية توماس هوبز للواقع، ورفض كل المثل الإنسانية، وأعلن أن العالم إن هو إلا ساحة لصراع الجميع ضد الجميع. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص283).
(9) انظر: قرارات إسرائيل المصيرية: يهو شفاط هركابي ترجمة: منية سمارة، ومحمد ظاهر. ص102. دار الكرمل للطباعة. عمان (ط ب:1990م).
(10) انظر: النخبة الحاكمة في إسرائيل: د. نظام محمود بركات. ص29. مطابع الكرمل. بيروت (ط ب: 1982م)
(11) انظر: الصهيونية وإسرائيل وآسيا:ج. هـ. جانسن. ترجمة: راشد حميد. ص29.منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1972م).
(12) انظر: كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، خطاب المؤتمر الأول في الفكرة الصهيونية: ثيودور هرتزل. ص125. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران (ط: 1970م). وانظر: هيكل سليمان الوطن القومي لليهود. يوسف الحاج. ص71.
(13) نفس المصدر: ص124.

الحركة الصهيونية تلبس الدين باللادين)(1).

ومع كل المحاولات لم تفلح الصهيونية في التحلل من الدين نهائياً، لما لمراكز رجال الدين من القوة، والهيمنة، والسلطة، ولما أفرزه موقف الصهيونية من الدين من المواجهات العنيفة، والعارمة، والعداء والتنديد القاسي بها وبدعاتها، وتكفير قادتها، والحيلولة دون هجرة اليهود لفلسطين، وبالتالي القضاء على المشروع الصهيوني،.... مما دعا رجال السياسة، وقادتها الصهاينة إلى التراجع عن بعض مواقفهم المتصلبة ضد الدين ورجالاته؛ للحصول على مآربهم، وإرضاء رجال الدين عنهم، وبهذا اتخذ الدين من قبل قادة الحركة الصهيونية مطية، وأداة لتحقيق الاستقلال السياسي لليهود.

وعلى ضوء ما سبق من أحداث تبدل موقف الصهيونية في مراحلها الأخيرة وقدمت تنازلات غيرت من مواقفها إزاء الدين فمن التصلب، والرفض له إلى الإذعان والقبول. نوجز أهم الأسباب فيما يأتي:

1- وجدت الصهيونية أن اليهودية الدينية تشكل الرباط التجميعي وروح العصبية بين الفئات اليهودية المختلفة فالدين اليهودي لعب دوراً أساسياً في تشكيل ملامح الشخصية اليهودية (2)وذلك؛ لأنه مرتبط بالحياة الدنيوية وينظم معظم أنماط السلوك في الحياة.

2- الانتهازية التي تمكن من بذر مقولات مضللة من قبل الوصولية الصهيونية العالمية ودعاتها، المؤيدين والتوفيقيين على السواء لإلصاقها بالدين والترويج لها، ليستفاد منها كمدخل لأختراق الأصولية الدينية اليهودية في صميمها بنسبها إلى الدين من جانب، ولتجد المسوغ المقنع لعودة الشعب المختار لأرض الميعاد(3) من جانب آخر؛ لاستكمال بناءها الاستيطاني القومي المنشود.

3- تأثير السلطة الروحية القوي(4) التي تشكلت من خلال إعلان إيمان هرتزل ـ المزعوم ـ مؤخراً بأن الصهيونية ليست إلا فكرة يهودية دينية، هدفها العودة إلى أرض المعاد.

لذا فلرواد الصهيونية أنفسهم أيضاً خصائص من حيث تعدد الأساليب في التعامل مع الدين، والتقاليد اليهودية، تتمايز عن بعضها البعض بوضوح، وهي:

أ ـ الأسلوب السلبي: وتتبناه المجموعة التي كانت ترفض الدين، والتقاليد اليهودية جملة وتفصيلا، وتعدها من بقايا العصور البدائية، وترى أنها تعرقل تقدم الشعب، وهذا الاتجاه لم يعد ذا قوة، أو أهمية أو هيمنة في إسرائيل، وهو الاتجاه الإلحادي.

ب ـ الأسلوب الإيجابي (البرجماتي)(5) : وهو الأسلوب الذي أسبغ صفته على القيادة الصهيونية ما بعد هرتزل، وهو منتشر بين العلمانيين، وهذا الأسلوب النفعي، لا يذهب إلى إلغاء الممارسات الدينية، أو رفض أداء الطقوس الدينية؛ لأنها تمثل بالنسبة لهم شعوراً بالدفء، والحنين لما كانوا يتلقون فيما يعتبرونه وطنهم(6).

وقد عملت هذه المشاعر على تلطيف الموقف السلبي المتشدد المضاد لليهودية في الأوساط الصهيونية، وقد جسد هذا الاتجاه حاييم وأيزمن الذي أفرد للدين أهمية خاصة في خطبه، وأحاديثه، وعلى سبيل المثال: نجده قد أكد في المقابلة التي تمت بينه وبين بلفور وزير الخارجية البريطانية عام (1906م) قائلاً: «أن الصهيونية حركة سياسية قومية، ولكن لها كذلك ناحيتها الروحية، ولن يكتب لها النجاح إلا إذا عنينا أولاً بالناحية الروحية، وأثرنا بذلك الحماسة الدينية في البلاد»(7)، وهذا الخط البرجماتي النفعي الانتهازي اعتنقه القادة الصهاينة العلمانيون لاحقاً.

ج ـ الأسلوب الوسطي (الحيادي): ورواد هذا الاتجاه كانوا ينظرون لأنفسهم كبناة المجتمع، وللثقافة اليهودية الأكثر حرية، مستحضرين التاريخ، والقدر حينما يتحدثون عن الفعاليات

---

(1) انظر: الحركة الصهيونية: إسحاق جرينفيم. ترجمة: جودت السعد. ص14. دار الجاحظ للطباعة والنشر. إربد. الأردن (ط: 1984م).

(2) انظر: الدين اليهودي ودوره في تكوين الشخصية اليهودية في الكيان الصهيوني: د. خالد إسماعيل علي. ص1. بحث غير منشور (مخطوط) مقدم إلى اللجنة العليا لبحوث قادسية صدام.

(3) انظر: النخبة الحاكمة في إسرائيل: د. بركات. ص82.

(4) انظر: الحركة الصهيونية: إسحق جرينغيم. ص82.

(5) البرجماتية: مذهب فلسفي، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية.فليس هناك معرفة أولية في العقل تستنبط منها نتائج صحيحة. بغض النظر عن جانبها التطبيقي.بل الموضوع كله مرهون بنتائجها الفعلية العملية التي تحل للإنسان مشكلاته. ولما كان العلم يغير من صدق القضايا، فالصالح في ظرف سابق يصبح غير صالح في الظروف الراهنة.(انظر: الموسوعة الميسرة. غربال. ج1. ص: 335).

(6) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: دانيال العازار. وجانيت أفياد. ترجمة: مركز البحوث والمعلومات. ص30. مجلس قيادة الثورة. بغداد (ط1: 1982م).

(7) مذكرات وايزمن التجربة والخطأ: ص13. ترجمة: محمد رشاد الشهابي. مكتبة النافذة. بيروت (ط2: 1952م).

الصهيونية(1).

خامساً: مبررات نشأة الصهيونية العالمية:

أن لكل صهيونية استقلاليتها في النشأة، والأهداف، والاستراتيجيات التي خطتها؛ للوصول لأهدافها، وإن عملتا في فترات زمنية واحدة، أو متقاربة، أو متلاحقة،...، إلا أن كل منهما سلكت خطاً مغايراً إلى أن التقتا، واتحدتا بمسمى الصهيونية العالمية لذا سنفصل بشيء يسير في بداية نشأت كل منهما، مع تحديد نوع نشاطاتها في نفس المضمار، ثم نبين كيف التقتا، وتحالفتا في الرؤى، والأهداف؟!، وكيف اتحدتا في الخطط، والإستراتيجيات، و...؟!، وسنبدأ بالصهيونية غير اليهودية؛ لأسبقيتها في النشأة.

أولاً: نشأة الأصولية الصهيونية النصرانية:

لابد قبل التعرض للنشأة التعرف على موقفهم من قضيتن هامتين بالعصور الوسطى(2) وهي:

1- موقف النصرانية من فلسطين، والقدس، كوطن وأرض لليهود.

2- موقف النصرانية من يهود العالم بأوربا. ومن فكرة البعث اليهودي.

1 ـ موقف النصارى من فلسطين (القدس):

كانت أوربا منذ بدء وصول دعوة المسيح υ إلى أوربا تنظر لفلسطين والقدس على اعتبار أنها الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه، ويرى القديس أوغسطين(3) أن القدس مدينة العهد الجديد، وهي إرث المسيح للنصارى، وكانت هذه النظرة سارية إلى أواخر القرون الوسطى، ولم تكن القدس توصف ذات يوم لديهم على أنها صهيون اليهودية، بل مدينة العهد الجديد المقدسة، ولم تتضاءل أهميتها كمدينة مقدسة إلا فيما بعد عام (590م) حين أنتقل عرش البابا غريغوري إلى روما، واتخذ من روما مركزاً للسلطة النصرانية، وأصبحت لروما الحظوة، والمكانة بدل القدس، وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة في السلسلة الكهنوتية(4)، ومع ذلك ظل عدد قليل من اليهود(5) والنصارى يقصدونها للحج، والتجارة، ولم تعد فلسطين، والقدس محور اهتمام الحكومات النصرانية في العصور الوسطى، إلا في القرن الحادي عشر عندما أحتلها الأتراك المسلمون، عندئذ عَقدت الحملات الصليبية لوائها، وتضامنت فيما بينها؛ لاستعادة القدس من المسلمين(6).

2 ـ موقفهم من اليهود بأوربا، وفكرة (البعث اليهودي):

كانت الكاثوليكية الطائفة النصرانية السائدة في أوربا بعد عهد قسطنطين، وإلى نهاية العصور الوسطى، وتُعد كنيسة روما مركز الحكم الديني لأوربا، والعالم النصراني، وقد سبق وأن أوضحنا بمبحث العلاقة بينهما، ما مُني به الطرفان من بداية دعوة عيسىυ وإلى العصور الوسطى من الخسائر الفادحة في الأرواح جراء الحروب السجال بينهما؛ بسبب عدم إيمانهم بعيسىυ، وقتله ـ بزعمهم ـ؛ لذا لم يكن لمسألة البعث اليهودي في الفكر الكاثوليكي التقليدي مكان لا من حيث العودة إلى فلسطين، ولا من حيث وجودهم كأمة على الأرض. ودرج النصارى على تفسير نصوص العهد القديم التي تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم؛ بأنها تنطبق على الكنيسة

---

(1) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: العازار. وأفياد. ص30 .

(2) القرون أو العصور الوسطى (المظلمة): يختلف العلماء في تحديد بدايتها ونهايتها للقفزات المفاجئة غير المتدرجة لبعض الحوادث ، وأنسب التواريخ لبدايتها(476م) عهد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وحددت نهايتها باكتشاف كولمبوس لأمريكا عام (1492م) وعد آخرون نهاية العصور الوسطى بحركة الإصلاح الديني على يد المصلح مارتن لوثر عام (1517م) (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص: 1217).

(3) أوغسطين (353: 430م): من تاجست إلى قرطاجنة بمدينة تاجست من أعمال نوميديا بأفريقيا الشمالية، وكان والده باتريكبوس وثنيًا فظ الأخلاق، أما والدته مونيكا فكانت مسيحية. اعتنق المسيحية في سن الرابعة والثلاثين، ودافع عن الكنيسة دفاعاً قوياً، جعله العالم المسيحي بمنزلة الإمام، من كتبه المشهورة: الاعترافات، مدينة الله (انظر: الوسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص266).

(4) السلسة الكهنوتية أي: درجات انظام الكهنوتي،ولكهنوت الكنيسة ثلاث درجات: الأسقف، والقس، والشماس، وهناك درجات أخرى هي: المطران، والخوري، والقمص، والقاري، والراهب.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب. ج2. ص970).

(5) عقيدة الحج عند اليهود هو: القيام بزيارة بيت المقدس، تقول التوراة "ثلاث مرات يعيد لي في السنة" (خر: 14/23). أي أنه يجب على كل يهودي (ذكر) أن يزور بيت المقدس ثلاث مرات ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل" (خر: 23/34). وبما أنه لم يعد الهيكل ولا المعبد موجوداً فإنهم يحجون إلى حائط المبكى، كما أنهم لم يتقيدوا بتعاليم التوراة فاليهود ذكوراً وإناثاً يحجون.يقول د. شلبي :"إن كل يهودي رشيد يتحتم عليه أن يزور"بيت المقدس"مرتين في العام، وأن يبقى أسبوعاً كل مره ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة" (انظر: مقارنة الأديان اليهودية. أحمد شلبي. ص21. وانظر: العبادات في الأديان السماوية: عبد الرزاق الموحى. ص117).

(6) نفسه: نفس الصفحة.

النصرانية مجازاً(1)؛ لأن اليهود اقترفوا إثماً؛ فطردهم الرب من فلسطين إلى منفاهم ببابل، وعندما أنكروا أن عيسىυ هو المسيح المنتظر؛ نفاهم الرب للمرة الثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى الأمة اليهودية إلى الأبد؛ لذا ليس لهم مستقبل قومي جماعي مطلقاً، ويمكنهم كأفراد أن يجدوا الخلاص الروحي باعتناقهم النصرانية، كما أن نبوءات الكتاب المقدس المتعلقة: بعودة اليهود إلى فلسطين أولت الأولى: على أنها العودة من المنفى ببابل إلى فلسطين على يد قورش بالقرن(6 ق. م)، وقد حدثت وانتهت. والثانية: على أنها تنطبق على إسرائيل الجديدة أي: الكنيسة النصرانية التي تعتبر الوريث المباشر للديانة العبرية، وبناءً عليه: «كانت أوربا تنظر لليهودي إن كان مختاراً من الرب لشيء فهو مختار للعنة، والطرد، وأنهم مارقون، وقتلة المسيح، ولم يكن بينهما ذرة حب، أو عاطفة، أو أي ميل نصراني للمجد القديم للجنس العبري، ولم تكن أي بارقة أمل لإعادة بعث اليهود روحياً، أو قومياً، ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين، كانت الصهيونية النصرانية غائبة تماماً عن أوربة العصور الوسطى، وكانت إسرائيل تعني مجرد اسم ديانة سابقة، وانتهت من الوجود، ولم يبقى لها أي كيان، أو قومية»(2).

كما هو واضح أن الموقف سلبي، وسيئ للغاية، وهو ما أفرز على مدى قرون العداء، والتناحر، والحروب السجال بينهما. ويتضح بجلاء بطلان المزاعم، والدعاوي الصهيونية بالاصطفاء، والاختيار، وتميز الجنس، وأرض المعاد.

نهاية العصور الوسطى، وبداية العصر الحديث:

عندما سقطت غرناطة من يد المسلمين بنهاية القرن الخامس عشر عام (1492م)(3)، أنشأت الكنيسة الكاثوليكية محاكم التفتيش؛ للفتك بالمسلمين، واليهود معاً، وكل من يتصدى لها، أو يعارض آراءها، وقراراتها، وإن كان من النصارى أنفسهم، عامة، أو علماء، أو رجال دين، فإما القتل، والتعذيب، والمطاردة، والسجن، وحرق الكتب(4)، والمؤلفات الدينية والعلمية(5)، وإما الدخول بالإكراه في النصرانية (الكثلكة)، والرضوخ لآراء رجال الكنيسة،... وأصبح هناك تياران معاديان للكنيسة:

الأول: من اليهود الذين انقسموا إلى فريقين: 1- المتنصر مع بقائه على دينه (تقية): مخافةً من شر الكنيسة، وحفاظاً على روحه. 2- الذين هاجروا إلى شمال أفريقيا، وتركيا، وأوربا، حاملين معهم ثرواتهم العلمية، والمالية التي جمعوها من حاضرة الأندلس الإسلامية، عاقدين العزم على تسخير هاتين الثروتين كقاعدة لتأسيس التغلغل اليهودي في أوربا؛ للانتقام من العدو اللدود الدين، والشعب النصراني؛ ولاختراق كنيسة روما، وضربها في أعماقها خاصة ـ وهو ما سنبسطه لاحقاً بإذن الله -

الثاني: من أبناء جلدتها الذين أثارت حفيظتهم بمنهجيتها، وهمجيتها، وتصلبها في آراءها حيث ظهرت منهم حركات، واعتراضات، ودعوات عدة تزعمها عدد من اللاهوتيين، انقسمت إلى مرحلتين:

أولاً: حركات الإصلاح في العصر الوسيط:

1- جون ويكلف (1320– 1384م): مصلح ديني إنجليزي، سبقت حركته إنشاء محاكم التفتيش بما يقرب القرن والنصف، وكانت المعتمد والمنهل التي سارت عليه سائر الحركات الإصلاحية الأخرى من بعده، ونادى إلى أن علاقة البشر مع الله لا تحتاج إلى وسيط، والإنجيل هو المرجع الوحيد للعقيدة الدينية، وأن المسيح لم يقصد بدعوته جمع الحواريين والأساقفة للأموال والثروات...وعن رجال الكنيسة قال أنهم: «يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة، وينهبون أموالهم،... وبأنهم نهابون، خبثاء، ثعالب ماكرة، شياطين، قردة..»(6)، وخطأ التسليم بأن الآثار الدينية المقدسة مقدسة، وقال إن القول بهذا لا يصح، وأن الحج إلى هذه الأماكن غير ضروري، ولا ينال زائرها أي صلاح، وأن رعاة الكنيسة لا يستطيعون جعل الأنفس تنال الخلاص بمجرد قيامهم بخدمة الأسرار المقدسة في الكنيسة، كالعشاء الرباني والقربان، وترجم الكتاب المقدس للإنجليزية؛ ليتمكن الناس من فهم أمور دينهم بأنفسهم، وقراءة كتابهم بلغتهم، ثم بعث رجالاً لأنحاء البلاد؛ لينشروا تعاليمه وآراءه، وقد عرفت فرقته باللولردية: وهي كلمة هولندية تعني: الدوي الطنين، وفي عام (1384م) دعاه البابا أربان السادس للمثول بين يديه في روما فامتثل، إلا

---

(1) كانت الكنيسة الكاثوليكية تقصر تفسير الكتاب المقدس على رجال الدين الذين يفسرونه بالأساليب التقليدية: إما على المجاز، أو بالتفسير الرمزي.

(2) الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص28. وانظر: هيكل سليمان الوطن القومي لليهود من عوالم الماسونية. يوسف الحاج. ص94و 104. مطبعة مختارات. لبنان. بيروت (ط2: 1998م).

(3) نهاية القرن الخامس عشر: عده معظم المؤرخين نهاية العصور الوسطى، وبدايات العصر الحديث.

(4) كانت تحرق كتب الدين اليهودي التوراة والتلمود وغيرها.

(5) كانت تحرق مؤلفات العلماء الذين يخالفون بآرائهم آراء الكنيسة ككتب جاليليو القائل بدوران الأرض.

(6) الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1973.

أن المنية وافته قبل أن يصل لروما. وانتشرت دعوته عن طريق القساوسة الفقراء(1).

2- جون هس (1369– 1415م): أستاذ بجامعة براغ في بوهيميا، وصلته دعوة معاصره ويكلف، وكان أول المتجاوبين معها، وجعل يلقي تعاليم ويكلف بمحاضراته، ويشرح آراءه للطلبة بالجامعة، حتى انقسمت الجامعة أعضاء وطلبة إلى فريقين،... وصدر بحقه حكم بالحرق حيا حيث نفذ الحكم أمام الشعب. وطريقة الحرق المأساوية هي التي أشعلت ثورة الحركات الإصلاحية بأوربا من بعده، وسرت دعوته بعد موته في معظم دول أوربا(2).

ثانياً: حركات الإصلاح في العصر الحديث:

أطل العصر الحديث بمزيد من الحركات الإصلاحية على يد عدد من الدعاة، وهم: اراسيموس(3)، وزونجيلي(4)، ثم ظهرت وتبلورت فكرة الدعوة على يد زعيم الحركة الإصلاحية البروتستانتية مارتن لوثر، فما هو أساس حركته ودعوته التي غيرت مجرى التاريخ الأوربي الديني؟

1- مارتن لوثر (1483: 1546م): كان لوثر راهباً، ومصلحاً، وأستاذ علم اللاهوت بجامعة وتنبرغ بألمانيا، وعى حركة هس وما آل إليه أمره المأساوي، وعايش كغيره من المصلحين انحطاط، وفساد الكنيسة الكاثوليكية، وأعمل فكره في معتقداتها، ومبادئها، وانحرافاتها، واحتج عليها في خمس وتسعين(5) مسألة علقها على باب الكاتدرائية عام (1517م)، نصفها كان احتجاجاً على صكوك الغفران، وسلطان البابا، ورجال الكنيسة...، وقبول التوبة، وعقيدة التبرير بالإيمان(6)، وتحريم زواج الرهبان الاكليروس(7)، أطلق على حركته اسم البروتستانت أي: المعترضون، أوالمحتجون، وانتشرت دعوته في أوربا كلها. ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية (اللغة الوطنية)؛ ليتمكن العامة من الناس فهم نصوصه. وسُمي أتباعه باللوثريين، والإنجيليين، والإنجيليكيين نسبة إلى القول بسلطان الإنجيل، وكنيسته: الكنيسة اللوثرية، أو الكنيسة الإنجيلية.

---

(1) انظر: نفاق اليهود: مارتن لوثر. ص54: 55. ترجمة: عجاج نويهض. دار الفكر. بيروت (ط1: 1974م).

(2) انظر: نفسه: ص28: 33.

(3) اراسيموس (1469-1536م): راهب كاثوليكي هولندي، أستاذ، وعالم في العلوم الإنسانية المقابلة لعلم اللاهوت، عاصر مارتن لوثر، ومات قبله بعشر سنوات، واختلف معه في بعض المسائل اللاهوتية (انظر: نفاق اليهود: لوثر. ص35).

(4) زونجيلي (1483-1531م): راهب ومصلح ديني سويسري، تابع حركتي "ويكلف"، و"هس"، وأيدهما قلباً وقالبا، وقاوم الطقوس الكنسية الكاثوليكية، وندد بالكنيسة واستخدامها الصور والأيقونات، ولم يقر امتناع الاكليروس عن الزواج، وناهض البابوية والرهبانية، وشدد على مسئولية الفرد عن معتقده، واختلف في هذه المسائل مع لوثر، وأيدته السلطة المدنية في سويسرا، وقتل في الحرب الأهلية التي وقعت بين جماعته والكاثوليك، وهُزم رجاله. واتحد مذهبه بمذهب كالفن المصلح الذي جاء لسويسرا من بعده وانتشرت تعاليمهما في معظم أوربا (انظر: نفاق اليهود: لوثر. ص47. وانظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر: أديب سلامة. ص15).

(5) من قضايا مارتن لوثر الـ(95) التي احتج بها على الكنيسة:

1- أن المسيح أراد بقوله "توبوا"، أنه يجب على كل مؤمن أن تكون كل سيرته توبة راسخة.
2- أن تلك الوصية لا تعني سر التوبة، أي: الاعتراف للكاهن، ولا القيام بقانون يضعه الكاهن.
3- أن ربنا لم يرد بذلك مجرد التوبة الباطنة، فإن هذه باطلة ما لم ينشأ عنها في الخارج إماتة الشهوات الجسدية المحظورة.
4- أن التوبة والندم أي: الوفاء الحق يدومان ما دام الإنسان مغتاظاً من نفسه. إلى أن ينتقل إلى الحياة الأبدية.
5- أن البابا لا يقدر ولا يريد أن يرفع قصاصاً إلا ما أمر بهِ من تلقاء إرادتهِ أو ما وافق القوانين اعني الفرائض البابوية.
6- أن البابا لا يستطيع أن يرفع دينونة، إنما يعلن ويثبت عفو الله إلا في الأمور المختصة بنفسه.
7- أن قوانين القصاصات الكنسية تجري على الأحياء، ولا علاقة لها بالموتى.
8- أن رسل الغفران يضلون بقولهم أن الغفران البابوي ينقذ الإنسان من كل قصاص فيخلص.
9- أن سلطان البابا على المطهر في كل الكنيسة هو نفسه لكل أسقف في أبرشيته، ولكل خوري في رعيته.

(انظر: المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه: د. حنا جرجس الخضري. ص69: 70. دار الجيل. القاهرة (ط1: ب)).

(6) نادى بعقيدة التبرير بالإيمان التي ظل الاعتقاد سائداً بأن مؤلفها لوثر، العالم الفرنسي:لامفرد تابل قبل خمس سنوات من تعليق لوثر الـ(95) مبدأ على باب الكاتدرائية، تفسيراً لرسائل بولس الرسول عام(1512م) ، ودعا هذا التفسير بروتستانتياً، لأنه نادى بوضوح وصراحة معارضاً الكنيسة الرومانية وداعياً لإصلاحها بمبدأين هامين هما: سلطان الكتاب المقدس المطلقة، ثم عقيدة التبرير بالإيمان. (انظر: الخضري: حنا جرجس، جون كالفن حياته وتعاليمه. ص:27).

(7) نادى بزواج الرهبان والكهنة العالم الإنجيلي الأول بستراسبورج "متى زل"، الذي تجاوز الستين عاماً عند وصول كالفن إليها، إي قبل نشر لوثر لتعاليمه الـ(95) بعامين (انظر: جون كالفن حياته وتعاليمه: د. حنا جرجس الخضري. ص74).

ويعنينا من جملة احتجاجاته ما يخص موضوع الدراسة، وهو موقفه إزاء حل مسألة اليهود، والذي اتفق عليه جُل الكتاب، ووسائله التي أنتهجها لتحقيقها وهي:

- إدانة اضطهاد الكنيسة لليهود، معللاً بأنهم والنصارى ينحدرون من أصل واحد.
- لوم البابوات على تحريفهم الدين النصراني، وصدهم لليهود عن اعتناقه.
- نصح النصارى بالتلطف في التعامل مع اليهود، وتعليمهم الكتاب المقدس؛ لضمان مجيئهم إلى النصرانية، ودخولهم فيها طواعية، أما في حال استخدام العنف، والوحشية معهم فلن يُتوقع منهم الخير، ويرغموا على التعامل بالربا، فإذا أردنا أن نجعلهم خيراً مما هم فيه، فليعاملوا وفق قانون المحبة النصراني، لا وفق قانون البابا.
- شروعه في التأليف حول القضية، وقد قسم الباحثون مرحلة كتابته عن اليهود إلى فترتين متمايزتين:

الأولى: بدايات دعوته عندما كان صديقاً حميماً لهم، ومتحمساً إلى تنصيرهم، فأصدر كتابه الأول: عيسى ولد يهودياً عام: 1523م، شرح فيه المواقف المؤيدة لليهود، وكانت الركيزة التي بنى عليها أفكاره بادئ الأمر، ومنها:

صدق النبوءة الواردة بالتوراة حول إنقاذ إسرائيل كأمة بأنها ستتحقق على أرض الواقع، وأن اليهود كلهم سيتحولون إلى النصرانية البروتستانتية، ويؤمنون بعيسىυ آخر الزمان، أي أنه أول من قرر مسألة البعث اليهودي، فأكد فيه القول بأن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، وأنهم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ومنها تسربت إلى العقيدة النصرانية، واخترقتها أفكار، وأدبيات يهودية خطيرة ضربت العقيدة الكاثوليكية في الصميم تدور حول ثلاث نقاط رئيسة:

أ ـ أن اليهود هم شعب الله المختار، والشعب المقدس.

ب ـ أن ثمة ميثاق إلهي يربط بين اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين.

ج ـ ربط الإيمان النصراني القائل بعودة المسيحυ بقيام صهيون، أي بتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم، وهكذا تغلغل اليهود في قلب الكنيسة الكاثوليكية؛ ليتم تهويد النصرانية، وتطعيمها بجرعات كبيرة من المعتقدات اليهودية تحت اسم ومظلة البروتستانتية(1).

وترتب على ذلك الآتي:

1- أن العهد القديم أصبح المرجع الأعلى لفهم العقيدة النصرانية وبلورتها. وفُتح باب تفسير النصوص للجميع؛ ـ كأفراد ـ لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود بعد أن كان مقصوراً على رجال الدين بالكنيسة. «علماً أن الكنيسة البروتستانتية اضطهدت وقتلت وعذبت وأحرقت كل من يخالف آراءها مثلها في ذلك مثل كنيسة روما الكاثولكية، ورفضت فهم العامة والعلماء للتفسير الحرفي وقصرته على رجال اللاهوت منهم»(2).

2- اعتبار اللغة العبرية هي اللغة الأم، والمعتمدة للدراسات الدينية باعتبارها اللغة التي نزل بها الوحي والتي خاطب بها الرب شعبه.

وسبق أن ذكر ما كان شائعاً من أفكار حول اليهود في العقلية الكاثوليكية في العصور الوسطى، وقبل الإصلاح؛ ممّا عكس الأفكار رأساً على عقب.

الفترة الثانية: لكتابات (لوثر) عن اليهود: عندما أصيب بخيبة أمل شديدة، لما نمى إلى علمه من أنباء ذائعة مفادها: أن اليهود يجمعون أنصاراً لعقيدتهم من خلال حركة النصارى المتشددين مارتن،

---

(1) انظر: مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله: عادل المعلم. ص90. مكتبة الشروق الدولية. بيروت (ط1: 2005م). وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص33. وانظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص46. وانظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر: أديب سلامة. ص13: 14.

(2) مثال على ذلك: 1) الحكم بحرق الطبيب ميشيل سرفه حيا، مؤلف كتاب: إرجاع المسيحية إلى أصلها عام:1553م، ومكتشف مرور الدم بالرئتين، لفخالفته آراءه كالفن ومصلحي عصره، قال كالفن: إذا حضر سرفه إلى جنيف لن أسمح بأن يخرج منها حيا، وأحرق سرفه حيا أمام الجماهير، بطريقة وحشية وبلا أدنى رحمة. وغيره مع اختلاف الأحكام بين قتل وطرد واضطهاد مثل: برين وفافر، يعقوب جريه، بطرس أمو، برتيليه، جيروم بولسك.... وغيرهم 2) تسمية كنيسته بـ (المشيخية) أي: تعيين رجال من كبار السن لكل منطقة، ليراقبوا سلوك كل شخص من الأشخاص الذين يسكنون فيها، وتدخل حتى في الخصوصيات الدقيقة: كالأكل والشرب واللباس، والضحك، ولعب الورق، وعمل الضوضاء، والرقص، والخلافات العائلية،.... وإرشادهم بلطف للحق، وإن لم يتب ويعود للحق، تضطر الكنيسة بمحاكمته، ومعاقبته بالحرمان من الاشتراك بالمائدة إلى أن يتوب 3) إصدار قرار بنفي كل من لم يقبل العقيدة الكالفينية خارج المدينة 4) إدعاءه أن تفسيره للكتاب المقدس هو التفسير الصحيح والحقيقي، والذي يجب أن يتبع ومن يخالفه في الرأي ليس على حق 5) اعتبر نفسه السلطة الكاملة على البلاد، وأخذ يضطهد ويعذب كل من يخالف آراءه، على اعتبار أنها تعاليم المسيح. (انظر:كالفن حياته وتعاليمه: الخضري. ص95: 115).

وجماعته في مورافيا، فبدلاً من أن يعتنقوا النصرانية؛ أي: أن لوثر كان مجرد معبر استغله اليهود للوصول إلى مآربهم، وهذا ما أثار حفيظته، فأصدر كتابه الثاني: اليهود، وأكاذيبهم عام: 1544م؛ لمواجهة تحدياتهم، وهاجمهم فيه، ورد عليهم بعنف وقسوة بالغي الشدة في اللفظ، والحكم عليهم، وتفنيد سماتهم الخسيسة، ومما جاء فيه: «من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم في يهوذا؟ لا أحد! أننا سنزودهم بكل ما يحتاجونه لرحلتهم، لا لشيء إلا للتخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا»(1).

ومن الآثار المترتبة على حركة لوثر، في الجانبين النصراني، واليهودي:

1- إسقاط دعوى عالمية كنيسة بابا روما، وإنهاء دورها وسلطانها.

2- معادة كنيسة روما الكاثوليكية للبروتستانتية بكل طوائفها، فلم يعد اليهود هم الدخلاء والغرباء، والأقليات الدينية المضطهدة، فقد شاركهم بعض طوائف البروتستانت نفس المصير.

3- إمكانية قراءة الكتاب المقدس باللغات الوطنية لكل دولة.

4- انقلاب المجتمع الأوربي من مجتمع ديني إلى علماني.

5- أصبح من الضروريات في البرامج السياسية السعي إلى التسامح والسلام، بدل الحروب.

6- تجزئة الاتحاد الأوربي الإمبراطوريات والممالك، واستقلال معظم دولها سياسياً ودينياً.

ثم جاء من بعده كالفن الذي أكد ورسخ وزاد على أفكار لوثر، بما يصب في صالح اليهود، واستقل بدعوته... إذًا ما أثر كالفن على الكاثوليكية وما الذي استثمرته اليهودية من دعوته؟

2- جون كالفن(1509: 1564م)(2): يذكر أن كالفن ساهم وبذل جهوداً كبيرة في تهويد الكنيسة البروتستانتية، وأسس فكره البيوريتاني على المغالاة في إجلال الكتاب المقدس، ــ كما يذكر غالب الكتاب ــ واتفق فيه مع لوثر حسب آراءه الأولى: بأن القانون الحقيقي لدولة نصرانية يجب أن يكون بالكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم، وأن اليهود هم خلفاء العبرانيين...، وأخذ بالتفسير الوضعي للنبوءات التوراتية وتشدد فيها؛ لإيجاد تبرير ديني لفكرة الوطن، والتي تفيد بأن: «المسيح سيظهر للمرة الثانية، وأن ظهوره لا محالة حاصل بين اليهود، وفي صهيون، وأنه لابد من أجل ذلك إقامة دولة صهيون، وإعادة تجميع اليهود فيها، حتى إذا ظهر المسيح فإنه يبادر إلى تخليص المؤمنين من العذاب بعد معركة هرمجدون، ويتربع على عرش العالم مدة ألف عام الألفية السعيدة إلى أن تقوم الساعة، فانقسم الناس لهذا التبرير على ضوء المعطيات التي بين أيدينا إلى قسمين: مؤيد، ومعارض ولكن كانت نتيجة الانقسام تصب في هدف واحد كما ظهر لنا:

1 ــ المؤيد للفكرة من الجانب اليهودي، والذي زرعها بمساعدة لوثر أولاً، ودعم كالفن أخيراً؛ لضرب الكنيسة الكاثوليكية أولاً، ولحاجته لوطن يجمع شتاته ثانياً، وهو يعلم يقيناً بسفهها، وتزويرها، وكذبها، فساهم وساعد على تعضيدها.

2 ــ المعارض للفكرة غير المؤمن بها لكنه وجد فيها ضالته للتخلص من اليهود، ومؤكداً لمقولة لوثر: **من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم في يهوذا ؟ لا أحد..!!! إننا** سنزودهم بكل ما يحتاجونه لرحلتهم، لا لشيء إلا التخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا، فكان مد يد المساعدة بمثابة الإسراع بهجرتهم بكل الوسائل الممكنة. وليستثمروا هذا الموقف النبيل منهم لرد المصلحة بمصلحة، وبذا تم ربط الدين بالمصالح الإستعمارية.

ثم ما لبث وأن انتشرت أفكار كالفن في: اسكتلندا باسم (العهديين)، وفي إنجلترا باسم (البيوريتانز) أي: التطهيريين(3)، و(المشيخيين)(4) و(الكالفينية)(5). و(الإيفانجليكية)(1)، وفي

---

(1) انظر: نفاق اليهود: لوثر. ص55.

(2) جون كالفن: يذكر غالب الباحثين والكتاب أنه نصراني من أصل يهودي يعتز بيهوديته، ظهرت دعوته بفرنسا، حيث وصلت له عظات مارتن لوثر فاستهوته، فأصدر على ضوءها كتابه الأول(مبادئ الدين النصراني)، تكلم فيه عن القضاء والقدر، واختلف مع لوثر في هذه المسألة، بينما وافقه في قضية التبرير بالإيمان، وأن استخدام الصور والتماثيل بالكنيسة تشجع على عبادة الأوثان فيجب أزالتها،...، وأن الحكومة المثالية في نظره هي حكومة رجال الدين،...ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الفرنسية ليتمكن الناس من قراءته وفهمه. (انظر: مقدمة كالفن حياته وتعاليمه: الخضري. ص5).

(3) أي الذين طالبوا تطهير البروتستانتية من كل العبادات والطقوس غير الواردة في الكتاب المقدس.

(4) نظام كنسي ترتكز السلطة فيه على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين الاكليروس ، وهو وسط بين النظام الجمهوري والأسقفي، ويدير الشيوخ شؤون الكنيسة الروحية، بينما يهتم الأمناء والشمامسة بالأمور الزمنية، ومجلس الطائفة يسمى مجمعاً، ويليه السنودس، أما المجمع الأعلى فهو المرجع الأعلى في هذا التنظيم، وله سلطة الإشراف على الطائفة، ورئيس المجمع هو المدير العام، والكنائس المشيخية وريثة النظم الكالفينية في العقيدة والنظام. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1706).

(5) نسبة لمؤسسها كالفن.

فرنسا باسم (الهوجونوط)(2)، كما وانتشرت بسويسرا، والمجر، وبولندا، وألمانيا، وهولندا،... ثم أصبحت الديانة الرسمية في أمريكا(3).

ثم بدأت تحركات دولية ساهمت في نضوج الحركة منها:

- انفصال ملك بريطانيا هنري الثامن (1491-1547م) عن كنيسة روما نهائياً بمنتصف القرن السادس عشر ـ رغم كاثوليكيته المتعصبة ـ؛ لإعلان نفسه رئيساً لكنيسة إنجلترا الكاثوليكية(4)، هذا الانقسام الذي أحدثه في كنيسة روما ساعد، وهيأ الظروف للبروتستانتية المنتشرة بأوربا في ذلك الوقت؛ لاقتحام الدين، والحكومة البريطانية وتمركزها فيه على يد ابنه ادوارد السادس، ثم ابنته إليزابيث، التي مهدت للمذهب الإنجيلي بإنجلترا، واستقراره فيما بعد كديانة رسمية نهائية عام(1689م) على يد الملك وليم (1650ـ 1702م)(5) وإلى وقتنا الحالي، ومن إنجلترا ظهرت أول دعوه لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين.
- بنهاية القرن السادس عشر انتشرت الفكرة منها إلى دول أوربا قاطبة، على يد اللاهوتي اليهودي البريطاني توماس برايتمان (1562-1607م)، وقد نشر كتابه الذي روج فيه الفكرة القائلة: إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين؛ ليعبدوه حيث يفضل أن تتم عبادته في هذا المكان دون غيره من الأمكنة.
- تبنى هذه الفكرة من بعده السياسي هنري فينش الذي قال في كتابه العودة العالمية الكبرى، أو دعوة إلى اليهود(6) عام (1621م): ليس اليهود قلة مبعثرة، بل أنهم أمة، ستعود إلى وطنها،...وسيعيش اليهود في وطنهم إلى الأبد، ومنذ القرن السادس عشر أصبحت اليهودية أمة، ورمز للقومية(7). لكنها نداءات لم يكتب لها النجاح.
- في القرن السابع عشر نشطت المطابع بإصدار المؤلفات التي تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين، وبلغت أكثر من(12) مؤلف، تزامن مع ظهور الفكر البيوريتاني، والحركات البروتستانتية الأخرى المساندة مثل: المورمون(8)، وشهود يهوه(9)، والسبتين: الأدفنتست(10) والتي غزت العالم الغربي آنذاك، وشكلت جمعيات مهمتها:

1- الدعوة إلى فكرة قرب عودة المسيح المترتبة على عودة اليهود إلى فلسطين.
2- مساعدة اليهود للهجرة والاستيطان في فلسطين.
3- توجيه نداءات لرؤساء الدول والحكومات البروتستانتية؛ لتسهيل الإجراءات لليهود للحصول على حقهم في الاستيطان في فلسطين(11).

- في عام (1649م) وجه من هولندا الإنجليزيان البيوريتيان: جوانا، وأليننزر كارترايت

=

(1) نسبة إلى الإنجيل وكالفن معاً للتفريق بينها وبين الإنجيلية التابعة للوثر.
(2) لم أقف على معنى لهذا الاسم.
(3) انظر: مقدمة في الأصولية المسيحية: عادل المعلم. ص90. وانظر: نفاق اليهود: لوثر. ص48. وحديث مع جون كالفن: القس لبيب مشرقي. ص14: 15. دار نوربار. بيروت (ط: ب). وانظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر: أديب سلامة. ص13: 14.
(4) أمر بقتل وزيره توماس كرومويل(1485: 1540) بعد اقتراحه له بالزواج من الأميرة آن أميرة كليف، معلقاً آماله علي هذا الزواج ليجذب الملك هنري للبروتستانتية وليلغي قانون المواد الست المناهضة للوثر، فأدين بالهرطقة وقطع رأسه عام(1540م). (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1457).
(5) مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله: عادل المعلم. ص101.
(6) انظر: ائير كاهانا: سيمون. ص11.
(7) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص37.
(8) طائفة نصرانية جديدة نسبياً منشقة عن النصرانية الأم، تدعو إلى تطهير الدين بالعودة به إلى الأصل، أي إلى كتاب اليهود التوراة، ذلك أن المسيح بزعمهم قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد، وليمكنهم من الأرض، مؤسسها: يوسف سميث.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب. ج2. ص638).
(9) منظمة عالمية دينية سياسية، تقوم على أساس سرية التنظيم، وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتدعي أنها مسيحية، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود، وتعمل لحسابهم، وتعرف باسم جمعية (العالم الجديد)، وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية. ج2. ص648).
(10) تسمى بالأدفنست أي: المجئ، وهي جماعة نصرانية ترتكز عقيدتهم على المجئ الثاني للمسيح، وتعتمد على تعاليم "وليم ميلر" 1782-1849م الذي تنبأ بأن نهاية العالم ستكون عام: 1843م ثم قال 1844م، ولما لم تتحقق نبوءته أعلنوا اعتقادهم برجوع المسيح المنظور في زمن غير محدد بعد قيامة الأموات وبداية العصر الألفي.ومن عقائدهم قدسية السبت، وعقائدهم تخالف عقائد النصارى، ولهم أنشطة وفروع متعددة في مختلف دول العالم (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية. ج2. ص1070).
(11) انظر: مائير كاهانا: سيمون. ص11.

مذكرة استرحام للحكومة البريطانية طالبا فيها الحكومة البريطانية من خلال فكرة: البعث اليهودي ــ الأولى من نوعها في تاريخهم، والقائمة على الجهد البشري دون انتظار تدخل العناية الإلهية ــ: أن تساهم بريطانيا في حمل أسرهم إلى فلسطين أرض المعاد التي منحهم إياها الرب إرثاً أبدياً. وأن تقوم بإلغاء قانون الطرد الذي وضعه الملك ادوارد(1) وذلك بالسماح لليهود بدخول إنجلترا. وسارت الفكرتين جنب إلى جنب، أي فكرة عودة اليهود لبريطانيا، ومساعدة بريطانيا لليهود للعودة لفلسطين(2). ــ بعد ثلاثين عاماً من الدعوة السابقة ــ.

● تبنى أوليفر كرومويل (1599-1658م)(3) أول وأهم سياسي بريطاني مذكرة الاسترحام من منطلقات سياسية تحمل مغزى برجماتي فعمل على التقرب منهم بهدف الاستفادة من ثرواتهم الضخمة في التجارة، والمشاريع الصناعية البريطانية؛ مقابل دعم عودتهم إلى فلسطين. فدعا في مؤتمره الذي عقده عام (1655م) في الهوايت هول إلى شرعية عودة اليهود إلى بريطانيا، وإلغاء قانون الطرد الذي أصدره الملك ادوارد. وحضر المؤتمر إلى جانبه العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل(4) الذي ربط بين الصهيونية النصرانية، والمصالح الإستراتيجية البريطانية. ومن هذا المنطلق تحمس كرومويل للمشروع مبكراً. لعدة أسباب تجارية، وسياسية منها:

1. الكسب التجاري فهو الحافز والمحرك الأساسي له، إذ أن الحرب الأهلية (1642م) التي وقعت بين الملك شارل الأول والبرلمان؛ لتوطيد المذهب البروتستانتي الجديد بإنجلترا. ألحقت بها أضرار بالغة، وأثرت على مركزها كقوة تجارية وبحرية عظمى.

2. المنافسة الشديدة بين إنجلترا وألمانيا، حيث كان يشعر التجار الإنجليز البيوريتانتين بالغيرة الشديدة من التجار الألمان الذين وجدوا فرصة سانحة للسيطرة على الطرق التجارية للشرقين الأدنى(5) والأقصى(6).

3. اتساع واشتهار نفوذ التجارة الألمانية عالمياً مع بداية القرن السابع عشر.

4. معرفة إنجلترا التامة بأن لدى كل دولة جماعة من اليهود مهمة ومعروفة ومشتهرة بثروتها ومواهبها التجارية وقيامها بعقود أعمال خارج البلاد.

5. استثمار رؤوس الأموال الضخمة التي سيجلبها اليهود معهم ــ فيما لو عادوا لإنجلترا ــ في الصناعة الإنجليزية.....وغيرها لإنعاش الاقتصاد الانجليزي.

6. المكاسب العظيمة التي تعود على إنجلترا في حال موافقتها على طلب إلغاء قانون الطرد منها:

أ ــ إسداء التجار اليهود خدمات جليلة لإنجلترا، بمختلف المناحي...رداً لجميل قبولها الاسترحام.

ب ــ استخدام اليهود كجواسيس لتزويدهم بالمعلومات المهمة عن الأعداء والسياسات التجارية للدول المنافسة لهم، ولجمع المعلومات عن المؤامرات التي يدبرها أنصار الملكية في الخارج، بفضل اتصالاتهم وتنقلاتهم بأوربا للتجارة، فسمح لهم بالعودة إلى بريطانيا، غير أنه لم

---

(1) قرارات الطرد والنفي التي صدرت بحقهم من دول أوربا:1) طردوا من إنجلترا عام:1290م، ولم يسمح لهم بالعودة إلا عام:1655م، 2) فرنسا عام: 1182م، 1306م، 1394م، 1682م،....سبع مرات، 3) من المجر عام:1360م، 1582م 4) من بلجيكا عام:1370م 5) من تشيكوسلوفاكيا عام:1380م، 1562م، 1744م 6) من النمسا عام:1420 7) من لوتانيا عام:1495م 8) من هولندا عام:1444م 9) من البرتغال عام: 1492م 10) من أسبانيا عام:1492م، 11) من إيطاليا عام:1540م 12) من مملكتي نابولي وساردينيا عام:1540م 13) من بافاريا بألمانيا عام:1551م 14) من روسيل عام:1510م 15) من أوكرانيا عام: 1919م 16) الدنمارك لم يسمح لهم بدخولها إلا في أواخر القرن السادس عشر، والنرويج،لم يسمح لهم بدخولها إلا بعد عام: 1814م. (انظر: فضيحة التلمود: عابد الهاشمي. ص133. مؤسسة الرسالة. بيروت (ط1: 2000م).

(2) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص55. وانظر: أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية بأقلام عربية: محمد السماك. ص166. دار المحجة البيضاء. بيروت (ط1: 1424هـ).

(3) زعيم الحزب البرلماني، ورئيس جمهورية (الكومنولث) البيوريتاني بإنجلترا، حكم البلاد مع كبار قواد الجيش حكما دكتاتورياً، ولكنه رفض أن يتوج ملكاً.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص237: 1457).

(4) من دعاة المسيحية اليهودية اليهود، وكبير حاخامات أمستردام. المؤيدين للدعوات البيوريتانية الإنجليزية لإعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا والذي ربط بذكاء في كتابه "أمل إسرائيل" بين مسيحية الإنجليز والمسيحية اليهودية الحقيقية،كما ربط بين التفكير اللاهوتي والسياسة العملية. (انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص56).

(5) الشرق الأدنى: يمثل الدول الأقرب إلى أوربا الغربية، وهي الدول الواقعة على البحر الأسود وفي غربي الأناضول. منها: اليونان، البوسنة والهرسك، رومانيا، هنغاريا، بلغاريا، مولدافيا، مقدونيا، ألبانيا..

(6) الشرق الأقصى: منطقة أبعد نسبياً عن أوربا الغربية، وتقع على المحيطين الهندي والهادي. ويتكون الشرق الأقصى حسب المشروعات الاستعمارية من: الهند، منغوليا، اليابان، أستراليا، نيوزلندا، جنوب شرق آسيا. (انظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص15).

يدعم عودتهم فعلياً إلى فلسطين إلى أن مات، وبموته ضعفت أهمية العبرية في الحياة الإنجليزية(1).

أما الناحية الدينية، وقضية بعث اليهود فلم تشغل بال كرومويل مطلقاً، ولم يلق لها اهتمام؛ لأن جل اهتمامه كان مُنصب على جمع اليهود في إنجلترا، لا في صهيون؛ ذلك أن إنجلترا في عهده لم تكن أمبرطورية بعد(2)، فأهدافه تجارية اقتصادية بحته لا استعمارية(3)، ولم يعي كرومويل مدى الخطر، والخطأ الفادح، الذي جناه على بلاده بإلغاء قانون الطرد، والسماح بدخولهم وما عانته وبذلته حكومته من بعده، من جهود مضنية للتخلص منهم مرة أخرى، ولم تفلح حتى اليوم.

● بعد أن تمكن اليهود من إحكام القبضة على بريطانيا، طالبت مجموعة اللفلرز(4)، الحكومة البريطانية أن تعلن التوراة دستوراً لها. وهذا بلا شك شكل أخطر المطالب، ولفت الانتباه إلى المطامع اليهودية. مما حدا ببريطانيا اتخاذ موقفها الصارم تجاه مسارعة دعم هجرة اليهود من بريطانيا إلى فلسطين(5). خوفاً من إحكام سيطرتهم على القرار، والدستور البريطاني، ومن ثم قلب الحكم.

● في أواخر القرن الثامن عشر تكثفت الدعوات، وعلت وتيرة النداءات البريطانية لليهود بالعودة إلى أرض المعاد، وظهر كم من المؤلفات بهذا الصدد منها عام (1787م) رسائل إلى اليهود، ونداء إلى اليهود لجوزيف برسلي، وخطاب ودي لليهود، وعلامات الأزمنة عام (1794م)، للكاتب الكاهن جيمس بيشنو، وفي هذه المرحلة على وجه الخصوص صرحت بريطانيا بأهدافها السافرة في مساندتهم، على أنها خدمة للمصالح الاستعمارية الإمبريالية البريطانية(6). فامتزجت بذلك المصالح السياسية بالدينية وذلك للآتي:

ـ للمنافسة الشديدة بينها، وبين ودول أوربا الأخرى، لاسيما ألمانيا، أثر سيطرة الأخيرة على الطرق التجارية للشرقين الأدنى والأقصى، وكان التصريح تعبيراً صارخاً معبراً عن الفكر الأيديولوجي الإمبريالي الاستعماري البريطاني آنذاك.

ـ تشكل، وتبلور الفكر الإمبريالي، أثر تحولها من جمهورية إلى إمبراطورية، وتُعد هذه المرحلة من أهم مراحلها في التطور، والصعود الاستعماري، كما شكلت بدايات توسع إمبراطوريتها نحو الشرق الأدنى. والرامية إلى عمل انتشار موسع على شكل استعمار إجلائي كسابقه في بلدان العالم الجديد(7)، وبعض بلدان أفريقيا، وآسيا.

ـ تزامن مع الحركة الاستعمارية نشاط الحركات الجغرافية الاستكشافية، وكانت الإمبراطورية البريطانية كغيرها من دول أوربا تنافس وبشدة، وتسعى لتأمين طرق تجارتها مع الهند، ومع مستعمراتها في الشرق، مستهدفة التحكم في عقدة المواصلات العالمية دول البحر الأبيض المتوسط.

وبناءً على ما سبق تولدت عن القريحة البريطانية فكرة تهجير يهود أوربا من أوطانهم؛ لتوطينهم في فلسطين؛ـ كما ذكرنا سابقاً ـ قبل أن تظهر الصهيونية كحركة سياسية منظمة تسترعي انتباه أياً كان، وذلك قبل أكثر من قرنيين من الزمن بمعنى أنها طرحت من قبل غير اليهود في الدوائر الاستعمارية أولاً ثم تشبث بها بعض اليهود، ولكن كيف بلورت الفكرة، وأعلنت عن نفسها؟!!

يذكر الباحث سيمون في مؤلفه مائير كاهانا: « انبثقت الفكرة بإعلان سافر عن حاجة الإمبراطورية البريطانية إلى مشروع استيطاني إحلالي، أسوة بغيره من المشاريع التي تشكلها في بلدان العالم العربي الجديدة يؤمن لها التحكم، والسيطرة على الطرق التجارية الهامة التي تؤدي إلى السيطرة، والنفوذ في المنطقة العربية بالشرق، ولما كانت المنطقة العربية إحدى مناطق العالم القديم الذي لا يخلو من السكان، والحضارة لا كبلدان العالم الجديد بأمريكا، فقد تم التطلع إلى استعمار من نوع خاص ومسوغ، ومقبول »(8)،... وكان لابد من توافر أربعة أركان لإنفاذه:

---

(1) انظر: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي. ريجينا الشريف. ص:57: 58. وانظر: مائير كاهانا. سيمون. ص11.
(2) تشكلت الإمبراطورية الإنجليزية عام (1689م) (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص237. وانظر: مقدمة في الأصولية المسيحية: المعلم. ص105).
(3) الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص57: 59. وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص39.
(4) وهي مجموعة جمهورية متطرفة من البيوريتانتين.
(5) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص38. والصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص53.
(6) مائير كاهانا: سيمون.ص11: 12. وانظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص57: 64.
(7) مستعمراتها الـ13 بالولايات المتحدة الأمريكية.
(8) انظر: ص9

1. المبرر القوي لاختيار الأرض العربية التي سيقع عليها الاختيار.
2. الأرض.
3. الشعب المستوطن المحتل.
4. الهدف الاستراتيجي الوجيه الذي يخدم أهدافها الاستعمارية، وتفتقت الذهنية الاستعمارية البريطانية على استيطان اُختير له (فلسطين) كأرض، و(اليهود) كشعب، و(الدين) كمبرر، و(الموقع الاستراتيجي الهام) كهدف سياسي استعماري وجيه وقوي.

والسؤال لماذا اختيرت فلسطين كأرض؟ واليهود كشعب؟ وما علاقة الدين بالاستعمار؟، ذلك له عدة أسباب وظواهر ــ خلاف الأغراض السياسية المحضة ــ من وجهة نظرنا منها:

1. أن الأمة العربية أمة أبيَة ولها حضارة، وتاريخ لآلاف السنين مما يصعب معها اقتلاعها من جذورها وإجلاؤها ــ كما فعلوا في المستعمرات الأمريكية الجديدة ــ ولا مسوغ لذلك من أي وجه في الشرق، مع ما يمكن أن تعرض له إمبراطوريتها من الأخطار، لاسيما وأن الإمبراطورية العثمانية الخلافة الإسلامية كانت في أوج قوتها وعظمتها، ويمكن أن تكتسح بريطانيا، سيما وأن الجيوش العثمانية وصلت في ذلك الوقت إلى المجر.
2. كان اليهود يشكلون خطراً حقيقياً على بريطانيا، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً...
3. استمرار الهجرة اليهودية لبريطانيا مع عجزها عن إيقافها، أو حدها، مع ما صاحب هجرتهم لها من اضطرابات، وحالات شغب، وقلاقل، وفتن.
4. كان معروف لدى غالب شعوب أوربا بعد حركة الإصلاح وترجمة الكتاب المقدس باللغات الوطنية، والسماح للأفراد بتفسير نصوصه على ظواهرها، وحسب مفهوم كل فرد للمعني، وللفكرة الشائعة، والمزورة، والمحرفة في التوراة بأن الله عز وجل أعطى لإبراهيمυ أرض كنعان فلسطين إرثاً، وملكاً أبدياً له، ولنسله من بعده. هذه الفكرة هي التي تلقفها الاستعمار انطلق منها، وفسرها حسب رغباته، واستغلها أسوأ استغلال، وروج لها على ثلاثة اتجاهات:

<u>الاتجاه الأول</u>: أخذ يُحرض شعبه، ويؤلبهم عليهم، ويتحرش بمشاعر الناقمين منهم على الوجود اليهودي، سيما المتضررين مباشرة، ويحرك الساسة والمفكرين، ووسائل الإعلام؛ لتبني الفكرة وتدويلها إعلامياً بالكتابة، والتحليل.

<u>الاتجاه الثاني</u>: قام على تحريض حاخامات، وعلماء، ومفكري اليهود لقبول الفكرة، وتأجيج مشاعر الغربة، والآلام التي عانوها، وعاشوا مرارتها ردهاً من الزمن، وتلمس الجوانب النفسية الحساسة لديهم، وكيل الوعود بقرب النهاية السعيدة، والاستقرار، والأمان، والحكم الذاتي في وطن الآباء.

<u>الاتجاه الثالث</u>: صد كل رد فعل مناوئ للفكرة، وهم الغالبية العظمى، والأخذ بالرأي المناهض، وهم القلة التي لا تكاد تذكر، وادعى لقلب الموازين كثرة الراغبين بالهجرة، فصنع من القليل الكثير، ومن الكثير القليل، وشرع في تجيشهم، وإعدادهم سياسياً، وإعلامياً، وفكرياً إعداداً لها،...مع الأخذ بالاعتبارات السياسية التي تأخذ مجراها الشكلي،...كل ذلك ليجعل له مبرر ديني، وأرضية، وقاعدة راسخة يمكن أن تطأها قدمه، وما فتئ ينادي، ويكرر النداء إلى أن أصبحت فكرة أرض المعاد فكرة دينية مقبولة، وواقعية بالنسبة لثلة من يهود العالم، وعلى جميع الأصعدة المحلية، والعالمية، منذ ذلك اليوم، وإلى وقتنا الحاضر، فكذبت بريطانيا، وصدقت نفسها، وتلقفت الصهيونية اليهودية الفكرة بالترحاب، وسرت في عروقهم. ومن هنا حققت الركنين الأول والثاني (المبرر الديني، والأرض).

بقي أن نسأل لماذا وقع الاختيار على فلسطين دون بلاد العالم التي تم اختيارها من قبل زعماء صهيون الأوائل؟! بلا شك: إنها الأرض التي هُزم فيها الصليبيون أشد، وأنكل هزيمة على يد المسلمين، والأهم من ذلك موقعها الاستراتيجي المهم الذي: يربط بين الشرق، والغرب، ويؤمن الشروط الإقليمية المطلوبة للغرض الاستعماري. وإلى هنا يكون قد اكتمل جزء من التصور الأيديولوجي الإنجليزي (أهداف منطقية للاستعمار، وأرض موعودة، ومبرر ديني مقدس لا يقبل النقض). فماذا بعد ؟!!

حلت بريطانيا ثلاثة إشكالات رئيسة تقف عقبة لإنفاذ خططها الإمبريالية، ورسخت ثلاثة أركان، ولكن بقيت المشكلة الأم، والركن الأهم. فمن هم الشعب المستَعمر؟ إذ كيف لها إرسال أبناء جلدتها البريطانيين البيض الشعب الآري المتقدم على سائر الشعوب لأرض فلسطين القاحلة،ــ وإن كانت مأهولة بالسكان ــ؛ لاحتلالها وإجلاء شعبها ذي التاريخ الموغل في القدم. ووفق النظرية الإمبريالية التقليدية منها والحديثة؟ لاسيما وأن الدوافع والرغبة لدى شعبهم البريطاني معدومة، وهجرات البريطانيين الطبيعية الفردية الطوعية والتلقائية تتجه بلا ريب لبلدان العالم الجديد أمريكا بأهداف اقتصادية بحته، وفق تنظيم سياسي محض تنظمه وتروج له البلدان الاستعمارية، وتدعمه، وتساعد على استمرار تدفقه؛ لبناء وإعمار المستوطنات بأمريكا، إذ لا فائدة من استعمار أرض بلا وجود لشعب، ومن هنا تفتقت الذهنية البريطانية من جديد لتحصل على مستوطن، محتل، يتبادل معها المنافع بالداخل، والخارج، وتحميه، ويحميها، وتدافع عن مصالحه

ويدافع عن مصالحها، إنه اليهودي، ذلك العنصر الوظيفي الذي طالما حلمت بالتخلص منه، وقد أتيحت لها الفرصة فبدل إصدار قرارات طرد، أو نفي جديدة بحقه، أو إيقاف تدفق هجرته،... يوجه للمكان الأمثل أرض المعاد إلى فلسطين، التي يحقق فيها طموحه ويعلن دستوره، الذي طالما حلم بتحقيقه على أي بقعة من الأرض في العالم. من هنا بدأ الشروع في إشعال فتيل الحماس الديني لدى أبناء هذه الطائفة، وتوجيه أنظارهم لوطنهم الموعود. وبذا اكتملت الأركان الأربعة، وبدأت الفكرة في الانطلاق من التنظير إلى الواقع العملي.ـ وكما ذكرنا سابقاً على نشاطها، وحماسها، ونداءاتها ظلت الفكرة أسيرة في عدد محدود من اليهود أصحاب الأقلام المدسوسة، والمدفوعة الأجر، وغير اليهود من الساسة الحالمين بالاستعمار الإمبريالي، والكارهين للوجود اليهودي في بلادهم، ولم تنضج بعد، لتكون حركة مستقلة؛ لعدم إيمان المعنيين بالفكرة بصدق أساسها التأصيلي الديني، والتاريخي، وإخفاقها.... وجاء فيما بعد قرن من الزمن من أعادها للأذهان وإحياءها ودُعي باب الصهيونية.

تنبهت فرنسا مع بدايات القرن التاسع عشر للتحركات البريطانية، وأدركت أهدافها، ونداءاتها لليهود، فسارعت أثر احتدام الصراع بينهما على الشرق العربي، ورغبتها في السيطرة على مصر، وبلاد الشام؛ لزرع كيان استيطاني في قلب المنطقة يؤمن لها السيطرة الإستراتيجية. وللتخلص في ذات الوقت من اليهود الذين طالما أثاروا الاضطرابات، والفتن، والثورات، وأججوا الشعوب ضد حكوماتهم(1) وقلبوا فرنسا رأساً على عقب، فعلا صوت فرنسا، ونداءاتها ودعواتها لتوطين اليهود في فلسطين كمثيلاتها من الدعوات، والنداءات في بريطانيا، وازداد اهتمامها. إلا أن فرنسا تطلعت لتوظيف المشروع لصالح أطماعها، وخطت خطوات أكثر إيجابية نحو تحقيق الهدف، فدعت إلى تشكيل مجلس للتفاوض مع الإدارة الفرنسية بشأن أرض إسرائيل، وقد وجه نابليون الأول بنفسه نداء ليهود العالم في عام (1799م)، أثناء حصاره مدينة عكا في حملته على بلاد الشام، وكان أول قائد دولة أوربي يدعو اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين، ويدعوهم للانضواء تحت لوائه، فوجه لهم نداء قال فيه: «إن العناية الإلهية أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت العدل رائدي،... يا ورثة فلسطين الشرعيين؛ فدعاهم لمؤازرته طالبا منهم العمل على إعادة احتلال أرضهم، ودعم أمتهم، والمحافظة عليها بعيدا عن أطماع الطامعين، لكي يصبحوا أسياد بلادهم الحقيقيين...»(2) ، وزاد هذا الاهتمام في عهد نابليون الثالث عام (1860م) حيث أصدر سكرتيره كتاباً بعنوان: المسألة الشرقية الجديدة دعا فيه إلى إعادة بناء الدولة اليهودية في فلسطين، تحت الوصايا الفرنسية.

كانت فرنسا تدّعي حماية الأقليات الكاثوليكية في الشرق، وكانت روسيا تَدعي حماية الأقليات النصرانية الأرثوذكسية في الشرق، ولم تكن الدعوة البروتستانتية الإنجيلية قد وصلت للشرق بعد. فكان طبيعياً أن يبحث اللورد بالمرستون (1784-1865م)(3) عن أقلية ما تدعي بريطانيا حمايتها(4)، لاسيما بعد فشلها في محاولات تهجير اليهود من بريطانيا لفلسطين، فلابد من إيجاد مخرج سياسي آخر، وقد ظنت أنها وجدت في اليهود للمرة الثانية ضالتها المنشودة. وتكاملت في نظرها ثنائية المصلحة الإستراتيجية البريطانية مع الصهيونية الأوربية، فما وسيلتها لبلوغ ذلك؟ لا شك توظيف النبوءات الدينية من جديد؛ لتكون مدخلاً إلى تحقيق التكامل السياسي، والديني، فنشطت الإرساليات(5) التبشيرية، والجمعيات البريطانية العاملة على تحقيق الأهداف. وبناءً عليه

---

(1) اشعل اليهود نار الثورة الفرنسية عام (1789م) بالشعار الماسوني اليهودي (حرية، مساواة، إخاء)، ومُولت من كبار شخصيات اليهود. واعترفت بذلك "دائرة المعارف اليهودية" وذكرت أسماءهم، وهم (دانيال أتزج)، و(ديفيد فريد لأندر) من برلين، و(هرز سير فبير) من الألزاس، و(بنجامين جولد سمد)،(إبراهيم جولد سمد) من لندن، و(مورس موكاتا)، وقد كان هدف اليهود من الثورة المبطنة بالشعارات الزائفة القضاء على فرنسا، وتدمير النظام الملكي ومقوماته.. وأكدت كتب التاريخ المعاصرة للأحداث أن الثورة الفرنسية لم يقم بها الفرنسيون لحماية فرنسا، بل قام بها الأجانب الممثلون باليهود، وبتمويلهم المادي، الذي أغرقوا من خلاله فرنسا بالديون ليظهروا الملك في صورة مبذر، وظالم، وأناني....وبذلك يخلقوا فجوه وفراغ كبير بين الملك وشعبه، واستغلت الصحافة والإعلام هذا الخبر، وخلقت فتنة وسارت المظاهرات التي تطالب بقتل الملك.. وسيق الملك لويس إلى المقصلة. كما فتكوا بعشرات الألوف من أبناء فرنسا بطرق "تلمودية" وحشية، وهدمت الكنائس والأديرة، وسلبت أموالها، وصودرت ممتلكاتها (للمزيد انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص586. وانظر:حقيقة اليهود: الرفاعي. ص63).

(2) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى: د. أمين عبدالله محمود. ص15. سلسلة عالم المعرفة. الكويت. (ط1: 1404هـ). وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص43. وانظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص44. وانظر: الصهيوتية غير اليهودية: ريجينا. ص85.

(3) سياسي إنجليزي، عين وزيراً للحربية عام (1809م)، فوزيراً للخارجية عام (1830م)، ثم عين رئيساً للوزراء عام (1855م). (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص217).

(4) يهودية أم صهيونية: عبدالوهاب زيتون. ص109. دار الأصالة. بيروت (ط1: 1411هـ).

(5) عبارة عن حركات دينية نصرانية بروتستانتية سياسية استعمارية، ظهرت أثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام =

شرع بالمرستون عام (1838م) بالتنفيذ الفوري بـ:
- الشروع في إقامة كنيسة بروتستانتية على جبل صهيون في فلسطين للقيام بالدفاع عن الأقليات البروتستانية هناك، مع العمل على نشر الديانة النصرانية عن طريق التبشير.
- تأسيس أول جمعية بريطانية أجنبية تتبنى إرجاع اليهود إلى فلسطين.
- افتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس عام (1838م)، ثم أصدر تعليمات تفيد بتحويل القنصلية إلى حامية لليهود المقيمين في فلسطين، وتتالت المشاريع، والجمعيات، والمنظمات البريطانية الداعمة لهجرة اليهود، واستيطانهم في فلسطين.

استجابة لإلحاح اللورد شافتسبري صاحب شعار وطن بلا شعب لشعب بلا وطن. اختار وليم يونج ليكون أول نائب قنصل بريطاني في القدس، ولتحقيق غرض فرض الحماية المزعوم بعث يونج تقريراً لبالمرستون عن حجم اليهود، وأوضاعهم،... ليشكل منهم أقلية تحميها بريطانيا، وقد جاء في التقرير أن عدد اليهود يبلغ (9690) شخصاً، وأن حالتهم متردية، ويعيشون على المساعدات التي تصل إليهم من الخارج(1)...ـ وذلك لإحكام خطة حماية الأقليات، لتضع بريطانيا يدها على فلسطين بمبرر سياسي قوي ـ وفي نفس العام تلقى بالمرستون مذكرة من وزير البحرية البريطانية هنري إنس يدعوا فيها دول أوربا الشمالية وأمريكا، الاقتداء بقورش(2) وإعادة اليهود إلى فلسطين. ثم أعطى بالمرستون الصحافة الضوء الأحمر للترويج لهذه المذكرة ونشرها وتوظيفها وصبها في قالب المصالح البريطانية، والأقلية اليهودية. ثم نشرت وعلقت عليها الصحف على مدى عام، وبذلك يكون بالمرستون أوجد أرضية ملكية، برلمانية، حزبية، شعبية، لمشروع التوطين. غير أنها للمرة الثانية لم تلاق أي أصداء أو تجاوب عند يهود أوربا، وأمريكا. ذلك أن الصهيونية اليهودية لم تولد بعد. وكانت أولويات يهود العالم إيجاد الأمن، والسلام، والاستقرار، والحرية السياسية والدينية في أوربا وأمريكا، لا الهجرة إلى فلسطين، إذ أنها لم تشكل لهم أي هدف، أو أهمية حتى ذلك الوقت،...، لكن مازال الأمل يسري في عروق الساسة البريطانيين، وبالمرستون على وجه الخصوص، فما دام يهود أوربا الغربية، والولايات المتحدة، لم يعيروا جهوده بالاً، ولم يكن منهم أذناً صاغية، فلابد من وجود حل آخر يسوغ لبريطانيا الاستعمار، فاتجه لمن اعتقد أنهم سيصغون لنداءاته، إنهم يهود أوربا الشرقية، لاعتبارين مهمين يصب الأول في صالح الحماية الدينية البريطانية، والآخر في صالح اليهود أنفسهم وهما:

الاعتبار الأول: التعصب العقدي للنصرانية الأرثوذكسية، وعدم السماح للنصرانية البروتستانتية الإصلاحية من اختراقها.

الاعتبار الثاني: معاناة اليهود في روسيا، ورومانيا، وما كانوا يتعرضون له من الاضطهاد عقب اتهامهم باغتيال القيصر الإسكندر الثاني عام (1881م)، وقيام السلطات الروسية على أثره بحملة ضد اليهود فأصدرت بعد مراجعة لشؤون اليهود في البلاد ما عرف: بقوانين مايو(3). ـ معظم المؤرخين يعدُون هذه القوانين، الدافع الأول لهجرتهم إلى فلسطين، بما يتطابق مع أهداف الفكرة والحركة الصهيونية أساساً، على الرغم من أن عناصر الهجرة الروسية كانوا أكثر قرْباً للتربية الدينية منهم إلى الفكر السياسي(4)ـ.

ولتحقيق بالمرستون آماله أوعز للسفير البريطاني بالقسطنطينية بونسسونبي على إقناع السلطان العثماني بقبول الهجرة: «لما تحققه ـ بزعمه ـ من فوائد اقتصادية، وسياسية

=

السيطرة على هذه الشعوب.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية. ج2. ص665).

(1) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص44. وانظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص45.

(2) قورش هو: ابن الملك أحويروش زوج الملكة اليهودية استير التي أنجبت قورش الذي أمر بإعادة اليهود (أخواله) إلى أورشليم لتجديد الهيكل تحت قيادة زور بابل. (انظر: هيكل سليمان. يوسف الحاج. ص136). وللملكة (استير) سفر خاص بالعهد القديم يذكر طريقة خداع الملك من اليهود وتزويجه استير التي سيطرت على مملكته.

(3) قوانين (مايو) سُميت بذلك: لأنها صدرت في 3 مايو: 1882م نذكر منها:
1. لا يسمح لأي يهودي بالاستيطان في المناطق الريفية في روسيا أو داخل(مناطق الاستيطان)ز
2. من حق السكان الروس في القرى طردهم من قراهم بقرار خاص من رئيس القرية.
3. أي يهودي يغادر قريته لا يسمح له بالعودة إليها ثانية. ولا تجدد عقود الإيجار المبرمة معهم.
4. تحديد أعداد الطلاب اليهود في المدارس والجامعات.
5. لا يسمح تشغيل أي يهودي في المناطق الريفية.
6. لا يسمح لليهود المقيمين في المناطق الريفية باستجلاب أي قريب لهم.
7. إغلاق معبد موسكو وتحريم استخدامه. (انظر: السيف الأحمر. د. جمال البدري. ص83).

(4) انظر: إسرائيل الكبرى: أسعد رزوق. ص38.

للسلطنة»(1)، وفي ظل المحاولات الفاشلة، واليائسة، والتي لم تثمر عن أي مبادرات يهودية جماعية جادة، ــ عدا بعض الأصوات، والنداءات الفردية التي تعلو ثم ما تلبث أن تختفي وتخبو ــ أو إثارة للمشاعر إزاء الوطن ــ المزعوم بريطانياً ــ خلال القرنين الماضيين، ورفضهم مجرد التفكير، أو الإيمان، أو التسليم بالفكرة؛ لمعرفتهم بالحقيقة التي تنطوي عليها الأيديولوجية البريطانية، ورغبتهم الحقيقية بالبقاء بمواقعهم ببريطانيا، وأوربا غير من نهج السياسة البريطانية، وأسلوب دعوتها من المباشرة إلى دعوة تحريضية ملتوية غير مباشرة، تدفعهم للمبادرة بالطلب، لضمان تقديم الطلب، وعدم الرجعة فيه. فوجه تشارلز تشرشل(2) أحد أنصار الصهيونية النصرانية عام (1841م) رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول فيها: «إن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمر ميسور إذا توفر عاملان:

أولهما: أن يتولى اليهود وبالإجماع طرح موضوع العودة على الصعيد العالمي.

ثانيهما: أن تبادر القوى الأوربية إلى دعمهم تحقيقا لهذا الهدف»(3).

وهذه أول دعوة تحريض على الصعيد الصهيوني الأوربي، لليهود، وللقوى الأوربية للتجمع ومساندة المشروع. وشرعت باتخاذ خطوات، وتحركات إيجابية حتى لو لم يصغ اليهود لنداءاتها، أو يتعاونوا لتنفيذ طموحاتها، وهو ما عبر عنه بقوله: «إن الصهيونية ضرورة ملحة لبريطانيا، ولو لم تكن موجودة لكان على بريطانيا أن توجدها وتخترعها اختراعاً»(4).

بمنتصف القرن التاسع عشر بدأت بريطانيا تحركاتها والبحث عن وسائل سياسية بديلة، ذات طابع رسمي؛ لتحقيق أهدافها ولو كان بدون أدنى تعاون من اليهود؛ لتسبق فرنسا بوضع يدها على العالم العربي. تمثلت في تقديم أوساط سياسية بريطانية للملكة فيكتوريا(5)، وإلى ملوك باقي الدول الأوربية البروتستانتية، تدعوهم إلى تجديد بناء الهيكل ــ المزعوم ــ بالقدس، وروجت لذلك كافة وسائل الإعلام البريطاني السمعبصري، واعتبرت المشروع ليس مشروع إقامة، واطمئنان فحسب بل أعلنت بأنه سيكون درة التاج البريطاني(6). ومن هنا نشأت فكرة بناء الهيكل الثالث التي لم تكن في الفكر اليهودي أصلاً، ناهيك عن النصراني.

في عام (1845م) أعد إدوارد متفورد أحد رجال السياسة في وزارة الخارجية البريطانية بمكتب المستعمرات في لندن، مشروعاً متكاملاً لإقامة دولة يهودية في فلسطين، تكون تحت الحماية البريطانية، على أن تُرفع الوصايا عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم، وقال: «إن دولة اليهود ستضعنا في مركز القيادة في الشرق؛ بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا، والتصدي لهم عند الحاجة،... وألمح إلى المزايا الإستراتيجية والأمنية والاقتصادية التي تحققها بريطانيا من جراء إنفاذه»(7).

أعاد وزير المستعمرات البريطانية: جوزيف تشامبرلين(8) أثناء فترة رئاسته بالوزارة ما بين عامي (1895: 1903م) إلى الذهنية البريطانية المخاوف والقلق الشديد إزاء تيار الهجرة اليهودي غير المنظم أو المقيد، والمتدفق بأعداد كبيرة من روسيا ورومانيا واتجاه معظمه لإنجلترا، وأوربا الغربية، والولايات المتحدة. والذي صعّد معه المخاوف على اقتصاد البلاد من حيث منافسة الأيدي العاملة الرخيصة، والوافدة إلى البلاد، للأيدي العاملة المحلية مما قد يسبب

---

(1) تذكر مذكرة بالمرستون إلى السفير لإقناع السلطان العثماني بفسح المجال للاستيطان اليهودي بفلسطين في 1840/8/11م رقم87/390/134:" أن من فوائد الاستيطان الثروة التي سيجلبها المستوطنون معهم تضاعف من ممتلكات السلطان، ولأن ولاء اليهود للسلطان سيقطع الطريق أمام الخطط الشريرة التي يعدها محمد علي (والي مصر) أو خلفه في المستقبل... (انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص45: 46).

(2) أحد رجال الرعيل الأول من الصهيونيين السياسيين غير اليهود، عمل ضابطاً في الحملة البريطانية التي أرسلت إلى سوريا، كان يدعو لتحرير سوريا وفلسطين من تركيا ووضعها تحت الوصايا البريطانية، أما اليهود فهم في نظره مستوطنون وحماة للمصالح البريطانية.(انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص129).

(3) الصهيونية المسيحية: السماك. ص46. وانظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص 129.

(4) يهودية أم صهيونية: عبدالوهاب زيتون. ص111.

(5) ملكة انجلترا (1872: 1901م)، وإمبراطورة الهند،خلفت عمها وليم الرابع، وفي عام (1840م) توترت العلاقات بين إنجلترا ومحمد علي بسبب سياسة بالمرستون العدوانية ضد مصر.(انظر: الموسوعة الميسرة: غربال. ج2. ص1305. وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص46. وانظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص126).

(6) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص39. وانظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص116.

(7) الصهيونية المسيحية: السماك. ص4.

(8) كان اهتمامه منصب على الإمبراطورية البريطانية التي كانت مهمتها القومية أن تصبح مهيمنة كقوة في تاريخ الحضارة العالمية، فلم تكن النبوءة التوراتية تهمه، كما لم يتأثر باعتبارات إنسانية، ولم يكن لديه التزام أدبي نحو: فكرة البعث اليهودي أو شعب الله المختار.(انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص151).

كارثة اقتصادية وعمالية على مستوى البلاد(1).ونتج عن هذه المخاوف تبني تشمبرلين المشروع الصهيوني علانية، رغم أنه لا يحسب على التيار المتطرف من غلاة الصهيونية المسيحية. فعمد إلى دعم، وتحويل المهاجرين اليهود من بريطانيا إلى العريش بمصر، أو أوغندا، أو أي وجهة أخرى سوى بريطانيا. ومن هنا ظهرت على السطح لقاءات تشامبرلين مع هرتزل لاتحاد الأهداف والغايات ووضع الحلول(2) للمسألة اليهودية.

عرضنا لموقف أوربا المتمثل في أهم دولتين بريطانيا وفرنسا، وأهدافهما فماذا عن أمريكا؟ وهي اليد الطولى لإسرائيل ضد العالم العربي، والإسلامي المعاصر.

لم تغب أمريكا عن مسرح الأحداث حيث كانت ترقب عن كثب وتنتظر ما تسفر عنه المناورات بين إنجلترا، وفرنسا رغم كونها مازالت في مراحل الإنشاء والصعود، فقد كتب الرئيس الأمريكي الثاني جون آدمز (1797: 1801م) للصحفي اليهودي مردخاي مانويل عام (1881م) قائلاً: «أنني حقاً أرغب في رؤية اليهود في أرض يهودا مرة أخرى أمة مستقلة». ذلك أن أمريكا كانت ترضخ تحت نير الاضطرابات التي سببها لها المهاجرون اليهود الأوائل الذين حملوا معهم كل ثرواتهم، وموروثاتهم، التاريخية، والثقافية، والبيئية، واللغوية..... وأطلقوا على أبناءهم، ومستوطناتهم، وأحياءهم أسماء عبرية، وتمسكوا بلغتهم العبرية بمدارسهم وجامعاتهم. وكانت أول رسالة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد الأمريكية عام (1642م) بعنوان: العبرية هي اللغة الأم، وصدر أول كتاب في أمريكا كان سفر المزامير، وأول مجلة كانت: مجلة اليهود، وشُيد الكنس اليهودي قبل الكنائس الإنجيلية(3).

مع هذه الإجراءات التي اتخذها اليهود، ومع تزايد أعدادهم، وتزايد مدهم الاستيطاني، الذي بات يقلق الحكومة، ويؤثر على اقتصادها، والذي عجزت معه النداءات والإغراءات الأمريكية من حده، وتغيير مساره؛ لأنهم وضعوا في اعتبارهم أولوية الهجرة إلى أوربا الغربية، والولايات المتحدة لا غير.

يقول الكاتب محمد السماك: « فكان أول تحرك أمريكي في المسألة اليهودية بعد أن ضاق رئيس الولايات المتحدة ذرعاً من الهجرة اليهودية المتلاحقة، وما جَرّت على البلاد من نكبات، فقدم احتجاجاً لحكومة روسيا لسوء معاملة اليهود، ودفعهم للهجرة لأمريكا. لكنه لم يكن احتجاجاً مقبولاً. فإصلاح أمرهم في روسيا غير ممكن، وروسيا لا ترغب في بقائهم، ثم أعلنت أمريكا عدم رغبتها باستقبال المزيد من المهاجرين يهود الروس، ثم ما لبث وأن أخذ رجال الدولة من الساسة، ورجال الدين...، تقديم المقترحات تلو الأخرى للخلاص منهم. وقد بذل القس وليم بلاكستون أبرز دعاة عودة اليهود إلى فلسطين بأمريكا. جهوداً مضنية في هذا السبيل، ووجه النداءات ونظم الخطب، وسخر الإعلام بوسائله، وعقد المؤتمرات ولا من مجيب. مما اضطره أخيراً أن ينفذ عبر منظمته منظمة (الزمالة اليسوعية الأمريكية)، وجمع عدداً من تواقيع كبار الشخصيات بأمريكا من السياسيين، وأعضاء الكونجرس، والقضاة، ورجال الأعمال، والصحافيين....من مختلف أنحاء الولايات المتحدة تأييداً لإقامة وطن قومي في فلسطين. بلغ عدد الشخصيات التي مهرت التأييد (413) شخصية، ورفعت للرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون في 1891/3/5م، ووجد الرئيس في هذه العريضة ضالته المنشودة بعد أن أرقته مختلف الوسائل لوقف التدفق اللامحدود من اليهود إليها. وجاء بلاكستون بالحل، وهو:

لماذا لا نحَوّل اتجاه الهجرة؟ لماذا لا نعيد اليهود ثانية..؟ إلى فلسطين لا غير، لابد من تهجير اليهود إلى فلسطين»(4). ولكن كيف؟ وما مسوغه؟. ليس هناك مِن زَعْمٍ أو أكذوبة تتقبلها الشعوب بالرضى سوى: القول بتسريع العودة لفلسطين؛ لأنها مترتبة على العودة الثانية للمسيح، ويمكن تمريرها أبتداءً على طبقة العمال الكادحة، والسذج من يهود روسيا، ورومانيا الاشتراكيتين والتي عذبها الجوع، والاضطهاد ويمكن أن يتشكل منها أول أفواج الهجرة لفلسطين، لإحياء الأرض وزراعتها تمهيداً للارستقراطيين. وهذا ما يُدعى بالتوافق بين المصلحتين الصهيونية النصرانية، والإستراتيجية الأمريكية، ذات الأبعاد الاستعمارية، وواجهت أمريكا مشكلة جديدة مختلفة، وهي كيف تقنع اليهود بمغادرة الولايات المتحدة؟ وهم قد تشبثوا بها، واعتبروها أرض المعاد أرض كنعان الجديدة!!، وهذا ما دعا البيت الأبيض، والكونجرس على الموافقة على وعد بلفور المشؤوم. وجاء في بيان الموافقة ما يأتي: «حيث إن الشعب اليهودي كان يعتقد لقرون طويلة ويتشوق؛ لإعادة بناء وطنه القديم، وبسبب ما تمخضت عنه الحرب العالمية، ودور اليهود فيها. فيجب أن يمكن الشعب اليهودي من إعادة إنشاء، وتنظيم وطن قومي في أرض آبائه، مما يتيح له الفرصة

---

(1) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص151. وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص48.
(2) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص48.
(3) انظر: نفسه. ص56.
(4) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص59.

التي حرم منها طويلاً، وهي إعادة تأسيس حياة يهودية، وثقافة مثمرة في أرضه القديمة»(1).

ومما سبق نخرج بخلاصة مفادها: أن من أهم أسباب تولي الولايات المتحدة مسؤولية دعم إسرائيل، وحمايتها، ودفعها للاستيطان خارج بلادها في فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وللآن عدة عوامل رئيسة منها:

1. تحويل وجهة الهجرة الضخمة والمتصاعدة للولايات المتحدة التي صعب التحكم بها والسيطرة عليها، لنفوذهم من حيث العدد، والثروة المادية، والعلمية والمخاوف المتزايدة من تُكوين حكم ذاتي مستقل، وتكتلات داخلية؛ لحماية بني جلدتها ضد المستوطنين الجدد ويفضي بها الأمر إلى بناء دولة داخل دولة، ونشوب مشكلات، ونكبات وطنية كما حدث في فرنسا، وروسيا، وغيرهما.

2. تصاعد النفوذ اليهودي، وسيطرته على أسواق المال، ومنابر الإعلام الأمريكي، والسياسة، والحركة التجارية، والصناعية، و...، وخلافه.

3. تنامي حركة الكنسية الإنجيلية التدبيرين التي تؤمن بالتفسيرات السياسية لنبوءات توراتية تربط بين عودة المسيح وقيام إسرائيل(2).

4. التطلعات الأمريكية المتزايدة للشرق الأوسط(3)، وربط المنطقة بمصالحها الإستراتيجية، وأطماعها التوسعية الإمبريالية الاستعمارية، منافسة بذلك دول أوربا الغربية، والاتحاد السوفيتي.

5. حراسة المصالح الأمريكية؛ ذلك أن ما ستدفعه الولايات المتحدة لإسرائيل، على ضخامته مبدئياً يبقى أقل بكثير من المطلوب لو أرادت أن تحفظ مصالحها بنفسها من خلال قواتها: قوات التدخل السريع، أو الطوارئ، و...؛ لعدم أحقيتها بأن يكون لها موطئ قدم بالمنطقة.

6. تشكيل إسرائيل لقاعدة الأحلاف الأمريكية العميلة بالمنطقة، منذ نقطة البدء معها، وإلى الوقت الراهن، آخرها الحلف المنعوت حالياً: بالشرق الأوسط الجديد(4).

7. تبني أمريكا للاستراتيجيات الأوربية الاستعمارية التي تكيد للإسلام، لتفتيت كيانه، لا سيما بعد التجزئة التي رسمتها اتفاقية: سايكس/ بيكو(5)، والبقاء أطول مدة على دفة حكم العالم. وتشويه صورة الإسلام، وإلصاق التهم به وبأهله من التطرف، للعنف، للإرهاب،..(6).

8. جماعات الضغط اليهودية اللوبي التي تسير الأحداث وفق مصلحة إسرائيل داخل أمريكا، لا سيما في أهم الولايات التي تتصدر القرارات السياسية كنيويورك، وسان فرانسيسكو، وفلوريدا، وواشنطن.

هذا إجمالاً وباختصار مواقف كل من أوربا، وأمريكا الصهيونية غير اليهودية، وتبنيهما فكرة الاستيطان الإمبريالي اليهودي في فلسطين، قبل تبني اليهود الصهاينة للفكرة بقرون، والذي لا يدع مجالاً للشك بأن ليس للدين، أو العقيدة اليهودية، وأرض المعاد، وشعب الله المختار، و....أي وجود على الحقيقة لا في الفكر البروتستانتي، أو اليهودي الأصولي، أو الفكر الأصولي النصراني، وسنعرض لنشأة الصهيونية اليهودية؛ لضرورة بسطهما تترا للخروج بنتيجة واضحة.

ثانياً: نشأة الصهيونية القومية اليهودية:

لم يكن لليهود دور جماعي قومي بارز في الثلاثة قرون الماضية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ منذ عصر الإصلاح إلى منتصف القرن التاسع عشر يعول عليه قيام الصهيونية اليهودية، إلا من بعض النذر القليل الذي أشارت إليه بعض المؤلفات لأدوار بسيطة، ولشخصيات قيادية سياسية محددة، في دول معينة، ولأهداف سياسية محضة، ولأزمنة متفرقة، ومتباعدة، ولدول غير فلسطين، ولغايات تختلف عن غايات الصهيونية العالمية المعاصرة، تظهر وتعلو ثم ما تلبث أن تخبو وتختفي. فأين اليهود آنذاك؟ وما هي تحركاتهم وتطلعاتهم، وما دورهم لمساندة المشروع، وتلبية النداءات؟ فهل كان اليهودي يعمل بهدوء وسرية وخفاء للتغلغل داخل الحركات الإصلاحية؛ لخرقها من الداخل، والتلبيس عليها، كما يذكر بعض الباحثين. أو أنها لم تعطِ النداءات،

---

(1) نفسه: ص61.
(2) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص6. وانظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص54ز
(3) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص6.
(4) انظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص54.
(5) بيكو هي (اتفاقية بحثت وقعت عام (1916م) بين طرفين هما: "سايكس مارك" البريطاني والذي كان يشغل منصب مساعد لوزارة الحرب البريطانية، و"جورج بيكو" القنصل الفرنسي في بيروت، ومستشار السفارة الفرنسية بلندن، وكان يمثل الجانب الفرنسي فيما يتصل " بالمسألة السورية"، أي مستقبل الأمة العربية و(خصوصاً الشام) وتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا. وقد انتهت هذه المباحثات بتقسيم المنطقة العربية بين إنجلترا، وفرنسا. ووضعت فلسطين بمقتضى الاتفاق إشراف إدارة دولية. ثم تنازلت فرنسا عن فلسطين لإنجلترا. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص220).
(6) انظر: المشروع الصهيوني الجديد: السحمراني. ص54.

والدعوات، التي كانت تطلقها أوربا، وأمريكا آنذاك آذاناً صاغية؛ لمعرفتها المسبقة أولاً: بغاياتها الإمبريالية الاستعمارية، وثانياً: لتحركاتها المشبوهة ضدها؛ للضرب بيد من حديد لوقف هجرتهم إليها؟ ليعملوا جادين صفاً واحداً، وبقوة عكس التيار؛ لئلا تسحقهم قراراتهم الظالمة.

ولنا أن نسأل بماذا كان أبناء (اليهود) منشغلين عن أرضهم الموعودة ـ المزعومة ـ التي ما فتأت الصهيونية غير اليهودية تنادي بها؟

لقد كان اليهود منشغلين بذلك كله بـ:

1. تسريع هجرة أبنائهم، وأسرهم من روسيا، وأوربا الشرقية إلى أوربا الوسطى، والغربية، والولايات المتحدة قبل العمل على إيقافها، وهي حلم اليهود الأول، ذلك أن أوربا والولايات المتحدة بالنسبة للرعيل الأول من اليهود هي أرض كنعان.

2. منافسة أصحاب النفوذ المالي منهم للتجارة، والصناعة العالميتين؛ للسيطرة على رؤوس الأموال، وحفظها في الخزانة اليهودية؛ لضمان السيطرة، وضرب الاقتصاد العالمي.

3. منهم من سخّر نفسه للعمل على اختراق المسيحية بالكنيسة البروتستانتية، والسعي لتهويدها من بعض الساسة، وأصحاب النفوذ منهم، وذوي الأقلام المأجورة؛ لإدخال الأدبيات اليهودية على الفكر البروتستانتي، وتبنيه، وإصدار المؤلفات التي تحيَّ روح الأرض لدى أبناء جلدتها؛ للتلبيس عليهم، وعلى الأمم الأخرى؛ لقبولهم بالهجرة إلى فلسطين.

4. التخطيط الاستراتيجي بعيد المدى لفئة محسوبة على التيار الأصولي اليهودي المتطرف؛ لصنع الحركات، والثورات، والتخريب، والتدمير، الذي تستثمر نتائجه لصالح أصحاب النفوذ منهم ما يدفع بدول أوربا، والولايات المتحدة مرغمة على مد يد العون لتهجيرهم إلى فلسطين، وتكبد كل ما يستلزم ذلك من النفقات في جميع المجالات: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والأعمار، والتسليح، والإعاشة،... مع الإبقاء على ذوي النفوذ، ورجال المال، والأعمال منهم بمراكزهم القيادية العالمية؛ ليؤثروا على القرارات الدولية، ويشكلوا قوى ضغط لوبي فيما يخدم مصالح اليهود في فلسطين، ويحسن نظرة العالم لليهودي.

5. دعم الاستعمار الأوربي مادياً، بمتابعة أحداث الساحة السياسية، والعسكرية الاستعمارية بالأوربيتين الشرقية، والغربية؛ لتمويل الأطراف المتحاربة بالمال، والسلاح، والعتاد، والمؤن؛ لضمان ديمومة الحرب لفترات طويلة، وإنهاك قواهما، و...وغيرها من الأمور الظاهرة، والخفية.

ويعوّل كثير من الباحثين، والسياسيين، والمفكرين على أن انبثاق فكرة الصهيونية اليهودية يعود إلى أحد الشخصيات الثلاث، وهم:

- آل روتشيلد(1) أصحاب إمبراطورية المال، والأعمال في العالم.
- المفكرون اليهود: قبل وبعد هرتزل.
- أب الصهيونية الروحي: تيودورهرتزل.

ولتفنيد هذه المقولات، نعرض لدور كل شخصية وبداياتها العملية بالحركة لنصل لقبول، أو رد الفكرة، ونقرر بدئها حسب ما توافر لدينا من معلومات.

أولاً: آل روتشيلد:

بناءً على المعطيات السابقة للحركة الصهيونية غير اليهودية، وتاريخ نشأتها يمكن استبعاد آل روتشيلد من تاريخ نشأة الصهيونية اليهودية المتقدم، لاسيما إذا علمنا أن الجد الأكبر ماير روتشيلد (1743-1812م) مؤسس الإمبراطورية المالية المعروف، والمولود في فرانكفورت، وأبناءه الخمس(2) قد سبقت بدايات الحركة المذكورة أعلاه تاريخ مولده بقرن ونيف من الزمن، وإن كان لأبنائه، وأحفاده فيما بعد النشأة بالقرن التاسع عشر اليد الطولى في دعمها على يد ناثان روتشيلد (ت: 1836م)، والذي دعم هرتزل، وأيده تأييداً كاملاً، وعقد له لواء الزعامة فيها،(3) ثم من بعده أصغر أبنائه ليونيل روتشيلد (1868-1927م)، في الربع الأول من القرن العشرين الذي استطاع بدعم من بنيامين دزرائيلي(4) الحصول على مقعد في أكبر مجلس نيابي في بريطانيا عام (1858م)، وكان أول عضو يهودي يمثل الحي المالي لليهود لمدة (11) عام على التوالي(5) ـــ،

---

(1) أسرة يهودية نشأت في فرانكفورت، بحارة اليهود منتصف القرن الثامن عشر، ذاقوا مرارة الحرمان وتجرعوا غصة الاحتقار، والذل، بالتسلق والتملق والتهريب والتزييف والاحتكار، حتى تمكنوا من السيطرة على رأس المال العالمي، وحصلوا على أرقى المناصب وأشرف الألقاب، وعاشوا في خدمة الإقطاع حتى صار الاستعمار في خدمتهم، وانتشر أفرادها في عواصم أوربا، منذ القرن التاسع عشر وإلى يومنا. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج1. ص268. بتصرف).

(2) انظر: أحلام روتشيلد، صفحات مجهولة من المؤامرات الصهيونية تنشر لأول مرة في العالم العربي. محمد محمود زيتون. ص21. منشأة المعارف، الإسكندرية (ط: 1973م).

(3) انظر: نفسه. ص107. وانظر: موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص268.

(4) يهودي متنصر صورياً، شغل منصب رئيس وزراء بريطانيا.

(5) انظر: أحلام آل روتشيلد: محمد محمود زيتون. ص93.

وبذلك فتح الباب على مصراعيه لآل روتشيلد، وغيرهم من اليهود للاختباء بدهاليز الحكومة البريطانية ــ، وكانت بدايته مع الصهيونية كغيره ممَّن سبقه، أو عاصره من آل روتشيلد، فكان يرفض صهيونية هرتزل السياسية بسبب تخوفهم من ازدواج الولاء، وهو ما يشكل تهديداً لمكانتهم، ووضعهم الاجتماعي، والمالي. وتم بدعمهم تأسيس عصبة يهود بريطانيا المناهضة للصهيونية. لكن هذا الموقف ما لبث أن تبدل. بعدما تبين أن وجود الكيان الصهيوني في الشرق الأوسط يخدم المصالح الإمبريالية الاستعمارية البريطانية(1). ومن هنا بدأت التحركات الداعمة للصهيونية العالمية فقابل بلفور وزير خارجية بريطانيا، مع وايزمان، وعرضا عليه الرغبة في الحصول على مطالب الصهاينة، وتنحصر في الاعتراف بفلسطين دولة يهودية. فطلب منهم تقديم مشروع بهذا الشأن؛ لتقديمه للحكومة البريطانية، وقدما المشروع وتم تعديل صياغته على أساسين هما:

- أن تكون فلسطين موضع اعتراف من بريطانيا وطناً قومياً للشعب اليهودي.
- أن تكون المنظمة الصهيونية هي الممثلة للشعب.

وروتشيلد هذا هو من صاغ الخطاب بنفسه، ومهره بلفور: «وقد تآمرت وتحالفت عدة أجهزة في كل من: أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا مع اليهود، ـ ضد العرب، والمسلمين، والقانون الدولي، وشعب فلسطين؛ لإصدار هذا القرار، والتصريح الخطير ـ ومنهم: البرلمان الإنجليزي، والمنظمات الصهيونية الدولية، والدوائر الدبلوماسية في عواصم العالم، تحركها جميعا أموال روتشيلد، وجريدة التايمز اللندنية الناطقة باسم روتشيلد»(2).

واستمر الدعم المادي، والدفع السياسي، والتأييد من سائر الأحفاد كل فيما يخصه، وإلى وقتنا الحاضر، فها هو إدموند دي روتشيلد (1845-1934م) الحفيد، وهو الابن الأكبر لجيمس ماير، والذي كان موقفه من الصهيونية لا يختلف عن غيره من آل روتشيلد فهو لا يؤيد صهيونية هرتزل السياسية، والتي عبر عنها بالفتور الشديد، والاستياء عندما قابله هرتزل عام (1896م) لأول مرة، ولم يبد أي حماس، أو تأييد لمشروعه، أو يلقي له بالاً بل كان يُعده متسولاً مثل آلاف المتسولين من شرق أوربا الذين يتدفقون على غربها، وكان يرى أن عملية الاستيطان يجب أن تتم بشكل هادئ، وتدريجي. إلا أنه بعد مدة من توسع الاستيطان، ونجاح المشاريع المختلفة التي أسسها في فلسطين توطدت علاقته بالصهيونية، لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى حيث استخدم نفوذه للحصول على موافقة فرنسا على وعد بلفور، وعلى إدخال فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ودفع المال الجزيل لذلك. وقد قال عنه بن غوريون: كان أول من أسس مملكة إسرائيل(3)؛ لتبرعاته السخية، والضخمة التي تداولها الإعلام الأوربي، والأمريكي بالإكبار، والإجلال، لا لضخامتها؛ وإنما لكونها شكلت اللبنة الأولى في إقامة الوطن القومي في فلسطين، وتهجير يهود أوربا الشرقية، والغربية، وبناء المستوطنات، وشراء الأراضي من ملاكها العرب عنوة وقسرا، وقهرا؛ ولضرب الفأس الأول لزراعة، وإحياء الأراضي البور(4).

غير أن ما يعنينا هنا كما أوضحنا أعلاه، وباختصار أن ليس لآل روتشيلد الأوائل ضلع بالمشروع الصهيوني الأوربي إبان نشأته في أواخر القرن السادس عشر، وبدايات القرن السابع عشر، كما لم يكن أحدهم على الخارطة الصهيونية الأوربية بعد، وهم رؤوس اليهود بالعالم آنذاك ناهيك عن من هم أدنى منهم جاه، وحظوة.

ومن البيَن أنهم أقحموا في الحركة إقحاماً لما في خزائنهم من الأموال الطائلة، والنافذة والمحركة لرجال السلطة والنفوذ السياسي؛ لدعمهم مادياً ومعنوياً. رغم عدم تأييدهم لها ومناهضتها ابتداءً، والدعم الروتشيلدي المتأخر ليس تعبيراً عن وجود مصالح يهودية مستقلة في فلسطين. بل تعبير صارخ عن أمرين هامين:

- الولاء لبريطانيا التي حققت طموحهم، وحمتهم، وساندتهم في تكوين ثرواتهم الضخمة، ومنها بدأت انطلاقات آل روتشيلد العالمية، وهي المركز الرئيسي العالمي لتحركاتهم، وعلمهم المتأخر أن الحركة عبارة عن جزء من مصالح بريطانيا الإمبريالية الاستعمارية في العالم العربي.
- تعبير قوي عن الاندماج، والانصهار، والتأطير في الحضارة الغربية، وتشكيلاتها الاستعمارية القومية الإمبريالية، ومصالحها ــ التي تصب في مصالحهم ــ للحذو حذوها؛ ولإحراز ما أمكن من المكاسب لكليهما.

من خلال عرض موقف آل روتشيلد يتضح أن ليس للعقائد، أو الأفكار الدينية ــ المزعومة ــ

(1) انظر: موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص269.
(2) موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص268. وانظر: أحلام روتشيلد: زيتون. ص127.
(3) انظر: أحلام روتشيلد: زيتون. ص131. بتصرف.
(4) انظر: موسوعة اليهود: المسيري. ج2، ص260، وانظر: أحلام روتشيلد ص118. وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص52.

كشعب الله المختار، والعودة لأرض الأجداد،.... أي أثر في الفكر الصهيوني اليهودي الروتشلدي الحديث النشأة.

ثانياً: الساسة، والمفكرون اليهود قبل وبعد تيودورهرتزل:

تبلورت فكرة الاستيطان لدى الساسة اليهود متأخرة جداً عن التفكير الأوربي الغربي بما يزيد عن قرنين من الزمان، قبل تبني هرتزل الحركة، حيث بدأت بنهايات القرن التاسع عشر كما أسلفنا، على يد البارون موريس دوهيرش مؤسس الجمعية اليهودية للاستيطان في لندن، عام (1891م)، ولم تكن جمعيته لتصغي أو تلقي بالاً لنداءات أوربا، وأمريكا، الداعية ليقظة اليهود لاستيطان فلسطين آنذاك، وليس أدل على ذلك من أن موريس بنى أول مستوطناته في موزفيل في إقليم سانتا.

عليه: فإن بدء فكرة بناء مشاريع استيطانية صهيونية من اليهود أنفسهم كانت أساساً خارج فلسطين، وذلك لأن الحركة الصهيونية بمفهومها العام هي: حركة سياسية قومية لا دينية، هدفها تجميع اليهود بأي بقعة في العالم، والسطوة بالقوة على مقدرات البلاد التي تقع تحت سيطرتهم(1)، وتكوين كيان سياسي سيادي لهم فيها، لا سيما وأن دعاتها علماني التوجه أي: لا دينيين(2)، يقول الدكتور ناحوم غولدمان (1894: 1982م)(3) في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام (1947م): «لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي، والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن، وأشباه المعادن، وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة لمخزون الأمريكيتين مجتمعتين؛ بل لأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم؛ ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم»(4)، وهذا الذي عبر عنه غولدمان بأبسط التعابير هو الاستعمار الإمبريالي المدمر بمفهومه الواسع.

ومن أبرز المشاريع الاستيطانية التي انتقاها اليهود قبل إجبار أوربا، والولايات المتحدة لهم على اختيار فلسطين المنطقة الإستراتيجية لهم:

1. مشروع الأرجنتين الذي وضعته الجمعية اليهودية للاستيطان، على يد مؤسسها موريس دوهيرش(5).
2. مشروع الولايات المتحدة، والبرازيل، وكندا، خاصة: بنسلفانيا، ونيويورك، ونيوجرسي، حيث قامت الصهيونية اليهودية ونشطت بشحن أفواج اليهود من روسيا، وبولندا، لأمريكا ــ كما ذكرنا سابقاً ــ دون أن تسمع نداءاتهما بالتوقف عن الهجرة، وتحديدها ــ وهذا ما أفزع، وأرعب، وأقلق، أوربا، وأمريكا على الحقيقة، ونشطتا لإيقافها من ناحية، وتحويل مسارها من ناحية أخرى، وبذلتا الجهود المضنية لخلق المزاعم التوراتية التي ترغب اليهود للهجرة لفلسطين، الأرض البور كما يسميها اليهود، وحرفت، ولبست، وزورت، و... التاريخ والنصوص الإنجيلية والتوراتية للوصول إلى الهدف.
3. مشروع العريش شبة جزيرة سيناء المصرية.
4. مشروع أوغندا، والتي كانت خارطتها تزين منصة المؤتمرات الصهيونية حتى عام (1904م).
5. مشروع ليبيا، والذي تبناه اليهودي ناحوم سلاوش.
6. مشاريع: أنغولا، وأستراليا، والمكسيك، والعراق، والذي تبناه زانغويل بعد هلاك هرتزل الذي طالب بأي بقعة في الأرض تصلح؛ لأن تكون مستعمرة يهودية(6).

من خلال العرض المبسط يتضح بما لا يدع مجالاً للاعتقاد النسبي البسيط أن للدين، أو الفكر الديني، أو العقيدة الأصولية الموسومة بأرض المعاد أي صلة بالاحتلال، ومسوغاته مما يعطينا الحق كل الحق بنعتها بالوصولية الإمبريالية.

ثالثاً: أب الصهيونية الروحي: (تيودور هرتزل: 1860-1904م):

ولد هرتزل بعد الدعوات الأولى للصهيونية غير اليهودية، بقرنين ونيف من الزمان، وهو يهودي متنصر علماني حلولي، التحق بمدرسة نصرانية بروتستانتية، وتلقى تعليماً نصرانياً، له

---

(1) انظر: مائير كاهانا: سيمون. ص19.
(2) العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي دراسة سياسية اجتماعية: رشيد عمارة ياس. ص37 مخطوط رسالة ماجستير. كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد. إشراف د. خلدون ناجي معروف (1413هـ).
(3) زعيم صهيوني توطيني ومؤسس: المؤتمر اليهودي العالمي.
(4) جريدة "الاتحاد الوطني"الناطقة بالفرنسية في مونتريال. العدد: 53/12 لعام: 1953م. نقلاً عن: العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الإيديولوجي الديني: علي حسن طه. ص51. دار الهادي. بيروت. (ط1: 1422هـ).
(5) انظر: أحلام روتشيلد: زيتون. ص132.
(6) انظر: العنصرية الصهيونية اليهودية،والبعد الإيديولوجي الديني: علي طه. ص55.

عدة معتقدات دينية ألمانية، مجرية، نصرانية، يهودية ــ وهي أقلهم شأناً ــ دون أن ينتمي لأي منها أو يستوعب أحدها. فهو يرفض الدين اليهودي، والتقاليد الدينية اليهودية؛ لذا فهو كما نقل عنه لم يختن أولاده، ولم يلتزم أبداً بمنزله بالكوشير ـ الطعام المباح ــ، ويعتنق مذهب سبينوزا(1)، في الإله القائل: بالحلولية، وليس من شك أنه دعم الحركة الصهيونية غير اليهودية، وبعث في عروقها الحياة من خلال مؤلفه الشهير دولة اليهود الصادر عام (1896م)، والذي عبر فيه عن طموحاته ورغبته في إيجاد وطن قومي لليهود على أي بقعة من الأرض. وافتتحه بمقدمة قال فيها: «الفكرة التي عالجتها في هذا الكتاب هي فكرة قديمة تتعلق ببعث الدولة اليهودية، إن الذي بعث هذه الفكرة النائمة إلى الحياة هو: العالم الذي تألب ضد اليهود»(2) ،ــ يقصد مجموعة الآلام التي عايشها اليهود من النصارى في أوربا من محاكم التفتيش، والجيتو، ووقف الهجرة لأوربا الغربية، وأمريكا، وقضية دريفوس(3)، و...، وقال في موضع آخر: «إن اليهود يشكلون أمة واحدة لها مقوماتها المتكاملة القادرة على إبقاءها حية مهما تعرض إليه اليهود من الاضطهاد، والتشريد، وأن المخرج الوحيد لمشاكلهم هو السعي لتكوين دولة لهم». وختمه بقوله: «أنا أعتقد أن نسلاً يهودياً عظيماً سينبع من الأرض سيبعث المكابيون ثانية، وأن اليهود الذين يريدون دولة هم الذين سيحققونها»(4). وهنا نلمس التحريض المباشر لأبناء جلدته ليهبوا معه للمطالبة بحقهم في الحياة بإنشاء دولة أسوة بغيرهم من العوالم على الأرض ــ كما نلمس بجلاء من خلال تصريحاته صور الوعي اليهودي المفقود منذ أمد، وأنماطه المتكيف مع معطيات العصر الحديث، الزاعم منها التحرر من الفكر الديني القديم تارة، أو القائمة على سماته وتبنيها فيه تارة أخرى، ليعطينا الدليل على تنامي الرغبة في نقل هذا الوعي أياً كان نوعه وبنائه إلى مرحلة التنظيم السياسي وهو الهدف الأسمى له، وبما يتناسب ويتلاءم مع التطورات الحضارية العالمية التي صاحبت التوجه الصناعي، من جهة، ودفعت بدول أوربا القومية إلى الاستعمار الواسع النطاق في داخل وخارج القارة الأوروبية من جهة أخرى. ومن تلاقي الظروف البيئية الجيتو اليهودية، والظروف الثورية القومية الاستعمارية الأوروبية التي خلقها اليهود في الذهنية الأوربية، المصبوغ بالسمة الحضارية الجديدة للدين والدولة لكل منهما، تشكلت الأرضية الخصبة لظهور الرغبة في خروج الحركة الصهيونية الهرتزلية من حيز التخطيط إلى التنفيذ ــ، «فبعد أن صاغ أفكاره، ووضع الحلول اللازمة لمواجهة المشكلة، انتقل فعلياً إلى مرحلة التنفيذ عن طريق وكالتي: جمعية اليهود، والوكالة اليهودية فالأولى تأخذ على عاتقها انجاز الأعمال التمهيدية، والتحضيرية في المجالات النظرية: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والتعليمية،... والأخرى: تقوم بالتطبيق العملي، وترعى مصالح اليهود المهاجرين إضافة إلى تنظيم المبادلات التجارية..... وغيرها، ومن المستغرب أنه في الوقت الذي كان الغرب الصهيوني ينظر إلى اليهود من الخارج كما ذكرنا سابقاً، كان هرتزل أيضاً كغيره من الصهاينة اليهود، لا ينظر للخارج أبداً»(5)، وجعل من أراضي بريطانيا أول هدف استعماري استيطاني يهودي، وكان يتلهف شوقاً لمقابلة وزير المستعمرات البريطاني تشمبرلين لكسب تأييده للاستيطان على نطاق ضيق ومعقول داخل الأراضي الخاضعة للسيطرة البريطانية، ولكنه صدم باللامبالاة منه، ومن خلال سعيه الحثيث لإيجاد حل للمشكلة اليهودية تمكن في عام (1897م) من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل

(1) هو: اسبينوزا باروخ، فيلسوف يهودي هولندي، أهم كتبه كتاب الأخلاق، وفيه يبسط فلسفته وخلاصتها: "أن جوهر واحد(الله) متمثل في كافة الموجودات، فالعقل والمادة وسائر الظواهر هي صور يبتدئ بها، والجوهر الواحد يفسر نفسه،لكن يستحيل على شيء متناه ذو حدود زمانية ومكانية، أن يكون كافيا بذاته، لأنه وجه من أوجه كثيرة يتبدى فيها اللامتناهي، فكل شيء هو بمثابة النتيجة المنطقية التي يتحتم خروجها من مقدمتها....(انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج1. ص138).

(2) كتاب الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية. الدولة اليهودية: تيودور هرتزل. أنيس صائغ. ص100. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران(1970م).

(3) قضية دريفوس وهي محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي" ألفريد دريفوس" عام (1891م)، بتهمة الخيانة العظمى بعد خسارة الجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني، وقد تم تجريده من رتبته وإحالته إلى محاكمة عسكرية، وتقرر نفيه إلى إحدى الجزر على ساحل أفريقيا. وفي عام (1896م)، اكتشف الجنرال الفرنسي" جورج بيكار"، أدلة تثبت براءته. أحدثت تطورات وفضائح تتعلق بالقضية، وتم إعادة محاكمته، وبراءته من التهمة التي وجهت إليه أصلاً، مع منحه وسام شرف. أثارت هذه القضية الرأي العام الفرنسي والأوروبي آنذاك وكان "هرتزل" أحد الصحفيين المتابعين للمحاكمات فأثرت فيه الأحداث وعَدها إساءة مقصودة مضادة لليهود، في المجتمعات الأوروبية. (انظر: الموسوعة الميسرة: غربال. ج2. ص1386).

(4) الدولة اليهودية: تيودور هرتزل. أنيس صائغ. ص103. ومن الجدير بالذكر أن" هرتزل" يستند إلى الربط التوراتي بين حاضر اليهود وماضيهم ، بين حين وآخر للتغرير ولدحض نسبة العلمانية المجردة لشخصه وشخصيته وإدعاء أن لغته السياسية ذات مفردات دينية لاهوتية.

(5) موسوعة اليهود: المسيري.ج1. ص273. وانظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص12. دار الجيل. عمان (ط1: 1988م). وانظر: مائير كاهانا: سيمون. ص21. بتصرف، وانظر: الإسرائيليون الجدد: يوسي ميلمان. ترجمة: مالك البديري. ص37: 39. الأهلية للنشر. الأردن (ط ب).

بسويسرا، وانتخب رئيساً له واتفق فيه على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية والتي هدفها خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين، على حد قول اللورد شافتسبري: «وطن بلا شعب، لشعب بلا وطن» يضمنه القانون العام، مع ضمان الوسائل الكفيلة لتحقيقه، ومنذ تلك اللحظة انبرى هرتزل يكسب تأييد حكومات العالم، وقبول اعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود، وتنظيم هجرة اليهود إليها(1)، ولم يجد القرار والنداء قبول في الأوساط اليهودية، كسابق مواقفهم في القرون الماضية من الدعوة، ذلك أن فلسطين لم تكن ضمن حساباتهم، أو أهدافهم، لا دينياً ولا تاريخياً، ولا تشكل ثقلاً اقتصادياً يمكن استثماره حتى ذلك الوقت، كما أن الوحدة الدينية بحد ذاتها كزعم اعتباري تبريري لم تشكل أهدافاً، أو ضرورة مرجعية بالنسبة ليهود أوربا، وأمريكا؛ لذا لم تستطع الصهيونية اليهودية حسم قرارها بعد مؤتمر بازل وما بعده من مؤتمرات الاستيطان في فلسطين، وفي عام (1902م) مثل هرتزل أمام الحكومة البريطانية كشاهد على المصائب التي تنسب لهجرة الغرباء غير المقيدة ــ لا سيما اليهود منهم والذي يشكل أكبر خطر على دول أوربا،...، ومراقبة الهجرة للدول الأوربية، والمستعمرات البريطانية، وكان هرتزل هو الشاهد الوحيد الذي قدم حلاً عملياً حيث قال: «...إذا كنتم ترون أن بقاءهم هنا غير مرغوب فيه، فلابد من إيجاد مكان آخر يهاجرون إليه دون أن تثير هجرتهم له المشاكل التي تواجههم هنا، لن تبرز هذه المشاكل إذا وجد وطن لهم يتم الاعتراف به قانونياً، وطناً يهودياً». وأخذ هذا الاقتراح على محمل الجد، فسارع الساسة الأوربيين بتقديم عدة مواضع استيطانية له عكف على دراسة صلاحيتها منها كما ذكرنا آنفاً: مشروع أوغندا الذي قدمه له جوزين تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانية لتعزيز وتقوية مركزه الاستعماري، ومشروع الولايات المتحدة، والبرازيل، وكندا، خاصة في بنسلفانيا، ونيويورك، ونيوجرسي، ثم ليبيا،..... ثم مشروع العريش المقدم من اليهودي الألمان ديفز تريتش، والذي توسع ليشمل: فلسطين وسيناء وقبرص، وقد فضل هرتزل هذا المشروع على الكثير من المشاريع الأخرى المطروحة، فأجرى مباحثات مع اللورد كروم الحاكم البريطاني لمصر وقتئذ عام (1902م) وشكل لجنة صهيونية من خبراء الاستيطان لمفاوضة البريطانيين، ورفضت الحكومة المصرية المشروع جملة وتفصيلا(2).

وللأسف فقد حسم الأمر بالاستيطان في فلسطين بعد عدة مؤتمرات خاضت خلالها الصهيونية البحث في عدة مشاريع، وبناءً على الضغوط الشديدة والمطالبات الملحة من دول أوربا، وأمريكا أسفرت النتائج عن إلزام الصهيونية اليهودية على الاستيطان في فلسطين. ومنذ ذلك الوقت اتحدت الصهيونيتين لتتولد عنهما الصهيونية العالمية على يد هرتزل الذي هلك عام (1904م) قبل أن يرى مشروعه النور، وصدر وعد بلفور المشئوم بعد موته بفترة عام (1917م). ومن خلال العرض السابق للأدوار الرئيسة لنشأة الصهيونية العالمية نجد بجلاء لا يقبل الجدل أن ليس للدين صلة بقيام أحدهما، ولم يقحم الدين إلا لتسويغ الاحتلال، وتضليل الرأي العام العربي، والأوربي.

بعد النداءات، والمحاولات الأوربية المستميته السابقة الذكر خلال قرنين من الزمان، وبعد تمهيدات هرتزل، ووضعه للأرضية الصلبة للمشروع، استغل هذا الوضع، والربط بين المصالح البريطانية الاستراتيجية، والصهيونية الأوربية، واعتمدها في سياسته حاييم وايزمان عام (1921م)، عندما عين رئيساً للمنظمة الصهيونية مع لويد جورج وزير الحرب البريطاني. وكان وايزمان من أوائل(3) المفكرين والزعماء الصهاينة الذين أدركوا عبث الجهود الصهيونية الذاتية التسللية، وحتمية الاعتماد على الدعم الإمبريالي؛ لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ، كما كان ملماً بعلمانية الحضارة الغربية، وأيديولوجيتها الإمبريالية، وأدرك أن المسألة ليست مسألة تلاقي أحلام الصهيونية اليهودية مع الأحلام النصرانية الاستعمارية فحسب؛ وإنما تلاقي مصالح الإمبريالية والصهيونية، فالدولة الصهيونية بحاجة عند قيامها إلى الدعم الإمبريالي. وبريطانيا

---

(1) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور سعيد الحيدري. مخطوط. رسالة ماجستير.كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد (1425هـ) إشراف: د. نديم عيسى. ص10. وانظر: الأحزاب الحكم في إسرائيل. غازي السعدي. ص13. بتصرف.

(2) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص136: 145. وانظر: مائير كاهانا: سيمون. ص20. بتصرف. وانظر: هيكل سليمان الوطن القومي لليهود من عوالم الماسونية. يوسف الحاج. ص67. مطبعة مختارات. بيروت. (ط2: 1998م).

(3) سبقه إلى هذه الفكرة هرتزل الذي كان يعلم أن هذا المشروع لن تكون له فرصة نجاح، ما لم يحظَ بتأييد إحدى القوى العالمية العظمى، ولكنه فشل في الحصول على تأييد من السلطان العثماني، أو غليوم إمبراطور ألمانيا، أو وزراء قيصر روسيا، أو البابا بيوس العاشر في الفاتيكان، وعندما أعيته الحيلة توجه إلى إنجلترا عام(1904م) وقال لأعضاء المؤتمر الرابع: " إن إنجلترا القوى العظمى ذات الاهتمامات العالمية، هي التي ستفهمنا، وتقدر تطلعاتنا، وباستنادنا عليها ستتقدم فكرة الصهيونية للإمام، وهلك في نفس العام قبل أن يتحقق حلمه. وهو ما آمن به بعده حاييم وايزمان وعمل على أساسه. (انظر: خطيئة إسرائيل: فيدال: دومنيك وجوزيف الغازي. ص44. ترجمة: سعد الطويل. إصدارات مجلة سطور. القاهرة (ط1: 2003م)).

بحاجة إلى قاعدة بشرية وظيفية استعمارية تقوم بهذا الدور الذي تعجز قوى بريطانيا القيام به بلا مسوغ منطقي؛ لتوسع من مطامعها، وتصنع لها موطئ قدم راسخ بالمنطقة، وبما أن اليهود قاعدة رخيصة ـ على حد تعبيره ـ والواقع يشهد بذلك فلا تستطيع بريطانيا أن تجد صفقة أفضل منهم. أي أنه أدرك أخيراً أن الدولة الصهيونية المزمع قيامها دولة وظيفية(1)، وأن بريطانيا استعمارية ومن الصالح استغلال كلٍ منهما حاجة الآخر، وتوظيفها على أرض الواقع فيما يخدم مصالحه.

مازال اليهود بكل تصنيفاتهم المذهبية الطائفية، والحضارية،... يرفضون الإصغاء لنداءات التهجير الجماعي لفلسطين، والقراءات للتاريخ اليهودي تؤكد ذلك، فاليهود لا يتحركون في هجرات جماعية إلا تحت نير السوط، والتعذيب كما حدث عام (1881ـ 1882م) هروباً من مذابح القيصر، لذلك كان هَم الزعماء ينصب حول إيجاد كيفية لترحيل يهود الشتات إلى فلسطين في ظل مقررات مؤتمر بازل، والذي حدد أرض المعاد بدقة... ذلك أن الزيادة في عدد سكان اليهود بالنسبة للصهيونية العالمية لم يكن كافٍ لإنشاء دولة برغم أن العدد تضاعف عن سابقه حيث كان عام (1922م) (84) ألفاً، وفي عام (1946م) بلغ (608) ألف، أي أن نسبتهم ارتفعت من عُشر عدد السكان إلى ثلث عددهم، وزادت مساحة الأرض المملوكة لليهود من (20) ألف هكتار عام (1897م) إلى (180) ألفاً عام (1947م) أي أنها بلغت (7%) من مساحة الأرض، وزادت عدد المستعمرات اليهودية من (27) إلى (300) مستعمرة، وغدت تنتج (28%) من الإنتاج الزراعي لفلسطين(2)، ومع ذلك ظلت التحركات الصهيونية تنبري في كل اتجاه لتعلن عن حاجتها لمزيد من الخطط الفاعلة التي تسهم في مضاعفة عدد المستوطنين اليهود؛ لتحقيق مزيد من الطموحات الاستيطانية لدولة يهودية يكون اليهود فيها غالبية سكانية، لكن بلا نتائج ظاهرة برغم النزف المالي الممول للمشروع لجعلها واحة خضراء يؤمها الجميع بطوعية، ورضا أسوة بالهجرات الشرعية، وغير الشرعية التي لا تتوقف لأوربا الغربية، وأمريكا. ومن هنا تفتقت الذهنيتين اليهودية والنصرانية، والمتمثلة بالصهيونية العالمية عن مخطط صهيوني محكم بإضافة صهيونية لا تقل سوء عن الصهيونيتين السابقتين هي الصهيونية غير اليهودية النازية، وما أدراك ما النازية، والصهيونية العالمية، وذلك لجلب اليهود بالقوة، والقهر، والقسر، طائعين، أو مكرهين، سيرا، أو زحفاً على الأيدي، والأقدام، فاتحدتا، وتحالفتا، وخططتا وبنتا استراتيجيهما. فعلى ماذا بنتا مخططاتهم الإستراتيجيته؟ «بنياه على مصطلح الهولوكوست(3) ــ سواء كانت كذبة، أو الحقيقة ما يهم في الأمر أن دولة إسرائيل قامت على أنقاضه. ودعمت أمريكا الدولة الفتية بكل ما أوتيت من قوة لتجعل لها موطئ قدم على فكرة الهولوكوست التي استبدلتها في هذه الفترة بالذات بالعزف على أوتار الدين والحقوق الدينية للشعب المختار، وبعدما تمكنت الأمور لإسرائيل واستقرت؛ ولضمان عدم قيام أي تحركات تضيع جهودها عادت بين الكذبتين الدينية والمحرقة لتجيش العواطف الروحية والنفسية ــ المُصنع صهيونياً»(4).

وتؤكد ريجينا ذلك بقولها: «إن الدراسات الحديثة أظهرت تعاوناً متكرراً بين النازيين، والصهيونيين، فهجرة اليهود من ألمانيا إلى فلسطين كانت تصب في مصالح الأطراف الثلاثة:

الأول: دولة إسرائيل المتمثل في خيال وأحلام الأيدلوجية الإمبريالية الأوربية، والصهيونية العالمية، وهما بأمس الحاجة إلى مزيد من المهاجرين؛ لدعم الوضع الأمني الاستيطاني؛ ولتأسيس الدولة بمزيد من أعداد الشعب المستوطن.

الثاني: اليهودي النازح، والهارب من النير النازي، وبأمس الحاجة إلى دولة تحميه.

الثالث: ألمانيا البلد التي أساء لها، ولغيرها اليهود، وترغب باجتثاثه من أرضها وزرعه في أي أرض أخرى بالعالم، وكان الاتفاق بين النازية والصهيونية على الصعيدين النظري والعملي»(5) .

وعبر عن ذلك أصدق تعبير هادلستون في كتابه حدث في زماني يقول: «قبل أن يضطلع هتلر بمهام الحكم بقليل، كنت أقضي شتاء في جنوب فرنسا مع أصدقاء من اليهود، وكنت أتناول قهوتي كعادتنا كل يوم، قال لي ذات يوم أحد اليهود من زعماء الحزب الذي أنتمي إليه: آمل أن يقوم هتلر باضطهاد اليهود، وتعذيبهم، عندما يتولى مهام الحكم»، ثم مضى يشرح السبب الذي يجعله يرغب في تحقيق هذه الأمنية، فقال: «إن الجنس اليهودي قد وصل تعداده اليوم إلى ستة عشر مليونا فقط، رغم كثرة توالده عبر القرون الطويلة، لقد أصبح التعذيب والطغيان لازمين

---

(1) انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص279. وانظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص40.
(2) انظر: خطيئة إسرائيل: دومنيك. ص44.
(3) كلمة يونانية معناها الإبادة (حرق القربان بالكامل) وهي بالعبرية شواء، وتترجم إلى العربية بالمحرقة، وتستخدم بالعصر الحديث للإشارة إلى إبادة اليهود، وتصفيتهم جسدياً على يد النازية. (انظر: موسوعة اليهود: المسيري. ح1. ص169).
(4) خطيئة إسرائيل: دومنيك. ص14.
(5) الصهيونية غير اليهودية: ريجينا. ص15.

لإحياء المشاعر في هذا الجنس، وإثارة غرائزه، فالجدل لا يعينه على حرث أرضه، إن أمله الوحيد أن يذهب الجزء الأعظم منه ضحية للعذاب والطغيان»(1).

وهذا ما سارت عليه الصهيونية بالفعل. فبعد أن طور مؤسسو الحركة الصهيونية بزعامة ديفيد بن غريون الذي تبوأ بعدئذ منصب رئيس الوزراء قبل أن تنال إسرائيل استقلالها، وجدوا أن قوة إسرائيل لن تخلق ما لم تتم الهجرة الجماعية المكثفة إليها، ــ ليشكل بها اليهود الغالبية ــ، وبالتالي لن تستطيع بحال من الأحوال في ظل إحاطتها بالأعداء ــ يعبر عن الفلسطينيين، والدول العربية المجاورة بالأعداء وهم العدو المحتل ــ أن تمتلك قوة دفاعية كافية، وهو موقن أن الهجرة الجماعية، ستحفظ لإسرائيل كيانها. فما يهمه من الهجرة إلا تكوين قاعدة عسكرية دفاعية مستوعبة ضمن المشروع. والصهيونية بهذا المعنى تدخل في إطار الفلسفة الأوربية العنصرية الاستعمارية غير أن الصهاينة غير اليهود استطاعوا إيجاد مزج بين الأدبيات الدينية القائمة؛ للتفريق بينها وبين النزعة الاستعمارية؛ ليكون المبرر كافياً.

وفي صيف عام(1942م) أصبحت الأيدلوجيات طور التنفيذ العملي، وحدثت المذبحة النازية المشهورة لليهود على يد هتلر، وسحقت نصف الشعب اليهودي، وكانت بمثابة إشارات لبداية تحقق الحلم، «وتجاهل الجميع أخبار المجزرة التي كان يطمح لفعلها الكثير من قادة العالم منهم: شارل دي جول(2)، وجورج واشنطن(3)، وفرانكلين روزفلت(4)، فكل هؤلاء نادوا بوجوب تخليص بلدانهم من علقة اسمها اليهود(5)، بل وديفيد بن غوريون نفسه في تل أبيب كان راضياً بها، ولم يحرك أحدهم ساكناً، فهم من رسم خطوطها، ورفض البعض تصديقها، وبدأت مناشدات قادة اليهود في بريطانيا، وأمريكا وحتى من مخيمات الموت بألمانيا تترجى الحلفاء بقصف هذه المخيمات، أو على أقل تقدير قصف خطوط سكك الحديد التي تحمل اليهود إلى حتفهم بأفران الغاز، ورد عليهم الحلفاء بأن: «مخيمات الموت أبعد بكثير من مديات قاصفاتهم»(6).

في أعقاب أزمة الهولكست رفضت أمريكا، وسائر الدول المتحررة، بل وتشددت في منح تأشيرات دخول لليهود الباقيين، والفارين من المذبحة، وروج لهذا الحدث عالمياً؛ ليشكل حافزاً مثالياً لأم الديمقراطية أمريكا للتكفير عن ذنبها، وموقفها السلبي إزاء المجزرة، والمتمثل بالتشفي وعد أرقام الضحايا، وكان من نتائج شعورها بالألم، ووخز الضمير بدل أن تعيد النظر في موقفها من إغلاق تأشيرات الدخول لبلادها وحدها في ذلك الوقت العصيب وما بعده، أدعت أن هناك سبباً وجيهاً وكافياً؛ لدعم إقامة دولة إسرائيل، «أما موقف الزعامة بإسرائيل وهو الأشد غرابة، فبينما كانت الأخبار تنتشر عن المذبحة ويهود أوربا، وأمريكا، وألمانيا يصرخون، ويستغيثون طالبين بالحلول لوقف المجزرة الفوري، لم يحرك أحدهم ساكناً، وكأن شيئاً لم يحدث حتى أن الأرثوذكس من اليهود، ــ ممن هم ضد الصهيونية ومع إقامة دولة لليهود على أي أرض بالعالم ــ اتهموا الصهيونية بالتواطؤ مع النازية، وذهبوا إلى أبعد من ذلك بقولهم: «إن ما ساعد على تعجيل إقامة الدولة الصهيونية تصفية اليهود»(7). ويرفض يوسي ميلمان هذه الفكرة بقوله: «من المؤكد أن إدعاءات كهذه هي إدعاءات مضللة، ولا تستند على أي دليل من الصحة»(8). بيد أننا نؤيد الفكرة وفق معطيات العرض السابقة، وإذا ما نظرنا للأحداث ــ قبل، وأثناء، وبعد ــ قيام المجزرة نجد أن:

1. موقف الولايات المتحدة، والدول الأوربية المتحررة، السلبي والمتلكئ، غير المبرر منطقياً، لا يدع مجالاً للشك بالتواطؤ، لاسيما وأنها بعد أن وضعت الحرب أوزارها كان الموقف الطبيعي لوخز الضمير المفتعل لديهم إعادة النظر في قراراتها لفتح باب الهجرة من جديد، سيما وأن عدد المهاجرين هذه المرة أقل بكثير مما سبق؛ لتعرض ثلثهم، أو نصفهم للقتل ــ حسب تناقل الأخبار ــ. فما تبقى منهم يمكن استيعابه، في أوربا، وأمريكا المترامية الأطراف، والتي مساحتها الآف الأضعاف بالنسبة لمساحة أرض فلسطين. كما أن عددهم أصبح لا يشكل الهاجس الخطر لسياسة واقتصاد البلاد كالسابق، كونهم مهاجرين قليلي العدد مكسوري الجناح أذلاء...لكن شيء من ذلك لم يحدث.

---

(1) تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست: المركز العالمي للاستثمارات الاستراتيجية. ص14. مكتبة العبيكان للطباعة والنشر. الرياض (ط2: 1425هـ).
(2) دي جول: 1890م قائد وسياسي فرنسي، انتخب رئيسا لفرنسا عام: 1944م واستقال عام: 1945م. (انظر: الموسوعة الميسرة: غربال. ج1. ص825).
(3) الرئيس الأول للولايات المتحدة (1789: 1797م).
(4) الرئيس الـ31 للولايات المتحدة (1882: 1945م).
(5) انظر: تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست: المركز العالمي للاستثمارات الإستراتيجية. ص8.
(6) الإسرائيليون الجدد: ميلمان. ص23. بتصرف.
(7) نفسه: ص24.
(8) نفسه: ص25.

2. الموقف الغريب من الزعامة اليهودية في إسرائيل، المتمثل بالصمت المطبق غير المعهود أو المعبر بأقل القليل بالشجب أو الأسى، أوالاستنكار،... أوالمبادرة بأي نوع من ردود الأفعال السلبية، أو الإيجابية، القولية، أو العملية، وهي التي ما فتأت تنادي بحق اليهود الشعب المقدس المتميز عرقياً، وشعاراتها التي غدت في هذا الظرف ممجوجة ظاهرة الكذب، والافتعال.

3. عدد الهالكين بالمذبحة يساوي ثلث، أو نصف عدد اليهود بالعالم آنذاك بحسب ما تناقلته وسائل الإعلام، وإن كان العدد مبالغاً فيه، إلا أنه يبعث على الراحة بالنسبة للساسة المعنيين بالأمر من حيث التفكير في ترحيل مثل هذه الأعداد مع تكلفتها المادية والاستيطانية التي غدت أقل في حسابات الصندوق الأمريكي والأوربي الحليف.

4. وقف تأشيرات الهجرة لأمريكا، ودول أوربا، لا يعطي متسع من التفكير لعدد من الحلول إذ لا ترغب أي دولة من دول العالم استقبال مئات الألوف الباقية، والناجية من المذبحة؟ فإلى أين يتجهوا؟ إنها العبقرية الوحشية، المبنية على الدمار، والخراب، والدم!! تلك هي الحقيقة الناصعة للتحالف الصهيوني النازي التي تفتقت على إبادة ملايين البشر؛ لتحقيق أحلامها، ومآربها، وهي ذاتها مبادئ، وأهداف الصهيونية الإمبريالية....إذ لا مكان سوى فلسطين.

5. التحركات المشبوهة إثر المذبحة التي انبرت لتسلط الضوء عليها، وعلى نتائجها التي كانت وقت حدوثها صامته، لا يكاد يظهر منها رد فعل،... والمتمثلة في عقد المؤتمرات، والخطب المدججة، والإعلام المثير؛ وما ذلك إلا لحشد تأييد الرأي العام العالمي، لخلق وطن خاص لليهود، يضم القلة القليلة الباقية من الناجين من المحرقة، والمشتتين في الأرض؛ والذين رفضت كل بلاد العالم استقبالهم، وحصلت بالاتفاق المسبق على التأييد العالمي للترحيل إلى أرض فلسطين.

6. وأخيراً تحقق حلم الصهيونية العالمية، بعد نداءات فاشلة، ومحبطة دامت ثلاث قرون، أجبر بعدها عامة اليهود قسراً،... للإنسياق للمصير المرسوم مسبقاً عبر أكذوبة أرض المعاد. وهذا لا يعني أننا نبرئ ساحة اليهود، وشرهم المستطير، إنما هي الأمانة العلمية التي توجب إظهار الأمور على حقيقتها دون تحيز، أو ضدية، وبحيادية علمية، لا سيما وأن القرآن الكريم ذمهم بالكثير من المواضع التي تظهر بجلاء ما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة.

7. من الطبيعي أن: «تحولت الجماهير اليهودية في أنحاء العالم التي لا وجهة لها سوى فلسطين إلى الالتفاف الكامل حول الحركة الصهيونية، ولأول مرة في التاريخ، كما حصلت على عطف الرأي العام العالمي»(1)، فكانت الإستراتيجية النازية المتلاقحة مع الفكر الصهيوني العالمي من أقوى الاستراتيجيات، والأفكار التي اختصرت، واختزلت نداءات، ومحاولات ثلاثة قرون ماضية كُللت بالفشل الذريع في ست سنوات لا أكثر، والناظر إلى تاريخ بدايات النداءات الأولى للهجرة إلى فلسطين منذ عام (1621م) إلى عام (1922م) التي لم يكتب لأي منها النجاح، ومقارنتها بتاريخ المحرقة النازية عام (1942م)، وتاريخ قيام دولة إسرائيل عام (1948م)؛ ليؤكد ما ذهبنا إليه.

8. وأخيراً بعد عمل دؤوب تحققت الأحلام على أرض الواقع بعد التقاء الإمبريالية، والصهيونية، والنازية، وكان الثمن حصد روح ست ملايين نفس، وهذا ببساطة مجرد أول خط يُخط على طريق البداية الطويل، وأول فداء للأحلام الصهيونية. فإذا فادى اليهودي بأبناء جلدته بالطريقة الوحشية فما الذي ننتظر منه أن يفعل للشعب المسلم الأعزل في فلسطين؟ وإذا كان النصراني الرأس المدبرة للمشروع الصهيوني إلى النهاية البشعة التي آل إليها، فما الذي ينتظره المسلمون من أمريكا، ومن على شاكلتها لنصرة القضية الفلسطينية، أو المسلمين؟.

عليه اتضح من خلال العرض السابق أن الفكرة منذ نشأتها إلى زمن اقتناع قادة اليهود، وزعماء الغرب بتقرير فلسطين وطناً لليهود لم تكن مرتبطة بالدين في كل خطواتها، ومجرياتها، ولا بالأصول العقدية الفكرية اليهودية، كما أن دعاتها العلماني التوجه ليس لهم أي انتماء ديني، وما انتماءاتهم المزعومة إلا لتمرير القضية على الرأي العام العالمي؛ لتسويغ الاحتلال الصهيوني الإمبريالي تحت مزاعم دينية.

ردود أفعال رجال الدين الأصوليين اليهود داخل فلسطين، وخارجها لاعلان الصهيونية بأنها المتحدث الرسمي باسم اليهود:

تباينت ردود أفعال اليهود داخل، وخارج فلسطين بين مؤيد، ومعارض:

- يتجلى الاتجاه المؤيد بنزعة توفيقية بين الدين اليهودي، والصهيونية العلمانية، وقد أسس أصحاب هذا الاتجاه جناحاً لهم داخل الحركة عام (1902م) تحت اسم مزراحي، كما أوجد أصحاب هذا الاتجاه أصولهم الفكرية في كتابات العديد من الحاخامات، واشترطت هذه الحركة لتكليل التعاون بينها وبين الصهيونية بالنجاح عدداً من الشروط منها عدم خروجها عن الحدود الدينية المرسومة من قبل الحركة.

- بينما عارضت الأصولية اليهودية الأرثوذكسية، والحاردية الصهيونية أشد العداء، ورفضت

(1) انظر: خطيئة إسرائيل: دومنيك. ص 46.

التعاون معها، كما رفضت وجودها جملة، وتفصيلا، وأخذت منها موقفاً سلبياً، ومعادياً، ولم تقبل، أو ترحب بالمسارات التوفيقية التي انتهجتها مزراحي، واحتسبت أعضاءها متآمرين على التوراة، كما كتب الحاخام حاييم سولو فيتشك عام (1899م) بالصحف يقول: «أن كل واحد من الصهيونيين سيء السمعة...، وأن مقصدهم...هو اقتلاع الديانة من أصولها»(1).

وقد نظم المعارضون للصهيونية منظمة أطلق عليها أغودات يسرائيل عام (1911م)، بقصد محاربة النشاطات الصهيونية، والحد من تزايد الحركات غير الأرثوذكسية في اليهودية(2).

ثم ما لبث أن تغير موقفها من الصهيونية إذ أيد غالب حاخاماتهم قيام إسرائيل، مما أدى إلى انقسامها على نفسها داخلياً بين مؤيد، ومعارض، واستقل المعارضون للحركة بحزب أطلق عليه ناطوري كارتا، وسنعرج على مواقف كل حزب بالتفصيل ـ بإذن الله ـ بالفصل الخامس من الباب الأول.

وبناءً عليه فإن الحديث عن الأصولية اليهودية، والنصرانية خلال البحث سينصرف إلى الصهيونية العالمية، وتشمل كل أصولية يهودية، أو نصرانية مساندة للمشروع الصهيوني؛ لاندماجها تحت مظلتها، ولا نعني بحال الأصوليتين اليهودية، والنصرانية الرافضة والمعادية للأصولية الصهيونية العالمية، وللكيان الإسرائيلي المدافعة عن الحق الفلسطيني الرافضة للاحتلال، ولمزاعمه الدينية، وهذا ما سنفصل القول فيه في مواضعه من البابين الأول والثاني بإذن الله.

الباب الأول

التنظيمات الأصولية اليهودية المعاصرة

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: نشأة الأصولية اليهودية المعاصرة وتطورها

الفصل الأول
نشأة الأصولية اليهودية المعاصرة، وتطورها

ظهر من المبحث الثاني في التمهيد من خلال السرد المجمل للعلاقة بين اليهود، والنصارى أن الأصولية الصهيونية اليهودية الحديثة ظهرت كرد فعل لمزيج من التأثيرات المعاصرة منها: معارضتها للبدع التي دخلت الديانة اليهودية، ومعارضتها لليهود الذين يرفضون الخضوع لسلطة الحاخامات(1)، والعلمنة، وكثلكة اليهود القسرية، وما يلاقونه من العنت، والاحتقار من مواطني البلدان التي يعيشون فيها، والطرد قسراً من دول أوربا، ومحاولات وقف هجرتهم لدول أوربا الغربية، وأمريكا،...وغيرها، فمتى نشأت الفكرة إذاً؟

في أواخر القرن التاسع عشر امتدت الجذور الأصولية اليهودية إلى الصهيونية قبل انتقالها إلى المنطقة العربية، وذلك من خلال حركة الحسيدية التي ظهرت ضمن اليهودية الأرثوذكسية، في محاولات لتنمو فيما بعد لتكون مزيجاً من الدين، والسياسة؛ للتعبير عن جوهر اليهودية التجديدية بما يتلاءم مع تطورات العصر الحديث، وخصوصاً التوجهات القومية للرأي العام في أوربا(2). واليهودية الأرثوذكسية، والمحافظة هما الأوسع انتشاراً بين يهود إسرائيل، وهما الأقرب إلى بنية الفكر الصهيوني(3). ولكنهما إلى ذلك الوقت لم يتبنياه.

وعندما ظهرت فكرة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر في مؤتمر بازل (1897م) كانت صهيونية علمانية سياسية استيطانية؛ لذا عارضها غالبية اليهود الأصوليون المتدينين، ووقفوا بشدة ضدها فكراً، وتنظيماً(4).

وقد أوضح ديفيد فيتال معارضة اليهودية الأرثوذكسية للصهيونية السياسية في قوله: «أن السواد الأعظم من الحاخامين الأرثوذكسيين الذين كانوا يمثلون يهود أوربا الشرقية، قد شنوا حملة تهدف إلى تدمير الحركة، أو شلها على الأقل، واستمرت على ثبات عظيم في غايتها. وتدخل الحاخامون كثيراً لعرقلة جمع الأموال، وأدانوا التعاون مع (الخطاة) الدنيويين الذين سادوا الحركة الصهيونية»(5). ثم يقول: «كان اعتراض الأرثوذكسيين على الصهيونية في الأصل اعتراضاً لاهوتياً، نشأ عن نية الصهيونيين العلمانيين عكس مسار التاريخ اليهودي، وإعادة صنع الشعب اليهودي بفعل القدرة الإنسانية البحتة، وكان رأي الأصوليين الأرثوذكسيين الثابت أن حال اليهود في شتاتهم إنما هي حال قضاها الله بقضائه، وأن السعي لتبديلها دون أمر إلهي كفر، ولا طائل فيه، وكان اليهود على الضد من ذلك ملزمين إلزاماً دينياً بأن ينتظروا الخلاص على يدي المسيح، مع الصبر، والتسليم بالقضاء الإلهي إلى أن يأذن الله في ذلك»(6). ثم ما لبث أن ظهرت مسألة العلاقة بين الصهيونية العلمانية، واليهود الأصوليين المتدينين في المؤتمر الصهيوني الثاني بازل (1898م) الذي قرر أن الدين مسألة شخصية، والمنظمة الصهيونية لن تتخذ أي موقف رسمي منه، ثم أعلنت المنظمة الصهيونية في نفس الوقت عن حاجتها إلى تشكيل حركة دينية منسجمة في تطلعاتها مع الأهداف الصهيونية؛ لتتجاوز المعارضة الأصولية الدينية التي أثارها اليهود الأرثوذكس ضد الحركة الصهيونية العلمانية(7). وأبرز من مثل الاتجاه التوفيقي بين الدين، والصهيونية الحاخام (ابراهام كوك 1865: 1935م) رئيس اليهود الأشكناز في فلسطين(8).

وتجلى هذا الاتجاه بنزعة توفيقية بينهما، وقد أسسه جناح لهم داخل الحركة الصهيونية عام (1902م) تحت اسم مزراحي، ووجد أصحاب هذا الاتجاه أصوله الفكرية في كتابات العديد من الحاخامات من أبرزهم الحاخام يهود القزالي (1798: 1878م)، الذي عبّر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود خاص؛ لتحقيق خلاص اليهود. فنشر كراساً بعنوان اسمعي يا إسرائيل حث فيه على إنشاء مستعمرات يهودية، لكي تكون مقدمة ضرورية للخلاص. وبما أن الفكرة التي دعا إليها كانت مغايرة للمفهوم الأصولي الديني الشائع؛ لذا يبدأ يبحث عن تلك النصوص التي تبرهن

(1) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إسرائيل شاحاك، ونورتون ميزفينسكي. ترجمة: ناصر عفيفي. ج1. ص29: 40. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة. (ط2: 2004م). وانظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص33.
(2) انظر: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: د.جمال البدري. ص65 .
(3) انظر نفسه: ص67- 77.
(4) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي. أنور سعيد الحيدري، ص30. مخطوط رسالة ماجستير. كلية العلوم السياسية جامعة بغداد (ط: 2004م).
(5) الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص34.
(6) نفسه: ص35.
(7) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: الحيدري. ص30.
(8) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص38.

على شرعية فكرة الخلاص الذاتي، وتبررها، واستند في ذلك إلى أسطورة يهودية خلاصتها أن: «المسيح بن يوسف سوف يسبق المسيح المنتظر بن داود، ويقود اليهود في حروب يأجوج، ومأجوج؛ لفتح فلسطين بحد السيف»(1).

أي أنه أراد أن يقرن الصهيونية العلمانية السياسية بالمسيح بن يوسف؛ لكي يجعلها مقبولة لدى الأوساط الأصولية الدينية اليهودية، وتكررت تلك الأفكار في كتابات الحاخام أبراهام كوك (1865: 1935م)، وهي التي شكلت الأساس الفكري والعقائدي لحركة مزراحي، حيث سهلت كتاباته التعاون الأصولي الديني مع الصهيونية؛ لأنه كان دائم البحث عما أسماه بالاشتمال بمعنى: تبني المنظور الذي يشتمل مختلف وجهات النظر اليهودية. بما فيها الاتجاهات المناوئة للدين. من هنا كان دفاعه عن الاتجاه الصهيوني العلماني ضد تزمت الأصولية الحاريدية، حيث عد الصهيونية هبة إلهية داخل الروح اليهودية، والسابقة لقدوم المسيح المنتظر(2). مبيناً أن من الضروري التمييز بين الإرادة، والرغبة الذاتية للفرد الفاعل في التاريخ، وبين النتائج الموضوعية لأعماله. وأن الصهيونيين ــ على حدِّ زعمه ــ وإن أرادوا مشروعاً علمانياً، إلا أنهم أرادوه أن يكون في يد الله يصنع به الخلاص لشعبه(3). وبتأثير هذه الحالات التوفيقية أنشأ الحاخام يسحق يعقوب ديتز حركة مزراحي(4).

وفي عام (1918م) أنشأت مزراحي فرعاً لها في فلسطين(5) ولم تقتصر مجامعها على الأمور الدينية الصرفة، بل امتد نشاطها إلى الأمور الدنيوية ذات الصلة المباشرة بالمشروع الاستيطاني الصهيوني، حيث جرى إقامة منظمة هبوعيل مزراحي أي: العامل المتدين عام (1921م) في القدس. وبدأت المنظمة الجديدة نشاطاتها في مجال الاستيطان، والهجرة، وأعلنت أن مبادئها بناء البلاد بحسب تقاليد العمل بالتوراة(6).

وبرغم أن الحركة بدأت منذ نشأتها على الطابع التوفيقي بين الدين، والصهيونية إلا أنها لم تخلط بينهما، فترى أن ما قامت به الصهيونية ما هو إلا بتدبير العناية الإلهية، وسوف تصل بنفسها إلى استنتاج خلاصته: «أن الإنجاز المادي عندها ليس هدفاً كافياً، وأن القوة الروحية المستوحاة من الدين هي القوة الحقيقية، وحينئذ سوف تتكشف الطبيعة الجوهرية لليهود، حيث يتوبون توبة نصوحة، وتصبح إسرائيل في نهاية المطاف دولة التوراة»(7)؛ لذلك فإن زعماءها عدّوا التعاون مع الصهاينة العلمانيين واجباً دينياً؛ لأن داخل كل يهودي سواء كان متديناً أم غير متدين يد خفية يحركها الله نحو فعل الخيرات على حد زعمهم، ومن ثم فإن اليهودي العلماني مدفوع بقوة خفية؛ لتنفيذ وصايا الرب، ولابد من تكاتف الجهود مع الحركة الصهيونية(8)؛ ولذلك جاء في البيان الذي أعلنه مزراحي بقصد تعبئة الجماهير، ودفعهم للانضمام إلى صفوف الصهيونية مفاده: «إن إيجاد صلة بين الحركة الصهيونية، واليهودية المتزمتة، وإقامة استيطان يهودي بموجب توراة إسرائيل لا يمكن أن تتحقق دون أن ينضم اليهود المتمسكون بالدين إلى الحركة الصهيونية، ومحاولة التأثير عليها»(9).

وقد جاء في هذا البيان ما يأتي:

1. أن الضرورة تقتضي بأن يوحد المؤتمر كافة أبناء صهيون المخلصين لقضيتنا للعمل بانسجام، حتى ولو كانت بينهم اختلافات فيما يتصل بالدين.

2. إن موقفنا من أولئك الذين لا يلتزمون بتعاليم الدين ــ الصهاينة ــ يجب أن يكون شبيهاً بموقفنا من ظهور أشخاص ينقذوننا في حالة شب النار في بيوتنا، ففي مثل هذا الظهور ألا يكون موقفنا هو أن نستقبل أي شخص بكل سرور، ولو كان غير متدين في رأينا حين يأتي لإنقاذنا؟(10).

---

(1) كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية: الحاخام أبراهام إسحق كوك. ص9. منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1970م.
(2) انظر: نفسه. ص293- 294.
(3) انظر: دوامة الدين والدولة في إسرائيل. عزمي بشارة. ص37.
(4) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبد الله. ص97 وانظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص39: 40.
(5) انظر: الموسوعة الفلسطينية: ص197. إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية. دمشق (ط: 1984م).
(6) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبد الله. ص86 : 87.
(7) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص41. وانظر: العلاقة بين المتدينين والعلمانيين في دولة إسرائيل. اليعيزر شافيد. ص294.
(8) انظر: الدين والدولة في انتخابات الكنيست الأخيرة: عبد العزيز شادي. ص48: 49. مجلة شئون فلسطينية. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. العدد 233: 234. أب. أيلول 1992م.
(9) الدين والسياسة في إسرائيل: العازار. وأفياد. ص16.
(10) انظر: كتاب الحركة الصهيونية النصوص الأساسية: رسالة إلى المؤتمر الصهيوني الأول: الحاخام =

وبذلك أنكرت مزراحي الدلالة الروحية للمشروع الصهيوني الذي لا يمثل سوى مجهود إغاثة دنيوية لليهود يقوم على تعاظم الحاجة اليهودية إلى ملاذ آمن، وقد تم هذا المشروع وفقاً للعناية الإلهية على حد زعمهم، ورأت أن إيجاد صلة بين الحركة الصهيونية، واليهود المتدينين، وإقامة استيطان يهودي بموجب توراة إسرائيل، لا يمكن أن يتحقق دون أن ينضم اليهود المتمسكون بالدين إلى الحركة الصهيونية ومحاولة التأثير عليها(1) وعلى هذا الأساس اشترطت على الصهيونية:

- عدم خروجها عن الحدود المرسومة لها.
- عدم إضعاف الحياة الدينية.
- أن لا تدعم وتقوى الدواعي الدنيوية على حساب الفكرة الدينية(2).

وقد تعهدت الحركة الصهيونية في مؤتمرها الثاني المنعقد عام (1989م) عدم اتخاذ أي إجراء يتعارض مع أحكام الديانة اليهودية(3) الأمر الذي قوي من دوافع التعاون ما بين مزراحي، والحركة الصهيونية.

ولم يفت أصحاب هذا الاتجاه، ودعاته فلسفة خطواتهم الخطرة التي يخالفوا فيها أصولهم المعتمدة بتوراتهم مخالفة صريحة، حيال احتواء الصهيونية العلمانية، واتخاذهم موقفاً إيجابياً منها متذرعين ومبررين ذلك بأن: «الصهيونية العلمانية تنفذ فكرة الخلاص الموضوعية دون أن ينفذ ذلك إلى وعيها الذاتي إلا إنهم سيدركون في نهاية المطاف، نتائج عملهم، وسيعودون إلى أحضان اليهودية»(4) . هذا كان موقف حركة مزراحي التوفيقية.

ولم تكن الأصولية الدينية الحاريدية أقل شأناً من الأصولية الأرثوذكسية فقد عارضت الحركة المشروع والصهيونية بشدة منذ البدء، وأخذت منها موقفاً سلبياً، ومعادياً فلم تقبل أو ترحب بها، أو بمسارات التوفيق التي انتهجتها مزراحي، واحتسبت أعضاءها متآمرين على التوراة، فالحاخام حاييم هاليفي ذهب إلى القول: «على شعب إسرائيل ألا ينضم إلى مغامرة تهدد بتدمير الدين»(5)، كما كتب الحاخام حاييم سولو فيتشك عام (1899م) بالصحف يقول: «أن كل واحد من الصهيونيين سيء السمعة...وأن مقصدهم...هو اقتلاع الديانة من أصولها»(6)، وقد نظم المعارضون للصهيونية منظمة أطلق عليها أغودات يسرائيل عام (1911م)، بقصد محاربة النشاطات الصهيونية، والحد من تزايد الحركات غير الأرثوذكسية في اليهودية(7). وأكد فيتال بأن اعتراض الأرثوذكسية الأساسي على الصهيونية اعتراضاً لاهوتياً، وقد نشأ هذا الاعتراض عن نية الصهيونيين عكس مسار التاريخ اليهودي، وإعادة صنع الشعب اليهودي، أو بالأحرى تخليصه بفعل القدرة الإنسانية البحتة(8).

ولذلك وجدت أغودات أن الصهيونية تمثل خطراً على الدين اليهودي(9)، خصوصاً أنها ستحول اليهود من جماعة دينية إلى جماعة قومية(10)؛ ولهذا حذر الحاخام غور من الصهيونية قائلاً: «على اليهودي ألا ينضم إلى الأشرار أولئك هم الصهاينة»(11). كما صدر بيان احتجاج عن المرجعية الدينية لأغودات على الدعوة إلى مؤتمر بازل ورد فيه: «أن مساعي الذين يسمون أنفسهم بالصهيونيين، وهي المساعي الرامية إلى تأسيس دولة قومية في فلسطين، تتنافى مع العقائد المتعلقة بانتظار مجيء المسيح في اليهودية»(12).

=

صموئيل موهيليفر. ص16. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1897م.

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص44.
(2) انظر: الحركة الصهيونية النصوص الأساسية: إسحق جرينفيم. ص96. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران 1967م.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص42.
(4) نفسه: ص46.
(5) دوامة الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة: ص28، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ع3، آذار 1990م.
(6) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص43.
(7) انظر: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة: ديفيد لانداو. ترجمة: مجدي عبد الكريم. ص16. مكتبة مدبولي. القاهرة. (ط1: 1994م).
(8) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص43.
(9) انظر: دولة إسرائيل: كامي كوهين. منشورات فلسطين المحتلة. ص29.
(10) انظر: الأيدلوجية الصهيونية: د.عبد الوهاب المسيري. القسم الثاني. ص62. المجلس الوطني للثقافة والفنون. الكويت (ط1: 1983م).
(11) دوامة الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة. ص129.
(12) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص43.

وأعلنت أغودات مبادئها لأتباعها فيما يأتي:

- يُحرم على اليهود الإسراع في عملية الخلاص عن طريق أي جهد بشري.
- أن اليهود يجب أن يظلوا في المنفى ينتظرون مجيء المسيح المنتظر الذي سيقودهم إلى فلسطين لتحقيق الخلاص.
- تُحرم الهجرة إلى فلسطين، أو انتزاع الأرض بالقوة من أهلها.

وأكدت الأصولية الحاريدية على أتباعها بأن حال اليهود في شتاتهم مع ما يصاحبه من آلام، إنما هي حال قضاها الله، وأن السعي لتبديلها من دون أمر إلهي يعد كفراً، ولا طائل فيه. ولذلك نبه الحاخام ريفائيل هيرش اليهود عام (1911م): «ألا يحاولوا القيام بأي عمل من تلقاء أنفسهم من أجل استرداد سيادتهم، بل عليهم أن يؤدوا مهمتهم في الشتات، منتظرين الخلاص بواسطة التدخل الإلهي وحده»(1).

بل إن المرجعية الدينية لأغودات توقعت وقوع كارثة في بيان رسمي أصدرته مفاده: أن الصهاينة سوف يتسببون في كارثة لليهود أعظم من كل النكبات السالفة، وهم بهذا يتهمون الصهيونية بالنبوة المسيحانية الكاذبة، وبالتدخل في شئون الله؛ لأن جمع الشتات من بشائر قدوم المسيح الذي سيقيم مملكة داود؛ لذلك ناشدت أغودات اليهود باسم الدين بالابتعاد عن الصهيونية، وعدم المشاركة في مؤتمر بازل الذي يصرون على عقده رغم التحذيرات الأصولية التي أطلقت ضد الفكرة، والدعوة(2).

ويبدو أن موقف الأصولية الحاريدية المناوئ للصهيونية نابع من معارضتها لفرض الخلاص بعمل دنيوي؛ لأنهم يعتقدون أن على اليهود المخلصين للتوراة أن يطهروا أنفسهم؛ لإنجاز العمل الديني التقليدي المتمثل بتطبيق التوراة في فترة التشرد وانتظار الخلاص الذي لا يمكن أن يتم إلا بمشيئة الله في الوقت الذي يختاره.

يضاف إلى ذلك: أن هذا الموقف يمثل استمراراً لموقف الأصوليين الحاريديين الذين قاوموا التغيرات في حياتهم، ومعتقداتهم من عصر التنوير، حيث شعروا بأنهم يشهدون تحلل الحياة اليهودية التقليدية، فعقدوا العزم على مقاومة استمرار هذه العملية في الأوساط اليهودية. وفي رأيهم: أن الصهيونية حركة علمانية منبثقة من أناس غير متمسكين بالدين، ومغتصبون لإرادة الله؛ لذلك فهي تنطوي على جرف اليهود إلى الضلال، وأن الدراسات العلمانية في المدارس الصهيونية، ودفع النساء للتصويت في المؤسسات الصهيونية ما هي إلا أمثلة على ذلك(3).

لهذا خشيت الأصولية الحاريدية من أن تلقى ضربة الموت بهذا الشكل من الصهيونية العلمانية(4). فدخلت في صراع معها باسم روح اليهودية وأخلاق أنبيائهم، وسخرت من هرتزل لقوله: «نحن شعب الكهنة، وأمة من الأنبياء، فماذا يعني بهذا عندما يأتي ليتحدث إلينا عن النشاط السياسي»(5).

وبناءً عليه عارضت أغودات نشاطات المنظمة الصهيونية في مجالي الهجرة والاستيطان بشدة، رغم امتداد نشاطاتها داخل فلسطين عام (1912م)، وعملت على إقامة مؤسسة اجتماعية، اقتصادية لدعم عزلة أتباعها الموجودين في فلسطين عن مؤسسات النشاط الصهيوني العلماني. وفي عام (1918م) تمكنت من إنشاء ما يعرف بالمجتمع الحريدي في القدس الذي كان يعتمد على الدعم المادي، والبشري الوارد من مراكز الأصولية الحاريدية الموجودة في ألمانيا، وبولندا(6). ثم ما لبثت وانبثقت عنها عام(1922م) حركة أصولية عمالية تدعى بوعالي أغودات، أي: عمال أغودات، بقصد حماية العمال اليهود من الأفكار الاشتراكية.

وكان أفراد هذا المجتمع مصممين على مقاومة الصهيونية. ولوحظ أنه كلما ازداد تدفق الصهاينة على فلسطين، فإن حال المعارضة لدى المجتمع الحريدي، كان يعبر عنه بصورة جغرافية عن طريق التصميم على العيش في مناطق منفصلة منعزلة، ويعملون على أن تكون مناطقهم مكتفية ذاتياً قدر الإمكان(7)، وقد أدى هذا الأمر من حين لآخر إلى صدامات عنيفة بين الأصولية الحاريدية، والمعسكر الصهيوني، وصلت إلى حد اغتيال الحاخام يعقوب يسرائيل دي

---

(1) نفسه: ص44.
(2) انظر: قضايا الدين: رزوق. ص138.
(3) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: دانيال العازار. وجاجنيت أفياد. ص20: 21.
(4) دولة إسرائيل. كادمي كوهين. ص29. منشورات فلسطين المحتلة. (ط:1981م).
(5) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي. نديم عيسى. ص45.
(6) انظر: الدين والدولة في انتخابات الكنيست الأخيرة: عبد العزيز محمد شادي. ص49، مطابع كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة (ط: 1993م).
(7) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: العازار وأفياد. ص21.

هان أحد زعماء أغودات في فلسطين(1).

ولكن موقف أغودات المعادي للصهيونية لم يستمر طويلاً فبدأ نوع من التحول الواقعي تجاهها، فبدأت تتحول من المعارضة إلى التأقلم، ثم التعاون التدريجي، وبدأ التحول أثناء اجتماع الجمعية الكبرى لأغودات، حيث صوتت الأغلبية ولأول مرة على الموافقة على إقامة الدولة اليهودية في فلسطين بالجهود الذاتية الصهيونية من منطلق عدم البقاء على هامش السياسة اليهودية خصوصاً عند صدور توصيات التقسيم الأولى الصادرة عن لجنة بيل.

ثم قضت أغودات مع الصهيونية اتفاقاً ايدولوجيا، يضع اليهود شعب يتطلع إلى استخلاص حقوقه، والانتظام كأمة بالمفهوم السياسي، وكذلك إحياء ثقافته القومية، المستقلة والفريدة. ولم يكن هناك اتفاق حول مضمون الثقافة التي يتم إحيائها، بيد أنه كان واضحاً عدم وجود أي احتمال للتوصل إلى اتفاق في هذا الصدد(2). وفي الوقت نفسه عملت أغودات على غرس اعتقاد راسخ في نفوس أتباعها يدور حول ضرورة مجابهة الأفكار الصهيونية التي ستصبح دوماً ضعيفة؛ لأنها تقاسي من أزمات حادة من حيث الغرض، والهوية على حد زعمها(3). ومنذ ذلك الحين أخذت أغودات تشارك في النشاطات الاستيطانية، والعسكرية، والصهيونية(4).

ويبدو أن هذه التحولات الواقعية لأغودات تجاه الصهيونية من الرفض إلى القبول، والاندماج كان وفق شروط مشددة، وافقت عليها الوكالة اليهودية فيما بعد، ترجع إلى عدة أسباب أهمها ما يأتي:

1. ازدياد موجات هجرة المتدينين من وسط أوربا الذين كانوا أكثر اعتدالاً في نظرتهم للحداثة، وللصهيونية. من المستوطنين الأصوليين القدامى في فلسطين(5).
2. التهديد الحاد للنازية الهتلرية الذي أجبر قادة أغودات على التفكير بطرق؛ للتعاون مع الصهاينة من أجل إخراج اليهود من أوربا، وتوطينهم في فلسطين(6).
3. تيقن أغودات بأن الدولة اليهودية ستقام بغض النظر عن رغبتها، لذلك ينبغي التعامل معها كأمر واقعي(7).
4. طمعت في تأمين مصالحها الدينية، والسياسية، والاقتصادية على المدى البعيد، والخروج من العزلة التي فرضتها على نفسها، والمشاركة في القرارات السياسية، واحتلال مقاعد نيابية، والحصول على حقائب وزارية... مما هي بحاجة إليه لدعم طائفتها، وتثبيت موطئ قدم في الحكومة.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية أرسل بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية رسالة موجهة إلى زعيم أغودات الحاخام ليفين تضمنت تعهدات صهيونية بتحقيق الطلبات الخاصة بالحركة التي ارتأت من خلالها الدولة المستقبلية إن هي قبلت بتوحيد الجهود(8). ووافقت أغودات على مضمون الرسالة، ووقع الطرفان على الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية الوضع الراهن، التي وقعها بن غورين بنفسه، ووقع إلى يمين توقيعه الحاخام (فيشمان ميمون) كضمان بألا يتراجع عن تعهداته، ووقع إلى يسار توقيعه يتسحاق غرينبويم، كضمان بأن الجهات الأكثر تطرفاً في الأصولية قد أيدت ما هو مدون ولن تجبره على التراجع عن تعهداته، وقد تضمنت الاتفاقية ما يأتي:

1. أن يكون يوم الراحة في الدولة اليهودية يوم السبت. على أن يسمح للنصارى، والمنتمين إلى ديانة أخرى بالتعطيل في يوم عطلتهم الأسبوعي.
2. اتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الأطعمة الشرعية (الكوشير) في كل مطبخ يهودي.
3. تنظيم الأحوال الشخصية وفق الشريعة اليهودية، الزواج المدني، الطلاق....
4. ضمان استقلالية كاملة لكل تيار في مجال التعليم، ولا يتعرض الحكم، أو السياسة للمعتقد

---

(1) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبد الله. ص130: 131. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط:1981م).
(2) انظر: العلاقة بين المتدينين والعلمانيين في دولة إسرائيل: اليعيزر شافيد. ص193. اليعيزر شافيد. ترجمة: مجلة سيكراه حودشيت في 1986/5/11م. العدد 4 في 28 تموز 1986م. وكالة المنار للصحافة والنشر. مج3.
(3) انظر: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة: ديفيد لانداو. ص22: 23.
(4) انظر: النظام السياسي الإسرائيلي: سعيد تيم. ص47. دار الجيل. بيروت (ط1: 1989م).
(5) انظر: الدين والساسة في إسرائيل: العازار. وأفياد. ص23.
(6) انظر: الإسرائيليون الأوائل: 1949م: توم سيغف. ترجمة: خالد عايد وآخرون. ص246. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1986م).
(7) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص47.
(8) انظر: العنصر الديني في التطرف القومي الإسرائيلي: جارلس ليمبان. ص38. ترجمة: م. ب. م. بغداد (ط: 1987م).

الديني، وللضمير الديني لأية فئة في إسرائيل(1).
وقد أبدى أعضاء المجلس التنفيذي للوكالة تقديرهم لجدية المشكلة، وصعوبتها، وبأنها ستعمل، وجميع الهيئات التي يمثلها المجلس لتلبية الحاجة الماسة إلى المحافظة على سلامة الدين، ولمنع انقسام الشعب اليهودي.
وواضح أن الصهيونية كانت مضطرة لتقديم التنازلات الأولية على اتفاقية الوضع الراهن؛ لأنها بحاجة إلى تأييد المنظمات المتواجدة على أرض فلسطين؛ ولإظهار مدى التماسك في مطالب اليهود بوطن قومي. خصوصاً أمام لجنة الأمم المتحدة التي زارت فلسطين في منتصف الأربعينات لاستطلاع إمكانية التقسيم(2).
بينما قبلت أغودات بالاتفاقية من موقع الضعف؛ كي تُؤمن مصالحها، وذلك عبر التواجد، والتأثير في مراكز صنع القرار السياسي، خصوصاً أنها شعِرت بالعزلة التامة في السياسة اليهودية في تلك الفترة؛ لذلك أذعنت لاحقاً إلى مطلب صهيوني خلاصته: «أن يستمر الراديو الحكومي بالعمل خلال أيام السبت، والعطل الدينية الأخرى، وأن تستمر الممارسات العامة، مثل النقل العام في تلك المناسبات»(3). وهكذا تلاقت ظروف تأييد أغودات مع حاجة المنظمة الصهيونية لتأييدها أمام لجنة الأمم المتحدة، فتم التوصل إلى الاتفاقية المذكورة. وطبيعة هذه الاتفاقية مهمة جداً؛ لأنها أرست الخطوة الأساسية التي سارت بموجبها الأحزاب الأصولية تجاه السياسة الصهيونية، إذ أصبح هذا الاتفاق محوراً للتفاعل بين الأحزاب الأصولية، والحركة الصهيونية في أعقاب نشوء الدولة الإسرائيلية. كما أن تلك الاتفاقية قد وضعت الإطار للخلافات القائمة بينهما، ولم تسمح لها بالتصاعد إلى حالة العنف المتبادل. ومع ذلك فقد بقيت بؤرة الصراع قائمة بينهما؛ لأن:
<u>البند الأول</u> من الاتفاقية لم يضمن حظر انتهاك حرمة السبت.
<u>البند الثاني</u>: لم يضمن حظر المواد الغذائية غير المحللة شرعاً.
<u>البند الثالث</u>: فقد كان مبهماً، ولو أنه أعطى أساساً افتراض أن إسرائيل لن تعمل بالزواج المدني(4) فضلاً عن الخلاف الجوهري القائم بينهما، والذي يكمن بكون أغودات تحاول إخضاع السياسة للمفاهيم، والقيم الدينية، بينما تحاول الصهيونية أن تعطي بعض المفاهيم الدنيوية طابعاً مقدساً لتبرير سلوكها السياسي.
وبرغم ما حققته أغودات من تقدم في الانصهار بالصهيونية؛ لتحقيق أهداف كل منهما، إلا أنها انقسمت على نفسها داخلياً، ذلك أن بعض زعماءها المنظرين القدامى في فلسطين بقوا على تصلبهم في معارضة الصهيونية؛ ولذلك انفصلوا، وشكلوا مجموعة عرفت باسم ناطوري كارتا التي ترى في الصهيونية مجرد حركة إلحاد، لأنها انتهكت العهود الثلاثة التي قطعها اليهود للرب قبل خروجهم إلى المنفى، وهي:

1- «ألا يسببوا الألم للأغيار الذين يقيمون بينهم.
2- أن لا يحاولوا احتلال أرض إسرائيل بالقوة.
3- أن لا يستعجلوا أمور الخلاص»(5).

كما يرون أن الصهيونية فرضت على الشعب اليهودي قومية غريبة النوع جردته من صفاته التاريخية، والدينية، والتراثية،... وإنها مخالفة للتوراة؛ لأنها آمنت بإمكانية إقامة الدولة اليهودية بالجهد الإنساني دون انتظار المسيح المنتظر؛ لذلك أكد زعيمها موشي هرش بقوله: «أننا نريد من العالم أن يعرف بأن اليهودية والصهيونية هم نفس الشيء. نحن لا نفكر بأن الصهيونيين ليسوا يهود منا، ولكننا نعتقد أنهم على خطأ عظيم، وبذلك يرتكبون ذنباً ضد قانون الله، وقد تبرأ هرش من الصهيونية عندما علق لافتة على باب داره كتب عليها: «هنا يسكن يهودي، ولكنه ليس صهيونياً»(6).
وتقدمت الحركة من حيث قبول الجماهير المتدينة إلى ما قبل الانتخابات النيابية الأولى لعام (1949م)، حيث وقّع أكثر من (200) حاخام إسرائيلي بياناً يصف إقامة الدولة بأنها بداية الخلاص، وأغلب الصهيونية المتدينة حافظت على هذا الموقف السياسي حتى عام (1967م). ثم

---

(1) انظر: الإسرائيليون الأوائل: توم سيغف.ص257.
(2) انظر: مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي: د. محمد نصر مهنا. ص145: 155. دار المعارف للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1979م).
(3) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص48.
(4) انظر: الإسرائيليون الأوائل: توم سيغف. ص257.
(5) نفسه: ص246. وانظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. 317.
(6) ناطوري كارتا. نادية المختار. ص118: 119. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. العدد 24 أيلول تشرين الأول 1977م.

كان من أهم من نتائج حرب الأيام الستة مايو 1967م، وحرب يوم الغفران 1973م ما يأتي:

1. تعبئة الشعور الديني في صف الأصوليين الخلاصيين.
2. تغيير موقف بعض منظري اليهودية الأرثوذكسية من الصهيونية العلمانية.
3. ظهور الأصولية اليهودية المعاصرة غوش إيمونيم كنتيجة مأساوية، وقعت مصادفة، أواتفاقاً في سياق تطور الصهيونية العلمانية اليهودية. ويرى البعض أن ظهورها كان نتيجة طبيعية غير مقصودة للنجاح الذي حققته الصهيونية السياسية[1]. فيما بعد.

وعموماً اعتبر هذا الظهور تطوراً للصهيونية السياسية المعاصرة، ولنجاحها كما كان له بدايات سياسية تنظيمية واضحة برزت بعد حرب مايو (1967م) في طلائع القيادة الشابة السائدة داخل الحزب الديني القومي المفدال بزعامة حانان بورات، وزفولون هامر ويهودا بن مائير، والحاخام حاييم دروكمان، وقد حققت بدايات هذا الظهور مظاهر الوطنية، والريادة الاستيطانية، والتزام حدود الدين[2].

كما توجد عدة عوامل سابقة أدت إلى نجاح حركة غوش إيمونيم المتمثل في التعاون بين الدعاة المتدينين، وغير المتدينين من أجل تنفيذ المهمة العملية والسياسية المتمثلة في دمج أرض إسرائيل كلها في دولة إسرائيل، وهي:

1. قوة، وأصالة أفكار الحاخام كوك الأكبر ـ من وجهة نظر المحللين ـ.
2. بلورة، وإعلان أفكار الحاخام كوك على يد ابنه تسفي يهودا (1891: 1982م)[3].
3. تقديم، وتنفيذ كل ما تحتاج إليه الأصولية اليهودية من الصهيونية التصحيحية السياسية بزعامة مناحم بيجن، وتحالف الليكود الذي يسوده حزب حيروت[4].

وعند حديثي عن منظمات الأصولية اليهودية المعاصرة، أو أحزابها سنجد أن غوش إمونيم هي التي عملت على تطويرها، وبلورتها، وصبغتها بالصبغة الدينية بعد أن كانت سياسية علمانية الفكر، والتوجه؛ لتصبح الأصولية الدينية الصهيونية. وذلك في الفصل الخامس ـ بإذن الله ـ.

---

(1) انظر: نفسه. ص36: 37.
(2) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك، وميز فينسكي. ج2. ص83. والأصولية اليهودية في إسرائيل: لوستيك: ص37.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: لوستيك. ص38: 41.
(4) انظر: نفسه. ص42: 46.

الفصل الثاني
أهداف(1) الأصولية اليهودية المعاصرة

سبق أن ذكرت باستفاضة في المبحث الثاني من التمهيد الوجه الحقيقي للأهداف الصهيونية الاستيطانية اليهودية، والجانب الخفي الذي لا يدركه إلا من درس تاريخهم السياسي، والديني، وأحوالهم في المجتمعات التي عاشوا فيها خلال (20) قرن مضت، وعرضنا من خلاله كيفية خلق مسألة البعث اليهودي، التي بني على ضوئها التحالف الصهيوني الأمبريالي العالمي، وكيف تحولت هجرة اليهود من أوربا الشرقية إلى فلسطين قسراً، بدلاً من أوربا الغربية، وأمريكا ، بعد فشل نداءات، واستجداءات تحويلها، أو وقفها، وذلك من خلال الاتفاق المبرم بين الصهيونية العالمية، والنازية للقيام بمحرقة الهولوكست؛ لضمان تسريع الهجرة الجماعية لفلسطين، وهو ماحدث فعلياً.

إلا أن مراجعهم الدينية المعاصرة بدأت تتبنى أفكاراً، وأهدافاً دينية رؤيوية توراتية بحتة؛ لتسويغ الاحتلال، والتوسع الاستيطاني في فلسطين. وبما أن الأصولية الدينية تؤمن إيماناً مطلقاً بكل ما ورد في التوراة، فإنها ترى أن هذا الإيمان هو ذاته الذي يؤكد قضية البعث اليهودي. يقول صاحب كتاب الأصولية اليهودية في إسرائيل: «إن الالتزام المطلق للأصولية الصهيونية اليهودية المعاصرة هو تحقيق الوعود التوراتية المقطوعة للشعب اليهودي»(2)، وهي:

1 ـ عودة اليهود من شتاتهم إلى أرض فلسطين:

إن عودة اليهود إلى أرض فلسطين هو تحقيق لوعد إلهي وعده الله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام ـ بزعمهم.، ويقضي هذا الوعد بعودة اليهود إلى أرض فلسطين كانطلاقة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، كما جاء في سفر التكوين17: **(في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً :لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات18)**، وقوله في التكوين17 أيضاً : **(لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك7 وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً8)**.

2 ـ إقامة دولة اليهود:

بناءً على وعد الله لهم بالعودة إلى أرض فلسطين، ويشترط الوفاء بالوعد إقامة دولة على أرضها، وينقل لنا الكاتب المنداوي في مؤلفه نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان قول بن غوريون ـ أول رئيس وزراء بإسرائيل ـ في المسألة : «إن الذي خلق دولة إسرائيل هو رؤيا الخلاص المنتظر لدى شعب متشرد في سائر أنحاء العالم، لكن هذه الدولة لم تحقق الرؤيا بعد، ومستقبلها رهين هدفين جرى التركيز عليهما، واعتبرا بمثابة القوانين العليا للدولة، وهما:

<u>قانون العودة</u>: والغاية منه تجميع المنفيين المشردين من اليهود، ويقول إن هذا القانون بمثابة قانون الديمومة التاريخية، واستمرار الصلة القائمة بين شعبنا، وأرض إسرائيل، وهو يضع المبدأ الأساسي الذي تم بفضله إحياء دولة إسرائيل، كما سيعود إليه الفضل في بقائها، ونموها، وتحقيق رسالتها في الخلاص القومي»(3).

<u>قانون التعليم</u>: برعاية الدولة من أجل ازدهار الثقافة اليهودية، وإنعاشها في أرض إسرائيل، وبث روح اليهودية الخالصة في شتى مضامينها، ومرافقها، وعن هذا القانون ينقل لنا المنداوي قول ابن غوريون أيضاً: «بأنه يضع الخطوط الرئيسية التي تعلقنا بالشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم، وبثقافة إنسانية، ويعين المبادئ التي يمكننا بموجبها أن نصبح شعباً، ودولة نموذجية، وبذلك يصبح التهديد عملاً متمماً للتهجير، وتجميع المنفيين، ومكملاً لقانون العودة، ومسانداً له»(4).

وبعد تآمر عالمي رجحت فيها كفة اليهود، تم تسليم فلسطين لليهود، وأُعلن قيام إسرائيل. وسارعت دول كبرى مساهمة في دفع المشروع قدماً باعترافها بهذا الكيان.

ففي التاسع من إبريل نيسان (1948م) أبلغ الدكتور وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية عام (1920م)، وأول رئيس لدولة إسرائيل عام (1948م)، الرئيس الأمريكي تورمان القرار الصهيوني بإعلان ولادة إسرائيل عند منتصف ليل 14 من آيار مايو، وحثه على أن يقبل الأمر

---

(1) تفصيل للأهداف والمطامع اليهودية وحدودها وخطط تحقيقها انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي: أحمد محمد زايد. ص314. سلسلة الرسائل الجامعية، دار المعالي، الأردن (ط: 1420م). وانظر:أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية: اللواء: محمود شيث خطاب. ص16: 39. إصدار مجمع البحوث الإسلامية. الكتاب16. دار النصر. القاهرة (ط: 1970م).

(2) الأصولية اليهودية في إسرائيل: لوستيك ص13.

(3) نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان: محمد محمود المنداوي. ج1. ص153. دار المحجة البيضاء. بيروت (ط1: 1422هـ).

(4) نفسه: ص153: 154.

الواقع وأن يكون أول عضو في المجموعة الدولية يمنح إسرائيل الاعتراف. وبعد ظهر 13 مايو صدر عن البيت الأبيض القرار بالاعتراف بإسرائيل(1)، وتبعتها روسيا، وسائر دول أوربا.

يقول ابن غوريون: «إن استقلالنا، وحريتنا، وتقرير مصير دولتنا الكبرى، رهن بقوة جيشنا، فلا يجوز أن نركن للراحة، وأن نكتفي بما حققناه باحتلالنا، وانتصاراتنا التي انتزعها جيشنا، إن جيشنا لم ينته بعد من إتمام رسالته، وما زلنا ننتظر يوماً بعد يوم استخدام قوة هذا الجيش، وسلاحه، وعزيمته في إنقاذ، وتحرير أراضي الآباء والأجداد، إن مستقبلنا هو مستقبل الشعب اليهودي بأسره. سنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا بأجمعها، وسنقاتل مَن يقف في تحرير تلك البلاد بلاد الآباء والأجداد، وشعاراتنا التي يجب أن نعمل بها، ونحميها من العدوان هي تحقيق رؤيا أنبياء التوراة، الشعب اليهودي بأسره سيعودوا إلى الاستيطان في أرض الآباء، والأجداد الممتدة من الفرات إلى النيل»(2).

ويعلق هارولد فيش من زعماء حركة غوش أيمونيم على إحجام معظم المراجع الحاخامية عن مباركة الصهيونية قبل بداية المجزرة الأوربية بقوله: «يأمل بأن يكون حاخامو اليوم قد تعلموا الإصغاء إلى صوت إله إسرائيل الذي يكلمنا من جوف نار التاريخ، فإن كانوا قد تعلموا فلن يرتكبوا الخطأ ثانية، بالحط من أهمية الدلالة الكونية للصراعات السياسية القائمة، ولاسيما الصراع من أجل تحقيق السيادة اليهودية الدائمة على أرض إسرائيل بكاملها»(3).

كما أن من شروط قيام هذه الدولة هدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل الثالث مكانه، ثم التهيؤ لقيام الحكومة العالمية، أو المملكة الكونية على يد مخلصهم المزعوم.

3 ـ تعجيل عملية الخلاص:

يزعم الصهاينة لديهم اليهودي بقيامهم بدور مركزي في تعجيل عملية الخلاص التاريخية(4)؛ لذا من العناصر المهمة لديهم اعتقاد أتباعهم أنهم يمتلكون طريقة خاصة توصلهم مباشرة إلى معرفة الحقيقة المتعالية، ومجرى ما يأتي من الحوادث، وتتيح لهم فهم ما يتطلبه المستقبل. فالتاريخ عندهم هو وسيلة اتصال الله بشعبه. والحوادث والاتجاهات السياسية تنطوي على رسائل تمدهم بالتعليمات، والتأنيبات، والثوابات، والتحليل السياسي، والتاريخ يوازي إذا ما شفع بالنصوص الدينية أن يرشد الصراع المستمر من أجل الخلاص، ويشدد اليعيزر شفايد أبلغ منظري غوش إيمونيم على هذا المبدأ في تحليله الخاص للأفكار السائدة في صفوف الأصولية الصهيونية اليهودية(5)، ويعتبر التنافس داخل المجتمع الإسرائيلي بشأن مستقبل الأراضي المحتلة تعبير عن التصارع بين فئاته، وعملية الخلاص لن تسير قدماً إلا إذا تمكن الشعب اليهودي من اجتياز هذا الاختبار، وسواه من الاختبارات التي تسبر إيمانه، والتزامه، ونبذ التسويات العملية الظاهرية في سعيه من أجل تحقيق مهمته التاريخية.

ولقد احتضنت مدارس المزراحي، وحركاته الشبابية، ومعاهده اللاهوتية، فضلاً عن الحزب الديني القومي الحراس الشباب الذين عبروا عن استيائهم من النمط الآلي لسياسة المحافظة على الوضع القائم التي انتهجها قدامى الحزب، وقد طرح الشباب برنامجاً سياسياً يركز على بسط السيادة اليهودية على أرض إسرائيل كاملة، وعد ذلك خطوة حاسمة نحو التعجيل في إتمام الخلاص التي قضت الإرادة الإلهية بها والتي يعتقدون أنها قد بدأت فعلاً.

وقد رحبت حركة المزراحي بمشاركة غير المتدينين من اليهود في دفع المجتمع الإسرائيلي قدماً نحو الخلاص. رغم أنها عملية خلاص كونية، إلا أنهم يرون أنه بإمكانهم إما دفعها إلى الأمام، أو العمل على منع تقهقرها(6).

---

(1) انظر: الأصولية الإنجيلية: السماك. ص110: 111.

(2) نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان: محمد محمود المندلاوي. ج1. ص155، دار المحجة البيضاء، بيروت (ط1: 2001م). وانظر: أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية: اللواء: محمود شيث خطاب. ص16: 39. إصدار مجمع البحوث الإسلامية. الكتاب16. دار النصر. القاهرة (ط: 1970م). وانظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي: أحمد محمد زايد. ص314.

(3) الأصولية اليهودية في إسرائيل: لوستيك. ص100.

(4) انظر: نفسه: ص38.

(5) انظر: نفسه ص99.

(6) انظر: نفسه. ص139.

الفصل الثالث
المصادر التشريعية لدى الأصولية اليهودية المعاصرة

تعتمد الأصولية الصهيونية اليهودية على جملة من المصادر التشريعية الكتابية، والشفهية، وفتاوى الحاخامات القدماء، والمعاصرين في تسويغ الاحتلال، والاستيطان من منطلقات رؤيوية توراتية، تلمودية، وفتاوى حاخامية، بالإضافة إلى مايرد من نصوص تتحدث عن نهاية العالم في كتبهم الصوفية الباطنية، مدعّمة بآليات تنفيذية في مقررات برتوكولات بني صهيون.

وما أتاح للأصولية الصهيونية اليهودية هذه المساحة الواسعة من المصادر المتنوعة التي تعتمد على جل المصادر التشريعية في الديانة اليهودية، ذلك أن الصهيونية نظراً لعلمانيتها، وعدم وجود مرتكزات دينية تعتمد عليها، ورغبتها في الاستناد على وجهة دينية تتبناها، وتتبنى رؤاها وتطلعاتها الاستيطانية في قالب ديني أصولي، صهرت في داخلها مختلف الطوائف اليهودية الدينية المتنافرة والمتقاربة، واستقتبطهم في محاولة منها لتقليل العداء الديني حيالها بالإضافة إلى رغبتها بتبني وجهة نظر دينية تسوغ لها الاحتلال. نجم عن ذلك تسارع بعض الأحزاب الدينية للمشاركة في القرار السياسي؛ لتسيطر على التشريعات الدينية، وتوجه دستور الدولة، وتفرض رؤاها من منطلقاتها الدينية، ممّا أدى إلى أن تكون الأصولية الصهيونية اليهودية خليط، ومزيج من الأفكار، والمعتقدات، والرؤى لمختلف الطوائف اليهودية المتزمتة منها، والمتحررة.

وهذا يعني بالضرورة عدم وجود دستور محدد، وواضح للدولة تبني عليه تشريعاتها، ما دعى الطوائف التي حاولت تقبل الصهيونية والاندماج بها بين أمرين: أما أن تفرض أفكارها على سائر الطوائف، وهذا ما لم يحدث، أو تتنازل عن بعض أفكارها ومعتقداتها مرغمة؛ لتستطيع الانصهار، واتخاذ موقعها الديني، والسياسي من الدولة، وإما أن تبقى على موقفها بعدم التنازل عن معتقداتها، وبذلك تتقوقع على نفسها، ولا تتعاون، أو تشارك بالمشروع الصهيوني مطلقاً.

وهذا هو السبب الرئيس؛ لتصدع حكومة إسرائيل الداخلي، إذ أن كل طائفة تفرض معتقداتها وفق مصادرها التشريعة المعتمدة لديها، ما أحدث شرخاً كبيراً، حاولت الصهيونية السيطرة عليه؛ لتقريب وجهات النظر؛ ولإتمام مشروعاتها التنموية والتعليمية، والاجتماعية؛ و... ببنائها على أطر دينية تختلف اختلافاً بيّناً بين طائفة، وأخرى.

ويقول في ذلك د. السعدي: «وقد ناقش الكنيست مشروع الدستور الذي وضعته لجنة كوهين مدة طويلة دون التمكن من إقراره بسبب معارضة الأحزاب اليمينية المتطرفة، والأحزاب اليسارية المتطرفة، وبدا من مناقشات الكنيست أن شقة الخلاف واسعة بين الأحزاب المختلفة، حيث انقسم الرأي بينها بالنسبة إلى الأساس الذي يجب أن ينبي عليه الدستور إلى قسمين:

<u>الأول:</u> يدعو إلى بناء حياة الدولة على أسس من الفكر الديني، وتعاليم التوراة، والتلمود، وأن يحكمها مجلس من الحاخاميين يطبق فيها الشريعة اليهودية.

<u>الثاني:</u> يدعو إلى بناء حياة الدولة على أسس علمانية، وقد انقسم أصحاب هذا الرأي بدورهم إلى قسمين:

<u>الأول</u>: يميني يتجه في بناء إسرائيل على أساس النظم الرأسمالية الغربية.

<u>الثاني</u>: يساري يتجه في بنائها على أسس النظم الاشتراكية»(1).

وفي إقرارها للرأي الأول يعني بالنسبة لها دعم مزاعمها الدينية في الاستيطان، والاحتلال، وهو المطلوب وفي حال إقرار الرأي الثاني: وهو الذي تميل إليه كونها علمانية الأصل، فإنها ستهدم مزاعمها بالبعث اليهودي، والشعب المقدس، وأرض المعاد ما جعلها لا تقر دستوراً بعينه فأصبحت دولة بلا دستور.

وما يهمنا من ذلك كله مدى احتواء المصادر التشريعية الكتابية، وغير الكتابية اليهودية لمعتقدات، وأفكار نهاية العالم لدى مختلف الطوائف، وكيف استمدت من تشريعاتها تسويغ احتلال فلسطين كأرض المعاد من المنفى، وبناء الهيكل، وانتظار المسيا، وحكم العالم ونهايته...

ويذكر د.علي عبدالواحد وافي في مؤلفه الأسفار المقدسة في الأديان السابقة(2): تقسيم العلماء مصادر اليهود التشريعية إلى:

1. التوراة (الناموس)، والذي يعتمده اليهود بأقسامه الأربعة، وهي:

- أسفار موسى الخمسة، وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية. وتعتمده سائر الطوائف الأصولية اليهودية، والصهيونية.
- الأنبياء الأولون وهم: يشوع، القضاة، صموئيل، ملوك.

---

(1) الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص41.
(2) انظر: ص13: 15

- الأنبياء الآخرون وهم: أشعيا، أرميا، عزرا(1)، والأنبياء الصغار وهم في التقسيم اليهودي سفراً واحداً، وفي التقسيم النصراني أثنا عشر سفراً وهي: هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، ، زكريا(2)، حجي(3)، ملاخي.
- الكتب المقدسة وهي: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأنشاد، راعوث، المراثي، الجامعة، أستير، دانيال، حزقيال، نحميا، أخبار الأيام سفر واحد، وعند النصارى سفران. فيكون مجموع الأسفار (36) سفر فقط.

ـ أما التقسيم النصراني (العهد القديم)، والمتداول على نطاق واسع في وقتنا الحاضر، فينقسم إلى أربعة أقسام إيضاً، وهي:

- أسفار موسى الخمسة.
- الأسفار التاريخية: وعددها أثنا عشر سفراً، وهي: يشوع، القضاة، راعوت، صموئيل (1-2)، الملوك (1-2)، أخبار الأيام (1-2)، عزرا، نحميا، استير.
- أسفار الأناشيد، أو الأسفار الشعرية، وعددها خمسة، وهي: أيوب، مزامير، أمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد.
- أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً وهي: أشعيا، أرميا، مراثي أرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموص، عويديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكيريا، ملاخي، وعددها جميعاً (39) سفراً.

1. التلمود: وينقسم إلى: (المشنا) المتن ،(الجمارا) الشروحات، ولا يعتمده إلا عدد قليل من الطوائف الأصولية الأرثوذكسية المتشدده، وتنكره باقي الطوائف، ولا تعده مصدراً تشريعياً؛ لأنه من وضع الحاخامات الفريسيين.
2. كتب التراث الصوفي: وتنقسم إلى قسمين: القبالاه، والزوهار.
3. برتوكولات حكماء صهيون.

المصدر الأول: التوراة (العهد القديم)(4):

يتفق اليهود على أن كلمة التوراة تعني: الشريعة والتعاليم، والعهد: هوالميثاق الذي أخذه الله على عباده ليلتزموا بالشريعة والتعاليم(5)، والإرشاد، والتوجيه نحو الحياة المستقيمة(6)، والقديم: معناه الحرفي: التعليم، ومدلوله الاصطلاحي: شريعة موسىυ، أو أسفار موسى الخمسة(7) التي أنزلت عليه من الله في طور سيناء، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة زمنية متسلسلة من التاريخ البشري تبدأ مع بدأ الخليقة، وتنتهي بوفاة موسىυ(8).

فإذاً التوراة بمعناه المطلق: عبارة عن وحي سماوي مكتوب تلقاه موسىυ عن ربه تبارك وتعالى، كما أخبرنا بذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله

---

(1) سفر، عزرا: عدد إصحاحاته 10 إصحاحات ويتضمن هذا السفر عرض لتاريخ العودة من السبي، وإعادة بناء هيكل الرب، تاريخ حياة عذار الكاهن والكاتب، وما قام به من أعمال، كتب السفر، عذرا الكاهن وكان ذلك عام (457ق.م) ولغة الكتابة العبرية، عدد النصوص المتعلقة بخطابات ملوك فارس سجلت بالآرامية (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص22).

(2) سفر زكريا: عدد إصحاحاته 14 إصحاحاً ويتضمن الرؤى المتنوعة التي رآها النبي تعلن رضا الله تعالى والدعوة إلى بناء الهيكل، ونبوأت بهلاك أعداء اليهود ومجيء المسيح كتب بالعبرية عام (520 – 480ق.م) (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص142).

(3) سفر حجي: عدد إصحاحاته "أثنان" ويتضمن الدعوة لبناء بيت الرب، توبيخ على الاهتمامات الزمنية، كاتب هذا السفر حجي النبي وزمن الكتابة (520 ق.م) أي: بعد البدء في بناء الهيكل بمدة 17 عاماً تقريباً، ولغة الكتابة العبرية (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص42).

(4) التسمية العلمية الحديثة للتوراة (العهد القديم) ظهرت في القرون المتأخرة ويطلق عليه ذلك لتمييزه عن العهد الجديد (الإنجيل). واليهود لا يفضلون استخدام اصطلاح (العهد القديم) لأن هذه العبارة تفيد أن (العهد الجديد) قد أكمل كتاب اليهود. ولهذا يفضلون استخدام الاصطلاح العبري (تاناك) أو (المقرا) وكلمة تاناك أو تاناخ مؤلفة من الأحرف الأولى من أسماء الأجزاء الرئيسية الثلاثة للعهد القديم. أي (التاء) من التوراة، و(النون) من الأنبياء أو النبيين، و(الكاف) العبرية من الكتب والكتاب المقدس يجمع بين دفتيه (العهد القديم، والعهد الجديد)، والعهد القديم أو (التوراة). انظر: العنصرية اليهودية: أحمد الزغيبي. ج1. ص84: 85. مكتبة العبيكان. الرياض (ط1: 1998م). وانظر: التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب. ص10. دار النفائس. بيروت (ط1: 1981م).

(5) انظر: اليهودية واليهود: د. علي عبد الواحد وافي. ص9. مكتبة غريب. القاهرة (ط ب:1970م) بتصرف.

(6) انظر: الرؤية العربية لليهود ذات السلاسل: د.مهنا يوسف حداد. ص88. الكويت (ط1: 1989م).

(7) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السماوية السابقة: ص12: 13 د. علي عبد الواحد وافي. وانظر: بروتوكولات حكماء صهيون: عجاج نويهض ج2. ص2. منشورات فلسطين المحتلة (ط2: 1981م).

(8) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: د.حسن ظاظا. ص65. مكتب سعيد رأفت. القاهرة (ط1: 1975م).

العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (سورة آل عمران، آية: 3)، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى لفظ التوراة في القرآن الكريم (18) مرة، وذكرها باسم النور، والكتاب، والهدي مرات عديدة(1)منها قوله تعالى:﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ...﴾ (سورة المائدة: آية: 44)، وقد حرفت، وبدلت كما أنبأنا بذلك المولى تعالى حيث قال: ﴿القَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ﴾ (سورة البقرة، آية: 75)، وفي موضع آخر قال تعالى:﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴾ (سورة النساء، آية: 46).

وتستمد طوائف الأصولية الصهيونية اليهودية سلوكها السياسي، ومبرراتها الشرعية منها، وكذلك تضفى عليها طابع القداسة. والقداسة, والإخلاص الكامل للتوراة يعتبر سمة لكل أشكال الأصولية اليهودية(2).

وللتعرف على طبيعة السلوك السياسي للأصولية اليهودية المنبثق من مصدرها التشريعي التوراة، لابد من دراسة لهذا المصدر، والوقوف على بعض نصوصه؛ لقبولها، أو ردها. معتمدين في ذلك على بعض الأقوال، والتحليلات العلمية لبعض علمائهم، ورجال كهنوتهم، وباحثيهم ثم نعرض لبعض أقوال العلماء، والباحثين المسلمين؛ لبيان وجهة النظر الإسلامية في صحة نسبتها إلى الله (ابتداءً) ـ تعالى الله عما يصفون علواً كبيراـ وكما ذكرنا سابقاً تنقسم التوراة إلى أربعة أقسام، نذكر منها:

القسم الأول: الأسفار الخمسة:

يطلق لفظ التوراة على الأسفار الخمسة الأولى منه وهي:

1- سفر التكوين: ويقع في (50) إصحاحاً، ويتحدث عن خلق العالم والإنسان.
2- سفر الخروج: ويقع في (40) إصحاحاً، ويتحدث عن خروجهم من مصر.
3- سفر اللاويين: ويقع في (27) إصحاحاً، ويختص برجال الكهنوت.
4- سفر العدد: ويقع في (36) إصحاحاً، ويختص بقبائلهم، وأعدادهم بعد خروجهم من مصر.
5- سفر التثنية: ويقع في (34) إصحاحاً، وسمي بهذا لأنه يشرح الشريعة اليهودية شرحاً ثانياً.

وتذهب الأصولية الصهيونية اليهودية إلى القول بأن الأسفار الخمسة قد أنزلها الرب على موسىυ، وهي بذلك تمثل كلمة الرب المقدسة(3)، فإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن التوراة الأصلية المنزلة على موسىυ هي نفس التوراة الموجودة بين أيديهم اليوم، وبالتالي فإن هذه النتيجة تضفي الشرعية على السلوك السياسي للأصولية اليهودية. وهذا الافتراض يسقط من أول وهلة، إذا عرفنا أن الكتابات التاريخية قد أكدت أن التوراة الأصلية قد فقدت في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أثناء المعركة التي دارت بين قوم موسىυ، والفلسطينيين، والتي استولى فيها الفلسطينيون على تابوت العهد الذي كان يحوي اللوحين، ثم ردوه إلى داودυ، ووضعه سليمانυ في الهيكل، ثم أحرقت التوراة أثناء الغزو البابلي للقدس، حيث قام بختنصر بهدم الهيكل(4)، ومن ثم ظلت التوراة تحفظ شفهياً من العلماء، ثم توارثتها الأجيال من العلماء شفاهة لمدة سبعة قرون تقريباً، وبلا شك فإن عملية النقل الشفوي قد أعطت فرصة لإدخال الفكر البشري في النص المقدس؛ لذلك فإن التوراة الموجودة حالياً قد خالطها الفكر الإنساني، وخيالاته البشرية، ومآسيه، ورغباته التي غيرت الكثير من النصوص المقدسة؛ لتوافق مصالحه وتطلعاته المبدلين كلاً حسب عصره.

---

(1) انظر: لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر: غازي بن محمد القرني. ص22. قدم له: عوض القرني. شركة المدينة للطباعة. جدة (ط1: 1993م).
(2) انظر: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة: ديفيد لاندوا. ص89.
(3) انظر: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة: ديفيد لاندوا. ص255.
(4) انظر: العرب واليهود في التاريخ: د.أحمد سوسة. ص156. دار الحرية للطباعة. بغداد (ط1: 1972م). وانظر: التفكر الديني في العالم قبل الإسلام: د. أورنج رحمات. ترجمة: د. رؤوف شلبي. ص515. دار الثقافة. القاهرة (ط: 1983م).

وقد انتهى د. فؤاد حسنين من دراسته للأسفار الخمسة إلى ما أثبته الله عز وجل في كتابه الكريم على أنها ليست التوراة المنزلة من عند الله تعالى، وليست لموسىυ، ولا لمؤلف واحد، بل هي عبارة عن كتاب يرجع لمصادر متعددة، وعصور متباينة، وقد تكون جمعت على يد الكاهن عزرا في القرن الرابع (ق. م)(1). وقد أكد هذا اليهودي ابن عزرا (1092– 1167م)، حيث ذكر عدة أسباب تنفي نسبة التوراة إلى النبي موسىυ، ومن ثم نسبتها إلى الله، وهي:

1- أن موسىυ لم يكتب مقدمة سفر التثنية؛ لأنه لم يعبر نهر الأردن.

2- جاء في سفر التثنية3: **(وقد كتب موسى التوراة1)**، فكيف يقول موسىυ ذلك إن كان هو كاتبها.

3- علق كاتب التوراة في سفر التكوين9 قائلاً: **(وكان الكنعانيون في هذه الأرض5)**، مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب لهذا السفر، أي بعد موت موسىυ وطرد الكنعانيين، وبذلك لا يكون موسىυ هو الكاتب.

4- سمي جبل موريا في سفر التكوين جبل الله، في حين لم يسم بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد وهو ما تم بعد عصر موسىυ، ويعلق اسبينوزا على نسبة التوراة لموسىυ متهكماً بقوله: «إن من يعتقدون أن التوراة على ما هي عليه الآن رسالة من الله بعث بها من السماء إلى البشر، لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين: بأني ارتكبت الخطيئة في حق الروح القدس إذ قلت فعلاً: أن كلام الله مزيف، ومنقوص، ومحرف(2)». ويضيف على أسباب ابن عزرا أسباباً أخرى للقول بتحريفها:

1- كتابة الأسفار بضمير الغائب، وليس بضمير المتكلم.

2- مقارنة موت موسى ولحده، والحزن عليه بموت الأنبياء التالين له.

3- استمرار الرواية في الزمان حتى بعد موت موسىυ(3).

كما أكد فرويد على تحريف التوراة بقوله: «إن النص التوراتي الذي بين أيدينا يحتوي على معلومات تاريخية مفيدة، ولكن هذه المعطيات التاريخية حرفت بفعل مؤثرات مغرضة قوية»(4). وأضاف بقوله: «إن ثمة حدث واحد كان حذفه من التوراة متعمداً بدوافع هي من أكثر الدوافع طبيعية، وإنسانية وهو اغتيال النبي موسى υ»(5) ونوه السموأل المغربي إلى أن التوراة حذفت كل ما يشير إلى نبوة عيسى بن مريم υ، ومحمد بن عبد الله ε(6).وبمثله قال الباحث غوستاف لوبون(7).

وقد ناقشت الباحثة أبكار السقاف هذه الحجة مناقشة مطولة، وأعطت أمثلة عديدة(8). تؤكد عدم صلة التوراة الحالية بالنبي موسىυ أهمها:

1- أن التوراة الحالية تحتوي على نصوص لا يمكن أن يكون موسىυ قد كتبها، مثل ما جاء في سفر العدد12: **(وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس على وجه الأرض3).**

2- تسمية بعض المناطق بأسماء مختلفة عما كانت عليها في عصر موسىυ، وهو ما يشكل أحد الأدلة على زيف ما يقال من أن هذه الأسفار كتبها موسىυ.

ويمكن احتساب ما انطوت عليه التوراة الحالية من تحريفات، وتناقضات، ومبالغات دليلاً إضافياً على عدم قدسيتها؛ لاستحالة أن تكون مثل هذه المواصفات في كتاب سماوي، وقد كشف القرآن الكريم عن وقوع مثل هذه التحريفات في مواضع كثيرة من آياته منها قوله تعالى: ﴿البقرة

الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم

---

(1) انظر: التوراة الهيروغليفية: د. فؤاد حسنين علي. ص46 :51. دار الكتاب العرب. القاهرة (ط. ب).

(2) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة: اسبينوزا. ص266: 268. ترجمة: حسن حنفي. دار الطليعة. بيروت (ط. ب).

(3) انظر: نفسه. ص269 :270.

(4) موسى والتوحيد: فرويد. ص68. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة. بيروت (ط. ب) وانظر: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: د. غوستاف لويون. ص72. ترجمة: عادل زعيتر. مطبعة عيسى. القاهرة (ط:1970م).

(5) موسى والتوحيد: فرويد. ص77

(6) انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. ص36،34. مطبعة الفجالة الجديدة. القاهرة (ط.ب).

(7) انظر: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: د. غوستاف لويون. ص72. ترجمة: عادل زعيتر. مطبعة عيسى. القاهرة (ط:1970م).

(8) انظر: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: أبكار السقاف. ص473: 488. عالم الكتب. القاهرة (ط: 1967م).

الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن ﴾ (سورة البقرة، آية: 75)، وقوله تعالى: ﴿الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف ﴾ (سورة المائدة، آية: 13).

وطرق التحريف التي وقعت في نصوص التوراة أهمها:

1- تبديل كلمات النصوص التي لا يرغبون إظهار حقيقتها.

2- زيادة كلمات، وجمل إلى النصوص لم تكن موجودة بالنص الأصلي.

ومما يدل على زيادة كلمات، وجمل نقرأ في التوراة عن نوحυ أنه شرب الخمر ـ عياذاً بالله ـ، وتعرى في خبائه كما جاء في سفر التكوين9: **(شرب خمراً حتى سكر وتعرى داخل خبائه21، ورأى ابنه حام عورته فأخبر سام فجاء سام ويافث وستر عورة أبيهم. فلما تيقظ وعلم بالأمر ودعا باللعنة على حام، ونسله من الكنعانيين ليكونوا عبيداً لسام مدى الدهر27).** ومن الغريب أن تلك اللعنة جاءت لكنعان، بينما كان كنعان هو ابن حام، ولم يكن له أية صلة بالقصة. ويبدو الغرض السياسي واضحاً في هذا النص المضاف، إذ ينطوي على دعاء نبوي على أبناء حام، وهم الفلسطينيون، والمصريون بأن يكونوا عبيداً للساميين اليهود، وتحت حكمهم مدى الدهر، علاوة على استبعادهم من فكرة الشعب المختار، والوعد الإلهي.

ثم قدم الباحثون المعاصرون نماذج عديدة من هذه التناقضات(1)، فمثلاً هناك تضارب في قصة الطوفان، فبينما يحدثنا نص أن الفيضان دام أربعين يوماً، يقول نص آخر أنه دام مائة وخمسين يوماً(2)، كما أن عدد الأعياد في نص يكون ثلاثة، بينما يكون خمسة في أخرى(3) .

وانطوت التوراة على الكثير من المبالغات، فمثلاً حين تذكر عدد الذين خرجوا من مصر، تذكرهم بكثير من المغالاة فمما جاء في سفر الخروج27: **(ثم ارتحلوا بنو إسرائيل من رعمسيس12إلى سكوت بنحو ستمائة ألف ماشي من الرجال عدا الأطفال، وخرج أيضاً معهم لفيف كبير وغنم وبقر ومواشي وافرة جداً18).** ولو تأملنا هذا العدد من الرجال وأضفنا إليه عدداً مساوياً من النساء والأولاد لبلغ عددهم حوالي مليوني نسمة، وهنا استغرب ابن خلدون كيف قبل بعض المؤرخين هذا الرقم، وأعطى لشكوكه أسباباً عسكرية، واقتصادية فهذا العدد لا تتحمله الصحراء من الناحية الاقتصادية التموينية، كما أن جيشاً بهذا العدد لا يمكن أن يناور عسكرياً في الصحراء(4) .

وبناء على ما سبق من اضطراب في معظم أسفار التوراة، وما تضمنته من تحريفات، وتناقضات، ومبالغات لا يمت معظمها بأية صلة بالله تعالى، ولا بالنبي موسى υ، فإنه يمكن القول: أن التوراة الأصلية المقدسة لم تحافظ على أصلها الإلهي الكامل، بل خالطتها شرائع، وطقوس دينية، وضعية ربما أخذوها من المصريين، والكنعانيين، والفرس، والبابليين.

وقد تمكن الباحثون من الربط ما بين التوراة، والحضارات الشرقية القديمة، حيث ظهر لهم بشكل خاص تأثير الفكر البابلي على التوراة. وقد عثر القائمون بالحفريات الحديثة على نصوص بابلية تروي قصتي الخليقة، والطوفان، وهي قوام للإصحاحات العشر الأولى من سفر التكوين(5). على أن أهم مصدر بابلي اعتمدت عليه التوراة هو تشريعات حمورابي الذي يرجع تاريخه إلى نحو (1900 ق. م) حيث هناك شبهاً شديداً بينه، وبين القوانين التوراتية(6).

وفي القرن التاسع عشر قدم الشيخ رحمة الله الهندي(7) دراسة جادة أظهرت جملة من التحريفات، والتناقضات لم يستطع علماء اليهود التوفيق بينها، وعقد باباً خاصاً للتحريف في

---

(1) انظر: الصهيونية بين الدين والسياسة: د.عبد السميع سالم الهراوي. ص149: 152. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة (ط:1977م). وانظر: اليهودية: د.أحمد شلبي. ص238: 240. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (ط8: 1988م). وانظر: الرؤية العربية لليهودية: د. مهنا حداد. ص127: 133. مطبعة ذات السلاسل. الكويت (ط: 1989م).

(2) بمقارنة سفر التكوين الأصحاحات (7 : 17) مع (8: 3).

(3) قارن سفر الخروج (13: 14) مع (اللاويين 23).

(4) انظر: مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون. ص10: 11. وانظر: العنصرية الصهيونية في التوراة: أحمد السقاف. ص34. شركة الربيعان. الكويت (ط: 1984م).

(5) انظر: مقارنة الأديان (اليهودية): د.أحمد شلبي. ص236. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة (ط8: 1988م).

(6) انظر: مقارنة بين شريعة حمورابي وشرائع التوراة: د.أحمد سوسة. ص203: 213.

(7) انظر: إظهار الحق: رحمة الله الهندي. ص276. مكتبة الوحدة العربية. الدار البيضاء (ط: 1964م).

التوراة الذي كان يأتي أحياناً بالزيادة، وأحياناً بالنقصان، وأحياناً بالتبديل اللفظي(1)،... كما قدم ابن حزم أكثر من (100) تناقض في نصوص التوراة(2).

أما العوامل التي أدت وساعدت على تحريف التوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسىυ، فعديدة منها ما يأتي:

1. فسادهم، وفسقهم، وفجورهم، وردتهم، وعبادتهم للأوثان عشرات المرات، وإقامة المعابد والمذابح لها، وتركهم التعبد بالتوراة كلياً، ولفترات طويلة ومتلاحقة؛ ممّا أدى إلى نسيانها، وضياعها من قلوبهم، وعقولهم.

2. الحروب المستمرة بين اليهود، وممّن حولهم من الشعوب، حيث وردت قصة الكنعايين الذين أخذوا تابوت الرب، وبقي عندهم فترة طويلة من الزمن، وذكر الله في كتابه العزيز قصة إرجاع التابوت لهم تحمله الملائكة، إثباتاً لأحقية طالوت (شاول) بالملك، قال تعالى: ﴿سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ﴾ (سورة البقرة: الآيات: 247-248).

3. الحروب العنيفة، والنفي، والسبي، الذي تعرض له اليهود عبر تاريخهم، مثلما وقع لمملكة الشمال (إسرائيل) التي قضى عليها الملك الأشوري سرجون الثاني عام(721 ق. م) ومملكة الجنوب (يهودا) التي قضى عليها الملك البابلي بختنصر، وقد ضاعت التوراة في النفي البابلي، عندما هدم بختنصر القدس، والهيكل، وأحرق جميع نسخ التوراة.

القسم الثاني: الأسفار التاريخية :

عددها اثنتا عشر سفراً، وقد تمكن الفريسيون من إدخالها في النسخة العبرية من العهد القديم، وعُدت أسفاراً مقدسة مستمدة من الرب(3)، ويستدلون على قدسيتها من خلال النص التوراتي الوارد في سفر الخروج2: **(وقال الرب لموسى أصعد إلى الجبل وأقم هنا حتى أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم24).**

فهي أسفار تاريخية جاءت في مراحل زمنية مختلفة، وترتيبها في الكتاب المقدس لم يكن على أساس تاريخي(4) ، وتتضمن هذه الأسفار الأحداث التي وقعت للعبرانيين بعد وفاة موسىυ، منذ دخولهم أرض فلسطين مع يوشع بن نون خادم موسى، وخليفته إلى أن أخرجوا منها في السبي البابلي على يد القائد الكلداني بختنصر تقريباً(5)، وتشكل هذه الأسفار إحدى مصادر السلوك السياسي للأصولية اليهودية.

ويمكن تقسيم هذه الأسفار حسب موضوعاتها إلى:

1- النبوءات: السياسية.

2- النبوءات الخاصة: بالعقائد، والعادات، والأخلاق.

3- نبوءات: تتصل بمستقبل البلاد، والعالم، وزواله، وظهور عالم آخر(6).

وإذا كانت معظم هذه الأسفار لم تفد كثيراً في حينها، إلا أنها تعتبر مصدر إلهام لدى الأصوليين اليهود، يؤولونها بحسب الظروف ففيها أمل الخلاص، والعودة إلى فلسطين، والسيطرة اليهودية النهائية على العالم. وهي أساس موضوع بحثنا لتعلقها بنصوص نهاية العالم(7). وأكد المفكرون والعلماء ما تنطوي عليه أسفارهم من التحريفات، والتناقضات، والمبالغات وذلك على النحو الآتي:

1 ـ التحريفات: بالحذف، والإضافة: أشار اسبينوزا إلى أن أسفار الأنبياء لا تتضمن النبوات

---

(1) انظر: إظهار الحق: الشيخ الهندي. ص87 - 96

(2) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: إبن حزم. ص116- 224. مكتبة المتنبي. بغداد (ط.ب).

(3) انظر: دلالة الحائرين: موسى بن ميمون. ص439، ترجمة: حسين أتاي. مكتبة الثقافة. القاهرة (ط ب).

(4) انظر: من اليهودية إلى الصهيونية: د.أسعد السحمراني. ص54. دار النفائس. بيروت (ط1: 1413هـ).

(5) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي: د. حسن ظاظا. ص12.

(6) انظر: اليهودية واليهودية المسيحية: د. فؤاد حسنين علي. معهد الدراسات العربية. القاهرة (ط: 1968م).

(7) انظر: مقارنة الأديان(اليهودية). شلبي. ص231: 232.

جميعها(1)، وهذا الرأي ينطوي على إشارة بحذف أسفار كاملة من هذه النبوءات، ولعل أهمها سفر ناثان، وسفر جاء الرائي المشار إليهما في أخبار الأيام الأول (29-29)، وسفر حروب الرب المشار إليه في سفر العدد (21-14)، كما أن تحول نبوءة عاموس من النزعة الإنسانية العالمية إلى العنصرية أدى إلى استنتاج بعض الباحثين بأن هذه النصوص كانت إضافة واضحة(2).

2 ـ التناقضات والأخطاء: يذكر سفر الملوك الثالث أن سليمانυ بنى المعبد بعد الخروج من مصر بـ (480) عاماً (6: 1)، بينما توصل اسبينوزا طبقاً لمتابعة الروايات، والتدقيق في تواريخها إلى أن البناء تم بعد (580) عاماً.

3ـ المبالغات: نجد حكاية عن شمشون الذي استطاع وحده ودون سلاح قتل ألف رجل قضاة (15:15)، ويذكر عن إيليا الذي كان يطير في الهواء، وانتهى به الأمر إلى الوصول إلى السماء بخيول، وعربة من نار أخبار الملوك2 (4: 2)(3).

وبناءً على ما سبق يتبين لنا أن الوحي ليس هو المصدر الحقيقي لهذه الأسفار. فهذه الأسفار من صنع أجيال متعددة، وكثيراً ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش في صدورهم، أو ما يؤملونه على أنه حقيقة واقعة.

مصادر التوراة ـ المحرفة ـ كما يراها العلماء:

القصص الشعبية العالمية: ذهب ول ديورانت إلى أن القصص الشعبية العالمية كانت مصدراً من المصادر التي اقتبس منها كتاب هذه الأسفار، حيث كان شائعاً في مصر، والهند، والتبت، وبابل، وبلاد فارس، واليونان، وغيرها قصص شعبية عن الجنة ونعيمها، وما فيها من الأشجار المحرمة، والأفاعي، وقد سلبت هذه الأشياء الخلود من الناس، ونزلت بهم إلى الأرض، وقد برزت هذه الفكرة في سفر الجامعة(4).

الفكر المصري: حيث أكد دولف أرمان أن الفكر المصري مصدر رئيسً لهذه الأسفار، ولقد أوضح هذا الموضوع في بحث تقدم به سنة (1924م) إلى المجمع العلمي الروسي تحت عنوان مصدر مصري لأمثال سليمان، حيث تكلم فيه عن مؤلف للحكيم المصري آمن أينوب أكتشف حديثاً على أوراق البردي، وقد وضع هذا الحكيم نصائحه في ثلاثين باباً، وساقها في صورة نصائح والدٍ لولده، وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح في سفر الأمثال خصوصاً (22-32)(5)، ويؤيد العلامة برستد الفكرة، وبأن سفر أرميا استمد أفكاره من حكم (آمن أينوب)(6)، وقرر برستد كذلك أن المزامير مستمدة من ترانيم أخناتون التي ظهرت قبلها بزمن طويل، وقد أورد بعض هذه الترانيم لمقارنتها بالمزامير، وخاصة المزمور(104)(7).

الفكر البابلي: يُعد الفكر البابلي مصدراً من مصادر هذه الأسفار، حيث عثر على نصوص بابلية تعد مرجعاً هاماً لقصة شمشون، ودليله، كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض هذه الأسفار(8).

ومما تقدم تبين بجلاء أن أسفار الأنبياء، والكتابات لا ترقى إلى مستوى القداسة، بيد أن الأصولية اليهودية تصر على إضفاء القدسية عليها؛ لأنها تشير إلى التواصل التاريخي للشعب المختار، وتبشرهم بالعودة إلى أرض الميعاد، والسيطرة على العالم عندما يحين ظهور المسيا.

أما عن اعتبار التوراة مصدراً من مصادر التشريع التي تسوغ احتلال فلسطين، ورؤيا البعث اليهودي،... فيعتمد الأصوليون الصهاينة على تفسيرات مجموعة من النصوص بأسفار متفرقة، ولعل أهمها سفر رؤيا دانيال الذي يصور نهاية العالم، بزعمهم بالتفصيل، ونزول المسيا، والسيطرة على العالم، وحكمه، وغيرها، كما سنفصل القول فيه بإذن الله في الفصل الرابع من هذا الباب.

المصدر الثاني: التلمود:

---

(1) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة: اسبينوزا. ص310: 324.

(2) انظر: الرؤية العربية لليهودية: د.حداد. ص10. والتوراة الهيروغليفية: د.فؤاد حسنين. ص111: 112. وانظر: مقارنة بين شريعة حمورابي وشرائع التوراة: د.سوسة. ص173.

(3) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة: اسبينوزا. ص290: 294. هناك أخطاء وتناقضات أخرى ذكرها الشيخ رحمه الله الهندي: بالصفحات: 87 - 96- 123- 143 ...وغيرها كثير.

(4) انظر: قصة الحضارة: ول ديورانت. ج2. ص368: 369.

(5) انظر: مقارنة الأديان(اليهودية): د.شلبي. ص236. وانظر: التراث اليهودي. صبري جرجس. ص79: 83.

(6) انظر: مقارنة بين (أرميا) و(أمن أينوب) التراث اليهودي: د.صبري جرجس. ص83.

(7) انظر: نفسه. ص84: 85.

(8) انظر: التلمود والصهيونية: د. أسعد رزوق. ص113. مركز الدراسات الفلسطينية. بيروت (ط1: 1997م).

التلمود كلمة مشتقة من الكلمة العبرية: لامود، أو لاماد(1)، وتعني التعليم، أو الدراسة، ويتفق الباحثون على أن التلمود بمعناه الحرفي يأتي مرادفاً للتعليم القائم على أساس التقليد السماعي، أو الشفهي، لكنهم يختلفون في تحديد معناه الشامل ومن ذلك:

يعرفه د. أسعد رزوق بأنه: «مجموعة الكتب، والأسفار التي تحوي سجل التشريعات، والمجادلات والأخبار، والقصص، والأقوال الحكمية»(2). ويعرفه د. فؤاد حسنين بأنه: «مجموعة الشرائع المدنية، والاجتماعية اليهودية المتوارثة»(3). ويبدو أن هذين التعريفين رغم وصفهما لمضمونه إلا أنهما يتصفان بالعمومية خصوصاً وأنهما لم يحددا المصدر الذي استمد منه التلمود أحكامه، وفي ضوء ذلك يبدو تعريف حاي بن سمعون أكثر دقة حيث عرفه بأنه: «كناية عن فقه شرعي، وتفسير كتاب التوراة»(4)، وقد اقترب منه تعريف د. أحمد سوسة حيث يعرفه بأنه: «مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة، واستنباطاً من أصولها»(5).

والتلمود مصنف للأحكام الشرعية، أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية المحرفة المستمدة من أحكام التوراة، ويعتبر موسوعة تضمنت الشريعة، والتأملات الميتافيزيقية, والتاريخ، والآداب، والعلوم الطبيعية. كما يتضمن فصولاً عن: الزراعة، والصناعة، والمهن، والتجارة، والربا، والضرائب، وقوانين الملكية، والرق والميراث، والفلك، والتنجيم، والقصص الشعبية،...فهو يغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة. ولم يعد من الكتب السرية كما كان سابقاً. فقد ظل مجهولاً في أوربا النصرانية لزمن ولم يكتشفه النصارى إلا في أواسط القرن الثالث عشر عن طريق اليهود المتنصرين. ويوجد منه حالياً نسخ في معظم المكتبات الجامعية المتخصصة في الولايات المتحدة، وبعض مكتبات العالم العربي، وهو كتاب ضخم تصل مجلداته إلى أكثر من عشرين مجلداً في بعض طبعاته، وقد ترجم إلى معظم اللغات الأوربية الأساسية. وترجمت مختارات قصيرة إلى اللغة العربية(6). ويتكون التلمود من جزأين رئيسين هما: المشنا والجمارا.

1- المشــنا:

تعنى المشنا بالعبرية: المعرفة، أو القانون الثاني(7)، وهي تمثل: النص، أو المتن؛ لأنها تنطوي على مجموعة من النصوص الأساسية لفتاوى علماء اليهود، والتي تعالج شتى نواحي الحياة اليهودية. ويعتقد الأصوليون بأنها تمثل الشريعة الشفوية التي أنزلها الله على موسىυ. ويستدلون على ذلك بما ورد في سفر الخروج24، وقول الرب لموسى: **(أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم12)**، وقد فسر الحاخام لاكيش هذا النص في التلمود على أساس أن المراد بالألواح الوصايا العشر، والقانون هو: القانون المكتوب التوراة، والوصايا هي: المشنا، وكتبناها يعني الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة، ولتعليمهم معناه: الجمارا(8) .

وقد شرح التلمود ذاته الكيفية التي انتقلت فيها الشريعة الشفوية من موسىυ إلى أحبار اليهود، حيث جاء فيه: «فموسى سلم التوراة المدونة، والتوراة الشفاهية لخليفته يوشع بن نون، والعازر بن هارون الحبر الأعظم، وفنحاس بن هارون.. ولباقي الشيوخ السبعين الذين جرى انتخابهم من أسباط بني إسرائيل»(9).

وقدّم التلمود سببين للحكمة الإلهية التي اقتضتها كعلة لنزول الشريعة الشفهية جنباً إلى جنب مع الشريعة المكتوبة مع عدم كتابتها، وهما:

أ- أنها لو كتبت لضاقت عنها الأرض.

ب- إذا سيطرت أمة أخرى على اليهود فإن هذه الشريعة ستبقي مصانة؛ لتفرق بين اليهود، والوثنيين(10). أي: الأمم الأخرى غير اليهود.

كما زعمت الأصولية اليهودية أن تدوين المشنا كان محرماً؛ لأن الرب أراد تشجيع التعليم

---

(1) انظر: فضح التلمود لتعاليم الحاخامين السرية: زهدي الفاتح. ص21.
(2) انظر: التلمود والصهيونية: د. أسعد رزوق. ص113.
(3) اليهودية: د. فؤاد حسنين. ص133.
(4) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي. د. نديم عيسى. ص99.
(5) صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية: د.أحمد سوسة: مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد.ع1.كانون الثاني: 1974م. ص86.
(6) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان. ص13. دار النفائس. بيروت (ط6: 1985م).
(7) انظر: موسوعة اليهود واليهودية. د. عبدالوهاب المسيري. ج2. ص33.
(8) انظر: صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية: د. أحمد سوسة. ص86.
(9) التلمود: ترجمة: شمعون مويال: ص6. دار التكوين. دمشق (ط1: 2004م).
(10) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج. ص45. ترجمة: يوسف حنا. بيروت (ط: 1968م).

المتواصل للتوراة(1). وعموماً فإن المشنا لم تتبلور في وقت واحد، أو بجهد شخص واحد، إنما تمت صياغتها على أيدي العديد من علماء اليهود الذين يُدعون بالمعلمين، أو التيائيم، والذين وصل عددهم أكثر من مئتي شخص من أبرزهم (هيلل، وأكبه، ومائير، وعقيبا، وسيشر)، ويبدو أن الغاية الدينية من وضعها هي إيضاح، وتفسير البنود المبهمة في التوراة، وكشف النقاب عن الأسرار التي يكتنفها(2)، أما الغاية السياسية فهي لكي تكون لهم جامعة، ورابطة معنوية بديلة عن الجامعة الوطنية التي كانت موجودة قبل هدم الهيكل.

وتتكون المشنا من ستة أقسام أساسية تسمى: أحكام، وهي التي حددها الحاخام هليل رئيس مجلس السنهدريين أيام الملك هيرودوس، ثم جاء من بعده الحاخام عقيبا فعمل على تحديد التفاصيل الثانوية للأقسام الستة الأساسية(3)، وهذا ما يثبت بأنها لم تدون في وقت محدد، أو بجهد شخص واحد.

والأقسام الستة الأساسية للمشنا هي(4) :

1. زيرائيم Zeraim: خاص بالبذور. يبحث شئون الحبوب، والفواكه، والأشجار،...
2. ناشيم Naschim: خاص بالنساء يبحث شؤون الزواج، والطلاق،...
3. موئيد Moed: خاص بالأعياد بدايتها، ونهايتها كأعياد السبت، وغيرها من الأعياد.
4. نزيكين Nezikin: خاص بالأضرار التي تلحق الرجال، والحيوانات، وأنواع العقوبات، والتعويضات عنها.
5. كوداشيم Kodaschim: خاص بالقداسة، ويبحث في الطقوس الدينية.
6. توهوروت Tohoroth: خاص بالطهارات في الثياب، والأواني(5).

2- الجمـــارا:

تعني كلمة الجمارا: الإتمام، والإكمال، وهي عبارة عن شروحات، وتفسيرات الحاخامات على المنشا. والحاخامات الذين شاركوا في صياغة الجمارا كانوا يدعون المفسرين أمورائيم، ومن أبرزهم جامالييل، وسيميون، وأشي، وأببنو، إلا أن الذي وضعه في صورته النهائية الحاخام جوسي.

ويتضح الفرق الأساسي بين المنشا، والجمارا في أن المشنا يذكر المبادئ لقواعد كمتن، بدون شرح غالباً، بينما يحتوي الجمارا جدلاً، ونقاشاً، وتعليقات، وشروح للمتن، ثم ينتهي بذكر الحكم النهائي(6).

وهناك شرحان للمشنا: أحدهما جمارا بابل، والثاني التلمود الفلسطيني، أو (الأورشليمي). ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص، وهو طابع البلد الذي وضع فيه. حيث عاش اليهود في بابل بعد تدمير الهيكل عام (70م) على يد الرومان بحرية وأسعة. بينما عانى يهود فلسطين من الضغط الروماني؛ لذلك أخذ علماء بابل يدرسون المشنا، ويعلقون عليها بإسهاب حتى غطت شروحاتهم كل نصوص المشنا، بحيث بلغ حجم التلمود البابلي أربعة أضعاف التلمود الفلسطيني، علاوة على اتسامه بالتعمق في الشريعة اليهودية(7) . بينما تميز التلمود الفلسطيني بالاختصار والغموض(8). ويبدو أن كاتبيه قد تعمدوا تلك الصيغة حتى لا يظهر المعنى الصحيح لبعض أحكامه، خشية من السلطات الرومانية. وعلى هذا الأساس احتل التلمود البابلي المنزلة السامية لدى الأصولية الصهيونية اليهودية وكأنه التلمود الأوحد.

أهمية التلمـود:

أرجع العلماء أهمية التلمود عند اليهود لعدة أسباب، أهمها ما يأتي:

1 ـ أن التلمود عندهم يوازي التوراة: حيث نجد أكثرهم يعتبرونه كتاباً منزلاً مثله مثل التوراة(9)، ويرون أن التوراة نزلت على موسىυ مكتوبة، بينما مشنا التلمود نزلت على موسىυ شفهية، فحملها موسىυ، وتناقلها الحاخامات إلى أن تم تدوينها، وتدوين شروحها في الجمارا.

---

(1) انظر: الأصولية اليهودية: ديفد لانداو. ص255.
(2) انظر: نفسه. ص260.
(3) انظر: التفكير الديني اليهودي: د.حسن ظاظا. ص78: 79. دار القلم. دمشق (ط2: 1987م).
(4) انظر: فضح التلمود: زهدي الفاتح. ص26: 38. وانظر: التلمود والصهيونية: د. أسعد رزوق. ص151: 175.
(5) انظر: فضح التلمود: زهدي الفاتح. ص76: 77.
(6) انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة. ص389. منشورات المكتبة العصرية. بيروت (ط: 1969م)
(7) انظر: التفكير الديني اليهودي: د.حسن ظاظا. ص97. والتلمود وتاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان. ص38.
(8) انظر: فضح التلمود: زهدي الفاتح. ص25.
(9) انظر: اليهود على حسب التلمود: أوغست روهلنج. ص11. دار فلسطين. بيروت (ط2: 1970م).

لذلك كان التلمود بقسميه يوازي في القدسية التوراة(1)؛ لأن العلاقة بينهما علاقة المتن بشرحه، ثم بحاشيته(2).

2 ـ أن التلمود عند اليهود يعتبر مصدر التشريع لكل الممارسات اليهودية خلافاً للتوراة التي لا يجوز الخروج عليها، ولا يسمح للإنسان بتفسيره(3). وسبب هذا الحرص أنه أساس في عقيدتهم، وشريعتهم، وسجل حافل لتاريخهم، ومجدهم، وصورة صادقة التعبير عن شخصيتهم التي أنتجته، وتعبيراً عن دفائنهم النفسية، ومعاناتهم الحياتية، وطموحاتهم الإعلائية. فقد ابتدعه حاخاماتهم تحت وطأة معاناة الشتات، والاغتراب، وتحت أثقال الأسر، والقهر(4)؛ لذا يعتبر التلمود عند اليهود صاحب الفضل الأكبر في تربيتهم، وطبعهم بطابع خاص، مثلما ساهم إلى حد بعيد في إبقاء الصلات حية بينهم، وبين تقاليدهم وبنى بهم عالماً قائماً بذاته(5).. وقد تركزت فيه بعد تدوينه، كل السلطة الدينية والدنيوية، وأصبح كل قرار في الحياة اليهودية مهما علا شأنه، أو صغر يؤخذ وفقاً للسلطة التلمودية(6). وهو عند بعض فرق اليهود أقدس من التوراة، وذلك لما ورد في نصوصه من تقدس كاتبيه، وشراحه من الحاخامات، ومنها:

- من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليمه، واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماءه أفضل مما جاء في شريعة موسى.
- مَن يجادل حاخامه، أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية ـ عياذا بالله ـ.
- من يقرأ التوراة دون التلمود ليس له إلا الموت(7)، وأقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء(8).
- إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها، ولا تغييرها ولو بأمر الله - عياذاً بالله -.
- ويذكر التلمود أنه قد وقع اختلاف بين الباري تعالى، وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات، واضطر الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا ـ أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور(9).

وإذا كان التلمود له هذه الأهمية، وهو متعدد، ولكل طابعه الخاص. فهل التلمود يُعد من المصادر القدسية؟.

تجزم بعض فرق الأصولية اليهودية المنتسبة، وغير المنتسبة للصهيونية بقدسية التلمود(10). ويعتبر مصدرهم التشريعي الأول، ثم تأتي من بعده الشريعة الشفوية التي أنزلها الله سبحانه على النبي موسىυ في سيناء، ويؤكدون على قدسية التلمود من منطلق بقاء موسىυ لوقت أطول مما هو محدد له على جبل سيناء، وهو عندهم دليل كاف على تسلم موسىυ للقانون الشفوي؛ لأنه لو كان قد استلم القانون المكتوب فقط لما احتاج لأكثر من يوم واحد(11). ثم يبررون موقفهم من

---

(1) انظر: من اليهودية إلى الصهيونية: د. أسعد السحمراني. ص66: 68.
(2) انظر:كنوز التلمود: س.ليفي. ترجمة: محمد خليفة التونسي. ص11. دار التراث. القاهرة (ط2: 1991م).
(3) انظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود: إسرائيل شاحاك. ترجمة: حسن خضر. ص62: 68. سيناء للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 1994م).
(4) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود: د. محمد عبد الله الشرقاوي: ص43. دار عمران. بيروت (ط1: 1414هـ).
(5) انظر: التلمود والصهيونية: د. أسعد رزوق. ص190.
(6) انظر: اليد الخفية: د. عبد الوهاب المسيري: ص23. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).
(7) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج. أشيل لوران، ترجمة: يوسف حنا نصر الله. ص45: 46. بيروت. لبنان (د ب، ط2: 1968م).
(8) انظر: إسرائيل والتلمود: إبراهيم خليل أحمد ص57. دار العهد الجديد للطباعة. القاهرة (ط: 1967م).
(9) انظر: اليهود على حسب التلمود: أوغست روهلنج. أشيل لوران، ترجمة: يوسف حنا نصر الله، ص12: 15. دار فلسطين للتأليف والترجمة. بيروت (ط3: 1970م).
(10) من الطوائف القديمة فرقة الفريسيين، والقبااليين، والكتبة (السوفريم) الرابانيين واضعوا التلمود الذين اعتبروه كتابا مقدسا على الدوام، وتمسكوا به على اعتبار بأنه الأكثر أهمية عن سائر الكتب المقدسة، ويتضح ذلك مماورد فيه حيث يقول: "أولئك الذين يكرسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس يؤدون فضيلة، لكنها ليست كبيرة، والذين يدرسون المشناة يؤدون فضيلة سينالون المكافأة عليها، لكن الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارا يؤدون فضيلة سامية جدا" ويقول: "ذلك الذي يخالف أوامر الكتبة يرتكب خطيئة مميته أكثر مما لو خالف أوامر القانون" أي أوامر الله عز وجل. وانكرت بعض الطوائف اليهودية التلمود وحاربته ولا تؤمن إلا بأسفار التوراة الخمسة منهم: فرقة السامريين، والقرائين، الصدوقيون، أما في واقعنا المعاصر فأنقسمت اليهودية إلى منظمات وحركات وأحزاب سياسية يتكون أعضاءها من مزيج من الفرق والاعتقاد الطائفية المتغايرة؛ لتحقيق الأغراض السياسية المتمثلة في تمكين الاحتلال والاستيطان (انظر: سفر التاريخ اليهودي: رجا عرابي. ص356- 397. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م)).
(11) حاولت العثور على مسألة الخلاف (المزعومة) التي حدثت بين الله والحاخامات - عياذا بالله - ولم أعثر عليها فيما تيسر بين يدي من مراجع. (انظر: فضح التلمود: زهدي الفاتح. ص26).

تقديسه بإنه وإن لم يثبت استلام موسى له في طور سيناء، فهو من اجتهادات الحاخامات، وبالتالي فهو مقدس أيضاً، «لأن أقوال الحاخامات، كما يزعم التلمود هي أقوال الله تعالى، فضلاً عن أن الله تعالى يستشير الحاخامات عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في السماء»(1).

وواضح ضعف هذه المزاعم إذ أنهم يتجاهلون قدرة الله ــ الذي يقول للشيء كن فيكون ــ، فالله كما هو قادر على إعطاء التوراة المكتوبة لموسىυ في لحظات، قادر أيضاً على تسليمه القانون الشفوي بأسرع من لمح البصر(2). ولذلك فإن هذا المبرر يمكن أن يستخدم حجة لتفنيد قدسية التلمود، فضلاً عن الحجج الأخرى التي لا تقل عنها جلاء ووضوحاً، ومنها:

1 ــ عزو التلمود في كثير من نصوصه إلى المولى عز وجل صفات السلوب، والنقص من البكاء، ولطم الخد، والشعور بالإثم، والندم، والخطأ،...(3)، وهو الذي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ﴾ (سورة الشورى، آية: 11).

2 ــ التأكيد على ضرورة تحرر اليهود من أية سلطة أجنبية، والتمهيد لحكم اليهود للعالم، والتمتع بثرواته، حيث يعتبر اليهود أنفسهم طبقاً للتلمود مساوين للعزة الإلهية، ومن ثم تكون الدنيا بكل ما تحتويه ملكاً لهم، ومن حقهم أن يتسلطوا عليها، إذ أن الملك لله. ولما كان التلمود يقرر أن اليهود أجزاء من الله، فإن اليهود يعدون مالكين لكل ما في الأرض نيابة عن الله(4)؛ لذلك جاءت كثير من النصوص التلمودية لتؤكد حقهم بالاستيلاء على ما في أيدي الأغيار، وإبادتهم، واستعبادهم بل عَد ذلك واجباً دينياً(5)، حيث ينص التلمود على أن سرقة الأجانب جائزة شرعاً؛ لأن سرقتهم من اليهود تعد استرداداً لأموالهم(6).

3 ــ تأكيد فكرة شعب الله المختار، وضرب العزلة الوجدانية، والروحية، والعقلية على أتباعهم من اليهود، وقد أخذت تلك العزلة شكل التعالي على الناس، وتسري هذه النزعة المتعالية بحدة في كثير من نصوص التلمود(7)، التي حددت قواعد السلوك الاجتماعي لليهود، ووضعت لهم منهاج المعاملات السياسية، والاقتصادية والعلاقات الاجتماعية فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الأغيار من جهة أخرى.

4 ــ تمهيد الذهن اليهودي لتقبل فكرة العودة إلى فلسطين، إذ أنه رغم أن القسم الخامس من التلمود المقدسات يدور حول الطقوس المرتبطة بوجود الهيكل، إلا أن الحاخامات في فلسطين، وبابل تابعوا اهتمامهم بها رغم خراب الهيكل بغية زرع الأمل اليهودي في تطلعهم الدائم إلى إعادة بناء الهيكل، عاجلاً أم آجلاً، واستعادة الطقس القرباني؛ لذا وجدوا أن من واجبهم الإلمام بقوانين تلك الطقوس التي سوف تؤذن بالرجوع إلى سابق العهد(8). وضمن هذا السياق طرح التلمود فكرة المسيح المنتظر، والذي ستتحقق العودة على يديه(9)، حيث يلاحظ أن الأحلام المسيحانية تشغل حيزاً كبيراً من صفحات التلمود(10). ونتيجة لتأثيرات هذه المصادر في السلوك للقوى الأصلية، نجدها تمثل المصدر الأوحد لسلوكهم.

ولمزيد من الإيضاح ولمعرفة كيف تعتقد، وتعيش الأمة اليهودية، وكيف تخطط للمستقبل،

---

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست، لوران. ص47: 48. وانظر: اليهودية: .د. أحمد شلبي. ص244.

(2) قال تعالى: ﴿... التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ قُرَيْشٍ الْمَاعُونِ الْكَوْثَرِ الْكَافِرُونَ النَّصْرِ﴾ (سورة فاطر، آية: 44)، وقوله: ﴿فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ﴾ (سورة البقرة، آية: 117)، وقوله: ﴿الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ﴾ (سورة يس، آية: 82).

(3) انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل المغربي: ص40: 41. والكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست. ولوران. ص49: 51.

(4) انظر: اليهودية: د. أحمد شلبي. ص247.

(5) انظر: الأيدلوجية الصهيونية وإسرائيل: محمد وجدي الدباغ. ص42: 43. مطبعة أسعد. بغداد (ط: 1989م).

(6) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست. ولوران. ص72: 73. نصوص أخرى: ص75: 96.

(7) انظر: اليهودية والصهيونية وإسرائيل: عبد الوهاب المسيري. ص24: 25. المؤسسة العربية للدراسات والبحوث. بيروت (ط: 1975م).

(8) انظر: التلمود والصهيونية: د.أسعد رزوق. ص168.

(9) انظر: التراث اليهودي: د. صبري جرجس. ص94.

(10) انظر: اليهودية: د.عبد الوهاب المسيري. ص26. وانظر: الصهيونية بين الدين والسياسة: عبد السميع الهراوي. ص139.

وعلى أي أساس تبني أفكارها، وتستمد تعاليمها، وكيف يسوسون شعوبهم، وحكوماتهم، وكيف ينظرون إلى الكون، وإلى العالم، وإلى ما سواهم من الأمم، ولكي يتضح لنا أن التلمود عندهم يعد منهاجاً، ودستوراً؛ للسيطرة على البشرية، والأديان، والأمم عن طريق إقامة تشريع يعطي اليهود ذلك الامتياز الذي يجعل من حقهم سلب الثروات، وسحق الأمم، نوجز بعض التعاليم التلمودية المبثوثة في نصوصه الآتية:

1. التعدي على الذات الإلهية المقدسة ــ عياذاً بالله ــ بقولهم: اعترف الله بأخطائه حينما صرح بتخريب الهيكل، وهدمه، فصار يبكي، ويزأر، ويلطم خديه قائلاً: تباً لي لماذا أصرح بتخريب بيتي، وأحرق الهيكل، وأنهب أولادي اليهود، وتسقط من عينه دمعتان فترتطم بمياه البحار فيسمع دويهم كل العالم، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فيحدث ما يسمى بالزلازل والبراكين.

2. اليهود أبناء الله، وشعبه المختار على سائر الشعوب، والأمم، وأرواح اليهود تعتبر جزءاً من الله كما أن الابن جزءاً من أبيه، وأرواح غير اليهود من أرواح شيطانية شريرة، وشبيهة بأرواح الحيوانات.

3. الجنة ما خلقت إلا لليهود، والنار، والويل والخزي فمن نصيب الأغيار.

4. أن الله أعطاهم السيادة المطلقة على الأرض.

5. أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم، بين الزفت، والقطران، والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى معه ــ عياذاً بالله ــ، وأن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب(1).

وتعتمد بعض الطوائف الأصولية الأرثوذكسية المتشددة، والمنتسبة للصهيونية كغوش إيمونيم التلمود كمصدر أساسي من مصادر التشريع، وتعتبره مصدرها الإلهامي الأول، والمقدم على التوراة، وهو الأقدس كونه من أقوال الحاخامات الذين هم أقدس من الأنبياء، وكلامهم يعلوا على كلام الله ــ عياذاً بالله ــ، بيد أن الطوائف الأرثوذكسية الأخرى لا تعتبره من الأساس مصدراً تشريعياً.

المصدر الثالث: التراث الصوفي (القبالة والزوهار):

بعد إنجاز كتاب التلمود، ظهرت مجموعة من أحبار اليهود المتأثرين بالآراء الشرقية، ودين الفرس، وزرادشت، فخرجوا بمجموعة من الأحكام الباطنية المتعلقة بالمسائل الميتافيزيقية ما وراء الطبيعة الغيبيات، دونت تحت اسم القبالة والزوهار، واستقت القبالة مادتها من الروايات الباطنية التلمودية (2).

1 ــ القبالة:

القبالة Kabbalah: اسم مشتق من كلمة عبرية، وكانت في بداية الأمر تشير إلى: الحكمة المستورة، وإلى تراث اليهودية الشفهي المتناقل، المعروف باسم الشريعة الشفوية(3) ثم أصبحت تفيد معنى:

- التواتر، أوما تلقاه المرء عن السلف، أي: التقاليد، والتراث.

- المتعلق بالله، والكائنات، ونزل هذا بزعمهم وحياً على أكرم القدسيين سمعان بن بوشاي (2ق.م)، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار(4). وهي من علم التأويلات الباطنية، والصوفية عند اليهود، ثم أخذت بالتطور التدريجي حتى أصبحت في أواخر القرن الثاني عشر تحمل معان أخرى كالأشكال المتطورة للتصوف المعاصر، والعلم الحاخامي.

- ثم أخذت مدلولاً أوسع، وهو سائر المذاهب اليهودية الباطنية. وأطلق على منظريها لقب القباليين(5) أي العارفين بالفيض الرباني.

وتجدر الإشارة إلى أن طريق القبالة لم يكن مفتوحاً لكل اليهود، ومعتنقي اليهودية، إنما الخوض فيه مقصور على نخبة مختارة هم الفاهمون، والعقلاء. وهؤلاء يتميزون بمعرفتهم الواسعة بعلائم المسيح المنتظر الذي سينقذهم ويعيدهم إلى أرض الميعاد(6).

---

(1) انظر: لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر: غازي القرني. ص50: 51.

(2) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة ياسين. ص20. مخطوط. رسالة ماجستير. مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة عام: 1983م. وانظر: سفر التاريخ اليهودي: رجا عرابي. ص364.

(3) انظر: معارك في سبيل الإله الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام:كارين آرمسترونج. ص21.

(4) انظر: المواثيق والعهود في ممارسات اليهود، قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر: جبر الهذلول. ص100. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت (ط1: 2004م).

(5) انظر: اليهودية: عبدالوهاب المسيري. ص25. وانظر: سفر التاريخ اليهودي: عرابي. ص358. ومن القباليين المشهورين في العهد القديم: نخمان، وموسى بن ميمون وكلاهما في الأندلس.

(6) انظر: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية: عبد الوهاب المسيري. ص116. مركز الدراسات =

وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما:
القسم النظري: يبحث في المعرفة الباطنية، والفيض الإلهي، والأوامر، والنواهي، والطقوس التي يمارسونها، ويعتبرونها جزءاً من عقيدتهم الدينية السرية.
القسم العلمي: ويتعلق بالشياطين، والأرواح الشريرة، وعلم الأموات، والرموز والحروف(1).
2 ـ الزوهار:
كلمة الزوهار Zohar كلمة عبرية تعني: الإشراق، أو النور والضياء، وقد استمدت هذه التسمية من الكتاب المقدس، حيث جاء ذكرها في سفر العدد12 بحسب زعمهم في قوله: **(والفاهمون يضيئون كضياء الجلد3)**، وتتخذ شكل الشرح والتعليق على أسفار التوراة؛ لتكشف المعنى الخفي لرؤيا التوراة. فهي تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، حيث يعتقدون أن كل حرف من حروف الزوهار له معنى ظاهري، ومعنى باطني والحياة في عرف الزوهار صراع بين الخير، والشر يؤدي في النهاية إلى انتصار الخير على الشر مع ظهور المسيح المنتظر(2).
والتراث الصوفي اليهودي القائل بوجود معنى ظاهري، وباطني عززَ، وشجَع حاخامي اليهود على اتخاذ الأساس الشرعي لإضافاتهم، واجتهاداتهم طالما أن هناك معنى باطنياً، يقتصر تفسيره، وتحديد معناه على عدد معين من رجال الدين.
وبناء على ما سبق نجد أن: التفكير الصوفي اليهودي لم يخرج عن الغايات الأساسية التي نادى بها كتاب العهد القديم في تعزيز الأساطير اليهودية المتعلقة بالتميز، وأمل العودة على يد المسيح في داخل النفس اليهودية.
المصدر الرابع: بروتوكولات حكماء صهيون:
ـ كلمة **(بروتوكول)** تعني: الوثيقة التي تحتوي على محضر محادثات يجريها ممثلون دبلوماسيون. هذه الوثيقة تفيد أن الدبلوماسيين قد اتفقوا على مسائل مهمة(3).
ـ كلمة **(حكماء)** تعني عند بعضهم: الهداة من شيوخهم، ومفكريهم الذين يُعتبَرون عندهم أعلى مرتبة من جميع رجال الفكر في العالم، وهم من منفذي تعاليم التلمود التي يتوارثها هؤلاء الحكماء جيلاً بعد جيل(4).
ـ لفظة صهيون في الأصل هي اسم: تلة، أو رابية في أورشليم، أو بيت المقدس بني زمن اليبوسيين، أبناء عمومة العرب، سكنها القدماء من الكنعانيين الذين بقيت منهم بقية في بيت المقدس إلى القرن الخامس، أو الرابع (ق. م)، والكنعانيون هم أهل فلسطين قبل بني إسرائيل بقرون عديدة، وكلمة صهيون كلمة كنعانية لا عبرية، وعلى هذه التلة ابتنى داودυ قصره بعد انتقاله من حبرون الخليل إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر (ق.م)، وصارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية(5).
وأما بروتوكولات حكماء صهيون: فهي التسمية للمقررات السرية لمؤتمر بال (1897م)(6) ويقال إنها كتبت عام (1897م)، أي في العام الذي انعقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، الذي اجتمع فيه نحو (300) من أدهى، وأخبث قادة اليهود الصهيونيين، وكان هؤلاء يمثلون خمسين جمعية يهودية من شتى دول العالم، وقرروا في هذا المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داودυ(7).
وأن هذه الخطة تلاها هرتزل في هذا المؤتمر حيث نوقشت فيه، وبقيت سرية إلى أن نشرت لأول مرة عام (1905م)(8). وقد أحاط اليهود عملية ظهورها، والعثور عليها، ونشرها بكثير من

=
السياسية والإستراتيجية. القاهرة (ط: 1974م). وانظر: سفر التاريخ اليهودي: عرابي. ص357.
(1) انظر: نفسه. ص32. وانظر: لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر: غازي القرني. ص62.
(2) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل راجي. ص22. مطبعة الجبلاوي. بيروت (ط: 1968م).
(3) انظر: الموسوعة العربية العالمية: المجلد 4. ص378.
(4) انظر: انتحار شمشون: حسني إبراهيم الحايك. ص15. دار النفائس. بيروت (ط1: 1993م).
(5) انظر: بورتوكولات حكماء صهيون: عجاج نويهض. ص1: 5. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت (ط4: 1996م).
(6) انظر: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية: د. حسان حلاق. ص129. جامعة بيروت العربية. مركز الأبحاث. بيروت (ط1: 1909م).
(7) انظر: مكايد يهود عبر التاريخ: عبد الرحمن حسن حبنكة. ص269. دار القلم. دمشق (ط2: 1398هـ).
(8) انظر: اليد الخفية: د. عبد الوهاب المسيري. ص14. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).

القصص الخيالية؛ لتهويل أمرها على الناس(1). ثم أنكروها، واعتبروها من كتب التشهير بهم حيث ورد في معجم المصطلحات الصهيونية أن: بروتوكولات زعماء صهيون كتب تشهير، وتجن مضادة للسامية. وهذه الكتب كتبت على شكل وثائق سرية، ومحاضر لاجتماعات سرية عقدها زعماء اليهود في العالم ومعهم البناة الأحرار في أوقات متقاربة من أجل السيطرة على العالم، وذلك عن طريق تقويض البنى الاجتماعي للدول والشعوب، وتدمير الحضارة النصرانية، وإثارة الانقلابات، والنزاعات، ونشر الكفر، والإلحاد، والتحريض على أعمال العنف، و...الخ.

وهذه البرتوكولات عبارة عن توجيهات، ونظريات تؤلف برنامجاً سياسياً، واقتصادياً(2)، صيغت على شكل وثيقة يتبعها اليهود بدقة، وإصرار سراً، وعلانية أحياناً أخرى؛ لتخريب المجتمع الإنساني؛ وللسيطرة عليه، وجعل الحكومة يهودية عالمية.

وأول من اكتشف البروتوكولات جندي روسي كان يعمل في مخابرات قيصر روسيا، وأول من نشرها هو العالم الروسي، سيبريجي نيلوسي، الذي وقعت البروتوكولات في يده سنة (1901)، أي بعد أربع سنوات من مؤتمر بازال(3). وهي تشتمل على أربعة وعشرين بروتوكولاً، عشرة منها توضح موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم، أما البقية المتبقية منها فتوضح موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطة عليه(4). وتتنوع الوسائل التي تضعها البروتوكولات للوصول إلى الهدف المطلوب تنوعاً شديداً، يستوعب كل مناحي الحياة، وأوجهها، فمن نماذج الإفساد ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ما يأتي:

البروتوكول الأول: يدعو إلى الهيمنة على الصحافة، وتسخير العاملين بها؛ لإشاعة الأفكار التحررية لإسقاط ثوابت المجتمعات، ومرجعيتها؛ فتسهل قيادتها مع شراء أكبر عدد من الدوريات؛ لأن الأدب، والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين في ذلك الوقت.

البروتوكول الثالث: كنز الثروات مع السيطرة على الاقتصاد، وإشاعة الفساد المالي.

البروتوكول الخامس: نشر الفتن، والخلافات داخل كل مجتمع.

البروتوكول السادس: بذر العداوات بين الأمم، وإيجاد الخلافات بين حكوماتها.

البروتوكول السابع: تسخير فئات، وشرائح المجتمعات؛ لخدمة الهدف اليهودي العالمي، بإشاعة المبادئ الاجتماعية الفاسدة، التي تؤدي إلى اضطراب المجتمعات، وهم يتوهمون السعي إلى إصلاحها.

البروتوكول الثامن: التغلغل في أوساط المشرعين لدفع التشريعات في الاتجاه الذي يفضي إلى السيطرة على موارد المجتمعات، وتوجيهها بعيداً عن أصولها، وثوابتها.

البروتوكول التاسع: تدمير الأسرة عبر إشاعة الأنانية الفردية، وتجميد نزعة الخروج عن تعاليم المجتمع الراسخة ببريق الأفكار التحررية، والمتمردة.

البروتوكول الحادي عشر: إلهاء الجماهير، والشعوب بالمشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، والتجارية، والصناعية، وإغراقهم في تفاصيلها؛ لتذهلهم عن خيوط الخطة الكبرى التي يتم بها دفع الجميع إلى المسار المفضي إلى الحكم اليهودي.

البروتوكول الثاني عشر: تغيير بنية مجتمعات العمال، ورجال الإدارة، وإشاعة الفتن، والميل للاضطرابات فيها.

البروتوكول الثالث عشر: العمل على تحطيم العقائد، وإزاحة الإيمان؛ ليثمر الملحدون، ويقضوا على الأديان، ولا يبقى غير ديننا الذي لا يتأثر؛ لأن مفاتيح الأمر بيدنا، والعمل على الحط من قدر رجال الدين، حتى تنهار النصرانية، ثم يتلوها الديانات الأخرى(5).

البروتوكول السابع عشر: جزء منه يبين ما سيحدث عند إقامة الدولة اليهودية العالمية، ومنهج حكم العالم، وسياسة الشعوب الأممية، وإدارتها بهذه الحكومة(6).

وتمثل البروتوكولات الخطة التنفيذية، أو ورقة العمل لما جاء في العهد القديم، والتلمود، وتضعهما موضع التنفيذ(7)إلا أنها أنضج من التوراة، وأعنف من التلمود، في معالجة شئون العالم المعاصر، ووفق منهج التفكير اليهودي الطامح بالسيادة على الكون(8).

---

(1) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون: د. إحسان حقي. ص23. دار النفائس. بيروت (ط2: 1410هـ).
(2) انظر: اليهودية العالمية: عبد الله الحلاق. ص208.
(3) لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر: غازي القرني. ص 69.
(4) انظر: اليهودية: د. أحمد شلبي. ص11: 12.
(5) الوحي ونقيضه: برتوكولات حكماء صهيون في القرآن: د. بهاء الأمير. ص 122-123. مكتبة مدبولي للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2006م).
(6) انظر: اليهود في الظلام: د. أحمد شلبي. ص11: 12. الهراء للإعلام العربي. القاهرة (ط1: 1412هـ).
(7) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود: د. محمد عبد الله الشرقاوي. ص74.
(8) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون من التنظير إلى التدمير: حسن الباش. ص13. دار قتيبة. سوريا (ط1 :1990م).

والخلاصـــة:

تمثل البرتوكولات: عصارة عقل يهودي كائناً مَن يكون(1)، وهـي مخطـط يهـودي تفصـيلي كامل للسيطرة على العالم بأساليب، ووسائل متعددة وضعت تمهيداً لقلب النظـام العـالمي، وتهديـده في كيانه بإشاعة الفوضى، والإباحية بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة، والدعوات الهدامـة، والمنكـرة علـى عقـول أبنائـه، وتقـويض كـل دعامـة مـن دعـائم الـدين، أو الوطنيـة، أو الخلـق القويم(2). ومن المفيد قراءتها للاضطلاع على منهجهم في التفكير الاستعماري القائم على المزاعم الدينية(3).

وختاماً فإن البروتوكولات المصدر الرابع من مصادر الفكر اليهودي المعاصر، وكما بينـت الدارسة فإن أفكار البروتوكـولات استوحيت مـن المصـادر الثلاثـة السـابقة، أسفار العهـد القديم، والتلمود بأقسامه المختلفة، والتـراث الصـوفي القبالـة، والزوهـار، إلا أن البروتوكـولات وضـعت بأسلوب عصري حديث يتلائم مع أطمـاعهم، ونفسـياتهم الحاقـدة؛ لتحقيـق أهـدافهم ومـآربهم علـى أكمل وجه، مستخدمين في ذلك أحدث ما وصلت إليه الحضارة إبان وضـعها مـع مـا يملكـون مـن أساليب المكر، والدهاء، والخداع.

---

(1) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون: عجاج نويهض. ج1. ص51.
(2) انظر: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي، ترجمة الأستاذ: عبـاس محمـود العقاد. ص13. دار التقوى للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2004م).
(3) انظر: من اليهودية إلى الصهيونية: د. أسعد السحمراني. ص75.

الفصل الرابع
العقائد والأفكار الخاصة بأشراط الساعة الكبرى عند الأصولية اليهودية المعاصرة

ويشتمل على:

1- عقيدة شعب الله المختار.
2- عقيدة أرض المعاد.
3- عقيدة ظهور المسيا.
4- عقيدة بناء الهيكل.
5- عقيدة معركة هرمجدون.
6- عقيدة الألفية وحكم العالم، ونهايته.

الفصل الرابع
العقائد والأفكار الخاصة بأشراط الساعة الكبرى عند الأصولية اليهودية المعاصرة

نتيجة لمزج الأصولية اليهودية المنتسبة للصهيونية عقائدها الدينية بالسياسة، فإن العقائد، والأفكار الأساسية تمثل أسس الفكر السياسي الصهيوني الأصولي، والإطار الأشمل لموقفها من الحياة، والتاريخ والعلم؛ ذلك أن التوراة التي بأيدي اليهود لا يحتوي على عقائد واضحة، وقد أجهد هذا الأمر الكثير من الباحثين لاستخلاص العقائد اليهودية من التوراة، ومصادره من التلمود، وكتبه التفسيرية، حيث أنها لا تحتوي إلا على التشريعات: كالأعياد، والصلاة، والنذور، والقربان، والزواج، ونظام الأسرة... وغيرها من الأمور التي تطغى عليها الصفة التشريعية البحتة، بالإضافة إلى الأسفار الخمس الأول التي تمثل التاريخ اليهودي بتفصيلاته، ومراحله، وهو ليس نطاق بحثنا؛ لذا سيتم التركيز على العقائد، والأفكار الأساسية المتعلقة بنهاية العالم التي وضعتها الأصولية اليهودية، والتي تزعم أنها مستمدة من مصادرها القدسية، وتشكل العمود الفقري للفكر السياسي الإسرائيلي ــ المزعوم ــ، وتتلخص تلك الأفكار التي مثلت بشكل عقائدي؛ لتصبغ بالصيغة الدينية في الآتي:

1- عقيدة شعب الله المختار. (لارتباطها بعقيدة أرض المعاد).
2- عقيدة أرض المعاد.
3- عقيدة ظهور المسيا.
4- عقيدة بناء الهيكل.
5- عقيدة معركة هرمجدون.
6- عقيدة حكم العالم، ونهايته.

وستقوم الدراسة بمناقشة كل فكرة منها مبينة، وشارحه، للمنطلقات، والأسس التي بنيت عليها، ومبرراتها، والأهداف التي سوف تحققها من خلال بعثها لشعبها، وشعوب العالم التي تعيش في وسطها، وحكوماتها التي تساندها للوصول لمطامحها تحت مظلة المعتقدات الأصولية اليهودية، وذلك وفقاً لما يأتي:

أولاً: عقيدة شعب الله المختار:

يعتقد اليهود من خلال ما دونه حاخاماتهم، وعلمائهم في مصادرهم التوراتية، والتلمودية، أنهم شعب اختاره الله، واصطفاه دون الشعوب الأخرى، وظهرت هذه العقيدة عندهم منذ عهد الأنبياء الأوائل في القرن الثامن قبل الميلاد، واستمرت حتى تدمير آخر معالم الاستقلال السياسي لليهود في فارس، وفلسطين في القرن الخامس الميلادي، وبرغم الهزيمة، والاندثار الذي منوا به عبر القرون، والحروب الطاحنة، لم تزل عقيدة الشعب المختار راسخة في الذهنية اليهودية، وتشكل النواة الأسطورية لحياة اليهود السياسية(1). ومن خلالها تتضح رؤيتهم لأنفسهم، كما وتعكس نظرتهم للآخرين، وكيفية التعامل معهم، مستندين في ذلك على نصوص وردت في مصادرهم المقدسة.

وتعد الأصولية اليهودية المتطرفة هي الموجه، والمروج لهذه الأفكار والمعتقدات، والمسؤولة عن انتشارها بين أبناء جلدتها، وللعالم من حولها، وترى من خلالها بث فكرة: أن اليهود هم الشعب الذي اصطفاه الله؛ لإتمام رسالته العالمية التي بعث الله بها أنبياءه؛ للإقرار بوحدانيته، ونشر دينه، وأنه تعالى قد استخلفهم في الأرض، فهي لهم خالصة، وكل ما على الأرض مسخر لخدمتهم، وهذه الفكرة تكررت في التوراة مراراً، منها ما جاء في التثنية14: **(لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض2)**، وترسخت هذه الفكرة أكثر فيما بعد عندما أدخلتها الأصولية الصهيونية اليهودية في الصلاة اليومية، حيث إنهم يقولون كل يوم في صلاتهم: **(أنهم أبناء الله وأحباؤه)**(2). وتذهب الأصولية اليهودية إلى أن هذا الاختيار هو اختيار أبدي، على أساس أنه دون في عهد أزلي بين الرب، والنبي إبراهيم أولاً، ثم بين الرب، ونسل إبراهيم فيما بعد، حيث قال الرب لإبراهيم كما جاء في سفر التكوين17: **(وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدة أجيالهم عهد الدهر7)**، وضمن هذا السياق نجد الحاخام كاهانا يقول: «لقد اختار الرب شعب إسرائيل كشعب مختار، وأقسم أن لا ينقرض إلى الأبد»(3)، بل أصبحت البديهية الأولى عنده هي أن الشعب

---

(1) انظر: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: د. جمال البدري. ص36. دار الأوائل للطباعة والنشر. دمشق (ط1: 2003م).
(2) الكنز المرصود في فضح التلمود: أوغست. ولوران، ص15-55.
(3) شوكة في عيونكم: الحاخام مائير كاهانا. ص225. ترجمة: غازي السعدي. دار الجيل. عمان(ط1: =

اليهودي فريد، ومتميز، ومقدس، ولا شعب آخر، أو أمة أخرى ضاهته في الماضي، أو يمكن أن تضاهيه في المستقبل؛ لأنه الشعب الذي اختاره الرب، ولو لم يكن الأمر هكذا؛ لانقرض الشعب اليهودي كما انقرضت الشعوب الأخرى كالمؤابيين، وغيرهم(1).

ولقد بنى الأصوليون على هذا نظرية: «تفوق اليهود على البشر، وتفردهم عن الناس، وأفضليتهم على المخلوقات جميعاً في نظر الخالق. فهم يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيمu الذي اختير مفضلاً على العالمين، وأن هذا الاختيار لا للرجل فحسب. بل لسلالته أيضاً(2)، وهذا الاختيار بنظرهم عبارة عن برنامج إلهي وضعه الله بمشيئته، ولذلك فإنهم لم يتوانوا في إطلاق مسميات قدسية على أنفسهم، ومنها: (الشعب الأزلي)، و(الشعب المقدس)، و(الشعب الأبدي)(3).

ونظرية الاختيار من وجهة نظرهم لا تقبل أي حجة مضادة، ولا يمكن محاسبتها بميزان الدين، أو قياسها بأية مقاييس أخلاقية، أو إنسانية؛ لأن الرب يعلم ما جبل عليه هذا الشعب من تذمر وسوء خلق، ومع ذلك فقد أعطى له هذا الوعد، لمجرد أنه وعد إبراهيم، وذلك لسر في نفسه، وهذا ما أكده الحاخام يهوذا كوك في محاضرته التي ألقاها عام (1987م)، ونشرت تحت عنوان: ودع الشعب المقدس في الأرض المقدسة، إن القداسة لا تنبع من ما يفعله الإنسان، أو مالا يفعله، إنها خاصية عضوية خلقها الله، ووضعها في الشعب اليهودي، وأرض إسرائيل؛ لأن هذه هي مشيئة الله(4). ورغم هذا فالعقيدة قامت رغم معرفة الرب بأن اليهود شعب صعب الانقياد، وكثير التذمر، علاوة على عدم بره، حيث جاء في التثنية7: **(لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب7 ميزكم الرب واصطفاكم وإنما أنتم أقل من جميع الشعوب. لكن لمحبة الرب لكم ومحافظته على اليمين التي أقسم لآبائكم8)**، وقوله في التثنية9: **(فاعلم أنه ليس لأ جل برك أعطاك الرب إلهك هذه الأرض الصالحة لتملكها لأنك شعب قاس الرقاب6)**.

وبناء على ما تقدم تؤكد الأصولية اليهودية على أن (الشعب المختار) حتى لو ضل السبيل فإن الله لا يتخلى عنه؛ لأن هذا الاختيار هو جزء من الحيلولة الإلهية التي تعني بأن: «الحضرة الإلهية قد حلت فانتقلت من الله إلى الشعب اليهودي، وأرضه»(5).

وذكرت الأصولية اليهودية عدة مبررات لهذا الاختيار، أهمها ما يأتي:

1- إن اليهود هم الذين حملوا راية التوحيد والدعوة إلى عبادة الله، ونبذ عبادة الأوثان في وقت كان فيه الشرك هو السمة المهيمنة على العالم (تث: 9: 6)، أي: في زمانهم.

2- إن الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد الذي وافق على حمل التوراة، بدلالة ما ورد في التلمود الذي يقول: **(لماذا اختار الواحد القدوس، تبارك اسمه، إسرائيل، لأن كل الأمم قد رغبت عن التوراة ولكن إسرائيل قبلتها)**(6).

3- إن الشعب اليهودي قد اختار الله، ولذلك فإن الله قد اختاره، وهذا ما ذهب إليه الحاخام كهانا بقوله: «لقد خلق الشعب اليهودي من خلال الإصغاء إلى صوت الرب، لقد أخذ شعب إسرائيل على عاتقه تنفيذ أوامر الرب، إذ اعترف به أنه الإله الموجود وطبق شريعته»(7).

4- ثم طرح الحاخام إبراهام كوك فكرة يمكن تسميتها بفكرة البقية الصالحة لإثبات أزلية الاختيار وعقلنته، حيث قال: «هناك عهد أبدي يؤكد بأن بني إسرائيل لن يكونوا يوماً غير طاهرين كلياً، بل قد يفسدون جزئياً، ولكنهم لم يبعدوا كلياً عن ينبوع الحياة السماوية»(8).

ولم يقتصر اليهود على ادعائهم بهذا التمييز فحسب، بل ذهبوا إلى القول بأن الشعب المختار حتى لو ضل السبيل فلن يتخلى عنه الله؛ لأن الاختيار جزء من الحلولية الإلهية(9)التي تجلت بوضوح

=

1985م).

(1) انظر: نفسه: ص225: 228.
(2) انظر: تك:12: 1-3، 17: 2-9.
(3) انظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: رشاد عبدالله الشامي.ص29. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت (ط1: 1988م).
(4) انظر: الدين اليهودي ودوره في تكوين الشخصية اليهودية في الكيان الصهيوني: خالد إسماعيل علي. ص25. مخطوط. بحث مقدم إلى اللجنة العليا لبحوث قادسية صدام. بغداد.
(5) العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد يس. ص25.
(6) شوكة في عيونكم: الحاخام مائير كهانا. غازي السعدي. ص225.
(7) نفسه نفس الصفحة.
(8) الفكرو الصهيونية النصوص الأساسية: منظمة التحرير الفلسطينية. ص304. بيروت (ط1: 1970م).
(9) الحلولية الإلهية: المقصود بها أن الحضرة الإلهية ـ عياذاً بالله ـ قد حلت فانتقلت من الله إلى الشعب وليس الشعب فقط إنما حتى الأرض، أحلت عليها القداسة، وتعرف في الفكر الديني اليهودي باسم الشيخانة
=

في طبيعة العلاقة بين الخالق، والمخلوق إلى درجة أن تجاوز قداسة الشعب لقدرة الخالق، فأصبح الإله يخطئ، ويحتكم إلى المخلوق، وهذا ما جاء به التلمود حيث قال: **(... وقع خلاف بين الله وعلماء التلمود في إحدى الأمور، وبعد أن طال الجدل أحيل الخلاف إلى أحد الحاخامات الذي حكم بخطأ الله، فاعترف الله بخطيئته)**(1). ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وهذا الافتراء والزعم بالأفضلية يناقض كل الشرائع السماوية، وليس تعاليم موسىυ فحسب؛ ذلك لأن الدين السماوي الحقيقي يدعوا إلى الخضوع، والخشوع لله، وإلى المحبة، والمساواة بين الناس، وليس التعالي، والتمييز على الخالق، والمخلوقين، وبيَّن لنا أن التقوى هي معيار التفاضل بين الناس لا الجنس، والنوع، قال تعالى: ﴿ ﴾ (سورة الحجرات، آية: 13)، وأمرنا عند الاختلاف رد الاختلاف إليه لا للمخلوق العاجز قال تعالى: ﴿التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل﴾ (سورة الشورى، آية: 10)، وبيَّن تعالى أن حكمه لا يرد، ولا يمارى قال تعالى: ﴿المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات﴾ (سورة الرعد، آية: 41)، ونفى عن نفسه جلا وعلا المماثلة، والمشابهة، وأثبت اختصاصه بالقدرة دون غيره، فقال عز وجل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال﴾ (سورة الشورى:آية: 11)، كما كشف القرآن الكريم كذب، وزيف إدعائتهم بقوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله﴾ (سورة المائدة، آية: 18).

وقد ترتبت على القول بالشعب المختار، العديد من الأفكار منها على سبيل المثال ما يأتي:

المطلق الذاتي: وتتمثل في تخطي حدود الزمان، والمكان على الرغم أن المطلق بطبيعته شامل، لكن مطلقات اليهود مقصورة عليهم وحدهم، ويظهر هذا التصور اليهودي للخالق بشكل واضح من خلال زعمهم أنه إله واحد لكنه مخصوص لليهود دون سواهم، أما الأغيار فلهم آلهتهم التي تخدمهم، وترعاهم، ووحدانية الإله عند اليهود مرتبطة بوحدانية الشعب اليهودي، فقد خلع الشعب الوحدانية على الإله، فخلع الإله الوحدانية على الشعب؛ ومن هنا؛ فإن مجرى الطبيعة، والتاريخ، والبشر يدور بإرادة يهوه حول حياة ومصير اليهود، والصهيونية هي الترجمة العملية لهذا المطلق الذاتي الذي يتصور إنه يتحرك دون الإشارة إلى أي شيء خارج عنه(2).

فكرة الأمة المقدسة: وقد نتج عن هذا التصور أن اليهود أخذوا يرون أنفسهم أمة مقدسة من الكهنة، والقديسيين، الأمر الذي صبغ الطقوس الدينية كلها، والكتب اللاهوتية كلها بطابع قومي عميق، وأصبح هذا المفهوم قاسماً مشتركاً لدى اليهود المتدينين، والعلمانيين على حد سواء(3).

وفكرة الاختيار هذه ساهمت في نشر كثير من الأوهام، والشائعات عن أعضاء الجماعات اليهودية مثل بروتوكولات حكماء صهيون، والمؤامرة اليهودية الكبرى، وقد ظهرت عدة تعبيرات تتصل بفكرة الاختيار، أهمها (الشعب المقدس)، و(أمة الروح)، و(البقية الصالحة)، و(جماعة يسرائيل)، وهناك تعبير (العهد)، و(الميثاق)، وهما يشيران إلى حقيقة أن الفكر الديني اليهودي يدور حول العهود التي قطعها الإله على نفسه لإسرائيل(4).

موقف الصهيونية ـ المؤسسة للكيان الإسرائيلي ـ من عقيدة: شعب الله المختار:

المتتبع للبحوث، والدراسات التي ناقشت هذه العقيدة لدى الصهيونية يجد أن الصهيونية رفضت هذه العقيدة ابتداءً؛ لأن بنائها لا ديني من وجهة نظرهم، ولا يوجد ما يشير إليها في مصادرهم،...؛ ثم قبلتها لاحقاً نتيجة لضغوط رجال الدين، كفكرة لا كعقيدة تبني عليها مسوغاتها الاحتلالية، ثم ما لبث أن رفضها البعض منهم؛ لوهنها، وعدم قدرتها على أثبات أصالتها التشريعية؛ وذلك لأسباب نوردها فيما يأتي:

=

(الموسوعة النقدية الفلسطينية اليهودية: عبدالمنعم حفني. ص11. مدبولي. القاهرة (ط1: 1980م).

(1) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود: شوقي عبدالناصر.ص33. دار الكتب الحديث. بيروت (ط: 1988م).

(2) انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية: د. عبدالوهاب المسيري. ص425. مركز الدارسات السياسية والإستراتيجية. القاهرة (ط1: 1975م).

(3) انظر: السيف الأحمر: د. جمال البدري. ص35: 36.

(4) انظر: موسوعة اليهود واليهودية: د. عبدالوهاب المسيري. ص 26.

أولاً: رفض الصهيونية العلمانية الأولى فكرة (شعب الله المختار):

من الواضح أن عدم قبول هذه الفكرة من المجتمع الدولي المعاصر قد دفع الصهيونية لأول وهلة وهي بصدد بناء مشروعها الاستيطاني إلى استنكارها، وإبداء التحفظات حولها؛ لأن الصهيونية أرادت أن تعيد الشعب اليهودي إلى أحضان الأمم، وأن تجعل منه شعباً ذا طابع قومي مثل سائر الشعوب، لا سيما وأن الطرح الأول لاختيار الأرض التي تجمع اليهود كأمة كان متجه لإنجلترا، وأمريكا، وأوغندا، وليبيا، ولم تكن أرض فلسطين محور الفكر الصهيوني على الإطلاق؛ ذلك أن منطلقاتها ليست لها أسس دينية، إنما اجتماعية قومية بحتة(1)؛ لشعورهم بالضياع، والإنهاك، والذوبان، والذل من الشعوب التي عاشوا واختلطوا بهم خلال حقبهم التاريخية إلى زمن احتلالهم فلسطين.

كما أن ما أراده هرتزل لم يكن سوى التساؤل عن: السبب الذي جعل اليهود أقل من الآخرين، وهذا التساؤل كان جوهر عقيدته رغم ترديده لعبارات مثل العنصر اليهودي، وارتقاء العنصر اليهودي(2) لم يكن سوى التأكيد على أنه لا يقل عن الشعوب الأخرى، ومن ثم فمن حقه أن يملك إرادته القومية، وذاتيته المستقلة مثل باقي الشعوب(3). بل إنه في أحايين كثيرة ينعت اليهود بنعوت سلبية(4).

ويبدو أن ما ذهب إليه زعماء الصهيونية الأوائل من تحليل للمشكلة اليهودية وطرق حلها، كان يستند إلى قناعة خلاصتها: إن العداء لليهود يمكن أن يزول نهائياً إذا ما منح اليهود فرصة؛ لأن يكونوا شعباً سوياً، أي أن يصيروا أمة كباقي الأمم، وتذهب هذه النظرة إلى أن حياة اليهود قد تشوهت، من جراء حالة الوجود غير السوي في الشتات؛ ولذلك إن تجمعوا في أرض، ووطن يشكلون فيه أكثر السكان؛ سيتمكنون من الشروع في عملية تحولهم إلى السواء، بحيث يؤدي ذلك بهم إلى تكوين ثقافة قومية وشخصية لا تختلف في مكوناتها الأساسية عن تلك التي تتسم بها الأمم الأخرى(5).

وبناءً عليه انقسم الصهاينة العلمانيون الأوائل في قبول الفكرة إلى فريقين: منهم من قبلها لدعم مشروعه الاستيطاني، ومنهم من ظل على رفضها، وله مبرراته وهي:

أسباب استمرار رفض بعض الصهاينة العلمانيين لفكرة (شعب الله المختار):

1. مايراه بعض الصهاينة أن عودة الصهيونية الأولى للفكرة لم تكن نابعة عن قناعة مطلقة، بل مبنية على أسس عملية، ومصالح ـ وصولية ـ، فمن السهل أن نلتمس مواقف صهيونية مناوئة لفكرة الاختيار حتى بعد تمكن الاحتلال، وسيطرته على الأراضي الفلسطينية، وهو ما لا نجده لدى الأصولية اليهودية.

2. ظهر في استطلاع إسرائيلي لفكرة الشعب المختار أن (57%) فقط من يهود إسرائيل يؤمنون بالفكرة(6)، والباقي يعارضها.

3. إنكار "جولد مان" أية صلة للصهيونية بفكرة الشعب المختار بقوله: «مفهوم الشعب المختار، الذي يشكل جانباً أساسياً من الفلسفة، والدين اليهودي لا يدخل في عداد مفاهيم الأيدلوجية الصهيونية»(7).

4. تعبير "هارولد فيش" من قلب "غوش أيمونيم" بعباراته الصريحة التي قلبت هذه الأطروحات الصهيونية رأساً على عقب بقوله: «أن ما ذهبت إليه الصهيونية من أن الأمة اليهودية أمة سوية، وأنه ينبغي لما يسمى بالمجتمع الدولي أن يعاملها من حيث هي كذلك هي الوهم الأصلي الذي توهمته الصهيونية العلمانية»(8)، وأن الأصولية اليهودية في نظر فيش تستلزم رفض ما اعتمدته الصهيونية العلمانية من اتخاذ الأمم الأخرى نماذج يحتذي بها الشعب

---

(1) انظر: الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية إبراهام إسحاق كوك، ص304. م. ت. مركز الأبحاث. بيروت. ع9 حزيران: 1970م.
وهناك قول آخر قوي يؤكد أن فلسطين كانت مطلباً قديماً ومحدداً عند الصهيزنية منذ إنشائها. للمزيد راجع: كتاب الصهيونية النصرانية دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية. د. محمد عبدالعزيز العلي.

(2) انظر: مفهوم النقاء العرقي اليهودي في الفكر الصهيوني: جهاد تقي الدين الحسني. ص40: 41. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. ع15: 1981م.

(3) انظر: من يحكم في تل أبيب: حامد ربيع. ص52. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت (ط1: 1925م).

(4) انظر: يوميات هرتزل: تيودور هرتزل. ص324. ترجمة: هلدا شعبان صايغ. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1968م).

(5) انظر: الإسرائيليون الجدد: يوسي مليمان. ص35: 39. ترجمة: مالك فاضل البديري. الأهلية للطباعة والنشر. عمان (ط1: 1993م).

(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: أيان لوستيك. ص209.

(7) في الفكر الصهيوني المعاصر: مجموعة من مؤلفين. ص328- 329. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1968م).

(8) الأصولية اليهودية في إسرائيل: أيان لوستيك. ص 88.

اليهودي في سلوكه، فاليهود ليسوا شعباً سوياً، ولا يمكن أن يكونوا كذلك، بل هم في الحقيقة شعب غير سوى، وهذا قول لا رجعة عنه، وإن إرادتهم الأبدية ناتجة من العهد الذي أقامه الله معهم في سيناء، وهو حدث تاريخي حقيقي ذو نتائج أبدية، ولا مفر منها للعالم كله، ويولى فيش أهمية خاصة لبعض نصوص التوراة التي تذكرهم بوضعهم التعاهدي في عين الرب، وهو ما يعني: أن مسألة الشعب المختار في أصلها فكرة، وليست عقيدة، وشتان بين المعنيين.

ثانياً: قبول بعض الصهاينة الأوائل فكرة (شعب الله المختار):

إن فكرة هرتزل الصهيونية العلمانية القائلة بإزالة العداء لليهود إذا منحوا فرصة لأن يكونوا أمة كباقي الأمم لم تحظ بالقبول من الأصولية اليهودية الأرثوذكسية، وغيرها من الفرق، ولذلك تصدى لها بعض الأصوليين أبرزهم باينس حيث قال: «أعلن معارضتي الشديدة لهذا الرأي؛ لأنه لا يمكن أن ينتج عنه سوى الأضرار الشديدة لنا، من ينادي بتطبيق هذه النظرية يكون كمن يسلب الجسد الحي روحه ليحييه بصدمة كهربائية، يمكن أن تساعده على الاستمرار، وهي ليست بديلاً عن الحياة الحقيقية. وانتهى إلى القول: إن اليهود ليسوا مجموعة عرقية كغيرهم قوميتهم ليست قومية طبيعية كما يحاول أن يفرض الصهيونيون العلمانيون عليهم، إن الشعب اليهودي جنس لا يمكن بحكم طبيعته أن يقبل هذه الأفكار الغريبة عنه»(1).

ويبدوا أن الضغوط الأصولية دفعت بعض الزعماء الصهاينة للتعامل إيجابياً مع فكرة الشعب المختار، فنجد بن غوريون بدأ يسوغ لقبول الفكرة بمسوغات عقلية وقيود، فلم يجعلها بدون علة حيث يرى أن المقصود بالشعب المختار: «أنه الشعب الذي اختار وليس الذي اختير؛ لأنه قد اختار التمسك بوصايا الله»(2). وحتى هذا الزعم ينتهي إلى رفض أزلية الاختيار؛ لأنه إذا كان الإيمان بوصايا الله هو أساس إرادة الشعب اليهودي، فإن هذا الأساس قد انتهى بعد انتشار ذلك الإيمان لدى الأمم النصرانية، والتوحيد المطلق عند المسلمين.

أسباب قبول الفكرة:

من المساغ عقلاً القول أن عودة الصهيونية إلى فكرة شعب الله المختار لم تكن مبنية على أسس دينية، وإنما ترجع لأسباب عملية استيطانية تتعلق بعملية قيام دولة إسرائيل، أهمها ما يأتي:

1. رغبة الصهيونية العلمانية احتواء الأصولية اليهودية، والتخلص من ضغوطاتها.
2. إن الصهاينة تقريباً قد لجاؤا إلى فكرة شعب الله المختار، والتفوق العرقي من أجل خلق حاجز قوي ضد عملية اندماج اليهود في المجتمعات الأخرى، تلك العملية التي كان من الممكن أن تحبط مشروع الدولة المزمع إقامتها، وذوبان اليهود في الشعوب الأخرى.
3. يرجع بعض الباحثين أن السبب في التفاعل الإيجابي الصهيوني مع فكرة الشعب المختار ربما لتأثر الصهيونية بالفلسفة الألمانية المثالية آنذاك التي تقدس روح الشعب، وحقوقه المطلقة(3).

ونظراً لتلقيهم الفكرة التي أطلقوها بالقبول، واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار على الحقيقة، لم يتوانوا في إطلاق عدة مسميات لاهوتية على أنفسهم منها: (عم عولام) = الشعب الأزلي، (عم نيتسح) = الشعب الأبدي، (عم قادوش) = الشعب المقدس(4). وهذه المسميات لم تنشأ من فراغ، وإنما أفرزتها عدة عوامل مباشرة، وغير مباشرة ساعدت على بلورتها، وترسيخها في الذهنية اليهودية، منها ما ورد بالتوراة، والتلمود، وغيرهما من كتبهم الدينية(5).

تعقيب:

توجد عدة ملاحظات على فكرة شعب الله المختار عند بعض طوائف اليهود الأصوليين المناوئين للفكر الأصولي اليهودي المتطرف أهمها ما يأتي:

1 ـ إن فكرة شعب الله المختار فكرة عنصرية؛ لأنها تؤكد انفصال اليهودي عن الأغيار من البشر، وقد جاء في التلمود ما يعزز ذلك بالإشارة إلى أن: **(بني إسرائيل يشبهون حبة الزيتون؛ لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك بنوا إسرائيل لا يمكن اختلاطهم مع الشعوب الأخرى)**(6).

وهناك عدة تبريرات طرحت بشأن الأسباب الكامنة وراء هذه الفكرة العنصرية والتي شكلت

---

(1) القومية اليهودية لا يمكن أن تكون علمانية: ميخائيل باينس. ص288: 289. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط:1970م).
(2) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص79.
(3) انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية: د. عبدالوهاب المسيري. ص65.
(4) انظر: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: رشاد عبد الله الشامي. ص23.
(5) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ص24.
(6) انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: عبدالوهاب المسيري. ص231.

نقطة صراع بين الأصوليين اليهود أنفسهم، فيما سمي بالتيار اللامعقول، والتيار المعقول في اليهودية، وانتصار اللامعقول، وسيادته على غيره(1) ويقصد به:

1. دينياً: الملة الأرثوذكسية الأصولية المتطرفة المعترف بها في إسرئيل رسمياً، والمنتسبة للصهيونية، والتي عرفت فيما بعد بالأصولية الصهيونية اليهودية.

2. سياسياً: الحركة الصهيونية لعموم اليهود في إسرائيل، وخارجها، وكلاهما يعتمد التطرف الفكري اللامعقول سبيلاً لتعامله مع النص، والواقع.

2 ـ إن المراجع والمصادر التاريخية لا تؤيد هذه الدعوة العنصرية، ولا الكتب السماوية لكن جل ما في الأمر أن في كتبهم بعض النصوص التي وقعت أحداثها عبر التاريخ، وانتهت. ويفسرها المتطرفون منهم تفسيرات تخدم مطامعهم، وتطلعاتهم الاستيطانية المستقبلية، ويدعمونها بقوة في مؤلفاتهم المحرفة، والمبدلة، والتي لا يعترف بها طوائف عدة من أبناء جلدتهم ناهيك عن سائر الديانات الأخرى.

3 ـ إن الحقائق العلمية تشير إلى أن فلسطين القديمة قد اختلطت فيها الشعوب السامية بشعوب منحدرة من المناطق الجبلية الشمالية، وخاصة الأناضول القديمة ــ وهي غير سامية ــ كونت فيما بعد الشعب الحثي الذي خلف في فلسطين طابعاً سلالياً مميزاً بالنسبة لبقية الأعراق السامية، وهو الأنف المعقوف، والذي كان من المعتقد بأنه من المميزات السامية، بينما هو في الحقيقة يعود إلى السلالة الأناضولية، فهو إذا غير سام وانتقل إلى الساميين ـ آنذاك ـ عن طريق التزاوج، والتمازج السلالي.

4 ـ إن واقعة الاختيار هي واقعة حقيقية لاشك فيها بدلالة ما ورد في القرآن الكريم، قال تعـــــالى: ﴿الرَّحْمَٰن الْوَاقِعَة الْحَدِيد الْمُجَادَلَة الْحَشْر الْمُمْتَحَنَة الصَّف الْجُمُعَة الْمُنَافِقُون التَّغَابُن الطَّلَاق﴾

(سورة البقرة، آية: 47و122)، ولكنها لم تطرح بالشكل التعسفي الذي طرحته الأصولية اليهودية المتطرفة المعاصرة، فلفظ العالمين هنا تعني عالميَ زمانهم آنذاك بالفعل ــ وفي المنطقة التي عاشوا فيها بالذات ــ لا في سائر الأرض، ولا في أواخر الزمان وإلى قيام الساعة، فلا يتناول التفضيل من مضى من الأمم، ولا من جاء بعدهم منها، ولا من عاصرهم من الأمم في سائر أطراف المعمورة، ــ لا سيما إذا علمنا تاريخياً أن عاصر زمانهم شعوب توحد الله ــ.

كما أن حكمة التفضيل هنا لم تكن عشوائية وبدون سبب كما ذهبت إلى ذلك الأصولية اليهودية المتطرفة، بل كانت مشروطة [بتوحيد الله، وإقامة الشريعة، وإحياء الدين، ونشره في الأرض]، وقد أشارت التوراة إلى هذا المعنى، إلا أن الأصولية اليهودية فسرته حسب إرادتها، وطبيعة مراوغاتها في سبر النصوص التي تدينهم، وصبها في قوالب تتناسب مع مصالحهم، ورؤاهم لأنفسهم، ومن أمثلة هذه النصوص ما ورد في حزقيال19 قوله: **(إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب5).**

وعلى هذا الأساس، فإن الله سبحانه رفع هذا التفضيل حين تقاعس هذا الشعب عن الوفاء بما ألزمه الله القيام به(2). ومع ذلك فإن الأصولية اليهودية تحاول تجاهل كل ذلك، حيث إنها لم تذكر سبباً موضوعياً لهذا الاختيار، بل على العكس نجد أن كل ما حصل في التاريخ ، حسب المصادر اليهودية مبني بناءاً سبيباً مباشراً، ولا سبب لها، وهو التفضيل الذي يمكن أن يتخذ أساساً للانفرادية عن سائر البشر، وسائر ولد إبراهيم υ(3). وسنفصل الرد على الفكرة ــ بإذن الله ــ في الباب الثالث.

ثانياً: عقيدة (أرض المعاد):

عقيدة أرض المعاد، عند بعض فرق الأصولية اليهودية تُعد من الأفكار الراسخة، والتي تؤمن بها إيماناً لا يقبل الشك، ويرون أن الله تعالى قد وعد إبراهيم، ونسله من بعده بالملكية الأبدية لفلسطين وما حولها، وذلك انطلاقاً من مصادرهم التشريعية، وهذا المعتقد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الشعب المختار، لأن (الشعب، والأرض) يرتبطان برباط أزلي مقدس (تجسدا) في منح الله لشعبه الأرض المقدسة؛ لأنها أرض الرب، حيث جاء في سفر يوشع9: **(الأرض التي يقطن فيها الله، وهي أيضاً أرض الرب3)**، وقدسيتها بزعمهم يرجع لارتباطها بالشعب المختار، كما جاء في سفر دانيال11: **(الواحد القدوس تبارك اسمه، قاس جميع البلدان بقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لإسرائيل سوى أرض إسرائيل16).**

ونظراً لأن الأرض منحة من الله كما وردت في التوراة وليست منحة من أحد، فقد تحولت

---

(1) انظر: اليهودي واللايهودي: إسحاق دويتشر وماهركيالي. ص9- 25- 63. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت (ط: 1971م).

(2) انظر: وعد الله ليس لبني إسرائيل: محمد عبدالرحمن عبداللطيف. ص86: 73. الهيئة المصرية العامة للنشر. القاهرة (ط: 1971م).

(3) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص57.

عقيدة أرض الميعاد في العقل اليهودي إلى فكرة لاهوتية فقدت أبعادها التاريخية الجغرافية المتعينة... فكيف نشأ الوعد؟ وكيف تطور؟ وما موقف دعاة الأصولية الصهيونية اليهودية منه، وما مبرراتهم له؟..هذا ما سنقف عليه.

أولاً: نشأة عقيدة (أرض المعاد):

كان الكنعانيون العرب يؤمنون بإله واحد مسكنه السماء، لكن نصوص سفر التكوين تختار لإبرامυ رباً، وتجعله خاصاً به، ثم تصدر عنه الوعد بمنحه أرض كنعان ملكاً له، فيقول في التكوين12: **(قال الرب لإبرام؛ اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك3).** وهذا أول نص يسجل مولد فكرة الأرض الموعودة، ثم تتحدث نصوص هذا السفر عن هذا الوعد، فتقول: **(فذهب إبرام كما قال له الرب، وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة لما خرج من حاران8)**، فذهب إلى أرض كنعان فلسطين حيث يقول: **(أخذ إبرام ساراى امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان18)**، وهنا يحدد النص الموقع الذي يتخذه، والعمل الذي يلزمه القيام به υ يقول: **(اختار إبرام في الأرض إلى مكان شكيم**(1)**، بلوطة مروة، وكان الكنعانيون في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال، لنسلك أعطى هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب24)**، ومن هذا النص نجد فكرة الأرض الموعودة تصطبغ بالقداسة كوعد إلهي، ثم اختار بيت إيل مكاناً لهذا المذبح؛ لأن هذا المكان كان قاعدة ملك بيت داود فيما بعد، ثم استبدل سليمانυ اسم هذا المكان من بيت إيل إلى بيت المقدس. ومن النص السابق نجد أن إبرامυ اختار قطعة من أرض كنعان هي من شكيم إلى بلوطة مروة، وكان الكنعانيون مازالوا يعيشون فيها، فكيف تحفظ النصوص توازنها في وجوب إجلاء الكنعانيين عن شكيم، وعن بلوطة مروة ؟ لقد ذهب كاتب السفر إلى أن وسيلة إجلاء الكنعانيين تحتاج إلى المال، وهنا نجده جعل ساراى(2)، هي الوسيلة للحصول على المال لإبرام فارتحل من أجل الحصول على المال، وهذا وجه من وجوه الحل، لكن يصور التكوين الرحلة، وينسب لإبرام بما لا يليق نسبته لأنبياء الله الأصفياء، وذلك لما صوروه من فحش، وفجور ــ عياذاً بالله ــ في حق إبرام، وساراى عليهما السلام حيث يقول: **(ارتحل إبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب، أي مصر، ولما قرب أن يدخل مصر قال لساراى امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، قولى إنك أختي ليكون لي خير بسببك35)**، ثم يذكر: **(فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها، وصار له غنم، وبقر، وحمير، وعبيد، وإماء، وأتن، وجمال!40)**، ثم يصور انكشاف الحقيقة حيث يقول: **(فدعا فرعون إبرام وقال؛ ماهذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت هي أختي... فأخذتها؟43)**، ثم يصور خلق فرعون أفضل من خلق إبرامυ يقول: **(قال فرعون عند ذلك لإبرام، والآن! هي ذي امرأتك خذها واذهب47)**، ثم يواصل حديثه عن إبرام فيقول: **(صعد إبرام هو وامرأته من مصر وكل ما كان له، وصار إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب، وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى مكان المذبح الذي عمله هناك47)**، ثم ما يلبث أن يزيد في رقعة الأرض الموعودة فيذكر: **(قال الرب لإبرام ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها53)**. ثم يواصل الرب حديثه لإبرام، ويزيد من الرقعة مرة أخرى بقوله: **(قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها، فقام إبرام ومشى في الأرض ونقل خيامه وأتى وأقام بلوط ممرا التي في حبرون وبنى هناك مذبحاً للرب60)**، وهكذا أخذت مساحة الأرض تتسع شيئاً فشيئاً، حتى شملت أرض كنعان كلها. ثم يؤيد قوله برؤيا منامية لإبرامυ، كدليل على أن الأرض الموعودة هي أرض كنعان فيقول في التكوين15: **(لقد صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا؛ لا تخف إبرام؛ أنا ترس لك فقال إبرام: أيها السيد الرب ماذا تعطيني؟. قال له الرب: الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين يعطيك هذه الأرض لترثها5)**. أور: أرض العراق.

بهذه الرؤيا خرجت فكرة الأرض الموعودة من الطور النظري إلى الطور التطبيقي العملي، حيث تذكر النصوص بأن إبرام قد سأل ربه قائلاً: **(أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها؟. قال له: خذ لي عجلة ثلثية، وعنزة ثلثية، وكبشاً ثلثياً، ويمامة، وحمامة فأخذ هذه كلها، وشقها من الوسط، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه12)**، ثم تعهد الرب لأبرام في المنام بأن له أرض كنعان، وما العِجلة، والعنزة، والكبش، واليمامة، والحمامة إلا أدلة مادية على صدق هذا العهد الروحاني، وأن الملك سيؤول لنسله من بعده، وفي ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً في سفر التكوين15: **(لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير**

---

(1) نابلس حالياً.
(2) ساراي: هي سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليهما السلام.

الفرات18)، وبالرغم أن النص عندهم واضح بقوله: **(لنسلك أعطى هذه الأرض)**، إلا أنهم خصوه بإسحاق، دون إسماعيلυ، ودون أبنائه الذكور الستة من زوجته العربية قنطورا، وأبناءه الخمسة من زوجته العربية أيضاً حجون(1)، وهذه هي النصوص، ــ المزعومة ــ، وغيرها مما بث في أسفار التوراة، يعتبرونها الأساس لمطالبهم بفلسطين، ويمثل السند الشرعي لأطماع الأصولية الصهيونية المعاصرة؛ لمدها الاستيطاني ليشمل الحدود المذكورة.

ثانياً: تطور عقيدة (أرض المعاد) لدى الأصولية اليهودية المعاصرة:

من النصوص السابقة نجد أن مفهوم الوعد في أسفارهم قد تطور تطوراً تدريجياً، حيث كان الوعد أولاً لإبراهيم، ثم انتقل إلى إسحاق، فيعقوب، فموسى من بعده عليهم السلام، ثم لبني إسرائيل عموماً.

قال الرب لإبرام: **(انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك)**، ثم انتقل الوعد إلى نسل إبراهيم: **(تجلى الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض)**، ثم توسعت الرقعة الموروثة له، ولنسله عليهم السلام بقوله: **(ارفع طرفك وأنظر إلى الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، أن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك على الأبد)**، ثم عاد وكرر ليؤكد نقل ميراث الأرض لنسله من بعده مع التوسع عما كان من مساحة للأرض في آخر وعد له، وخروجها عن نطاق كنعان إلى ماجاورها، وباعدها من أراض: **(قطع الرب مع إبرام عهداً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)**، ثم نقلت التوراة الوعد من إبراهيم إلى إسحق، يقول له الرب في سفر التكوين26: **(انزل هذه الأرض، وأنا أكون معك، وأباركك؛ لأنني لك، ولنسلك سأعطي جميع هذه البلاد3)**. ثم انتقل الوعد من إسحق إلى ابنه يعقوب في سفر التكوين35: **(والأرض التي جعلتها لإبراهيم واسحق لك اجعلها ولنسلك من بعدك اجعل الأرض12)**، ثم كلم الرب موسى قائلاً في سفر العدد34: **(مر بني إسرائيل، وقل لهم إنكم داخلون أرض كنعان، وهذه هي الأرض التي تقع لكم ميراثاً أرض كنعان بتخومها2)**، ثم كلم الرب بني إسرائيل كما جاء في التثنية11 قائلاً: **(كل موضع تطأه أخامص أقدامكم يكون لكم24)**، وأكد في سفر التكوين21 ذلك، بقوله: **(كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته10)**.

وكما يبدو من النصوص الأولى أن الوعد كان لا حدود جغرافية له، ثم توسعت الحدود إلى أن أصبحت أرض الميعاد من الفرات إلى النيل، ثم انتقل الوعد لنسل إبراهيمυ من ذرية أبنه إسحاق تحديداً، واستثنى إسماعيل؛ لأنه ابن الجارية (يشوع:1 :3)، وبرر التلمود ذلك بأنه: **(حتى إذا كانت أرض كنعان هي ملك مشترك بين إسحاق وإسماعيل، فإن العبد ملك صاحبه، وحتى لو أعطيت الأرض مناصفة بين إسحق وإسماعيل، فإنها ملك السيد المنحدر من نسل إبراهيم وليس للعبد)**، ثم تمت تسميتها بأرض الميعاد بدلاً من أرض كنعان، وكما هو ملاحظ من النصوص السابقة، والتوسع في الحدود هو ذاته ما يطلق عليه الآن تعبير التوسع الإقليمي؛ كيما يطلق العنان لتوسع نطاق أرض الميعاد حسب متطلبات الشعب اليهودي؛ لأن الأرض هي المعادل الجغرافي للشعب المختار.

وهذا يفسر الطبيعة التي امتازت بها الحركة الأصولية الصهيونية المتطرفة أولاً في دعوتها للسيطرة على الأرض العربية، وعدم اكتفائها بمساحة معينة؛ لأنها وجدت بهذه النصوص مبررات توسعها التي صاغت منها أيضاً بعض شعاراتها السياسية الأمنية مثل الحدود الآمنة.

وترتب على نتائج قدسية الأرض أن اليهودي الذي يعيش خارج أرض الميعاد، يتهم بأنه في حالة مرض مزمن لا يشفى منه، حتى يهاجر إلى أرض الرب، والتوراة، وبهذا اكتسب موضوع الهجرة إلى إسرائيل دلالة دينية مقدسة(2).

وقد استثمرت الحركة الصهيونية الدلالات الدينية القديمة؛ لدفع يهود الشتات ــ كما تسميهم ــ

---

(1) انظر: البداية والنهاية. أبوالفداء الحافظ ابن كثير. تحقيق: د. أحمد فيتح. ج1. ص180. دار الحديث. القاهرة. (ب: 2004م). وذكر ابن كثير أنه تزوج بعد قنطورا حجون بنت أمين فولدت له خمسة: كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس. وقال: هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والأعلام.
وكما جاء في كتبهم فأبناء قنطورا من سيدنا ابراهيم υ هم: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا.وابنا يقشان شبا وددان. ويذكر التكوين أبناء إبراهيمυ من غير سارة عليهم السلام بقوله: "وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قنطورا. 2 فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. 3 وولد يقشان شبا وددان.وكان بنو ددان أشّوريم ولطوشيم ولأمّيم. 4 وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبيداع وألدعة.جميع هؤلاء بنو قطورة. 5 واعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له. 6 وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فاعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حيّ 7...، 13وهذه اسماء بني إسماعيل باسمائهم حسب مواليدهم.نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام 14 ومشماع ودومة ومسّا 15 وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة. 16 هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه اسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم. 17 وهذه سنو حياة إسماعيل.مئة وسبع وثلاثون سنة.وأسلم روحه ومات وانضمّ إلى قومه" (تك: 25: 1-18).

(2) انظر: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: أبكار السقاف. ص45: 60.

إلى الهجرة، والاستيطان في فلسطين تحت ذريعة أن العيش، والعمل في الأرض المقدسة بمثابة ميتسفا، أي: فريضة إلهية تعادل في قيمتها الفرائض الدينية الأخرى كلها مجتمعة(1).

ثالثاً: موقف الأصولية الصهيونية الأولى من عقيدة (أرض المعاد):

أعلنت المرجعية الدينية لأغودات يسرائيل: «أن أرضنا المقدسة قد منحت لنا من قبل سيد الكون عن طريق أبدي»(2)، وذهب حانان بورات إلى: «أن أرض إسرائيل بالنسبة إلينا هي أرض قدرنا، أرض مصطفاة لا مجرد وطن يحدد تحديداً وجودياً»(3)، وذهب الحاخام إبراهام كوك إلى أكثر من ذلك بقوله: «إن إسرائيل لا تنفصل عن روح الشعب اليهودي»(4).

كما أن المفدال، وغوش إيمونيم قد رفعا شعار الأصولية اليهودية (أرض إسرائيل لشعب إسرائيل طبقاً لتوراة إسرائيل)، وتقتبس الأصولية اليهودية عن الحاخام تسفي يهودا كوك قوله: «لقد اختيرت الأرض من قبل اختيار الشعب نفسه،... فالأرض المصطفاة، والشعب المختار يكونان وحدة إلهية كاملة، قد ضم بعضها إلى بعض عند خلق العالم، وخلق التاريخ، وهما يكونان وحدة حيوية متكاملة»(5).

وترد دعاة الأصولية اليهودية على من يتهمونهم بالاستيلاء على فلسطين بدون وجه حق بقولهم: «إن الأرض كلها ملك لله هو خلقها، وهو يعطيها من يشاء»(6)، وقد شرح الأصولي اليهودي آرثر أزوليا هذا الأمر بقوله: «لقد تكفلت التوراة أن تشرح لنا غاية الله من أخذ الأرض من شعب، وجعلها داراً لشعب آخر، والمسألة هنا ليست مسألة من هو على الباطل، ومن هو على الحق، فالسؤال هو عن المصدر الذي صدرت الكلمات منه»(7).

ويبدو أن هذه الفكرة قد مثلت أحد الجوانب اللامعقولة في الفكر السياسي للأصولية اليهودية؛ لأنها لا تقدم تفسيرات معقولة لهذا الوعد، بل تنسب كل شيء إلى سر في نفس الله، كما ذهب إلى ذلك الحاخام ميون في مؤلفه القدس الصادر عام (1937م)، بقوله: «الرباط القائم بين الشعب اليهودي، وبلاده كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب، والأرض قد اتصفا بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما، والرباط الذي يشدهما رباط سماوي أبدي»(8).

ولذلك فإن دعاة الأصولية اليهودية حاولوا خلق مبررات موضوعية لهذا الوعد الإلهي من وجهة نظرهم، أهمها ما يأتي:

1. إن تطبيق الوصاية الإلهية، والامتثال لإرادته لا يكونان إلا في الأرض المقدسة.
2. إن كمالهم الروحي الذي كانوا يدعون لتحقيقه لا يتم إلا في الأرض الموعودة.
3. إن كثيراً من الرسوم التوراتية، والتلمودية خاصة ما يتعلق منها بأمور الزراعة بربته الأرض المقدسة(9).

ويمكن ملاحظة أن الصهاينة الذين لم يكن تاريخهم الشخصي، أو نمط تفكيرهم يمد جذوره من المصادر القدسية قد قبلوا ببلدان أخرى بديلة عن فلسطين(10)، وفي هذا الشأن قال هرتزل: «امنحونا السلطة فوق قطعة من الأرض في هذا العالم تكفي حاجاتنا القومية المشروعة، ونحن سنعمل ما تبقى»، وفي هذا السياق نجده قد قبل بمشاريع بديلة عن فلسطين كمشروع: (قبرص، والأرجنتين، وليبيا، وأوغندة(11)...وغيرهم)، بل وحاول الضغط في بعض أحياناً على المؤتمر الصهيوني لقبول أحد هذه المشاريع، وكان لمشروع أوغندة أنصار كثر داخل المنظمة(12)، ولم تطرح المشاريع البديلة عن فلسطين في الفكر الصهيوني إلا في المؤتمر الصهيوني السابع عام (1905م) الذي اتخذ قراراً يقضي بضرورة التخلي عن جميع المشاريع الصهيونية البعيدة عن فلسطين(13) مع ذلك فإن هرتزل

(1) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل. إيان لوستيك. ص45: 46.
(2) نفسه: ص46.
(3) نفسه: ص97.
(4) كتاب: الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية. الحاخام إبراهيم إسحاق كوك. ص294.
(5) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورجي كنعان. ج1. ص126.
(6) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص85.
(7) الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان، لوستيك. ص136.
(8) إسرائيل بين المسير والمصير: صابر عبدالرحمن طعيمة. ص172. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة (ط1: 1973م).
(9) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص86.
(10) انظر: نفسه: ص87.
(11) انظر: يوميات هرتزل: ترجمة: هيلدا صائغ. ص28- 66-68- 82-83 - 217- 245-252- 283-284.
(12) انظر: آباء الحركة الصهيونية: حيا هارئيل وموشى شيدف وآخرون. ص24. ترجمة: عبد الكريم النقيب. دار الجليل. عمان (ط1: 1987م).
(13) انظر: صفة التلمود: أحمد سوسة. ص358.

ظل مستبعد الأماكن المقدسة من دولته المؤملة(1)، وهذا ما لم تقدم عليه الصهيونية العلمانية الأولى، واستبعدته، ولا شك أن وراء هذا التحول في قبول فكرة ـ فلسطين كأرض المعاد ـ عوامل عديدة من أهمها:

1- ضغوط القوى الأصولية اليهودية بأوربا الشرقية، وإصرارها على فلسطين كشرط للتعاون مع الصهيونية.

2- مراعاة العواطف الدينية لدى جماهير أوربا الشرقية اليهودية التي بدأت تتدفق على فلسطين(2).

3- جهود حاييم وايزمن الذي كان من المعارضين لأية فكرة تدعو إلى إيجاد بديل لفلسطين كوطن قومي لليهود(3).

ثم جاء الصهيوني بن غوريون؛ ليعزز من هذا الاتجاه مرغماً بعد الهولكست، وعلى ذلك فزعماء الصهيونية لم يدخروا جهداً في تأكيد الطبيعة اللادينية لهذا الاختيار، وعلى رأسهم: هرتزل، وبن غوريون غير أن التقاليد الدينية المرتبطة بأرض الميعاد ستكون بالنسبة لهم مفيدة فقط، وتدعم مشروعهم الصهيوني، وهذا ما أكده شلومو أفيزي بقوله :«إن الاعتبار الذي يحكم هذه القضية كان دائماً واقعياً، وبالطبع لا مكان لقضية القدسية»(4).

كما أكد بن غوريون على أنه لا يهم بالنسبة له إن كان الوعد الإلهي حقيقة إلهية أم لا، بل المهم لديه أن هذه الفكرة مغروسة في الوجدان اليهودي، ولا يجوز أن تبقى سارية المفعول حتى بعد أن يثبت أن الوعد المقطوع هو مجرد أسطورة ليس لها أي مصدر إلهي، وأكد بقوله: أن الأسباب التي من أجلها حضرنا للاستيطان في فلسطين هي محنة اليهود في الشتات، وخلو البلاد النسبي من السكان، ولم يشر إلى أي سبب ديني(5)، وهو ما ذكرناه سابقاً بأن فكرة أرض المعاد فكرة، وليست عقيدة، إذ أن ليس لها أصل ديني تشريعي في كتبهم المعتمدة سوى ماذكرنا، والذي سنفصله بالنقض في موضعه من البحث.

نقـض:

من خلال استعراض فكرة الأرض الموعودة ظهر لنا عدد من الملاحظات جديرة بالطرح، والمناقشة مع ما سنبسطه لاحقاً ـ بإذن الله ـ منها:

1 ـ إن الأسفار لم تتفق على محدودية الأرض الموعودة، وإنما يوجد اختلاف، وتناقض كبير فيما بينها، ففريق منهم ذهب إلى أن: الأرض الموعودة هي أرض كنعان فقط، أي: أرض فلسطين، وذهب فريق آخر إلى أن الأرض الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات لتشمل مساحات كبيرة من فلسطين، ولبنان، وسوريا، والأردن، ومصر حتى نهر النيل. في حين ذهب فريق آخر إلى أن الأرض الموعودة هي كل أرض لمستها أقدام اليهود، وخصوصاً شبه جزيرة سيناء؛ بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها على موسى، والوجه البحري من مصر حتى نهر النيل؛ بزعم أن بني إسرائيل قد عاشوا في دلتا مصر فترة طويلة، وأن موسى نشأ في مصر، ويبالغ بعضهم فيضيف إلى الأرض الموعودة أجزاء من سوريا، والعراق؛ بحجة أن هذه الأجزاء كانت تقع تحت حدود مملكة داود، وسليمان عليهما السلام، وأن إبراهيمυ كان يقيم بأرض العراق، فهل من الممكن أن تكون هذه نصوص سماوية مقدسة، وبينها هذا التعارض والتناقض؟.

2 ـ يلاحظ أن الصناعة، والتأليف واضحان في الوعد حيث كان الوعد لإبراهيم أولاً، ثم لإبراهيم ونسله، ثم نقل اليهود الوعد لإبراهيم، ونسله من إسحق إلى يعقوب فقط، واستثنوا إسماعيلυ؛ لأنه ابن جارية ـ بزعمهم ـ، فما بال أبنائه الذكور الستة من الزوجة العربية قنطورا، وأبنائه الذكور الخمسة من الزوجة العربية الرابعة حجون؟ إذا استثنينا أبناء إسماعيل جدلاً ؟.

3 ـ إن تفسيرات الأصولية اليهودية للوعد غير معقولة حيث تنسب كل شيء إلى سر خفي في نفس الإله، دون أي مبرر شرعي، أو منطقي يقبله العقل.

4 ـ إذا كان اليهود يَّدعون ملكيتهم لفلسطين، وشبه جزيرة سيناء بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها، فإن الأمر كذلك للنصارى ففيها ولد، وبعث عيسىυ، وهي كذلك بالنسبة للمسلمين فهي قبلة المسلمين الأولى، وتمثل بها مسرى الرسول ^، ومعراجه، وفتحها الخليفة عمر بن الخطابτ في القرن السابع الميلادى، وأصبحت دولة إسلامية لعدة قرون، وإلى ماقبل ثمانين عام من الآن،

---

(1) انظر: يوميات هرتزل: ترجمة هيلدا صائغ. ص316.

(2) انظر: الصهيونية وإسرائيل وآسيا: جانسن. ج. هـ. ص53. ترجمة رشيد حميد. دار القدس. بيروت (ط1: 1971م).

(3) انظر: مذكرات وايز مان: وايزمان. ص13: 15.

(4) مجلة معاريف اليهودية.شامو فيزي (11/18/ 1974م) ترجمة م. د. ف.

(5) انظر: رسائل بن غوريون. بن غوريون. ص143. ترجمة: ديانا عبد الحميد. دار القدس. بيروت (ط: 1978م).

وهذا ما قاله أحد الوزراء اليهود الذين عارضوا قيام دولة إسرائيل في فلسطين: «إنني أنكر أن لليهود اليوم علاقة بفلسطين، أو أنها مكان صالح لهم كي يعيشوا فيه، إن الوصايا العشر قد أعطيت لليهود في أرض سيناء، وصحيح أن فلسطين تلعب دوراً كبيراً في التاريخ اليهودي، ولكن الأمر كذلك أيضاً بالنسبة للتاريخ الإسلامي، كما أنها أصبحت بعد عهد اليهود تلعب دوراً أكبر من أي بلد آخر في التاريخ الإسلامي، لعل المعبد اليهودي كان موجوداً في فلسطين، ولكن موعظة السيد المسيح لتلاميذه على الجبل حدثت في فلسطين أيضاً»(1).

5 ـ إذا أصر أحد الصهاينة على أن فلسطين من حقهم؛ لأنها أرض ميعادهم فإن هذا يعتبر حقاً للمسلمين، وحقاً للنصارى على حدٍ سواء، بل إن حق النصارى أقوى من حق اليهود؛ لأن عيسىυ ولد، ونشأ في فلسطين ـ ولكن لفترة زمنية بسيطة ـ بينما ولد موسى، ونشأ في مصر، وبناءً عليه يكون حق المسلمين أقوى من حق النصارى، واليهود معاً؛ لأن المسلمين قد فتحوها وأصبحت بلداً إسلامياً، ولقرون طويلة.

6 ـ ولو سلمنا جدلاً بصحة النصوص التي استدل بها اليهود فإنها لا تعطيهم الحق في هذه الأرض؛ ذلك أن الوعد مع الله كان لنسل إبراهيمυ فمن هم نسلهυ؟. المعروف أن إبراهيم أنجب إسماعيل أولاً، ثم إسحق، وإسماعيل هو جد العرب، وإسحق هو جد بني إسرائيل كما أنجب من قنطورا العربية ستة أولاد ذكور، ومن الزوجة الثالثة حجون بنت أمين العربية أيضاً خمسة أولاد ذكور، ومن هنا يكون لإسماعيل، وذريته، وأبناء قنطورا العربية، وأبناء حجون بنت أمين العربية نفس الحق في أن يرثوا هذه الأرض، مثلهم في ذلك مثل أبناء إسحق، ويعقوب عليهما السلام.

7 ـ إن الوعد لو صح في المصادر اليهودية فإنه ليس وعداً مادياً بملكية الأرض، وإنما وعد معنوي مشروط بالإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته، وإقامة دينه؛ ولذا فإن المفهوم الذي يمكن أن يستقيم لفهم هذا الوعد هو أن الله سبحانه أمر بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة لإقامة شريعته، والوعد بنية بناء الدولة اليهودية المثالية لأداء رسالة العدل، وليس مجرد امتلاكها فقط كما تدعي الأصولية اليهودية، فتقاعسوا عن أداء هذه المهمة فكان حكم الله تحريمها عليهم، والوعد إنما كان روحياً بالعلو، والعزة، وسيادة الدنيا، والآخرة لمن وفي بالعهد، وأقام شريعة الله؛ ولذا بينت التوراة أن الوعد بهذه الأرض إنما يكون لقوم مؤمنين محافظين على وصايا الله، وتعاليمه، كما بين القرآن الكريم: أن الأرض لا يرثها في النهاية إلا المتقون من عباد الله، لقوله تعالى: ﴿ ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 105)، وقال تعالى: ﴿القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية ﴾ (سورة الأعراف، آية: 128)، وقال في موضع آخر: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ﴿ ﴾ ﴿سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف ﴾ (سورة النور، آية: 55). إذا فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، والمتقين، وأما المنحرفون عن عبادته، والكافرون بشريعة إبراهيمυ فلا يستحقون عهد الرب، أو وراثة هذه الأرض، قال تعالى: ﴿الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف ﴾ (سورة البقرة، آية: 124) فالآية صريحة بأن الظالمين لا ينالوا عهداً، ولا أرضاً، وهذا ما تحقق بالفعل حين آمن من بني إسرائيل الأوائل من آمن واتقوا الله أورثهم الأرض، قال عز من قائل: ﴿فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف ﴾ (سورة الأعراف، آية: 137)، كما وحرمها عليهم عندما خالفوا موسىυ، وعصوه قال تعالى: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (سورة المائدة، آية: 26)، وتوفى الله سيدنا موسى ثم هارون عليهما السلام ـ ثم دخلتها الأجيال التي تلتهم بعد فناء الجيل القاسي الرقاب، وكان دخولهم مع فتى موسىυ يشوع بن نون حين استقامت أمورهم فملكهم الله، وأورثهم الأرض كما وعدهم، وبعد أن انحرفوا بعد ذلك عن وحي السماء، وحرفوا كتبهم انتزع الله منهم الأرض مرة أخرى، وأعطاها لمن يستحقها من الأمم الملتزمة بطاعته، وتوحيده، والتي التزمت بملة إبراهيمυ الحنيفية، وهم الأمة الإسلامية ذرية إسماعيلυ جد العرب

(1) وثائق القضية الفلسطينية: ج1.ص209 مذكرة مخطوط.

الذين حملوا لواء التوحيد، ونشروا الدين، وفتحوا الأمصار، واستعادوا فلسطين وما حولها محققين بذلك وعد الله لإبراهيم أن يجعل هذه الأرض لنسله من نهر النيل إلى نهر الفرات(1)، وهي كذلك منذ الفتوحات الإسلامية من القرن الأول الهجري، وإلى يومنا هذا، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق ﴾ (سورة آل عمران، آية:68)، ومنها استحق العرب أبناء إسماعيل فلسطين إلى يومنا هذا لأسباب كثيرة منها:

- إنهم هم الذين اتبعوا ملة إبراهيمυ، وساروا على نهجه، ومن هنا تحقق وعد الله لإبراهيم عليه السلام أن لا يرثها إلا القوم الصالحون.
- إنهم أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل عليهما السلام.
- إنهم أول من دخل هذه الأرض، وعَمَّرها قبل أن يراها بنو إسرائيل حيث إن الكنعانيين من العرب
- إنهم هم الذين أقاموا فيها طيلة حياتهم، ولم يفارقوها لا بالاستغناء عنها، ولا بالغضب، ولا بالطرد، والعقاب من الله.
- إنهم بمجرد أن أمروا بدخولها وفتحها لم يترددوا، ولم يعصوا أمراً لله ورسوله، فكان لهم النصر المؤزر بتأييد من الله.

ثالثاً: عقيدة ظهور (المسيا)، وتطورها:

نشأة عقيدة ظهور (المسيا):

كان أصل المدلول اللغوي عندهم لكلمة (مسيح) مدلولاً مادياً؛ لأن الفعل (مسح) كان يستعمل لمبايعة الملوك؛ ذلك أن الكاهن الأكبر الذي يقوم بطقوس التتويج يأخذ على كفه بمخامن الزيت فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج، وكانت الكلمة عندهم تسمى: ميجاً، أي: المتوج بطريقة شرعية، وبالزيت المقدس؛ لذلك يختلف اليهود في تحديد شخصية المسيا، ومكانته الرئاسية مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى، بناءً على هذا المدلول فهم ينتظرون ملكاً يهودياً ممسوحاً بالزيت، متوجاً، يحكم العالم بما أوتي من قوة من نسل النبي داودυ ويريدونه ملكاً، وليس نبياً، ذلك أن النبي يفرض عليهم تشريعات، وعبادات تقيدهم سلوكياً، وأخلاقياً، واجتماعياً، وتفرض عليهم تشريعات دينية لا يستطيعوا الوفاء بها، فضلا عن رغبتهم عنها، فهم يريدون ملكاً يحكم، ويقاتل، ويجمع الأموال، والثروات، والسبايا، ويقسمها بينهم، ويكون لهم مملكة عالمية هم أسيادها دون أن يكون لهم مع الرب المعطي أي التزامات تعبدية.

وفي ظل الاضطهادات التي شهدها اليهود من الفرس، والروم، تحول المصطلح من مدلوله المادي اللغوي إلى مدلوله الاصطلاحي السياسي عندما ارتبط بفكرة الخلاص الأصولية.

لذا في ضوء المتغيرات فقد تباينت آراء الباحثين حول نشأة المعتقد لديهم، حيث يعتقد البعض أنها لم تظهر إلا بعد سقوط مملكتي الشمال (إسرائيل)، والجنوب (يهوذا)، وأسر اليهود إلى بابل كأمل في الخلاص(2)، ويرجعها البعض إلى وقت الأسر البابلي.

بيد أن كلمة (المنتظر) المستعملة مع المسيح هي كلمة "Expectation"، والتي تعني: توقع، وهي عندهم توحي بأن المسيح وجد قبل ذلك، وليس توقعه إلا أملاً في أن يعود مرة أخرى، لذلك يقرر د. الفاروقي: أن اليهود توقعوا المسيح منذ عهد موسىυ، ويؤكد على أن بعض شعرائهم وصفوا داودυ على أنه المسيح المنتظر، واتخذ من هذا دليلاً على وجود الفكرة قبل الأسر البابلي(3).

أما معنى (المسيا) عند اليهود أي: الممسوح بالزيت، وقد جاء في التوراة سفر صموئيل الأول10: **(أن صموئيل النبي قام بمسح شاول ـ طالوت ـ بالزيت، وأعلنه ملكاً على بني إسرائيل)** (1صم: 10)، وهو المذكور في القرآن الكريم في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت

---

(1) انظر: اليهودية. أحمد شلبي. ص58.
(2) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل الفاروقي. ص11. معهد البحوث والدراسات العربية. جامعة الدول العربية. القاهرة (ط: 1968م).
(3) انظر: نفسه ص11.

الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف ﴾ (سورة البقرة، آية: 247). ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك موقف بني إسرائيل من طالوت، ونكوصهم، وشربهم من النهر، وعجزهم عن قتل جالوت، وقومه، وكيف قتل داودυ جالوت، والقصة كاملة في سورة البقرة من الآية (246-251)، أما التوراة فتظهر شاؤل بصورة قبيحة، ودنيئة حتى أن الله قال ـ بزعمهم ـ إنه ندم لجعله شاؤل ملكاً، ثم تذكر الحرب التي قامت بينهما، والتي أصبح بعدها داودυ ملكاً(1).

ـ وفي مرحلة الشتات ظهرت الكتابات بكثرة عن موعد مجيء المسيح اليهودي، والذي سيكون من نسل داودυ ــ بزعمهم ــ، وبأنه سيعيد دولة اليهود في فلسطين، ويقيم بناء هيكل سليمان، وبواسطته سيحكم اليهود العالم، ويتعلق اليهود بظهور المسيا الذي سيأتي، وينتقم لهم من العالم أجمع، وهو الذي سيقيم دولتهم العالمية(2).

وتزعم الأصولية اليهودية أن هذه الفكرة موجودة في مصادرها القدسية التوراتية منها سفر التكوين10: **(لا يزول صولجان من يهوذا، ومشترع من صلبه.حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب49)**، وفي سفر العدد17 ورد أيضاً: **(أراه وليس حاضراً، أبصره وليس بقريب، يسعى كوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب24)**، ثم اتضحت الفكرة في أسفار أنبيائهم فمما جاء في سفر أشعياء9: **(لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلهاً قديراً أباً أبدياً ويغش السلام لينمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد7)**، وفي سفر زكريا6 جاء فيه: **(ابتهجي جديا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملكي يأتي إليك، هو عادل منصور وديع وراكب على حماره. يتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض10)**، وجاء في سفر إرميا10: **(ها إنها ستأتي أيام يقول الرب: أقيم فيها لداود نبتاً باراً، ويملك ملك يتصرف بفطنة، ويجري الحكم والبر في الأرض، في أيامه خلص يهوذا، ويسكن إسرائيل في أمان2)**.

تطور فكرة (المسيا):

1- كما ذكرت سابقاً فقد تجلى اهتمام الأصولية اليهودية بفكرة المسيح المنتظر، وتحولت على يد حاخاماتهم إلى عقيدة شاملة أعقاب صراعهم الدموي مع السلطات الرومانية، والفارسية في القرون الأولى، وشغلوا أنفسهم بمواصفاته، وعلامات ظهوره، ومدة حكمه، وظهر منهم أدعياء كثر.
2- ثم استخدمتها الأصولية اليهودية القديمة من الناحية التاريخية لأول مرة صفة لشاؤل (طالوت) الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة البقرة.
3- ثم لداودυ (1مل10:1-1، 12:16)؛ لأنه كما ذكرت آنفاً أن مدلولها ابتداءً مدلولاً لغوياً مادياً.
4- ثم تحول هذا المصطلح من مدلوله المادي اللغوي إلى مدلوله الاصطلاحي السياسي عندما ارتبط بفكرة الخلاص الأصولية.

ويظهر أن الفكرة عندهم مستمدة من توراة موسى الأصلية التي بشرت بنبوة المسيح عيسى بن مريمυ، ونبينا محمد ^، وذلك كما ورد في إنجيل (متى1) حين برأ الله سبحانه مريم من الخطيئة قائلاً: **(وستلد ابناً فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبهم من خطاياهم21)**، لكن الأصولية اليهودية حرفت هذه الفكرة؛ لأن الله حسب اعتقادهم قد اختار إسرائيل شعباً له إلا أن هذا الشعب المختار لم يكن دائماً من حيث الاستقامة، والهدايا على مستوى المسؤولية التي يلقيها عليه هذا الاختيار، ومن ثم فإنه لم يفلح في السيطرة على شعوب الأرض جميعاً كما كان متوقعاً لديهم، بل كثيراً ما حدث العكس فاضطهدته شعوب الأرض، فكيف يمكن أن يدوم هذا الوضع بالرغم من الوعود التي وعدها الرب لإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى؟، وهل من المعقول تصور أن الله لا ينجز وعده؟، ومن هنا أولت الأصولية هذه الفكرة، ولكن ليس كما وردت في توراة موسى على أنها فكرة قديمة وقعت في أزمنة مختلفة من التاريخ اليهودي وانتهت، بل بالشكل الذي يخدم فكرة الاختيار، والأرض، والسيطرة المادية على العالم.

رفض الصهيونية فكرة (ظهور المسيا):

لقد أنكرت الصهيونية العلمانية فكرة المسيا حيث لم يتورع هرتزل عندما سأله الملك الإيطالي فيكتورأمانيل الثالث عما إذا كان يتوقع عودة المسيح؟ أجاب قائلاً: «إنهم يؤمنون بهذه الفكرة في الأوساط الدينية وحدها، أما في دوائرنا ليس لمثل هذه الفكرة من وجود بطبيعة

---

(1) انظر: المسيح المنتظر وتعليم التلمود: محمد علي البار. ص106: 107. الدار السعودية. جده (ط1: 1987م).
(2) دائرة المعارف البريطانية: مادة: المسيا. تحت مادة التلمود. ج17. ص1011 (ط15: 1982م).

الحال»(1)، أما (نورداو) في كتابه الصهيونية فيعزو تقصير اليهود على الصعيد القومي إلى اتهامهم بفكرة المسيا، أي: إلى اتكالهم على تدخل سلطة عليا لكي تحقق لهم طموحهم السياسي، لذلك فالصهيونية الحديثة سياسية، وليست دينية، وهي غير مرتبطة بفكرة الشعب المختار، أو المسيح المنتظر، ولا العودة إلى فلسطين بمعجزة ربانية بل ترغب في إعداد طريق العودة بجهودها الذاتية، وبذلك يمكن أن تتم العودة عن طريق المناورات السياسية، أو العنف، أو أي طرق دينية أخرى(2)، وبناءً على ما صور للفكرة فهي على الحقيقة فكرة، وليست عقيدة، إذ أن القطع بتصويرها كعقيدة يستوجب إيراد مواردها الشرعية التي استقت منها، وما إفلاسها إلا دليل على أنها فكرة أوجدها الحاخامات؛ لتسكين أوجاع أمتهم الممزقة.

تطور موقف الصهيونية بقبول فكرة المسيا:

بعد تطور المشروع الصهيوني عادت الصهيونية إلى تبني، وطرح فكرة المسيح المنتظر؛ لأسباب، وأهداف عملية منها:

1 - محاولة احتواء الأصولية اليهودية المتطرفة، والتخلص من ضغوطاتها.

2 - إخفاء الطابع الاستعماري للحركة الصهيونية أمام العالمين الغربي، والعربي الإسلامي؛ وذلك بتغليف فكرة الاحتلال الصهيوني بمسحة دينية تتناسب مع معتقدات الغرب النصراني الذي يتوقع أن تهتدي إسرائيل، وتؤمن بالمسيحυ آخر الزمان(3).

3 - إن هذه الفكرة تزودهم بعقيدة دينية تجعل استكمال يهوديتهم رهناً بقدومهم إلى فلسطين للإقامة فيها، والمشاركة في تحقيق خلاصهم، وعن عودة الصهيونية لقبول فكرة المسيح المنتظر؛ نظراً لأنها طرحتها بشكل قريب لما طرحته الأصولية اليهودية، حيث إنها حولت الفكرة من طابعها الديني إلى الطابع السياسي(4). وهذا المفهوم الصهيوني الجديد للفكرة اتضح بشكل خاص لدى بن غوريون، ـ الرافض للفكرة سابقاً جملة، وتفصيلا ـ، والذي نادى بضرورة تأييد رؤيا الخلاص المسيحاني، وعول عليها النجاحات التي تحققت كونها حافظت على وحدة الشعب اليهودي؛ لأنها الفكرة الأمثل التي شغلت المنزلة الرئيسة في التاريخ اليهودي الماضي، وحولت أنظار شعبهم نحو المستقبل، وملأته بالقوة والبطولة؛ لمواجهة جميع المحن التي حلت بهم أثناء وجودهم بالمنفى، وهي التي جلبت لهم بشائر الخلاص القومي، وتجميع المنفيين وتحقيق الاستقلال(5). وواضح أن بن غوريون يرمي إلى أن المشروع الصهيوني ما هو إلا تعبير عن الفكرة المسيحانية؛ لذا فإن القوى الأصولية لم تكن مقتنعة بالتفسير الصهيوني الجديد، وأبدت عدم رضاها وانتقادها لهذا التوجه الصهيوني، وكانت أقوى الانتقادات التي جاءت من زعماء الأصولية الحاريدية وخصوصاً (ناطوري كارتا) و(أغودات يسرائيل) اللذين اعتبرا العودة المسيحانية دون مسيح ما هي إلا هرطقة دينية(6)، أما الأصولية الصهيونية، وخصوصاً (المفدال) حاولت إيجاد مبرر ديني للمفهوم الصهيوني الجديد لفكرة المسيا، وذلك بالربط بين هذا المفهوم، وفكرة المسيح بن يوسف فذهب إلى أنه توجد في التقاليد اليهودية مفاهيم أمثال: المسيح بن يوسف، والمسيح بن داود كمرحلتين من مراحل الخلاص المنتظر فيظهر في البداية المسيح بن يوسف الذي سيجلب الخلاص بأعماله الطبيعية، وبعدها يظهر المسيح بن داود الذي سيجلب الخلاص النهائي بأعماله الربانية، ويكون هذا الخلاص روحانياً يمثل استمراراً للخلاص المادي الذي يحققه المسيح بن يوسف(7)، أي أنها تراجعت قليلاً للوراء، وعدت جهود الصهيونية بمثابة ظهور المسيح بن يوسف، وليس المسيا ذاته.

تعقيب:

مما يؤكد أن فكرة المسيح المنتظر فكرة سياسية ألبست ثوباً عقائدياً دينياً ما يأتي:

1. ليس لها وجود قبل زمن المنفى، فإذا كانت عقيدة لظهرت في مصادرهم الدينية.

2. وصف التوراة قورش الملك الفارسي بالمسيح المنتظر بالرغم من أنه وثني كافر لا يعرف الرب، لا لشيء إلا أنه أطلق اليهود، وحررهم من سبيهم (إش: 45 : 1-7).

3. اختفاء الفكرة في فترات الهدوء السياسي، والاستقرار التي عاشها اليهود فلا وجود لها في

---

(1) مذكرات تيودور هرتزل. ترجمة هيلدا، ص320.

(2) انظر: كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية (الصهيونية: 1902): ماكس نورداو. ص137. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط:1970م).

(3) انظر: الصهيونية المسيحية: كيلي انغرام. ص1. نشرة The Link ترجمة : م. ب. م. نيويورك (ط: 1984م).

(4) انظر: المسيح هو المشكلة: جورجي كنعان. ص93: 118. مكتبة الفرات. بيروت (ط: 2001م).

(5) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي. د. نديم عيسى. ص93.

(6) انظر: اليد الخفية: عبد الوهاب المسيري. ص53.

(7) انظر: غوش إمونيوم الوجه الحقيقي للصهيونية: داني روبنشتاين. ص58 ترجمة: غازي السعدي. دار الجليل. عمان (ط1: 1983م).

أسفار كل من: ابن سيراخ، طوبيا، يهوديت، المكابيين..(1)وغيرها.

4. تغير الرداء التي ترتديه المسيحانية في كل حقبة زمنية حيث أصبحت في عصرنا الحاضر هي الصهيونية كما يقول الرباني ليفنتال: «تمثل الصهيونية الرداء الحديث للأمل المسيحاني القديم الذي حفظ اليهود أحياءه خلال العصور الماضية، إنه الأمل الذي يهدف إلى تحقيق شقين كما يقول الأنبياء فهو يهدف إلى إعادة اليهودي لحياته القومية في أرضه الوطنية في فلسطين، كما أنه يهدف كذلك إلى إعادة إنشاء إسرائيل الذي يساعد على إعادة خلق البشر جميعاً»(2).

5. تغير الصفات المخلوعة على الملك المخلص فهو تارة: الملك المقاتل الجبار (مز:6:21-13/ 110: 5-6)، وتارة: ملك السلام (أش:20:26–21/ 27–1/40–10/ 43- 3/ 43: 5–6/ 43: 11–12)، (هو: 13– 49).

وأخيراً إذا كان اليهود ينتظرون نبياً، فلماذا لم يؤمنوا بعامة الرسل، وكل من: يحيى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين؟. والجواب على ذلك أن وظيفة النبي المنتظر قد شابها، واختلط بها ما شاب مجمل الأفكار اليهودية، وهو الصبغة العنصرية، إذ حمل هذا النبي المنتظر أيضاً مهمة خلاص الشعب اليهودي، وحمله إلى قمة السلم البشرى، وهو ما لم يدع إليه على الإطلاق واحد من هؤلاء الأنبياء الثلاثة: فيوحناυ دعاهم إلى: التوبة، والخلاص من أسر الخطيئة، والمسيحυ: أخبرهم أن مملكته ليست من هذا العالم، ومحمد ^ بكّتهم على تبديلهم كلام الله، وسبهم له جل وعلا، ودعاهم إلى دين الإسلام الذي يستوي فيه الأبيض، والأسود، ولا يتفاضل العربي فيه على الأعجمي إلا بالتقوى(3)، فأنّا لهم أن يؤمنوا بواحد منهم. **لذا فهم ينتظرون مسيحاً، أي: ملكاً مخلصاً يحكم العالم، لا نبياً يلزمهم بالتشريعات الإلهية.**

رابعاً: عقيدة (بناء الهيكل الثالث):

كلمة الهيكل سومرية الأصل، ومعناها: البيت الكبير، وهو مكان عبادة الله عند اليهود، ويقوم مقام الكنس اليوم، ولم يطلق اليهود اسم هيكل على كل مكان للعبادة، بل على مكان واحد كبير في القدس، وهو الذي شيده نبي الله سليمانυ، أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى: مجامع، ومفردها مجمع(4).

هيكل النبي سليمانυ: هو المعبد الذي بناه إبراهيمυ في هيئة عظيمة على مرتفع جبل موريا المعروف الآن بساحة المسجد الأقصى، وهو المكان المختار للعبادة قبل الإسلام وقبلة اليهود إلى اليوم، ورمز البيت المقدس عندهم، وتمارس فيه الطقوس اليهودية(5)، وقد دمر الهيكل، وأعيد بنائه حسب الوقائع التاريخية على النحو الآتي:

في فترة حكم النبي داودυ (999–960 ق. م) أراد أن يبنى هيكلا للرب في أورشليم، ولكنه لم يتمكن من بنائه حيث وافته المنية، وبناه من بعده ابنه سليمانυ، ولذلك ينسب إليهυ في التسمية (2صم: 17: 1-7)، وعمل كل أوانيه من الذهب الخالص، وأدخل فيه تابوت العهد، ووضعه في قدس الأقداس (1مل: 3/ 2 اخ: 4-6)، وفي سنة (586 ق. م) دمر الملك البابلي بختنصر أورشليم، والهيكل، وأحرقهما بالنار بالكامل، ولم يبقي على شيء منهما (2مل: 25: 9)، وأخرج من الهيكل جميع خزائنه، ونقلها إلى بابل، ولكن لم يذكر التاريخ شيء عن تابوت العهد، وبعدها سمح لهم ملك الفرس قورش(6)بالعودة إلى أورشليم، وإعادة بناء الهيكل عام (537 ق. م) بقيادة زرو بابل(7)، وتشجيع كل من النبيين حجى، وزكريا، وذلك كما جاء في سفر عزرا1: **(وفي السنة الأولى لـ"قورش" ملك فارس: نبه الرب روح "قورش" ملك فارس، فأطلق نداءاً في كل مملكته، وبالكتابة أيضاً هكذا قال "قورش" ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا من منكم من كل شعبه ؟؛ ليكن إلهه**

---

(1) انظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب: عبدالراضي محمد عبدالمحسن. ص187. مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية (ط1: 2001م).

(2) المسيح اليهودي: منى ناظم. ص252: 253. مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر. الأمارات العربية (ط: 1986م)ز

(3) انظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب: عبد الراضي محمد. ص198.

(4) انظر: قاموس الكتاب المقدس: نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين. ص1012.مكتبة العائلة. القاهرة(ب).

(5) مثل: تابوت العهد، وقدس الأقداس، والشمعدان المقدس.

(6) كورش: ملك فارسي أصدر نداءاً في السنة الأولى لملكة يسمح فيه لليهود بالرجوع إلى أرضهم، وإعادة بناء هيكل أورشلم، لأن زوجته يهودية. وقد أعطاهم من خزائنه مالاً وفيراً لذلك. مات (529 ق.م) (انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص795).

(7) زرو بابل: هو من نسل داود وكان على رأس أول فوج من العائدين من سبي بابل. وكان والياً على يهوذا (انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص425).

معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل هو الإله الذي في أورشليم وكل من بقى في أحد الأماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم، فقام رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون ومع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ويبنوا بيت الرب الذي في أورشليم10)، وبعد خراب هذا الهيكل قام بترميمه هيرودوس.

هيكل هيرودس: بدأ الملك هيرودس في تجديد الهيكل الثاني، وإعادة بنائه حوالي سنة (20 ق. م) واستمر العمل بعد وفاته حتى عام (62م)، وكان حجمه ضعف هيكل زرو بابل (يو: 2: 19)، وفي عام (70م) دمره القائد الروماني تيطس، وبعد تدميره قام بنقل كنوزه إلى روما، بيد أن علماء اليهود يشكون في أن تكون هذه الكنوز هي كنوز الهيكل الأصلية، ولم يبق منه بعد تدميره إلا جزء من السور في الجهة الجنوبية الغربية لساحة المعبد، وهو الجزء الذي ظل باقياً حتى بعثة الرسول ^، وهو الذي ربط فيه البراق في ليلة الإسراء والمعراج(1). ويعتقد اليهود بأن هذا الجزء هو حائط المبكى(2). وفي عام (135م) طرد الإمبراطور أدريانوس ما تبقى من اليهود إلى خارج فلسطين نهائياً، وأقام مكان هيكل سليمان هيكلاً وثنياً لكبير الآلهة عند الرومان جوبيتر، وبقى هذا الهيكل قائماً إلى أن دمره النصارى في عهد الإمبراطور قسطنطين، وبقيت فلسطين تحت السيطرة الرومانية حتى تم تحريرها عام (636م) من قبل المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ(3)، ويزعم اليهود أن موقع هيكل سليمان هو الحجر الأساسي للمسجد الأقصى، وقبة الصخرة(4)، ولابد من بناء الهيكل في مكانه الأصلي، أي: بهدم المسجد الأقصى، وبنائه مكانه.

لذا يعتقد الأصوليون الصهيونيون المتطرفون بأنهم الجهة المعنية، والمسؤولة عن عقيدة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى؛ ذلك لأن بناء الهيكل عندهم بزعمهم عبادة، وتاريخ، ووجدان(5)، وكذلك يعتقدون بوجود طقوس، وقداس كان يقام داخل الهيكل الذي هدم، والذي سيبنون هيكلاً آخر على أنقاضه، وأهم تلك الطقوس ما يأتي:

الشمعدان السباعي المقدس(6)**:**

يعتقد اليهود بأن قداسة قدس الأقدس داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاد الشمعدان السباعي المقدس داخله، والآن يريدون تحويل ذلك الرمز الأسطوري الديني، والتاريخي، والسياسي إلى حقيقة واقعة، فقد صرح باروخ بن يوسف زعيم منظمة بناة الهيكل لوكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس (1997م) بتصريح قال فيه: «إن جماعته انتهت من صنع شمعدان سباعي ذهبي ضخم تم صنعه في أمريكا، ونقل بالفعل إلى إسرائيل، وقال إن جماعته بدأت مع جماعات أخرى في إعداد حاخامات متمرسين في هذا الشأن؛ لإقامة الشعائر الدينية التي ستقام في الهيكل بعد بنائه»(7).

الشمعدان الأكبر:

أما الشمعدان الأكبر القديم فيذكر المؤرخون اليهود أنه نجا من الاحتراق عندما دمر بختنصر الهيكل عام (586 ق.م)، ولكنه فُقد، وظل اليهود يحلمون عبر قرون طويلة بالعثور عليه، ويحدوهم الأمل باسترجاعه تحقيقاً لبعض النبوءات، وهذا لم يتحقق إلى هذا العصر، رغم أنهم أعادوا حديثاً محاولات البحث عن الشمعدان، حتى إن المخابرات الإسرائيلية نفسها تورطت في الستينات من هذا القرن في حادث اختراق، وتسلل إلى مخازن الفاتيكان بناءاً على معلومة كاذبة

---

(1) انظر: السيف الأحمر: جمال البدري. ص 45: 47. ومن حائط البراق إلى جدار العار: زينب عبد العزيز: ص150 دار الكتاب العربي. دمشق. (ط1: 2004م).

(2) إن اليهود يتخذون من هذا الحائط مكاناً للصلاة منذ القرن السادس عشر الميلادي فقط. حيث أصبح جزءاً من التقاليد الدينية اليهودية حوالي عام:1520م؛ نتيجة للهجرة اليهودية من أسبانيا وبعد الفتح العثماني عام:1571م. ولذا نجد " المدراش " – شروح التوراة – وهو تتحدث عن اليهود في القدس حتى القرن السادس عشر تشير إلى تعلق اليهودبالهيكل، ولكنها لا تذكر عن الحائط الغربي لجبل البيت شيئاً. وقد أصبح لهذا الحائط ارتباط وثيق بالأطماع السياسية الصهيونية العالمية التي كشفت عن أطماعها في القرن التاسع عشر. وقد تكرر محاولات اليهود للاستيلاء على هذا الحائط في القرن العشرين إلى أن استولت السلطات الإسرائيلية عليه في عام:1967م. بعد أن هدمت " حارة المغاربة " ووضعت يدها على باب المغاربة " أحد أبواب المسجد الأقصى"(انظر: من حائط البراق إلى جدار العار: زينب عبدالعزيز. ص 121: 122).

(3) انظر: تاريخ الرسل والملوك: الطبري. ج4. ص159. دار الشروق. القاهرة (ب).

(4) انظر: القدس: جعفر الخليلي. ص23. دار التعارف. بغداد. (ط1: 1971م).

(5) انظر: حمى سنة2000نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين: عبدالعزيز مصطفى كامل. ص84. دار السليم. الرياض (ط1: 1999م).

(6) يعتبر أعظم رمز ديني عند اليهود لأنه يرمز إلى أيام الخليقة السبعة في التوراة، واتخذته دولة إسرائيل رمزاً لها حيث نقش على العملات، ومطبوع على الأوراق (انظر: حمى سنة2000. عبدالعزيز كامل. ص84).

(7) نقلاً عن: جريدة أخبار الخليج في 1997/8/9م.

تقول: «أن الشمعدان يوجد في أحد دهاليز مخازن الفاتيكان»(1)، وما زال البحث جارياً.

تابوت العهد:

هو التابوت الذي كان مورثاً من زمن النبي موسىυ، والذي حملته الملائكة؛ لتثبت لبني إسرائيل أحقية طالوت بالملك وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الانسان المرسلات النبأ﴾ (سورة البقرة، آية: 248)، وأخبرهم بأنه سيكون معهم في معاركهم الفاصلة مع أعدائهم، فيكون النصر حليفهم، وهذا التابوت الموجود في الهيكل الأصلي يضم لوحي التوراة، وبقايا مما ترك آل موسى، وآل هارون عليهما السلام، ولكنها أمور انتهت بانتهاء أفضلية بني إسرائيل، ويزعم اليهود بأنهم حصلوا عليه مرة أخرى، وهو موجود في الهيكل الأصلي داخل ما يعرف بقدس الأقداس، وهذا التابوت كما تذكر التقاليد اليهودية أن اللاويين أخفوه في مكان خفي قبل الغزو البابلي لأورشليم سنة (605 ق.م)، ويذكر أيضا أن كنوز الهيكل ظلت مخفية تحت جبل الهيكل كل أيام الغزو البابلي، والسبي اليهودي في بابل، وكل فترة الهيكل الثاني. كما تقول الكتابات اليهودية القديمة التي كتبت فيما بين سنة (163ق. م)، وسنة (73م)، وكذلك لفائف البحر الميت المكتشفة حديثا ذكرت: بأنه كانت هناك نبوءات عن استعادة كنوز الهيكل في نهاية الأزمنة، وقد وجد ضمن لفائف البحر الميت في كهف سنة (1952م)، وهو عبارة عن درج نحاسي يذكر في نصه الأرامي (64) مكاناً خفياً منفصلاً لكنوز الهيكل المخفية، وقد أصبح هذا الدرج الآن الخريطة النفيسة لكنوز الهيكل، وتابوت العهد في منطقة البحر الميت، ويبحث العلماء اليهود الآن بكل جدية عنه، فقد حفر فريق حفريات بريطاني في (1911/1912م) تحت مسجد قبة الصخرة بحثا عن التابوت، ولكن السلطات الإسلامية منعتهم، وفي سنة (1927/ 1929م) زعم "انتونيا تي فورتير" أنه اكتشف ممراً سرياً أسفل جبل نبو: الجبل الذي شاهد منه موسى النبي أرض الموعد بالأردن، وافترض أنه يؤدي إلى كهف التابوت المخفي، وزادت الآمال بعد اكتشاف الدرج النحاسي سنة (1952) م.

وفي سنة (1967م)، وجدت معلومات عن مكان قدس الأقداس، وبالتالي عن تابوت العهد الذي يعتقد أنه مخفي تحته، وفي عام (1968م) بدأ "فندل جونز" بحثه عن رماد العجلة الحمراء، والتابوت المفقود في وادي (يافت زيبن)، وفي عام (1977م) سمحت السلطات الإسرائيلية "للارى بلاسر" للبحث عن التابوت في كهف مختوم في منطقة عين جدي التي تطل على البحر الميت، وفي عام (1979م) أعلن "رون يائيت" أنه رأى في رؤيا أن مغارة "أرميا" النبي في الموقع البروتستانتي بجوار محطة الأتوبيس العربية الحالية، حيث يعتقد أن التابوت مخفي هناك، وفي عام (1988م) أسس الربى "يسرائيل أرييل" معهد الهيكل في القسم اليهودي من أورشليم القديمة، ومن ضمن أهداف هذا المعهد استعادة أواني الهيكل، ومنارة الأقداس، ومذبح البخور، والأواني الحجرية للعجلة الحمراء.. الخ، استعدادا لبناء الهيكل الثالث، ويقول المسؤولون فيه: أن لا حاجة بهم لعمل تابوت آخر؛ لأن التابوت الأصلي على بعد أمتار أسفل جبل الهيكل، وفي سنة (1992م) نشر الصحفي "جراهام هانكوك" بحثا عن التابوت يقول فيه: أن التابوت موجود أسفل كنيسة القديسة "مريم" صهيون في منطقة اكسيوم بإثيوبيا، كما استخدم البروفيسور "زيفي بن افراهام" الأستاذ بجامعة تل أبيب البحث الجيوفيزيقي الخاص بطبيعة الأرض، والرادار الذي ينفذ في الأرض، وجاذبية الزلزال الصناعي المنعكس في منطقة قمران، وفي ربيع (1993م) قدم معهد الهيكل نموذجا جديدا للتابوت، وفي أكتوبر من العام نفسه نشر معهد الهيكل ملحمة الهيكل الثالث يصف عملهم في استعادة أواني الهيكل، ويعرض نموذج التابوت، وفي ديسمبر (1993م) بدأ (200) عالم آثار في البحث بقوة في منطقة البحر الميت، ولم تعلن نتائج أبحاثهم حتى (1994م)، وفي يناير عام (1994م) أعلن "د. جيرشون سالومون" في التلفزيون القومي بالولايات المتحدة أنه: يعتقد أن الهيكل الثالث، وتابوت العهد سيراهما العالم في حياته، ولا يزال البحث يجري بجدية سواء في إثيوبيا، أو في جبل الهيكل، أو منطقة قمران، أو في جبل نبو، أو أسفل مسجد قبة الصخرة، وكل شهر يُعلَن عن اكتشافات جديدة(2).

خيمة الاجتماع:(خيمة العهد):

ورد في سفر الخروج25: أنه عندما صعد موسىυ سنة (1446ق. م) إلى الجبل بدعوة من

---

(1) يعتقد اليهود بأن مخازن الفاتيكان محصنة ضد الضربات النووية، ويؤمن كثير منهم أن بداخل تلك الخزائن بقايا من آثار موسى υ وحلى بيت المقدس المنهوبة في العصور المختلفة. (نقلاً عن: جريدة أخبار الخليج في 1997/8/9م).

(2) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: القس: عبد المسيح بسيط أبو الخير. ص120. مطبعة المصريين. القاهرة (ط1: 1999م).

الله أمره الله أن يصنع له مقدساً ـ بيتاًـ؛ ليسكن فيه، ويعلن من خلاله مجده (مز: 27: 19)؛ وليكون أيضا مكاناً للعبادة؛ ليعبده شعبه، ويتقربوا إليه من خلاله، كما يكون أيضاً ظلاً للأشياء السماوية، وأراه بالوحي الإلهي في رؤيا نموذجاً، ومثالاً له على الجبل: **(فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون9)**؛ ونظراً لأن بني إسرائيل كانوا في حالة ترحال دائم؛ لذا كان ببيت الرب الذي أقيم عبارة عن خيمة دعيت بـ(خيمة الاجتماع) (خر: 27: 21)، كما دعيت أيضا بـ(هيكل الرب) (1صم: 1: 9، 3: 3، 22: 7)، و(خيمة الشهادة) (عب: 7: 44)، وهي الخيمة التي اجتمع فيها موسىυ مع الملائكة، ويعتقد اليهود بضرورة وضعها في الهيكل؛ لأنها ترمز إلى خيمة العهد، ويزعم المليونير اليهودي موسى فرج أنه أنجز العمل بالخيمة، وأنها ستوضع في الهيكل بعد بنائه(1).

المذبح المقدس:

من أهم الطقوس اليهودية داخل الهيكل المذبح المقدس، وقد انتهت منظمة حركة إعادة الهيكل من بنائه من منطقة قريبة من البحر الميت، وقد أعد بطريقة تسمح بنقله في الوقت المناسب؛ ليمثل مكانه في قلب مباني الهيكل، وقد نشرت جريدة الخليج في (1997/11/16م) أن الشركة الإسرائيلية للصناعات المعدنية في الأرض المحتلة شاركت في المشروع، وتولت إعداد التجهيزات المعدنية بداخله ثلاثين متراً على نفس الهيئة التي كان عليها المذبح القديم، وذكرت الصحيفة نقلاً عن وكالات الأنباء أن المذبح موجود الآن في منطقة قريبة من البحر الميت كان قد تقرر عرضه في صالة تابعة لمعهد دراسات الهيكل في القدس، إلا أن مخاوف أمنية جعلت الإسرائيليين يُرجئون فكرة عرضه، وتم التحفظ عليه في مكان أمين بمحاذاة الحدود مع الأردن(2).

والواقع أن اليهود يستبقون الأحداث، حيث أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في تقرير لها في شهر أغسطس من عام (1997م) أن الاستعدادات تجري؛ لتجديد، وإحياء التقاليد، والطقوس التي ستمارس في الهيكل، بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، كما ذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في معهد الهيكل بالقدس(3).

ونتيجة لما يزعم اليهود من طقوس داخل الهيكل، تتضح أهميته لهم؛ لهذا ظلوا يتجهون ناحيته في صلواتهم منذ ذلك التاريخ، ويتشوقون إلى اليوم الذي يستطيعون فيه إعادة بنائه تحت مسمى الهيكل الثالث؛ ولأن الفرصة لم تسنح لهم طوال ما يقرب من ألفى عام للاقتراب من حلمهم التاريخي بإعادة بنائه إلا في هذا القرن ـ بزعمهم ـ بعد عودتهم للاستيطان بأرضهم، وحلمهم وشيك التحقق، لا سيما بعد أن احتلوا مدينة القدس بعد حرب عام (1967م)، حيث وقع المسجد أسيراً تحت أيديهم(4)، واستولوا على حائط البراق، وسموه حائط المبكى، وابتدع حاخاماتهم دعاءً يرددونهم في صلواتهم أمام الحائط عبارة عن قسم، وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهن باكين بأن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه، وأول من ردد ذلك الدعاء والتزام بهذا العهد القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام (1967م)(5).

وتزعم الأصولية اليهودية أن إيمانها بهذه العقيدة منبثق مما ورد من نبوءات توراتية عن بناء الهيكل الجديد فمنها ما جاء في تفسير سفر حزقيال، كما يقول القس رشاد فكرى شارح هذه النبوءة: أن التفسير الصحيح هو أن هذه النبوءة لم تتم بعد، وستتم مستقبلاً، وسيكون هذا البناء أفخم، وأعظم بناء، فهيكل سليمان في كل عظمته لا يعتبر شيئاً بالنسبة للبناء الجديد، وتمثل هذه العقيدة أخطر أزمة داخلية في تاريخ الأصولية اليهودية المعاصرة، وقد عارضها "تسفى يهودا" وعارض أي نشاط يتعلق بجبل الهيكل، ويرى ضرورة انتظار عملية إحياء روحية جماهيرية، أو التدخل الإلهي بمعجزة قبل العمل على إعادة بنائه(6). بيد أننا نجد في ظل النظرة الأصولية إلى العالم من المستحيل تجاهل المنطق الداعي إلى عمل شيء ما للتعبير عن تعلق، ومطامح اليهود في جبل الهيكل، ويزداد هذا الأمر إذا ما نظرنا إلى موقع الجبل في أورشليم، ومركزيته بالنسبة إلى التاريخ، والشريعة اليهودية، ففي الأعوام الأخيرة أصبح يوجد إجماع إسرائيلي على رفض الوضع القائم في جبل الهيكل كوسيلة لإحباط مقترحات متنوعة تدعو إلى التقدم في المفاوضات بتضمين الصيغة القائلة «حكم المسلمين على مقدسات المسلمين» إلى المساعدة في زيادة كثافة

(1) انظر: مجلة روز اليوسف. ع15. بتاريخ: 18 /8 / 1997م.
(2) انظر: جريدة أخبار الخليج. ع27. بتاريخ: 16 / 11 / 1997م.
(3) انظر: وكالة الأنباء الفرنسية أغسطس 1997م.
(4) انظر: حمى سنة2000: عبدالعزيز مصطفى. ص64.
(5) انظر: نفسه. ص84: 85.
(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص187: 191.

المطالبة الأصولية بالتغيير، وقد حاول بعض رؤوس الحاخامين استخدام المكتشفات الأثرية الحديثة؛ لإلغاء القيود الدينية المفروضة على دخول اليهود إلى جبل الهيكل، ومنهم: حاخام الأشكناز الأكبر "شلومو غورين"، وأيد جهوده كل من "أليعيزرفالدمان"، وحاخام السفارديم الأكبر "مردخاي إلياهو"... وغيرهم.

وعلى هذا النحو انتهى الوضع الذي كان معه الأصوليون حريصون على تفادي الخوض في قضية جبل الهيكل الشائكة سياسياً، ويوعزون ذلك بالإحالة على الحظر الجماعي على دخول اليهود إلى المنطقة، ومن جراء هذه التطورات، والرغبة في الإقدام على فعلة يستنكرها العالم العربي، والإسلامي مما قد يحول نهائياً دون مفاوضات السلام عادت قضية جبل الهيكل إلى الخروج؛ لتحتل موقعاً مركزياً في النشاط السياسي للتيار السائد في (غوش إيمونيم) المتطرفة(1)، ومع وجود الأزمة الداخلية لدى الأصولية اليهودية فإن الدلائل تشير إلى أنهم قد بدءوا بالفعل في تهيئة الظروف على أرض الواقع تحسباً للحظة المناسبة، وتوجد لديهم الجدية في الإقدام على مشروع هدم (المسجد الأقصى).

ويعبر "فولويل" عن ذلك الاستعداد بقوله: «لقد أعددنا جميع الخطط لبناء الهيكل، حتى أن مواد البناء جاهزة: إنها محفوظة في مكان سري، وهناك معامل عديدة يعمل فيها الإسرائيليون؛ لإنتاج التحف الفنية التي سنستعملها في الهيكل الجديد، إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشاً من الحرير الخاص لاستعماله في صناعة أثواب الحاخامين في الهيكل»(2).

- ومن أبرز الشواهد على ذلك: مضاعفة أعداد التنظيمات السرية، والجماعات المتعاونة لهدم المسجد الأقصى؛ لبناء الهيكل مكانه، والدليل على ذلك ما نشرته مجلة الأهرام المصرية في (1996/5/16م) بأنه يوجد في الأرض المغتصبة من فلسطين(120) جماعة منها ما لا يقل عن(25) جماعة متخصصة في المساعي الرامية لهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، ومن أبرزها جماعة (رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة، وكانت هذه الرابطة هي السبب في إقناع "بنيامين نتنياهو" رئيس الوزراء السابق بافتتاح النفق المار تحت أساسات الأقصى عام (1417هـ: 1996م)، وتقوم هذه الجماعات بأعمال عدائية، واستفزازية ضد الأقصى، ومرتاديه منها (72) أعتداء خلال الأعوام من (67: 1998م)(3).

ومن الشواهد على ذلك أيضاً ماعبر عنه الحاخام ماكوفر بقوله: «لا أشك لحظة في أن الجامع ذا القبة الذهبية، والمقام على الصخرة نفسها التي قام عليها الملك سليمان مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم، هذا الجامع سيدمر؛ ليقام مكانه هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بنائه بكل فخامته»(4)؛ ولأجل تلك الغاية عقد "بنيامين نتنياهو" للمرة الأولى في القدس المؤتمر السنوي السابع لرابطة إعادة بناء الهيكل في: (1998/9/17م)، والتي تضم عشر منظمات كبرى اشتركت في تنظيم المؤتمر بمشاركة الحكومة، وكان الهدف من المؤتمر التعجيل بهدم الأقصى، وبناء الهيكل.

وقال وزير المعارف الإسرائيلي "موشي بيلد" في كلمته التي ألقاها في المؤتمر: إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي، وروحه، أدعوكم إلى مواصلة نشر قيم الهيكل، وقيم التراث، والثقافة اليهودية بين شباب إسرائيل في كافة مراحل التعليم، وقال "ابن مائير كهانا" زعيم منظمة (قائم وحي)(5): «هلموا إلى جبل الهيكل قاتلوا من أجله ليس في القاعات، ولا بالأقوال سيحرر الهيكل، نحن الآن مدعون؛ للتضحية بأنفسنا وبأرواحنا»، ثم قال: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس، والرجاسة عنه، ونرفع راية إسرائيل فهذا واجب مفروض على جيلنا»(6)، وخطواتهم في المؤتمر لهدم الأقصى، وبناء الهيكل تشتمل على ما يأتي:

1- إقامة الحفريات تحت المسجد الأقصى:

رغم إن كل عمليات التنقيب عن الآثار التي قامت بها إسرائيل منذ عام (1967م) لم تقدم دليلاً واحداً على أن المسجد الأقصى بنى على أنقاض الهيكل(7).

2 - شق الأنفاق:

---

(1) انظر: نفسه. ص191: 192.
(2) الصهيونية المسيحية: محمد السماك.ص55: 56.
(3) انظر: حمى سنة 2000: عبد العزيز مصطفى. ص69.
(4) الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص102.
(5) هذه المنظمة امتداد لمنظمة المتعصب اليهودي، مائير كهانا "الذي قتله شاب مصري في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت منظمته تدعى كاخ، وتعني صوت البندقية، وأسس ابن كاهانا منظمة "قائم الوحي" امتداداً لمنظمة أبيه.
(6) جريدة الحياة بتاريخ: 1998/9/19م.
(7) انظر: الصهيونية المسيحية: محمد السماك. ص56ز

3 ـ بناء السور العازل بين المسلمين، واليهود(1) فتحصين القدس، وتحويلها إلى قلعة محصنة، والاستتار خلف أسوارها ثم القتال من خلف جدرانها ليس إلا تعبيراً حديثاً جداً يبين بوضوح التركيبة الجبانة التي وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات ﴾ (سورة الحشر، آية: 14).

أما مشروعهم في بناء الهيكل فكما أوردت صحيفة (الشرق الوسط) في تقريرها عام (1989م) بأنه بدأ اليهود بوضع حجر أساس للهيكل الثالث ففي (1989/10/15م) وقع اختيار إحدى الجماعات الدينية على حجر كبير مقدس (يزن5.3 طن) فقامت بوضعه كحجر أساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، ثم قال "جرشون سلمون" ـ زعيم جماعة (أمناء الهيكل) ـ: «إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة نريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي»(2)، وأبان التقرير أن المشروع سيحتاج إلى ستة ملايين حجر، وقد قام بتصميمه الهندسي عدد من المستشارين الهندسيين من يهود أمريكا، ووضع التصميم تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية الآن، وتم إعداد فريق متكامل من عمال البناء سيظلون رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت(3).

ويعكف الحاخامات حالياً على دراسة نصوص التوراة استعداداً؛ لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كانت تمارس في مملكة إسرائيل منذ ثلاثة آلاف عام، ويأمل الحاخام "مناحيم ماكوفر" الأمين على هذه المجموعة أن يقوم بنفسه يوماً بإخراج هذه الأدوات من دواليب العرض الزجاجية؛ لينقلها إلى الهيكل بعد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل فهي إحدى الوصايا الإلهية، ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية»(4).

ولعل ما أشعل حماسهم المنقطع النظير لاسيما في السنوات العشرة الأخيرة ما تبثه وسائل الإعلام المتلفزة من نقل لشعائر الحج الإسلامية لبيت الله الحرام، وأعداد المسلمين المتزايدة في تأدية الركن الخامس من أركان الإسلام، وما تحمله صور الجموع المسلمة الخاشعة الملبية لنداء الباري من مشاعر الندم، والحسرة في دواخلهم على المجد الماضي الذي أضاعوه، فأجج مشاعرهم إزاء هيكلهم المزعوم، والذي لم يسبق لهم خلال (20) قرن من الزمان أن ظهرت أي بادرة من أحدهم بإعادة بنائه، أو حتى البحث عن أدواته، أو أداء طقوسه، كما أننا نعتقد أن أساس فكرة الحج لبيت المقدس، وبناء الهيكل مبني بناءً مادياً لما تدخله تلك المواسم التعبدية إلى أرصدتهم، وقلوبهم المادية النهمة، وقد وبخهم الله لتلك الصفة الخسيسة، فقال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ (سورة البقرة، آية: 79).

خامساً: عقيدة معركة (هرمجدون) المدمرة:

هَرْمَجِدُّون: موقع أرض في فلسطين يسميها اليهود بهذا الاسم بحسب ما ورد في مصادرهم الكتابية، وهي تبعد (55) ميلاً عن تل أبيب في موقع يبعد (20) ميلاً جنوب شرق حيفا على بعد (15) ميلاً من شاطئ المتوسط.

وكلمة (هرمجدون)، أو (آرمجدون) مكونة من كلمتين: (هار) بمعنى: تل، و(مجدون): اسم مدينة في فلسطين تقع بين القدس، وعكا، وبالقرب منها عدة جبال ذات أهمية استراتيجية، وهو ما جعل المدينة ساحة لكثير من المعارك العسكرية في العالم القديم.

وإذا أضفنا (هار) التي بمعنى التل إلى اسم المدينة (مجدون) صارت هار مجدون، التي دمجت في النص الإنجيلي إلى (هرمجدون)، وهي ــ بزعمهم ــ الموضع الذي ستجرى فيه المعركة الفاصلة، والنهائية بين ملوك الأرض فتكون بين قوى الخير برعاية الإله، ضد قوى الشر بقيادة الشيطان، وذلك في نهاية التاريخ، وسيكتب النصر في النهاية لقوى الخير التي تتمثل في أمة اليهود، وتخسر أمم الشر الذين هم الأغيار(5).

وانطلاقاً من هذه النبوءات التوراتية ـ المزعومة ـ تؤمن الأصولية اليهودية بوقوع معركة هرمجدون، وأنها تشكل نهاية العالم، والحكم اليهودي الألفي للعالم، وسنعرض بعضاً من

---

(1) انظر: موسوعة اليهود: عبدالوهاب المسيري.ج1. ص39.
(2) الشرق الأوسط بتاريخ: 1989/10/16م.
(3) انظر: الشرق القطرية بتاريخ: 1997/8/19م.
(4) حمى سنة 2000: عبد العزيز مصطفى. ص91.
(5) انظر: موسوعة اليهود: عبدالوهاب المسيري. ج2. ص252.

النصوص الواردة في مصادرهم للمعركة المذكورة.

من أدلة التوراة على حدوث (هرمجدون):

1 ـ جاء في سفر حزقيال3: **(في الأيام الأخيرة، عندما تجمع إسرائيل من الأمم، سوف تتسبب في أمر ما، هذا ما سوف يحدث. إني سوف أضع صنارة في أفواه القوى المؤتلفة ... وبعد أيام كثيرة تفتقد في السنيين الأخيرة، تأتي من الأرض المستردة السيف، المجموعة من جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشي الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك ... ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل، يقول السيد الرب، إن غضبي يصعد، وغيرتي في نار سخطي، تكلمت أن في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فيرعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض، وأستدعي السيف عليه في كل جبالي، يقول السيد الرب: فيكون سفي كل واحد على أخيه، وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيم وناراً وكبريتاً38).**

2 ـ جاء في سفر حبقوق3: **(الله يجيء من جبال فاران يجيء يسير الوباء ووراء قدميه الموت. يقف فتهتز الأرض، وينظر فترتعد الأمم. رأيت البلاء في خيام "كوش" والاضطراب في مساكن مديان، أعلى الأنهار يحتد غضبك؟ أعلى البحار غيظك يا رب حين ركبت خيلك يا رب ومركباتك المنتصرة، وشددت قوسك شداً، وسددت سهامك، شققت بقوتك الأرض يا رب، وانحلت الجبال لرؤياك، المياه انهمرت وطمت، والقمر أطلق صوته، وارتفعت أمواجه إلى العلاء. الشمس والقمر في برجيهما وقفاً لتطاير سهامك وضياء بريق رمحك، وطئت الأرض بسخط، وبغضب دعست الأمم، خرجت لخلاص شعبك، فهدمت دعامة بيت الشرير، وعريت أساسه إلى الصخر9).**

3 ـ وجاء في سفر صفنيا1 قول الرب: **(أزيل البشر والبهائم، أزيل طير السماء وسمك البحر، وأسقط الأشرار، وأقطع الإنسان عن وجه الأرض، يقول الرب: وأمد يدي على يهوذا وعلى جميع سكان أورشليم وأقطع من ذلك الموضع بقية عبدة البعل وأسماء الخدام والكهنة والذين يسجدون له، كما بالإله مكلوم والذين ارتدوا عن الرب والذين لم يلتمسوا الرب ولم يطلبوه أصمتوا أمام السيد الرب فيوم الرب قريب. أعد الرب ذبيحة وقدس مدعويه في يوم ذبيحة الرب: أعاقب الأعيان وبني الملك وكل لابس لباساً غريباً في ذلك اليوم يقول الرب: أعاقب كل الذين يقفزون من فوق العتبة، ليملأوا بيت سيدهم جوراً ومكراً، في ذاك اليوم يسمع صوت صراخ من باب السمك في أورشليم، وولولة من الحي الجديد، وصوت بوق عظيم من التلال11).**

بناء على ما سبق نجد أن يوم الرب العظيم الذي ينتظره اليهود هو اليوم الذي تحدث فيه معركة هرمجدون؛ لأنها تخدم أهدافهم السياسية، وتحقق حلمهم في السيطرة على العالم، وحكمه، وهذا بعينه ما نعني بتسييس الدين في خدمة الأهداف القومية السياسية اليهودية.

ولخدمة هذا الغرض قاموا بتنظيم رحلات سياحية دورية لإسرائيل؛ لجذب المؤمنين بالهرمجدون من كل دول العالم، وفي مقدمتها أمريكا؛ لزيارة وادي هرمجدون مسرح العمليات المرتقبة،، ومكان معركة نهاية البشر التي يدعون أن من يدركها، أو يدرك العودة الثانية للمسيح فإن شبابه سوف يتجدد؛ ليبدأ حياة سعيدة ألف سنة من السلام التام(1)، وهذه المعركة تقوم بين قوى الخير والشر، والشريرون هم الكفار من الأغيار، ومن قوى المعسكر الشرقي يأجوج، ومأجوج، وقوى الخير أي المؤمنون فهم منهم، وفي هذه المعركة سوف تدمر قوى الشر، وهذه المعركة هي حرب نووية كما ذكر "كلايد" في تعليقه على سفر حزقيال(2)، وهي حرب مقدسة؛ لأن قائدها يهوه(3)، كما جاء في سفر يونيل4: **(أعلنوا حرباً مقدسة9).**

وإذا كانت الأصولية اليهودية تؤمن بهذا المعركة؛ لأن خلاصهم سيأتي بعدها؛ فإن الخلاص لا يتم إلا بالتخلص من كل سكان الأرض عن طريق تلك الحرب المدمرة، ولهذا تدعي الأصولية اليهودية أن الحروب كلها تتم عن إرادة الله في تدبير الخلاص لإسرائيل أرضاً، وشعباً، كما يؤكد ذلك الحاخام "تسفي يهودا كوك" بقوله: «إن أرضنا المقدسة التي كانت منهوكة غارقة في السبات قد نهضت بفضل الحروب التي وقعت في الخمسين سنة الأخيرة....، واليوم صارت الأرض في أيدينا، وجبل الهيكل في أيدينا»، وتواصلاً مع هذا المفهوم ترفض حركة الأصولية امتهان اسم

---

(1) انظر: البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي: إسماعيل محمد الحسيني. ص97: 99. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 2000م).
(2) انظر: حمى سنة 2000: عبد العزيز مصطفى. ص60.
(3) انظر: السيف الأحمر: د. جمال البدري. ص226.

الرب(1)، وتعني بالامتهان ما يتم من تنازلات إقليمية عن الأرض المقدسة لصالح الأجنبي، وأما الأرض التي مازالت في غير أيديهم، فيجب أن تستعاد بالقوة: «علينا أن نستوطن أرض إسرائيل كلها، ونبسط حكمنا عليها فإذا تيسر ذلك بالسبل السلمية كان به، وإلا فنحن مأمورون بالحرب؛ لتحقيق ذلك»(2)، وعلى هذا فالحرب هي الطريق الوحيدة التي يتم من خلالها فقط الخلاص اليهودي(3)، وهذا يفسر إلى حد كبير لجوء الأصوليين لنصوص القوة العسكرية كأدلة لحل المشاكل السياسية(4)، وكانت البداية للتسلح اليهودي في فلسطين مع دعوة الحاخام "كليستر"، والذي أشار إلى: «ضرورة إعداد حراس يعرفون الحرب؛ كي لا يأتي العرب لإبادة الكروم»(5).

ولقد كان الإطار الديني هو الأساس في التدريب العسكري تطبيقاً لشعار: التوراة، والسيف نزلا معاً من السماء(6)، وهو أساس نظرية الأمن الإسرائيلية، وهكذا فإن العامل ـ المزعوم ـ الذي تستند إليه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هو العامل الديني، والتاريخي، وتعد الطبقة العسكرية نخبة من الطبقة المثقفة التي تشبعت بمفاهيم دينية، وتاريخية للقيم اليهودية، ووفق هذه الرؤية الدينية فقد تناولت حربي عام (1967، و1973م) تشبيه اليهود حرب الأيام الستة بمثابة عبور بني إسرائيل البحر الأحمر بقيادة موسى في الخروج من مصر فقد كانت تلك الحرب ساعة دينية محتوية على مشهد معجزة، وإشراقة فجائية(7).

إن هذا التشبيه المقصود هو أبرز ما يميز الفكر العسكري لليهود؛ لخلق الترابط المتين بين حروب إسرائيل، وحرب الجنود، ونتيجة ذلك فإن جميع حروب إسرائيل القديمة، والحديثة في نظر اليهود مقدسة(8)، وفي هذا الصدد يقول الحاخام "موشي غورين" حاخام الجيش الإسرائيلي أثناء حرب حزيران. يونيو (1967م): «إن حروب إسرائيل الثلاث مع العرب في السنوات (1948م، و1956م، و1968م) هي حروب مقدسة إذ جرى في أولها تحرير أرض إسرائيل، وفي الثانية تم تثبيت أركان دولة إسرائيل، أما الحرب الثالثة فقد كانت؛ لتحقيق كلمات أنبياء إسرائيل، ومن أجل تحرير، وتثبيت، وتحقيق أمن إسرائيل نؤمر بالقتال»(9)، ويكرر هذا الحاخام قولته الأخرى يوم الخامس من حزيران. يونيو، للسنة نفسها: «لقد جاء اليوم العظيم لأمة إسرائيل، ولسوف يساعدكم رب المعارك، وينصركم»(10).

أما حرب عام (1973م)، والتي هُزم فيها الجيش الإسرائيلي هزيمة نكراء اعتبرها اليهود بأنها: «تذكرة من الله لشعبه، كي يسلم بخروج حاله من السواء، وبانفصاله الجذري عن عالم الأمم، والقبول بالقدر المقدر عليه في العهد»(11).

وبناءً على ما سبق نجد المؤرخين العسكريين المعاصرين يربطون بين معارك الإسرائيليين الماضية، وحروب إسرائيل الحديثة استناداً إلى المهمات الإلهية المنوطة بهم، ويبحثون في التوراة، والتلمود، وغيرهما من كتبهم، وتفسيراتها الوضعية؛ ليقتبسوا من هذه، أو تلك كل ما من شأنه تأكيد دعواهم، وتبرير غاياتهم؛ لإثارة الحرب، وتوسيع عملية الاستيطان، وإذا لم يجدوا في هذه الكتب الدينية ما يصبون إليه، يتحولون إلى تراث الأجداد؛ ليغرسوا في الأحفاد، والأجيال الصاعدة روح المخاطرة، والاقتحام، ويقيموا الدروس، ويعقدوا الندوات، والمؤتمرات للمقارنة بين فرسان داود وسليمان، ودبابات حاييم، وإسرائيل(12).

سادساً: عقيدة الألفية. وحكم العالم. نهايته:

---

(1) انظر: نفسه. ص227.

(2) صحيفة هارتس الإسرائيلية: العدد الأول. ص32 نقلاً عن: السيف الأحمر: د. البدري. ص227.

(3) انظر: السيف الأحمر: البدري. ص227.

(4) انظر: الحلف غير المقدس: آلان دريمز. ص53. المركز اللبناني للبحوث. بيروت (ب).

(5) معارك المنظمة العسكرية القومية: دافيد نيف. ج1. ص38. تل أبيب (1965م)، وقوله لئلا يبيد العرب الكروم: يشير إلى فعل النبي ^ عندما أجلاهم من المدينة بأمر من الله تأديباً لهم، قال تعالى: ﴿العظيم بِسْـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْـــمِ﴾ (سورة الحشر، آية: 5)، قال ابن جرير: لما حاصر النبي ^ يهود بني النضير أمر بقطع نخيلهم من أصولها، أي: من جذورها، ومنابتها إهانة لهم، وإرعاباً لقلوبهم (انظر: تفسير ابن كثير: ج4. ص36).

(6) شعارهم التوراة والسيف نزلا معاً: في الحين الذي يجعلون من المطاعن على الإسلام إنه انتشر بحد السيف.

(7) انظر: السيف الأحمر: البدري. ص225.

(8) انظر: نفسه. ص226.

(9) مؤسسة الأهرام العسكرية الصهيونية: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية: ص14. القاهرة (ط: 1974م)ز

(10) جنرال إسرائيل موشيه بن شاؤول. ص116: 117. دار هادر للنشر. تل أبيب (ط: 1968م).

(11) السيف الأحمر: البدري. ص226.

(12) انظر: نفسه. ص222.

تؤمن الأصولية اليهودية بالعقيدة الألفية بمعنى: أنه لابد أن يشهد العالم أحداثاً كبرى على رأس كل ألف سنة، وستظل تتابع الأحداث حتى يجيء الألف الأخير الذي يأتي بصحبتها الملك الألفي الذي يحكم العالم بعد فترة من الحروب، والفتن(1).

وهذه العقيدة تقوم على الإيمان المحض بمخلص يأتي؛ ليفدي شعب إسرائيل، وينقذه من عذاب المنفى، ويقوده عائداً به إلى أورشليم؛ ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض، وأسهل الطرق؛ لتحقيق حلول الألفية هو حدوث كارثة نووية تقضي على الحضارة، وتبيد العالم، وقد وجد اليهود ضالتهم في معركة هرمجدون الآنفة الذكر(2)، والمسيا سيأتي ـ حسب معتقد اليهود ـ قبل يوم السبت أي قبل اليوم السابع الذي يعني الألف السابعة من عمر الدنيا(3).

وهذا المسيا ـ المزعوم ـ ستكون مهمته العالمية العسكرية خلاص الشعب اليهودي،ويجيء راكباً حصاناً أبيضاً، وعيناه كلهيب النار، ومتسربل بثوب مغموس بدم، ومن فمه يخرج سيف ماض؛ لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعصا من حديد، ويحكم العالم بشريعة صهيون (يوحنا: 19: 11-17).

كما جاء في سفر أشعياء2: **(ويحدث في آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتقبل شعوب كثيرة، وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضي بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد4)**، أي أنه بعد معركة هرمجدون يجيء المسيا؛ ليحكم العالم مدة ألف عام بشريعة صهيون، ويؤسس مملكة الله، أي: سيادة شريعته على الأرض، كما جاء في كتاب القبالاه في شرح التوراة: **(توصف القدس بالملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات حتى لا تصل إليها قوى الظلام وستعلو جدرانها حتى يعود التوازن إلى العالم)**(4).

هذا وقد استدل الأصوليون على هذه العقيدة برؤيا دانيال7 الذي أخبر عنها في سفره، والمسماة برؤيا الحيوانات: **(في السنة الأولى لبلشصر ملك بابل1، رأى دانيال حلماً، ورؤيا رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال: كنت أرى في رؤياي ليلا، فإذا بأربع رياح السماء هيجمت البحر الكبير، فطلع من البحر أربع حيوانات عظيمة يختلف بعضها عن بعض. الأول كالأسد وله جناحا عقاب. وبينما كنت أنظر إذ اقتلع جناحاه ثم ارتفع عن الأرض، وقام على رجليه كإنسان. وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد، وفي فمه ثلاث أضلع بين أسنانه فقيل له: قم كل لحماً كثيراً. وبعد هذا كنت أنظر فإذا بآخر مثل النمر، وله أربعة أجنحة طائر على ظهره. وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطاناً. بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جدا وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون. وإذا بقرن آخر صغير، طلع بينهما. وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته نار مضطربة، ومن أمامه يجري نهر من نار، وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس أهل القضاء وفتحت أسفار. وكنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. وبينما كنت انظر إذ قتل الحيوان وهلك جسمه، وجعل وقوداً للنار. أما باقي الحيوانات فنــزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت. وكنت انظر في رؤياي ليلاً، فإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان.آت على غمام السماء فبلغ إلى قديم الأيام، وقرب إلى أمامه، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي لايزول، وملكه لا ينقرض14)**.

وقد أقر الأصوليون هذه الرؤيا، وتأويلها قروناً دون أن يدخلهم ريب في أن المملكة الأولى هي: مملكة بابل، والثانية: هي مملكة فارس، والثالثة: مملكة اليونان، والرابعة: مملكة الرومان، وكانوا ينتظرون المملكة الخامسة: مملكة الله التي ستدمر ممالك الشرك، والكفر، وعلى الأخص المملكة الرومانية التي اضطهدتهم، وأذاقتهم الذل، والهوان.

ونظراً لأن أهل الكتاب تعمدوا التلبيس، وافتعلوا الاختلاف حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فبدلاً من أن يقولوا: إن المملكة الخامسة هي: الإسلام دين الحق. قالوا: بأن المملكة

---

(1) انظر: حمى سنة 2000: عبد العزيز مصطفى. ص204.
(2) انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب: د. سفر عبدالرحمن الحوالي. ص12. مخطوط (ط: 1421هـ).
(3) انظر: حمى سنة 2000: عبد العزيز مصطفى. ص 218.
(4) انظر: موسوعة اليهود: عبدالوهاب المسيري. ج2. ص249: 252.

الرابعة، وهي الحيوان الرابع يرمز لأوربا التي يكون فيها عشر دول قوية يخضع لها العالم قبل نزول المسيا، وبناءً عليه تكون المملكة الخامسة هي: الألفية السعيدة عند عودة المسيح(1).

ويدّعي منظري هذه الألفية أن ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم قبل خلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم(2)، ويستدلون في ذلك بنصوص وردت في سفري التكوين1 يقول: **(سيصبح الناس طوال الأعمار كما كانوا قبل الطوفان، ستزول اللعنة، ويقيد الموت، وسيعيش الذين يدخلون العصر الألفي في حالة عدم الخطيئة، أما الذين سيخطئون سيموتون في عمر مائة سنة. وستتغير غرائز التوحش والإبادة في الحيوانات فيسكن الذئب، والخروف معاً، ولا يفترس أحدهما الآخر29...)**(3). وتمتاز الألفية بكثرة الخير، وعدم الإفساد كما جاء في هوشع21 قوله: **(لا يكون قحط ولا جراد ولا آكل ولا مفسد، بل يكثر الخير بوفرة في ذلك اليوم إني أستجيب يقول الرب، أستجيب السماوات وهي تستجيب الأرض، عوضاً أن تعطيها أذناً صماء فلا تمطر عليها2...)**.

ويعتقد الأصوليون النصارى أن للأمة الإسرائيلية مميزات خاصة في هذه الألفية حيث سيعاد بناء كل أرض إسرائيل مرة أخرى بعد خرابها، ويستعيد ميراث إسرائيل الكامل من نهر مصر إلى نهر الفرات، وستكون المساحة التي تتسع من أرضهم حوالي (300.000) ميل مربع، وستسمى كلها جبل بيت إسرائيل ولن يكون هناك رئيس كهنة أرضي من سلالة هارون لممارسة الخدمات في الهيكل؛ لأن الرب رئيس الكهنة العظيم سيكون حاضراً، وستصبح أورشليم عاصمة العالم والمدينة المعتبرة، لأنها مركز الأرض، كما أن القديسين السماويين سيحكمون وهم في أورشليم السماوية فوق الأرض، كذلك فإن إسرائيل ستحكم على الأرض، وأورشليم هي مقر حكومة الرب، وستصبح إسرائيل رأساً لكل الأمم على الأرض، وباعتبارها رأساً للشعوب فإن الأرض كلها ستعطي الحرية لإسرائيل، وسترضع من غنى الأمم، وبذلك تكون أغنى منطقة على الأرض(4).

عندما يقترب حكم المسيح الألفي من النهاية فإن الشيطان الذي قُيّد سوف يحل؛ وذلك لمهمة تجريب الساكنين على الأرض؛ لكي يمحصهم حيث يكون هناك أناس في الملك الألفي يتظاهرون بالطاعة، فيأتي الشيطان، ويجمعهم لمحاربة المدينة المحبوبة أورشليم، ومحاربة القديسين، وعند ذلك يقضي عليهم المسيح، ويلقي الشيطان في بحيرة النار المتقدة، ويستدلون على ذلك بما ورد في سفر الرؤيا21: **(ثم متى الألف سنة يحل الشيطان من سجنه7. ويخرج ليضل الأمم الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض أحاطوا معسكر القديسين والمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين10)**.

بِسْـــــبِسْمِــــــبِسْمِـــــــمِ

---

(1) انظر: يوم الرب العظيم المسمى معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقرآن: أحمد علي السقا. ص34. دار الكتاب العربي. القاهرة (ط: 2004م).
(2) انظر: مجلة كاثوليك جازيت: عدد شباط. فبراير 1936م.
(3) انظر: الرجاء المبارك ومستقبل العالم: طلعت فكري. ص117. دار الطباعة القومية. القاهرة (ط: 1918م).
(4) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: القس: عبد المسيح أبو الخير. ص126.

الفصــل الخامــس
الأحزاب، والتنظيمات الأصولية اليهودية المعاصرة

يجدر بنا قبل عرض الأحزاب، والتنظيمات الأصولية اليهودية، معرفة التقسيمات الداخلية للشعب اليهودي داخل فلسطين المحتلة، ومشاربهم الفكرية، ومواقعهم السياسية في الكيان الإسرائيلي المحتل، ومن ثم نعرج على أهم الأحزاب، والتنظيمات الدينية التي تسيطر على القرار الإسرائيلي من منطلقاتها الدينية؛ ذلك أن غالب الفرق الدينية اليهودية التاريخية من (الأرثوذكسية، والحاريدية الحسيديم، والصوفية القبالاه،.....) انصهرت زمرة من أتباعها في الصهيونية لتعطي نموذجاً وحدوياً جديد عبارة عن مزيج من المعتقدات، والأفكار المتضاربة، والمتعاركة لتلك الفرق، والتي تتعاون فيما بينها، لتصب في صالح الأصولية الصهيونية السياسية، دعماً لقيام إسرائيل، والمحافظة على استمرار بقاءها؛ وبذا تصبح العقيدة الصهيونية القاسم المشترك بين جميع الأحزاب الدينية بفرقها الأصولية المختلفة، والأحزاب غير الدينية.

وبما أن الكيان الصهيوني وليد النشأة، قسّم الباحثون الوجود اليهودي في فلسطين إلى ثلاث فئات: الأولى: فئة الصابرا، وهم اليهود المولودون في فلسطين المحتلة سواء قبل المشروع الصهيوني، أو بعده، وهم إما من أصل فلسطيني، أو أشكنازي، أو سفاردي(1)، ولم تحدد لهم نسبة، ولكنها النسبة الأقل. الثانية: فئة اليهود الشرقيين (السفارديم الأرثوذكس)، والذين يشكلون نسبة (60%) من المستوطنين اليهود، حيث استطاعت الصهيونية اليهودية أن تقنع بسهولة اليهود الموجودين في المجتمعات غير الأشكنازية بالهجرة إلى فلسطين بعد الاعتراف بإسرائيل دولياً عام(1949م)، وإلى (1965م)، كما وشجعت يهود شرق أوربا، والمغرب، واليمن، والعراق، بالهجرة، وتمكنت من إقناع عدد قليل من يهود اليونان، ومصر، وبلدان البحر الأبيض المتوسط(2)، وكان للسفارديم الذين استقروا في إسرائيل نفوذاً دينياً قوياً في الخمسينات، والستينات، واستطاعوا أن يشقوا طريقهم داخل المجتمع الإسرائيلي الصهيوني إلى أن أصبحوا الواجهة الدينية لهذا المجتمع الحديث، وعرفوا بتشددهم الديني، وبتكفيرهم لدولة إسرائيل، ومعارضتهم للصهيونية، وهم يمثلون الأغلبية إلى وقتنا الراهن(3). الثالثة: فئة اليهود الغربيين (الأشكنازيم الحريديم) الذين يشكلون نسبة (40%) من المستوطنين، وقد جاؤوا من بلدان أوربا الوسطى، والشرقية (بلغاريا، بولونيا، رومانيا)، ومن بعض بلدان أوربا الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية، وهاجر معظمهم إلى فلسطين قبل الاعتراف بالكيان الصهيون، وبعد تولي هتلر للسلطة في ألمانيا عام (1936م)، حيث ظهر في أوربا الاتجاه المعادي للسامية بجلاء(4)، ولم تكن الصهيونية في ذلك الوقت لديها أي اهتمام بالدين، حيث كانت تستثمر قواها في مجالات الإنتاج والبناء حتى عام (1948م)(5)؛ ولأن الأشكناز من يهود أوربا الغربية عايشوا المدنية، والتطور فأحبوا أن يصبغوا أبناء جلدتهم من أبناء السفارديم بها فقام عدد قليل منهم بمسؤولية التحديث، والتطوير القهري لهم، فأرغموهم على التخلي عن زيهم، وارتداء الملابس السوداء الأشكنازية، وتبني طريقتهم في الصلاة، وتعلم اللغة اليديشية، وتدريب مجموعة منتقاة من الحاخامات الشرقيين، وقد أدى هذا التحديث، والتشكيل العلماني لليهود الشرقيين إلى اشتعال المعارضة بين الجماهير الشرقية التي كانت تنتقد الساسة دون الحاخامات على عكس اليهود الأشكناز المتدينين(6)، وهذه التحركات كانت نواة التحرك الأكبر نحو التغيير الشامل من تغيير الأفراد إلى تغيير المجتمع بعد أن تطور الوضع من رفض الدينيين للصهيونية إلى القبول، وتبلورت هذه الحركات في صور أحزاب، ومنظمات؛ لتعبر عن جوهر اليهودية بعد مزجها بالسياسة لأغراض العمل، والتعامل، والبناء الشامل.

ولذا فالأحزاب، والمنظمات تمثل حركة الدفع الذاتي في نشاط الحركة الأصولية، وتطويراً لها، وتعتبر حلقة الوصل الأساسية بين الجمهور، والمؤسسات الحكومية، وتؤثر بشكل خاص على مضمون جدول الأعمال الحكومي، كما تعتبر إحدى المتغيرات الداخلية المتعلقة بالطبيعة الذاتية للدولة؛ لأن أي نظام سياسي يخضع لتأثير مجموعة من المتغيرات، وتأثير الأحزاب السياسية على النظام السياسي يتوقف على مدى تحملها مسؤولية صنع القرار السياسي من جهة، وعلى مدى

---

(1) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص41.
(2) انظر: لأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك، ونورتن. ج2. ص18: 19.
(3) انظر: القوى الدينية في إسرائيل: رشاد الشامي. ص241: 242.
(4) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك، ونورتن. ج2. ص18.
(5) انظر: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: رشاد عبدالله الشامي. ص241. سلسلة عالم المعرفة. الكويت (ط: 1994م).
(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج2. ص19.

تأثيرها في عملية صنع القرار من جهة أخرى، وبعض الأحزاب قد تتدخل بصورة مباشرة في صنع القرار، والبعض الآخر يتدخل بصورة غير مباشرة، وذلك من خلال وقوفها في صفوف المعارضة(1) .

ومن هنا ولتعدد التوجهات، والمنطلقات، والمبادئ الفكرية، والعقدية الدينية أخذ الكيان الإسرائيلي بنظام تعدد الأحزاب في إدارة سياسته الداخلية، والخارجية، مما أوجد عدداً كبيراً من الكتل، والأحزاب السياسية نذكرها على أساس مبادئها:

1- كتلة الأحزاب العمالية (الاشتراكية اليسارية).
2- كتلة الأحزاب اليمينية (الاصلاح الليبرالي).
3- كتلة الأحزاب الدينية (القومية).
4- كتلة الأحزاب الشيوعية.
5- كتل، وحركات سياسية أخرى مثل (كتل: الأحرار التقدميين العلمانيين)(2).

وما يهمنا من مجموع هذه الكتل، كتلة الأحزاب الدينية، وذكرنا لباقي الكتل؛ لإعطاء تصور للتشكيلة الفكرية، والرؤيوة للسياسة الداخلية للكيان الصهيونية، وكيف أثرت الأحزاب الدينية على قلتها في صنع القرار من منطلقاتها الدينية في ظل هذا الزخم الكبير من الأحزاب، والكتل ذات التوجهات المختلفة.

ذكرنا آنفاً بأن الأحزاب الدينية قبل قيام إسرائيل لا تهتم بالسياسة نظراً لمعارضتها للصهيونية في الأصل، أما بعد قيامها بدأت تهتم بها بل وغيرت من مواقفها المتشددة، وأدى هذا التغيير إلى مشاركتها في انتخابات الكنيسة، وفي الائتلافات، ولكن المهم عندها هو ما يحدده مجلس كبار علماء التوراة، وليس قانون الكنيست حتى لو أدى الأمر إلى معارضته(3).

وتعود جذور الأحزاب الدينية اليهودية في فلسطين إلى مطلع القرن العشرين، قبل المشروع الصهيوني بأربع عقود، حيث تأسست أول حركة دينية أطلقت على نفسها (حركة المتدينين اليهودية الصهيونية) همزراحي عام (1902م) أي: الشرقي، ثم ما لبث أن انشقت الحركة أثر القرار القاضي بتولي المنظمة الصهيونية العلمانية إدارة شؤون التربية والتعليم في المجتمع اليهودي في فلسطين، ثم استمر ظهور المنظمات، والأحزاب الدينية، وانقسمت على نفسها داخلياً عدة انقسامات نتيجة رفض بعض منظريها، ومؤسسيها للسياسة الداخلية، أو الخارجية للصهيونية بين مؤيد، ومعارض.

لذا ظلت الأحزاب الدينية إلى عام (1977م) ثابتة على مقاعدها في الكنيست طوال تلك الأعوام، ولم تحصل على نسبة تمثلها في الكنيست تفوق النسب التي كانت تحصل عليها من قبل، وقد أدى هذا إلى انتقالها من مرحلة المساومة إلى مرحلة الابتزاز الصريح، والعلني للحزب الحاكم من أجل تحقيق مطالبها في فرض الشريعة اليهودية على المجتمع الإسرائيلي الذي تعيش فيه أغلبية علمانية(4)، ومع بدايات القرن الحالي أخذت الأحزاب الدينية في التطور، وأصبحت مكانتها تُهدد مستقبل النظام السياسي الإسرائيلي(5)، وقبل أن أبدأ الحديث عن المنظمات الإسرائيلية الدينية لابد من الاشارة إلى أن تقسيمنا للأصولية اليهودية في إسرائيل بناءً على موقفها من الصهيونية اليهودية، وتنقسم إلى قسمين:

1. أحزاب ترجح كفة الدين على الصهيونية؛ للحفاظ على الطابع الديني للدولة، وتسمى (الأصولية الحاريدية)، وهي أكثر تشدداً في القضايا الدينية، وأقل اهتماماً بالشئون السياسية والأمنية(6).

2. أحزاب تعمل على التوفيق بين الدين، والصهيونية، وتسمى (الأصولية الصهيونية)، وهي أكثر تشدداً في القضايا السياسية، والأمنية، وأقل اهتماماً بالقضايا الدينية.

وتختلف الأحزاب في الأصوليتين أحياناً في الأساليب التي يجب إتباعها؛ لتحقيق مطالبها، بينما يتفق أغلبها فيما بينها على ما يأتي:

1- رفض الانسحاب من المناطق المحتلة، وخاصة فلسطين.
2- ضرورة الاستيطان اليهودي الواسع في فلسطين، وشرعيته.
3- دور إسرائيل في المنطقة كرأس حربة للعالم الحر.
4- طرد العرب، والمسلمين من فلسطين كما هو مشاهد في غزة، والضفة، وغيرها.

---

(1) انظر الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص97.
(2) انظر: نفسه. ص89 و 248.
(3) انظر: القوى الدينية في إسرائيل: رشاد الشامي. ص237- 238.
(4) انظر: نفسه. ص222- 225.
(5) انظر: السيف الأحمر: د. البدري. ص270.
(6) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل. هاني عبدالله. ص4: 5.

5- العداء الشديد لكل من يناوئها في المنطقة، وفي العالم بأسره(1).
أولاً: أحزاب الأصولية الحاريدية(2):
سيتم مناقشة أحزاب، وتنظيمات كل أصولية منها، وذلك وفقاً للآتي:
الأصولية الحاريدية الأرثوذكسية:
عرّفها الباحثون بأنها مجموعة من الأحزاب، والحركات التي تُرجّح كفة الدين على الصهيونية، وتُعرف بتشددها الديني، وتُهدد كل من يتبنى أي فكر يخالفها، وتصف كل من يعارضها بالكفر، والإلحاد، فهي تعارض الصهيونية، وتكفر دولة إسرائيل(3).
وأهم المنظمات، والحركات التي تمثل الأصولية الحاريدية هي:
1- منظمة أغودات يسرائيل.
2- منظمة بوعالي أغودات يسرائيل.
3- حزب ناطوري كارتا.
4- حزب شاس.
5- حزب ديغل هارتوراة.
6- حزب يهوديت هاتوراة.
وفيما يأتي نبذة مختصرة عن نشأة كل منظمة، وأهدافها، ومعتقداتها، وتطورها الفكري، ودورها السياسي، والديني:
1 ـ منظمة أغودات يسرائيل، أي: رابطة إسرائيل (1912م):
تيار ديني أرثوذكسي حريدي مناهض للصهيونية باعتبارها العدو الأكبر للأمة اليهودية؛ لأنها تضع شعب الله المختار على قدم المساواة مع باقي شعوب العالم في سعيها لبناء وطن قومي له. أنشأ عام (1912م) نتيجة للخلاف الذي حدث بين المتدينين، والعلمانيين داخل منظمة مزراحي، وهذا الخلاف دفع جماعة من المتدينين الحريديم للخروج من الحركة بعد رفضهم قرار المؤتمر الصهيوني العاشر في بازل عام (1911م)، والذي نص على أن شئون التربية للمجتمع اليهودي في فلسطين منوطة بالمنظمة الصهيونية اليهودية، وتقع ضمن صلاحيات، وأعمال الهستدروت(4)، وتم تشكيل اتحاد لليهود المتدينين في مؤتمر عقد في بولندا عام (1912م) عرف باسم (أغودات يسرائيل) يهتم بمعظم الجوانب التي تتعلق باليهود، واليهودية، وقد افتتح المؤتمر الحاخام "يعقوب روزنهايم" معلناً أن هدف المؤتمر ليس إنشاء تنظيم جديد كباقي التنظيمات، وإنما «إعادة بعث شعب التوراة، وتنظيم الناحية المادية للوجود اليهودي تنظيماً شعبياً يستند إلى روح التوراة»(5)، وجاء في البيان الأساسي للمؤتمر: «إن ممثلي اليهود المتقيدين بالشعائر الدينية من جميع أنحاء العالم بعد أن استمعوا إلى جميع الاقتراحات يعلنون بهذا تأسيس أغودات يسرائيل، ويأخذون على أنفسهم عهداً بالعمل بكل قواهم من أجل تطوير أغودات، ونموها، وإن أغودات ستساهم بفعالية في جميع القضايا، والأمور المتعلقة باليهود، واليهودية على أساس التوراة دون أية اعتبارات سياسية...، وستحاول إيجاد حل لكافة المشاكل التي تواجه الشعب اليهودي، وفقاً لروح التوراة»(6)، وكانت أهم إنجازات المؤتمر إنشاء مجلس كبار علماء التوراة كأعلى سلطة دينية لتنظيم حياة الجماعات اليهودية، وتوجيهها، وهذه السلطة الدينية العليا هي التي ميزت منظمة أغودات عن المنظمات اليهودية العلمانية، وأضحى مجلس كبار علماء التوراة المرتكز الأساسي لمعارضة أغودات يسرائيل وقتئذ، حيث وجدوا فيها ضماناً لبقاء الاعتبار التوراتي فوق كل اعتبار(7). وقد أسست المنظمة فرعاً لها في فلسطين عام (1912م) لكنه لم يبدأ نشاطه بفاعلية إلا في عام (1919م) في أعقاب الاحتلال البريطاني لفلسطين، وميل السلطات البريطانية للاعتراف بسلطة المؤسسات الصهيونية كإطار لتنظيم الجماعات اليهودية هناك حيث أعلنت المنظمة في هذه المرحلة إن هدفها، وكما جاء على لسان "إسحق بروير" أحد أبرز زعمائها: «توحيد شعب إسرائيل كله تحت راية التوراة بجميع مظاهر الحياة، الاقتصادية، والسياسية، والروحية

(1) انظر: نفسه: ص 4ـ 5.
(2) الحاريديم: تعني (يهودي أرثوذكسي) أو (يهوديى متزمت دينياً)، وهم اليهود المتدينين القادمين من شرق أوربا ذوي المعطف الأسود، والقبعة السوداء، ويرسلون ذقونهم إلى صدورهم، وتتدلى على آذانهم خصلات من الشعر المقصوع، لايتحدثون العبرية، ولغتهم اليديشية (اللغة اليديشية: في الأصل عبارة عن رطانة ألمانية دخلت عليها كلمات سلافية وعبرية)، ويكثرون من النسل، ولا يؤمنون بتحديده (انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري. ج2. ص154).
(3) انظر: القوى الدينية في إسرائيل: رشاد الشامي. ص301: 308.
(4) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص31: 315.
(5) الدين والسياسة في إسرائيل: عبد الفتاح محمد ماضي. ص254. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. مركز الأبحاث. دمشق (ط: 1979م).
(6) الأحزاب السياسية في إسرائيل. هاني عبدالله. ص129.
(7) انظر: نفسه. ص130.

لشعب إسرائيل في أرض إسرائيل»(1)، وفي هذا السياق بدأت أغودات تقيم مؤسساتها الخاصة في فلسطين خارج إطار المؤسسات الصهيونية الرسمية، وقد أدى هذا إلى صدمات عنيفة بين أغودات يسرائيل، والمعسكر الصهيوني.

وفي عام (1937م) حدث تحول خطير، ومهم في موقف منظمة أغودات يسرائيل من الحركة الصهيونية، حيث عقدت إجتماعاً لها في أيلول (1937م) وافقت فيه على قيام إسرائيل، ولكن على أساس مبادئ التوراة، بيد إن هذا التحول الأساسي صاحبه نزاع داخلي حاد فبعد أن نشرت لجنة بيل البريطانية عام (1937م) توصياتها بإنشاء دولة يهودية على جزء من فلسطين وافق الجيل الجديد في المنظمة على فكرة إنشائها في حين رفضها الجيل القديم، وتمكن الجيل الجديد من أن يفرض سيطرته على المنظمة، وكان ذلك إيذاناً بتحول المنظمة من منظمة دينية معادية للصهيونية إلى منظمة أصولية متعاونة مع الصهيونية، وشهدت الفترة من عام (1939: 1947م) تعاوناً متزايداً بينهما، وخاصة مع المؤسسات اليهودية الصهيونية، وعندما انضمت أغودات يسرائيل إلى مجموعة المنظمات، والقوى، والهيئات الصهيونية المطالبة بإنشاء دولة يهودية، حصلت على تمثيل لها في «مجلس الدولة المؤقت»(2)، وتغيرت وجهة النظر الأغوداتية إلى النقيض فأصبحت ترى في إسرائيل بداية الخلاص، وأن واجبها يتمثل في السعي لضمان طابع ديني في الحياة اليومية للمواطنين، وعارضت مشروع التقسيم من منطلقات دينية، واعتبرت الاستيطان فريضة دينية للمتدينيين، بينما يعني الاستيطان لليهود الصهيونيين دعماً لبناء الوطن القومي، وقد استغلت الصهيونية الفكرة الدينية لتبعث في اليهود القومية العنصرية.

وهكذا يتضح أن هدف أغودات يسرائيل تنظيم، وتوحيد جميع اليهود المحافظين على التوراة تحت راية واحدة، وإعطاء الأولوية للمسائل الدينية في نشاطاتها السياسية، وتأييدها للحكومة مرتبط بمدى استعدادها لتطبيق بعض القوانين الدينية فهي أقرب إلى جماعة ضغط دينية تعمل للدفاع عن الدين ورجاله(3)، حيث تجمع بين صفوفها عدداً كبيراً من رجال الدين ذوي النفوذ الواسع لدى جماهير اليهود، والذين لهم قدر كبير من السيطرة على كثير من النواحي الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بالأحوال الشخصية(4).

فمن أبرز زعمائها الحاخام "إبراهام شابيرا"، والحاخام "مناحيم بورغ"، والحاخام "شلومو لورتز"، ونظراً لطبيعة تكوين أغودات، وارتباطها بالحركة العالمية لأغودات خارج فلسطين فإن مصدر القرار يأتي في العادة من خارج الحزب فالسلطة العليا الفعلية في أغودات هي في أيدي مجلس كبار علماء التوراة، وهي أعلى سلطة في الحزب، وقراراته تعد بمثابة آراء شرعية ملزمة لأعضائها(5).

2 ـ منظمة بوعالي أغودات إسرائيل أي: عمال أرض إسرائيل (1923م):

نتيجة لانشقاق منظمة أغودات يسرائيل إلى قسمين الأول: (بوعالي أغودات إسرائيل، والثاني: ديغل هاتوراة أي لواء التوراة، ظهرت منظمة بوعالي أغودات إسرائيل في عام (1923م) في بولونيا من أجل تطبيق المبادئ الاجتماعية المستقاة من التوراة على الحياة اليومية وللدفاع عن العمال اليهود، والحيلولة دون تغلغل النشاط العلماني، والاشتراكي في صفوفهم، واجتذاب العمال عن طريق تقوية الرابطة الدينية لديهم(6)، وفي نفس العام انتظمت هذه المنظمة في فلسطين كتنظيم عمالي مع تدفق الهجرة اليهودية من بولونيا نتيجة لسياسة التمييز الاقتصادية التي انتهجتها السلطات هناك ضد اليهود، وكان الفرع المحلي لأغودات يسرائيل في فلسطين عاجزاً عن استيعاب تلك الهجرة، وخصوصاً عناصرها العمالية إذ لم يكن يمتلك الوسائل، والإمكانات المادية، والتنظيمية لذلك، ومن ثم فقد اضطرت العناصر العمالية الوافدة إلى إنشاء تنظيمها المستقل عن أغودات يسرائيل؛ لمعالجة، ورعاية مصالح العمال من اليهود المتدينين الأرثوذكس الذين لم يجدوا في التنظيمات العمالية القائمة وقتذاك إطاراً صالحاً لاستيعابهم.

وفي عام (1925م) عقدت منظمة بوعالي أغودات يسرائيل مؤتمرها التأسيسي، وفي العام نفسه هاجر إلى فلسطين من بولونيا أحد قادة المنظمة هناك الحاخام "بنيامين مينتز"، وبعد مدة وجيزة انحل التنظيم؛ ليتأسس ثانية في تل أبيب عام (1933م) تحت زعامة البولوني "بنيامين

---

(1) نفسه: ص22.
(2) القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي. أنور الحيدري. ص36.
(3) انظر: المتغيرات الداخلية في صنع السياسة الخارجية الإسرائيلية. هدى شاكر معروف. ص 175. مخطوط رسالة ماجستير عام: 1986م. معهد البحوث والدراسات العربية. جامعة بغداد . وانظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص316.
(4) انظر: نظام الحكم في إسرائيل: عبد الحميد متولي. ص131. معهد الدراسات العربية العالمية. جامعة الدول العربية. القاهرة (ط: 1964م).
(5) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي. نديم عيسى. ص123.
(6) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص316.

مينتز"، والألماني "يعقوب لنداو"، واستمرت المنظمة بالتوسع خاصة بعد زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين من بولونيا، وألمانيا بعد تولي النازيين للحكم في الأخيرة، واحتلالهم الأولى.

وعملت بوعالي أغودات يسرائيل كمنظمة عمالية ضمن إطار أغودات إسرائيل، ورغم كون مؤسسي التنظيمين كانوا من اليهود المتدينين البولونيين(1) إلا إن صداماً وقع بين المنظمتين فمنظمة أغودات تمثل الشرائح البرجوازية(2) اليهودية في بولونيا في حين أن بوعالي أغودات إسرائيل كانت ذات قاعدة عمالية، وتطالب بتحسين أوضاع، وشروط العمل للعمال اليهود لكنه ظل مرتبطاً فكرياً بأغودات يسرائيل خاصة في سعيه إلى تحقيق ما أسموه بالمثل العليا المنصوص عليها في التوراة، وظل يجمعهما موقف موحد من الصهيونية، وتوجهها العلماني، وكذا الحال بالنسبة للقضايا الدينية، ولكن بوعالي انتهج سياسة خاصة بالنسبة إلى القضايا التي تهم العمال(3).

وحتى عام (1946م) كانت مؤسسات بوعالي أغودات يسرائيل في الخارج تشكل جزءاً من الاتحاد العالمي لأغودات يسرائيل، ثم ظهر التمايز بين المنظمتين؛ لأن منظمة بوعالي أغودات إسرئيل كانت أكثر استعداداً للتعاون مع البيشوف اليهودي في فلسطين، حيث التحق أعضائها بـ الهاغانا(4)، وأصبح زعيمهم ميتز عضواً في اللجنة الأمنية البيشوف بينما رفضت أغودات يسرائيل إقامة مستعمرات تعاونية، أو جماعية في فلسطين تبنت بوعالي أغودات يسرائيل عدداً من المستعمرات، وأقامت عدداً من المستوطنات، ولكنه على الرغم من نزعته العمالية لم يشترك في الهستدروت(5)؛ لأن زعامته علمانية(6).

وبعد قيام دولة إسرائيل عملت منظمة بوعالي أغودات يسرائيل ضمن إطار النظام السياسي الإسرائيلي، وكان هدفها تطبيق المبادئ الاجتماعية المستمدة من التوراة على الحياة اليومية للعمال اليهود، ومعارضة الصهيونية؛ لذا فهي لا تشارك في انتخابات المؤتمر الصهيوني، ولم تنضم للهستدروت، وأغلب أعضائها من الأشكناز الذين يمثلون (70%)، بينما (30%) من الأعضاء هم من السفارديم، وظلت خاضعة لسلطة كبار علماء التوراة الأغوداتي، ومنذ عام (1952م)، وإلى عام (1960م)، وهي في المعارضة، ثم استمرت في مشاركة ائتلافات الحكومات العمالية من عام (1960م)، إلى (1969م)، وعادت إلى المعارضة بعد ذلك(7)، وقد تضمن برنامجها الأمني على أن: «أرض إسرائيل قد أعطاها الله ملكاً لشعب إسرائيل، وشعب إسرائيل الذي لن يتنازل عن حقه الإلهي قد منحته الإرادة الإلهية أن يوحد القدس وأن يحرر ملك، وأرث الآباء، والأجداد»(8).

3 ـ حزب ناطوري كارتا، أي: حراس أسوار المدينة (1935م):

هي حركة أصولية معارضة للصهيونية انشقت عن منظمة أغودات يسرائيل في عام (1935م)؛ وذلك لأنها رفضت التعاون مع المنظمة الصهيونية فأسسها الجيل القديم من أعضاء منظمة أغودات يسرائيل، وأقاموا مركزاً لها في القدس في حي مئه شعاريم، وأطلقوا عليها اسماً من الكتاب المقدس الذي يسمي اليهود الذين يتفرغون لدراسة التوراة(9)، وهذه الحركة ظلت معادية للصهيونية، ومهاجمة لمنظمة أغودات يسرائيل بسبب تعاونها مع الصهيونية، حيث كتبت في أحد بياناتها: «تزعم الأغودات أنها جاءت لتنفيذ التوراة، والدين، ولكن هذا كله كذب، وأفعالها تصفعها على وجهها، وإن كل أفعالها مخالفة للتوراة، والفرائض الدينية، وقوانين إسرائيل، وهي

---

(1) انظر: نظام الحكم في إسرائيل: متولي عبد الحميد. ص112.

(2) البرجوازية اليهودية: كلمة مأخوذة بالنسب إلى كلمة (بورج) أي المدينة، والبرجوازية اليهودية تفترض وجود طبقة مستقلة عن البورجوازيات المختلفة وهو يعني وجود تاريخ يهودي مستقل، وحيث أن أعضاء الجماعات اليهودية في العالم لا يلعبون دوراً مستقلاً عن المجتمعات التي يوجدون فيها، فلا يمكن الحديث عن برجوازية يهودية بشكل عام وإنما يقصد بها اليهود من أعضاء البرجوازية الإنجليزية، أو الأمريكية وهم الذين لعبوا دوراً مميزاص في نشوء الرأسمالية (انظر: موسوعة اليهودية: د. المسيري. ج1. ص226).

(3) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص148: 149.

(4) الهاغانا: أو الهاجاناه كلمة عبرية تعني الدفاع، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أسست بالقدس عام 1920م. (انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري. ج2. ص424).

(5) الهستدروت: اختصار للمصطلح العبري (هستدروت هاكلاليت شل هاعوفدم هاعفريم بايريس يسرائيل) أي (الاتحاد العام للعمال العبريين في إرتس يسرائيل) وأنشأ هذا الاتحاد العمالي عام 1920م، لا ليمثل أية طبقة عاملة، وإنما ليساهم في توطين المهاجرين الصهاينة، وليبلور وينمي مع الوكالة اليهودية مجتمع الأقلية اليهودية في فلسطين حتى يصبح بناءً استيطانياً متكاملاً توجد داخله طبقة عاملة (انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري. ج2. ص444).

(6) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص35.

(7) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص124: 125.

(8) الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص329.

(9) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ص159.

دائماً تحرك مجلس حكماء التوراة وفق رغبتها، ومراميها فحسب»(1).

وتخضع الحركة لتوجيهات المجلس الأعلى لحركة حراس المدينة، وينصب اهتمامها على معالجة الأمور الدينية، وإيجاد الحلول للمشكلات السياسية، والاجتماعية التي يتعرض لها اليهود على أسس توراتية(2).

ويبدوا أن أهمية هذه الحركة ليست تابعة من وزنها البرلماني؛ لأنها أساساً ترفض المشاركة السياسية في نشاطات النظام السياسي، انطلاقاً من رفضها لشرعية المشروع الصهيوني، وإسرائيل، وإنما أهميتها نابعة من نفوذها على الجو الحضاري الإسرائيلي، حيث صرح "دانيال العازار" بأنها تشكل دولة داخل دولة؛ وذلك لأن أتباع هذه الحركة يرفضون التعامل بالعملة الإسرائيلية التي تحمل صور الزعماء الصهاينة، ويرفضون دفع الضرائب، وأداء الخدمة العسكرية، والمشاركة في الانتخابات التشريعية، وكذلك يرفضون الهوية الإسرائيلية، والخدمات الصحية، والتعليمية التي تقدمها إسرائيل لأبناءها من الصهاينة، وأتباع هذه الحركة هم الذين يقوم أبنائها برمي الحجارة على السيارات التي تمر بالقرب منهم يوم السبت، وهم الذين يحتجون على عدم احتشام المرأة اليهودية التي ترتدي الثياب العصرية، والذين يصل التعبير عن احتجاجهم المتعصب للدين إلى رفض الصهيونية، والدولة(3) مع ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية قد سمحت لهم في اختيار طريقهم في الحياة العامة، وأعفتهم من الخدمة العسكرية، ومن الدخول في المدارس الحكومية، وسمحت لهم بامتلاك مؤسسات مستقلة عن مؤسساتها؛ لتقوم بتقديم الخدمات العامة إلى عناصرها، وأبناءهم كالمدارس، والمستشفيات، والصحف، والمجلات، وغيرها، والحكومة تنظر لهؤلاء على أنهم مجموعة عتيقة الطراز، ونوع من القديم الحادث في غير عصره، وفي أحسن الأحوال متحف حي لثقافة اندثرت، ولذلك لم تجد الصهيونية في وجود الحركة أية مخاطر محدقة على الهوية الصهيونية لإسرائيل إلا أنها تتحسب منها من الناحية الأمنية.

ويضاف إلى ما سبق أن الحكومة الإسرائيلية غضت النظر حتى عن تجاوزات، وانتهاكات الحركة للقانون الإسرائيلي، وقد علل بن غوريون ذلك بأمرين هما:

1. هناك صعوبة متزايدة باستمرار تكتنف عملية اتخاذ الإجراءات بحق أناس تنبع أفعالهم من إيمان ديني عميق، وليسوا من المخالفين للقانون بالمعنى التقليدي المألوف.
2. يمثل هؤلاء عالماً انحدر معظمنا منه، وهو عالم أجدادنا، وآبائنا الذي عرفناه في سن الطفولة فكيف يزج المرء جده الأكبر في السجن حتى ولو رمى الغير بالحجارة؟(4).

4 ـ حزب شاس، أي: الحزب الشرقي البحت (1984م):

هو حزب أصولي سياسي غير متطرف يقوم على أسس دينية، وطائفية، انطلق من الأصول الحاريدية المعارضة للصهيونية، ورفض الهيمنة الغربية على أتباعه الشرقيين من مؤيدي الليكود(5)، حيث لا يضم مجلس حكماء التوراة أي حاخام من السفارديم، وكانت لغة الحديث في داخله اليديشية الاشكنازية، وقد عبّر الحاخام آرييه درعي عن هذا بقوله: «الصهيونية حركة كفر تطمح لخلق يهودية جديدة، وحاولت القضاء على التوراة، والحضارة السفاردية»(6)، وتعترف الحركة بالقضية الفلسطينية، وأنها على استعداد لأجراء تنازلات أقليمية في سبيل حلها، لكنها متعصبة، ومتشددة فيما يتعلق بتشريع القوانين الدينية للمحافظة على حرمة السبت،...وخلافه.

وقد نشأ هذا الحزب نتيجة لتميز اليهود الأشكناز الغربيين على اليهود السفارديم الشرقيين، فاستنجد السفارديم بالحاخام "شاخ" لمواجهة هذا التمييز، لكن لم تفلح معالجة المشكلة الطائفية داخل أغودات يسرائيل فأعلنت مجموعة من السفارديم، ومعهم شاخ انشقاقهم عن أغودات يسرائيل عام (1984م)، وأطلق عليهم منظمة شاس، وهي الأحرف الأولى من القائمة السفاردية للتقليد كحزب شرقي بحت، وقام شاخ بتكوينه قبل انتخابات عام (1988م)؛ لأنه يحتاج في صراعه مع الحاخامات الحاريدية من الأشكناز البارزين إلى أعضاء في الكنيست يخضعون له فقط فأصدر أوامره للحاخامات الذين كانوا يدينون له بالولاء بتكوينه(7).

---

(1) الإسرائيليون الأوائل: توم ستيف. ص246. ترجمة خالد مايزو وآخرون. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت (ط1: 1981م).
(2) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص139.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص128.
(4) انظر: نفسه. ص129.
(5) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج2. ص28. وانظر: حمار المسيح الأصولية اليهودية الحاضر والجذور: سفي رخلافسكي. ترجمة عن العبرية: إسماعيل دبج. ص225. داركنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية. دمشق (ط2: 2005م).
(6) القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص70. وانظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل. غازي السعدي. ص327.
(7) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج2. ص23.

وأُعتبر شاخ أعلى سلطة روحية له، وقام باختيار أحد الحاخامات الحاريدية غير الشرقيين وهو الحاخام "عوفيديا يوسف" كرئيس شرف للحزب، حيث يتزعم من الناحية الرسمية مجلس حكماء التوراة، بينما من الناحية الواقعية تكون كلمة الفصل في الحزب للحاخام "شاخ"، وعلى قائمة الحزب الانتخابية الحاخام "اسحق بيرتس"(1).

واستطاع الحزب أن يخلص اليهود الشرقيين في إسرائيل من الضغوط المتناقضة من الأحزاب الأصولية الأخرى، وكان له نفوذ سياسي، وخاصة في الفترة من (1988: 1990م) فكان تأييده حاسماً لإسحاق شامير كرئيس للوزراء في انتخابات (1988م) مع ديغل هاتوراة، ولم يعد لشامير أغلبية بدون تأييدهما بعد عام (1990م)، وفشلت محاولات "شمعون بيريز" رئيس حزب العمل في تغيير الموقف(2)؛ نظراً لعدم وفائه بالعهود التي قطعها على نفسه تجاه القضايا الدينية التي طرحها الحاخام إسحاق بيرتس على حزب العمل كـ: إغلاق استاد رامات، وإغلاق التلفريك في حيفا فتدهورت مكانته في عالم التوراة، يقول إسحاق بيرتس رئيس الحزب في الانتخابات: «إن الموضوع الديني عندنا على رأس الأفضليات، وبيرس لا يفي بأي وعد»(3)، وقد أعطى النفوذ السياسي لزعماء الحزب ثقة في النفس أدى إلى السعي للخلاص من هيمنة الحاخامات الحاريدريم الأشكناز في الحزب، خاصة بعد أن أعلن شاخ في عام (1992م) أن الشرقيين ليسوا ناضجين بعد لتسلم القيادة السياسية، والدينية في الدولة بأيديهم(4)، ونودي بأن الحاخام "عوفيديا يوسف" هو الأعظم في الأركان البسيطة الأربعة، وأصبح مؤمناً بأنه لم يعد في حاجة إلى الخضوع للحاخام شاخ(5)، وبعد جدل كبير قرر حاخامات شاس اتباع الحاخام عوفيديا يوسف على أنه أعظم حاخامات عصره، وحصل شاخ على الاستقلال، ولم يستطع اليهود الأشكناز هزيمة شاس، ولكنهم قطعوا صلاتهم به، وأظهروا له العداء باللعنات، والتصريحات، وتدنيس أماكن عبادته، بل وضرب الحاخام بنحاس أحد حاخامات شاس في أحد الاجتماعات الدينية الأشكنازية أثناء جلسة للصلاة يوم السبت في مدينة بني برا، وقام حزب شاس بالانتقام، والرد على ذلك في كثير من المناسبات(6).

وهكذا يمكن القول بأن ظهور شاس كان له أهمية في المجالات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية في إسرائيل، وأنه يمثل بوادر نهضة لدى الطوائف الشرقية التي تريد حماية التقاليد اليهودية الشرقية، وترفض إذابتها في الحضارة الغربية الحديثة، ثم بدأ نفوذه السياسي يقل بعد انتخابات عام (1992م) نتيجة للصراع على السلطة الروحية بين الحاخام شاخ، والحاخام عوفيديا يوسف، وتتضح مكانة شاس في قوة الموازنة بين المفدال الأحزاب الدينية المعتدلة، وأغودات يسرائيل الأحزاب المتطرفة إلى جانب المحافظة على الدور الشرقي الخاص في الحياة السياسية، والثقافية، و...(7).

5 ـ حزب: ديغل هاتوراة، أي: لواء التوراة (1988م):

هو حزب أصولي انشق عن حزب أغودات يسرائيل عام (1988م) الذي تربطه علاقة وثيقة بالاتجاه الحسيدي في الحزب الذي أوشك زعيمه لوبا فيتش أن يعلن أنه هو المسيح المنتظر، وادعى مؤيدوه بأنه ذلك فعلاً(8)، وقد أثار هذا غضب الحاخام شاخ الذي انتظر من الاتجاه الحسيدي(9) في حزب أغودات يسرائيل تكفير لوبا فيتش، ومؤيديه، ولما لم يقدموا على هذا أعلن شاخ انشقاقه عن الحزب، وتأسيس حزب جديد عام (1988م) أطلق عليه اسم ديغل هاتوراة(10)، وعندما استقال الحاخام اسحق بيرتس عن حزب شاس انضم إلى ديغل هاتوراة، وقد شكل الحزب له سلطة دينية عليا حملت اسم مجلس حكماء التوراة، وهي مستقلة عن المجالس الخاصة بأغودات يسرائيل أو شاس، وعلى رأس هذا المجلس الحاخام شاخ الذي يعد الزعيم الروحي الذي يوجه

---

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص129.
(2) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج2. ص25: 26.
(3) القوى الدينية في إسرائيل: رشاد الشامي. ص186.
(4) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج2. ص23.
(5) انظر: نفسه. ج2. ص28.
(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن.ج2. ص30: 32.
(7) انظر: السيف الأحمر: جمال البدري. ص269.
(8) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص130.
(9) الحسيدية: هي إحدى الفرق الدينية في الدين اليهودي التي انتشرت في أوروبا في القرن الثامن عشر، وتعتمد على القبالة، وتؤمن بالأفكار الصوفية عن الرب وبالسحر (انظر: التيارات الدينية اليهودية وعلاقتها بالصهيونية: موعد حمد. ص25: 30. مجلة الأرض.ع2.كانون الأول: 1989م).
(10) انظر: دوامة الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة. ص19. مركز الدراسات الإستراتيجية. مركز الأبحاث. الجامعة الأردنية (ط: 1996م).

السلوك السياسي لهذا الحزب(1).

وتعد أفكار الحاخام شاخ بمثابة مبادئ لهذا الحزب، وتقوم على ما يأتي:

1- ينظر للدولة نظرة نفعية، وينزع عنها أية قيمة قدسية.
2- يعتقد بقدوم المسيح، لكنه لا يرى في الوقت الحاضر أي عنصر مسيائي.
3- إن التوراة هي التي حافظت على الشعب اليهودي، لا الدولة(2).

وقد أكد الحزب في برنامجه الانتخابي المبادئ الآتية:

1- حسم المشاكل الدينية السياسية استنادا إلى ما ورد في التوراة.
2- الحق اليهودي في أرض إسرائيل لا يقبل الجدل.
3- ضرورة الاهتمام بالمحافظة على الوصايا.
4- توسيع شبكة التعليم التوراتي.
5- ضرورة أن تركز السياسة الخارجية على مصير أي يهودي في كل مكان(3).

6 ـ حزب: يهوديت هاتوراة، أي: يهود التوراة (1992م):

بعد أن خف العامل المؤثر في الانشقاق عن أغودات إسرائيل آثر الحزبان الحاريدان الأشكنازيان أغودات يسرائيل، وديغل هاتوراة خوض الانتخابات ضمن إطار كتلة؛ واحدة تمهيداً لإعادة التوحيد، وفعلاً تكتل الحزبان في عام (1992م) ضمن كتلة واحدة عرفت باسم يهوديت هاتوراة خاضت الانتخابات في عامي (1992: 1996م)، وحصلت فيهما على أربعة مقاعد، وخمسة مقاعد في عام (1999م)، ومقعدين فقط في عام (2003)(4).

ثانياً: أحزاب الأصولية الصهيونية:

يعرف الباحثون الأصولية الصهيونية على أنها نزعة توفيقية بين الدين، والصهيونية فلقد طرحت مسألة العلاقة بين الدين اليهودي، والصهيونية في المؤتمر الصهيوني الثاني في بازل عام (1898م)، وقرر أن الدين مسألة شخصية، وأن المنظمة الصهيونية لن تتخذ أي موقف رسمي منه، ثم أعلنت المنظمة الصهيونية بعد المؤتمر الصهيوني الثالث عام (1899م) عن الحاجة إلى تشكيل حركة دينية تتوافق في تطلعاتها مع الأهداف الصهيونية؛ لتتجاوز المعارضة الدينية التي أثارها اليهود الأرثوذكس ضد الصهيونية(5)، وفي الجانب الآخر الديني خشيت العناصر المتدينة من تغلب الجانب العلماني الصهيوني الحاكم في التعليم، والمفاهيم على الجانب الديني، والروحي الذي سيؤدي إلى القضاء على اليهودية، فدعا المؤتمر الصهيوني الخامس عام (1901م)، وقرر تثقيف اليهود بالروح القومية اليهودية، وسمح بتشكيل كتل، واتحادات مستقلة ظهرت في منظمات، وأحزاب، وحركات عملت على تطوير الأصولية اليهودية قبل قيام دولة إسرائيل، وبعدها، وأهم هذه الحركات، والمنظمات منظمة مزراحي، وهبوعيل مزراحي، والحزب الديني القومي المفدال، وحركة كاخ، وغوش إيمونيم.

وخطورة هذه الأحزاب، والحركات تتمثل في أن أعضائها تغلغلوا في الدولة اليهودية من أجل تطهير إسرائيل من تطرفها ـــ حسب زعمهم ـــ، وخاصة الحزب الديني القومي المفدال، وغوش إيمونيم(6)، وفيما يأتي نبذة مختصرة عن نشأة كل منظمة، وأهدافها، ومعتقداتها، وتطورها الفكري، ودورها السياسي، والديني:

1 ـ منظمة همزراحي،(7) أي: المركز الروحي (1902م):

حركة المتدينين اليهودية الصهيونية الاستيطانية همزراحي الشرقي، ويعود تأسيسها إلى الاقتراح الذي قدمه الحاخام "إبراهام سلوتسكي"؛ نتيجة لقرار المؤتمر الصهيوني الخامس لعام (1901م) الداعي لإنشاء اتحادات مستقلة؛ لتطوير الأصولية اليهودية، وهذا القرار دفع بعض قادة الحركة الصهيونية بزعامة الحاخام الروسي "إسحاق جاكوب رينز" إلى تأسيس تنظيم في مدينة فيلنا الليتوانية أطلق عليه اسم همزراحي(8)، وقد أعلنت المنظمة أثناء تأسيسها أنها جاءت لخلق حركة دينية تقف في وجه التيار المعارض للصهيونية، وتقوم بإقناع اليهود بأن العودة إلى

---

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص132.
(2) انظر: الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة. ص33. دراسة بمجلة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ع3: 1990م.
(3) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ص162.
(4) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص175.
(5) انظر: الأحزاب اليهودية في العالم اليهودي: مجلة كيفوئيم. ص5: 6. عدد تشرين الثاني ترجمة: مركز البحوث والمعلومات. بغداد (ط: 1984م).
(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك. ونورتن. ج2. ص80.
(7) مزراحي: عبارة عن مزج لكلمتين (مركز)، و(روحاني) وهما كلمتان عبريتان تطابقان في النطق والمعنى كما في اللغة العربية (المركز الروحاني) (انظر: موسوعة اليهودية: د. المسيري. ج2. ص298).
(8) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص 85.

صهيون واجب ديني، وتحارب تيار الاندماج الذي كان مسيطراً على قطاعات واسعة من الشباب اليهود مما يفقد الصهيونية مرتكزاً أساسياً من مرتكزاتها الهجرة، والاستيطان في فلسطين؛ لتكوين قاعدة بشرية كبيرة غالبيتها من اليهود(1).

وفي المؤتمر التأسيسي رفعت مزراحي شعارها التاريخي الذي أضحى شعار الأصولية الصهيونية: أرض إسرائيل لشعب إسرائيل، وفقاً لتوراة إسرائيل(2) كما أعلنت مزراحي فكرة العمل من أجل ما أسمته البعث القومي لشعب إسرائيل إلى جانب الأطروحات الدينية التقليدية الأخرى، كالالتزام بالتوراة، والمحافظة على التراث، والتقاليد، وتربية الناشئة،... بيد إن أهميتها تكمن في أنها استطاعت أن تمد جسراً من التفاهم بين اليهودية، والصهيونية، وأن تضفي على الأخيرة قدراً من الشرعية(3).

وفي عام (1904م) عقدت مزراحي مؤتمرها العالمي الأول في بولندا، والذي ركز على الدعوة للعودة إلى أرض فلسطين، ثم فتحت فروعاً لها في معظم أقطار أوربا، وتحولت إلى منظمة عالمية أخذت اسم حركة مزراحي العالمية، وانتقل مركزها إلى مدينة فرانكفورت بألمانيا(4) .

ولم يمض وقت طويل على إنشائها حتى ظهرت خلافات عديدة داخلها؛ لأن جماعة المتدينين لم تكن راضية عن نشاط الحركة من داخل إطار علماني، فكانت بداية الخلافات التي ظهرت بصورة أكثر وضوحاً في أعقاب قرار المؤتمر الصهيوني العاشر بازل (1911م) الذي قرر أن شؤون التربية، والتعليم للمجتمع اليهودي في فلسطين منوطة بالمنظمة الصهيونية، وتقع ضمن صلاحيات، وأعمال الهستدروت، حيث أدى ذلك القرار إلى بروز تيارين داخل المنظمة:

الأول: دعا إلى الانسحاب من المنظمة الصهيونية العالمية، والاستقلال بتنظيم ديني من خلال الانضمام إلى تكتلات دينية أخرى.

الثاني: دعا إلى البقاء في إطارها، والعمل ضد القرار المذكور، وتم حسم الخلاف بين التيارين لصالح التيار الداعي إلى البقاء، لكن رافضي القرار لم يلتزموا به فانسحبوا من المنظمة الصهيونية، ومن مزراحي، والتحقوا بحركة دينية أخرى تشكلت آنذاك، وعرفت باسم أغودات يسرائيل السابقة الذكر(5).

وبعد صدور وعد بلفور (1917م) انطلقت مزراحي تنظم أنصارها اليهود من أجل ما أسمته بإعادة بناء فلسطين، وأقامت حركات شبيبة في دول أوربية عديدة، وأنشأت حركة دينية قومية تربوية منها شبكة المدارس الدينية، وخلال العشرينات أخذ نشاطها ينتقل إلى فلسطين، حيث كرّست معظم جهودها في توسيع شبكة المدارس الدينية، وإنشاء محاكم دينية للأحوال الشخصية، وتمثلت المنظمة في المؤسسات اليهودية في فلسطين.

وفي عام (1920م) نقلت مزراحي مركزها العالمي إلى القدس، وكان أول إنجاز لها في فلسطين تشكيل مؤسسة الحاخامية الرئيسة في القدس عام (1921)(6) بمساهمة من سلطات الانتداب البريطاني على فلسطين(7)، وبمبادرة من الحاخام "إبراهام اسحق كوك" الذي أضحى من أبرز منظري الأصولية الصهيونية(8)، وفي المؤتمر الذي عقدته مزراحي عام (1926م) أعلنت عن أيديولوجيتها بصيغة موجزة تقول: «المزراحي عبارة عن اتحاد صهيوني قومي، وديني يسعى إلى بناء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقاً لقوانين التوراة، والشريعة»(9)، ويضاف إلى ما سبق أن أهم منجزاتها في فلسطين فيما بين الحربين العالميتين الأولى، والثانية ما يأتي:

أ- تشجيع ودعم الهجرة اليهودية، وأهمها: من دول أوروبا الشرقية إلى فلسطين.

ب- تجذير، وعبرنة العمل، والنشاطات من خلال المؤسسات المصرفية، والصناعية، والثقافية، والدينية(10).

---

(1) انظر: النظام السياسي الإسرائيلي: سعد تيم. ص443. دار الجيل. بيروت (ط1: 1989م).
(2) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: عبدالفتاح محمد ماضي. ص245.
(3) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص18: 19.
(4) انظر: نفسه. ص19.
(5) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص315: 316. دار الجيل. عمان. (ط: 1988م).
(6) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص 86.
(7) انظر: دار الحاخامية ودورها السياسي في الكيان الصهيوني: د. نديم عيسى. ص29. مجلة الزحف الكبير. جريدة القادسية العراقية. ع1. حزيران: 1999م.
(8) انظر: حمار المسيح الأصولية اليهودية الحاضر والجذور. سفي خلافسكي. ص94 وما بعدها.
(9) انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: عبدالفتاح محمد ماضي. ص248.
(10) انظر: السيف الأحمر: د. جمال البدري. ص115.

2 ـ هبوعيل مزراحي، أي: المركز الروحي للعامل (1922م):

هبوعيل تعني: العامل، ومزراحي: المركز الروحاني، وهم مجموعات من يهود أوربا الشرقية، ومن بولندا على وجه الخصوص أخذت تتوافد على فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى ضمن ما يسمى بالهجرة الثالثة (1919: 1923م)، وكان من بين هؤلاء المهاجرين شباب ينتمون إلى منظمة مزراحي، متأثرين بالتيارات الاشتراكية فأعلن هؤلاء في ربيع (1922م) عن تأسيس منظمة في فلسطين كمنظمة دينية قومية اشتراكية، وتعاونت مع الاشتراكيين العلمانيين(1)، وهدفت إلى تحقيق رفاهية العمال، وممارسة الاستيطان، والتربية الدينية، وظلت هبوعيل مزراحي تعمل كجزء من مزراحي ضمن إطار المنظمة الصهيونية العالمية، إلا أنها أخذت تلعب بالتدريج دوراً مستقلاً عنها في اليشوف(2).

وبذلك شكل هبوعيل مزراحي جناحاً للحركة الصهيونية بين صفوف العمال، وأعلنت الاشتراكية أن مبادئها بناء البلاد بحسب تقاليد التوراة، وتقاليد العمل(3)، وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على تدهور العلاقة بين هبوعيل مزراحي، ومزراحي التي لم تحسب على المعسكر العمالي، وبمرور الوقت زاد التوتر في العلاقة بينهما واستاء قادة الأولى من منهج الثانية في تمثيل مصالحهم بالمؤسسات، والهيئات الصهيونية، وأخذوا يميلون إلى الاستقلالية، ومن ثم أخذت حركة هبوعيل مزراحي تظهر بقوائم مستقلة في انتخابات المؤسسات اليهودية في فلسطين بل إنها انضمت إلى الهستدروت في أواخر العشرينات.

وقد حافظت المنظمتان على أطرهما المستقلة في فلسطين، بيد إن قوة هبوعيل مزراحي أخذت تتعاظم خلال تلك المرحلة، حيث أصبحت أبرز القوى الأصولية العاملة في فلسطين، وأكثرها تأثيراً، ويعود ذلك إلى طابعها كمنظمة عمالية في نشاطها الاستيطاني، وبالتالي أضحت قادرة على استيعاب الهجرات، والأعضاء عبر الخدمات التي كانت توفرها للمهاجرين الجدد على غرار القوى العمالية العلمانية(4).

3 ـ حزب المفدال، أي: الحزب الديني القومي (1956م):

هو حزب ديني قومي نشأ من توحيد حزبي مزراحي، وهبوعيل مزراحي اللذين يعملان ضمن إطار النظام السياسي الصهيوني بعد قيام إسرائيل؛ ونظراً لانشغالهما بأوضاعهما الداخلية برز اتجاه يسعى إلى توحيدهما في حزب واحد، وكان لهذا التوحيد أسبابه العامة، والذاتية. فالعامة: تتمثل في أن التوحيد يمنح الحزبين وزناً، ونفوذاً كبيرين. والذاتية: توفر لزعامة مزراحي قاعدة جماهيرية عريضة، كما توفرلهبوعيل مزراحي الإمكانات المادية المتوفرة لمزراحي من تنظيمه العالمي، وكانت الخطوة الأولى للاتجاه الجديد هو توحيد المنظمتين التابعتين للحزبين خارج فلسطين عام (1955م)، وبعد التوحيد الخارجي دعا هذا الاتجاه إلى عقد مؤتمر مشترك في فلسطين عام (1956م) أقر فيه التوحيد داخلياً، وبهذا جاءت ولادة الحزب الديني القومي الذي عرف اختصاراً بـ(المفدال)(5).

وأعلن المفدال أنه سيعمل على بناء دولة إسرائيل، ودعمها، وتطويرها دينياً، وثقافياً، وأمنياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وينمي حبها، والإخلاص لها بين اليهود، ويسعى إلى إقامة مجتمع مبني على الأسس الروحية، والاجتماعية، والدينية الواردة في التوراة كخطوة لنظام التوراة، والعمل في الدولة، ويقبل الحزب في صفوفه كل يهودي، أو يهودية بلغ السابعة عشر من عمره، ويلتزم بالفرائض الدينية، ويحافظ على تعاليم التوراة، ويتضامن مع أهداف، ومبادئ الحزب مؤكداً على دور دار الحاخامية كسلطة دينية عليا في الدولة(6) مطالباً بمنحها المكانة اللائقة بمكانة الأمة الروحية الدينية المؤسسة، وواصل الحزب الإمساك بزعامتها حتى عام (1993م)، وعدَّها مرجعيته الشرعية العليا(7).

وقد انشغل الحزب منذ تأسيسه بالسعي لفرض الشريعة اليهودية الهالاخاه على الحياة الاجتماعية، والسياسية في الكيان الإسرائيلي، ويوجه جل اهتمامه نحو القضايا الداخلية المتصلة بالطابع الديني للمجتمع الإسرائيلي، وتلك التي ترعى مصالح جمهور المتدينين بشكل مباشر، ويقلل من التدخل في السياسة الخارجية الأمنية، وكذلك الاقتصادية، والاجتماعية، وقد ركز المفدال من خلال مشاركته المتواصلة في السلطة على إنشاء، وتنظيم المؤسسات الدينية، والاجتماعية الموجهة؛ لتلبية حاجات

(1) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص86 - 87.
(2) انظر: نفسه. ص87.
(3) انظر: الأحزاب اليهودية في العالم اليهودي: مجلة كيفوئيم. ص8. بغداد. تشرين الثاني. 1984م.
(4) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص32.
(5) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص87: 88.
(6) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص319.
(7) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص 85.

جمهوره، وتوسيعها من الخدمات الصحية، والاجتماعية، وسعي للحفاظ على اتفاق الوضع الراهن بين الأصوليين، والعلمانيين، والموروث من مرحلة ما قبل الكيان الإسرائيلي، والذي يختص بالعلاقة بين الدين والدولة، وإرسائه على أساس تشريعي(1)، وقد طلب الحزب بوضع خطة رسمية شاملة للاستيطان في جميع أنحاء أرض إسرائيل بما في ذلك الضفة الغربية المحتلة يهودا، والسامرة، وقطاع غزة، وهضبة الجولان، ويُدعم إقامة المدن، والقرى، والمستوطنات الزراعية في أرض إسرائيل المحررة.

ويعارض إقامة دولة فلسطينية، والتنازل عن الضفة الغربية؛ لأن في إقامتها عدم العدل إضافة إلى حق اليهود على هذه الأرض(2)، وقد دعا حزب المفدال في برنامجه الاستيطاني إلى عدة مبادئ، أهمها ما يأتي:

1. حق اليهود الديني، والتاريخي في أرض الميعاد.
2. قيام دولة واحدة فقط ما بين البحر، ونهر الأردن هي إسرائيل، وعاصمتها القدس.
3. ضمان حدود قابلة للدفاع، وعمق استراتيجي كاف عن دولة إسرائيل.
4. إقامة دولة تسودها نصوص الشريعة اليهودية، وروحها مع السعي للمحافظة على الطابع اليهودي للدولة روحاً، وثقافة.
5. ضرورة استمرار الهجرة.
6. إلغاء القوانين الأجنبية التي لا تزال متبعة في إسرائيل، واستبدالها بقوانين التوراة.
7. عدم التنازل عن أي جزء من أرض إسرائيل التي تم احتلالها، واستيطانها.
8. أن الحزب سيظل يعمل على توسيع حدود القدس الموحدة الخالدة لشعب إسرائيل(3).
9. عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية؛ لأن هدفها تدمير إسرائيل.

وقد عارض المفدال إقامة دولة فلسطينية، والتنازل عن الضفة الغربية ليس لأن هذه الدولة تشكل خطراً أمنيا على إسرائيل وحسب؛ بل لأنه لا يوجد عدل في إقامة دولة كهذه بالإضافة إلى حق اليهود على هذه الأرض من وجهة نظرهم.

وأما الهيكل التنظيمي للحزب فيتكون من الآتي:

1- **المؤتمر:** وهو أعلى سلطة في الحزب، وهو الذي يقرر النظام الداخلي له، ويقوم بانتخاب هيئاته.

2- **اللجنة المركزية:** تعد أعلى سلطة في الحزب خلال الفترة التي تفصل بين عقد المؤتمرين، وتكون مهمتها اختيار هيئاته العليا.

3- **الإدارة المشتركة:** وهي التي تقوم بمهمة تأسيس البنية التحتية، ومهام الدوائر العاملة، وتقوم بتعيين رؤساء تلك الدوائر، وكذلك السكرتارية العامة(4).

أما من الناحية الاثنية فيتكون حزب المفدال من:

- (45%) من اليهود السفارديم، و(55%) من الأشكنازيم.
- تتشكل تركيبته الطبقية من (57.35%) من العمال، وخاصة غير المهرة، ويأتي بعدهم الحاخامون، والمثقفون، وأصحاب المهن الحرة، ويشكلون نسبة (12.97%) أما القطاع الثالث فهم الحرفيون، ويشكلون (6.96%) أما الشرائح المتبقية فتشكل النسبة الباقية، وعلى صعيد النخب فإن غالبية قيادات الحزب من الأشكنازيم، وهذا ما يفسر لنا أسباب كثرة الانقسامات داخل الحزب، وخاصة أن هذه الانقسامات قامت بها القيادات السفاردية؛ لإحساسهم بالغبن داخل الحزب(5).

والملاحظ أن قواعد الحزب، وقياداته هي من أصول أشكنازية بالدرجة الأولى(6)، وقد ظل هذا الحزب متمسكاً بمبادئه، ومعتقداته الأصولية إذ أعلن منذ البداية بأن مهمته ستكون هي نشر، وشرح الكتابات الدينية، وتربية الناشئة بالروح التوراتية، وهو ما ينطوي على نزعة أصولية واضحة، وتبدو هذه النزعة أكثر وضوحاً في الشعار الأساسي الذي رفعه هذا الحزب، وتمسك به، ومؤداه (أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، وفقاً لتوراة إسرائيل). هذا الشعار السياسي المستند من الأصول الدينية البحتة يدعوا إلى تجديد حياة شعب إسرائيل في أرض إسرائيل بموجب توراة إسرائيل.

وغالباً ما يعبر المفدال عن أفكاره الأصولية من خلال صحيفته هتسوفيه التي تعد أقوى

---

(1) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص54.
(2) انظر: السيف الأحمر: د. جمال البدري. ص231.
(3) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص 319. وانظر: السيف الأحمر: د. البدري. ص231. وانظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة. ص152.
(4) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ص152.
(5) انظر: نفسه. ص153.
(6) انظر: النظام السياسي الإسرائيلي: سعد تيم. ص67.

الصحف الأصولية، وأوسعها انتشاراً داخل، وخارج فلسطين(1)، ورغم أن فلسفة النشأة التي قام عليها المفدال هي الوحدة إلا أنها لم تحول دون ظهور الخلافات، والانقسامات داخله(2)، والتي كان من نتيجتها أن ساد نظام التكتل الداخلي، وأهمها:

- كتلة لا منفية بزعامة يوسف بورغ.
- كتلة الشباب بزعامة زفلون هاملر.
- الكتلة المركزية بزعامة زيرخ متيسغ.
- كتلة التغيير بزعامة أهارون أبو حتسيرا، وقد أدت هذه التكتلات إلى إضعاف مركز الحزب، وتعريضه لخطر التمزق(3)، إلا أن المعتقدات الدينية المشتركة قد خففت إلى حد ما من حدة الأزمة داخله(4).

وقد تعرض الحزب في ثمانينات القرن العشرين إلى انشقاقات عدة أدت إلى إضعافه، وخسارته لجزء كبير من قاعدته الانتخابية فعشية انتخابات الكنيست العاشر(1981م) انشق عنه جمع من أبناء الطوائف الشرقية السفارديم فيما تزعمهم "أهارون أبو حتسيرا" احتجاجاً على سيطرة الاشكناز على قيادة الحزب، ومؤسساته، وأسسوا حزباً جديداً باسم (تصرعات مسورت يسرائيل = حركة تراث إسرائيل) عرف اختصاراً بحزب (تامي)، وجذب إليه في انتخابات ذلك العام جزءاً لا يستهان به من ناخبي المفدال الشرقيين السفارديم، وفاز بثلاثة مقاعد في الكنيست(5).

وفي عام (1983م) انشق عن المفدال أيضاً مجموعة متطرفة سياسياً، ودينياً، وتزعمها الحاخامان "يوسف شابيرا"، و"حاين دروكمان"؛ احتجاجاً على مواقف قيادة الحزب من عدد من الأمور السياسية، والاستيطانية، وأسست حزباً جديداً عرف باسم (مفلاغا تسيونيت داتيت = الحزب الصهيوني الديني) الذي عرف اختصاراً بحزب (متساد)، واتحد متساد في عملية انتخابات الكنيست الحادي عشر (1984م) مع بوعالي أغودات يسرائيل بزعامة الحاخام "إبراهام فيرديغر" مع مجموعة من أعضاء غوش إيمونيم المنشقين عن هتحيا بزعامة حنان بوارت مؤسسين بذلك حزباً سمي (مرشاه = التراث)(6)، وقد عاد شابيرا، ودروكمان، وبورات فيما بعد إلى صفوف المفدال بعد تنقلات حزبية متعددة، ومختلفة، وقد سيطر المفدال لمدة طويلة على دار الحاخامية، وعلى مؤسسات التعليم الديني الرسمي، ويدير مدارس مهنية ومدارس تلمود علياً، ويتمتع بنفوذ قوي في جامعة بارإيلان الدينية التي أنشأت في خمسينات القرن الماضي، ويسيطر على مؤسسات مالية، واقتصادية متعددة أهمها: بنك مزراحي، وبنك هبوعيل همزراح، وشركة مشحاف للبناء، والإعمار، وتنطق باسمه صحيفة هتسوفية اليومية(7).

وقد شارك المفدال في الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة جميعاً باستثناء حكومة العمل لعام (1992م)، وحكومة شارون الأولى (2001م) التي دعمها بقوة وإن لم يحمل حقيبة وزارية فيها مع انسحابه غير مرة من تلك الحكومات لأسباب مختلفة معظمها يتعلق بالسبت. أما عن تمثيله في الكنيست فقد حصل الحزب قبل توحيد شطرية على (10) مقاعد في الكنيست الأول (1949م) ضمن إطار الجبهة الدينية التوراتية التي ضمت إلى جانب شطري الحزب أغودات يسرائيل، وبوعالي أجودات يسرائيل، وأمسك بعدد المقاعد ذاته في انتخابات الكنيست الثاني عام (1951م) حيث كانت حصة مزراحي منها (2)، و(8) لهمبوعيل همزراحي أما انتخابات عام (1956م) التي خاضها باسم الجبهة الدينية القومية، وانتخابات عام (1965م) فقد حصل فيها على (11) مقعداً مقابل (12) مقعداً حازها في انتخابات الأعوام (1959/ 1961/ 1969/ 1977م). أما انتخابات الكنيست الثامن عام (1973م) فقد حصل فيها على (10) مقاعد في حين حصل على (6) مقاعد في انتخابات (1981/ 2003/1992م) بينما كان أدنى عدد شغله الحزب من مقاعد الكنيست هو (4) مقاعد في انتخابات الكنيست الحادي عشر عام (1984م)، وحصل على (5) مقاعد في انتخابات عامي (1999/1988م)

---

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص114.
(2) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿... الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات﴾ (سورة الحشر، آية: 14)
(3) انظر: المتغيرات الداخلية في صنع السياسة الخارجية الإسرائيلية: هدى شاكر معروف. ص170. مخطوط رسالة ماجستير عام: 1986م. معهد البحوث والدراسات العربية. جامعة بغداد.
(4) انظر: الحزبية في إسرائيل بين الاستمرارية والتغير: ناثان ياني. ص242. ترجمة: مركز بحوث منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الشرق الأوسط جامعة كولمبيا. بغداد (ط: 1998م)
(5) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص55.
(6) انظر: نفسه. ص56.
(7) انظر: الصحافة والمجتمع الإسرائيلي: حبيب قهوجي. ص249. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. دمشق(ط: 1974م).

أما انتخابات الكنيست الرابع عشر التي جرت عام (1996م) فقد حصل فيها على (9) من مقاعد الكنيست الـ(120)(1).

4 ـ حركة كاخ، أي: رابطة الدفاع اليهودية (1972م):

هي حركة عنصرية سياسية أصولية صهيونية متطرفة إرهابية تأسست عام (1972م) على يد الحاخام "مائير كاهانا" الذي هاجر إلى إسرائيل عام (1971م) قادماً من بروكلين في الولايات المتحدة فأنشأ الحركة امتداداً لحركة (عصبة الدفاع اليهودية) الإرهابية في الولايات المتحدة، واسمي حركته حركة دوف، وتعني بالعبرية: قمع الخونة، وتعد حركته من أشد الحركات السياسية تطرفاً، وعنصرية في الساحة الإسرائيلية، وهي الحركة الوحيدة التي تمثل الموقف الصهيوني الحقيقي، ودون مواربة، بحيث تعتقد أنه لا يمكن تحقيق جزء من الحلم الصهيوني فقط لذلك فإن دولة إسرائيل إن لم تكن دولة يهودية صرفة فستكون دولة نشالين، ونصابين تشرد الأهلين عن أرضهم، ومن هنا يجب سلخ، وتشريد العرب عن الأرض نهائياً؛ لأن وجود العرب يعني التناقض، ولذلك يجب حل التناقض بشكل جذري عن طريق التصفية الشاملة للوجود الفلسطيني مادياً، وبشرياً بالقوة، وإزالة المعالم الإسلامية، والنصرانية من البلاد(2)، حيث قال: «إن على العرب أن يرحلوا كي لا نضطر إلى ذبحهم، ... إن الصهيونية قامت لبناء وطن لليهود فقط، وأن لا مكان للعرب بينهم»(3). وهذا من أهم المبادئ التي تقوم عليها.

فهي حركة تستخدم العنف ضد العرب بوحشية، وبدون تمييز(4) ففي آذار من عام (1973م) أعلن في مؤتمر صحفي بأنه ينوي بأن يعمل من أجل ترحيلهم، وأنه سوف يبيع حصص اليهود في إسرائيل، وفي العالم؛ كي يشتري ممتلكات العرب الذين سيخرجون إلى أمريكا، واستطاع كهانا أن يجلب بعض المئات من أجل المظاهرات، ويشعل فيهم الإرهاب لبغض العرب، وركز في نشاطه على العمليات السرية، والليلية ضد العرب، وممتلكاتهم، والتحريض عليهم في الأماكن التي تحدث فيها العمليات الفدائية(5)، وقد اشتمل برنامجه على عدة قضايا تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، أهمها ما يأتي:

1. إن الحدود الطبيعية لإسرائيل من النيل إلى الفرات، وهذا يتطلب منها احتلال أجزاء واسعة من سوريا، ولبنان، والأردن، والعراق، ومصر؛ لإكمال حدودها.

2. طرد المواطنين العرب من إسرائيل حتى لا يحدث خلل ديموغرافي في دولة إسرائيل لصالح العرب نظراً لنسبة الولادة المرتفعة لديهم.

3. يمكن للمواطنين العرب الموجودين في إسرائيل البقاء فيها في حالة موافقتهم على أن يكونوا بلا مواطنة، أو أية حقوق مدنية، وأن يقوموا بكافة الواجبات التي تفرض عليهم من الضرائب، والأعمال الشاقة، وقبول العبودية،... الخ.

4. توسعة الاستيطان، والمحافظة عليه؛ لأنها مسألة حيوية لإسرائيل يجب المحافظة عليها، وتوسيعها بالقدر الممكن.

5. إن مدينة القدس ملكاً خاصاً لليهود دون غيرهم، ولذا تدعو إلى تدمير المسجد الأقصى الشريف، وباقي المقدسات الإسلامية في المدينة.

6. تدعوا إلى ضم الضفة الغربية، وقطاع غزة إلى إسرائيل، وطرد سكانها، وترحيلهم؛ لتوطينهم بالدول العربية.

7. تنص إيديولوجيتها العنصرية على عدم وجود شعب فلسطيني، أو قضية فلسطينية، كما ترفض بشكل مطلق قيام دولة فلسطينية.

8. أرض إسرائيل الكبرى هي لليهود، وليس هناك إمكانية للتنازل عن أي شبر من هذه الأرض لأي سيادة أجنبية مهما كان نوعها، والسلام لا يعني التسليم بأجزاء أرض فلسطين(6).

ولهذا ظهرت وحشية هذا الحركة، وأعمالها الإرهابية في التصدي للهجمات التي شنتها المقاومة الفلسطينية ضد أعضاء هذه الحركة، وضد طلاب الجامعة الإسلامية في الخليل، وقد بلغت الأعمال الإرهابية التي نفذتها الحركة ضد المواطنين العرب ذروتها في عامي (1982م)، و(1983م) فقد نشرت مجلة هعولام هازية مقالاً بعنوان: الفاشية الجديدة في إسرائيل للكاتب "دان عومر" بين فيه أن من بين العمليات الإرهابية التي قامت بها حركة كاخ الآتي:

---

(1) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص57
(2) انظر: مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي: فيليب سيمون. ص25. ترجمة: عائدة عمر. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).
(3) القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص161، وانظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص393.
(4) انظر: مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي: فيليب سيمون. ص50.
(5) انظر: نفسه. ص48: 50.
(6) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي، ص394: 395.

1- محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى.
2- خطة تفجير قبة الصخرة.
3- إطلاق النار على المصلين في الصخرة.
4- مقتل عضو حركة السلام: إميل غرينسفايج.
5- سلسلة القنابل المفخخة في منطقة القدس.
6- إحراق السيارات العربية في حي أبو طور.
7- الاعتداء على رؤساء البلديات في الضفة الغربية، ومحاولة اغتيالهم[1].

وعملت الحركة على تشجيع هجرة العرب من فلسطين، وأقامت في سبيل ذلك صندوق الهجرة بمساعدة يهود العالم؛ لتحقيق هذا الهدف، وطرحت للعرب الفلسطينيين ثلاث حلول:

1- الهجرة.
2- قبول الجنسية الإسرائيلية بعد (5) سنوات من تقديم الطلب، وبعد إجراء تحقيق أمني شديد.
3- أن يكونوا سكاناً لا يتمتعون بحق المواطنة، وبذلك يعفون من التجنيد.

ثم خاضت الحركة برنامجها الانتخابي تحت شعارات:

1- ضرورة قتل العرب، وطردهم أينما وجدوا.
2- منح العفو عن التنظيم السري الإرهابي.
3- حرمان المواطنين العرب من كافة الحقوق، والمساعدات الممنوحة لهم، والعمل على زجهم بالمعسكرات للقيام بالأعمال الشاقة[2].

وقد اشتركت كاخ منذ تأسيسها في كل المعارك الانتخابية باستثناء انتخابات الكنيست العاشرة الذي رفضت فيه اللجنة الانتخابية قائمة كاخ؛ بسبب برنامجها الانتخابي الذي تظهر فيه عنصريتها المتطرفة، كما وأخفقت مرتين في عامي (1977: 1981م) لنفس السبب، ولم تتمكن من الدخول إلى الكنيست بسبب عدم حصولها على الأصوات المطلوبة حتى انتخابات الكنيست الثاني عشر الذي حصلت فيه على مقعد واحد فقط عام (1984م)؛ وذلك لحصولها على (25.000) صوت[3]، وقد أدى ذلك إلى حدوث هزة سياسية عنيفة في إسرائيل جعلت المحكمة العليا تحكم بما يأتي:

- إن حركة كاخ تدفعها مفاهيم عنصرية، ومضادة للديمقراطية، وتدعم نشاط الإرهابيين بشكل عام، وتثير الضغينة، والكراهية بين أقسام السكان المختلفة.
- تعمل على التشهير بالمشاعر الدينية لأقسام معينة من المجتمع، وتقلل من شأن أسس الديموقراطية في إسرائيل[4].

تجدر الإشارة إلى أن معظم أتباع كاخ هم من الشباب المتطرفين الذين لا تتجاوز أعمارهم العشرين عاماً، والذين هم من نتاج التربية العنصرية في إسرائيل، وهؤلاء الأتباع متواجدون بين اليهود الشرقيين، والغربيين إلا أن نسبة تأييد الشرقيين لها أكبر من الغربيين، كما دلت على ذلك الأصوات التي حصلت عليها الحركة في انتخابات عام (1981م)، حيث حصلت على (2.8%) من أصوات الشرقيين فيما حصلت على (1.9%) من أصوات اليهود الغربيين[5].

وتراجعت نشاطات الحركة بشكل ملحوظ بعد مقتل مؤسسها، وزعيمها كاهانا في (1990/11/6م)، حيث فقدت بمقتله مصدر قوتها، وحدث ضعف في تنظيمها الداخلي أدى إلى انشقاقها إلى تنظيمين:

<u>الأول</u>: بزعامة باروخ مرزبل، وأطلق عليه الاسم الأصلي للحركة حركة كاخ.

<u>الثاني</u>: بزعامة بنيامين كاهانا ابن مائير كهانا، وأطلق عليه اسم كهاناحى[6].

5 ـ غوش إيمونيم، أي: أمناء العهد (1974م):

هي منظمة أصولية استيطانية[7]إرهابية غير شرعية تأسست عام (1974م) في ظل موجه الاحتجاج الواسعة النطاق التي برزت في إسرائيل في أعقاب حرب تشرين (1973م)، وظهرت غوش ايمونيم كقوة اجتماعية سياسية، حيث عقدت مؤتمرها التأسيسي في منزل الحاخام حاييم دروكمان في شباط (1974م)، إلا أنها احتسبت في حينه كتلة أخرى من المفدال، ولكن بعد أن

---

(1) انظر: نفسه. ص398.
(2) انظر: نفسه. ص395.
(3) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ص161.
(4) انظر: مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي: فيليب سيمون. ص78.
(5) انظر: العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي: رشيد عمارة يس. ، ص162.
(6) انظر: نفسه. ص118.
(7) انظر: السيف الأحمر: البدري. ص143: 165.

أعلن المفدال عن انضمامه إلى الائتلاف الحكومي برئاسة حزب العمل قرر زعماء الحركة الابتعاد عن المفدال الذي لم ينسحب من الحكومة(1).

وهكذا انفصلت قاعدة المفدال الشابة عن قمته الهرمية؛ لتغدوا غوش إيمونيم حركة مستقلة أنشأت لها في نفس العام هيئة عليا أطلق عليها اسم سكرتارية غوش إيمونيم، واعتبرت اللجنة الوحيدة ذات الصلاحية في اتخاذ قرار الحركة، واتخذت قراراً هاماً هو: «أن لا تتدخل حركة غوش إيمونيم بأي موضوع ذي صبغة دينية، وإن اهتمامها سينحصر في الموضوع السياسي المتعلق بأرض إسرائيل الكاملة، ألا وهو الاستيطان»(2).

وفي عام (1976م) أنشأت غوش إمونيم منظمتها الاستيطانية المستقلة، والمسماة أمناه العهد رسمياً، وانتظمت مستوطناتها ضمن رابطة المجالس المحلية في الضفة الغربية، وقطاع غزة، وأتاح المجلس للمنظمة إقامة مركزاً إدارياً لهيئة شبه رسمية، وموارد اقتصادية لا بأس بها، وتدخلاً مباشراً في السياسة الحكومية حيال الأراضي المحتلة، وارتبطت الحركة بعدد من الجماعات، والمؤسسات المتداخلة، والمتخصصة مثل: الدعاية، واستملاك الأراضي، والتوظيفات الاقتصادية، والبناء، واستقبال المهاجرين، والاتصالات السياسية، والأمن، والبحوث، والنشر، والقضايا الفنية. أما دعاتها فكانوا من الطبقة الوسطى من الأشكناز المثقفين، وارتبطوا بعلاقات وثيقة بالنخب الحاكمة، وظلت غوش إيمونيم حركة استيطانية، ولم تتحول إلى حزب سياسي، ولم تظهر لها قائمة بأسماء أعضائها، ولم تبرز لها زعامة منتخبة، وهو ما أكده بنحاس فرنشتاين ــ أحد أبرز زعمائها ــ بقوله: «...لا تعتبر غوش إيمونيم حركة منظمة، ...، وإنما هي حركة فكرية، ويعتبر كل شخص موافقاً على السير في طريقها عضواً في غوش إيمونيم، وكان زعماؤها ينظرون لأنفسهم نظرة تتجاوز الأطر الحزبية، والبرلمانية إذ أدعوا لحركتهم شرعية مبنية على القيم الدينية، والإنقاذ البنيوي»(3).

وقد بدأت تعمل كحركة خارج النطاق البرلماني، ومهمتها زرع الأرهاب في نفوس العرب؛ بقصد دفعهم إلى الجلاء، والهجرة عن أرضهم؛ تمهيدا لإقامة المزيد من المستوطنات عليها(4).

وبهذا فقد مثلت ثورة على صعيد الفكر السياسي للأصولية الصهيونية، والفكر السياسي الإسرائيلي بشكل عام. فإذا كانت الأصولية الصهيونية قد أضفت على الحكومة الإسرائيلية طابعاً قدسياً رغم علمانيتها فإن غوش إيمونيم بتخليها عن العمل ضمن إطار النظام السياسي الإسرائيلي أعلنت أنها تمثل الإرادة الإلهية المعبر عنها في المصادر القدسية اليهودية التي ما انفكت الحركة تلحق بها تفسيرات ميتافيزيقية، ومن ثم وضعت نفسها فوق الحكومة، وقوانينها.

ونظراً لأن الحركة ظلت تعد نفسها ممثلة للإرادة الإلهية التي تقف خلفها، وتسندها من هذا المنطلق شرعت في عملياتها الاستيطانية، بيد أنه بعد توقيع اتفاقيتي السلام مع مصر، وتسليم سيناء لها، وإخلاء المستوطنات منها، ولم تأت الإرادة الإلهية لنجدتها في سعيها لإيقاف إزالة المستوطنة بل إن الشخص الذي تولى المهمة هو نفس الشخص الذي كان أول داعم لها، والذي عدته زعيمها غير المتوج الجنرال آرييل شارون.

ولقد نجحت الحركة في بناء العديد من المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة عام (1967م)، لكنها أخفقت في ملئها بالمستوطنين. فرغم ما اتسمت به تلك المستوطنات من مزايا سكنية إلا أن الفرد الإسرائيلي الذي اعتاد السكن داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام (1948م)، وارتبط عمله فيها، وأضحت بطبيعة الحال أكثر تطوراً لم تكن لديه الرغبة في الاستيطان في مناطق أقل تطوراً، وغير مستقرة أمنياً، وسياسياً(5).

وهكذا يمكن القول بأن الإطار الاستيطاني المسمى أمناه، أي: الميثاق هو الذي يضم جميع الجوانب الخاصة بفكرة غوش إيمونيم، حيث عكس جوهر الفكر السياسي لهذه الحركة، وهو القضاء على أي احتمال للانسحاب من المناطق العربية المحتلة عام (1967م)، ورفض اتفاقات سلام كامب ديفيد(6).

وفي عام (1985م) تشكل تحالف برلماني لممارسة الضغوط لمصلحة أهداف غوش أيمونيم الاستيطانية، وضم أعضاء من خمسة أحزاب مختلفة، وكان لهذا التحالف (23) مقعداً في الكنيست، وزاد العدد إلى (38) عضواً في غضون أربعة أشهر، ويعزى قدر كبير من نجاحها إلى

(1) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص119.
(2) القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص59
(3) الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. ص119: 120.
(4) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص398.
(5) انظر: القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي: أنور الحيدري. ص61.
(6) انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبدالله. ص3.

تمكنها من تطوير علاقتها مع زعماء الليكود الصهيونية التصحيحية(1)(2).
وتعد فتاوي، وكتابات الحاخام كوك المنطلقات الأساسية للحركة، حيث قال: «أن جميع هذه البلاد لنا جميعاً، ولا يمكن تسليم أجزاء منها للآخرين ... »(3) فجاءت مبادئ، وأهداف (غوش إيمونيم) على نفس المفاهيم التي حددها كوك، حيث جاء في برنامجها السياسي: «يجب البدء فوراً بفرض السيادة اليهودية التامة على جميع أرجاء أرض إسرائيل التي بحوزتنا...»(4)، وعلى هذا الأساس عملت الحركة على إنشاء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة حيث وصل عددها إلى (130) مستوطنة منذ عام (1967: 1992م)، وبذلك حولت الحركة البعد الديني إلى مبادئ لمشروع عمل سياسي، واستيطاني(5) .
وقد تعهد أعضاء غوش إيمونيم بقضاء حياتهم من أجل ضمان ضم الضفة الغربية، وقطاع غزة إلى دولة إسرائيل بصورة نهائية، واستعجال الوتيرة التي يتمم فيها الشعب اليهودي خلاصه، وهذا ينطوي في نظرهم على بسط السيادة اليهودية على أرض إسرائيل الكاملة وفق ما جاء في التوراة.
وبناءً على هذه الأهداف نجحت غوش إيمونيم في إثارة حماس الأصوليين، وتجنيد مؤيدين لها من القوى العلمانية إذ انخرط الألوف من الإسرائيليين في نشاطها السياسي الاستيطاني من أجل الأهداف الأصولية المزعومة(6).
وأهم مبادئ الحركة بالإضافة لاعترافها بأن كل أرض إسرائيل ملك للشعب اليهودي، ومطالبتها بانجاز الوعد، والإشراف على الأرض كتأكيد للوجود الإسرائيلي ما يأتي:
1- البدء بسرعة بإشراف يهودي كامل على كل المناطق في أرض إسرائيل بما في ذلك الضفة الغربية، وهضبة الجولان، حسب حدودها الحالية، وقطاع غزة.
2- يجب خلق وعي قومي واضح بالتعليم، والتثقيف بأن كل المناطق التابعة لإسرائيل هي أرض واحدة لن تتجزأ.
3- إيصال رسالة للعالم بأن إسرائيل ستحارب ضد أية محاولة لفرض الانسحاب من أي جزء من أرض إسرائيل سواء بوسائل عسكرية، أو سياسية، ولن تتخلى عن هذا النضال الضروري طالما أن لديها القوة للاستمرار(7).
4- إن إدراك سيادة إسرائيل كاملة على أرض إسرائيل تشمل أيضاً الاستقلال دون الاعتماد على الدول الأجنبية، وبذل الجهود لتأمين استقلال سياسي، واقتصادي، مع تأسيس سياسة قومية مستقلة لا تتأثر، أو ترتبط بأي دولة أجنبية.
5- يجب أن توضع أسس علاقة إسرائيل بدول العالم على علاقات أخلاقية، وتفاهم مشترك تساعد خلالها أي دولة في المجال الذي تظهره، وتريده، حتى لا يحط من قدر إسرائيل أمام دول العالم.
6- إن حركة إيمونيم ترى أن الاستيطان تعبيراً حقيقياً، وعميقاً للارتباط بالأرض، وعاملاً قوياً ضد من يقلل من شأن الأرض سواء في الداخل، أو الخارج، وستعمل بلا كلل للتوسع في إقامة المستوطنات على اختلاف أنواعها.
7- يجب أن نمنح لعرب فلسطين (48م)، والأقليات الأخرى كل الحقوق الشرعية، والخاصة التي يتطلبها كل شخص من الهجرة، والتملك، والحريات الشخصية، وعدم إنكار هذه الحقوق إلا لاسباب أمنية مباشرة، وسندرس إمكانية منح الجنسية الإسرائيلية لأي مواطن غير يهودي، ومن يرفض الجنسية منهم نشجيعهم على الهجرة، هذا وهي تزعم بأنها لا تريد طرد العرب من أرضهم، ولكنها تريد فرض السيادة اليهودية على هذه الأرض، أرض الآباء، والأجداد(8). وهذه المزاعم بلا شك ظاهرة الكذب إذا علمنا أن من أهم مساعيها، ومبادئها حمل أعداد كبيرة من السكان اليهود على اعتناق

(1) الصهيونية التصحيحية هي: تيار صهيوني نابع من فكر جابوتنسكي ظهر داخل المنظمة الصهيونية عام 1923م، بهدف تصحيح أو مراجعة، أو تنقيح السياسة الصهيونية، وينادي برنامجها إلى: إنشاء دولة صهيون على ضفتي الأردن. رفع أية قيود على الهجرة اليهودية إلى فلسطين. مصادرة جميع الأراضي المزروعة والعامة في فلسطين، ووضعها تحت تصرف الحركة الصهيونية (انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري. ج2. ص281).
(2) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص16.
(3) غوش إمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية: داني روبنشتاين. ص87.
(4) نفسه: ص91.
(5) انظر: الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: د. نديم عيسى. ص121.
(6) انظر: نفسه. ص121: 122.
(7) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص400.
(8) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص401.

أيديولوجيتها في بعض العقائد، والمواقف، والبرامج السياسية التي تعد من قبيل التطرف في نظر السواد الأعظم من الأصوليين اليهود فطالبت في أواخر الستينات بتدمير المقدسات الإسلامية في القدس، وإعادة بناء الهيكل قبل مجيء المسيح، وتشكيل جماعات إرهابية يهودية؛ لضرب العرب المحليين، وإذلالهم، وطردهم،...[1].

كما هو واضح من عرضنا السابق للأحزاب الدينية فبرغم أنها تشكل الأقلية في عدد النخب، والكتل السياسية ذات التوجهات المختلفة اليمينية، واليسارية، والمحافظة إلا أنها احتكرت القرارات، وسيرت السياسة، والنظام وفق رغباتها على اختلاف رؤاها، وتطلعاتها، وتمكنت من بسط نفوذها، وسيطرتها على جميع المناحي التنموية السياسية، وغير السياسية في إسرائيل من خلال منطلقاتها الدينية كما سنبين في الفصل التالي ـ إن شاء الله ـ.

---

(1) انظر: لأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص20.

الفصل السادس

الآثار المترتبة على معتقدات وأفكار نهاية العالم على المجتمع اليهودي

- الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية، ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب السياسي.
- الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية، ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب الاقتصادي.
- الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية، ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب الإعلامي.
- الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية، ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب التربوي التعليمي.

الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب السياسي

بعد أن هاجر عدد من يهود أوربا الشرقية، والغربية، وأمريكا إلى فلسطين ظلت أعداد كبيرة من الأصوليين اليهود موجودةً في كل بلدان العالم التي كانت فيها في السابق مجتمعاتهم اليهودية(1)، ومع قلة عدد المهاجرين منهم إلى إسرائيل إلا أن الأصوليين منهم حاولوا إرساء أسس استقلال إسرائيل المعاصرة(2)، وترجع أهمية وجود الأصولية اليهودية خارج إسرائيل؛ لحشد الدعم المالي، والسياسي للأصوليين في الداخل، بيد أن الأصولية اليهودية في إسرائيل كانت أهميتها أكبر، وظهر دورها في تطوير المجتمع بشكل واضح، حيث أثّرت على الدولة في كل مناحي الحياة المختلفة(3) الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية،...، وغيرها، وذلك عن طريق منظماتها، وأحزابها في الداخل، والخارج، و للأصولية في الداخل دوراً كبيراً في تحديد شكل المجتمع الإسرائيلي، وغاياته، وذلك عن طريق الصراع الذي فرضته، وحددت معالمه، ونشاطاتها الاستيطانية في الضفة الغربية، وقطاع غزة(4).

وقبل قيام إسرائيل عام (1948م) قدمت حركة الكيبوتس(5) لليهود المقيمين في فلسطين أبرز نماذج الوطنية اليهودية، والقيام بالواجب المدني، والإرشاد الروحي، ثم ما لبثت أن فقدت الحركة الكثير من اندفاعها، وتأثيراتها في الخمسينات، والستينات(6).

ومنذ عام (1967م) طرأ تغير على إسرائيل، حيث انخرط الآلاف من الإسرائيليين في نشاط سياسي نضالي من أجل أهداف أصولية فبدأت حركة غوش إيمونيم تقدم من خلال روادها، وقادتها ما يشبه النماذج الوطنية، والقيام بالواجب، والإرشاد الروحي إلى الجيل اليهودي الصهيوني الجديد، وأثبتت قدرتها على القيام بالعمل السياسي الجيد المنظم في قضايا عديدة، وبذلك تكون قد ساهمت في تشكيل الخلق السياسي، والأيديولوجي لجيل كامل(7).

ومما يؤيد هذا نتائج الاستطلاع التي أجرتها المجلة الأسبوعية حداشوت العبرية عام (1987م)، حيث طلبت من الشخصيات الإسرائيلية البارزة شخصية الجيل التي تركت أثراً كبيراً في المجتمع الإسرائيلي خلال الأعوام العشرين الماضية، وقد تقاسم الصدارة في هذا الاستطلاع كل من مناحم بيجن، والحاخام موشيه ليفنغر الذي أقام أول مستعمرة يهودية في الخليل عام (1968م)، واعتبرته غوش إيمونيم مرشدها العام، ووقع الاختيار عليه؛ لأنه كما يقول بوعز أبلباوم أحد مستشاري شمعون بيرس: «جاء رؤساء الحكومة، وذهبوا، أما ليفنغر فلا يزال في الذروة، وكل واحد منا قد كيف نفسه بأبعاده، ومقاييسه»(8)، وبهذا تكون غوش إيمونيم، والذي يمثل موشيه ليفنغر أحد روادها عن طريق نفوذها السياسي قد ساهمت في النظام السياسي، وفي نمو الأصولية اليهودية، وفي تطوير المجتمع(9).

وقد اعترف إليعيزر دون يهيا...وغيره بأن تأثير غوش إيمونيم ربما تجاوز ذروته، ويؤكد هذا جدعون أران، وميرون أرونوف، وليون، ودافيد شنال، حيث يلفتون الانتباه إلى الأثر الثقافي، والنفسي، والديني الواسع الذي خلفته غوش إيمونيم، ومن أهم النتائج التي برزت عن تأثيرها هي إقامة مستعمرات يهودية في مناطق حساسة مليئة بالسكان العرب في الضفة الغربية، وهذه المستعمرات تكذب بل تُنفي الاستعداد الإسرائيلي المُعلن لمبادلة الأرض بالسلام(10)، كما أن دورها كان واضحاً في تنفيذ سياسة الليكود في ضم الأراضي التي عملت على نقل المنظور الأصولي إلى شرائح واسعة من المجتمع الإسرائيلي، وكانت استطلاعات الرأي في المجتمع الإسرائيلي تبين مدى تأثير

---

(1) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن.ج2. ص30: 32.
(2) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص18.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج1. ص34.
(4) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص20: 22.
(5) الكيبوتس كلمة تعني: تجمع، وجمعها كيبوتسيم، وتصغيرها، كيبوتسا، وتعني الهجرة إلى إسرائيل ويعد الكيبوتس من أهم المؤسسات الاستيطانية التي يستند إليها الاستعمار الصهيوني في فلسطين المحتلة، بل يقال أن الكيبوتس من أهم المؤسسات السياسية والاجتماعية على الإطلاق داخل الكيان الصهيوني. وتستخدم الكلمة في الكتابات الصهيونية للإشارة إلى مستوطنة تعاونية، تضم جماعة من المستوطنين الصهاينة يعيشون ويعملون سوياً. (انظر: موسوعة اليهود. د. المسيري. ص464- 448). بتصرف
(6) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص19.
(7) انظر: نفسه. ص 19.
(8) نفسه. ص20.
(9) نفسه. ص20.
(10) انظر: نفسه. ص20.

الأصولية اليهودية على السياسة، وغيرها في المجتمع، وأنها تتمتع بولاء لأغلبية اليهود فيه، والاستعداد المتنامي للموافقة على تنفيذ عناصر أساسية في البرنامج السياسي الأصولي، وعلى وجود المشاعر، والمفاهيم التي تسهل مساعي غوش إيمونيم لحمل أعداد كبيرة من السكان على اعتناق أيديولوجيتها في بعض العقائد، والمواقف، والبرامج السياسية الأصولية التي تعد من قبيل التطرف في نظر السواد الأعظم من الأصوليين كما ذكرنا سابقاً، ومن ذلك مطالبتها بتدمير المقدسات الإسلامية في القدس، وإعادة بناء الهيكل قبل مجيء المسيح، وتشكيل جماعات إرهابية يهودية؛ لضرب العرب المحليين، وإذلالهم، وطردهم(1)، وهذا كما هو ملاحظ خلاف مبادئها الأساسية التي طرحتها في برنامجها السياسي التأسيسي السابق الذكر، وما ذلك إلا لاجتذاب مناصرين، وإثارة حماس الأصوليين، والفوز بمقاعد في الكنيست، ثم مالبثت أن أظهرت وجهها الحقيقي الذي لايقل خطورة عن سابقيه.

وفي عام (1983م) جرى استطلاع للرأي بيّن أن نسبة عدد اليهود الإسرائيليين المستعدين لاعتبار حركة السلام الآن خارجة على القانون أكبر من عدد اليهود الذين يميلون إلى اعتبار غوش إيمونيم غير شرعية، وكان ذلك بنسبة (22%) في مقابل (27%)، كما أظهر استطلاع آخر أن (20%) من يهود إسرائيل يتبنون عقائد، ومواقف، وبرامج غوش إيمونيم المتطرفة، وأن (35%) يتبنون معتقدات، وسياسات لها صلة وثيقة بالمعتقدات السابقة مثل طرد العرب، وضرب رؤساء البلديات عام (1980م)، ومعارضة أي تجميد لإقامة مستعمرات جديدة...»(2).

وفي عام (1987م) جرى استطلاع آخر في إبريل بيّن أن (50%) من يهود إسرائيل عبروا عن تأييدهم لأهم مطالب غوش إيمونيم، وهو أن تظل الضفة الغربية، وقطاع غزة في ظل الحكم الإسرائيلي الدائم، وغير المشروط، ويرى الكاتب إيان لوستيك بأن هذا الاستطلاع أكدته عدة استطلاعات أخرى في الأعوام الأخيرة الماضية بزيادة تتراوح أكثر من (30%) تؤيد المطالبة بضم الأراضي المحتلة بصورة دائمة، وهكذا تبين الاستطلاعات بأن مطالبهم ثابتة لا تتغير(3).

وإذا كانت الأصولية الصهيونية، وخاصة غوش إيمونيم لها أثر كبير على السياسة الإسرائيلية المعاصرة، وتطورها فإن الأصولية الحاريدية استطاعت أيضاً أن تبسط نفوذها على بقية المجتمع منذ السبعينيات، حيث أثرت على أعداد متزايدة من مؤيدي حزب المفدال الذين عارضوا الخروج على تعاليم التلمود الصارمة، وفضلوا المواقف الحاريدية، كما يقول إسرائيل شاحاك فإن هذه العملية قد توازنت إلى حد ما مع تصاعد مكانة مستوطني حزب المفدال الذين ينظر إليهم كرواد للفكر المتمثل في الخلاص، وهبوط المسيح(4).

ويتضح تأثيرها من خلال تعلقها بالماضي اليهودي، وإصرارها على أن اليهود لديهم حق تاريخي في توسيع أراضي إسرائيل إلى ما وراء الحدود الحالية، ويصرون أكثر من الإسرائيليين العلمانيين على التفرد اليهودي المتمثل في بغضهم لمساواة اليهود مع الشعوب الأخرى، ورغبتهم في الاستقرار مثلهم(5).

ومنذ عام (1988م) أصبحت قادرة على بسط نفوذها السياسي في المجتمع، حيث استطاعت تغيير بعض المواقف في الدولة، فلقد كانت مراسم الجلسة الافتتاحية بالكنيست الإسرائيلي قبل عام (1988م) تبدأ بغناء نشيد إسرائيل القومي من خلال مجموعة من الرجال، والنساء الآئي تحرم الشريعة سماع صوتهن على أنه عورة، ويعتبر سماع صوتهن إثماً يعادل الزنى، أو الفسوق، ولكن بعد انتخابات عام (1988م)، ونزولاً على رغبة الحاريدية قام مغن رجل بالغناء بدلاً من المجموعة المشتركة، وبعد انتخابات عام (1992م) التي فاز فيها حزب العمل قامت مجموعة من رجال الدين العسكريين بغناء النشيد(6).

وبعد أن حصلت الأصولية اليهودية في إسرائيل على بعض المكاسب السياسية في انتخابات عام (1988م)، وأصبحت أكثر ثقة بنفسها، شدّدت الأصولية الحاريدية من معارضتها للصهيونية، وللأصولية الصهيونية من ناحية أخرى ففي عام (1989م) قام الحاخاميين الحاريدين شاخ، ويوسف بمعالجة الموضوع السياسي الإسرائيلي الحيوي المتعلق بإعطاء بعض أرض إسرائيل للفلسطينيين، وتنفيذ وجهة نظر حزب المفدال، وغوش إيمونيم التي تقول: بإنه مع بداية الخلاص لا يجب إعطاء أرض إسرائيل لغير اليهود، ثم أعلنا أن اليهود لا يزالون يعيشون في

(1) انظر: نفسه. ص21- 22.
(2) نفسه: ص22.
(3) انظر: نفسه. ص20.
(4) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن. ج1. ص43- 45.
(5) انظر: نفسه. ج1. ص46.
(6) انظر: نفسه. ج1. ص43.

الأزمنة العادية، حيث المساعدة المرئية من الله لإنقاذ حياة اليهود غير المتوقعة دائماً(1).

وما يدل على جانب مهم من السياسة الواقعية لإسرائيل المعاصرة اعتراف الحاخام يوسف بأن اليهود في الأزمنة المسيانية سيكونون أكثر قوة من غيرهم، ويكون لزاماً عليهم فتح أرض إسرائيل، وطرد غيرهم، وتدمير الكنائس النصرانية.

ثم أكد أن زمن الخلاص المسيحي أي مجيء المسيا طبقاً للعقيدة اليهودية لم يأت بعد فيقول: «إن اليهود ليسوا في الواقع أكثر قوة من غيرهم، حيث لا يقدرون على طرد غيرهم الذين يعيشون بيننا، أو نقلهم من أرض إسرائيل؛ لأنهم يخشونهم، وعلى ذلك فإن أمر الله لم يحن بعد، وعلى الرغم من أن ديننا يأمرنا بتحطيم الأوثان، وخدامها من كل بقاع الأرض، وأي مكان نستطيع الوصول إليه، فإن الحكومة الإسرائيلية ملزمة تبعاً للقانون الدولي بحماية الكنائس النصرانية في أرض إسرائيل، وهي أماكن وثنية، وتعبد فيها الأوثان، ومن المؤكد أن ذلك يؤدي إلى إضعاف المغزى الديني لفتوحات الجيش الإسرائيلي في عام (1967م)»(2).

وفي عام (1992م) وصفت الأصولية الحاريدية بأنها إسطبل السياسة الإسرائيلية؛ لأن كثيراً ما تؤدي مطالبها التي يدعمها اليهود التقليديون إلى فضائح سياسية سببت أزمات في الحكومة الإسرائيلية، ولذا فإن إصرارهم على استخدام رموز معينة من أجل مصالحهم السياسية قد لعب دوراً مهماً في السياسة الإسرائيلية، وقد أيدهم في مطالبهم الكثير من يهود إسرائيل، ويهود الشتات حفاظاً على إظهار شعائر الشريعة اليهودية، والذي أدى إلى فضائح مدوية انفجرت أحدها في خريف عام (1992م)، وشغلت ساحة السياسة الإسرائيلية، حيث تم تصوير "شولاميت آلوني" وزيرة التعليم، وهي تأكل طعاماً غير شرعي غير (كوشير) في مطعم عربي، وقبل مرور ستة أشهر على فضيحة آلوني انفجرت فضيحة أخرى لإحدى عضوات الكنيست وهي "يائيل ديان"، حيث تم تصويرها على شاطئ تل أبيب وهي ترتدي ثوب الاستحمام وتقرأ كتاباً عن يوم عيد الغفران(3).

وقد اعترضت كل الأحزاب السياسية الدينية على هذه الفضائح، واعتبرتها تدنيساً، وانتهاكاً لليهودية فقدم حزب المفدال إلى رابين تقريراً يصف فيه آلوني بتناولها طعاماً غير شرعي غير كوشير، وانتهاكها ليوم السبت بأنه تدنيس لليهودية(4)، وهدد حزب شاس الحريدي بالتخلي عن حكومة رابين، وقام رئيس حزب العمل بالكنيست إيلي ديان بتوبيخ آلوني، وعضو الكنيست يائيل ديان، وبعد الاستماع إلى أعضاء الكنيست المتدينين المنتمين إلى حزب العمل وهم يرددون نفس الآراء قام رابين رئيس الوزراء الذي لم يكن من المتدينين التقليديين بتأكيد هذا الاتهام(5)، ولهذا أرغم رابين آلوني على الاعتذار علناً في خطاب مفتوح إلى الحاخام يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس، وقام أعضاء محاكم التفتيش اليهودية بالتحرش بآلوني، ونتيجة لهذا التحريش ظهر تمرد على الحماسة الدينية، وعلى الأصولية للاستغلال السيء لآلوني، حيث ذكرت صحيفة دافار في مقالة بتاريخ 23 أكتوبر (1992م) أنحى عاميير أورين باللائمة على رابين لإذعانه للحاخام يوسف، وسبّب سماحه بأن يصل نفوذ الحاخامان لنفس مستوى نفوذ ستالين في عصره(6).

وقبل انتخابات عام (1996م) اعتبر كلٍ من بيريز، ونتنياهو الحاخام يوسف شخصية سياسة هامة، وتودّدا إليه على نحو ظاهر مع إعلانه أن اليهود حينما يكونون أقوياء بما فيه الكفاية فإنهم ملزمون دينياً بطرد غيرهم من البلد، وتدمير كل الكنائس النصرانية، وقام اليساريون، وأنصار السلام بالثناء على يوسف، وشاخ بموافقتهما على الانسحاب من الأراضي المحتلة(7)، وفي انتخابات عام (1996م) حصل الحزبان المنتميان للأصولية الحاريدية معاً على (14) مقعداً، حيث حصل حزب شاس على (10) مقاعد، بينما حصل ياهودت هاتوراة على (4) مقاعد، وأقر بعض اليهود الإسرائيليين بأنهم صوتوا لصالح حزب شاس؛ لأن التمائم، والتعويذات التي وزعها الحزب تكون صالحة فقط بعد التصويت الصحيح، وفي انتخابات هذا العام أيضاً حصل حزب المفدال على تسعة مقاعد(8)، وفي انتخابات عام (1999م) حصل حزب شاس على (17) مقعداً، وبهذه النتيجة أصبح الحزب الثالث في الانتخابات، وبين عامي (1999: 2000م) تردد إيهود باراك رئيس الوزراء في تشكيل حكومته بين الليكود، وحزب شاس، واختار في النهاية حزب

---

(1) انظر: نفسه. ج1. ص62- 63.
(2) نفسه: ج1. ص64.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك. ونورتن. ج1. ص93.
(4) انظر: نفسه. ج1. ص95.
(5) انظر: نفسه. ج1. ص93.
(6) انظر: نفسه. ج1. ص94: 96.
(7) انظر: نفسه. ج1. ص64: 65.
(8) انظر: نفسه. ج1. ص39.

شاس.

وفي الأزمة التي وقعت بين حزب شاس، وحزب ميرتس اليساري الصهيوني وقف باراك إلى جانب شاس أملاً في دعمها، واعتبر الإسرائيليون هذه الخطوة على أنها خضوع لشاس(1)، وفي هذا دلالة واضحة على قوة النفوذ السياسي للأصولية اليهودية المعاصرة في إسرائيل خلال التسعينات من القرن العشرين، ومن قبل في انتخابات عام (1988م)، وهذا يعكس الدور الكبير الذي قامت به للتعبير عن السياسة الخارجية الفعلية لإسرائيل وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أدى هذا إلى الاهتمام المتزايد بها في أمريكا من خلال كتابة، ونشر الكثير من الكتب الجديدة، والمقالات التي ركزت على الجوانب الشعبية للحاريدية، وهذا جعلهم يتبؤون وضعاً مكنهم من فرض أنفسهم على الغالبية العلمانية، وغير العلمانية الإسرائيلية(2).

وهكذا يتضح أن الأصولية اليهودية المعاصرة في إسرائيل قد تبوأت مكانة عالية في إسرائيل حتى حظيت بجعل الهالاخاة الشريعة قانوناً لها، وفرضت نفسها على الغالبية الصهيونية اليهودية، واستطاعت تغيير بعض المواقف في الدولة، وستحاول التمتع بفرص جديدة للتقدم نحو أهدافها القصوى(3).

(1) انظر: اليهود الشرقيون في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل: أودي أوديب وآخرون. ص124: 125. مركز دراسات الوحدة العربية (ط: 2003م).
(2) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: شاحاك ونورتن.ج1. ص67- 71- 72.
(3) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: إيان لوستيك. ص185.

الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية،ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب الاقتصادي

إن لدعم الأصوليون اليهود، وغير اليهود لإسرائيل أثراً كبيراً في تأسيسها، واستقلالها، وتحسين مستوى الفرد فيها، وبناء مستوطناتها، وتوسيعها، وإظهار قوتها، وتهديدها للعرب بداخلها، وللدول العربية المحيطة بها، والدول التي تريد طرد المحتل منها.

ونظراً لقلة الموارد الطبيعية في أرض فلسطين إسرائيل، والتي تتمثل في بعض الحمضيات، والأحجار الكريمة، ومزارع الزيتون، كما أن الأرض الصالحة للزراعة لا تزيد على الثلث، ويضاف إلى هذا ما يجود به البحر من بوتاس، وفوسفات فقط جعلت اليهود يعتمدون فيها على رأس المال الأجنبي خاصة من أمريكا، والدول الأوروبية لاسيما الغربية؛ وذلك لتأمين احتياجاتهم من المواد الأولية، والسلع، وكل ما يحتاجون إليه(1) كذلك تسعى جاهدة بالبحث عن المزيد من المساعدات الخارجية؛ كي تقف على قدميها لتهدد بقوتها العرب، والمسلمين(2).

ولإحساس، وارتباط اليهود خارج إسرائيل بإسرائيل جعلهم يحاولون مساعدتها بكل الطرق الممكنة؛ لتحقيق أهدافها الاقتصادية، داخل إسرائيل، وأوربا، وأمريكا، ولما ليهود أمريكا بالذات من المراكز المهمة في الحكومة، وخاصة في جهاز الاستخبارات، ومجلس الأمن القومي، ووزارتي الخارجية، والدفاع شرعوا في إمدادها بكل ما تحتاج لرفع اقتصادها مع تسهيل مهمة حصولها على الكثير من التقنيات العسكرية، والتقارير السرية، وغيرها من المعلومات الحساسة، .....، وقد أعدت وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) تقريراً تحت عنوان: إسرائيل أجهزة الأمن، والاستخبارات الأجنبية ذكرت فيه: «أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية تعتمد بشكل مكثف على الجاليات، والمنظمات اليهودية في الخارج؛ لتجنيد العملاء»(3).

ومع قيام إسرائيل، ونهضتها رأى اليهود أنهم في حاجة ضرورية إلى العمل بدلاً من الاعتماد على التبرعات الخارجية، والعيش في المعسكرات المؤقتة التي تقوم الحكومة بتوفيرها لهم بصورة مؤقتة، فقام الهستدروت في غضون سنوات قليلة بدور بارز في بناء سلسلة من المدن الحديثة، وبناء مصانع في كثير منها من أجل توفير العمل للمهاجرين الجدد الذين استوطنوا فيها(4).

وهناك العديد من القنوات التي يتم من خلالها دعم الاقتصاد الإسرائيلي من أبرزها:

1 ـ الأفراد العاديون:

تعتبر تبرعات الأفراد اليهود، وغير اليهود من خارج إسرائيل، ومساعداتهم للأصوليين اليهود كبيرة للغاية، وتصل إليهم بصور منتظمة، ومختلفة من خلال قنوات متعددة فبينما قام بعض أثرياء أمريكا باستثمار أموالهم في الاقتصاد الإسرائيلي قام البعض الآخر بتسخير إمكاناتهم لمساعدة البضائع الإسرائيلية؛ لكي تغلغل في السوق الأمريكية. بينما قام غالبية يهود أمريكا بشراء سندات إسرائيل، كما وقامت نسبة كبيرة بإيداع بعض أموالها في بنوك إسرائيلية، وبالتالي وضعت تلك الأموال تحت تصرف الإسرائيليين(5)، ومن هؤلاء الأفراد "جوناثان بولارد" أحد المسئولين اليهود، والذي حاول القيام بجهد إضافي لخدمة إسرائيل ففي عام (1948م) قام بسرقة المعلومات السرية الأمريكية، وتقديمها لإسرائيل(6).

2 ـ المنظمات اليهودية، والمؤسسات الخاصة:

تقوم العديد من المؤسسات، والمنظمات اليهودية في أمريكا، وغيرها بمساعدة إسرائيل، وإمدادها بالأموال؛ لدعم مشاريعها التنموية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية، ...الخ، وهذه المنظمات بعضها صغير يغلب عليه الالتزام بدعم مؤسسة معينة، أو مشروع محدود كمؤسسات التعليم مثل الجامعات حيث يوجد لكل جامعة في إسرائيل جمعية أصدقاء أمريكيين مهمتها جمع التبرعات لكل جامعة، ودعم نشاطاتها المختلفة، ومثل هذا في المؤسسات الاجتماعية: كالمستشفيات، وغيرها، ومن أهم هذه المنظمات اللجنة اليهودية الأمريكية المشتركة، والصندوق

---

(1) انظر: الإنفاق العسكري الإسرائيلي (1965: 1990م): طلال محمود كداي. ص108: 114. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت (ط2: 2000م).
(2) انظر: إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب: لورنس ماير. ص173. ترجمة: مصطفى الرز. مكتبة مدبولي للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 1997م).
(3) المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. ص146. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت (ط1: 1990م).
(4) انظر: إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب: لورنس ماير. ص124: 125.
(5) انظر: المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. ص149.
(6) انظر: نفسه. ص148.

الوطني اليهودي، وصندوق الأوقاف الإسرائيلي، وصندوق إسرائيل الجديد(1).

وبعض هذه المنظمات اليهودية لها نفوذ كبير فتقوم بجمع الأموال في أمريكا، وإرسالها إلى إسرائيل، ويبلغ عددها حوالي (200) منظمة(2)، وأهم هذه المنظمات:

- نداء إسرائيل الموحد، وتأسست عام (1925م)(3).
- النداء اليهودي الموحد، وتأسست عام (1939م)(4).
- الوكالة اليهودية(5).

3 ـ منظمة سندات حكومة إسرائيل:

تأسست هذه المنظمة عام (1951م) من أجل إيجاد استثمارات كبيرة؛ لتنمية الاقتصاد الإسرائيلي، وهي شركة مسجلة في نيويورك كمؤسسة مالية من أجل إمداد إسرائيل، وتعتبر الاتحادات العمالية، وبعض بيوت الاستثمار الأمريكية في مقدمة الجهات التي دأبت على الاستثمار في سندات إسرائيل، ومن الأساليب التي تستخدمها المنظمة في بيع السندات إقامة الحفلات (غداء/عشاء) لليهود القادرين، وأصدقائهم، والمستفيدين منهم، وحوالي (80%) من بيع هذه السندات تم جمعه في أمريكا كما ذكرت أحد التقارير المنشورة في جريدة واشنطن بوست في أغسطس (1986م)(6).

كما ساهمت الضغوط اليهودية، وقوى اللوبي الصهيوني الذي يضغط على المشرعين الأمريكيين؛ لتأييد الدولة الصهيونية في دفع الحكومة الأمريكية على تقديم معونات لإسرائيل، ومن أهم جماعات الضغط: اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة (ايباك)، والتي تأسست عام (1951م)(7)، وهذه الجماعات لعبت دوراً مهماً في تهيئة الظروف المناسبة؛ لنجاح غالبية المنظمات اليهودية العاملة لحساب إسرائيل في أمريكا، حيث سهلت مهمتها في تحقيق أهدافها على الساحة الأمريكية، ومن ثم في دعم الاقتصاد الإسرائيلي، والحيلولة دون انهياره، والحفاظ على بقائها، واستمرارها(8).

4 ـ المعونة الاقتصادية الأمريكية، ودورها في مساعدة إسرائيل:

يمكن تلخيص الدور الذي تؤديه المعونة الاقتصادية الأمريكية لإسرائيل فيما يأتي:

1- تمكين الإسرائيليين من التغلب على المشاكل المالية الطارئة مع استمرار رفع مستوى معيشتهم في فلسطين من خلال إلقاء الأعباء المالية الإضافية على عاتق الشعب الأمريكي، ولم يتوقف دور المعونات الأمريكية على إنقاذ إسرائيل من أزماتها بل تعداها إلى رفع مستوى معيشة الفرد فيها، حيث بلغت المعونات الأمريكية لإسرائيل التي تقدم على شكل منح، وقروض ميسرة، وفي صورة معونات تقنية، ومعاملات تجارية بحوالي (2000) دولار لكل فرد في العام، وهو أعلى مستوى للمعونات في العالم، بل وفي التاريخ(9).
2- مساعدة إسرائيل على مواجهة الالتزامات المالية الخارجية، خاصة ما يتعلق منها بالديون الخارجية، حيث ارتفعت ديونها في الثمانينات، وخاصة بعد ارتفاع أسعار الطاقة، ودخول الاقتصاد العالمي في حالة من الركود، لذلك اضطرت أمريكا إلى إنقاذها من الإفلاس(10).
3- قيام أمريكا بدور الكفيل، وتتعهد بسداد ديون إسرائيل في حالة عجزها عن السداد(11).
4- دعم بعض المشاريع التي لا تخدم السلام، كبناء المستعمرات في الأراضي المحتلة، والضفة الغربية، وقطاع غزة، والجولان،... من أجل هذا اعتبرت أمريكا ديونها لإسرائيل ديوناً عسكرية، ومعوناتها أصبحت معونة عسكرية.

وبهذا فإن المعونات الأمريكية وفرت الأموال اللازمة لاستمرار إسرائيل في تنفيذ خططها العسكرية، والتوسعية، ومنها بناء المستوطنات، وقد نشرت جريدة ديترويت فرى برس تقريراً عام (1983م) ذكرت فيه: «أن المستوطنات في الأراضي المحتلة ما كان من الممكن وجودها

---

(1) انظر: نفسه. ص150: 155.
(2) انظر: نفسه. ص155.
(3) انظر: المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. ص151- 154.
(4) انظر: المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل: لي أوبرين. ص150. ترجمة جماعة من الأساتذة. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.بيروت (ط1: 1986م).
(5) انظر: نفسه. ص154.
(6) انظر: المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. 155: 156.
(7) انظر: موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص245: 247.
(8) انظر: نفسه. ج1. ص248: 250.
(9) انظر: المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. ص139: 142.
(10) انظر: نفسه. ص139: 140.
(11) انظر: نفسه. ص139.

لولا المعونات الأمريكية غير المباشرة التي حصلت عليها إسرائيل من الحكومة الأمريكية، ومن المنظمات اليهودية فيها»(1).

ومن ناحية أخرى فإن المعونات الأمريكية، وغيرها من الدول الأوروبية المقدمة إلى إسرائيل كان لها دور بارز في نمو الاقتصاد الإسرائيلي، حيث استطاعت إسرائيل بعد ثلاثين عاماً من قيامها أن تقوم ببناء مجتمع حديث، وجيش مسلح جيداً، ومجمعات صناعية حديثة قادرة على صنع منتجات متطورة مكنتها من منافسة الأسواق العالمية، وزيادة حجم صادراتها، وبهذا حولت نفسها من بلد اضطر إلى استيراد أكثر من (50%) من غذائه إلى بلد ينتج الآن (90%) من غذائه، ويدفع ثمن الباقي من صادراته الزراعية الخاصة به(2)، حيث ضاعفت الأراضي الزراعية حوالي ثماني مرات، وهذا يهدف إلى استيعاب المهاجرين، وإنشاء المستوطنات الزراعية، وربط هؤلاء المهاجرين بالأرض، وإلى الاكتفاء الذاتي من ناحية أخرى، وكذلك ركزت على الصناعات المكثفة بالمهارة، والعلم، كالصناعات الكيميائية، والأجهزة الكهربائية، والإلكترونية، والآلات الدقيقة، وإقامة جهاز مصرفي، وتمويلي متقدم(3).

الخلاصـــــــة:

إن اقتصاد إسرائيل الآن اقتصاد مهجَّن، يجمع بين عدد من سمات الدول المتقدمة كارتفاع متوسط الدخل الفردي، ودرجة التحضر، ومعدلات البطالة، ولهذا فالبنك الدولي في تقاريره للتنمية البشرية يدخل إسرائيل ضمن الدول المتقدمة، والأمم المتحدة في تقاريرها الإحصائية تعتبرها من الدول الصناعية، والاتجاه السائد في الاستعراضات الاقتصادية لا يعتبر إسرائيل جزءاً من الجنوب، أو من الدول النامية(4)، ولكن يتصف الاقتصاد الإسرائيلي بعدد من سمات الدول النامية كـ: (الاعتماد على رأس المال الأجنبي، والتبعية الاقتصادية، والتدخل الحكومي(5))، وهذا الاقتصاد لا يعتمد على التخطيط المركزي، والرقابة اللاحقة كما كان في الاتحاد السوفيتي السابق، وليس ناشئاً من قوى السوق كما في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما هو نتيجة جهود مدروسة مسبقاً. ومن أهم مرتكزات الاقتصاد الإسرائيلي اعتماده على الخارج، واستمرار حاجته إلى المعونات الخارجية؛ لذا يقول أحد الاقتصاديين الأمريكيين: «إذا توقفت المعونات الأمريكية سيكون مصير إسرائيل الإفلاس، ومصير اقتصادها الانهيار»(6).

---

(1) نفسه: ص140.
(2) انظر: إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب: لورنس ماير. ص116: 140.
(3) انظر: الإنفاق العسكري الإسرائيلي (1965: 1990م): طلال محمود كداي. ص97: 98.
(4) انظر: نفسه. ص 94.
(5) انظر: نفسه. ص114.
(6) المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. ص142.

الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب الإعلامي

لقد شكلت النشرة الفرنسية التي صدرت عام (1860م) تحت عنوان المسألة الشرقية الجديدة، والتي أظهرت المكاسب الاقتصادية التي ستعود على أوروبا إذا استقر اليهود في فلسطين حافزاً كبيراً للدعاية اليهودية، ودعماً كبيراً لسياسة نشطاء الحركة الإعلامية التي بدأت تتبلور بشكل ملحوظ، وتنتشر في أماكن أخرى في أوروبا الشرقية، وأصبحت الحركة الصهيونية قادرة على تطوير أساليب إعلانية إعلامية خاصة بها؛ لمخاطبة الرأي العام، والتأثير عليه، ويمكن القول في هذا الصدد بأن الحركة الصهيونية اليهودية هي أقوى حركة أحسنت استخدام سلاح الإعلام، وسخرته لكي يصبح أداة قوية في يدها فالأساليب المستخدمة في الإعلام اليهودي كثيرة، ومتداخلة، ومتنوعة، ومتعددة، وكلها تفي بالغرض المستهدف سواء كان على صعيد الابتزاز، أو الاستعطاف، أو أسلوب المناورة الذي يتراوح بين الترغيب، والترهيب، وغيرها من الأساليب الإعلامية(1).

وفي بروتوكولات حكماء صهيون نص يبين مدى الاهتمام بوسائل الاتصال الجماهيري ألا وهو الأدب، والصحافة فهما أعظم قوتين تعليميتين، والذي ساعد الحركة الصهيونية في مسألة امتلاكها لوسائل الإعلام، واستخدامها الحرب النفسية هي قضية امتلاكها للمال إضافة إلى تربعها بالخفاء على كرسي الدول الرأسمالية، وخاصة أمريكا(2).

واستخدمت الأصولية اليهودية في وسائل الإعلام ثلاثة شعارات الشعار: الديني، والسياسي، ويتكامل معهما الشعار الاقتصادي، وهذا أدى بدوره إلى نجاحها في قضية الهجرة إلى فلسطين، وفي الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني، وقد كان الإعلام الديني الأصولي أول جوانب الإعلام الصهيوني، حيث اعتمدت في حركتها الإعلامية لتجيِّش المشاعر، وكسب الثقة، والتأييد على أسفار التوراة، والتلمود، والتي تشكل بزعمهم أساس نظامها الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، وأصبحت كذلك منطلق نظامها الإعلامي.

وقد ركز الإعلام الأصولي اليهودي عن طريق هذين الكتابين، وما تفرع عنهما من مخترعات الفكر الصهيوني على ما يأتي:

1- إن اليهود دين وقومية.
2- إن اليهود هم شعب الله المختار.
3- إن هناك شيئاً اسمه أرض المعاد.
4- إن المقصود من أرض المعاد هو الانطلاق إلى سائر الأجواء العالمية.
5- إن ثأر اليهود من غيرهم فضيلة.
6- إن المفاهيم الخلقية المقررة عند غير اليهود ليست من المفاهيم الصحيحة للأخلاق التي يتبعها اليهود.
7- إن العلاقات الإنسانية سواءً بين جماعة، وأخرى، أو بين المرأة، والرجل لابد أن تأخذ صورة أخرى غير ما اصطلح عليه الآخرون، وإن بعض المحرمات في هذه العلاقات مباح لليهود وحدهم، ولا بأس من نشر هذه الإباحة بين الآخرين ما وجد اليهود سبيلاً إلى ذلك؛ لإحكام قبضة اليهود على غيرهم.

ومن خلال النقاط السبعة يتبين أن التركيز الإعلامي الأصولي اليهودي كان في بدايته موجهاً للأجيال اليهودية غير أنه مع مرور الوقت اتجه إلى مجالات جديدة ظهرت منذ حوالي خمسة قرون بظهور الحركة التي أطلق عليها حركة الإصلاح الديني عند النصارى، وهي الحركة التي قام بها مارتن لوثر، ومن خلال هذه الحركة اقتحم اخترق الإعلام الأصولي اليهودي هذه الحركة من خلال مظاهر التأييد لحركة مارتن لوثر، حتى اطمئن البروتستانت إلى هذا التأييد، وهذا الاطمئنان مكّن الإعلام اليهودي القديم من اختراق، ونشر أساطيره في هذه الحركة، وبدأ يوجد جو من التعايش بين الفكر اليهودي، وبعض جوانب الفكر النصراني عند بعض الطوائف البروتستانتية، وهذا ما استغلته العنصرية اليهودية في إعلامها الأصولي على نطاق واسع(3) هذا التعايش أدخل الإعلام اليهودي إلى مرحلة تأسيس الإعلام؛ ليصبح الإعلام اليهودي ذا طابع أصولي، ومن أبرز أعمال هذه المرحلة وجود عملين إعلاميين سري، وعلني هما:

---

(1) انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص8. دار الآفاق العربية. القاهرة (ط1: 2001م).
(2) انظر: حقيقة إسرائيل: محمد عمر الحاجي. ص29. دار المكتبي. دمشق (ط1: 2002م).
(3) انظر: الإعلام العربي والإعلام الصهيوني: حافظ محمود. ص21. مركز البحوث والدراسات العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1973م).

- إعلام سري موجه إلى اليهود على وجه التحديد.
- إعلامي علني موجه إلى النصارى بالذات، وقد اختار الإعلام اليهودي لكل من هذين العملين الوقت الملائم له، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: بالنسبة للعمل الإعلامي السري: موجه لليهود فقط، حيث تم وضع دستور سري للحركة الصهيونية تعتمد الخلط بين الأساطير الدينية، والأهداف السياسية، وهو الدستور الذي كلف زعماء الصهيونية أحبارهم بوضعه سراً في نهاية القرن التاسع عشر، ويعرف باسم بروتوكولات حكماء صهيون، وقد بلغ شذوذ ما تضمنه من قوانين بالنسبة لغير اليهود، ولليهود غير الصهاينة الحد الذي جعل الإعلام الصهيوني نفسه يتبرأ، ويقوم بحملة إنكار عندما ظهرت مجموعة صغيرة من نسخ هذا الكتاب في أيادي غير يهودية.

ثانياً: العمل الإعلامي العلني: حيث وضع كتاب فلسفي جديد في أعقاب قيام إسرائيل يقصد به توجيه الرأي العام النصراني، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كتبت هذا الكتاب الكاتبة الصهيونية روز مارين بعنوان: البقاء اليهودي، وقد طبع، ونشر في نيويورك عام (1949م)، وتدور فكرة الكتاب على الفكر الصهيوني، ومفاده: «أن يبقى اليهود بقائهم على النحو الذي يرونه، ويصورونه إنما هو ضرورة تاريخية لصالح المجتمع البشري»(1)، ولم ينتهي القرن التاسع عشر، ويدخل العالم بداية القرن العشرين حتى سيطر اليهود في أغلب دول أوروبا، وأمريكا على وسائل الإعلام التي دعمت سيطرة اليهود على:

- مصادر الذهب في جميع أنحاء العالم بواسطة آل روتشيلد الذين انتشروا في كل من بريطانيا، وفرنسا وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبواسطة أصحاب الملايين أمثال ماندلسون، وباروخ، وفرانفورتر، وستراوس، وسنجمان، ... وغيرهم من الأثرياء.
- إصدار النقد في الدول الأوربية الكبرى، والولايات المتحدة بواسطة البنوك المركزية التي يملكون معظم أسهمها.
- السكك الحديدية في معظم دول أوروبا، والولايات المتحدة.
- مناجم الماس، والفضة، والنحاس، والنيكل في العالم.
- تجارة الأفيون في العالم بواسطة آل ساسون.
- صناعة الأفلام السينمائية، والتلفزيونية، وتوجيهها للغاية المنشودة، وهي تحطيم الأخلاق والأديان، والفضائل.
- الموضة، والأزياء من أجل تخريب البيوت العامرة، وتدمير الحياة الزوجية نتيجة الإسراف، ومجاراة الموضة، والقضاء على الازدهار.
- المبادلات التجارية بين الدول، وتقدير قيمة الفوائد، والأرباح، والكمسيون التجاري.
- الحبوب، وجميع الموائد الغذائية في كل من فرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، وكندا.
- معظم البنوك في بلدان أوروبا، وأمريكا، وخاصة بريطانيا، وفرنسا، وأمريكا.
- السيطرة على جميع الأحزاب، والحكومات الشيوعية، والاشتراكية، والديمقراطية.
- السيطرة على جميع وسائل الإعلام من: صحافة، وإذاعة، ودور سينما، وتلفاز، والمكتبات العامة، ودور الطباعة، والنشر، .....الخ.
- السيطرة على الصحافة اليومية السياسية في أوروبا، وهي واقعة إلى حد كبير تحت سيطرتهم، ونفوذهم.

وإذا حاول أديب ما أن يجازف، ويسعى للوقوف في طريقهم؛ للاستيلاء على القوة السياسية فإنه سرعان ما يتعرض لهجوم من قبل صحفهم الرئيسية في أوروبا، وبتاريخ 26 يوليو (1879م) قالت صحيفة الجرافيك اللندنية إن صحافة القارة أي أوروبا واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود(2). وبدأت سيطرة اليهود على الصحافة البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر حين أنشئت جريدة التايمز اللندنية سنة (1788م)، وسعى اليهود لبسط نفوذهم عليها بواسطة المال الذي كان يختزنه روتشلد، ولم يخلى تاريخ جريدة التايمز منذ إنشائها حتى يومنا هذا من وجود رئيس تحرير يهودي على رأسها، أو محرر رئيسي للشؤون الخارجية، أو الداخلية، أو محرر للشؤون المالية، والسياسية، وحينما آلت ملكية التايمز لشركة عام (1908م) كان أبرز أعضاء تلك الشركة هم اليهود(3)، كما أنشأ اليهود جريدة الديلي تلغراف سنة (1855م)، واشتراها اليهوديان مورس ليفي، وليفي لاوسن، وسارت الجريدة على خطة التايمز في خدمة اليهودية العالمية، ولم تخرج عن الخطة المرسومة قيد شعره(4)، كما سيطر اليهود بشكل مباشر،

---

(1) الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص28: 29.
(2) انظر: نفسه: ص39: 42.
(3) انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص42.
(4) انظر: صحافة بني إسرائيل: محمد عبدالعزيز منصور. ص52. مكتبة مدبولي. القاهرة (ب).

أو غير مباشر على الصحف البريطانية منذ تأسيسها، ومن تلك الصحف على سبيل المثال لا الحصر الديلي اكسبريس، الديلي ميلي، الغارديان، يور كاشير بوست، صنداي ريفري، صنداي تايمز، صنداي كونكيل، لندن نيوز، سكتش... وغيرها هذا بالإضافة إلى أن (50) جريدة، ومجلة يومية، وأسبوعية، وشهرية يهودية خالصة تحمل أسمائها اليهودية صراحة، وعن طريق الصحافة اليهودية البريطانية، والدعاية التي تروجها وصل عدد كبير من اليهود إلى مجلس العموم البريطاني، وإلى مجلس اللوردات، والمجالس البلدية، والجمعيات الخيرية[1].

كما وسيطروا على وسائل الإعلام الأخرى الإذاعة، والسينما، والتلفاز، والمسارح؛ ليؤمنوا من خلالها عملية تدمير أخلاق الشعب، وإخراجه من دينه، وتحويله إلى قطيع أعمى يخدم الصهيونية، وعن طريق ذلك تحول كل الساسة الإنجليز وفي مقدمتهم تشرشل إلى خدمة الصهيونية العالمية، وحتى يومنا هذا.

وطريقة سيطرتهم على الصحافة البريطانية، وأجهزة الإعلام في بريطانيا طبقوها في فرنسا، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وما زالوا يسيطرون بها على العالم، وممّا يدل على مدى السيطرة على الإعلام الغربي، امتلاك اليهود لشبكات التلفزيون الرئيسية في الولايات المتحدة الأميركية فهناك ثلاثة شبكات تلفزيونية أساسية وهي: (سي. بي. أس), و(إن. بي. سي), و(أي. بي. سي)، حيث تمتلك الأولى: خمسة محطات يتبعها (200) محطة، والثانية: يتبعها (187) محطة، والثالثة: يتبعها (127) محطة، ومن نظرة سريعة على إدارة شبكات التلفزيون الثلاثة الرئيسية نجد أسماء مثل: ليوناردو جولد نسون مدير محطة (أي. بي. سي)، وفورد سلفرمان مدير محطة (ان. بي. سي)، ووليام بالي مدير محطة (سي. بي. اس)، وهؤلاء كلهم يهود[2].

---

(1) انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص43.
(2) انظر: حقيقة إسرائيل: محمد عمر الحاجي. ص84.

الآثار المترتبة على المعتقدات الأصولية اليهودية، ودورها في المجتمع اليهودي في الجانب التربوي التعليمي

تعمل الأصولية اليهودية من خلال سيطرتها على النواحي التربوية، والتعليمية، والتركيز عليها على غرس، وتنمية مشاعر التضامن مع اليهود، ومع الدولة، وفي هذا الصدد نجد أن وزارة المعارف الإسرائيلية ذكرت في عام (1985م) أن الهدف الأعلى من تعليم التاريخ هو غرس، وتنمية مشاعر التضامن مع الشعب، والبلاد، والدولة، ونتيجة لذلك، ولدت النظرة للعرب من خلال الأفكار المسبقة فظهر العربي بصورة سلبية دائماً مقابل شخصية الإسرائيلي الإيجابية، وتم نزع الشرعية، والإنسانية عن ما هو عربي، وقد تعرضت مثل هذه الكتابات الوضعية نسبياً لهجوم فوري من قدامى مؤرخي إسرائيل الذين رفضوا التخلي عن الرواية الدعائية الصهيونية التقليدية(1)، وقد ركزت الأصولية في مناهج التعليم على صورة التطرف، والعنصرية من خلال ما تضمنته الكتب المدرسية، وكتب التاريخ على وجه الخصوص من أكاذيب، ودعاوي أساطيرية، وما زالوا يركزون على هذا الجانب تركيزاً قوياً، حيث أكد المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثين المنعقد في القدس في الفترة من (23-25/12/1997م)، وشدد على ضرورة إحياء خطة العمل الخاصة بالتعليم، وتجسيد التواصل اليهودي بين جيل الشباب في الشتات، وأوصى على الآتي:

1. التأكيد على إيمان الحركة الصهيونية بأن التعليم اليهودي هو الوسيلة التي تساعد يهود الشتات في الاحتفاظ بهويتهم اليهودية، وبارتباطهم الحي بدولة إسرائيل، وبفضل هذه الوسيلة سيكتسب كل أبناء اليهود في إسرائيل، والشتات عالماً من المفاهيم، والثقافة، واللغة يحول دون انفصالهم، وعزلتهم، ويشير مصطلح التعليم الصهيوني اليهودي إلى جميع التيارات العقائدية الروحية الدينية في المجتمع اليهودي داخل إسرائيل، أو في الشتات.
2. أكد على اعترافه بالدور المركزي للتعليم كوسيلة؛ لضمان بقاء الشعب اليهودي، وأن الحركة الصهيونية ستعمل على توفير ميزانية كافية لجميع أشكال التعليم النظامي، وغير النظامي في الأطر الاجتماعية، والأكاديمية، والحركية للأطفال، والشباب الراشدين.
3. أقر المؤتمر الصهيوني اعتماد برنامج لإعادة تأهيل التعليم الصهيوني اليهودي في إسرائيل، والشتات، بهدف حشد جميع الموارد المادية، والبشرية لدى الشعب اليهودي، وإتاحة الفرصة أمام جميع أبناء اليهود في إسرائيل، والشتات للإلمام بكنوز الثقافة اليهودية بتنوعاتها كافة، وسيشارك في إطار هذا المشروع كل المربين، والمفكرين النشطين في التيارات العقائدية، والدينية، والروحية كافة، وهو ما يعني الاستمرار في إحياء الأساطير، والميثولوجيا، والتزوير التي اعتمدت عليها الدعاية الصهيونية منذ إنشاء الحركة.
4. سيجرى تنظيم ندوات، وحلقات دراسية مشتركة لمناقشة مختلف التقاليد المرعية في الديانة اليهودية عبر العصور، ولدراسة الكنوز الثقافية، والأخلاقية، والحكمة المتراكمة عبر الأجيال.

وبصفة الحكومة الإسرائيلية ممثلة للشعب اليهودي في إسرائيل فستتم دعوتها إلى المشاركة في هذا المشروع، وتقديم المساعدة المالية فضلاً عن تحديد الموارد، وتدريب المربين، والمنظمين(2)، وبهذا يتأكد سيطرة الأصولية اليهودية على نظام التربية، والتعليم داخل إسرائيل، ورفض الوصاية الصهيونية العلمانية عليه.

---

(1) انظر: مجلة الدراسات الفلسطينية: بني موريس. ع34. ص53: 1998م.
(2) انظر: مجلة الدراسات الفلسطينية: ع36. ص67. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت عام: 1998م.

الباب الثاني
الأصولية النصرانية المعاصرة

ويشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول: نشأة الأصولية النصرانية المعاصرة، تطورها، وأثر التغيير البروتستانتي في
الفصل الثاني: ظهورها، وأهدافها.
الفصل الثالث: المصادر التشريعية للأصولية النصرانية
الفصل الرابع: المعاصرة.
الفصل الخامس: عقائد وأفكار نهاية العالم عند الأصولية النصرانية
التنظيمات والحركات الأصولية النصرانية المعاصرة
أثر معتقدات نهاية العالم على المجتمع النصراني من خلال:
- انقسام الفرق النصرانية على بعضها بين مناهض ومناوئ.
- السماح بالاختراق اليهودي للمعتقدات النصرانية وتحريفها.
- دعم الأصولية الصهيونية العالمية لليهود؛ لتحقيق وعدهم المزعوم بالعودة لأرض المعاد.

الفصل الأول
نشأة الأصولية النصرانية المعاصرة، تطورها، أثر التغيير البروتستانتي في ظهورها، أهدافها

- توطئة.
- أولاً: نشأة الأصولية النصرانية المعاصرة، وتطورها.
- ثانياً: أثر التغير البروتستانتي في ظهور الأصولية النصرانية.
- ثالثاً: أهداف الأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصرة.

الفصل الأول
نشأة الأصولية النصرانية المعاصرة، تطورها، أثر التغيير البروتستانتي(1) في ظهورها، أهدافها.

توطئة:

للبدء في الحديث عن الأصولية النصرانية الحديثة، لابد من إعطاء تمهيد يعرّف بالنصرانية التي هي أصل الأصولية الحديثة:

فالنَّصْرانيّة: ديانة سماوية أُنزِلَتْ على عيسىυ آخر أنبياء بني إسرائيل، وهي مكملة لرسالة موسىυ، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وموجهة خاصة لبني إسرائيل باعتبارها حركة تصحيحية لليهودية من داخلها من حيث أنه υ كان ملتزماً بشريعة التوراة، وأخبرهم بأنه ما جاء لينتقض الناموس بل ليكمل، وحصر دعوته في أبناء جلدته من اليهود ابتداءً، وكان حواريوه جميعهم من اليهود، وقصد برسالته، ودعوته تطهير اليهودية مما علق بها من أمور شركية، وأقر، وأكد التوحيد.

ولَقب المسيح الذي لُقب به عيسىυ مشتق من الكلمة العبرية "Messiah" ماشيح، وتعني: المنقذ الموعود، كما وتعني: الممسوح صرته بدهن الزيت المقدس(2)، ولقد اهتم علماء اللغة، والتفسير في البحث عن معنى ووجود اشتقاقي للكلمة فلما لم يجدوا لها أصلاً عدوها كلمة عبرية، وأولوها عدة تأويلات، فقالوا: المسيح هو الصديق؛ أو لأنه: كان سائحاً لا يكاد يقيم في بلد واحد فكأنه ماسح الأرض؛ أو لكونه يمسح ذا العاهة فيبرأ؛ وربما لأنه كان أمسح الرجل، ولم يكن له أخمص(3)، وقد أدرك الإمام الطبري الأصل الغريب للكلمة، فقال: إنها سريانية، وأصلها مشيح، فعرّبت، فقيل: مسيح(4)، وقد سماه الله بذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع، حيث قال عز من قائل: ﴿الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق﴾ (سورة آل عمران، آية:45)، وقوله تعالى: ﴿الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون﴾ (سورة المائدة، آية: 75).

أما تسمية الدين بالنصرانية فينسبها بعض العلماء إلى مدينة الناصرة، وهي قرية المسيح من أرض الجليل في فلسطين فقد ولد في بيت لحم، ثم هاجرت به أمه مريم ابنة عمران عليهما السلام، وتنقلت به في عدة مناطق خوفاً عليه إلى أن استقرت بعد هجرتها في قرية الناصرة في فلسطين، جاء في إنجيل متى2: **(وإذ أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء، وأنه سيدعى ناصرياً23)**. إلا أن النصارى كما جاء في القرآن الكريم هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم حتى صار علماً عليهم، قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (سورة المائدة، آية: 14) أي: من الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى(5)، وهي بمعنى أنهم أنصار دين الله، وأنصار نبيه، كما جاء على لسان عيسىυ عندما سأل حوارييه من أنصاري إلى الله؟، وأثبته المولى عز وجل في قوله: ﴿النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد

---

(1) البروتستانتية حركة مسيحية تعني: المحتجون، نسبة لاحتجاج أصحاب هذه الحركة على آراء الكنيسة الكاثولوكية. وهذه الكلمة في أصلها اللاتيني تدل على معنى إيجابي وهو (الشهادة) والشهادة هنا بمعنى حجج معينة، وليست بمعنى الاحتجاج (انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر. ص14).

(2) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: د. عرفان عبدالحميد فتاح. ص13. دار عمار للنشر. عَمان (ط: 2000م).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير. ج1. ص22. دار يوسف. بيروت (ط: 1983م).

(4) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري. ج6. ص35. دار الفكر. بيروت (ط: 1405هـ).

(5) انظر: ابن كثير: ج2. ص33.

الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات ﴾ (سورة الصف، آية: 14)

فالحواريون هم الذين ناصروه، وآزروه، وساعدوا على نشر تعاليمه، كما قرر ذلك المولى في صدر الآية، وعيسىυ حلقة في سلسلة الأنبياء، والرسل الذين بعث بهم الله تعالى إلى بني إسرائيل، وجاءهم بالتوحيد الخالص، وإقرار العبودية لله، وأكد لهم أنه بشر اصطفاه الله؛ للقيام بأعباء الدعوة بين بني إسرائيل؛ ليردهم إلى شريعة الله مصدقًا للتوراة غير ناسخ لها بل مفسرًا، وشارحًا لتعاليمها، وحاكمًا بشريعتها، وأنزل عليه الإنجيل شاملاً لأسس دعوته المكملة لدعوة موسىυ، وهو من أولي العزم من الرسل الخمسة، وآخر أنبياء بني إسرائيل بعثه الله إليهم لما تنكبوا الصراط المستقيم، وخرجوا عن تعاليم دينهم لعدة مرات(1)، وحتى في عهد موسىυ، والقرآن الكريم يصور بوضوح موقف بني إسرائيل من الدعوة الجديدة في قوله تعالى: ﴿النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل قريش الماعون الكوثر الكافرون النصر المسد الإخلاص الفلق الناس

بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (سورة الصف، آية: 14). قال ابن كثير: «لما بلغ عيسىυ رسالة ربه إلى قومه، وآزره من آزره من الحواريين اهتدت طائفة من بني إسرائيل بهديه، وضلت طائفة فتنكبت عن الصراط المستقيم، وجحدوا نبوته، ورموه، وأمه بالعظائم، وهم: اليهود، وغالبهم من الفريسيون المتشددين»(2).

ومما سبق يتضح أن بني إسرائيل انقسموا إلى فريقين تجاه دعوته υ:

الفريق الأول: المؤمنون به المناصرون لدعوته، كما قال تعالى: ﴿المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ ...﴾ (سورة آل عمران، آية: 52). وهم فيما بعد اشتهروا تاريخياً باسم النصارى الذين اشتقت منهم كلمة النصرانية موضوع هذه الدراسة، وإن استحال أمرهم فيما بعد إلى كفر، وضلال.

الفريق الثاني: هم الذين قالوا فيه υ إثماً، وافتروا كذباً، وكذبوا، وجحدوا، فضلوا، وأضلوا وهم اليهود الذين استمروا في غيهم، واستمرؤوا في كفرهم، وتمادوا في ظلماتهم، وهم الطائفة المغضوب عليهم إلى يوم الدين.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران في شأن عيسىυ أنه علّمه الكتاب، والحكمة، والإنجيل، وأنه رسوله إلى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿بالله من الشيطان الرجيم أعوذ﴾ (سورة آل عمران، آية: 48)، وقوله: ﴿... فطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى ﴾ (سورة البقرة، آية: 87)، وقوله: ﴿بالله من الشيطان الرجيم أعوذ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 48) يقول صاحب الظلال: التوراة كانت كتاب عيسى كالإنجيل فهي أساس الدين الذي جاء به، والإنجيل تكملة، وإحياء لروح التوراة، ولروح الدين التي طمست في قلوب بني إسرائيل، وهذا ما يخطئ الكثيرون من المتحدثين عن النصرانية، فيغفلون التوراة، وهي قاعدة دين المسيحυ، وفيها الشريعة التي يقوم عليها نظام المجتمع، ولم يعدل فيها الإنجيل إلا القليل»(3)، وبهذا يتضح موقع التوراة، ومنزلتها الحقيقة بالنسبة للنصرانية القديمة، والمعاصرة، فهي أساس لا فرع، ولا يجوز تقديم غيره عليه، وهي كتاب موسىυ أولاً، ومن بعده كتاب عيسىυ، حيث علّمهما الله إياه كما في قوله تعالى: ﴿بالله من الشيطان الرجيم أعوذ﴾ (سورة آل عمران، آية: 48)، وقوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم **قال تعالى :** ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم **صدق الله العظيم** بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم﴾ (سورة المائدة، آية: 46). فالعقيدة النصرانية المعاصرة عقيدة محرّفة، حيث اعتراها

---

(1) انظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: سعدالدين صالح. ج1. ص70. مكتبة مدبولي. القاهرة (ط: 1984م).

(2) ابن كثير: ج4 ص362.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب. ج1. ص392. دار الشروق. بيروت. (ط22: 1994م).

التغيير، والتبديل، وتطورت عن أصولها الحقيقية التي أنزلها الله، ومرت بمرحلتين أساسيتين ساعدتا على اختفاء العقيدة الصحيحة، وظهور العقيدة الفاسدة التي حرّفت العبادة من أصلها، وحولتها لغير الله، وقد ذمها المولى عز وجل في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وهاتين المرحلتين هما:

الأولى: منذ بعثة المسيحυ إلى مجمع[1] نيقية[2] عام (325م)، حيث تباين فيها المعتقد بين الطوائف إلا أنها كانت هناك طوائف موحدة لا تقول بتعدد الآلهة.

الثانية: من مجمع نيقية الذي اعتمد عقيدة التثليث: الآب، والابن، والروح القدس، وقد انتحلتها جميع الطوائف إلى وقتنا الحاضر مع اختلاف تفسير طريقة الحلول الإلهي من طائفة لأخرى.

---

(1) مجمع: هو مكان الاجتماع، وعند اليهود مركز العبادة، ودار القضاء العالي، ومركز لقراءة الكتاب المقدس، ومجمع كلمة مرادفة لكلمة الكنيسة، فكلتاهما تعنيان مكان العبادة (انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص 269).

(2) نيقيه: نسبة إلى مدينة نيقية الواقعة شمال غربي آسيا الصغرى، والمعروفة بـ: "أزنك" التركية، والقريبة من القصر الإمبراطوري لقسطنطين الأكبر آنذاك، عقد هذا المجمع بدعوى رسمية من الإمبراطور قسطنطين الأول الأكبر في صيف عام (325م)، وتوالت اجتماعاته على مدى أكثر من شهرين،(19/حزيران – 25 آب) (انظر: النصراني نشأتها: د. عرفان عبد الحميد. ص84 - 85).

أولاً: نشأة الأصولية النصرانية(1) المعاصرة، وتطورها

ولدت الأصولية النصرانية التدبيرية الإنجيلية المعاصرة، ونشأت كعقيدة دينية مستقلة بذاتها رداً على أفكار الكنيسة الكاثوليكية التقليدية في روما مع بدايات القرن السادس عشر على يد المصلح المعروف مارتن لوثر الذي نادى بإصلاح الكنيسة من الداخل في بعض مقرراتها الكنسية، ثم تبلورت أفكاره بعد حرب كلامية لم يطل زمانها لتنشق، وتستقل عن كنيسة روما تحت مسمى مذهب (البروتستانت)، ويلقب أتباعه بالبروتستانت، أي: المحتجون، وانتشر في قطاعات واسعة من المجتمعات الأوروبية، وتطور إلى إيديولوجية سياسية سادت جميع بلدان أوروبا التي اجتاحتها الحركة، حتى صارت معلماً من معالم الديانة الأوروبية، والأداة المهيمنة على الفكر الأوربي، ومن أكثر مقومات الثقافة الغربية تجذراً، ورسوخاً في الأذهان هذا قبل أن تنتقل، وتنغرس في الذهنية الأمريكية، وبعد الانتقال إلى القارة الأمريكية أصبحت الموجه الأساسي للتيار الأصولي الأوروبي، والأمريكي الذي اتخذ في النصف الثاني من القرن العشرين أبعاداً أوسع، وأعمق مما كان عليه في الماضي، وصار له قوة ونفوذ، وفعل، وتأثير كبير في وجدان الغربيين، وفكرهم، وسمح من خلاله للاختراق الصهيوني للديانة النصرانية، وتغيير معتقداتها وفق حاجاتها، ومتطلباتها السياسية كما سنبين في الفصول القادمة ــ بإذن الله ــ

رغم أن الأصولية البروتستانتية كحركة دينية قائمة لها دعاتها، وأنصارها بدأت ببدايات القرن السادس عشر إلا أن وجودها كمصطلح ديني لم يظهر إلا في النصف الأول من القرن العشرين(2)، ويرى الباحث جورج المصري: «إن أول من نادى بهذا المصطلح رئيس تحرير مجلة نيويورك في افتتاحيات عدد يناير سنة (1920م)»(3)، ثم راج استخدامه بعد حادثة سكوب(4)، وتغيرت مضامينها، وأخذت في الاتساع، والانتشار بعد انتقالها إلى أمريكا، حيث لاقت رواجاً شعبياً مذهلاً، وشكلت مفاهيمها عنصراً هاماً في الفكر الأمريكي(5).

حيث كانت في أول أمرها عبارة عن توجه فكري منبثق من توجه الكنيسة الأولى الكاثوليكية المتعلقة بعقيدة المجيء الثاني للمسيح، ثم فتر هذا الهاجس في نفوس الناس بعد مجيء قسطنطين(6) في القرن الرابع الميلادي الذي اعتنق النصرانية، وذلك بتأثير التيار الذي قاده القديس بولس(7)، وأتباعه، وإقرار عقيدة التثليث، كما أن المجامع النصرانية التي انعقدت تحت سلطة الإمبراطور، ووفقاً لتوجهاته انحازت للآراء القائلة: بتعدد الآلهة: الآب، والابن، والروح القدس، وعملت على مطاردة الموحدين، والمخالفين لها في الرأي، وعقدت المجمع الكنسي الأول الذي عرف بمجمع نيقية عام (325م)، والذي تبنى ما يعرف بمعتقد نيقية الذي يقول: إن يسوع هو الإله المتجسد، ورفض آراء آريوس الذي ذهب إلى أن المسيح بشر، ولم يكن إلهاً، وبحلول عام (392م) أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للدولة الرومانية بدلاً عن الديانة الرومانية الوثنية، وانتشرت على أثر ذلك في أوروبا الغربية جميعها بل إن تاريخ أوروبا ارتبط في مساره العام بالنصرانية، ولم يلبث أن بدأ الضعف يدق في أوصال الدولة الرومانية، وفقد آخر إمبراطور روماني سلطته عام (476م) بعد ذلك تباعد مركز الكنائس النصرانية عندما انقسمت إلى شرقية، وغربية، ونشأت خلافات بين الكنيستين، الأولى: كانت عقدية بحتة، والثانية: كانت حول سلطة البابا، وأدى ذلك إلى الانشقاق النهائي بينهما عام (1054م)،

---

(1) سنذكر النشأة هنا مختصرة نظراً لذكرها باستفاضة في المبحث الثاني العلاقة بينهما حديثاً.
(2) انظر: الأصولية الإنجيلية: صالح عبدالله الهذلول. ص30: 31. دار المسلم. الرياض (ط1: 1416هـ).
(3) الأصولية المسيحية في أمريكا دراسة في الأبعاد الفلسفية مقال بمجلة الإنسان القاهرية. ع8 . ص42عام: 1413هـ.
(4) سبق ذكرها بالمبحث الأول من التمهيد.
(5) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورجي كنعان. ج1. ص59. دار بيسان. بيروت (ط1: 1995م).
(6) قسطنطين: قسطنطين الأول "الكبير" 312-337"، إمبراطور روماني (312-337) يعتبر أعظم أباطرة الرومان المتأخرين، تنصر عام (313م)، فكان أول إمبراطور روماني مسيحي، أعاد بناء مدينة بيزنطة عام (330م) ودعاها على اسمه "القسطنطينية" ومن ثم نقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إليها، شيد عدداً كبيراً من الكنائس (انظر: معجم أعلام المورد: منير البعلبكي. ص348).
(7) بولس: ليس من الحواريين وهو تلميذ برنابا ، وهو يهودي من ألد أعداء أتباع عيسى وكان باعترافه هو يؤذيهم ويسجنهم ويجلدهم، كما أن بولس كان أستاذاً للوقا الذي كتب إنجيل لوقا، وقد زعم بولس أنه كان سائراً إلى دمشق إذا به يسمع صوت عيسى (بعد رفع عيسى) يناديه ويعاتبه ويحثه على نشر تعاليم المسيح بين الأمم وزعم أنه يوحى إليه من عيسى، ولقد كان بولس ذا تأثير كبير في النصرانية فقد أراد أن يعدل تعاليم عيسى ليرضي الرومان واليونان فأدخل على النصرانية عقيدة التثليث وجعل الله ثلاثة، وأباح كل الأطعمة وألغى الختان وأدخل عقيدة الصلب والفداء، فعل كل ذلك مخالفاً الإنجيل والتوراة ومخالفاً عيسى نفسه (انظر: مقارنة بين الأناجيل الأربعة: محمد علي الخولي. ص193. دار الفلاح للنشر والتوزيع. عمان. ط2: 2000م).

وهذا الانشقاق ما زال مستمراً حتى اليوم بين الكنيسة الغربية التي يعرف أتباعها بـ(الكاثوليك)، والكنيسة الشرقية التي يعرف أتباعها بـ (الأرثوذكس)، ثم ظهر صراع من نوع آخر داخل كنيسة روما الأم الكاثوليكية بين الملوك، والبابوات واستمر حتى نهايات القرن السادس عشر أدى إلى تحفيز بعض رجال الدين الكاثوليك؛ لإحياء دعوات الإصلاح السابقة التي بدأها عدد من رجال الدين في القرن الرابع عشر، والتي لم تكلل بالنجاح، ومنها نشأت حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر في ألمانيا عام (1483: 1546م)(1)، وزنجلي في سويسرا عام (1484: 1534م)، وجون كالفن في سويسرا، وإنجلترا عام (1509: 1564م)(2)، وكالدعوات السابقة لم تجد آذانًا صاغية من كنيسة روما، ومن ثم سعوا إلى تكوين جماعات تبنت آراءهم، وكونوا لهم وحدة دينية منفصلة عن الكنيسة رافضين سلطانها. حيث عرفت الحركة التي تبنوها فيما بعد بحركة الإصلاح البروتستانتي أي: المحتجين، وأطلقوا على كنائسهم اسم الكنيسة الإنجيلية؛ لأنها لا تخضع إلا لحكم الإنجيل، وانتشرت دعوته في ألمانيا، والدنمارك، وهولندا، والأمريكتين، وسويسرا، وفرنسا، وإنجلترا.

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام المبشر البريطاني "جون درابي" بأنشطة متعددة، وبرز بعده في نفس القرن "سكوفيلد" من ولاية ميتشجن الأمريكية، وقام بأعمال، وأنشطة ركزت على أفكار البروتستانتية الإنجيلية(3).

ثم انقسمت الكنيسة الإنجيلية إلى تيارين، الأول: يؤمن بالعودة الحقيقية الحرفية للمسيا، ومجيئه ثانية، وهم الأصوليين التدبيريين، والثاني: يرى أن المجيء معنوي فقط، وهم الأصوليون الإنجيليون، وقد قوي أتباع التيار الأول، وصار له منظرون، وفي القرن العشرين تحولت الأصولية التدبيرية من حركة، واتجاه مذهبي طائفي إلى جمعيات، وتنظيمات تبشيرية تعمل خارج أسوار الكنيسة، ثم ازدادت أعدادها، وتعددت أنواع أنشطتها خاصة بعد السبعينات، كما صارت لها موارد مالية ضخمة، وتغلغلت في معظم مواقع العمل في الغرب، وخاصة في أمريكا؛ لذا تعتبرالأصولية التدبيرية طائفة نصرانية تبشيرية متشددة تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس، وتنادي بقدسية الشعب اليهودي، وضرورة عودته إلى فلسطين أرض المعاد، و...وقيام الحكم الألفي(4)، وقد هيأت الأصولية البروتستانتية بهذه الأفكار للأيديولوجية الصهيونية اليهودية المناخ الفكري، والحضاري، ومكنت لها بالدعم، والتعاون المباشر، وغير المباشر من تنفيذ مشروعها الاستيطاني على أرض فلسطين(5) لتتفقا معاً، وتضعا اللبنات الأولى للصهيونية العالمية، وتبرزها للوجود؛ ذلك لأنهم أخذوا على عاتقهم ترجمة التوراة من العبرية إلى جميع اللغات الوطنية في أوربا؛ ليتمكن العامة من الناس من قرائته، وتفسيره بأنفسهم حسب فهمهم دون الرجوع للكنائس، أوالبابوات، وأطلقوا عليه صفة العهد القديم، وأطلقوا على الإنجيل صفة العهد الجديد، وجمعوا العهدين فيما يسمى بـ(الكتاب المقدس)، وسمحوا لليهودية باختراق المعتقدات النصرانية؛ لتتمكن وتدعم أفكارها فاختلطت الأفكار، والمعتقدات اليهودية، والنصرانية، لتظهر على السطح المعتقدات الصهيونية الهجين، فنشأ النصراني الصهيوني، وفي نفسه اعتقاد قوي جازم أن العهد القديم التوراة (كتاب مقدس)، وأن المسيح عيسىυ يهودي جاء يكمل ما بدأه أنبياء التوراة، وأن النصرانية شديدة الارتباط باليهودية، أوهي استمرار، وامتداد لها، وأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم أتباع ديانة سماوية تعتبر أساس الديانات، وبفعل ربط التوراة بالإنجيل رسخ في الذهنية النصرانية أن عودة اليهود إلى أرض فلسطين، وإقامة دوله يهودية فيها، وإعادة بناء الهيكل إنما هو حق ديني، وإرادة إلهية(6)لابد من دعمها، وسرت تلك الأباطيل، وغيرها الكثير في عقول النصارى، واستدلوا على ذلك بما جاء في إنجيل متى5 على لسان المسيحυ قوله: **(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس، والأنبياء ما جئت لأنقض بل؛ لأكمل17)**، واعتبروها حجة، وبرهاناً على أن المسيح جاء يكمل شريعة موسىυ كسواه من أنبياء اليهود، وبدأت الشعوب النصرانية، والعالم يمد لهم يد المساعدة، والعون لإنفاذ إرادة الله، وهذا مصداق قوله عز وجل:

---

(1) مارتن لوثر: ولد من أبوين فقيرين في إيزيلين السكسونية بألمانيا عام (1483م) وتلقى تعليمه في مدرسة مانسيفيلد ثم في مدرسة الآباء الفرنسيسكان في مجد برج ودرس القانون بجامعة إرفرت منذ سنة (1501) ثم نال بكالوريوس في الآداب، وبعد عامين نال درجة الدكتوراة في الفلسفة، ثم عين كاهناً عام (1507م) وعين بعد عام أستاذ محاضر بجامعة وتنبرج، احتج على الكنيسة الكاثولوكية عام (1517م) وهو من أوائل رواد حركة الإصلاح التي عرفت بالبروتستانتية (انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر. أديب سلامة. ص13).

(2) سبق ذكر الحركة بالتفصيل في المبحث الثاني من العلاقة بينهما.

(3) انظر: الأصولية الإنجيلية: صالح الهذلول. ص85.

(4) انظر: نفسه. ص35.

(5) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورجي كنعان. ص15: 16.

(6) انظر: نفسه. ص26.

﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (سورةالمائدة، آية: 51)، وقوله تعالى: ﴿لُقۡمَان السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَأٍ فَاطِرٍ﴾ (سورة الأنفال، آية: 73).

ثانياً: أثر التغير البروتستانتي في ظهور الأصولية النصرانية المعاصرة

تذعن الولايات المتحدة في الوقت الراهن لأقلية دينية نصرانية متصهينة تقود العالم إلى دمار شامل من أجل التهيئة لعودة المسيح عيسىυ إلى الأرض - بزعمهم - عبر معركة تدميرية لا إنسانية تسمى هرمجدون رغم اختلاف معتقدات الطوائف النصرانية حولها كالكنيسة (الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والإنجيلية الأم)، ورغم وجود أصوات نصرانية عقلانية تدرك أبعاد هذه المعتقدات التدبيرية الخطرة إلا أن هذه الأصوات ما زالت خافتة، وبعيدة عن التأثير السياسي القوي، والمباشر على دوائر صناعة القرار في العالم الغربي، وما هذه الحملات الشرسة على خاتم الأنبياء، والمرسلين نبي الرحمة، والهدى، والنور ^، وحملات الكراهية ضد الإسلام، والمسلمين، التي تزداد قوة وشراسة يوماً بعد يوم، إلا ويقف وراءها رموز هذا الفكر الديني، والسياسي المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية بدعم من اللوبي الصهيوني الأمريكي...، وهذا ما سيدفع لجر العالم إلى صراعات عالمية شاملة من صناعة الصهاينة التدبيريين.

فمن هم التدبيريون؟، وما هي أهدافهم؟، ومتى بدأ ظهورهم؟، وما الأثر الذي أحدثوه لتغيير مسار النصرانية، وانحرافها؟، وما تأثيرهم في صنع القرار العالمي؟.

حال الكنيسة قبل التغير البروتستانتي:

ذكرنا سابقاً أن الكنيسة الكاثوليكية الأم أنقسمت على نفسها لسببين:

الأول: لا يتعلق بالعقيدة، ولكن بالرئاسة الكهنوتية، ولمن تكون؟، أهي لكنيسة القسطنطينية الشرقية، أم لكنيسة روما الغربية؟، وقرر المجمع أن تكون لروما؛ لأن رئيس كنيسة روما هو الحبر الأعظم، والرئيس الروحي للمجمع.

الثاني: يتعلق بالاعتقاد فكنيسة القسطنطينية، ومن والاها اعتقدوا أن الروح القدس من الأب وحده لا من الأب، والابن، وكنيسة روما، ومن والاها اعتقدوا أن الروح القدس منبثق من الأب، والابن معاً، وعلى ضوء ذلك انقسمت إلى كنيستين شرقية، وغربية، وكثرت، وتشعبت الاختلافات العقدية بينهما عبر السنين(1)، وزادت ضغوط الكنسية الكاثوليكية الغربية في روما على أتباعها من النصارى، وبالغت في قسوتها، وشدتها، وفرض آرائها مبالغة تجاوزت حد الغلو، ولم تسلك في سبيل ذلك الموعظة الحسنة، والدعوة الصالحة، والإرشاد القويم، ومخاطبة الأرواح، والأنفس، وتمكينها ممَّن تتبعها، وهي حرة مريدة مختارة بل سلكت سبل العنف، والشدة فجعلت كل رأي في العلوم الكونية يخالف رأيها كفراً، وزندقة، يوجب التكفير، ومن ثم يطال قائلها عقوبة القتل، والتعذيب، والحرق حياً، وبناءً على كثرة مخالفات العلماء التجريبيين لآراءها، ومعتقداتها المبنية على استنتاجاتهم العلمية في تفسير الظواهر الطبيعية الكونية، والتي تخالف تفسيرها لتلك الظواهر من خلال تفسيرها للإنجيل عقدت المجمع الثاني عشر من مجامعها، وهو المجمع المسمى باللاتيراني الرابع المنعقد عام (1251م)، والذي قرر فيه البابوات استئصال الهراطقة ــ يعنون بذلك كل من يرى رأياً مخالفاً للكنيسة في الكون، أو الطبيعة ــ من المجتمع، وشن الحرب عليهم، وتتبعهم فأخذت بقتلهم، وحرق كتبهم، ومؤلفاتهم، بل وحرقهم أحياء، ولم تكتف بذلك فأخذت تنقب على القلوب وتستكن خبايا النفوس، وتكشف عن سرائر الناس، بما عُرف عبر التاريخ بمحاكم التفتيش(2).

وحدث في أوائل القرن الخامس عشر أن أحس أساقفة فرنسا بضرورة إصلاح حال البابوات فانعقد لذلك مجمع مؤلف من (150) أسقفاً، و(1800) من رجال الدين، ولكن هذا المجمع انتهى في قراراته بالأمر بإحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيميا، ورفيقه جيروم،...، كما وأحرق، وعُذب في هذا السبيل علماء كثر منهم العالم الشهير "جاليلو" الذي كان له رأيُ في دوران الأرض فسجن بذلك الرأي مع أن رأيه ليس من أمور الدين في شيء،...، واشتد طغيانها حتى أن الملوك لم ينجو منها ففرضوا أوامرهم عليهم كما فرضوها على الناس، واحتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة، واستبدت بتفسيرها، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير، وابتدعت العديد من المسائل، والشرائع من ضمنها: مسألة صكوك الغفران، واستحالة العشاء الرباني إلى جسد يسوع، وفرض الضرائب، والأتاوات الكبيرة، وتميَّز البابوات لأنفسهم مادياً، واجتماعياً، واختصاصهم بالطبقة الدينية العالية أما رجال الطبقة الدينية من دونهم ففي فقر مدقع، ومن هنا جاءت فكرة الإصلاح من بعض رجالات الدين الذين عُذبوا، وأعدم رجالاتهم حرقاً، عندما أرادوا إصلاح الفساد الكنسي(3).

حركة الإصلاح البروتستانتي والتغييرات التي أحدثتها على العالم المعاصر:

---

(1) انظر: محاضرات في النصرانية: الشيخ محمد أبو زهرة. ص197. دار الفكر العربي. القاهرة (ط3: 1961م).

(2) انظر: نفسه. ص204.

(3) انظر: نفسه. ص153: 162.

بدأت إرهاصات الإصلاح تبدو، وتلوح في الأفق كما ذكرنا سابقا من وقت لآخر حيث ظهر رجال استعدوا للفداء من أجل الإصلاح زمناً بعد زمن بدءً من الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي حيث بدأها جون ويكلف عام (1320: 1384م)، ثم تبع تعاليمه، ونشرها جون هس عام (1369: 1415م)، ثم أراسيموس عام (1469: 1536م). ثم ما لبث أن خبت هذه الدعوات، ولم يقدر لها الانتشار، ثم عادت، وظهرت الآراء، والحركات الإصلاحية شمال أوروبا، وانجلترا، وفرنسا؛ لاقتران حاضرتها بالدين فكانت شديدة الغيرة عليه قوية الرغبة في فهمه على وجهه الصحيح جاعلين قبلتهم الكنيسة، ورجالها...فعثروا بما أوتوا من رغبة دينية، وعقل فاحص على عيوب بابوات الكنيسة فأرادوا أن يصلحوها من غير أن يهدموها؛ لذلك ظهرت بشائر حركات الإصلاح في الأفق مرة أخرى مع بدايات القرن السادس عشر حيث انبثقت أصوات قوية جريئة تدعو إلى إصلاح الكنيسة، وتنتقد حالها، وتندد بأعمالها، وتنشر عيوب القائمين عليها، آملين أن يصلحوا أمرهم، ويعودوا إلى آداب الدين، وتهذيبهم، وظهر في هذا القرن العديد من الأصوات منها ما كان يدعو بصورة هادئة، ومنها ما اتخذ أسلوب النقد العنيف اللاذع، ومن أبرز من كان لهم تأثيراً قوياً، ونفوذاً واضحاً في التغيير مارتن لوثر (1483: 1546م) في ألمانيا، وألريك زونجلي (1484: 1534م)(1) بسويسرا، وجون كالفن (1509: 1564م)(2) بفرنسا(3)(4)، وتتلخص أهم مبادئ الإصلاح التي جاء بها المذهب الجديد في عدد من من الأصول العقدية(5).

وفي عام (1607م) نشر كتاب في بريطانيا يُسمَّى أبو كالبسيس لرجل دين يهودي يدعى "توماس برايتمان" أظهر فيه البذرة الأولى لمعتقد النصارى التدبيريين، حيث قال: «إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين لعبادته»(6)؛ لأنه يحب أن يُعبد من هناك!، وظهر في وقت كان اليهود يتعرضون فيه للاضطهاد في روسيا القيصرية، وفي بعض دول أوروبا الشرقية، وكانوا يلجؤون إلى أوروبا الغربية عن طريق الهجرة المكثفة(7).

ثم في عام (1649م) وجه رجلا دين بريطانيان كانا يعيشان في هولندا رسالة إلى الحكومة البريطانية يطلبان فيها أن يكون لبريطانيا شرف نقل اليهود على البواخر البريطانية إلى فلسطين؛ تحقيقاً للإرادة الإلهية بوجوب عودتهم إلى هناك!.

بعدها بأكثر من قرنين من الزمان، وبالتحديد في عام (1903م) ظهر شرح إنجيلي عُرف بإنجيل سكوفيلد لمؤلفه "سايلس سكوفيلد"، ويمثل هذا الشرح الكتاب المقدس لهذه الفرقة المتصهينة، ويضع المنهج التنفيذي لمعتقدات أتباعها.

أطلق هؤلاء على أنفسهم اسم النصارى الصهاينة التدبيريين، وعدد أتباعهم يربو على

---

(1) ألريك زونجلي: ولد في سويسرا أرسله أبواه للدراسة في بيرن، وهناك ألتقى به بعض الآباء الدومينيكان، عين راعياً لمدينة جلاريس عام (1506م) ثم أصبح واعظاً لدير الأباء البندكتيين عام (1516م)، وعينه الباب "ليو العاشر" كاهناً خاصاً لدى الكرسي البابوي، ثم أصبح كاهن الشعب في كاندرائية "زيورخ" عام (1518م) وقاد حركة الإصلاح في سويسرا، ومات في الحرب عام (1531م) (انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر: أديب سلامة. ص15)

(2) جون كالفن، ولد في مدينة نابون بفرنسا درس العلوم اللاهوتية في باريس، والقانونية في أورليانز، وكان والده يرغب في أن يكون محامياً، وضع كتاب بعنوان "أسس الدين المسيحي" عام (1536م) بعد انقطاعه عن الكنيسة الكاثولوكية بثلاث سنوات، ثم وضع كتاباً ضخماً أسماه "النظم المسيحية" شرح فيه العقيدة الكتابية شرحاً مفصلاً، وأسس عام (1559م) أكاديمية جنيف، وصارت "الكلفينيت" حركة دولية امتدت إلى هولندا، فرنسا، اسكوتلندا، انجلترا، إيرلندا، ألمانيا، وأميركا، ثم مصر (انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر: أديب سلامة. ص15: 16).

(3) انظر: محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. ص161.

(4) سبق ذكرها بالتفصيل في المبحث الثاني من التمهيد في العلاقة بين اليهود والنصارى حديثاً.

(5) سبق ذكرها بالتفصيل في المبحث الثاني من العلاقة بين اليهود والنصارى، في صحيفة اعتراضات مارتن لوثر الـ95:

1] أن يكون الخضوع التام الواجب على النصراني لنصوص الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) 2] عدم الرياسة في الدين ليس للكنيسة سلطان إلا سلطان الوعظ والإرشاد، وتأدية الفروض والتكاليف الدينية وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه، 3] ليس لرجل الدين حق غفران الذنوب 4] عدم الصلاة بلغة غير مفهومه 5] رفض عقيدة العشاء الرباني. 6] إنكار الرهبنة أنكر المصلحون التفرغ لخدمة الكنيسة، وعدم الزواج 7] عدم اتخاذ الصور والتماثيل: منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها. (انظر: محاضرات في النصرانية: أبو زهرة. ص168: 172).

(6) فيما يخص اليهود فقد كان المعتقد التقليدي السائد والذي يعتنقه عامة النصارى لمختلف الطوائف، والذي وضعه لهم قديماً قديس يسمى أوغسطين: يتضمن ثلاثة مبادئ هي:

1- إن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح.

2- أن الله طرد اليهود من فلسطين عقاباً لهم على صلب المسيح.

3- إن النبوءات التي تتحدث عن عودة اليهود قد تحققت بعودتهم من بابل على يد الإمبراطور الفارسي "قورش"

(7) انظر: الصهيونية المسيحية: محمد السماك: ص37.

الأربعين مليوناً، وقد وضحت معتقداتهم في إنجيل سكوفيلد، حيث وضع نظرية تقول: «إن الله مملكتين مملكة في الأرض هي إسرائيل، ومملكة في السماء هي الكنيسة، وبالتالي فإن على كل نصراني أن يعمل على تحقيق الإرادة الإلهية بإقامة مملكته على الأرض»(1) **كان هذا أساس انطلاق الحركة السياسية لأتباع التدبيريين، ومعتقداتهم(2) المتمثلة في الآتي:**

1- تحقيقاً للإرادة الإلهية بتسهيل، وتعجيل العودة الثانية للمسيحυ فلا بد من أن يجتمع اليهود لإقامة صهيون حتى يظهر بينهم.
2- إشعال الحروب في أنحاء متفرقة من العالم لا سيما في المنطقة العربية من أجل التعجيل بعودة المسيح، وهذه المعتقدات هي التي تقف خلف تهجير اليهود إلى أرض فلسطين لذلك فإن لدى التدبيريين ثلاثة مؤشرات لتحقيق الإرادة الإلهية للعودة الثانية للمسيح هي:
   - قيام إسرائيل عام (1948م).
   - احتلال القدس عام (1967م).
   - تدمير المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، ولذا فإن الذي قام بحرق منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى عام (1969م)، كان من أتباع التدبيريين، وكذلك وقفوا وراء المحاولات العديدة لتدمير المسجد الأقصى.

ومن أبرز رموز الحركة النصرانية التدبيرية التدميرية الصهيونية، والتي لها أثر مباشر على القرارت العالمية فيما يخص الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ودعمه بشتى الوسائل، والإمكانيات المادية، والمعنوية، والذين يشنون الحرب علانية على الدين الإسلامي، وعلى نبي الرحمة، والقرآن العظيم، ويحرضون على الاعتداء على المسلمين، وقتلهم، وإبادتهم داخل فلسطين، وخارجها هم:

1 ـ جيري فالويل Jerry Falwell:

هو قسيس إنجيلي معروف يقيم في فرجينيا، وله برنامج أسبوعي إذاعي، وتلفازي يصل إلى أكثر من 10 ملايين منزل أسبوعياً، وله جامعة أصولية تسمَّى جامعة الحرية يهاجم فيها النبي ^ من خلال وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى إضافة إلى موقعه الخاص على الإنترنت الذي يروج من خلاله لهرمجدون التاريخية حسب معتقداتهم، وقد أثارت تصريحاته موجة غضب واسعة النطاق في الأوساط المسلمة، والعربية داخل أمريكا، وخارجها قادت إلى خروج مظاهرات جماهيرية في بلدان عديدة، وإلى صدور انتقادات سياسية رسمية إسلامية، وعربية عديدة، ومما قاله في نبي الرحمة المهداة نبي السلام ^: «أعتقد أن محمداً كان إرهابياً،...»(3) فنقول ـ لعنة الله عليه ـ كما قال ربنا جلا في علاه: ﴿... ﴾ (سورة البقرة، آية: 161).

2 ـ بات روبرتسون Robertson pat:

وهو قسيس إنجيلي عُرِف باهتماماته السياسية، وتأييده المطلق لإسرائيل يملك عدداً من المؤسسات الإعلامية من بينها نادى الـ(700)، وهو برنامج تلفازي يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة إضافة إلى محطة البث النصراني الفضائية التي تصل إلى (90) دولة في العالم بأكثر من (50) لغة، ومنها إذاعة الشرق الأوسط المتخصصة في تنصير العالم العربي، كما وسعى للترشح لمنصب الرئاسة الأمريكية في عام (1988م)، ويقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري، وهو التحالف النصراني، ويملك جامعة أصولية هي جامعة ريجنت، وفي حديث لشبكة (سي إن إن) في شهر ديسمبر (2002م) قال: «إن الإسلام دين يشجع على الحروب، وعلى قتل اليهود،...»(4)، وقبل ذلك بأسبوعين أثار روبرتسون جدلاً كبيراً عبر تصريحه بأن المسلمين يريدون إبادة اليهود، وأنهم أسوأ من النازيين، ووصف الإسلام بأنه «خدعة هائلة»، وأن القرآن «سرقة دقيقة من الشريعة اليهودية!»، ووجه إساءات بالغة للإسلام، والمسلمين في برنامج تلفازي أذاعته قناة فوكس الأمريكية في 18 سبتمبر 2002م، من خلال برنامج هانتي وكولمز الذي تبثه قناة فوكس نيوز منها قوله: «... إن (80%) من القرآن نقل من النصوص النصرانية، واليهودية، ولقد ذُكر موسى أكثر من (500) مرة في القرآن أنا أقول إن

---

(1) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف: ص55.
(2) سبق ذكرها بالتفصيل في التمهيد المبحث الثاني العلاقة بينهما حديثاً.
(3) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية: محمد صقر. ص88. وما بعدها. وانظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن. ص100. وانظر: الأصولية المسيحية: جورجي كنعان. ص70. وانظر: المسيح الدجال ومعركة هرمجدون: هشام محمد أبو حاكمة. ص26. دار الإسراء للطباعة والنشر. عَمان (ط1: 2002م).
(4) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: محمد صقر. ص94. وانظر: البعد الديني للسياسة الأمريكية: د. يوسف الحسن. ص115.

هذا القرآن ما هو إلا سرقة من المعتقدات اليهودية،...»(1)، وهذا الأفك ليس بجديد عليهم بل هو متأصل في جذورهم من الآباء، والأجداد، وقد رد عليهم المولى متوعداً إياهم بقوله: ﴿الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس﴾ (سورة هود، آية: 18) وقوله تعالى: ﴿الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم﴾ (سورة القصص، آية: 42).

3 ـ جيمي سوجارت jemi Sugart:

هو القس الأمريكي الذي عُرف من خلال مناظرته الشهيرة مع الداعية المسلم أحمد ديدات،...، وقد أدلى بتصريحات في شهر نوفمبر (2002م) افترى فيها على الرسول ^، وطالب بطرد جميع طلاب الجامعات المسلمين الأجانب في الولايات المتحدة، كما وطالب أيضاً بالتمييز ضد المسافرين المسلمين في المطارات، وتعقبهم،..وغيرها من المطالبات العنصرية الكيدية، وأعلن صراحة في برامجه التلفزيونية تأييده لإسرائيل، ومساندتها، فقال: «أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل، وترجع الفكرة اليهودية إلى إبراهيم، ووعد الرب له، وهو وعد يشمل الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأن الرب قال: إني أبارك الذين يباركون إسرائيل، وألعن من يلعنونها، ومن فضل الله على الولايات أنها مازالت قوية إلى اليوم، وإني واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء إسرائيل وأدعوا دوماً أن تكون سنداً لها»(2)، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، كما قال تعالى: ﴿... القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر ...﴾ (سورة فاطر: آية: 43)، وقوله تعالى: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء﴾ (سورة الأنفال، آية: 30).

علاقة الرموز الدينية بمراكز صنع القرار العالمي (الخاص بالاحتلال الإسرائيلي):

تمثل الرموز الدينية السابقة المرجعية الدينية الحالية للتيار الأصولي اليميني المتطرف، والحزب الجمهوري الذي تمثله الرئاسة الأمريكية لعهود سابقة، وللدلالة على ذلك نذكر ما يأتي:

1. فرانكلين جراهام: هو الذي قرأ الأدعية الافتتاحية لمباركة الفترة الرئاسية للحكومات السابقة حكومة ريجان.
2. حرص رؤساء الحكومة الأمريكية على حضور المؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية.
3. قيام الحزب الجمهوري بتكريم كل من بات روبرتسون، وجيري فالويل؛ لمساهمتهما في دعم الحزب الجمهوري، والتيار اليميني المعارض.
4. قيام روبرتسون عام 1989م، بتأسيس منظمة سياسية تسمَّى التحالف المسيحي تهدف إلى توحيد أصوات المتدينين من التيار اليميني في السياسة، والانتخابات الأمريكية، وقد لعب هذا التحالف دوراً كبيراً في الفوز بمركز الرئاسة.
5. تقديم الحكومة منحة قدرها نصف مليون دولار لبات روبرتسون لدعم برامجه، كما كان روبرتسون يحضر اجتماع مجلس الأمن القومي الأمريكي باستمرار(3).

الخلاصــة:

1. إن علاقة هؤلاء الدعاة بالرؤساء الأمريكيين السابقين، والحاليين قوية، ومعروفة لكل الأوساط السياسية، والدينية، والإعلامية الأمريكية، وللعالم أجمع.
2. لم تترك هذه الفئة موقعاً دون أن تُوجد فيه صهيوني يهودي، أونصراني فـ (40%) من أصوات الناخبين كانت أصواتاً للمنتمين لتلك الفئة المتطرفة إضافة إلى كون الرئيس كلنتون من تكساس الواقعة في الجنوب الأمريكي، حيث تنتشر هذه الحركة بقوة، وتتجذر بشكل أكبر.
3. لا تخفي هذه الرموز دعمها المطلق لإسرائيل، واعتراضها على أي خطوة ولو شكلية

---

(1) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: صقر. ص92.

(2) المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على المسلمين: أحمد تهامي سلطان. ص57 مكتبة التراث الإسلامي للنشر. القاهرة (ب) بتصرف. وانظر: مجلة روز اليوسف ع3751، ص3، 29/ 4/ 2000م. وانظر: الأصولية المسيحية: جورجي كنعان. ص76. وانظر: المسيح الدجال ومعركة هرمجدون: هشام محمد أبو حاكمة. ص26.

(3) انظر: مجلة المجتمع : تقارير تاريخ: 2003/07/12م. النصارى الصهاينة.. والحملة على الإسلام والمسلمين. إعداد: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء (1: 2) موقع نسيج بالشبكة العنكبوتية: www.naseej.com.

لتخفيف معاناة الشعب الفلسطيني،...، وتحث الحكومة على الدعم غير المشروط لإسرائيل بدعاوى تحقيق التنبؤات الدينية للتيارات اليمينية المرتبطة بالحزب الجمهوري.

4. شدد جيري فالويل على دعم النصارى المحافظين لإسرائيل بقوله: لدينا (70) مليون شخص، ولا شيء يمكن أن يصب غضب الجمهور المسيحي على رأس هذه الحكومة ـ يقصد الحكومة الأمريكية ـ أكثر من التخلي عن إسرائيل، أو معارضتها في مسألة حيوية.

5. يقول موقع (CBS): إن فالويل بعث رسالة احتجاج إلى الرئيس الأمريكي عندما طالب إسرائيل بسحب قواتها من الأراضي الفلسطينية، ويزعم فالويل، وأمثاله: إن انتصار إسرائيل العدو يمثل إرادة الرب، وإن عودة اليهود لفلسطين شرط مسبق قبل العودة الثانية للمسيح؟.

6. يتبع الكنيسة التدبيرية العديد من محطات التلفزة، والإذاعات، والجامعات مما يعني أنهم يجمعون بين الخدمة الثقافية التعليمية، والخدمة الاجتماعية، ولديهم ما يعرف بالكنيسة الإلكترونية (Church Electronic) فالآلة الإعلامية التي يملكونها هي أحد مصادر القوة لديهم، وأداة التأثير على صانعي القرار، وبذلك يمكن تقدير قوة الحملة الشرسة على نبي الرحمة، والهدى، وحملات الكراهية ضد الإسلام، والمسلمين، والتي كثرت مؤخراً بصورة سافرة، وتحدي في الصحافة، ووسائل الإعلام المختلفة[1].

---

(1) انظر: مجلة المجتمع : تقارير تاريخ: 2003/07/12م، النصارى الصهاينة.. والحملة على الإسلام والمسلمين، إعداد: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء، (1: 2)، موقع نسيج: www.naseej.com.
وانظر: الحركة المسيحية: محمد صقر. ص102.

ثالثاً: أهداف الأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصرة

إضافة إلى ماذكرت سابقاً في المبحث الثاني من التمهيد في العلاقة بين اليهود والنصارى حديثاً من أهداف سياسة، واجتماعية، واقتصادية،... تبرز الأهداف الدينية المتمثلة في محاربة المد الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، والذي أقلق مضاجع النصارى فبدأوا يخططون لوقف هذا المد، وفتوحاته هذا على الصعيد السياسي، والعسكري أما على الصعيد الديني قاموا بتجييش الدعاة للتبشير بعودة المسيح، وقرب نهاية العالم، وانتظار الألف عام السعيدة، وطرقوا مختلف السبل للوصول لغاياتهم، وتعاونوا مع اليهود أعداء الله، وألد أعداءهم كما قرر ذلك الباري عز وجل بقوله: ﴿...ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡـــــــ...﴾(سورة المائدة، آية: 14)

ليكونوا حزباً ضد المسلمين تحت منظمتهم (الصهيونية العالمية)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله...﴾ (سورة المائدة، آية: 51)، ـ ولا تنافي بين الآيتين إذا تلاقى أهل الشر، والاعتداء ـ وما ذلك إلا ليمنعوا أبناء جلدتهم من الدخول في الإسلام في نفس الوقت الذي يحاولون إخراج المسلمين من دينهم إما إلى النصرانية، أو إلى لا دين أما باقي أهل الملل فإما أن: يدخلوا في النصرانية، أو أن يبقوا على ماهم عليه شريطة عدم دخولهم الإسلام، وما ذاك إلا الحقد الأعمى على الدين الذي ختم الله به سائر الأديان، وتمم به الرسالات، وما علموا قول الحق: ﴿بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿﴾ بِسۡـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم﴾ (سورة التوبة، آية:32)، وقوله: ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ سُورَةُ ٱلۡفَاتِحَةِ ٱلۡبَقَرَةِ﴾ (سورة الصف، آية: 8)، وذلك حسداً منهم لإيماننا بالله، وتوحيده كما أخبرنا المولى عن خبايا قلوبهم، حيث قال تعالى: ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿...﴾ (سورة النساء، آية: 89).

وتتركز أهم أهداف الأصولية الصهيونية البروتستانتية فيما يأتي:

1. الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، وهذا الهدف موجه إلى الجهود في المجتمعات التي يغلب عليها النصارى، ويعبر عنه بعض المنصرين بحماية النصارى من الأسلمة.

2. منع دخول الأمم الأخرى غير النصرانية في الإسلام، والوقوف أمام انتشاره بإحلال النصرانية مكانة، أو بالإبقاء على الملل، والنحل، والعقائد المحلية المتوارثة، أو بإخراجهم من دينهم فلا يدخلوا في الإسلام، ولا النصرانية، ولا أي دين آخر على أن يدخلوا في الإسلام.

3. إخراج المسلمين، أو جزء منهم من الإسلام، وهذا من الأهداف طويلة المدى؛ لأن النتائج فيه لا تتناسب مع الجهود المبذولة له من أموال، وإمكانات بشرية، ومادية؛ ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله تعالى، وتقويض العقيدة القويمة، والأخلاق الفاضلة في نفوسهم بشتى الطرق، وجعلهم مسخاً لا علاقة له بأي دين(1).

4. بذر الاضطراب، والشك في المثل، والمبادئ الإسلامية لمَن أصروا على التمسك به ـ ولم يحققوا فيهم الهدف الثالث سالف الذكر ـ وقد تكرر هذا الهدف في محاولات المنصر المعروف السموئل صاموئيل زويمر(2)الذي خاض تجربة التنصير في البلاد العربية بعامة وركز على منطقة الخليج بخاصة، وبعدة أساليب أخرى منها كتابات، ومؤلفات المستشرقين التشكيكية، والطاعنة في الإسلام، ومبادئه، وفي نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام، وصحبه الكرام رضوان الله عليهم.

5. الإيحاء بأن المبادئ، والمثل، والتعليم البروتستانتية أفضل من أي مثل، ومبادئ أخرى؛ لتحل محل المبادئ، والمثل الإسلامية، ولا يتأتى هذا مباشرة، ولكنه ينفذ من خلال دعاوى لا يظهر عليها البعد الديني المباشر، وإن كانت تسير في تحقيق هذا الهدف.

6. الإيحاء بأن تقدم الغربيين الذي وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالتعاليم النصرانية، بينما يعزى تأخر العالم الإسلامي إلى تمسكهم بالتشريعات الإسلامية، وهذا منطق المنصرين المتمسكين بنصرانيتهم أما العلمانيون منهم فإنهم يقررون أن سر تقدم الغرب إنما جاء؛ لتخليهم عن النصرانية، وأن

---

(1) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. ص162. القاهرة. مكتبة وهبة (ط: 1981م).

(2) صموئيل زويمر (1867م ـ 1952م): من أبرز أقطاب التنصير في البلاد العربية، ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع ماكدونالد، وله آثار في العلاقات بين الإسلام والنصرانية (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال. ج2. ص1131).

تخلف المسلمين يعود إلى إصرارهم على التمسك بدينهم، والمهم هنا أن نؤكد أن مقصد العلمانيين بهذا المنطق الأخير هو تطويع الدولة للدين، وإلا فيترك للفرد أن يعبد الله كما يريد، وهذا ما صرح به القبطي إبراهيم فهمي هلال في دعوته؛ لأن يكون دستور مصر غير ديني مصرياً لا عربياً، وكان تصريحاً واضحاً صريحاً في ألفاظه، ومعانيه، كما دعا صراحةً إلى فصل الدين عن الدولة في الدستور الجديد حرصاً على قيام الأمة، ووحدة أبنائها، وليس معنى هذا التحرر من الدين فليتمسك كل شخص بدينه، وعلى الدولة رعاية جميع الأديان(1).

7. تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى، وترسيخ مفهوم الفوقية، والدونية(2) تعضيداً للاستعمار، والاحتلال بأنواعه، والتبعية السياسية من الشعوب، والحكومات الإسلامية للرجل الأبيض الغربي، ومن ثم يستمر إخضاع العالم الإسلامي؛ لسيطرة الاحتلال، ويستمر التحكم في مقدراته، وإمكاناته ــ، والأحداث المتلاحقة في عالمنا الإسلامي تؤكد ذلك ــ.

8. ترسيخ فكرة قيام وطن قومي لليهود في أي مكان أولاً قبل مؤتمر بازل، ثم تحديد فلسطين بشكل قطعي، وخاص مُعوّل في ذلك على أن الإنجيل العهد الجديد بعد تحريفه بأيدٍ يهودية، وبروتستانتية يهودية آثمة يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة، وأنها أضحت واجباً مقدساً على النصارى(3)، ومن ناحية أخرى التخلص من الجنس اليهودي في أوروبا الغربية، والشرقية ثم من الأمريكيتين، وجمعهم في مكان واحد، وهذا هدف أساسي مبطن، لذلك الهدف العقدي، ــ كما ذكرنا سابقاً ــ، ولم يتم لهم هذا رغم استمرار الدعوات لحمل اليهود على الهجرة إلى فلسطين؛ لأنهم على علم أن تجميعهم في مكان واحد مؤشر من المؤشرات التي لا تخدم الجنس اليهودي على المدى البعيد.

9. التغريب: وذلك بالسعي إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته، وممارساته، بأنواعها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والأسري، والعقدي من أصالتها الإسلامية إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة، وهي المستمدة من خلفية دينية نصرانية، أو يهودية وفي هذا يقول "سيرج لاتوش" في كتابه تغريب العالم: «إن تغريب العالم كان لمدة طويلة جداً عملية تنصير إن تكريس الغرب نفسه للتنصير يتضح تماماً من قبل الحروب الصليبية الأولى»(4)، وهكذا نجد أن ظاهرة المنصرين هي بالتأكيد حقيقة ثابتة للغرب باقية في ضميره بكل محتواها الديني يجدها الإنسان دائماً في العمل تحت أكثر الأشكال تنوعاً، ولليوم فإن غالب مشروعات التنمية الأساسية في العالم الثالث تعمل بطريق مباشر، وغير مباشر تحت شارة الصليب.

10. الهدف الأسمى الذي يسعون إليه باستماته قصداً هو إدخال النصرانية، وإعادتها إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية، وغيرها لا سيما في أفريقيا، وآسيا، وأمريكا الجنوبية وفي هذا يقول "روبرت ماكس" أحد المنصرين من أمريكا الشمالية: «لن تتوقف جهودنا، وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة»(5).

ويأتي هذا الهدف متأخراً في الترتيب؛ لأنه قد تبين من تجارب المنصرين في المجتمعات الإسلامية بخاصة، والتي وصل إليها الإسلام بعامة أنه ليس بالضرورة أن يكون هذا الهدف هو إدخال الآخرين في النصرانية بقدر ما هو محاولة؛ لضمان استمرار سيطرة النصرانية على الأمم الأخرى؛ لضمان عدم انتشار الإسلام، وهذه هي سمات، وخصائص الصهيونية العالمية المتحدة، والموجهة ضد الإسلام، والمسلمين، ومقدساتهم، والواقفة حائل دون المد الإسلامي، وانتشاره سواء كان دينياً، أو جغرافياً.

بِسْـــــــــــبِسْـــــــبِسْـــــــمِ

(1) انظر: الأقباط في مصر الحديثة نظرة في النزاعات القبطية في الأربعينيات والخمسينات: جورج خليل. ص103: 132. (دار:ب) القاهرة (ط: 1996م).

(2) انظر: الاستشراف بين الإنصاف والإجحاف: عبدالله العليان. ص33: 34. المركز الثقافي العربي للنشر. الدار البيضاء (ط1: 2003م).

(3) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. ص163.

(4) التغريب: طوفان من الغرب: سيرج لاتوش. ص13. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة (ط: 1990م) نقلاً عن حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب.

(5) الزحف إلى مكة حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي: عبدالودود شلبي. ص13. الزهراء للإعلام الغربي. القاهرة (ط: 1989م).

الفصل الثاني

المصادر التشريعية للأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصــرة

- تمهيد.
- أولاً: أسفار العهد الجديد.
- ثانياً: من أسفار العهد القديم سفر:
- رؤيا دانيال.
- رؤيا حزقيال.

الفصل الثاني
المصادر التشريعية للأصولية النصرانية البروتسستانتية المعاصـرة

تمهيد:

الإنجيل في الأصل كتاب سماوي أنزله الله على عيسىυ في حياته بنص واحد، ولم يدون في حياتهυ، ولا بعد رفعه للسماء مباشرة،.. جاء مصدقاً لما جاء في التوراة لا يحمل في طياته ديناً، وشريعة جديدين، ولم ينسخ التوراة اليهودية إنما جاء مكملا لبعض ما جاء فيها من تشريعات موسىυ؛ ليخفف عنهم بعض التكاليف، والأعباء، والقيود، والأغلال التي كانوا قد ألزموا بها في التوراة نتيجة فسقهم، وعصيانهم، ومن أهم ما جاء به عيسىυ في الإنجيل البشرى بنبي الهدى أحمد ^.

وكلمة إنجيل: كلمة يونانية تعني البشرى، أو البشارة، ويدّعي النصارى أن هذه البشرى هي بشرى الخلاص، والحقيقة نجدها مسطرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْـمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ (سورة الصف، آية: 6).

ونص البشارة بنبينا محمد ^ موجود في الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا بالإصحاحات (16/14)، ومسمياته فيها (المؤيد، وروح الحق، وسيد هذا العالم) أما ما هو موجود في هذه الأيام من الأناجيل فهو كما يعترف رجالات الدين النصراني أنفسهم أن محتوياته متناقضة، وأنها مؤلفات كتبت بأيدي بشر بعد المسيحυ، وأقدم النسخ المتوافرة ذات أصل يوناني تعود إلى القرن الرابع الميلادي، وأما النصوص الأصلية للإنجيل بلغته العبرية، أوالآرمية فهي مفقودة، والكتاب الموجود حالياً بين أيديهم الإنجيل ليس أكثر من كونه كتاباً يحكي سيرة المسيحυ كما تحكي التوراة سيرة موسىυ بشكل حائر، ومضطرب تغلب عليه ذكر أفعاله أكثر من أقواله(1).

ويعتبر الكتاب المقدس بعهديه القديم التوراة، والجديد الإنجيل هو مصدر النصرانية البروتستانتية التشريعي الذي تستقي منه تعاليمها(2)مع ملاحظة أن بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود في العهد القديم مرفوضة عندهم؛ لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها(3) أما أسفار الأنبياء السابقين فهي كتب مقدسة يبرر ذلك د . شلبي بقوله: «لإنهم كانوا في عهودهم الأولى يتبعون شريعة اليهود، والوصايا العشر عندهم»(4). إذ جاء في إنجيل متى**5** قول المسيحυ: **(لا تظنوا إني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل، فالحق أقول لكم إلى أن تزول الأرض والسماء، لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء17)**، وكان ينبغي لقول المسيح هذا أن يأخذ النصارى بكل الشرائع المنصوص عليها في التوراة إلا ما أمر المسيحυ بخلافه، ويظهر أن النصارى استمروا على ذلك (22) سنة من بعده υ، وهم في هذا كانوا يسيرون على المنهاج الذي سنه، والطريق الذي بيّنه لكن التلاميذ اجتمعوا بعد مضي أكثر من (22) سنة على رفعهυ، وخطب يعقوب(5)فيهم مقترحاً عليهم أن يحصروا المحرم على الأمم في أربعة أمور وهي: الزنا، وأكل المخنوق، والدم، وما ذبح للأوثان(6)، وأحلوا لحم الخنزير، وحرموا الختان بخلاف ما كانت عليه شريعة موسىυ.

وترجع البروتستانتية للعهد القديم؛ لمعرفة أخبار العالم في عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية، والدينية، وتاريخ نشأتهم، وحكوماتهم، وحوادثهم، والنبوءات السابقة

---

(1) انظر: الحقيقة بين النبوة والسياسة: محمد الحافظ نضال. ص230: 231. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).

(2) وهذا خاص بالبروتستانت، وخلاف معتقدات الكاثوليك، والأرثوذكس الذين لا يعتمدون إلا الأنجيل فقط.

(3) انظر: محاضرات في النصرانية: أبو زهرة. ص40.

(4) المسيحية: د. أحمد شلبي. ص229. دار المعرفة. القاهرة (ط6: 1978م).

(5) هو: يعقوب الصغير، ابن حلفي، لقب بالصغير، تمييزاً بينه وبين يعقوب ابن زبدي أخ يوحنا، الذي لقب بيعقوب الكبير، وهو أحد الحواريين الإثنى عشر من أقرباء المسيح، ومن أكبر الدعاة للمسيحية بعد المسيح خاصة في فلسطين، مات سنة (62م) بأورشليم، وله تعديلات كثيرة في الشريعة المسيحية (انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبدالواحد وافي. ص83. نهضة مصر. القاهرة (1996م)).

(6) انظر: محاضرات في النصرانية: أبو زهرة. ص117.

منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية، ونبواءات الأنبياء بنهاية العالم، ورؤيا دانيال،...، وغيرها[1]. مما سبق ذكره في الباب الأول المصادر التشريعية عند اليهود، إلا أن الأصولية النصرانية البروتستانتية تركز في دعواتها الأصولية على مسألة نهاية العالم، وعودة المسيح الثانية، وحكم العالم الألفي السعيد على بعض النبوءات، والرؤى التوراتية، والتي سنذكرها بعد ذكر كتبهم التي يعتمدونها في طقوسهم، وعباداتهم اليومية، والمعتمده عند جميع الفرق النصرانية الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، وما يتفرع عن كل منهم، وإن كان هناك اختلاف فيما بينها في بعض رسائل الرسل:

أولاً: العهد الجديد، وكتبه:

تتلخص في الأناجيل الأربعة وهي:

1- إنجيل: متى.
2- إنجيل: مرقص.
3- إنجيل: لوقا.
4- إنجيل: يوحنا.

أولاً: كلمة الأناجيل معربة عن الكلمة اليونانية إيفانجيليون، ومعناها البشارة، أو الخبر السار، والسبب في إطلاق هذا الاسم عليه بحسب دعواهم أنه: «يعلن للملأ محبة الله المطلقة للخطاة، وموت المسيح كفارة عنهم، حتى لا يهلك كل من يؤمن به منهم إيماناً حقيقياً بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا3: 16)»[2]، ومكان الأناجيل في الديانة النصرانية مكان القطب، والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح، وما أحاطوها من أفكار في النصرانية فإن هذه الأناجيل الأربعة هي التي تتناول أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل به υ إلى وقت موته، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة ـ كما يعتقدون ـ وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح ـ عياذاً بالله ـ والصلب، والفداء، والتجسد،...، بحسب عقيدتهم، وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق النصرانية كلها، ولم تجمع الأناجيل إلا بعد أعمال بولس في منتصف القرن الثاني للميلاد، أي: بعد عام (140م)، حيث ظهرت شهادات متصلة بمجموعة من الكتابات الإنجيلية التي أفاد فيها بوضوح عدد من الكتاب النصارى أنهم يعرفون عدداً ضخماً من الرسائل البولسية التي يسمونها رسائل الرسل لم تضمن بالأناجيل[3]، وفيما يأتي شرح موجز عن كل إنجيل منها:

أولاً: إنجيل متى:

ويشغل المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة من حيث ترتيب، وتقديم كتب العهد الجديد، وهذا مثبت تماماً، ـ وليس معنى ذلك بأنه الأول، والأقدم ـ؛ لأن هذا الإنجيل في صورة ما ليس إلا امتداداً للعهد القديم وكتب ليُعرف بأن عيسىυ جاء ليكمل تاريخ إسرائيل، كما يفيد شارح الترجمة المسكونية للتوراة، ولذلك فإن متى يذكر دوما بمقتبسات من العهد القديم؛ ليؤكد أن عيسىυ هو مسيح اليهود المنتظر[4].

وكتب هذا الإنجيل الحواري متى أحد تلاميذ المسيحυ الإثني عشر، ويسميهم النصارى رسلاً، واسمه مشتق من الكلمة العبرية مثتيا: ومعناه (عطية يهو)، ويسمى أيضاً لاوي ابن حلقي[5]، وقد كان قبل اتصاله بالمسيحυ من جباة الضرائب، وكانوا يسمونهم في ذلك العهد العشاريين، وكان متى جابياً للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل في فلسطين، وانطلق مبشراً بالنصرانية في بلاد كثيرة بعد رفع المسيحυ، ومات سنة (70م) ببلاد الحبشة على إثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، وفي رواية أخرى أنه طعن برمح في سنة (62م) بالحبشة بعد أن قضى بها نحو (23) عام داعياً للنصرانية، ومبشراً بها، وتعد الحبشة هي موطن دعوته[6].

محتويات إنجيل متى:

ويتحدث إنجيل متى عن:

1- مولد المسيح من سلسلة نسبه.

---

(1) انظر: نفسه. 37.
(2) إنجيل برنابا إنجيل مزيف في ضوء التاريخ والعقل والدين: عوض سمعان. ص12. دار النشر الأسقفية. القاهرة (ط9: ب).
(3) انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم-دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي. ص75. مكتبة مدبولي. القاهرة (ط2: 2004م).
(4) انظر: نفسه: ص80.
(5) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص832.
(6) انظر: محاضرات في النصرانية: أبوزهرة. ص80: 82.

2- مقدمة لخدمة المسيح.
3- رسالته في الجليل.
4- إرساله التلاميذ للتبشير بملكوت الله.
5- ازدياد مقاومة اليهود له.
6- ذهاب المسيح نهائياً من كفر ناحوم، وتعليم التلاميذ.
7- ختام خدمة المسيح في بيرية شرق الأردن.
8- الأسبوع الأخير من صلبه ـ كما يعتقدون ـ، وفيه موضوع الآلام، والقيامة(1).

والعالم كله متفق على أن متى كتب إنجيله نقلاً من مصادر مشتركة مع مرقس، ولوقا، ولكن روايته اختلفت، وفي مسائل أساسية، ومع ذلك فقد استخدم متى إنجيل مرقس استخداماً موسعاً في الوقت الذي لم يكن فيه تلميذاً لعيسىυ، ويلاحظ أنه تصرف بالنصوص بحرية تامة فيما يخص العهد القديم عند ذكر نسب عيسىυ الذي صدر به إنجيله فأدخل في كتابه روايات لا تصدق، وذلك في حديثة عن قيامتهυ، إذ يقول في فقرة **53** ما نصه: **(وإذا ستار الهيكل قد انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل وزلزلت الأرض وتصاعدت الصخور وتفتحت القبور فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته فدخلوا المدينة المقدسة، وتراءوا لأناس كثيرين51)**. وغيرها من المستحيلات التي لا مثيل لها في الأناجيل الأخرى، وعلاوة على تلك المستحيلات التي اختص بها إنجيل متى فإنه قبل كل شيء إنجيل طائفة يهودية نصرانية هي على خلاف مع اليهودية، وانفصالاً عنها مع بقائها في خط العهد القديم، وله من وجهة نظر تاريخ اليهودية النصرانية أهمية معتبرة(2).

وقد اتفق جمهور النصارى على أنه كتب إنجيله بالعبرية، أو السريانية، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت كانت باليونانية، ولكن موضع الخلاف في تاريخ تدوينه، ومن الذي ترجمه إلى اليونانية، فمن المتفق عليه عند أكثرهم أن متى كتب إنجيله بالعبرانية؛ وذلك لأنه كتبه لليهود؛ ليبشر بالنصرانية بينهم؛ وليقرأه المؤمنون به منهم، وبموجب اعتقاد جمهور النصارى فإن متى كتب إنجيله قبل مرقص، ولوقا، ويوحنا في سنة (41م) باللغة المتعارف عليها يومئذٍ في فلسطين وهي العبرانية، أو السيروكلدانية، وهناك خلاف كبير في تحديد التاريخ الذي كتب به فيذكر الإمام أبو زهرة نقلاً عن هورون أن الإنجيل ألفت عام (37 أو38 أو41 أو43 أو48 أو62 أو64م)، ويجوز غير ذلك، وهناك خلاف كبير إلى ترجمته إلى اللغة اليونانية(3).

وهكذا يلاحظ الاختلاف الكبير في تاريخ تدوين إنجيل متى، وكذلك الاختلاف الكبير في ترجمته لليونانية، وهذا بلا شك يؤدي إلى وجود ظلال كثيفة من الشك حول صدق رواية إنجيل متى، وحول صدق الترجمة اليونانية؛ لأنه لا يعرف أصل الكتاب الذي ترجم منه، ومَن الذي قام بالترجمة.

أهم مشكلات إنجيل متى:

يوجد في إنجيل متى عدد من الإشكاليات الخطيرة يمكن تحديدها في ثلاث نقاط رئيسة، وهي:

1. خطأ الاستشهاد بنبؤات العهد القديم: لقد كان متى، أو بالأحرى كاتب إنجيل متى حريصاً على ربط ما يتعلق بقصة المسيح منذ ولادته حتى رفعه بنبؤات العهد القديم، ولقد أسرف في هذا إيما إسراف الأمر الذي أوقعه في أخطاء لا مفر من التسليم بها، وذلك بسبب التطبيق الخاطيء لتلك النبؤات على ما حدث للمسيحυ.

2. توقع نهاية العالم سريعاً: ولو أن هذه الفكرة قد سيطرت على تفكير مؤلفي أسفار العهد الجديد إلا أن متى كان أكثرهم حرصاً على تأكيد ذلك فهو قد توقع أن تأتي نهاية العالم في أيام المسيحυ قبل أن يكون رسله قد أكملوا التبشير بالإنجيل في مدن إسرائيل (10: 23)، وقبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيحυ، والذين استمعوا إلى تعاليمه (16: 28)، وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح، وتلاميذه قد فني (24: 34).

3. ثم تأتي خاتمة إنجيل متى28 التي يشك فيها العلماء، ويعتبرونها دخيلة عليه فهي تنسب للمسيح قوله لتلاميذه: **(أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والإبن، والروح القدس19)**.

ويرجع السبب في ذلك إلى الآتي:

أ- لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم النصرانية ما يتكلم عن المسيحυ، وهو يلقي

---

(1) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص 833.
(2) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. موريس بوكاي. ص82: 84.
(3) انظر: محاضرات في النصرانية: أبو زهرة. ص39: 41. وللمزيد انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية. ص48. المكتبة القيمة. القاهرة (ط: 1398هـ).

مواعظ، ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا.

ب- إن وضعية التثليث التي تتكلم عن: الآب، والإبن، والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيحυ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيحυ شخصياً(1).

التحريف في إنجيل متى:

وتشتمل ترجمة إنجيل متى على واحد وتسعين تحريفاً موزعة على إصحاحاته الثماني والعشرين لكن أكثر هذه التحريفات، وأخطرها ما حدث للإصحاحات الأخيرة، وخاصة الإصحاح السادس والعشرين، والسابع والعشرين، وهما اللذان يرويان الصلب، وما سبقها من دسائس، ومؤامرات يهودية(2)، وفيما يأتي نماذج لبعض التحريفات:

1 ـ تقول النسخة المعتمدة عندهم فقرة 2: **(ولما ولد يسوع في بيت اليهودية في أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود2)**، وفي هذا تقول النسخة الإسرائيلية: **(قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهودية)**.

2 ـ نقرأ في النسخة المعتمدة فقرة**10**: **(ولكن أحذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعكم يجلدونكم17)**، وفي النسخة الإسرائيلية: **(وفي محاكمهم يجلدونكم)**.

3 ـ وفي نذير المسيح إلى الكتبة والفريسيين تقول النسخة المعتمدة فقرة**23**: **(أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم34)**. لكن النسخة الإسرائيلية تحاول الهرب من كلمة (الصلب)، ولذلك تقول: **(... ها أنا أرسل إليكم أنبياء ...فمنهم تقتلون وتشنقون ومنهم تجلدون في محاكمكم)**.

4 ـ وفي محاولة من الوالي الروماني لفك أسر يسوع، وتخليصه من القتل تذكر النسخة المعتمدة ما جرى بينه، وبين اليهود من محاولات كان آخرها في الفقرة**27** حين: **(قال الوالي، وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا.حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلدوه وأسلمه ليصلب26)**. أما النسخة الإسرائيلية فإنها تقول: **(قال الوالي وأي شر عمل. فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليمت. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الرعاع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم. فأجاب الرعاع وقالوا: دمه عليه)**.

ولا شك أن المثال الأخير يوضح بجلاء ما أصاب إنجيل متى من تحريف ففي الحين الذي تؤكد الكنيسة الكاثوليكية قتل اليهود للمسيحυ، وصلبه، وتنسج القصص، والآلام التي لاقاها، وإلى عصرنا الحاضر، ثم بين ليلة، وضحاها تقرر الكنيسة ذاتها براءة اليهود من دم المسيح، وتقول: «دم يسوع يتحمل أثمه يسوع نفسه، وليس لأحد سواه»، ولئن صح ذلك فلابد أن تزول عن اليهود، وعن أولادهم من بعدهم كل مسؤولية تتعلق بتلك الجريمة النكراء،...، وما على النصراني بعد هذا التحريف إلا أن يبكي على المآسي، والنكبات التي أذاقها اليهود عبر القرون من جراء خطيئة تقرر خطأها منذ ما يقرب من ألفي عام، وتحميلهم تبعتها، ولصاحب عقل أن يسأل كيف قررت النسخة الإسرائيلية براءة اليهود من دم المسيحυ، وهي التي كتبت في عهد موسى υ؟، أي قبل وجود المسيح بما يقرب خمسة قرون؟، وليس من دليل أقوى على تحريف العهدين من مثل هذا الدليل**!!**(3).

ثانياً: إنجيل مرقس:

يقول المؤرخون أن مؤلفه، وكاتبه اسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، ولم يكن من الحواريين الإثني عشر، الذين تتلمذوا على يد المسيحυ، واختصهم بنشر تعاليمه حياً، وأصله من اليهود، وكانت أسرته بأورشليم وقت ظهور السيد المسيحυ بل أنه من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين الـ (70) الذين نزل عليهم روح القدس ـ في اعتقادهم ـ من بعد رفعه، وألهموا بالتبشير بالنصرانية، كما ألهموا بمبادئها، وقد أجمعت تقاليد الطوائف النصرانية أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وفيه أكل الخبز مع تلاميذه، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ، وقام مرقس بالتبشير، ونشر الدعوة، ورافقه في رحلته التبشيرية خاله برنابا، وهو من الرسل، وبولس الرسول فرحلوا إلى أنطاكيا، ثم تركهما مرقس بعد ذلك، وعاد إلى أورشليم، والتقى مرة أخرى

---

(1) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. ص60- 61.
(2) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي. ص65- 66. مكتبة السائح. بيروت (ط: 1999م).
(3) انظر: محاضرات في النصرانية: أبوزهرة. ص41.

بخاله، واصطحبه معه إلى قبرص، ثم افترقا فذهب إلى شمال أفريقيا، ودخل مصر في منتصف القرن الأول فأقام بها، وأخذ يدعو إلى النصرانية التي كانت أخبارها قد سبقته إليها، وقد وجد في مصر أرضاً خصبة لقبول دعوته فدخل فيها عددُ كبير من المصريين، وكان يسافر من مصر أحياناً إلى روما، وأحياناً إلى شمال أفريقيا، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له، فاستمر بها إلى أن تآمر به الوثنيون فقتلوه بعد أن سجنوه، وعذبوه، وكان ذلك سنة (52م)، وقد كان مرقس ينكر ألوهية المسيح هو، وأستاذه بطرس الحواري(1).

وإنجيله من أقصر الأناجيل الأربعة، وأقدمها، ولكنه ليس كتاب رسول، وكل ما فيه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول(2)، وهو الثاني في ترتيب الأناجيل الأربعة، وهذا لا يعني بالضرورة أنه كتب بعد إنجيل متى، والمادة التي يقدمها في إنجيله يقدمها في تفصيل كثير، وقد قدم قصة حياة المسيحυ، وأعماله، وموته، وقيامته بسرعة ـ بزعمهم ـ، وتسير هذه الأحداث في ترتيب تاريخي متسلسل، ويوجه عناية خاصة إلى ما عمله المسيحυ أكثر مما يوجهه إلى تعليمه فيذكر أربعة فقط من أمثال المسيحυ مع أنه يذكر (18) من معجزاته، ويسجل خطاباً واحداً طويلاً من خطاباته، ومواعظه (مر: 13)، ويقدم المسيحυ على أنه ابن الله ـ عياذاً بالله ـ (مر: 1: 11 و5: 7 و9: 7 و14: 61)، وكذلك (مر: 8: 38 و12: 1-11 و13: 23 و13: 32 و14: 36)، ويسرد الحوادث تحت عناوين مناداة المسيحυ، وخدمته في الجليل (مر: 1: 14-509)، والأسبوع الأخير في أورشليم (مر: 11: 1-16: 8)، ويصل بين هذين الموضوعين الرئيسيين بذكر الحوادث التي تمت في المدة المتوسطة بين هذين الزمنين (مر: 10: 1-52)، ويركز على فكرة الألم، والصلب خلال الإنجيل كله فيذكرها، ويعيدها للأذهان مرة بعد الأخرى، وقد استوعب الآلام المسيح ثلث الإنجيل تقريباً، ويظهر ظل الصليب في الصفحات الأولى من البشارة في الفقرات(**2، 3**)، ويرى أن: **(طريق التتلمذ للمسيح هو طريق حمل الصليب34)** (وما يليه)، وتتضمن معمودية الألم، وتجرع الكأس (مر: 10: 38 وما يليه)(3).

محتويات إنجيل مرقس:

1- بدء الإنجيل: مناداة يوحنا المعمدان، معمودية يسوع،...

2- خدمة المسيح في الجليل، ومناداته هناك، وقيام السلطات الدينية عليه في الأماكن الواقعة حول بحر الجليل، وفي الأماكن البعيدة عنه.

3- المسيا، والآلام العتيدة، والتنبؤ بإقرار بطرس، والتنبؤ بالآلام، والتعلم على التلمذة الحقيقية للمسيح، والتجلي.

4- سرد حوادث الآلام: في الطريق إلى أورشليم، والدخول إليها، وخدمته ومناداته في أورشليم، وخطاب نبوي عن خراب أورشليم، والمجيء الثاني.

5- قيامة المسيح، والقبر الفارغ.

6- خاتمة عن ظهور المسيح بعد قيامته(4).

وكُتب إنجيل مرقس باللغة اليونانية، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية، وأخذ من ذلك أنه كتب في روما، في عصر نارون قيصر.

مشكلات إنجيل مرقس:

يثير هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل عدداً من الإشكاليات من أخطرها، ولا شك مشكلة الاختلافات التي تظهر في النسخ المختلفة للإنجيل الواحد، وذلك بالإضافة إلى اختلافه مع غيره من الأناجيل، وكما هو معروف أن الأناجيل قد كتبت أولاً باليد، واستمرت هذه الطريقة اليدوية تستخدم لقرون طويلة في إنتاج نسخ منه، وقد زحفت تغييرات تعذر تجنبها في الأناجيل، وهذه ربما حدثت بقصد، أو دون قصد إلا أنه وبين مئات المخطوطات التي عملت باليد لإنجيل مرقس، والتي عاشت إلى الآن فإنه لا توجد نسختين تتفقان تماماً(5).

وثمة مشكلة أخرى هامة ألا وهي خاتمة الإنجيل، ذلك أن نهاية هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل، وخاصة إنجيل متى غير متفق عليها في النسخ المختلفة إذ أن الإصحاح السادس عشر، وهو الأخير من إنجيل مرقس يحتوي على عشرين عدداً لكن الأعداد من رقم (9-20)، وهي آخر الإنجيل تعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير موثوق بها، وتضيف بعض المراجع القديمة بعد العدد (8) النهاية البديلة الآتية: **(لكنهم نقلوا باختصار إلى بطرس وأولئك الذين كانوا معه، كل ما أخبروا به، وبعد هذا فإن**

---

(1) انظر: نفسه: ص42.
(2) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. موريس بوكاي. ص84.
(3) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص854.
(4) انظر: نفسه. 855.
(5) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. ص55.

يسوع نفسه أصدر عن طريقهم من الشرق إلى الغرب الإعلان المقدس للخلاص الأبدي)(1).

كذلك نجد في النسخ المتداولة لإنجيل مرقص في الفقرات (14و15) من الإصحاح الأخير يقرآن هكذا: **(أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذي نظروه قد قام)** (14)، ويقول في 15: **(وقال لهم أذهبوا إلى العالم أجمع، وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها)** (15)، لكن إحدى النسخ الإغريقية من القرن الخامس عشر تضيف بعد العدد (14) فقرة أخرى، وهذه قد استشهد جيروم بجزء منها باعتبارها كانت من النسخ المعلومة لديه، ويمكن أن تعني هذه الفقرة ما يأتي: **(وعندئذ أجابوا قائلين هذا الجيل المتمرد وغير المؤمن تحت إمرة الشيطان الذي يستخدم الأرواح الشريرة في منع قدرة الله الحقيقية من الإدراك، ولهذا أظهر برك الآن)** لقد كانوا يتحدثون إلى المسيح الذي أجابهم قائلاً: **(إن نهاية سنوات نفوذ الشيطان قد انقضت)** (18).

ومما سبق يتبين بوضوح أن أحداً من الناس لا يدري حقيقة الخاتمة التي انتهى بها إنجيل مرقس، وأن الغموض الذي يحيط بخاتمته لا يختلف كثيراً عن الغموض الذي يكتنف شخصية مرقس الذي التصق اسمه بهذا الإنجيل(2).

التحريف في إنجيل مرقس:

بلغت تحريفات هذا الإنجيل أكثر من اثنتين وخمسين تحريفاً، وكما حدث لإنجيل متَّى فقد تركزت هذه التحريفات في كل ما يتعلق بأحداث الصلب، وفيما يلي عرض لبعض منها:

1 ـ تقول النسخة المعتمدة في الفقرة**10** إن يسوع: **(أخذ الاثني عشر أيضاً وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له، ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم33)**. لكن النسخة الإسرائيلية خففت الحكم بالموت وجعلته مجرد إدانة وفي هذا تقول: **(... ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى الكهنة والكتبة فيدينونه)**.

2 ـ نقرأ في النسخة المعتمدة بالفقرة**13** قول المسيحں لتلاميذه: **(أنظروا إلى نفوسكم. لإنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتجلدون في مجامع وتوقفون أما ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم9)**. فصار هذا القول في النسخة الإسرائيلية: **(...سيسلمونكم إلى مجالس وتجلدون في محاكم)**.

3 ـ تقول النسخة المعتمدة فقرة**14**: **(وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين. وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه1)**. بينما تقول النسخة الإسرائيلية: **(... وكان الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر وينفوه)**.

4 ـ كذلك تقول النسخة المعتمدة فقرة**14**: **(وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا55)**. وفي هذا تقول النسخة الإسرائيلية: **(وكان الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع لينفوه فلم يجدوا)**.

5 ـ وفي المحاولة التي قام بها الوالي الروماني بيلاطس لفك أسر يسوع تقول النسخة المعتمدة بفقرة**15**: **(أجابهم بيلاطس9 قائلاً: أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس... فأجاب بيلاطس، وأي شر عمل. فازدادوا جداً صراخاً: أصلبه14)**. وهم بذلك يدينون اليهود بقتله، ولكن النسخة الإسرائيلية لا تعبأ بذلك، وتحدد لقصة محاولة بيلاطس عناصر أخرى للتبرئة من دمه، وذلك حين تقول: **(أجابهم بيلاطس قائلاً: أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهودية، لأنه عرف إن الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً. فأثار الكهنة الرعاع لكي يطلق لهم بالحري باراباس فأجاب بيلاطس... ماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهودية: فصرخوا أيضاً أبعده عنا. فقال بيلاطس: وأي شر عمل: فازدادوا جداً صراخاً: أبعده عنا)**(3).

ثالثاً: إنجيل لوقا:

لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصاراًَ للوكيوس(4)، ولوقا هو تلميذ بولس الذي هو أيضاً ليس من تلاميذ المسيحں، فلوقا تلميذ تلميذ التلميذ، ومع ذلك كتب لوقا إنجيله دون أن يذكر مصدر رواياته، وكتب إنجيله عام (63م)، أي: بعد رفع المسيحں بثلاثين سنة تقريباً، وكتب باللغة اليونانية، والنسخة الأصلية التي كتبها لوقا مفقوده(5)، ويذكر أن أصله من إيطاليا، وأنه كتب إنجيله لليهود، وقيل لليونان، كما كان إنجيل مرقس للرومان، وإنجيل يوحنا للكنيسة، ودون فيه ما سمعه من بولس، ولعله أضاف إليه جزءاً من النسخة المفقودة، ثم جزءاً من

---

(1) نفسه: ص55- 56.
(2) انظر: نفسه. ص56.
(3) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي. ص67-68.
(4) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص822.
(5) انظر: مقارنة بين الأناجيل الأربعة: محمد علي الخولي. ص108.

إنجيل مرقس بعد إطلاعه عليه(1)، وأغلب الظن أنه كتب إنجيله لغير اليهود؛ لأن لوقا يحذف من رواياته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس، ويبرز كلمات المسيحυ في مواجهة كفر اليهود، وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود فعندما يقول متى**10** في إنجيله **(إن المسيح طلب إلى تلاميذه أن يتجنبوا السامريين6)**، وهذا يؤكد أن المبشرين يضعون على لسان المسيحυ في أناجيلهم ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية، لذا يذكرون من أقوال المسيح الرواية التي تتكيف مع وجهة نظرهم بل مع وجهات نظر الطوائف التي ينتمون إليها(2).

المسائل التي يؤكد عليها إنجيل لوقا:

1- يؤكد تأكيداً خاصاً أن يسوع هو المخلص الإلهي للعالم أجمع فيسوع هو الذي يقدم الغفران، والفداء مجاناً لجميع الناس بغض النظر عن اللون، أوالجنس، أوالاستحقاق للخلاص فقدم الخلاص للسامريين، وللأمم كما قدم لليهود، وقد قدم للنساء كما قدم للرجال، وقد قدم للمنبوذين، ولجباة الضرائب المبغضين، وللخطاة. (لو: 12:3 و5: 27-32 و7: 37-50)، كما قدم أيضاً لقوم هم ذوو مكانة في مجتمعهم. (لو: 7: 36 و11: 37 و14: 1)، وقد قدم للفقراء كما قدم للأغنياء.

2- يؤكد، ويثبت إثباتاً قاطعاً أن المسيح هو المخلص الذي له قدرة إلهية على شفاء النفس، والجسد كليهما، وشفاؤه شامل كامل للدهر الحاضر، وإلى الأبد.

3- يذكر اختلاء يسوع للصلاة أكثر مما يذكر ذلك غيره من الأناجيل.

4- يظهر بوضوح، وتفصيل عمل يسوع الفدائي الذي يسمو بالمرأة فيشير بقوة إلى عطف يسوع، وحنانه على النساء على النقيض من عدم عطف كثيرين من اليهود، والأمم عليهن، بل وخشونتهم نحوهن.

5- يعطي مكانة مرموقة في بشارته لأمثال المسيحυ التي تصور بوضوح، وجلاء محبة الله (لو: 15: 1-32).

6- يعطينا تاريخ لحياة المسيحυ بصيغة شاملة، واضحة أكثر من غيره فتحدث عن فاتحة بشارته أنه تحرى كل شيء من الأول بتدقيق، وأنه قرر بإرشاد الروح القدس أن يكتب بشارته بكيفية مرتبطة، ومنظمة من بدايتها إلى نهايتها؛ ليتبين القارئ الدقة، والترتيب اللذين اتبعهما في كتابة البشارة(3)، وهذه الفاتحة أكبر دليل على أن الأناجيل رؤى شخصية بحتة لسيرة المسيحυ، وليست بوحي إلهي، أو الهام.

محتويات إنجيل لوقا:

1. مولد يسوع، وسنواته الأولى، وإعداد رسالته الإلهية.

2. رسالة يسوع في الجليل، وتشمل: بدء دعوته، واختيار التلميذ، وموعظة السهل، وهي نفس التعاليم التي ذكرها متى**5** في موعظة الجبل حين قال: **(ولما رأى يسوع الجموع صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه، ففتحه فاه وعلمهم قائلاً: طوبي للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون6)**. فهذه التعليم قرر لوقا**6** إن يسوع قالها في موعظة السهل حين قال: **(ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه...ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال: طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون21)**. كذلك تشمل رسالة يسوع في الجليل، وهو يعلم بالأمثال، وعدد من المعجزات مع تلاميذه الاثني عشر.

3. المسيح في الطريق إلى أورشليم، وتشمل: يسوع في السامرة، وتعليمه للصلاة، ونقده للفريسيين، ويسوع وتلاميذه، ونهاية الخدمة في الجليل، وتعاليمه عن الأيام الأخيرة.

4. يسوع في أورشليم، وتنظيف الهيكل، وتعليم يسوع في الهيكل، وحوادث آخر الزمان.

5. المؤامرة ضده، وخيانة يهوذا، والعشاء الأخير، والقبض عليه، ومحاكمته، وصلبه، ودفنه

6. قيامته، والمقبرة الخالية، وظهوره لتلاميذه، وصعوده الذي أقيم من الأموات(4).

أهم مشكلات إنجيل لوقا:

1- يعاني من التغييرات التي تعاني منها الكتب الأخرى للعهد الجديد...إلا أن النص الغربي للإنجيل، وسفر أعمال الرسل يعاني من اختلافات مثيرة بالإضافة، أو الحذف عما في النصوص الأخرى لذات الإنجيل.

2- تسلسل نسب المسيح كما ذكره لوقا إذ أنه يختلف عما ذكرته أسفار العهد القديم عن

---

(1) انظر: أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم: داود علي الفاضلي. ص165. مكتبة المعارف. الرباط (ط: 1968م).

(2) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: نهاد خياطة. ص40. دار الأوائل. دمشق (ط2: 2004م).

(3) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص824.

(4) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. ص 65- 66.

نسب أجداد المسيحυ، كما أنه يختلف عن نظيره في إنجيل متى[1].

التحريف في إنجيل لوقا:

يحصي المؤرخون في إنجيل لوقا ثلاثاً وسبعين تحريفاً أدخل أغلبها على قصة الصلب بهدف إبعاد المسؤولية عن اليهود، وإلقاء الشبهة على الرعاع ذلك الشعب، والطبقة الدنيا منه مع بيان أن ثورة أولئك الرعاع ضد المسيح لم تكن تبغي صلبه، وإنما كانت تطالب بإبعاده، أو التخلص منه بصورة، أو بأخرى[2]. وفيما يلي عرض لبعض ما تقوله كل من النسختين: المعتمدة، والإسرائيلية في هذا المجال:

1. تقول النسخة المعتمدة: **(...وكان الكهنة والكتبة يطلبون كيف يضايقونه)** وفي بدء أحداث الصلب تقول النسخة المعتمدة فقرة22: **(وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعي يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم، فدنا من يسوع ليقبله47)**، وتقول النسخة الإسرائيلية: **(وبينما هو يتكلم إذا رعاع والذي يدعى يهوذا...)**.

2. وتقول النسخة المعتمدة من نفس الفقرة: **(ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم66)**. بينما النسخة الإسرائيلية تقول: **(ولما كان النهار اجتمع مثيرو الرعاع والكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم)**.

3. وفي النسخة المعتمدة فقرة**23: (فقام كل جمهورهم، وجاء به إلى بيلاطس1)**. ونقرأ في النسخة الإسرائيلية: **(فقام كل رعاعهم وجاءوا به إلى بيلاطس...)**.

4. وفي اللحظات الحاسمة تقول النسخة المعتمدة: **(فناداهم أيضاً بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين: أبعده عنا، أبعده عنا)**. وبعد حادثة الصلب تذكر النسخة المعتمدة إن أحد الرجلين الذين كانا منطلقين إلى قرية عماوس قال بفقرة **24: (يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أما الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه20)**. بينما تقول النسخة الإسرائيلية: **(...أما الله وجميع الشعب كيف أسلمه الكهنة وحكامنا لقضاء الموت لكي يعدم)**[3].

رابعاً: إنجيل يوحنا:

ولد يوحنا في مدينة على شاطيء بحيرة طبرية، ويرجح أنها بيت صيدا، وكانت أمه (سالومة) من النساء اللواتي تبعن يسوع (مت: 57: 56)، وساعدته بمالها (لو: 8: 3)، وكانا شريكين لسمعان بطرس (لو: 7-10)، وتتلمذ يوحنا ابن زبدي ليوحنا المعمدان ابن زكريا قبل أن يتتلمذ ليسوع[4]، ويعتبر هذا الإنجيل آخر الأناجيل كتابة، ومراجعه، والخلاف حاصل حول من كتب هذا الإنجيل، ولقد اختلف في تاريخ تدوينه فالدكتور بوست وفقاً لأبي زهرة يرجح أنه كتب عام (95، أو96، 98م)، ويقول هورن: إنه كتب عام (68م، أو 69م أو70م) إذ ليس هناك ما يؤكد تاريخ تدوينه، كما أنه ليس هناك بيان خالص من الشك بحقيقة كاتبة، وقيل إنه كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيحυ ليس آلهاً، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقر تلك الحقيقة، فطُلب من يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن بيان حقيقة هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل[5].

لذا يرى العلماء: «إن إنجيل يوحنا تقديماً درامياً لحياة يسوع، ورسالته، وموته، وتمجيده، وإنه كتب بغرض التعليم، والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير، والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت موضع جدل في العالم النصراني الأممي من غير اليهود في نهاية القرن الأول، أو بداية القرن الثاني عندما انتشرت نظرية حاولت أن تزيد من تبجيل المسيحυ فجعلته شبحاً غير حقيقي، ومخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً لم يعان عذاباً، ولم يذق الموت»[6].

محتويات إنجيل يوحنا:

يشتمل هذا الإنجيل حسب تصنيف العلماء على الموضوعات الرئيسة الآتية:

1- إفتتاحية: تجسد الكلمة.

2- يسوع الرسول السماوي: عمله في الدنيا، وتشتمل على: شهادة يوحنا المعمدان، ودعوة أوائل التلاميذ، والآيات السبع، ومعجزات يسوع.

3- يسوع الرسول السماوي: عودته إلى الآب، وتشتمل على: رواية الآلام، والعشاء الأخير، وخطبة الوداع الأولى، وخطبة الوداع الثانية، والصلاة الكهنوتية العظمى، وموت يسوع،

---

(1) انظر: نفسه. ص67: 68.
(2) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي. ص69.
(3) انظر: نفسه. ص 69-70.
(4) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: نهاد خياطة. ص42.
(5) انظر: محاضرات في النصرانية: أبو زهرة. ص48- 49.
(6) المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبدالوهاب. ص69. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 1978م).

وقيامته(1).

مشكلات إنجيل يوحنا:

تقول دائرة المعارف الأمريكية: إن إنجيل يوحنا الذي انتسب صواباً، أو خطأ إلى التلميذ الذي كان يسوع يحبه يعتبر الإنجيل المحبوب للكثيرين، بيد أن العلماء يجادلون فيه باعتباره جزءاً من مشكلة يوحنا، ولهذا الجدل أسباب قوية منها:

1- يوجد تضارب صارخ بينه، وبين الأناجيل الثلاثة المتشابهة، فالأناجيل الثلاثة تسير حسب رواية مرقس للتسلسل التاريخي للأحداث فتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيس لرسالة يسوع، بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت المركز الرئيس.

2- إن مشكلة إنجيل يوحنا الذي ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح، والذي لا يعلم بالضبط متى وضع كتابته، وتوقيتها تتركز أساساً في اختلافه مع بقية الأناجيل، ذلك الاختلاف البين في الوقائع، والتعاليم(2).

التحريف في إنجيل يوحنا:

يعد إنجيل يوحنا أكثر الأناجيل تحريفاً فقد بلغت جملة تحريفاته في (135) موضعاً؛ وما ذلك إلا لأن الخط العام الذي سار عليه المحرفون هو محو كلمة اليهود من أسفار العهد الجديد، ولما كان هذا الإنجيل أكثر الأناجيل ذكراً لكلمة اليهود التي تكررت فيه (53) مرة، وهو رقم يزيد على عشرة أمثال ورودها في أي الأناجيل الثلاثة السابقة، لذلك فاز إنجيل يوحنا بأكبر عدد من التحاريف(3)، وفيما يلي عرض لكل من النسختين المعتمدة، والإسرائيلية في مختلف المواقف، والروايات:

1 ـ تقول النسخة المعتمدة فقرة1: **(وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست المسيح20)**. وتقول النسخة الإسرائيلية: **(وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل أهل اليهودية من أورشليم وكهنة مساعدين ليسألوه..)**.

2 ـ تقول النسخة المعتمدة فقرة2: **(وكان فصح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى أورشليم3)**. وتقول النسخة الإسرائيلية: **(وكان الفصح اليهودي قريباً فصعد يسوع إلى أورشليم)**.

3 ـ تقول النسخة المعتمدة3: **(وكان إنساناً من الفريسيين اسمه نيقوديمس رئيس لليهود1)**. وتقول النسخة الإسرائيلية: **(وكان إنساناً من المنعزلين اسمه نيقوديمس رئيس العبريين)**.

4 ـ وتقول النسخة المعتمدة فقرة5: **(لهذا كان اليهود يضطهدون يسوع ويطلبون أن يقتلوه16 لأنه عمل هذا في السبت...فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه18)**. لكن النسخة الإسرائيلية تقول ذلك في نصها المحرف: **(لهذا كان أهل اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يضايقوه لأنه عمل هذا في السبت...فمن أجل هذا كان أهل اليهودية يطلبون أكثر أن يضايقوه)**.

5 ـ كذلك تقول النسخة المعتمدة فقرة7: **(وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه1)**. بينما تقول النسخة الإسرائيلية: **(وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في ولاية اليهودية، لأن أهل اليهودية كانوا يطلبون أن يضايقوه)**.

6 ـ في عيد المضال تحدث يسوع في الهيكل إلى اليهود، وقال: حسب النسخة المعتمدة بفقرة7: **(أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس، لماذ تطلبون أن تقتلوني. أجاب الجمع وقالوا بك شيطان، من يطلب أن يقتلك...فقال قوم من أهل أورشليم، ليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه25)**، لكن النسخة الإسرائيلية تقول: **(أليس موسى قد أعطاكم الكتاب المقدس وليس أحد منكم يعمل الناموس، لماذ تطلبون أن تضايقوني. أجاب الرعاع وقالوا بك شيطان، من يطلب أن يضايقك...فقال قوم من أهل أورشليم، ليس هذا هو الذي يطلبون أن يعتقلوه)**.

7 ـ في بدء أحداث الصلب تقول النسخة المعتمدة فقرة18: **(ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه12)**، بينما تقول النسخة الإسرائيلية: **(ثم أن الجند والقائد والخدام قبضوا على يسوع وأوثقوه)**.

8 ـ في محاولة من الوالي الروماني بيلاطس لتخليص يسوع، تقول النسخة المعتمدة فقرة18 إنه تحدث إلى اليهود: **(فقام بيلاطس: خذوه أنتم وأحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال له اليهود:**

---

(1) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبدالوهاب. ص71.
(2) انظر: نفسه. ص72- 73.
(3) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: التغلبي. ص70.

لا يجوز لنا أن نقتل أحداً... ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود. أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني. أجابه بيلاطس: العلي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك إلي... ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: أنا لست أجد فيه علة واحدة38). لكن النسخة الإسرائيلية تقول: **(قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم فقال له أهل اليهودية: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً... ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهودية. أجابه بيلاطس: العلي أنا من أهل اليهودية. أمتك الكهنة أسلموك إلي... ولما قال هذا خرج أيضاً إلى الرعاع وقال لهم: أنا لست أجد فيه علة واحدة)**.

9 ـ ثم تقول النسخة المعتمدة فقرة**19-6: (فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين: أصلبه، أصلبه12، فقال بيلاطس: خذوه أنتم وأصلبوه لأني لست أجد فيه علة...وفي هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه. ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر. وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة فقال لليهود: هو ذا ملككم. فصرخوا خذه خذه أصلبه...فيحنئذ أسلمه إليهم ليصلب. فأخذوا يسوع ومضوا به16)**. لكن النسخة الإسرائيلية ترفض ذلك كله لتخليص، وتبرير اليهود من جريمة الصلب، ثم تلصقها بالرومان رغم المحاولات المضنية التي بذلها الحاكم الروماني بيلاطس مع اليهود لتبرئة يسوع، وفك أسره، وفي هذا تقول: **(فلما رآه الكهنة والخدام صرخوا قائلين: خذه، خذه، فقال بيلاطس: خذوه أنتم وأعدموه لأني لست أجد فيه علة...من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه. ولكن الرعاع كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر. وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة فقال للرعاع: هو ذا ملككم. فصرخوا خذه خذه (...محذوفة...) فيحنئذٍ أسلمه إلى الرومان ليصلب. فأخذوا يسوع ومضوا به)**(1).

ثانياً: العهد القديم: سفر رؤيا دانيال(2):

تعتبر رؤيا دانيال من المعتقدات الراسخة، والأساسية في الأصولية الصهيونية العالمية التي تبنت العهد القديم، وكان لها تأثير كبير في قضايا نهاية العالم من خلال حرب مدمرة، و من ثم حكم اليهود للعالم من القدس لألف عام سعيدة، ووردت في أكثر من موضع. منها(3):

الرؤيا الأولى: ورد في أسفار الرؤيا**7** أنه: **(فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنْ عَهدِ بَلشَصَّرَ مَلِكِ بابِلَ، حَلُمَ دانيالُ حُلُمًا رَآهُ في مَنامِه وهوَ على فِراشِه، فكتَبَ الحُلُمَ وأخبَرَ بِخُلاصَتِه قالَ: رَأيتُ في مَنامي لَيلاً، فإذا بِرياحِ السَّماءِ الأربَعِ اَجتاحَتِ البحرَ الكبيرَ، فطَلَعَ مِنَ البحرِ أربعَةُ حيواناتٍ عَظيمَةٍ يَختلِفُ بَعضُها عَنِ البَعضِ الآخَرِ. الأوَّلُ مِثلُ الأسدِ ولَه جناحا نَسْرٍ. وبَينَما كُنتُ أنظُرُ إليهِ اَقتُلِعَ جَناحاهُ، ثُمَ اَرْتَفَعَ عَلى الأرضِ وقامَ على رِجلَيهِ كإِنسانٍ، وأُعطِيَ قَلبَ إنسانٍ. وإذا بِحيوانٍ آخرَ شَبيهٍ بالدُبِّ، فقامَ على جَنبٍ واحدٍ وفي فَمِهِ ثَلاثُ أَضلُعٍ بَينَ أسنانِه فقيلَ لَهُ: قُمْ فَكُلْ لَحمًا كثيرًا. وبَعدَ ذلِكَ رَأيتُ فإذا بِآخَرَ مِثلِ النَّمِرِ، ولَهُ أربعَةُ أجنحَةٍ، طائِرٌ على ظَهرِه، وكانَ لِلحيوانِ أربعَةُ رُؤوسٍ وأُعطِيَ سُلطانًا10...)، (... ثُمَ يَجلِسُ أهلُ القَضاءِ، فيُزالُ سُلطانُهُ ويُدَمَّرُ ويُبادُ على الدَّوامِ. ويُوهَبُ المُلْكَ والسُّلطانَ وعَظَمَةَ جميعِ المَمالكِ تَحتَ السَّماءِ كُلِّها لشعبِ قِدِّيسيِّ اللهِ العَليِّ، وسيكونُ مُلْكُهُم مُلْكًا أبديًا، ويَخدُمُهُم جميعُ السَّلاطِينِ ويَسمعونَ لهُم. إلى هُنا نِهايةُ ما رَأيتُ، فأقلَقَتْني، أنا دانيالُ، أفكاري جدًا، وتَغيَّرَت منِّي سِحنَتي، وحَفِظتُ هذا كُلَّهُ في قلبي14)**.

الرؤيا الثانية: الكبش والتيس في رؤيا دانيال**8: (في السَّنَةِ الثَّالثَةِ مِنْ عَهدِ بَلشَصَّرَ المَلِكِ رَأيتُ، أنا دانيالُ، رُؤيا بَعدَ الرُّؤيا التي ظَهَرَت لي في البِداءَةِ. فرَأيتُ في رُؤيايَ أنِّي في شُوشانَ العاصمَةِ التي بإقليمِ عيلامَ، وكُنتُ واقفًا على نهرِ أولايَ. ورفَعْتُ عينَيَ ونظَرْتُ فإذا بكَبْشٍ واقفٍ عِندَ النَّهرِ ولَه قَرْنانِ عاليانِ، أحدُهُما أعلى مِنَ الآخرِ، والأعلى نبَتَ بَعدَهُ. ورأيتُ الكَبْشَ يَنطَحُ نحوَ الغربِ والشَّمالِ والجنوبِ، فما وقَفَ أمامَهُ حيوانٌ ولا كانَ مُنقِذٌ مِنْ يدِهِ فعَمِلَ ما يُرضيهِ وصارَ عظيمًا. وبَينَما أنا أتبيَّنُ ما يجري، إذا بِتَيْسِ مَعَزٍ أقبَلَ مِنَ الغَربِ فسارَ على وجهِ الأرضِ**

---

(1) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: التغلبي، ص73-74.

(2) دانيال كلمة عبرية ومعناها (قضاء الإله. ودانيال أحد الأنبياء الأربعة الكبار. وينقسم السفر المسمى باسمه إلى قسمين: يضم القسم الأول الأصحاحات من (1: 6) وتضم ست قصص عن محن دانيال وانتصاراته هو ورفاقه الثلاثة وهي بالفصول (2، 4، 6). والقسم الثاني والتي خص بها دانيال وحده وهي من (7: 12) وهي من كتب الرؤى (أبو كاليبس) والتي تختلف اختلافاً جوهرياً عن كتب الأنبياء. فبينما تركز كتب الرؤى على تفسير التاريخ تفسيراً عجائبياً غير أخلاقي حيث يأتي الخلاص ويصبح كل ما يحدث في التاريخ الإنساني مصيراً محتوماً. تركز كتب الأنبياء على الخلاص التدريجي ومن خلال الإرادة الإنسانية. وقد أصبح السفر أساساً لكثير من التأملات الرؤياوية والصوفية وخصوصاً تلك المتعلقة بحسابات مقدم الماشيح. وسفر دانيال يثير كثير من الجدل لأنه لا يرد ضمن كتب الأنبياء في النسخة العبرية من العهد القديم. إنما يرد ضمن كتب الحكمة (انظر: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية. د. رشاد الشامي. ص96: 97. المكتب المصري للتوزيع. القاهرة (ب: 2003م). وانظر: الكتاب المقدس. سفر دانيال). سنذكرها بالتفصيل ـ بإذن الله ـ بالباب الثالث: الأدلة السمعية.

(3) سنذكرها بالتفصيل ـ بإذن الله ـ بالباب الثالث: الأدلة السمعية.

كُلِّها وهوَ لِسُرعَتِه يكادُ لا يَمَسُّ الأرضَ. وكانَ لهذا التَّيسِ قَرْنٌ بارزٌ بَينَ عينَيه. فجاءَ إلى الكَبْشِ صاحبِ القَرْنَينِ الذي رأيتُهُ واقفًا عِندَ النَّهرِ وهجمَ عليه بِغضَبٍ شديدٍ. ورأيتُه وصَلَ إلى جانِبِ الكَبْشِ، فمالَ عَلَيهِ وضَرَبَهُ فكسرَ قَرْنَيهِ10...، و...) (... وبدَهائِهِ يجعَلُ المكْرَ في يدِهِ نافذًا، وفي قلبِهِ يُعَظِّمُ نفْسَهُ ويُهلِكُ كثيرًا مِنَ النَّاسِ وهوَ آمِنٌ. ويقومُ على رئيسِ الرُّؤساءِ، وبغيرِ يَدِ البشَرِ ينكَسِرُ. والرُّؤيا الَّتي رَأيتَها في المساءِ والصَّباحِ هيَ حَقٌّ. فلا تُبِحْ بشيءٍ عَنْ هذِهِ الرُّؤيا. فهيَ لا تَتِمُّ إلاّ بَعدَ أيّامٍ كثيرةٍ. فضَعُفْتُ، أنا دانيالُ، ومَرِضتُ أيّامًا، ثُمَ قُمْتُ وباشَرْتُ أعمالَ المَلِكِ، وكُنتُ مَبهوتًا مِنَ الرُّؤيا وغَيرَ قادرٍ على فهمِها15).

الرؤيا الثالثة: رؤيا دانيال10 على نهرِ دجلةَ في السَّنةِ الثَّالثَةِ مِنْ عَهدِ كورَشَ مَلِكِ فارِسَ كُشِفَتْ كَلِمَةٌ لِدانيالَ المُسَمَّى بَلطَشاصَّرَ، والكَلِمَةُ حَقٌّ وفَهمُها في مُنتَهى الصُّعوبَةِ، وكانَ فَهمُه لها في الرُّؤيا: **(في تلكَ الأيّامِ، أنا دانيالُ، نُحْتُ ثَلاثَةَ أسابيعَ، لا آكلُ طَعامًا شَهيًا، ولا يَدخُلُ فمي لَحْمٌ ولا خمرٌ، ولا أتَطَيَّبُ بِطيبٍ إلى أنْ تَمَّتِ الأسابيعُ الثَّلاثَةُ. وفي اليومِ الرَّابعِ والعشرينَ مِنَ الشَّهرِ الأوَّلِ كُنتُ على جانِبِ النَّهرِ العظيمِ الذي هوَ دِجلَةُ، فرَفَعْتُ عيني ورَأيتُ فإذا بِرَجلٍ لابسٍ كَتَّانًا، وعلى حقوَيهِ حِزامٌ مِنْ ذهبِ أوفازَ، وجسمُهُ كالزَّبَرْجدِ ووجهُهُ كمَرْأى البَرْقِ، وعَيناهُ كمشعَلَي نارٍ، وذِراعاهُ ورِجلاهُ كمَنظَرِ النُّحاسِ الصَّقيلِ، وصوتُ أقوالِه كصوتِ جمهورٍ. فرَأيتُ الرُّؤيا، أنا دانيالُ وحدي، والرِّجالُ الذينَ كانوا معي لم يرَوا الرُّؤيا، ولكنْ وقَعَت عليهِم رِعْدَةٌ عظيمةٌ فهَربوا مُختَبِئينَ. فبَقيتُ أنا وحدي أرى هذهِ الرُّؤيا العظيمةَ، فلم تَبْقَ فيَ قوَّةٌ، وتَحوَّلَت نَضارَتي فيَ إلى ذُبولٍ، وفَقَدْتُ كُلَ عَزْمٍ. ولمَّا سَمِعْتُ صوتَ أقوالِه وقَعْتُ على وجهي في نومٍ عميقٍ، ووجهي مُلتَصِقٌ بالأرضِ. فإذا بِيَدٍ لمَسَتْني وأقامَتْني على رُكْبَتَيَ وعلى كَفَّيْ يدَيَ....)، (وفي تلكَ الأثناءِ يقومُ كثيرونَ مِنَ النَّاسِ على مَلِكِ الجنوبِ. وينهَضُ رِجالٌ أشِدّاءُ مِنْ شعبِكَ لتَحْقيقِ الرُّؤيا فيَعثُرونَ. ويَجيءُ مَلِكُ الشَّمالِ ويرفَعُ مِترَسَةً ويأْخُذُ مدينةً حَصينَةً، فلا تَقِفُ أمامَهُ قوى الجنوبِ ولا حتى خيرَةُ أبطالَه، لأنَّ لاَ قُوَّةَ لَهُم على المُقاوَمَةِ. فيَفعَلُ مَلِكُ الشَّمالِ بِشعبِ الجنوبِ كيفَ يَشاءُ، ولا أحدَ يَقِفُ في وجهِه، ويقومُ في الأرضِ المَجيدَةِ فتَصيرُ كُلُّها تَحتَ يدِه. ويتَوَجَهُ مَلِكُ الشَّمالِ بِكامِلِ قوى مَملَكتِه إلى أرضِ عَدُوِّه، فيُصالِحُهُ ويُعطيهِ ابْنَتَهُ وفي نِيَّتِه أنْ يُفسِدَ مَملَكَتَهُ، ولكنَّ ذلكَ لا يَثبُتُ ولا يكونُ لَه ما أرادَ. ويَصرِفُ وجهَهُ إلى مَناطِقِ السَّاحلِ ويأخُذُ كثيرًا مِنها، ولكنّ أحدَ القادَةِ يَقهَرُهُ ويَضَعُ حَدًا لِتكبُّرِه، بل يَرُدُّ تكبُّرَهُ عَلَيهِ. ويصرِفُ وجهَهُ إلى حُصونِ أرضِه، ولكنَّهُ يعثُرُ ويسقُطُ ولا يبقى لَه أثرٌ...). (ويفعَلُ المَلِكُ كيفَ يشاءُ، ويتَرَفَّعُ ويتَعاظَمُ على كُلِّ إلَهٍ. ويَتكلَّمُ الأباطيلَ على إلهِ الآلِهةِ، وينجَحُ إلى أنْ يَحينَ وقتُ السُّخطِ، فيعمَلُ اللهُ عمَلَهُ. ولا يعتَرِفُ المَلِكُ بِآلِهَةِ آبائِهِم، ولا بالإلهِ الذي تُحِبُّهُ النِّساءُ، ولا بإلهٍ مِنَ الآلهةِ، لأنَّهُ يتَعاظَمُ على الجميعِ. ولكنَّهُ يُكرِمُ إلهَ الحُصونِ الذي ما عرَفَهُ آباؤُهُ، يُكرِّمُهُ بالذَّهَبِ والفِضَّةِ والحجرِ الكريمِ والنَّفائِسِ. ويعمَلُ على تحصينِ حُصونِه بِهذا الإلهِ الغريبِ، والذينَ يقبَلونَهَ يَزيدُهُم مَجدًا، ويُسلِّطُهُم على كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، ويقسِمُ الأراضِيَ مُكافأةً لهُم. ومتى حانَ الوقتُ يُحارِبُهُ مَلِكُ الجنوبِ، فيُسرِعُ إلَيهِ مَلِكُ الشَّمالِ بِمَركَباتٍ وفُرسانٍ وسُفُنٍ كثيرةٍ ويدخُلُ الأراضِيَ ويجتاحُها ويعبُرُها، ويدخُلُ الأرضَ المَجيدَةَ فتَسقُطُ مُدُنٌ كثيرةٌ وتَنجو هَذِهِ مِنْ يدِهِ: أدومُ ومُوآبُ وما تبَقَّى مِنْ أرضِ بَني عمُّونَ. ويَمُدُّ يدَهُ على جميعِ البُلدانِ وأرضُ مصْرَ لا تَنجو. ويستَولي على كُنوزِ الذَّهَبِ والفضَّةِ وعلى جميعِ نَفائسِ مِصْرَ، وفي طَريقِه يَنضَمُّ إليهِ اللِّيبيُّونَ والكُوشيُّونَ. وتُفزِعُهُ أخبارٌ مِنَ الشَّرقِ والشَّمالِ، فيَخرج بِغضَبٍ شديدٍ لِيُدَمِّرَ ويقتُلَ كثيرًا مِنَ النّاسِ. ويَنصُبُ مُعَسكرَهُ المَلَكيَ بينَ البحرِ وجبَلِ القُدْسِ المَجيدِ، ويبلُغُ حَدَّهُ ولا نَصيرَ لَهُ19...).**

ورؤيا آخر الأيام بدانيال12: **(وفي ذلكَ الزَّمانِ ينهَضُ ميخائيلُ، رئيسُ المَلائكةِ العظيمُ الذي يعتَمِدُ عليهِ بَنو شعبِكَ، ويكونُ وقتُ ضيقٍ لا مَثيلَ لَه مُنذُ كانَتِ الأمَمُ إلى ذلكَ الزَّمانِ. ولكِنْ في ذلكَ الزَّمانِ يَنجو مِنْ شعبِكَ كُلُّ مَنْ يُوجَدُ إسْمُهُ مكتوبًا في الكِتابِ، وكثيرٌ مِنَ الرَّاقدينَ في تُرابِ الأرضِ يستَيقظونَ بَعضُهُم للحياةِ الأبديَّةِ وبَعضُهُم للعارِ والذُّعْرِ الأبديّ. ويُضيءُ العُقلاءُ كضياءِ الأفلاكِ في السَّماءِ، والذينَ هَدُوا كثيرًا مِنَ النَّاسِ إلى الحقّ يُضيئونَ كالكَواكبِ إلى الدَّهرِ والأبدِ.
4وأنتَ يا دانيالُ، أغلِقِ الكتابَ واختِمْهُ إلى آخرِ الأيّامِ، وإلى أنْ يحينَ الوقتُ، يَشُطُّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ ويزدادُ السُّوءُ. ورَأيتُ، أنا دانيالُ، فإذا بِاثنَينِ آخَرينِ واقفانِ، أحدُهُما مِنْ هُنا والآخَرُ مِنْ هُناكَ، على شاطئِ النَّهرِ. 6فقُلتُ للرَّجلِ اللاَبِسِ الكَتَّانَ، الواقفِ على مياهِ النَّهرِ: متى تنقَضي العَجائِبُ؟ فسَمِعْتُهُ يقولُ وهوَ يرفَعُ يُمناهُ ويُسراهُ إلى السَّماءِ ويَحلِفُ بالحَيِّ إلى الأبدِ: إلى ثَلاثِ سِنينَ ونصفِ السَّنةِ، فإذا تَمَ تَشتيتُ قوى الشَّعبِ المُقَدَّسِ تَتِمُّ هذهِ كُلُّها. سَمِعْتُ ذلكَ ولم أفهَمْهُ، فقُلتُ: يا سيّدي، ماذا تكونُ آخرَةُ هذا كُلِّه؟ فقالَ: إذهَبْ يا دانيالُ، فالأقوالُ مُغلَقَةٌ ومَختُومَةٌ إلى أنْ يَحينَ الوقتُ. كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يتَنَقَّونَ ويتطَهَّرونَ ويُمَحَّصونَ، والأشرارُ يفعَلونَ الشَّرَ ولا أحدَ منهُم يفهَمُ، أمَّا العُقلاءُ فيَفهَمونَ. ومِنْ وقتِ إزالَةِ المُحرَقَةِ الدّائمَةِ وإقامَةِ رَجاسةِ الخرابِ ألفٌ ومِئتانِ وتسعونَ يومًا. هَنيئًا لمَنْ يَنتَظِرُ ويبلُغُ إلى ألفٍ وثَلاثِ مئةٍ وخَمسةٍ وثَلاثينَ يومًا. وأنتَ إذْهَبْ واسْتَرِح، إلى أنْ يَحينَ الوقتُ، فتقومَ لتَنالَ نَصيبَكَ عِندَ انقِضاءِ الأيّامِ13).**

سفر رؤيا حزقيال1(1):

رؤيا حزقيال قال: **(في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المجلوين على نهر كبار، أنفتحت السموات، فرأيت رؤى إلهية في السنة الخامسة من جلاء الملك بوياكين كانت كلمة الرب إلى حزقيال بن بوزي الكاهن يقول: فنظرت فإذا بريح عاصف مقبلة من الشمال، وغمام عظيم ونار متواصلة، وللغمام ضياء من حوله، ومن وسطها ما يشبه اللمعان القرمزي من وسط النار، ومن وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها، لها هيئة بشر، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل مستقيمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وهي تبرق مثل النحاس الصقيل، ومن تحت أجنحتها أيدي بشر على أربعة جوانبها، وكذلك وجوهها وأجنحتها لأربعتها أجنحتها متصلة واحد بالآخر، والحيوانات لا تعطف حين تسير، فكل واحد منها يسير أمام وجهه أما هيئة وجوهها فهو وجه بشر ووجه أسد عن اليمين لأربعتها ووجه ثور عن الشمال لأربعتها، ووجه عقاب لأربعتها، وجهها وأجنحتها منفصلة من فوق لكل واحد جناحان متصلان أحدهما بالآخر، وجناحان يستران أجسامها، وكانت تسير كل واحد منها أمام وجهه، وإلى حيث الروح يوجه السير كانت تسير، ولا تعطف حين تسير، أما هيئة الحيوانات فمنظرها كجمرات نار متقدة كمنظر مشاعل وهي تسير بين الحيوانات، وللنار ضياء، ومن النار ما يخرج برق، والحيوانات تجري وترجع ومنظرها كالبرق، فنظرت الحيوانات ، فإذا بولاب واحد على الأرض بجانب الحيوانات ذوات الوجوه الأربعة، منظر الدواليب وصنعها كلمعان الزبرجد، ولأربعتها شكل واحد، ومنظرها وصنعها كأنما كان الدولاب في وسط الولاب، فعند سيرها تسير على جوانبها الأربعة، ولا تعطف حين تسير، أما دوائرها فعالية وهائلة، ودوائرها ملأى عيوناً من حولها لآربعتها، وعند سير الحيوانات تسير الدواليب بجانبها، وعند أرتفاع الحيوانات عن الأرض ترتفع الدواليب، وإلى حيث الروح يوجه السير كانت تسير، والدواليب ترتفع معها، لأن روح الحيوان في الدواليب،... ورأيت كلمعان القرمز كمنظر نار بالقرب منه محيطاً به، مما يشبه وسطه إلى فوق، ومما يشبه وسطه إلى تحت رأيت كمنظر نار والضياء يحيط به، وكان منظر هذا الضياء من حوله كمنظر قوس الغمام في يوم مطر، هذا منظر يشبه مجد الرب، فنظرت وسقطت على وجهي وسمعت صوت متكلم فقال لي: يا ابن الإنسان قم على قدميك فأتكلم معك، فدخل فيَّ الروح لما تكلم معي، فقال لي: يا ابن الإنسان إني مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أناس متمردين،قد تمردوا عليَّ فقد عصوني هم وآباؤهم إلى هذا اليوم نفسه، فأرسلك إلى البنين الصلاب القساة القلوب، فتقول لهم: هكذا قال السيد الرب، سواء سمعوا أم لم يسمعوا،...فلا تخف منهم، لأنهم يكونون معك شوكاً وعليقاً، ويكون جلوسك على عقارب من كلامهم20،...).**

وذكرت هنا رؤيا دانيال، وحزقيال على وجه الخصوص من العهد القديم ضمن مصادر الأصولية النصرانية الإنجيلية؛ لاعتمادها عليهما كمصدرين أساسيين من مصادر الأصولية النصرانية الصهيونية في إثبات عقيدة نهاية العالم موضوع البحث، كما لم أقف على نقد، أوتفسير لهذه النصوص لعلماء الإسلام الأجلاء فيما وقع بين يدي من مراجع، ومصادر.

---

(1) عدد إصحاحاته 148 إصحاح، ويتضمن هذا السفر دعوة حزقيال وتبليغه النبوة إلى بني إسرائيل، وإنذاراته بالويل والحرب على يهوذا. والويلات التي ستحل بالشعوب المجاورة لإسرائيل ويهوذا. ونبوات الرجوع من السبي وإصلاح الهيكل. وكاتب السفر النبي حزقيال. وزمن الكتابة من سنة 597- 577. ولغة الكتابة العبرية (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص36).

الفصل الثالث

العقائد والأفكار عند الأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصرة في مسائل نهاية العالم

- توطئة.
- عودة اليهود لأرض المعاد.
- بناء الهيكل.
- القيامة الجسدية: عودة المسيح الثانية.
- موقعة هرمجدون.
- العصر الألفي. حكم العالم ونهايته.

الفصل الثالث
العقائد، والأفكار عند الأصولية النصرانية البروتستانتية المعاصرة في مسائل نهاية العالم

توطئة:

قاد الاتجاه المتشدد لحركة الإصلاح البروتستانتية الإنجيلية إلى القراءة الحرفية للكتاب المقدس، والتي عقدت سلسلة من المؤتمرات بهدف صياغة فكر الحركة في تآلف وتناسق صهيوني عالمي سافر، وتم لها ذلك في أوائل القرن العشرين، حيث وضعت النقاط الخمس المشهورة لمذهب، وفكر الأصولية الصهيونية البروتستانتية(1) ما كان مدعاة لفتح باب التفسير الشخصي لأسفار التوراة، والإنجيل دون وضع حد، أو قيد، أو ضوابط مع الأخذ بالاعتبار أن اللغة المعتبرة هي اللغة العبرية القديمة لغة الله المقدسة ـ بزعمهم ـ التي خاطب بواسطتها شعبه المختار، وأصبحت لغة رجل الدين الجديدة، وبما أن قصص التوراة، وأحداثها جرت على أرض فلسطين في معظمها فإن اسم إسرائيل الوارد في العهد القديم أصبح جزءاً لا يتجزأ من التراث النصراني(2)، ونتيجة طبيعية لانتشار الاتجاهات الدينية البروتستانتية في نصف الكرة الغربي فإن الفرد ينشأ بالضرورة على الإيمان بمقالاتها المقدسة، والتي تتمثل في أن:

1. اليهود هم شعب الله المختار، وهم في كلمات الله الأمة التي فضلها على العالمين.
2. اليهود هم شعب الميثاق (الميثاق الإلهي) الذي يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق هو الذي أعطاه الله لإبراهيمυ، وهو ميثاق سرمدي إلى قيام الساعة.
3. القول بظهور المسيا، وهي النبوءة المتداولة إما بحسب العقيدة الأصولية النصرانية في القول بالعودة الثانية، أو بمجيئه للمرة الأولى حسب العقيدة اليهودية، وفيها يربط الإيمان النصراني عودة السيد المسيحυ بقيام دولة صهيون، أي: بإعادة جمع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم(3).

ورغم هذا الفارق الذي ينم عن عدم إيمان اليهود بنبوءة السيد المسيحυ أصلاً فإن كلا العقيدتين ربطت ما بين عودة المسيح، أو مجيئه مع قيام دولة اليهود في فلسطين بعد تجميعهم فيها، وإن هذه العلاقة المقدسة هي نذير قيام المملكة الألفية السعيدة التي سيقودها المسيح المنتظر(4).

لقد آمن واضعوا العقيدة البروتستانتية بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس بشطريه القديم، والجديد، وركزت في فهمها للعهد القديم على موضوعات مركزية تتعلق في مجملها بإسرائيل، وشعبها المختار كعنصر مقدس يستوجب الدفاع عنه ضد الذين يرمون إلحاق الأذى به ـ كما يزعمون ـ، كما سيس البروتستانتيون نصوص الكتاب الحرفية فذهبوا في رؤيتهم الدينية إلى اعتبار إسرائيل الواردة في العهد القديم هي ذاتها إسرائيل المعاصرة في فلسطين، وإن قيام إسرائيل في العام (1948م) كان تحقيقاً للنبوءة القائلة باقتراب العودة الثانية للمسيحυ، وأن كل المؤلفات التي كتبت في الغرب أجمعت على أن الكنيسة البروتستانتية، وفروعها المتمثلة في الإنجيلية، والمعمدانية، والدهرية، والمتجددة، والسبتية، والماثونية كلها آمنت بنسقين من المعتقدات نسق جرى في الماضي، وانتهى، وكان أهم ما فيه الآتي:

1. اختيار الله اليهود كشعب مفضل ومختار.
2. اختيار فلسطين كمكان لمعبد الله، وموقع لمملكة اسرائيل.
3. إرسال المسيح لهداية العالم، وإنقاذه، ـ وقد رفضه اليهود ـ.
4. معاقبة الله لليهود لمخالفته تعاليمه.
5. الصفح عنهم لأن الله لن يخلف وعده مع شعبه المختار(5).

أما المعتقدات الثانية فهي التي تتصل بالنواحي المستقبلية التي سوف تأتي لاحقاً، وهي:

---

(1) انظر: دائرة المعارف البريطانية: نشر وليم بنتون. ج9. ص19. الولايات المتحدة الأميركية (ط: 1965م). صورة من مكتبة الملك فيصل للدراسات والبحوث.

(2) انظر: على أعتاب الألفية الثالثة الجذور المذهبية لحضارة الغرب وأمريكا وإسرائيل: حمدان حمدان. ص41. بيسان للنشر والتوزيع والإعلام. بيروت (ط1: 2000م).

(3) انظر: يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحها لصالح إسرائيل: هالسل جريس. ترجمة: محمد السماك. ص34. دار الشروق. القاهرة (ط1: 2000م).

(4) انظر: على أعتاب الألفية الثالثة الجذور المذهبية لحضارة الغرب وأمريكا وإسرائيل: حمدان حمدان. ص42.

(5) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن. ص11.

1. أن خطة الله تتضمن العودة الثانية للمسيحυ؛ للتبشير بمملكة الله.
2. إن إقامة مملكة الله مشروطة باستعادة إسرائيل كشعب مختار لأرضها الموعودة في فلسطين من أجل تمهيد المكان؛ للمجيء الثاني للسيد المسيحυ
3. إن إنشاء إسرائيل في فلسطين، وعودة القدس تحت حكم إسرائيل إشارات دالة على اقتراب العودة الثانية للمسيحυ(1).
4. اعتبار كل الأشخاص، والمجموعات، والدول التي تعارض، أو تناهض دولة إسرائيل أعداء لله؛ لأنهم يعيقون النبوءات التوراتية(2).

وبناءً على ما سبق بيانه فإن أبرز المعتقدات الأصولية الصهيونية البروتستانتية المعاصرة تتمثل فيما يأتي:

1. عودة اليهود لأرض المعاد.
2. بناء هيكل سليمان الثالث.
3. القيامة الجسدية، وتكون بعودة المسيح υ الثانية للأرض.
4. قيام معركة هرمجدون المدمرة.
5. العصر الألفي السعيد، وتنصير اليهود، والعالم، ثم حكم العالم، ونهايته.

وسنقف ـ بإذن الله ـ على كل عقيدة بنوع من التفصيل من حيث المنشأ، ونصوص الاستدلال، وموقف كل منهما بحسب معتقداتهم، وتفسيراتهم لها.

---

(1) انظر: على أعتاب الألفية الثالثة: حمدان حمدان. ص44.
(2) انظر: البعد الديني للسياسة الأمريكية. د. يوسف الحسن. ص12.

أولاً: عقيدة عودة اليهود لأرض المعاد

من المعتقدات الأساسية، والأكثر أهمية، والتي تعتبر عصب العقيدة في الأصولية الصهيونية البروتستانتية العصمة الحرفية للكتاب المقدس بعهديه القديم، والجديد، وفي هذا يقول الدكتور عمارة: «الموقف الفكري الذي يميز هذه الأصولية هو التفسير الحرفي للإنجيل، وكل النصوص الدينية الموروثة، والرفض الكامل لأي لون من ألوان التأويل لأي نص من النصوص حتى ولو كانت كما هي حال الكثير منها مجازات روحية، ورموزاً صوفية، ومعاداة الدراسات التقليدية التي كتبت للإنجيل، والكتاب المقدس»(1)، وانطلاقاً من هذه العقيدة فهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين أرض الميعاد، بل وأحقيتهم فيها، وإقامة دولتهم عليها، ومن النصوص التي يعتمدون عليها في ذلك ما يأتي:

1 ـ نصوص من العهد القديم منها ما يأتي:

1 ـ ما ورد في سفر التكوين**15**: **(وقال الرب لأبرام أذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظم اسمك، وتكون بركة وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنة، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض)** (تك12/1-13)**.** وفي موضع آخر يقول: **(في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات18).**

2 ـ ما ورد في سفر إرميا**16**(2): **(بل حي هو الرب، الذي أصعد بني إسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الأراضي التي طردهم إليها، فأرجعهم إلى أرضهم التي أعطيت آبائهم إياها5)**. وفي موضع آخر بفقرة**32** يقول: **(هاأنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طرتهم إليها بغضبي وبغيظي وبسخط عظيم وأردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين37).**

3 ـ وجاء في سفر حزقيال**37**: **(وقيل له هكذا قال السيد الرب، ها أنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتي بهم إلى أرضهم وأصيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون إلى مملكتين22)**. وفي موضع آخر من نفس الفقرة يقول: **(ثم قال لي يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجائنا، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا، قال السيد الرب ها أنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل12).**

2 ـ نصوص العهد الجديد منها ما يأتي:

1- ما ورد في إنجيل متى**24**: **(فمن شجر التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخص وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب، هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله، فاعلموا أنه قريب على الأبواب، الحق أقول لكم، لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله34).**

ويفسر الإنجيليون شجرة التين هنا بدولة إسرائيل فقد ورد في كتاب دراسات في إنجيل متى نشرتها مجلة كنوز الكتاب المقدس أن شجر التين في الكتاب المقدس: «هي رمز لإسرائيل كاملة»(3)، وتتفق الطوائف الأصولية البروتستانتية في هذا التفسير، ويعلق صاموئيل مشرقي(4)علي ذلك بقوله: «وتتوج هذه النبوءات كلها بما جاء في حديث المسيح النبوي عن هذا الرجوع بتمثيلية بإفراخ شجرة التين، وخروجها من موت الشتاء إلى حياة الصيف لقد حدثت نهضة بين اليهود شكلت قوميتهم من جديد، ولم يكن لها نظير منذ ألفي عام، وهاهم قد رجعوا إلى فلسطين، واليوم ولأول مرة في التاريخ نجدهم راجعين منذ خراب أورشليم وتشتتهم، وها هي شجرة التين قد أفرخت أمام أعيننا، وأن اليهود الآن أصبح لهم كيان سياسي، ودولة تسمى باسمها القديم إسرائيل معترف بها من هيئة الأمم، وصار لها حكومة، ومنظمة، ووزراء، وسفراء، ومركز في المحيط الدولي، ولكونها أخرجت أوراقها فقط فإن ذلك يعني أن رجوعهم رجوع سياسي لا ديني، وهو رجوع جزئي بدليل أن غصناً واحداً لها هو الذي صار رخصاً، وليس كل الأغصان، وأوراق فقط دون ثمار، أي: في عدم إيمان، وفي غير اكتمال، ويشار إلى ذلك بتجميع

---

(1) الأصولية بين الغرب والإسلام: محمد عمارة. ص6. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).

(2) سفر أرميا: عدد إصحاحاته 52 إصحاحاً، ويتضمن هذا السفر نبوءات عن يهوذا، قسم تاريخي يعلن فيه حدوث الخراب الذي حل بالمملكة، وما انتهى إليه باقي أفراد الشعب من مذلة، كلمات تحذير من أرميا النبي إلى تلميذه باروخ بن نيريا، نبوءات عن باقي الأمم، أحداث السبي الأخير ونهاية صديقيا الملك، كاتب السفر أرميا النبي، وزمن الكتابة من (626-586ق.م) ولغة السفر العبرية (انظر: أعرف كتابك المقدس: ص35. لجنة النشر بمطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم. مطبعة شفيه بدير الغرب (ط1: 1997م).

(3) دراسات في إنجيل متى عن مجلة كنوز الكتاب المقدس: تعريب وهيب ملك. ص186. مطبعة كنيسة الإخوة. القاهرة (ط ب)

(4) صاموئيل مشرقي: رئيس المجلس العام لكنائس الله الخمسينية بالقاهرة.

العظام اليابسة قبل أن تهب عليها الروح»(1).

2- ما ورد في إنجيل مرقص13 يقول: **(فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب على الأبواب، الحق أقول لكم، لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله28)**، ويعلق أحد القسيسين الأصوليين بمصر بقوله: «غصنها كان جافاً يابساً لمدة (1880) سنة من سنة (70م) لكن في عام (1948م) صار غصنها رخصاً خضراً، وذلك عند إعلان قيام دولة إسرائيل، والاعتراف بها رسمياً إن شجرة التين بدأت تخرج أوراقها منذ عام (1948م)، وهي عبارة عن الجيل الذي ولد، ونشأ في إسرائيل منذ عام (1948م)، ويطلقون عليه جيل الصابرة أي: الصبار»(2).

3- ما ورد في إنجيل لوقا21 حيث يقول: **(ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدرسة من الأمم التي تكتمل أزمنة الأمم24)**.

ومما سبق عرضه من نصوص العهد القديم والجديد، يتبين لنا الآتي:

1 ـ أن الأصوليين يستدلون بهذه النصوص على ضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين، وأحقيتهم فيها من خلال مبدأ العصمة الحرفية للكتاب المقدس فما ورد فيها من عهود تتعلق بإسرائيل فلابد من تحققها لإسرائيل الحالية؛ لأن إسرائيل الحالية هي إسرائيل القديمة التي ذكرت في الكتاب المقدس.

2 ـ نجدهم يطلقون هذه النصوص على دولة إسرائيل الحالية دون النظر إلى هذه العهود أنها قد تحققت لشعب إسرائيل سابقاً أم لا؟.

3 ـ يستدلون بهذه النصوص على أن الرب أعطى هذه الأرض لنسل إبراهيمυ وهم بني اسحاقυ فهي حقهم، ولابد من رجوعهم لفلسطين، وامتلاكهم للأرض علماً أن ملاكها الذين طردوا منها همً من أبناء إبراهيمυ أيضاً، ولكن من نسل إسماعيلυ**!!!**

فلماذا تقتضي الملكية لابن دون الآخر؟ وكيف تكون للابن الأصغر دون الابن البكر؟.

4 ـ خالف الأصوليون الإنجيليون أهم المبادئ التي اعتمدوا عليها وتسموا بها نسبة إلى التفسير الحرفي للإنجيل، ورفض ما سواه من التفسيرات في تفسيرهم لشجرة التين الواردة في (مت24: 32-34) إلى التفسير المجازي، والتأويل الذي يقول بقيام دولة إسرائيل. ويؤيد رجوع اليهود إلى أرض فلسطين.

لذا فهم يطلقون التفسير في المواضع التي يرغبون، ويقيدونه في البعض الآخر الذي لا يخدم أغراضهم.

ويعتقد الأصوليون البروتستانت أن الرجوع إلى أرض المعاد سوف يعجل المجيء الثاني للمسيح، وأن اليهود سوف يؤمنون به، ويبشرون برسالته.

ويطلق د. المسيري على هذه العقيدة في موسوعته مسمى العقيدة الاسترجاعية، وذلك بقوله: «إن العقيدة الاسترجاعية هي: الفكرة الدينية التي تذهب إلى أنه كيما يتحقق العصر الألفي، وكيما تبدأ الألف السعيدة التي يحكم فيها المسيح الملك الألفي، لابد أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيئه، ومن هنا فإن العقيدة الاسترجاعية هي مركز، وعصب العقيدة الألفية، ويرى الاسترجاعيون أن عودة اليهود إلى فلسطين هي بشرى الألف عام السعيدة، وإن الفردوس الأرضي لن يتحقق إلا بهذه العودة، كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم، أو الأول باعتبار أن النصارى هم شعب الله المختار الجديد الثاني، ولذا فإن أرض فلسطين هي أرضهم التي وعد الإله بها، ووعود الرب لا تسقط، وإن خرج الشعب القديم عن الطريق، ورفض المسيح، وصلبه؛ ولذا فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يعتبر من أعداء الإله، ويقف ضد الخلاص النصراني فأعداء اليهود هم أعداء الإله»(3).

وعلى الرغم من هذا التقديس لليهود، وهذا التأييد الكبير لهم إلا إن هذا التقديس، والتأييد يحتوي على كره عميق لهم، ورغبة في التخلص منهم بأي وسيلة كانت، ورفض لوجودهم، وهذا الرفض يكمن في الآتي:

1 ـ يذهب الاسترجاعيون إلى أن اليهود: «أنكروا المسيح، وصلبوه، وإن عملية استرجاعهم ما هي إلا جزءاً من عملية تصحيح لهذا الخلل التاريخي، وجزء من عملية تطهيرهم من آثامهم فاليهود ليسوا مركز الخلاص بل هم مركز الخلل، وسببه»(4).

---

(1) مبتدأ الأوجاع: صاموئيل مشرقي. ص54. مطبعة أوتوبرنت. القاهرة (ط ب).

(2) العد التنازلي نحو المجيئ الثاني للمسيح والاختطاف. صبري بطرس. ص6. مطبعة أوتوبرنت. القاهرة(ط1: 1998م).

(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري. ص142.

(4) انظر: نفسه. ص142.

2 ـ تذهب العقائد الألفية الاسترجاعية إلى أن عملية الخلاص النهائي ستصاحبها معارك تصل ذروتها في معركة واحدة أخيرة هي هرمجدون، وهي معارك سيذهب ضحيتها ثلثا يهود العالم، وستخرب أورشليم القدس بل إنه كلما ازداد العنف ازدادت لحظة النهاية اقتراباً فكأن التعجيل بالنهاية لا يتم هنا من خلال فعل أخلاقي يقوم به النصارى، وإنما من خلال قربان مادي جسدي للإله (هولوكوست)، يُشوَى بأكمله(1).

3 ـ انتهت حياة المسيح الأولى بإنكار اليهود له، وصلبه بحسب زعمهم أما حياته الثانية فستنتهي بانتصاره، وبالتدخل في آخر لحظة؛ لإنقاذ البقية الباقية من اليهود، وإعادتهم إلى أرضهم فيخر اليهود أمام المسيح، ويعترفون بألوهيته، ويقابلونه باعتباره المسيح المنتظر، ويتحولون إلى دعاة تبشير بالنصرانية ينشرون الإنجيل في العالم، أي: أن المسيح سينجح في إقناع اليهود بما فشل في إقناعهم به أول مرة، وحينما يحدث ذلك تكون الدائرة الحلولية قد اكتملت، وتمت هداية العالم بأسره(2).

4 ـ العقيدة الاسترجاعية عقيدة «تحوسل(3) اليهود تماماً، أي: تحولهم إلى وسيلة، أو أداة نافعة، وأساسية لخلاص النصارى، ولكن لا قيمة لها في حد ذاتها فهم يستمدون قيمتهم من مقدار أدائهم لوظيفتهم، ومقدار تعجيلهم بعملية الخلاص النصراني»(4).

ويعلق د. المسيري على ذلك بقوله: «فبنية الصيغة الاسترجاعية (شعب عضوي منبوذ يمكن توظيفه) هي نفس الصيغة الصهيونية الأساسية، وعلى هذا فإن الفكر الصهيوني في شكله الديني والعلماني فكر استرجاعي»(5).

ومن العرض السابق للعقيدة الاسترجاعية نخرج بالآتي:

1 ـ أن هذه العقيدة تتوافق مع الأحلام الأصولية اليهودية من جانب، وتختلف معهم من جانب آخر. فتتفق معها في جمع الشتات اليهودي، وإقامة الدولة الصهيونية، وتختلف معها في الهدف فهدف الأصولية الصهيونية البروتستانتية جمع الشتات؛ لتعجيل مجيء المسيح؛ وهداية اليهود إلى النصرانية؛ وتبشيرهم بالإنجيل إلى العالم كله بينما هدف الأصولية اليهودية جمع اليهود في فلسطين، وإقامة دولتهم المزعومة مع نكوص النصارى وعودتهم للحق ـ بزعمهم ـ، وذلك بالرجوع إلى اليهودية.

2 ـ ارتباط العقيدة الأصولية الصهيونية البروتستانتية بالرجوع إلى أرض المعاد ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الألفية فرجوع اليهود إلى فلسطين، وقيام دولتهم حسب معتقد الأصولية البروتستانتية ضروري لرجوع المسيا إلى الأرض بصورة حرفية، وإقامته للمملكة الألفية.

3 ـ يعتقد الأصوليون الإنجيليون أن للرب شعبين مباركين، أو مختارين شعب الله المختار الأول اليهود، وشعب الله المختار الثاني الأصوليون النصارى، والله وعد الشعب الأول بأرض فلسطين، ولن يخلف وعده لهم، وكل من يقف أمام تحقيق هذه الوعود فهو عدو الله.

4 ـ على الرغم من التأييد الكبير لليهود من قبل الأصوليين الإنجيليين إلا أن هذا التأييد يحتوي على كره عميق؛ لأن الأصوليين الإنجيليين يعتقدون بأن هؤلاء اليهود هم الأداة التي توصلهم إلى المجيء الثاني للمسيح، وهم القربان المادي الذي يقدم للإله للتعجيل بهذا المجيء؛ لذا فهم يعتقدون أن ثلثي يهود العالم سيكونون ضحية معركة هرمجدون(5).

---

(1) انظر: نفسه. ص143.
(2) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية: محمد صقر. ص117: 118.
(3) تحوسل: هي اختصار لعبارة (تحويل كذا إلى وسيلة) والعلمنة الشاملة والترشيد المادي يرميان إلى تحويل الطبيعة والإنسان إلى وسيلة أي حوسلتهما (انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري. ص27).
(4) نفسه: ص143.
(5) نفسه: ص143.
(5) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية: محمد صقر. ص 119.

ثانياً: عقيدة بناء هيكل سليمان الثالث

قبل الحديث عن عقيدة الأصوليين الصهيونية البروتستانتية في بناء الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى، وأقوالهم في ذلك لابد من إعطاء نبذة موجزة عن معنى الهيكل عندهم، وتاريخ مبسط عن الهياكل في كتابهم المقدس.

أولاً: معنى الهيكل:

«الهيكل كلمة سومرية معناها: البيت الكبير، وهو مكان العبادة، ويقوم مقام الكنيسة اليوم، ولا يطلق اسم الهيكل على كل مكان للعبادة بل على مكان واحد كبير في القدس أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى مجامع، ومفردها: مجمع»(1).

ثانياً: تاريخ الهياكل في الكتاب المقدس:

سبق الحديث بالتفصيل عن الهياكل الواردة في أسفار اليهود(2)، وهي:

1. هيكل سليمان(3) المعروف.

2. هيكل زرو بابل، وهو البناء الثاني لهيكل سليمانυ، بني بناءً على أمر الملك الفارسي قورش عام (538 ق.م)، وأخبار هذا الهيكل مدونة في أسفار عزرا، وزكريا، وحجي.

3. هيكل هيرودوس الكبير الذي اضطر فيه هيرودوس الكبير بالقيام على ترميم هيكل زور بابل بعد خرابه عام (20 ق.م)، وهو الهيكل الذي كان موجوداً أيام بعثة المسيح عيسىυ، وقد هدم هذا الهيكل عام (70م) على يد تيطس إتماماً لنبوءة المسيحυ(4)حيث قال في متي24: **(ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض1)**. وهذا لا يعتبر بناءً للهيكل، وإنما ترميم فقط فلا يعد من ضمن الهياكل المعتبرة عندهم، وتم الاشارة إليه لبيان التسلسل التاريخي لهيكل سليمان، وماطرأ عليه من تغييرات خلال الحقب الزمنية الماضية.

4. هيكل الضيقة العظيمة(5): وهو الهيكل(6) الذي سيبنيه اليهود في هذه الأيام بزعمهم في عصرنا الحاضر، وستكون مدته في الضيقة العظيمة فسيبني أول الضيقة، وهذا هو الهيكل الذي سينجسه الوحش، والنبي الكذاب بحسب معتقداتهم إذ سيقدم عليه ذبيحة نجسة خنزيراً، وهذا هو المعروف برجسة الخراب يقول متى24: **(فمتي نظرتهم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ15)**، وسوف يساعد اليهود في بناء هذا الهيكل الأصوليون البروتستانت الإنجيليون، وهذا الهيكل هو الذي يعنينا في هذه الدراسة، والذي يريد الأصوليون البروتستانت بنائه مكان المسجد الأقصى بعد هدمه؛ للتعجيل بمجيء المسيح ثانية على الأرض بزعمهم.

5. هيكل الملك الألفي: حيث تشير النبوءات الإنجيلية إلى أن هناك هيكل سيبنى في آخر الزمان تحت إشراف الرب يسوع عند افتتاحة الملك العظيم على الأرض حيث نجد زكريا6 النبي يتحدث عن المسيحυ بقوله: **(هكذا قال رب الجنود قائلا، هو ذا الرجل الغصن ومن مكانه بنيت، ويبني هيكل للرب فهو بيتي، هيكل الرب، وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما13)**، ويسمي هنا المسيا بالغصن، وستكون الذبائح فيه تذكارية في صفتها لا كفارية، وسينتهي هذا الهيكل بانتهاء ألف سنة باختفاء

---

(1) قاموس الكتاب المقدس. ص2012.

(2) الباب الأول. الفصل الثالث من ص231: 243.

(3) انظر: هيكل سليمان والمزاعم الإسرائيلية: الأمبا: بيتري لوتاس. ص34. دار الطباعة القومية. القاهرة (ط1: 1998م)

(4) العد التنازلي نحو المجيء الثاني للمسيح والاختطاف: صبري واسبلي بطرس. ص86. مطبعة اوتوبرنت بشبرا. القاهرة (ط1: 1998م).

(5) الضيقة العظيمة: ستأتي في المستقبل ـ كما يعتقدون ـ وستدوم لمدة سبع سنوات عندما ينتهي الله من تأديب شعب إسرائيل ـ بزعمهم ـ وإدانة الغير مؤمنين والكنيسة، أي المؤمنين بشخص وعمل المسيح يسوع لن تكون موجودة خلال هذه الفترة. إذ أن الكنيسة ستنتشل خلال حدث يعرف بالأختطاف (1تس: 4:13-18، و1كو: 15:51-53). والكنيسة ستفدي من الغضب الآتي (1تس: 5:9). ويشير الكتاب المقدس الي الضيقة بأسماء مختلفة بيوم الرب (أش: 2:12، و13:6، و9، ويو: 1:15، و1:2، و11، و31، و3:14، وتس:2:5)، وباسم المصاعب أو الضيقة (تث: 4:30، وصف: 1:1)، والضيقة العظيمة وهو مايشير الي الجزء الثاني من السبع سنوات (مت: 24:21)، وأخيراً بوقت أو يوم الضيق (دا: 12:1، وصف: 1:15). (انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص266).

(6) هيكل الضيقة العظيمة: هو الهيكل الثالث وليس الرابع ويطلق عليه اليهود أنفسهم هذا الاسم، باعتبار أن هيرودس الكبير لم يبن بل رمم فقط، (انظر: العد التنازلي نحو المجيء الثاني للمسيح: القس صبري بطرس. ص88).

الأرض، والسماء الحاليتين كما يعتقدون(1).

وما يهمنا في هذا الموضع الهيكلين الأخيرين الواردين في عقيدة الأصولية البروتستانتية الصهيونية، وهما هيكل الضيقة العظيمة، وهيكل الملك الألفي لما لهما من أثر بالغ في عقل، وفكر كل أصولي بروتستانتي، وفي هذا تقول الكاتبة هالسل: «لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أما دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية، وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه التاريخي، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استنادا إلى قانون موسى في جبل موريا، حيث شيد الهيكلان السابقان»(2)، ويقول أحد الأصوليين، ويدعي "أورن" عندما كان في رحلة إلى القدس، وهو ينظر إلى قبة الصخرة: «إن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود تدمير هذا الصرح، وبناء معبد هيكل يهودي مكانه»(3)، وسألت هالسل مؤلفة كتاب النبوءة، والسياسة أحد الأصوليين وهو"غوردون والتي"، وهو عالم اختصاص في علم الأجناس، وقام بعدة رحلات إلى الشرق الأوسط، وألف عدة محاضرات حول دعم اليمين الإنجيلي لإسرائيل عن: «هل من الأخلاق أن يرفض النصارى وجود حوالي بليون مسلم، وأن يقدموا ملايين الدولارات من أجل تدمير أماكنهم المقدسة؟ فأجابها: إن الإنجيليين الأصوليين الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد يمارسون نفس العقيدة التي مارسها أجدادهم من قبل لقد ظنوا أنهم من الشجاعة، والصواب، والحق أن يربحوا الغرب، وأن يذبحوا اليهود، وأن يسيروا قدماً بمدينة الأبيض، وبما أن حدود أمريكا قد ذهبت فإنهم يعملون على إعادة خلقها في مكان آخر إن صهيون الجديدة هي حلم المستوطنين أصبحت صهيون القديمة الفلسطينية، وكما أن بعض المستوطنين النصارى وجدوا أنه من الصواب قتل الهنود فإن بعض النصارى يجدون الآن أنه من الصواب تقديم المال إلى الصهاينة الذين يقتلون الفلسطينيين»(4).

ومن الأقوال السابقة يتضح رسوخ عقيدة بناء الهيكل لدى الأصوليين البروتستانت، وأنه لابد من بنائه حتى تتم النبوءات التوراتية، وأن بنائه هو الحدث الأخير قبل مأساة إسرائيل التاريخية، ويقصد بهذه المأساة أن ثلثي اليهود سوف يقتلون في معركة هرمجدون، وأن الهيكل ليس له إلا مكان واحد يبنى فيه هو مكان المسجد الأقصى، ومعنى ذلك أنه يستلزم لبناء الهيكل هدم المسجد الأقصى، وهذا ما يتمناه الأصوليون الإنجيليون الآن، ويساعدون إسرائيل عليه، وقد استطاعت الحركة الأصولية الإنجيلية، وبنجاح ترسيخ العقائد الأصولية عند أتباعها سواءً بالشرح، أو بربطهم بالحدث مباشرة كالرحلات التي كان يقوم بها الداعية الإنجيلي المعاصر جيري فلويل إلى الأماكن التوراتية، و"أورن" الذي نظر إلى قبة الصخرة، وقال: «إن بناء الهيكل مكان هذه القبة أمر مقضي، ونبوءة ثابتة في الإنجيل، ولابد من تحقيقها، ويستدل الأصوليون على هذه العقيدة بما ورد في إنجيل متى24: **(ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل1 فتتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض، وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، انظروا لا ترتاعوا، لأنه لابد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حيث يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل أسمي، وحينئذٍ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضا، ويقوم انبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى، فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس وليفهم القارئ15).**

ويستند الأصوليون الإنجيليون بما ورد في الفقرات السابقة أن من علامة مجيء المسيحυ للمرة الثانية هي خراب الهيكل. إذاً لابد من وجود هيكل حتى يخرب، وهذا الخراب الذي سيحدث في الهيكل سوف يكون عن طريق الوحش، والنبي الكذاب، فالوحش هو: «من أطلق عليه دانيال وصف رئيس آت الذي هو الوحش الطالع من البحر أي الأمم»(5)، والأمم: «ترمز إلى حلف مكون من 10 دول غربية متحدة، ويتكون هذا الحلف الغربي من الكنيسة الإثنية، أو كنيسة روما

(1) انظر: العد التنازلي نحو المجيء الثاني للمسيح والاختطاف: صبري بطرس. ص86 - 88.
(2) النبوءة والسياسة: جريس هالسل. ص77.
(3) نفسه: ص21.
(4) نفسه: ص89.
(5) خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. ص58. مطبعة كنيسة الأخوان. القاهرة (ب).

التي ستتحكم في الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة إلى حين»[1]، والنبي الكذاب ضد المسيح: هو الذي يطلق عليه الإثيم، أو الوحش الطالع من الأرض أرض إسرائيل الذي هو النبي الكذاب الذي سيعمل بكل سلطان الوحش، ويتفق النبي الكاذب مع الوحش الأول على خداع اليهود فيأتي النبي الكذاب، ويظهر نفسه لليهود على أنه المسيا المنتظر، والذي انتظروه طويلاً، وسيصدقه اليهود، ويقبلونه، ويجعلونه ملكاً لهم يحكم أرض إسرائيل، ويأتي الوحش الأول إلى الأمة الإسرائيلية؛ ليعدهم بالحماية، والنصرة، وإقامة الشعائر في الهيكل، ويعقد معهم معاهدة على ذلك هذه المعاهد ستحظى بموافقة، وقبول معظم الشعب اليهودي ممثلاً في الحكومة الإسرائيلية هذا ما عبر عنه دانيال بالقول: **(يثبت عهداً مع كثيرين)**، أي: ماعدا البقية التقية ستحتفي إسرائيل بهذا الرئيس الآت باعتباره حامي حماهم العظيم، وسيقبلونه بفرح إلا أنهم سيفاجؤن في وسط الأسبوع السبعين ـ من رؤيا دانيال ـ بهذا الرئيس، وقد رفع البرقع من على وجهه، وكشف عن حقيقة شخصيته، وعن حقيقة نواياه فإذا به ينقض عهده معهم، ويبطل معاهدته، ويأمر بإبطال الذبيحة، والمحرقة التي يقدمها اليهود إلى الله في هيكله، والتي هي أساس العبادة اليهودية، وأساس اقتراب الشعب اليهودي إلى الله؛ ليدخل بدلاً منها طقوساً، وعبادات وثنية مكلفاً "الأثيم" ـ الذي هو النبي الكذاب اليهودي ـ بالإشراف على تنفيذ ذلك، كما سيثبت مركزه كونه أنه يعمل بكل سلطان الوحش الأممي (دا: 12: 13) فإذا كان الوحش الأممي هو الدكتاتور العظيم المنفرد بالسلطة السياسية في العالم فإن النبي الكذاب سيكون هو الرئيس الديني الأوحد المتسلط على شعائر العبادة، وطقوسها[2].

وإضافة إلى ما ذكر يقوم النبي الكاذب بأعمال أخرى منها:

1. أنه يظهر نفسه في الهيكل على أنه إله، ويستدل الأصوليون على ذلك بما ورد في رسالة أهل تسالونيكي[3] الثانية2: **(أنه يجلس في الهيكل مظهراً نفسه إله4)**.

2. يجعل الناس يسجدون لصورة الوحش، وجميع الذين لا يسجدون للوحش يقتلون فقد جاء في سفر الرؤيا13: **(وأعطي أن يعطي روحاً بصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون15)**.

3. سيقوم باضطهاد من يقف أمامه، ولا يسجد للوحش، وخاصة البقية التقية من اليهود، ومن الأمم الذين يؤمنون بإنجيل الملكوت[4]، وسيهربون إلى الجبال، والكهوف بانتظار مجيء المسيا؛ لينقذهم، ويخلصهم من هذا الاضطهاد.

وبناءً على ما سبق يمكن القول أن الأصوليين الإنجيليين البروتستانت يعتقدون بـ:

1. ضرورة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، وهذا يستلزم هدمه، وبنائه مكانه.

2. وجود رابط بين مجيء المسيح، وإقامة دولة إسرائيل، وإعادة بناء الهيكل.

3. أن الذي يقوم بتنجيس الهيكل بعد بناءه هو النبي الكذاب بمساعدة الوحش، وسوف يقومان بأعمال فاسدة كثيرة، وسيظهر النبي الكذاب نفسه في الهيكل على أنه إله، وسيقوم باضطهاد البقية التقية من اليهود، ومن الأمم الذين يؤمنون بإنجيل الملكوت، وسيهربون من هذا الاضطهاد، وينتظرون مجيء المسيحυ؛ لينقذهم، ويخلصهم من النبي الكذاب.

4. أن النبي الكذاب الذي سيكون ضد المسيحυ، وسيكون من اليهود.

5. أن خراب الهيكل بعد بنائه علامة على مجيء المسيحυ للأرض للمرة الثانية.

وبناءً على هذه الاعتقادات ذهبوا إلى العمل لترسيخها في أذهان أبنائهم بشتى الطرق، ومنها ابتكار لعبة أطفال عام (1985م) عبارة عن تركيبة مكونة من ثلاثة أجزاء يقوم الطفل بتجميعها، وتركيبها بسهولة، لتكوين نموذجاً للهيكل الثالث المزمع إعادة بنائه، لتربي في أجيالها الرغبة، والحماس، لهدم الأقصى، وبناء الهيكل مكانه[5].

ولتأثر أعضاء هذه الفرقة الشديد بمعتقداتها الأصولية المزعزمة قام جماعة منهم بزيارة لإسرائيل بغية هدم المسجد الأقصى، حيث أفادت صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية في عددها الصادر في: 1995/9/3م أن السلطات الإسرائيلية ألقت القبض على سائحين إيطاليين نصرانيين قدما لإسرائيل؛ لتنفيذ مهمة مقدسة في المدينة الأبدية، كما نشرت نفس الجريدة في عددها الصادر في: **1998/9/1م** خبراً آخر بعنوان: «يهودي مجنون قد ينسف الأقصى، وقبة الصخرة»، وجاء في الخبر يخشى قادة

---

(1) المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: القس: عبد المسيح أبو الخير. ص122.
(2) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص121. وانظر: خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. ص58- 60.
(3) رسالة من رسائل بولس إلى أهل تسالونيكي عدد إصحاحها 13 إصحاحاً ولغة كتابتها اليونانية، وتحتوي على افتخاره بهم، إنسان الخطيئة، ووصايا علمية (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص59).
(4) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص121.
(5) انظر: المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على الإسلام: أحمد تهامي سلطان. ص186. مكتبة التراث. القاهرة (ب).

الشاباك أن يقوم متطرف من اليمين الإسرائيلي بالاعتداء على المسجد الأقصى، أو قبة الصخرة بهدف الإجهاز على العملية السلمية نهائياً، وتذكر الصحيفة أن سيناريو الاعتداء عرض على رئيس الوزراء السابق نتنياهو في اجتماع حضره وزير العدل، والأمن الداخلي والبلدية إضافة إلى رئيس بلدية القدس، ورئيس جهاز الشاباك المفتش العام للشرطة، وأعربت الصحيفة من تخوفها من أن يؤدي الاعتداء على المسجد الأقصى، أو قبة الصخرة على إحراق المنطقة كلها(1).

(1) انظر: قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. ص70- 72.

ثالثاً: عقيدة ظهور المسيح υ على الأرض للمرة الثانية

تحدث الكتاب المقدس عن ثلاثة أنواع من القيامات للمسيحυ هي:

1. قيامة قضائية (مت: 24: 45- 51).
2. قيامة روحية (يو: 1: 20- 10).
3. قيامة جسدية وهي التي تهمنا في هذا الموضع ومعناها: أنه عندما يجيء موعد نزولهυ إلى الأرض، ويكون مازال في الهواء بين السماء، والأرض سيقوم الأموات المؤمنون به أولاً بعد خروجهم من قبورهم ثم ينضم إليهم الأحياء المؤمنون به أيضاً؛ ليتم للفريقين معاً الخطف، والصعود في السحب لملاقاته هناك وللنزول به أرضاً (1)، وتعد هذه العقيدة من عقائدهم المميزة ـ عن باقي العقائد الأخرى المتفقة مع العقائد اليهودية قلباً، وقالباً ـ، كما تعتبر أحد الأركان الأساسية للإيمان النصراني بجميع فرقهم فيؤمن النصارى بأن ملكوت الله يوجد الآن في العالم من خلال شعبه الذي يؤمن به، ويجعله ملكاً على حياته، وسوف يعلن ملك الله للعالم بقوة في اليوم الآخر بالمجيء الثاني له، ونحن الآن ـ حسب اعتقادهم ـ نعيش زمن ما بين مجيئين للمسيح فالمجيء الأول وقع قبل ألفي عام(2)، ويتوقعون الآن مجيئه الثاني لكونها أهم عقيدة عندهم، ويسوقون على ذلك العديد من الأدلة من العهد الجديد منها:

1. رؤيا يوحنا1 والتي يقول فيها: **(ورأيت ملكاً نازلاً من السماء، معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده، فقبض على التنين والحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة، وبعد ذلك لابد أن يحل زمناً يسيرا، ورأيت عروشاً فجلسوا عليها، وأعطوا حكماً، ورأيت الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع، ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش، ولا لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة، أما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة، هذه هي القيامة الأولى مباركاً ومقدساً من لهم نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة الله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة. ثم متى ما تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا، يأجوج ومأجوج، ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش**(3)**، والنبي الكذاب**(4) **وسيعذبون ليلاً ونهاراً إلى أبد الآبدين20).**

2. ما ورد من نصوص الإنجيل التي تحدد موعد المجيء الثاني للمسيح مثل: متى (24: 45-51)، لوقا (19: 13)، 1كو(3: 11-15)، 2كو (10: 11).

3. إعلان يسوع نفسه بأنه سيجيء مرة ثانية يقول يوحنا (14: 21،3: 22، 23).

4. سيكون مجيئة في مجد مع أبيه، ومع ملائكته كما يقول متى في (16: 19،27: 28، 25: 31)، ولوقا في (19: 11-27) ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

5. كما يرون أنه عند صعود المسيحυ في المرة الأولى شهد رجلان منهم، وهما يوحنا، وبولس بأنه كان يلبس لباساً أبيضاً، وأنه سيأتي هكذا ثانية(5)، واكتفينا بوضع مواقع النصوص من العهد الجديد دون سردها لإتفاقها مع ماجاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بشأن نزوله بشخصه آخر الزمان.

ولعقيدة ظهور المسيح شغف كبير عند الكنيسة الأولى حتى القرن الثالث الميلادي، ثم خفت حدة الاعتقاد بها بدءاً من القرن الرابع الميلادي، وكادت أن تنسى تماماً، ولما جاءت حركة الإصلاح، وظهر البروتستانت في القرن السادس عشر بدأت هذه العقيدة تأخذ مكانتها شيئاً فشيئاً من جديد، ويكثر أتباعها، ووجد لها منظرون، وألفت فيها الكتب مثل كتاب (يسوع آت) لمؤلفه الأصولي "وليم بلكستون" في منتصف القرن التاسع عشر، وصار شبه كتاب مقدس عند

---

(1) انظر: محاضرات في علم اللاهوت النظامي: هنري ثيسن. ترجمة: د. فريد عبد الملك. ص650. دار الثقافة. القاهرة (ب).

(2) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية. أكرم لمعي. ص185.

(3) الوحش: يرمز إلى قوة التدمير والبطش الأمم المجتمعة من عشر دول أوربية متحالفة ضد اليهود (انظر: الأصولية الإنجيلية: الهذلول. ص 49).

(4) النبي الكذاب المراد به: كل من إدعى النبوة كذباً، وربما كان المقصود به أحياناً المسيح الدجال(انظر: الأصولية الإنجيلية: الهذلول. 49).

(5) انظر: الأصولية الإنجيلية: صالح الهذلول. ص50.

الإنجيليين، ووزع منه أكثر من مليون نسخة في الولايات المتحدة، وترجم إلى (48) لغة(1)، وبلغت هذه العقيدة ذروتها في القرن العشرين خاصة بعد السبعينات، وبدأ الاستشهاد بها بنصوص من الكتاب المقدس، فيقول بولس13: **(منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح2).**

والغاية من المجيء الثاني للمسيح إلى الأرض يكمن حسب اعتقاد الإنجيلين في الآتي:

1. ليستعلن ذاته؛ لأنه من لم يره منذ تسعة عشر قرناً فإذا عاد ورآه المؤمنون ظهر مجده، ومجد شعبه.
2. ليدين الوحش، والنبي الكذاب، وذلك أن هؤلاء يجتمعون لأسر أورشليم، وكل اليهود في فلسطين فإذا أوشكوا على النصر نزل المسيح من السماء بكل قوته فحطمهم، وبهذا يمهد الطريق لظهور نظام الحكم الألفي الجديد.
3. لينقذ الخليقة؛ ويباركها؛ ويقيد الشيطان.
4. ليخلص إسرائيل؛ وينجيهم؛ ويصنع معهم عهداً جديداً، وسيقوم قديسو العهد القديم في هذا الوقت بالإيمان به، ويدخلوا في ملك الألف سنة.
5. ليدين الأمم؛ ويحاسبهم في موضع هرمجدون؛ ثم ليقيم مملكته على الأرض كلها بعد أن يضرب كل ممالكها، وتصبح أورشليم عاصمة الأرض المجددة(2).

(1) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص58.

(2) انظر: الأصولية الإنجيلية: الهذلول. ص53- 54.

رابعًاً: عقيدة معركة هرمجدون

هرمجدون عبارة عن كلمة عبرية مكونة من مقطعين: هر، أو هار، وتعني: التل، ومجدون: اسم مدينة في فلسطين تقع في مرج ابن عامر على بعد (55) ميلاً شمال تل أبيب، و(20) ميلاً جنوب شرق حيفا، و(15) ميلاً من شاطئ البحر المتوسط(1).

ولا يشير العهد القديم إلى هذا المصطلح مطلقاً، أما العهد الجديد فيذكرها في موضع واحد فقط في سفر الرؤيا16: **(يجمعهم في الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون15)**، ومع أن اليهود لا يؤمنون بالعهد الجديد إلا أنهم استثمروا فكرة المعركة، وطبقوا الأحداث، والحروب الماضية على مسماها؛ لتوجيه الأحداث لصالحهم، وربما ادعو أن يوم هرمجدون هو يوم غضب الرب المذكور في التوراة.

ويعتقد الأصوليون البروتستانت أن معركة هرمجدون ستكون عبارة عن عدة معارك بين قوى الخير، والشر، وتتمثل قوى الشر في الشيطان، وقواته من الأبالسة، ويعاونه في هذا المسلمون، وبعض الروس، أي: الملحدون، وبعض المنشقين عن الكنيسة النصرانية، وبعض اليهود أيضاً. أما قوى الخير فتتمثل في: السيد المسيح الإله المتجسد، وقواته من الملائكة التي سوف تصاحبه عند عودته، ويعاونه في هذا بعض قوى الخير المخلصة من الأرض، ومن ضمنها الشعب الأمريكي النصراني المؤمن بهذه العقيدة، وسوف تُباد في هذه المعركة غالبية البشر بصفة عامة، وفي مقدمتهم ـ بالطبع ـ المسلمين على وجه الخصوص، وعقب هذه المعركة، وانتصار المسيحυ فيها على الشيطان، وقواته سوف يقوم المسيحυ بالقبض على الشيطان، وأسره، وسجنه في مكان ما، وفي أثناء هذه المعركة سوف يتم رفع الأبرار من النصارى المؤمنين بهذه العقيدة إلى السماء؛ لمراقبة سير الأحداث من خلال السحب، ثم يعودون بعدها إلى الأرض، أي: عقب انتهاء المعركة دون أن يصيبهم أدنى ضرر، أو أذى؛ ليعيشوا مع المسيحυ لمدة ألف عام في سلام، وسعادة(2)، وبعد هذه المقدمة عن المعركة لابد من مناقشة مكان المعركة، وأطرافها، وأحداثها حسب اعتقاد الأصولية البروتستانتية.

أولاً: مكان المعركة:

يعتقد معتنقو الأصولية الصهيونية النصرانية أن هناك موقع تل بأرض فلسطين سيكون هو موقع معركة هرمجدون، وما فتأ يؤكد، ويدلل على ذلك باستمرار الداعية التلفزيوني الشهير "جيروم فوليل"، بقوله: «إن ساحة معركة هرمجدون سوف تمتد من مجدو في الشمال إلى إيدوم في الجنوب حوالي (200) ميل، وتصل إلى البحر المتوسط في الغرب إلى تلال موهاب في الشرق مسافة (100) ميل تقريباً، وإن سهل جزريل النقطة المركزية للمنطقة كلها ستكون مدينة القدس استناداً إلى سفر زكريا14، حيث يقول: **(هذا يوم للرب يأتي فيقسم سلبك في وسطك وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتفضح النساء، ويخرج نصف المدينة إلى السبي، وبقية الشعب لا تقطع من المدينة2)**(3)، ويستنتج من هذا الكلام أن هذه المعركة ستدور رحاها في فلسطين، وهو ما جعل أمريكا الآن تدّعي أن سبب اهتمامها بقضية فلسطين، ومساعدة الجانب الإسرائيلي؛ لتحقيق هذا الجانب، أي: قيام المعركة، وإن كان من نتائجه الوحشية إبادة ثلثي يهود العالم**!!**

ثانياً: أطراف المعركة:

أطراف المعركة في اعتقاد الأصوليين قوتان هي:

قوى الخير، وتتمثل في ملك الملوك الابن، وجيوش السماء، أي: المسيح عيسىυ، والمؤمنين به الذي اختطفوا معه إلى السماء، وتحدث سفر دانيال19عن هذا الجيش حيث يقول: **(ثم رأيت السماء مفتوحة11، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب، وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو، وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويدعى اسمه كلمة الله، والأجناد الذي في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لابسين بزاً أبيض ونقياً، ومن فمه يخرج سيف ماض، لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمرة سخط وغضب، الله القادر على كل شيء، وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب16)**.

قوى الشر، وتتمثل في الجيوش الآتية:

1 ـ ملك الجنوب، وحلفه يقول حزقيال30: **(ففي وقت النهاية يحاربه ملك الجنوب فيثور عليه ملك الشمال بمركبات)** (دا، 40/11)، **(وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم تنبأ وقل هكذا، قال السيد الرب ولولوا يا لليوم، لأن اليوم قريب، ويوم للرب قريب، يوم غيم، يكون وقتاً للأمم ويأتي صيف على**

---

(1) انظر: خدعة هرمجدون: المقدم: محمد إسماعيل. ص34. دار بلنسيا للنشر والتوزيع. الرياض (ط1: 2003م).
(2) انظر: البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي. محمد إسماعيل. ص97- 99.
(3) انظر: النبوة والسياسة: هالسل جريس. ص39- 40.

مصر، ويكون في كوش خوف شديد عند سقوط القتلى في مصر، ويأخذون ثروتها وتهدم أسسها، يسقط معهم بالسيف كوش، وفوط، ولود، وكل اللفيف، وكوب، وبنو أرض العهد هكذا قال الرب، ويسقط عاضدوا مصر، وتنحط كبرياء عزتها من مجدل إلى أسوان، يسقطون فيها بالسيف، يقول السيد الرب فتقفز في وسط الأراضي المقفرة، وتكون مدنها في وسط المدن الخربة، فيعلمون إني أنا الرب عند إبرامي ناراً في مصر ويكسر جميع أعوانها8)، وهذا الحلف يشمل مصر ملك الجنوب، والدول التي شمال شرق أفريقيا التي يرون أنها أثيوبيا، وليبيا، وربما السودان، ومدن أخرى(1).

2 ـ ملك الشمال، وحلفه الذي يضم الدول العربية كما جاء في دانيال11: **(ففي وقت النهاية يحاربه ملك الجنوب فيثور عليه ملك الشمال بمركبات40)**، ويقول في المزامير فقرة38: **(على شعبك مكروا مؤامرة وتشاوروا على أحميائك قالوا هم نبدهم من بين الشعوب ولا يذكر اسم إسرائيل بعد، لأنهم تآمروا بالقلب معاً، عليك تعاهدوا عهداً خيام أدوم والاسماعيليين مؤاب وإلهاً جريون جبال وعمون وعماليق فلسطين مع سكان صور، آشور أيضا، اتفق معهم، صاروا ذراعاً لبني لوط، سلاه8)**. ويضم هذا الحلف تركيا التي يرجح أنها ستكون ملك الشمال، والدول العربية التي تقع في شمال، وشرق إسرائيل، وهي سوريا، والعراق، ولبنان والأردن،... وغيرها، وهذا هو الحلف الإسلامي في نظرهم.

3 ـ التحالف الغربي: أي الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة، وتدعى الوحش، ويضم هذا التحالف الغربي عشرة بلدان من غرب أوروبا هي إيطاليا، وبريطانيا، وفرنسا، وإسبانيا وغيرها، وربما بعض ولايات من أمريكا الشمالية التي هي بلاد نصرانية اسماً، وهذه الدول يشير إليها سياسياً بأنها بابل(2).

4 ـ يأجوج، ومأجوج، وتحالفهم كما جاء في حزقيال38: **(وكان إلى كلام الرب قائلاً يا ابن آدم أجعل وجهك على جوج، أرض مأجوج، رئيس روش، ماشك، وتوبال، وتنبأ عليه، وقل: هكذا قال السيد الرب، ها أنذا عليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبال، وأرجعك وأضع شكائم في فكيك، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً، كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم ممسكين بالسيوف، فارس، وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة، وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشة شعوباً كثيرين معك7)**. ويضم هذا الحلف روسيا، ودول أخرى في أقصى شمال، وشرق قارة آسيا، وربما ألمانيا، ودول من شرق أوروبا، وإيران، وغيرها(3).

ثالثاً: أحداث المعركة:

تقوم الأحلاف السابقة بخوض حرب هرمجدون، وتبدأ بغزو ملك الجنوب وحلفائهم من الجيوش الأخرى أرض إسرائيل، ثم من الشمال، حيث يقوم ملك الشمال، وجيوشه بغزو أرض إسرائيل من الشمال مثل العاصفة، وهذا هو الهجوم الآشوري الأول، وهذا الغزو الجبار سيخرب أرض إسرائيل، وستكون الأرض في أعينهم شبيهة بجنة عدن، وسيقود الله هذه الأمم للقضاء على اليهود المرتدين الذين قبلوا عبادة المسيح الدجال، وسيصل عدد القتلى إلى حوالي(12)مليون يهودي من عدد اليهود البالغ اليوم(17)مليون.

وبعد أن تخرب أورشليم فإن ملك الشمال سيخدع بعضاً من حلفائه العرب، ويدخل إلى أرضهم؛ ليسقطهم، والدمار سيكون في كل الأرض، وأدوم التي ستساعد في خراب أورشليم ستخدع من الحلفاء وستصاب بالخسارة، وتنهب، وتصير غنيمة، وتصبح قليلة العدد، ثم يتحول موآب، وعمون الأردنيين، والفلسطينيين، ودمشق، وصور، وصيدون لبنان، وبلاد أخرى في تلك المناطق فيهربون، وتسلب أراضيهم، ويستمر ملك الشمال في فتوحاته نحو الشمال الشرقي لأفريقيا؛ ليدمر ملك الجنوب حاكم مصر، وحلفائه ليبيا، وأثيوبيا، والسودان، وغيرهم، وبعد أن تخرب مصر، ويشتت المصريين يضع يديه على كل ثرواتها، وكنوزها، وعندما يسمع الوحش الروماني المجموعة الأوروبية بغزو ملك الشمال لإسرائيل فإنه يأتي بأساطيله؛ ليوقف تقدم ملك الشمال بعد دخول الوحش الروماني لأراضي إسرائيل ينزل الرب عيسى بن مريم في اعتقاد الأصوليين من السماء؛ لحرب الوحش الروماني، والنبي الكذاب(4)، وبالقضاء على الوحش، والنبي الكذاب يعتبر الضربة الاولى للمسيح، وجيشة في نظرهم، ويستدلون على هذه الضربة بما ورد في سفر الرؤيا19: **(ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين19 ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الأثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت، والباقون قتلوا بسيف الجالس على**

---

(1) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: محمد صقر. ص146.
(2) انظر: نفسه. ص146.
(3) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص122.
(4) انظر: إشارات الإسلام والكتب السماوية إلى الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط: هاشم كمال عبدالحميد. ص64- 65. (الدار: ب) (ط: ب).

الفرس الخارج فمه، وجميع الطيور شبعت من لحومهم21). ويشرح ناشد حنا هذه الفقرات من سفر الرؤيا بقوله: «وإنما يقبض الرب على الوحش رأس الإمبراطورية الرومانية المؤيد بكل قوة الشيطان الذي هو إنسان يتكلم عنه الكتاب كوحش في صفاته الأدبية، ويطرح معه النبي الكذاب ضد المسيح الأثيم»(1)، وبعد القضاء على الوحش، والنبي الكذاب تأتي الضربة الثانية على ملك الشمال، وحلفائه فيأتي المسيا بجيشه للقضاء عليهم، وتكفي قوة صوت الرب، لهزيمة ملك الشمال، وجيوشه، وعندما يسقط ملك الشمال فإن جوج روسيا الذي سانده بالعتاد الحربي لا يأتي لمعونتهم، ثم يلقي الرب ملك الشمال حياً في بحيرة النار مع الوحش، والنبي الكذاب(2)، وبعد القضاء على ملك الشمال، وجيوشه، والقضاء على الوحش الروماني، والمسيح الدجال تأتي الضربة الأخيرة الأكثر دموية، وهي القضاء على حلف يأجوج، ومأجوج، وجيوشه، ويستدل الأصوليون البروتستانت على ذلك بما ورد في حزقيال39: **(وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج 1وقل. هكذا قال السيد الرب هانذا عليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبال. وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل، وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى، فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. أبذلك مأكلاً للطيور والكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط لأني تكلمت يقول السيد الرب. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب. وأعرف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل. هاهو قد أتى وصار يقول السيد الرب، هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه، ويخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمجان والأتراس والقسي والسهام والحراب والرماح ويوقدون السلاح بالنار وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم يقول السيد الرب10)**.

ويعتقد الإنجيليون بعد القضاء على هذه الجيوش في معركة هرمجدون سيكون هناك بعض الأمم ستنجو من الدمار هذه الأمم سيعودون إلى أراضيهم، وذلك كما جاء في متى5: **(ليعلنوا مجد الرب، وستسمع الأمم وتخاف، وستعين بقية إسرائيلية لتعود إلى أرضها، وسيقضي الرب على الأمم المجتمعة التي اتبعت روسيا في الحرب في أدوم، وسيكون قضاءاً رهيباً، حتى أن أرض أدوم نفسها ستترك في خراب أبدي، وستبقى عقيمة وخربة، من جيل إلى جيل أثناء الملك الألفي، وسيعود الرب إلى إسرائيل من أدوم، بعد ان وطأ وحده المعصرة، وعندما يعود الرب فإنه يقود جيوش إسرائيل ليحاربوا ويخضعوا الأعداء الباقين الذين يقيمون في أرضهم، كما في أيام يشوع الذي قاد بني إسرائيل إلى الانتصار، وستمتد المعركة حتى أرض آشور6)**. وفي ذلك الوقت فإن إسرائيل سيضع يده على كل الحدود المعطاء له كميراث من (نهر مصر إلى نهر الفرات)، وسيقع القضاء النهائي على الفلسطينيين من جيوش إسرائيل أيضاً، ولا تبقى بعد أمة، وسيخضع مؤاب، وعمون لإسرائيل، ويضعون تحت الجزية، وسيسمح لبقية منهم بالبقاء في الأرض أثناء حكم المسيح الشخصي، وسيقيد إبليس، ويطرح في الهاوية السحيقة لمدة ألف سنة(3)، وسينهي الرب كل حرب، وتمرد، ولن يعود هناك مغتصب من ذلك الوقت لكي يضايق إسرائيل مرة أخرى، وسيقيم الرب عرش مجده في إسرائيل، وكل الأمم الذين خرجوا ليكرزوا به في كل الأمم كما يقول في متى24: **(ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى14)**. وسيقسمهم الرب كالراعي الذي يميز خرافه من الجداء، والأمم الذين اظهروا أنفسهم أبراراً سيدخلون؛ للتمتع بالبركة الأرضية مع إسرائيل، أما الأمم التي أظهرت نفسها في عدم البر؛ فسترسل إلى العقاب الأبدي(4).

ومما سبق عرضه فيما يتعلق بمعركة هرمجدون نستخلص الآتي:

1. أن الأصوليين الإنجيليين يعتقدون أن هناك معركة هرمجدون ستكون في آخر الزمان، وستقع في تل مجدو في فلسطين.
2. ستكون هذه المعركة بين قوتين، قوى الخير بقيادة المسيح، ومن معه من القديسين السماويين، وقوى الشر التي تتمثل في عدة أحلاف: الوحش، والنبي الكذاب، وملك الشمال، وحلفه الذي يضم الدول العربية، وملك الجنوب، وحلفه، ثم حلف يأجوج، ومأجوج.
3. تبدأ المعركة بالقضاء على الوحش، والنبي الكذاب، وهذه تعتبر الضربة الأولى للمسيح، ثم تأتي الضربة الثانية بالقضاء على ملك الجنوب، وحلفه، وملك الشمال، وحلفه، ثم تكون الضربة الأخيرة، والأكثر دموية للقضاء على يأجوج، ومأجوج، وحلفه.
4. ستقوم بقية تقية ـ بزعمهم ـ من اليهود الذين آمنوا بالمسيح، ولم يسجدوا للوحش، ولا

---

(1) شرح سفر الرؤيا: حنا ناشد. ص416. مطبعة كنيسة الأخوان. القاهرة (ط1: 1967م).
(2) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص124.
(3) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: محمد صقر. ص151.
(4) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص125- 126.

لصورته، ويدعون بالإنجيل في كل الأمم.

5.تفسير الأصوليين الإنجيليين للنصوص يتغير تبعاً للأهواء، والأغراض الشخصية، والسياسية، فتجدهم يفسرون يأجوج، ومأجوج بروسيا، وبعد سقوط الشيوعية نجدهم يفسرونها بالشيشان، وكوسوفا، والبلاد الإسلامية في هذه المنطقة، ثم تغيّر هذا التفسير بعد أحداث سبتمبر (2001م) إلى أفغانستان، والعراق،... وهكذا

فالتفسيرات لدى الإنجيليين تابعة للأهواء، والأغراض الشخصية، ومتغيرات التاريخ، وهي مطية للسياسة الأمريكية، ويعتقدون أنه بعد انتصار المسيح على أعدائه، والقضاء عليهم سيقيم مملكته على الأرض لمدة ألف عام تقوم بعدها الساعة.

خامسًا: عقيدة الحكم الألفي السعيد

تنتظر النصرانية ــ كما ذكرنا سابقاً ــ المجيء الثاني للمسيح، بل وتدعى مساعدة الإله ــ عياذاً بالله ــ في صنع الأحداث؛ لتعجيل الخلاص بمجيئه؛ ولقيام الألفية، والتي تعني: الألف عام التي يجيء المسيح بعدها، أو قبلها ـ بحسب مذاهبهم في المسألة ـ، ويدين اليهود، ويؤمنوا به بعد أن رفضوه، ويحكم العالم لألف عام مع مَن آمن به، حسب ما جاء في رؤيا يوحنا20: **(ويملكون معه ألف سنة6)**. وينقسم الأصوليون التدبيريون، أوالألفيون إلى تيارين: تيار ما قبل الألفية، وتيار ما بعد الألفية.

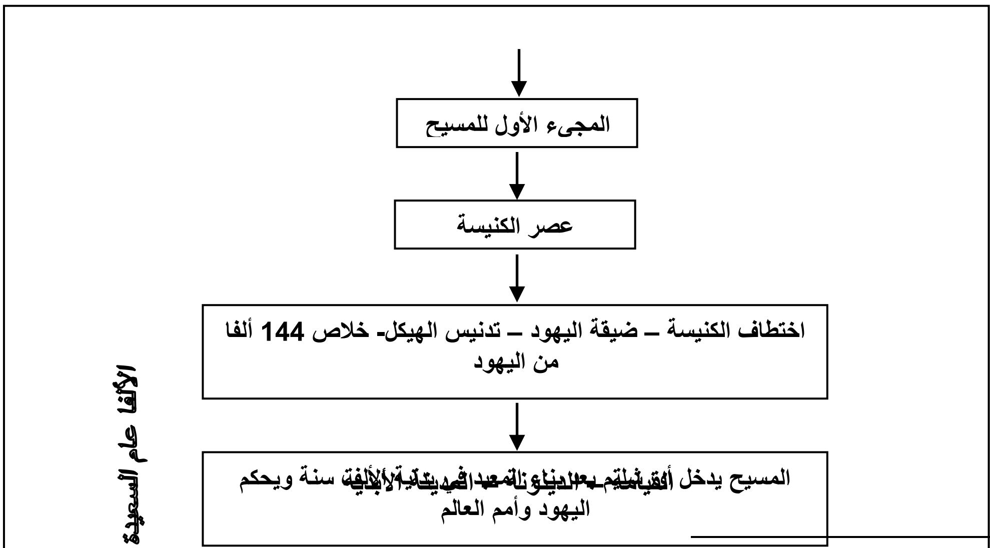
أولاً: تيار ما قبل الألفية:

ينتمي هذا التيار الأصولي إلى ما يسمى بالأصوليون التدبيريين(1) الذين يعتقدون بأن المسيح سيجيء قبل الألف عام السعيدة، ويقسمون التاريخ إلى سبعة عهود، أو سبعة تدبيرات هي:

1- عهد الأعمال: من خلق آدم إلى السقوط نزول آدمυ على الأرض.
2- عهد السقوط: وهو من سقوط آدمυ على الأرض إلى عهد الطوفان زمن نوحυ.
3- عهد الحكومات: من عهد الطوفان إلى عهد موسىυ، وصعوده جبل سيناء.
4- عهد الناموس: وهو من صعود موسىυ لجبل سيناء إلى يوم الخمسين(2).
5- عهد النعمة: وهو من يوم الخمسين إلى المجيء الثاني للمسيحυ.
6- عهد المملكة: الألف سنة؛ لأن كل العهود السابقة فشلت.
7- عهد الأبدية(3).

وترى الأصولية ما قبل الألفية نهاية التاريخ وفقاً للشكل (1).

شكل (1)
نهاية التاريخ لدى الأصولية ما قبل الألفية



(1) التدبيريين هم: الطائفة المنشقة عن البروتستانت الإنجيلية والتي تنادي بعودة اليهود لفلسطين، لتعجيل عودة المسيح وحكم العالم لألف عام.

(2) يوم الخمسين: هو عيد الاسابيع (خر:34: 22)، و(تث: 16: 9)، وسميّ يوم الباكورة (عد: 28: 26]، وكان يقع في اليوم الخمسين بعد اليوم الثاني من الفصح (لا:23: 15، و16، وتث: 16: 9،10]. وكان أحد الأعياد الثلاثة التي كان يتحتم على الذكور من الشعب أن يذهبوا فيها ليمثلوا أمام الرب (خر:34:22، 23]. وكان يعتبر سبتاً أي زمن راحة لا يقومون فيه بأي عمل بل يجتمعون معاً للعبادة (لا: 23: 21،وعد: 28: 26]. وقد بدأ في الأول كيوم شكر لأجل الحصاد في البلاد المقدسة، وكانت مدته يوماً واحداً. وكانوا يقدمون فيه رغيفين من الدقيق الذي طحن من غلة الحصاد (لا: 23: 17، و20، وتث: 16: 10]. وكذلك كانوا يقدمون عشر ذبائح في ذلك اليوم (لا: 23: 18، و19]، وكانوا يحثون الشعب في هذا العيد أن يذكروا المحتاجين كاللاوي والعبد، والأمة واليتيم والأرملة (تث: 16: 11 و12] (انظر: قاموس الكتاب المقدس: معجم الكلمات العسرة:حرف الخاء. يوم الخمسين).

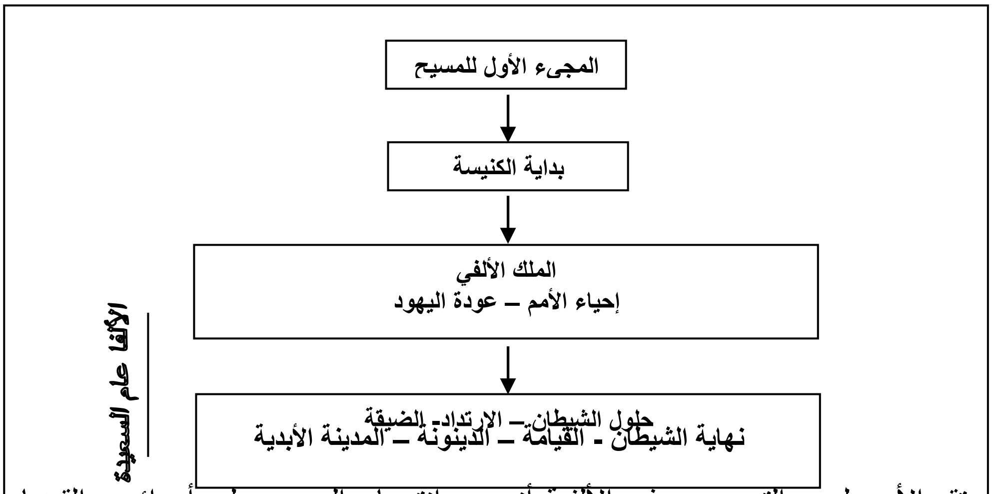
(3) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا: رضا هلال. ص189. مكتبة الشروق. القاهرة (ط2: 2001م).

ثانياً: تيار ما بعد الألفية:

أما الأصوليون التدبيريون ما بعد الألفية فيعتقدون أن هناك ألف عام يسود فيها السلام الروحي، وتضيق فيها مساحة الشر، ويملك فيها المسيح ملكاً روحياً على قلوب غالبية البشر، بما فيهم اليهود، وفي نهاية الألف سنة يحل الشيطان، ويحدث شروراً، وارتداداً، وضيقة خانقة، ثم يأتي المسيح في مجد، ويقيم الأموات جميعاً؛ لتكون الدينونة العامة، والمدينة الأبدية، ويسمى أصوليو ما بعد الألفية بـ (الإيحائيون)، الذين يعتقدون أن المجيء الثاني للمسيح لن يتحقق إلا بعد ألف عام من الحكم الملك النصراني، وأنه على النصارى تهيئة الظروف الاجتماعية، والسياسية التي تجعل ظروف عودة المسيا ممكنة[1]، والشكل رقم (2) يوضح نهاية التاريخ لدى الأصولية ما بعد الألفية.

(1) انظر: نفسه. ص191.

الشكل رقم (2)
نهاية التاريخ لدى الأصولية ما بعد الألفية



ويعتقد الأصوليون التدبيريون في الألفية أنه بعد انتصار المسيح على أعدائه، والقضاء عليهم سيقيم مملكته على الأرض لمدة ألف عام سيحكمها من مركز قيادته في أورشليم، ويستند الأصوليون في عقيدتهم للألفية بما جاء في سفر الرؤيا20: **(ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة، وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة6).**

ويعتقدون أن هذا الملكوت الألفي سيكون له دائرتان، دائرة سماوية يسمونها ملكوت الأب، ودائرة أرضية يسمونها بملكوت ابن الإنسان على الأرض، فالدائرة السماوية تتكون من: القديسين السماويين، من أزمنة العهد القديم، والكنيسة عروس المسيح الذين قاموا في القيامة الأولى، واختطفوا إلى جانب شهداء الضيقة من اليهود، والأمم، ودائرة أرضية يسمونها بملكوت ابن الإنسان على الأرض، والتي تتضمن البقية من اليهود الذين حفظوا أثناء الضيقة، وأسباط إسرائيل الذي أعيد جمعه مع الشعوب الأممية في الأرض، وتتصالح السموات مع الأرض، ويكون هناك توافق، وانسجام، وسيرث الرب كل المخلوقات بالقوة، وستشاركه الكنيسة عروسة، والقديسيون السماويون في حكمه على الأرض، وستظهر أورشليم السماوية فوق أورشليم الأرضية[1]، ومما يميز هذه الألفية كما يعتقد الأصوليون الإنجيليون الآتي:

- طول أعمار الناس: حيث جاء في سفر حزقيال47: **(سيصبح الناس طوال الأعمار، كما كانوا قبل الطوفان، وستزول اللعنة، ويقيد الموت وسيعيش الذين يدخلون العصر الألفي في حالة عدم الخطيئة، أما الذين سيخطئون سيموتون في عمر مئة سنة، وستتغير غرائز التوحش في الحيوانات، فيسكن الذئب والخروف معاً، ولا يفترس أحدهم الآخر، ويلعب الأطفال مع الأسود والثعابين دون أن يخافوا منها، وسينام الناس في الوعور دون أذى، ولا تعود الحيوانات إلى أكل اللحوم ثانية، ويأكل الأسد العشب مثل الثور ويعود الإنسان إلى عصور ما قبل الطوفان ويكون طعامه النبات والسمك10)**[2].
- يكثر الخير بوفرة، وينعدم الفساد فلا يكون قحط، ولا جراد، ولا آكل، ولا مفسد يقول هوشع2: **(في ذلك اليوم إني استجيب يقول الرب، استجيب السموات وهي تستجيب الأرض عوضاً، أن تعطيها أذناً صماء، فلا تمطر عليها، والأرض تستجيب القمح والمسطار والزيت21)**[3]. وفي موضع آخر في عاموس[4] فقرة9: **(يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب بازر الزرع، أي يكون الخير مستمراً،**

---

(1) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص126.
(2) انظر: الرجاء المبارك ومستقبل العالم: طلعت فكري. ص117. دار الطباعة القومية. القاهرة (ط1: 1918م).
(3) سفر هوشع: عدد إصحاحاته 14 إصحاح، وكاتبه هوشع النبي، وزمن كتابته بين 750-722 ق.م) ولغة كتابته العبرية، ويتضمن حال إسرائيل، الرب يحاجج شعبه، التأديب مع إشراقة الخلاص، ثمار التوبة (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص38 بتصرف).
(4) سفر عاموس: عدد إصحاحه 19 إصحاح، وكاتبه عاموس النبي، وزمن كتابته ما بين سنة (780-746 ق.م) لغة =

وتقطر الجبال عصيراً، وتسيل جميع التلال13)، وأيضاً قوله يوئيل(1) فقرة3: **(ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً18)**. وأيضاً قوله في المزامير (2)فقرة65: **(اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطف براً تهتف وأيضاً تغني13)**.

- تميزت الأمة الإسرائيلية بمميزات خاصة: حيث سيعاد بناء كل أرض إسرائيل مرة أخرى بعد خرابها، ويستمد ميراث إسرائيل الكامل من نهر مصر إلى نهر الفرات، وستكون المساحة التي ستتسع من أرضهم حوالي (300.000) ميل مربع، وستسمى كلها جبل بيت إسرائيل، ولن يكون هناك رئيس كهنة أرضي من سلالة هارون لممارسة الخدمات في الهيكل؛ لأن الرب رئيس الكهنة العظيم سيكون حاضراً، وستصبح أورشليم هي قصبة عاصمة العالم، والمدينة المعتبرة إنها مركز الأرض، كما أن القديسيين السماويين سيحكمون وهم في أورشليم السماوية فوق الأرض، كذلك فإن إسرائيل ستحكم على الأرض، وأورشليم هي مقر حكومة الرب، وستصبح إسرائيل رأساً لكل الأمم على الأرض بحسب مقصد الله الأصلي نحوهم، وباعتبارها رأساً للشعوب، فإن الأرض كلها ستعطي الحرية لإسرائيل، وسترضع من غنى الأمم، وستصبح أغنى منطقة على الأرض(3).

- عندما يقترب حكم المسيا الألفي من النهاية فإن الشيطان الذي قيّد سوف يحل، وذلك لمهمة تجريب الساكنين على الأرض لكي يمحصهم، حيث يكون هناك أناس في الملك الألفي يتظاهرون بالطاعة، فيأتي الشيطان، ويجمعهم لمحاربة المدينة المحبوبة أورشليم، ومحاربة القديسين، وعند ذلك يقضي عليهم المسيح، ويلقي الشيطان في بحيرة النار المتقدة، ويستدلون بذلك بما ورد في سفر الرؤيا20: **(ثم متى تمت الألف سنة7، يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض، جوج ومأجوج، ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على الأرض أحاطو معسكر القديسين والمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب ويعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين10)**.

وتدّعي الأصولية الإنجيلية: أن الرب يسوع سيؤسس ملكوته في الملك الألفي بالقوة، وسيعود إلى المجد لكي يحكم العالم كله. (مز: 7: 7، 47: 5)، (رؤ: 7: 15). وسيجلس على عرشه في السماوات ككاهن، وسيحكم كملك بالسلام لمدة ألف عام باعتباره مركز كل شيء في السماء، وعلى الأرض. (أف: 1: 10)، وسيسود على كل الكون ويحكمه كابن الإنسان. (مز: 8)، وسيمتد ملكوته على الأرض من البحر إلى البحر، ويحكم البر، وسيسود العالم السلام، ولن يكون لملكه نهاية (زك: 5: 3- 4، 14 : 11). وسيكون هناك دائرتان للملكوت: دائرة سماوية يسمونها بملكوت الأب، وتتكون من القديسين السماويين من أزمنة العهد القديم والكنيسة عروس المسيح، الذين قاموا في القيامة الأولى واختطفوا إلى جانب شهداء الضيقة من اليهود، والأمم، ودائرة أرضية: يسمونها بملكوت ابن السماء على الأرض، والذي يتضمن البقية من اليهود الذين حفظوا أثناء الضيقة، وأسباط إسرائيل الذي أعيد جمعهم مع الشعوب الأممية في الأرض، وتتصالح السماوات مع الأرض، ويكون بينهما توافق وانسجام، وسيرث الرب كل المخلوقات بالقوة، وستشاركه الكنيسة عروسه، والقديسون السماويون في حكمه على الأرض، وستظهر أورشليم السماوية فوق أورشليم الأرضية، وسينال المؤمنون أكاليلهم أمام عرش المسيح أمام العالم أجمع في يوم المسيح، وسيكون لهم الامتياز في الاشتراك في إدارة الأرض، وسيكون لرسل الرب يسوع المسيح الإثني عشر امتياز خاص في إدارة الحكم على إسرائيل مع المسيح من فوق (مت: 19: 28). وستكون إسرائيل زوجة لله بمعني رمزي، ويقول الرب كما جاء في هوشع12: **(إنك تدعينني رجلي6)** ــ تعالى الله علواً كبيرا ــ، ثم تتطهر أرض إسرائيل من الموتى، وذلك بإقامة مدفنه عظيمة واسعة تدعى (وادي جمهور جوج) (حز: 39: 11)؛ لدفن جماهير روسيا، وجنود الأمم التي تبعتهم إلى المعركة، وحدود هذا المكان ستصبح في وادي عظيم في الجانب الشرقي من البحر الميت (حز: 39: 11)، وسيستغرق دفن الموتى سبعة أشهر، وحرق الأسلحة، والمعدات سبع سنوات (حز:39: 9- 12)،

=

الكتاب العبرية، ويتضمن دينونة الأمم، عظات لإسرائيل، الرؤى ووعد الخلاص. (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص39).

(1) سفر يوئيل: عدد إصحاحاته 13 إصحاح، وكاتبه يوئيل النبي، وزمن الكتابه حوالي 400ق.م، ولغة الكتابة العبرية، ويتضمن: قارات الجراد، وتمهيد ليوم الرب، وقارات الأعداد تمهيد آخر لـه، حلـول الـروح القـدس تهيأة ليوم الرب، يوم الرب العظيم (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص38).

(2) سفر المزامير: عدد المزامير (151) مزمور، وزمن الكتابة تختلف، ولغة الكتابة العبرية والآرمية، وهـذا السفر يسمى في الأصل العبري "تهليم" ومعناه تهاليل، وأطلقت عليه في الترجمة السبعينية اسم بسالمو، وفي العربية "الزبور" وخصائص السفر تنحصر في الآتي: هذا السفر هـو سـفر التسـبيح لشـعب الله، وهـو كتـاب لكل من هم في عوز. (انظر: أعرف كتابك المقدس. ص30 بتصرف).

(3) انظر: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: أبو الخير. ص126- 127 بتصرف.

وسيعاد بناء كل أرض إسرائيل مرة أخرى بعد خرابها، وسيمتد ميراث إسرائيل الكامل من نهر مصر إلى نهر الفرات، وستكون المساحة التي ستتسع من أرضهم حوالي (000، 300 ميل مربع)، وستسمي المساحة كلها جبل بيت الرب، ولن يكون هناك رئيس كهنة أرضي من سلالة هارون لممارسة الخدمات في الهيكل؛ لأن الرب رئيس الكهنة العظيم سيكون حاضراً، وسيعين الرب وصيا نائبا له؛ ليجلس على العرش في إسرائيل؛ ليخدم ويتمم مطالب الرب، ومسيرته، هذا الملك سيكون من السلالة المباشرة للبيت الملكي، وهو بيت داود فالملك ليس هو الرب يسوع المسيح، ولكنه إنسان قابل للموت الذي سيقدم عن نفسه ذبائح للخطية، وستعود الأشياء في الأرض إلى ترتيبها اليهودي، حيث يحفظ السبت مرة أخرى، وليس اليوم الأول من الأسبوع الذي يخص التدبير المسيحي، وسيحفظ ناموس الرب مرة أخرى بكل فرائضه، وأحكامه، وستقدم مرة أخرى الذبائح اللاوية، هذه الذبائح ستكون للذكرى، ذكرى إكمال عمل المسيح، وسيعود إلى الهيكل مجد الشكينة، أي: حضور مجد الرب المنظور، وسيرى مرة أخرى، وسوف تكون هناك ذبائح مسائية، إذ لا يكون ليل بعد (حز: 46 : 13 - 15). وسيعيد اليهود ثلاثة أعياد فقط من الأعياد السبعة السنوية التي كانوا يحفظونها، وهي: أعياد الفصح، والفطير، والمظال، وسيحمد إسرائيل الرب (مز: 95)، وستنادي إسرائيل الأرض لكي تسبح الرب، وتحمده (مز: 96 – 100)، وستتصل أمم كثيرة لترتبط بالرب (زك 2: 11) (مز: 47: 9)، وستسجد الأرض كلها للرب يسوع المسيح، وتتأسس عبادته، وستكون عبادة الرب يسوع المسيح كل شهر، وكل أسبوع من السبت إلى السبت (أش 66: 23)، وسيكون هناك تسبيح دائم نهاراً، وليلا في الهيكل من كل اليهود، والأمم إذ سيعبدون معاً، وستأتي كل الأمم إلى أورشليم؛ لتسجد، وتحفظ عيد المظال فإنهم يجلبون على أنفسهم الضربات، والقصاص (زك: 14: 17-19)، وستقدم البخور تذكارا في كل أمة باسم الرب (ملا: 1: 11)، وسيعاد بناء أورشليم أيضاً، وتصلح للسكنى بعد خرابها، وكل سكان مدينة أورشليم يكونون أبراراً (أش:60: 12)، وستصبح أورشليم عاصمة العالم، والمدينة المعتبرة؛ لأنها مركز الأرض، وكما أن القديسين السماويين سيحكمون، وهم في أورشليم السماوية فوق الأرض، كذلك فإن إسرائيل ستحكم على الأرض، وأورشليم مقر حكومة الرب، وستصبح إسرائيل رأسا لكل الأمم بحسب مقصد الله الأصلي من نحوهم، وباعتبارها رأسا للشعوب فإن الأرض كلها ستعطي الجزية لإسرائيل، وسترضع من غنى الأمم، وستصبح أغنى منطقة على الأرض.

وستخدم كل الأمم إسرائيل، وسيرعون قطعانهم، ويحرثون حقولهم، ويخدمون في كرومهم، بينما تدع إسرائيل لخدمة الرب، والأمم التي لا تخدم إسرائيل ستباد (أش: 60 : 12)، وستصبح أورشليم مركزا لتعلم كلمة الله، وكل الأمم ستصعد إلى أورشليم لهذا الغرض (أش: 2: 2-3)، وستكون إسرائيل بركة للعالم، وستنكب قوة الروح القدس على إسرائيل بآيات، ومعجزات، وتستخدم إسرائيل هذه القوة لبركة العالم، واللغات المختلفة للأمم ستستمر في الملك الألفي، وكل وجه من أوجه الحياة في إسرائيل سيتصف بالقداسة (قدس الرب)، وستكتب على أجراس الخيل، وهي تصور الحياة العامة، وعلى القدور في بيت الرب إشارة للحياة الدينية، وعلى قدور أورشليم، ويهوذا، وهي تصور الحياة البدائية (زك: 14: 20-21)، وسيصبح الناس طوال الأعمار كما كانوا قبل الطوفان، وستزول اللعنة، ويقيّد الموت، وسيعيش الذين يدخلون العصر الألفي في حالة عدم الخطيئة، أما الذين سيخطئون سيموتون في عمر مائة سنة، وستتغير غرائز التوحش، والإبادة في الحيوانات، فيسكن الذئب، والخروف معاً، ويرعى الأسد، والعجل معاً، ولا يفترس أحدهما الآخر، ويلعب الأطفال مع الأسود، والثعابين دون أن يخافوا منهما، وسينام الناس في الوعور دون أذى، ولا تعود الحيوانات إلى أكل اللحوم ثانية، ويأكل الأسد العشب مثل الثور، ويعود الإنسان إلى عصور ما قبل الطوفان، ويكون طعامه النبات، والسمك (تك: 1: 29)، (حز: 47: 9-10)، وستحدث تغيرات طوبوغرافيه كبيرة في الأرض (أش 41: 15-20)، وسيكون هناك نهر جديد، ومياهه شافية تنساب من أسفل الهيكل إلى مركز أورشليم، ومن هناك تنقسم إلى رأسين إلى الشرق الذي يصب في البحر الميت، وإلى الغرب، ويصب في البحر المتوسط، والوادي الجديد إذ تشقه قدمي الرب عندما يأتي إلى جبل الزيتون فإن النهر يغني، ويخصب الأرض، وسيشفي البحر الميت، ومياهه تمتلئ بوفرة من السمك، والصيادون يلقون شباكهم من الشواطئ (حز: 47: 9-10)، أما البرك، والمستنقعات في البحر الميت فلن تشفي، وهناك أنهار جديدة أخرى ستنفجر، وتتدفق في الأرض، وتزهر البرية مثل النرجس (أش: 35: 1-2 و7)، وسيجف نهر الفرات، ونهر النيل، ويتوقف استخدامهما، ويلمع نور الشمس سبعة أضعاف، والقمر يلمع نوره كالشمس (أش: 30: 26)، وستبقى الأربعة فصول بعينها في الأرض، وستزدهر الخصوبة الزراعية، والنباتية، وستعطي الأرض محاصيل بطريقة لم تعرفها من قبل على الأقل منذ سقوط الإنسان، وأكثر الأماكن في الأرض مثل قمم الجبال ستعطي وفرة في المحاصيل (مز: 72: 16)، والحقول، والمروج في الأرض تكتسي بالأغنام، والوديان تتعطف بالبرالقمح، والذرة، والشعير، والأسلحة تستخدم كأدوات للزراعة (أش 2: 4، مي 4: 3) أرض أدوم، وهذا سيساهم بصورة كبيرة في الإنتاج (أش: 43: 13، 55: 12-13)، وسيكون الحصاد وفيرا بدرجة كبيرة للغاية حتى أنه لا يوجد

وقت كافي لجمع المحاصيل قبل بداية وقت إلقاء البذور مرة أخرى (عا 9: 13)، (أش 7: 21-22)، وستصبح أرض إسرائيل خصبة جدا مثل جنة عدن (حز: 36: 35)، أما قطيع الأغنام، والماشية الضخم الكثير العدد فإنه سيملأ الأرض إلى الدرجة التي تغمر شوارع تلك المدن، وعلى شواطئ النهر ستنمو كل أنواع الأشجار المثمرة التي ستعطي ثمرا في كل شهر (حز: 47: 12، تث 33: 14)، وستستخدم عقاقير الأعشاب لشفاء الرضوض، والقطع، والتي تعمل من أوراق الأشجار التي تنمو على شواطئ البحر الميت (حز: 47: 12)، ولن يكون هناك فقير بعد، وسينقطع الفقر من الأرض، وستكون المؤونة متوفرة للمحتاجين، وللأيتام، والأرامل، وستبقى أرض أدوم في خراب دائم من جيل إلى جيل أثناء الملك الألفي، فالأشواك والقريس ينبتان في تلك الأرض الخربة، وستصبح تذكاراً أبدياً لكل الأمم ليروا ما يلحق بأولئك الذين كرهوا الرب، وكرهوا شعبه إسرائيل، أما المدن الكبرى في أوروبا، وأمريكا فلن يعاد بناؤها، وستبقى خرابا غير مسكونة فترة الملك الألفي بعد أن يعبر الملائكة لكي يأخذوا الأشرار بقسوة من بين الأبرار، وترعى وحوش الحقل في بيوت هذه المدن الخربة.

وإذ يقترب حكم المسيح الألفي من نهايته فإن الشيطان يحل زماناً يسيراً من الهاوية؛ ليجرب الساكنين على الأرض لا الذين في السماء، وسيخدع الذين تظاهروا بالطاعة أثناء ملكه، وسيجمعهم؛ ليحاربوا المدينة المحبوبة أورشليم (رؤ: 20: 7-9)، وعندما يحيط هؤلاء المتمردون بقيادته أورشليم فإن الرب يمطر عليهم ناراً من السماء، ويقضي عليهم (رؤ: 20: 9-10)، وسيلقي الشيطان في بحيرة النار المتقدة إلى الأبد، وفي ذلك الوقت فإن الرب يدفع السماوات، والأرض إلى حريق عظيم، وبذلك تكون نهاية العالم.

هذا التصور الصهيوني النصراني المتناقض لنهاية العالم في مسألة الحكم الألفي السعيد، والذي سنقف على نقده في موضعه من الباب الثالث بإذن الله.

الفصل الرابع
التنظيمات، والحركات الأصولية البروتستانتية المعاصرة

بعد انشقاق رواد حركة الإصلاح البروتستانتية عن كنيسة روما الكاثوليكية، كما ذكرت آنفاً بدأت الأصولية البروتستانتية بتشكيل كيان مميّز لها، واعتمدت الكنيسة الإنجلية منطلقاً لمعتقداتها التي تبنتها، وعقدت المؤتمرات؛ لترسيخها وفق رؤى توراتية إنجيلية مخالفة بذلك الكنائس الأخرى، ثم انقسمت على نفسها إلى تيارين:

الأول: يؤمن بالعودة الحقيقية الحرفية للمسيا، ومجيئه ثانية، وهم التدبيريون.

الثاني يرى: أن المجيء معنوي فقط، وهم الأصوليون البروتستانت.

وقد قوي أتباع التيار الأول، وصار له منظرون، وشيئاً فشيئاً أخذت طابع التجمع، والحركة الفكرية المنظمة، وفي منتصف القرن التاسع عشر قام المبشر البريطاني "جون درابي" بأنشطة متعددة، وبرز بعده في نفس القرن "سكوفيلد" من ولاية ميتشجان الأمريكية بأعمال، وأنشطة مماثلة تخدم نفس الغرض، ركّزت وبيّنت أفكار، ومعتقدات التدبيرين، وفي القرن العشرين تحولت من حركة، واتجاه إلى جمعيات، وتنظيمات تقوم بأنشطة متعددة، وفي بداية السبعينات، وما بعدها كثرت تلك التنظيمات، وأنشطتها، وأصبحت لها موارد مالية ضخمة، وتغلغلت في معظم مواقع العمل في الغرب، وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد المعقل الأساسي في هذا العصر للأصولية التدبيرية، ومنظماتها، وتياراتها المختلفة.

وفي هذا الفصل سنقوم باستعراض أبرز تلك المنظمات، والتيارات، والحركات المنبثقة عنها، والمؤيدة لها من خلال التعرف على تقسيماتها، ومقراتها، وأهدافها، ونشاطاتها، وذلك وفقاً لما يأتي:

أولاً: الفرق الإنجيلية المنبثقة عن التيار التدبيري، والتي راجت في أمريكا منها:

1 ـ العصموية: وتسمى بذلك؛ لأنها تعتمد في حركتها على الإيمان بعصمة الكتاب المقدس في القضايا جميعها، وتنظر إلى الكتاب المقدس على أنه صدق مطلق، وأبدي يصلح لكل زمان، ومكان، لا مجال فيه للمناقشة، ولا للبحث عن أدلة تؤكده، أو تنفيه، ومن أهم أطروحاته: إسرائيل تحقيق للنبوءات، وعودة اليهود، وإعادتهم إلى أرض فلسطين هي تمهيد لقرب نهاية الزمان(1).

2 ـ المعمدانيون: وهم المحافظون بشكل عام من أتباع مذهب العصمة أي أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ، والتفسير الظاهر لنصوصه، ويعتقد المعمدانيون بأن إقامة دولة يهودية في أرض فلسطين هو تحقيق لنبوءات التوراة؛ لذلك فهم من أشد الفئات حماساً لتأييد المزاعم الدينية، والتاريخية في أرض فلسطين.

3 ـ حواريو المسيح: وتدّعى أحياناً بالتومسيين نسبة إلى مؤسسها القس "جان توماس" (1805-1871م)، والذي درس الطب في لندن، ثم هاجر إلى بروكلن عام (1844م)؛ ليؤسس حزبه هناك، وينطلق هذه الحزب أساساً على تطبيق النبوءة التوراتية لسفر رؤيا يوحنا، ويطبقها على الأحداث الجارية، والقادمة في المستقبل، ويعتبر الكتاب المقدس بمثابة المصدر الوحيد للعقيدة، ويقيم لاهوت عقيدته على أساس عقيدة العصر الألفي السعيد، التي تدور حول الأمل بقيام دولة إسرائيل في فلسطين، ومركزها القدس، وينظر إلى الحركة الصهيونية على أنها علامة على قرب مجيء المسيح المنتظر، وبسط سلطانه على العالم بأسره من مقره في القدس(2).

4 ـ الدهرية (1800- 1882): قامت على يد القس الايرلندي "جون درابي"، وتقوم على الإيمان بقرب مجيء المسيا المنتظر، وبدء عملية الخلاص، وما يعقبها من عصر النعيم للإبرار المخلصين، ثم راجت في أمريكا على يد القس سكوفيلد (1843- 1921م)(3)، والتيارات المذكورة، وغيرها لا تألوا جهداً في تقديم الدعم للكيان الصهيوني؛ لتحقيق وعدهم المزعوم في أرض فلسطين، وينطلقون من مفاهيم دينية مركزة ،وموحدة تتلخص في الآتي:

1- التفسير الواضح، والبسيط للكتاب المقدس، وتقديسه، والإيمان بحرفيته.
2- اليهود مشعل النور الذي قاد البشر إلى درب الحضارة.
3- التطلع بشوق غامر إلى حلول العصر الألفي السعيد.
4- الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح المنتظر.
5- النظر إلى اليهود باعتبار أنهم مفتاح المستقبل، والسعادة.

ومثل تلك المفاهيم شكّل فيما بعد مبادئ الأصولية الإنجيلية المنبثقة عنها، والمتمثلة في:

1- الإيمان بحتمية الإحياء القومي للشعب اليهودي.

---

(1) انظر: الأصولية المسيحية: جورجي كنعان. ص61.
(2) انظر:الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورجي كنعان. ج1. ص60.
(3) انظر: نفسه: ص 62.

2- اليهود أمة كغيرهم من الأمم.
3- من الواجب الديني بذل جهد بشري؛ لتحقيق النبوءات(1).

ثانياً: الهيئات، والمنظمات المنبثقة من التيارات الأصولية الإنجيلية السابقة الذكر منها:

1 ـ هيئة إذاعة الشرق الأقصى (1945م):

أنشئت هيئة إذاعة الشرق الأقصى في الأربعينات من القرن العشرين مع بداية الحركة الأصولية، وتعد من أوائل الهيئات، والمنظمات الأصولية في تاريخ الأصولية الإنجيلية، وكان مقرها في ولاية كاليفورنيا في أمريكا، ومؤسسيها "بوب بومان"، و"جون بروجر"، وكان شعارهما لنصل إلى الصين من أجل المسيح، والهدف من تأسيسها كما يعلنان: «وصول الموجات الإذاعية داخل الصين في الوقت الذي خرج فيه المراسلون التبشيريون بأمر من السلطة الحاكمة»(2)، وقد برعت الأصولية التدبيرية في استخدام الإذاعة المسموعة، والمرئية في نشر أفكارها، والترويج لها، وتسخيرها لأغراضها التبشيرية؛ لضمان وصول أفكارها الأصولية إلى أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، واستخدمت هذا النوع الإعلامي باعتباره الوسيلة المثلى لمخاطبة الجماهير على اختلاف مستوياتهم الثقافية، والتعليمية، وقد نجحت فعلياً في ذلك، ويتركز نشاط هذه الهيئة في عدة محطات إذاعية لبث الأفكار الأصولية من خلالها، حيث وصل عدد محطات الإذاعة في عام (1987م) إلى تسع محطات تنطق بأكثر من (100) لغة إلى ثلثي العالم، والملاحظة الجديرة بالذكر أن (90%) من موظفي هذه الهيئة من بلاد غير الولايات المتحدة الأمريكية، وتبلغ ميزانية هذه الهيئة ما يقرب من (11) مليون دولار، ويعمل أغلب الموظفين فيها كمتطوعين، وتبث نحواً من (300) ساعة إرسال يومياً، وتتلقى (40.000) رسالة شهرياً من المستمعين، واتجاه هذه الإذاعات أصولي متطرف مؤمنون بالحكم الألفي المادي للمسيا، وبعودة إسرائيل إلى فلسطين، وأن معجزات المسيا ما زالت مستمرة إلى اليوم، وتأتي أهمية هذه المنظمة بسبب كبر حجمها الضخم، ثم بسبب تقسيمها العالم إلى مؤمنين وأشرار، وفي عام (1987م) أذاعوا بتحد سافر رسالة من أثيوبيا رغم إغلاق الكنيسة هناك بأمر من الحكومة؛ ولجلب المستمع العادي. وتحتوي هذه المحطات على نشرات إخبارية، وموسيقى، ومعلومات عامة(3)، ومن أشهر برامجها الدينية القديمة برنامج ساعة إيقاظ الدعوة الدينية القديمة، والذي بدأ منذ عام (1925م)، وقد وصل بثه في عام (1945م) ليبث في (456) محطة إذاعية، وصاحبه هو القس "تشارلز فولر: في لوس أنجلوس، وتتبنى تلك الإذاعات وجهة نظر الأصولية التدبيرية، والحكم الألفي، والأحداث السابقة له، واللاحقة به، وبهذا الأسلوب الحديث في مخاطبة الجماهير ـ في ذلك الوقت ـ تجاوزت دعوة الأصولية الإنجيلية، وتأثيراتها حدود كنيستها، وأبنيتها، ودولها، وأعضائها؛ لتخاطب الملايين في جميع أنحاء العالم عبر الأقمار الصناعية(4).

ونتيجة لتطور التقنية زادت عدد محطات الإذاعات الدينية فيقدر عددها حالياً ما بين (1200 إلى: 1400) محطة تبث الواحدة منها حوالي (17) ساعة يومياً، ومن بينها حوالي (37%) من الوقت للوعظ، والإرشاد الديني، و(12%) للمقابلات، ويقدّر أن نصف هذه المحطات تستخدم الأقمار الصناعية(5)، وقد نجحت هذه الإذاعات في إقناع الكثيرين بأفكارها، وقراءاتها للأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية المعاصرة على ضوء قراءة النصوص التوراتية القديمة، وتفسير العالم، وأحداثه على ضوء تنبؤات هذه النصوص، وترجع قدرة تأثير تلك الإذاعات على الناس من العامة؛ لأن غالبية العاملين فيها من المتخصصين في مجال الإعلام، وعلوم الاتصال الجماهيري، وعلى دراية واسعة بعلوم اللاهوت، ممَّا يزيد من قوة تأثير برامجهم الكنسية على المستمعين بخاصة أنها تتجاوز مسائل الوعظ، والإرشاد، والتعليم إلى القضايا الاستشارية، والعلاقات الشخصية، والذاتية، والحياة اليومية، والشفاء الجسدي.

وقد شكلت تلك الإذاعات برامجها حسب احتياجات مستمعيها، ورغباتهم، وساعدها في ذلك ما تتلقاه من استجابة عاجلة منهم لأية نقطة، أو موضوع ساخن يثار في برامجها، وتأتي الاستجابة عادة من خلال سيل الرسائل، والأموال التي تنهمر على برامجها خلال أيام قصيرة من إذاعتها لها، ممَّا يسهل عليها التركيز في القضايا الأكثر ترديداً في رسائل مشاهديها في مراحل تالية(6).

2 ـ شبكة الإذاعة المسيحية (1961م):

أول من أسس هذه الشبكة هو القس "غوردون روبرتسون" ويعد من أوائل رجال الكنيسة

(1) انظر: نفسه. ص64.
(2) الأختراق الصهيوني للمسيحية: القس أكرم لمعي. ص147- 148.
(3) انظر: نفسه. ص148.
(4) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن. ص93- 94.
(5) انظر: نفسه. ص95- 96.
(6) انظر: نفسه. ص98- 99.

الذين تنبؤا إلى أهمية تأثير الكنيسة المرئية العام، وقوة هذا التأثير، حيث قام في عام (1961م) بشراء محطة تلفزة في مدينة بورتسموث في ولاية فرجينيا، وأصبحت الآن شبكة واسعة من المحطات تغطي الولايات المتحدة الأميريكية إضافة إلى (60) دولة أجنبية، وتستخدم قمراً صناعياً في البث الإذاعي، والتلفزيوني، وتعتبر أجهزة روبرتسون، وبخاصة شبكته الإعلامية المسماة شبكة الإذاعة المسيحية، والتي تعرف اختصاراً بـ (CBN) من بين الشبكات الأكثر حداثة، وتجهيزاً في عالم التلفزة، كما أنه الأكثر حذقاً، ونشاطاً في توصيل رسالته في عالم الكنيسة المرئية، وتقف هذه الشبكة الإذاعية المسيحية، وبرامجها على رأس قائمة أهم الشبكات المسيحية المرئية، والمسموعة، وأكثرها اجتذاباً للمشاهدين، كما وتمتلك هذه الشبكة (4) محطات تلفزة[1] تعلن من خلالها معتقداتها الأصولية، وتوجه أفكار المشاهدين نحو تطلعاتها المستقبلية من التعجيل لعودة المسيح، والحكم الألفي، المبني على عودة اليهود إلى فلسطين.

3 ـ الكنيسة المرئية (1978م):

استخدمت الأصولية الإنجيلية التدبيرية، والحركة الصهيونية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين وسائل البث المرئية بصورة مكثفة في الدعوة لأفكارها، والهدف منها: الوصول بفاعلية إلى أكبر عدد ممكن من الناس؛ لتكريس تأييد الاحتلال؛ وأنه سبيل لتعجيل الخلاص، وذلك من خلال برامج جماهيرية استعراضية، وتسمى هذه الأساليب، والبرامج التلفزيونية الدينية الكنيسة الإلكترونية، أو الكنيسة المرئية، وجذبت المحطات المرئية، وبرامجها اهتمام قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي، وتتلخص أهم سمات التلفاز المسيحي المرئي في الآتي:

1- أنه تلفاز يؤيده المشاهدون، ويعتمد على المشاهد في تمويله مالياً.

2- يركز التلفاز على الشخصيات القوية لزعمائه أكثر مما يحدث في أنماط أخرى من المنظمات الدينية، ولهذا يصبح من الصعب الفصل بين الرسالة، ومَن يقدمها.

3- زاد التقدم التكنولوجي للتلفاز المسيحي من تطوره، فدائماً يسابق إلى استخدام تكنولوجيا بث أقوى، وأحدث.

4- أصبح التلفاز المسيحي يجمع بين الترفيه، والدين من أجل اجتذاب المشاهدين، واتبع واستخدم الأنماط التي أثبتت نجاحاً في التلفاز العلماني، وتحول دعاة التلفاز الديني إلى مذيعين.

5- اتجه التلفاز المسيحي في النهاية؛ لأن يكون جزءاً من مجموعة مؤسسات لها أهداف متشابهه ذات توجه إنمائي، وأصبحت البرامج وسيلة؛ لجمع تبرعات لمشروعات أخرى فقط من مجرد برنامج تلفازي يبث من كنيسة عادية، فأصبح يبث من استديو ذا تقنية عالية، كما أصبح جامعة، وبرنامج تعليم مستمر، وكلية للحقوق[2].

4 ـ منظمة المائدة المستديرة (1979م):

تأسست عام (1979م)، ومقرها في واشنطن، وتتميز هذه المنظمة بوجود العديد من المنظمات الأخرى في داخلها مثل منظمة مترجمو الكتاب المقدس، وعصبة الكنيسة في أمريكا، وهي عبارة عن منظمة أبحاث تعمل في غاية السرية، والهدف من إنشائها تنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي ــ، وتعد من أنجح منظمات العمل باليمين المسيحي ــ[3]، وتنظيم لقاءات بين القيادات السياسية، والقيادات الأصولية الإنجيلية بشكل عام، وإعداد ندوات لتعليم المتدينين السياسة.

وللمنظمة العديد من الأنشطة منها على سبيل المثال:

1- حفلات الإفطار السنوية للصلاة من أجل إسرائيل، ودعم سياستها، وأغراضها.

2- إصدار بيان عقب الصلاة تبارك فيه إسرائيل باسم ما يزيد عن (50) مليون إنجيلي تدبيري يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية.

3- دعوة للتعاون الأستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل.

4- قراءات مختارة من التوراة تؤكد حق اليهود في أرض فلسطين، وحق العودة.

5- الدعوة إلى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس[4].

بالإضافة إلى ما سبق عرضه عن هذه المنظمة فهي تتميز بالآتي:

1- أن تأسيسها كان في فترة الظهور القوي للأصولية الإنجيلية في أمريكا.

2- أن هناك تطور كبير في عملها لوجود منظمات فرعية داخلها الأمر الذي يعطيها نشاطاً فعالاً، وبالتالي انتشاراً قوياً لأفكار الحركة الأصولية التدبيرية.

3- وجود عدة كنائس تابعة لها، تساهم في تخطيط، وتنظيم عملها.

---

(1) انظر: نفسه. ص113.

(2) انظر: الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية: مايكل كوبرت وجوليا ميتشل كوبرت. ترجمة: زين نجاتي ونشأت جعفر. ج1. ص163: 164.. مكتبة الشرق الدولية. القاهرة (ط1: 2002م).

(3) انظر: قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. ص197. دار التوزيع الإسلامية. القاهرة (ب).

(4) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية. يوسف الحسن. ص137.

5 ـ منظمة الأغلبية الأخلاقية (1979م):

أسس هذه المنظمة الكاهن "جيري فوليل" ـ المعروف بدعمه، وتأييده الشديد لإسرائيل ـ عام (1979م)، ومقرها في واشنطن، وقد أطلقت على سلسلة من جماعات محافظة سياسياً، ودينياً أسماء شتى مثل اليمين الديني الجديد، واليمين الديني السياسي الجديد، أو اليمين المسيحي الجديد، ويرمز إليه عادة بـ (NCR)، ويبدو أكثر شيوعاً، وقبولاً في الاستخدام الحالي بين العلماء الدينيين، والسياسيين بالإضافة إلى الأصوليين(1)، ويزعم مؤسسها أن عدد أعضائها يزيد عن ستة مليون ونصف، والهدف من تأسيسها: العمل على حشد مليون ناخب على الأقل؛ لإعادة الطابع الديني للحكومة الأمريكية.

وتقوم هذه المنظمة بالعديد من الأنشطة لخدمة الأفكار الأصولية منها:

1- أن لها برنامج إذاعي، وتلفزيوني يومي يستمر ساعة كاملة، واسمه ساعة الإنجيل تبثه (600) محطة في اتحاد أمريكا.

2- يقود فوليل صلاة الأحد التي تذاع من خلال (400) محطة تلفزة لمدة ساعة.

3- تبث المنظمة أيضاً برنامج اسمه دعوة إذاعية إلى أكثر من (500) إذاعة، ومحطة تلفزيونية يومياً.

4- لها مجلة دورية بعنوان: صوت النصرانية(2).

5- كذلك من أهم نشاطات هذه المنظمة القيام برحلات منتظمة إلى القدس بقيادة جيري فوليل ومن أبرز جوانب هذه الرحلة زيارة (تل مجدو) موقع معركة هرمجدون المستقبلية، ومواقع توراتية أخرى.

6- تصدر المنظمة الكتب، والمنشورات، وأبرزها التقرير الشهري المسمَّى تقرير الأغلبية الأخلاقية، ويصل هذا التقرير إلى (2.5) مليون مشترك بما فيهم الرئيس الأمريكي، وأعضاء الكونغرس، وحكام الولايات، وأكثر من (82000) ألف رجل دين، فضلاً عن كبار الصحفيين، ومحطات الأخبار المسموعة، والمرئية، وينفق على هذا التقرير (1.200.000) دولار(3).

وتبرز أهمية هذه المنظمة في كونها تعمل كمنظمة سياسية شاملة، وتسلك وسائل، وطرق عديدة من أجل تحقيق أهدافها، ونفوذها، بما في ذلك تأمين الدعم المالي للمرشحين للمناصب السياسية ممّن يؤيدون وجهة نظرها.

6 ـ رعوية المغامرة الكبرى (1980م):

أبرز مؤسسي هذه المنظمة القس "جورج اوتيس"، ويعد أول من مارس العمل الاستعراضي الكنسي المرئي في أوائل السبعينات في ولاية كاليفورنيا، وتؤمن هذه المنظمة بمبدأ عصمة التوراة، وبدور إسرائيل الحديثة في تقريب موعد العودة الثانية للمسيا، وتهدف إلى :الإلتزام بدعم إسرائيل، والدفاع عن سياستها.

ومن أبرز نشاطات هذه المنظمة، ونشاطات مؤسسيها:

1- الانخراط المباشر في الصراع العربي الإسرائيلي

2- أول منظمة نصرانية في العصر الحديث تقيم كنيسة مرئية، ومسموعة على أرض عربية تسيطر عليها إسرائيل، فبعد غزو إسرائيل جنوب لبنان في صيف عام (1978م)، وتأسيس منطقة تحت سيطرتها بالتعاون مع أحد الضباط المنشقين عن الجيش اللبناني الخائن "سعد حداد" قام جورج أوتيس بافتتاح محطة إذاعية أطلق عليها اسم صوت الأمل، ويذكر أوتيس أن مساندة إسرائيل كانت معجزة، ويقول: هل تصورتم أنه سيأتي اليوم الذي يدفعنا فيه اليهود إلى إقامة محطة نصرانية؟.

3- لم تمضي شهور حتى أقدم أوتيس من خلال هذه المنظمة بتأسيس محطة مرئية في المنطقة نفسها في جنوب لبنان، لتنضم إلى المحطة المسموعة، وأطلق عليها نجمة الأمل كما يسميها أحياناً تلفزيون الشرق الأوسط، وقد أنشئت منذ عام (1981م)، وقام القس روبرتسون بشرائها فيما بعد(4).

وقد مارست فرق رعوية المغامرة الكبرى عملها الأصولي الإنجيلي أثناء غزو إسرائيل للبنان عام (1982م) في مدن جنوب لبنان، فقدمت إلى السكان منشوراتها، ونسخ من التوراة بالإضافة إلى مواد غذائية، كما ساعدت في بناء بعض المنازل المتهدمة بفعل الغزو، وأسعفت جرحى بما تملكه من سيارات إسعاف، وطائرات صغيرة معلنة أنها تعمل في نطاق جماعة الخائن

---

(1) انظر: الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية: مايكل وجوليا كوبرت. ج2. ص191.
(2) انظر: قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. ص196.
(3) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: د. الحسن. ص106.
(4) انظر: نفسه: ص118- 120 بتصرف.

سعد حداد، وأنها لن تقدم أي مساعدة إنسانية إلى أي أسرة فلسطينية(1).

7 ـ منظمة السفارة المسيحية الدولية (القدس) (1980م):

تأسست هذه المنظمة في مدينة القدس المحتلة، وذلك في نهاية سبتمبر عام (1980م) حينما اجتمع أكثر من (1000) رجل دين إنجيلي قدموا من أكثر من (23) دولة في مؤتمر بمدينة القدس المحتلة تعبيراً عن الدور المركزي لهذه المدينة المقدسة في فكر الحركة الصهيونية، والأصولية التدبيرية المعاصرة، وقد جاء فكرة تأسيسها إثر رفض المجتمع الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفارتها من القدس إلى تل أبيب، وافتتحت مكاتبها في القسم الغربي من القدس بحضور كبار قادة الكيان الصهيوني، وفي الوقت نفسه أعلنت عن افتتاح قنصليات لها في أكثر من (37) دولة في أوروبا، وآسيا، وإفريقيا، وكندا، وأستراليا، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين إنجيليون متعصبون للصهيونية ممَّن يحملون مشاعر العداء تجاه المسلمين، والعرب عموماً، وتعد هذه المنظمة من المنظمات الأصولية الإنجيلية التي لها أفرع كثيرة في أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، وغيرها من بلاد العالم، واتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية مقراً لها، وافتتحت لها أفرع عديدة في المدن الأمريكية الرئيسية لأنشطة كلها في خدمة إسرائيل، ويؤمن أعضاء هذه السفارة بأن الله قد وهب أرض فلسطين لإبراهيم، وأبنائه من بعده، كما يؤمنوا أن على إسرائيل أن تمتد حدودها من نهر الفرات إلى نهر النيل(2).

وأبرز أهداف هذه المنظمة:

1- الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي، ودولة إسرائيل.
2- تذكير، وتشجيع النصارى البروتستانت، والكنائس للصلاة من أجل القدس، وأرض إسرائيل، وتحريضهم لممارسة التأثير في بلادهم لصالح إسرائيل.
3- إنشاء مشروعات اقتصادية، واجتماعية في إسرائيل.
4- ومن أبرز النشاطات التي قامت بها هذه المنظمة عقد العديد من المؤتمرات لنشر أفكار الأصولية البروتستانتية الإنجيلية التدبيرية، وخاصة التي تتعلق بدولة إسرائيل ودعمها، ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر:

- المؤتمر الصهيوني الإنجيلي الأول: الذي عقد بمدينة بال بسويسرا في نفس المكان الذي انعقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول عام (1948م)، وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات كانت أخطر ألف مرة من قرارات حكماء صهيون ومنها:

ـ تسهيل هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل.

ـ حث النصارى جميعاً للاعتراف بالقدس عاصمة موحدة، وأبدية لإسرائيل.

ـ دعوة مجلس الكنائس العالمي بجنيف للاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي، وأرضه الموعودة، وكذلك بالبعث التوراتي، والنبوئي لإسرائيل(3).

- المؤتمر الصهيوني الإنجيلي الدولي عام (1988م)، والذي عقد في إسرائيل، وافتتحه في العاشر من أبريل من نفس العام رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير، ودعا فيه كل نصارى العالم؛ لتعضيد دولة إسرائيل، ومقاومة الفلسطينيين بكل الوسائل، وقد بنى المؤتمر دعوته لهذا التعضيد منطلقا من فكرتين رئيسيتين هما:

1- علاقة إسرائيل الخاصة بالله كشعب مقدس.
2- عودة اليهود إلى فلسطين، وتأسيس الدولة بزعم تعجيل المجيء الثاني للمسيا، والذي أحد شروط مجيئه تأسيس دولة إسرائيل؛ ليحكم من أورشليم العالم، ولمدة ألف عام(4).

والإنجليون التدبيريون واثقون أنهم على الرغم من أن الرب ترك القدس زمناً طويلاً فإنه سيعود إليها في صورة ابن الملك داود، والملك المسيح الذي سيحكم من المدينة، وعندئذٍ ستجتذب القدس إليها جميع شعوب المنطقة، وحكامها، وهذا الواقع سيكون تحقيقاً لرؤيا آخر الأيام التي سينتج عنها سلام، وعدل عالميين، وهم إذ يؤمنون بهذه الرؤيا، لذلك فهم يعتقدون أن الصلاة من أجل مصير القدس معناه صلاة من أجل الكرة الأرضية جمعاء(5).

ومما سبق عرضه عن هذه المنظمة يتبين الآتي:

1- حدوث تغير كبير في عمل المنظمات الأصولية، حيث خرجت عن الأطر، والحدود

---

(1) انظر: نفسه: ص120- 121.
(2) انظر: عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآنا وتوراة وإنجيلاً وتاريخاً: عابد الهاشمي. ص211- 212. دار أم القرى. القاهرة (ط: 1995م).
(3) انظر: عبد الغني، عاطف، صدام الأصوليات: عاطف عبدالغني. ص108: 109. دار الخيال للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2000م) بتصرف.
(4) انظر: الأختراق الصهيوني للمسيحية: أكرام لمعي. ص135: 136 بتصرف.
(5) انظر: حمى سنة 2000 نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين: عبدالعزيز مصطفى. ص151.

المحلية، وسعت إلى العمل العالمي المنظم، والموحد، وذلك يمثله هذا المؤتمر الذي تم فيه تأسيس هذه المنظمة، حيث حضره حشد كبير من الأصوليين من أكثر من عشرين دولة.

2- يتضح أن من أهداف عقد هذه المؤتمرات التي تقوم بها هذه المنظمة هو نشر الفكر الأصولي الإنجيلي، وبالذات فيما يتعلق بضرورة عودة اليهود إلى أرض فلسطين؛ لأن هذا الرجوع حسب الفكر الأصولي الإنجيلي يعجل من مجيء المسيا ثانية إلى الأرض.

3- اختيار مدينة القدس كمكان يتخذ فيه قرار بتأسيس هذه المنظمة له مغزى كبير عند الحركة الأصولية الإنجيلية، وذلك لما تمثله مدينة القدس بالنسبة لهم على أنها مسرح لأحداث النبوءات التوراتية.

8 ـ منظمة جبل الهيكل (1982م):

تأسست هذه المنظمة عام (1982م)، ومقرها في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، وتعتبر من أكثر المنظمات تطرفاً في تبني عقائد الأصولية الإنجيلية، وخاصة فيما يتعلق ببناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، والهدف من إنشائها هو: إقامة المعبد الهيكل في القدس، ويتولى إدارة شؤونها مليونير أمريكي، وأحد أقطاب صناعة النفط في ولاية أوكلاهوما يدعى "تيري رايز نهوفر" ويتفرع عن المنظمة اللجنة الإيفانيجيلية، وتعمل في مدينة القدس، وترأسها قيادة ثلاثية تضم إلى جانب رايز نهوفر رجل أعمال من كالفورنيا هو تشال كريجر، ورجل دين بروتستانتي إنجيلي هو جيمس ديلوش، وقد دافعت اللجنة عام (1983م) عن المعتقلين من الإسرائيليين المتطرفين الذين قاموا بتخريب، وإتلاف جزء من المسجد الأقصى، ويشكل بناء المعبد اليهودي عند هذه المنظمة واحدة من آخر الإشارات التي تسبق المجيء الثاني للمسيا(1)، وتقوم هذه المؤسسة بالعديد من الأنشطة، والمتمثلة فيما يأتي:

1- تجميع الأموال من الأصوليون الإنجيليين لشراء الأراضي في القدس.

2- إعداد، وتدريب رجال الدين اليهود على أنظمة الهيكل، وقوانين الذبح.

3- الإسهام في مشروع تصميم الهيكل، حيث تم تصميم مجسم له بحجم غرفة كاملة، وبموجب التصميم المعتمد يقوم الهيكل مكان المسجد الأقصى.

4- شمل التصميم موقع قداس الأقداس، أي: المكان الذي يقال: إنه كانت فيه الألواح المقدسة التي تضمنت الوصايا الإلهية(2).

ومما سبق عرضه عن هذه المنظمة يتبين الآتي:

1- أن هذه المنظمة تحمل على عاتقها تحقيق أحد العقائد الأساسية للأصولية الإنجيلية التدبيرية، وهي بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى.

2- وجود لجان فرعية لها في كل مكان تساعدها في بناء الهيكل حيث قامت اللجنة الإيفانيجيلية بالدفاع عن المتطرفين الذين أعتدوا على المسجد الأقصى.

3- الدعم المالي المستمر من هذه المنظمة لإسرائيل من أجل شراء أراضي الفلسطينيين بالقدس.

4- تعتبر هذه المنظمة من أشد المنظمات خطورة على الإسلام، والمسلمين؛ وذلك لعملها بالتخطيط مع إسرائيل على هدم المسجد الأقصى مع علمها بأنه من المقدسات الإسلامية.

9 ـ منظمة الائتلاف المسيحي (1989م):

أسس هذه المنظمة القس "بات غوردون روبرتسون" الواعظ التلفزيوني، ومؤسس الشبكة التلفزيونية المسيحية منظمة الائتلاف المسيحي (CBN)، (1989م)، وقد صعد روبرتسون مع صعود اليمين المسيحي في السبعينات، والثمانينات، وبعد أن فشلت معركته للترشيح للرئاسة قاد تحولاً داخل اليمين المسيحي الأمريكي، وهو التحول من التركيز على البيت الأبيض، والكونجرس إلى التركيز على مجالس المدن، ومجالس المدارس، وحشد الأصوات الانتخابية في الولايات من خلال منظمة الائتلاف المسيحي التي أسسها وترأسها، واختار الشاب رالف ريد؛ ليديرها، وقد ركزت المنظمة على القضايا الأخلاقية، وتدخل لهزيمة مرشحين لمناصب حكام الولايات، وقاد حملات حشد انتخابية على مستوى الولايات، والمستوى القومي، ودعم فوز حاكمين بالرئاسة، ويقول روبرتسون عن مهمة المنظمة:

1- إنها تحرك المسيحيين صفاً واحداً، وجماعة واحدة في الوقت المطلوب.

2- إننا الرأس، ولسنا المؤخرة، إننا في القمة، ولسنا في القاع لنظامنا السياسي.

3- الائتلاف المسيحي سيكون أكبر قوة مؤثرة في أمريكا بنهاية عقد التسعينات.

4- لدينا من الأصوات ما يكفي لحكم هذا البلد، وعندما يضجر الناس سنحكم البلد.

5- يعتبر أن عودة القدس إلى اليهود هي «أهم حدث تنبؤي في تاريخنا، وإن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية»، وتسيطر على عقله فكرة نهاية العالم بمعركة هرمجدون بين

---

(1) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: رضا هلال. ص111- 112.
(2) انظر: الأختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص112.

الروس، والعرب الكفار من جهة، وإسرائيل، وأمريكا من جهة أخرى(1).

10ـ منظمة الاتحاد الأمريكي المسيحي:

أسست المنظمة السيدة "بوبي هروماس"، وزوجها "د. إيلسي هروماس"، أحد كبار المسؤولين في مؤسسة دفاعية على الساحل الغربي، ومقرها واشنطن مقابلة وجهاً لوجه مقر السفارة الإسرائيلية، ولقد اختارت بوبي هذا الموقع حتى يكون أقرب ما يمكن إلى السفارة الإسرائيلية، ومن ثم الأرض التي توجه صلواتها نحوها أرض إسرائيل، وتعد هذه المنظمة من المنظمات الأصولية الإنجيلية التي تعمل على مساعدة إسرائيل مادياً، وعسكرياً، وسياسياً(2)، والهدف من إنشاءها إيجاد مكان للإنجيليين للصلاة من أجل فداء الأرض(3)؛ ومظلة لتغطية معظم الحركات الإنجيلية الرئيسية، وتعمل كصلة مباشرة لنقل الأموال إلى إسرائيل، وتتمتع هذه المنظمة بالإعفاء الضريبي، وتتلقى التمويل من الأشخاص، والمؤسسات، ومن المنظمات الإنجيلية الأصولية الكبيرة، ومن مشاهير هوليود، ومن أغنياء تكساس(4)، وتركز هذه المنظمة على تقديم الأموال لإسرائيل حيث ترسلها مباشرة إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن، أو تحملها السيد هورومااس إلى إسرائيل، أوتحولها عبر بنك هارتياج انتر ناشونال في بثيسدا ميري لاند، والذي أسسه دونالد، ووب الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في أميركا، وهو البنك الوحيد الذي له فروع في إسرائيل، ولهذه المنظمة خطط لجمع مئة مليون دولار؛ لشراء مستوطنات اليهود في الضفة الغربية(5).

ولقد ذكرت بوبي هوروماس زعيمة هذه المنظمة إنه قد تم تسليم الحكومة الإسرائيلية حتى الآن في الثمانينات من القرن العشرين عشرات الملايين من الدولارات بالإضافة إلى أموال أرسلت إلى مستوطنات فردية في نابلس، وأكدت أن ذلك سوف يساعد على تحقيق النبوءة التوراتية، ومن الأشياء التي ساعدت على زيادة نشاط هذه المنظمة هو إنشاء كنيسة داخلية في الطابق الأرضي، وقد صممتها السيدة هوروماس، بحيث يمكن أثناء الصلاة لإسرائيل أن تنظر عبر نافذة زجاجية واسعة إلى السفارة الإسرائيلية، وتحكي الباحثة جريس هالسل في إحدى زياراتها لهذه المنظمة أنها دعيت للصلاة هناك، واستمعت إلى شريط مسجل للسيدة هوروماس مدته (45) دقيقة تشرح فيه ضرورة الحصول الآن على الأرض من الفلسطينيين، وتسليمها لليهود، وإلا فإننا بانتظار فداء الأرض نؤخر عودة المسيح(6).

ومما سبق عرضه لهذه المنظمة يتضح الآتي:

1-إن اختيارها لهذه المكان له مغزى كبير، حيث تم اختياره في مواجهة السفارة الإسرائيلية، وذلك لربط رواد المنظمة بإسرائيل، وتذكيرهم الدائم بها؛ لضرورة دعمها، ومساعدتها باعتبارها من علامات مجيء المسيح ثانية إلى الأرض.

2-تعتبر هذه المنظمة مركزاً كبيراً لتجميع الأموال لإسرائيل

3-تتميز هذه المنظمة بوجود كنيسة داخلها

4-الممول الرئيس لها كبار الشخصيات، والأغنياء في الولايات المتحدة.

---

(1) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: رضا هلال. ص197.
(2) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. محمد صقر. ص79- 80.
(3) المقصود بالأرض هنا في ـ بزعمهم ـ أرض فلسطين.
(4) انظر: النبوءة والسياسة: جريس هالسل. ترجمة محمد السماك. ص137.
(5) انظر: نفسه. ص137.
(6) انظر: نفسه. ص138 بتصرف.

الفصل الخامس
أثر معتقدات نهاية العالم على المجتمع النصراني

- أولاً: إحداث الصهيونية المسيحية، الشقاق والفرقة بين الفرق النصرانية.
- ثانياً: سماح الأصولية الإنجيلية المتصهينة باختراق اليهود لمعتقداتها، وتحريفها.
- ثالثاً: مساندة الصهيونية العالمية اليهود؛ لتحقيق وعدهم بالعودة لأرض الميعاد (فلسطين).

الفصل الخامس
أثر معتقدات نهاية العالم على المجتمع النصراني

كان لمعتقدات الأصوليين الإنجيليين في مسألة نهاية العالم، ودعم الكيان الصهيوني أثرُ كبير على المجتمع النصراني بطوائفه المختلفة، وستقوم الدراسة بمناقشة أثر تلك المعتقدات من خلال الآتي:

أولاً: إحداث الصهيونية (التدبيرية) الشقاق، والفرقة بين الفرق النصرانية: ناهضت الكنائس الإنجيلية هذا الخط، كالكنيسة المشيخية، والمنهجية، والمعمدانية، والأسقفية، وعملت على كبح جماح الصهيونية التدبيرية، وعلى عدم الاستسلام لنفوذها العدائي المدمر، كما ظل الإنجيليون الليبراليون على رفضهم للتفسير الحرفي للكتاب المقدس، وللصهيونية اللاهوتية المسيحية في الكنيسة(1). هذا من ناحية الكنائس الإنجيلية، أما عن موقف الكنيسة الكاثوليكة فقد وجه الفاتيكان في بدايات القرن العشرين مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم المتحدة ينتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، جاء فيها: «إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات، والمعتقدات الأخرى، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان»، وتجاوباً مع هذا الموقف تحركت دول نصرانية كاثوليكية في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم المتحدة إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور، وجدد مبعوث الفاتيكان "أملتو تشيكو نياني" نداءات البابا بندكت الخامس عشر بمعارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين في مذكرة إلى عصبة الأمم قال فيها: «إذا كانت إقامة وطن يهودي أمراً مرغوباً فيه فلن يكون من العسير إيجاد مكان مناسب أكثر من فلسطين عن مشاكل دولية جديدة سوف تترتب على زيادة عدد السكان اليهود هناك، وسيتصدى كاثوليك العالم لهذا الأمر»(2). وهذا الموقف وإن تبدل لاحقاً نظراً للأطماع السياسية والرغبة في السيطرة على العالم الإسلامي إلا أنه يدل دلالة واضحة أن لا حق لليهود في فلسطين، ولو كان الأمر كذلك لما تشددت في معارضته ابتداءً.

أما موقف الكنيسة الأرثوذكسية فقد اتخذت موقفاً مناهضاً للصهيونية النصرانية على قاعدة الدفاع عن العقيدة النصرانية في الدرجة الأولى يعكس هذا الموقف البيان الذي أصدره مجلس كنائس الشرق الأوسط(3) عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط، والذي أكد فيه على: «أن التعاظم المفاجئ في نشاط الحركات الإنجيلية الغربية، وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط هو مسألة تهم كنائس المنطقة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط ففيما نجهد؛ لاستعادة وحدتنا في المسيح تعترينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثراً إنقسامياً، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها، وشهادتها، ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصر على زرع رؤية لاهوتية غريبة على ثقافتنا، بل إن اختلاط المفاهيم أحدث قلقاً، وبخاصة بين كنيسة الإنجيلين، وكنيسة الأسقفيين من أعضاء مجموعة كنائس المجلس الذين نجحوا في أداء شهادة أصلية، وملائمة ثقافياً»(4).

وفي موقف واضح، وعلني ضد الصهيونية النصرانية صدر عن السيد "غبريال حبيب" الأمين العام للجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط بيان أدان فيه سوء استخدام الكتاب المقدس، وإثارة المشاعر في محاولة؛ لتبرير خلق دولة ما ــ إسرائيل ــ؛ ولتشريع سياسات حكومة

---

(1) انظر: الصهيونية المسيحية: محمد السماك. ص149: 150 بتصرف.
(2) نفسه: ص150.
(3) يضم المجلس جميع كنائس الشرق الأوسط (باستثناء الكنيسة الآشورية العراقية) والأورثوذكسية بشقيها، والكاثوليكية والإنجيلية المسكونية، ومن أهداف المجلس تعميق الإيمان المسيحي، تحقيق الوحدة المسيحية من خلال هذا الإيمان، تنظيم الحوار بين الكنائس، المساهمة في أعمال التنمية الإنمائية الاجتماعية، تثبيت العيش المشترك بين المسيحيين وغير المسيحيين على أساس العدالة والسلام (انظر: الصهيونية المسيحية: السماك: 160).
(4) الصهيونية المسيحية: السماك. ص161.

ما ـ الحكومة الإسرائيلية ـ في إشارة واضحة لكبح جماح الصهيونية المسيحية؛ وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية ـ خلافاً للبروتستانتية ـ هي كنيسة مركزية موحدة، ويلتزم أبنائها بفكرها اللاهوتي التزاماً شديداً، ثم إنها غير معنية على الإطلاق بأيدولوجية الكنيسة البروتستانتية التي تعلم أبنائها أن الله يتعامل مع الأمم حسب تعامل هذه الأمم مع إسرائيل، وأن الوقوف إلى جانب إسرائيل هو مدخل للحصول على رضا الله، وبركته، وأن معاداة إسرائيل هي معاداة الله، كما أن الكنيسة الكاثوليكية غير معنية بالأيدلوجية اليهودية البروتستانتية التي تزعم أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله منح اليهود وعداً أبدياً في فلسطين(1).

ثانياً: سماح الأصولية الإنجيلية المتصهينة باختراق اليهود لمعتقداتها، وتحريفها:

كان لحركة الإصلاح الديني البروتستانتية أثر كبير في تغيير طبيعة العلاقة بين اليهود، والنصارى فقد حافظت الكنيسة الكاثوليكية، وإلى عهد قريب على موقف ثابت من المسألة اليهوية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح، واعتنقوا النصرانية، ولم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أي مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأي فكرة عن وجود الأمة اليهودية، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، ويفضلون تفسيرات لاهوتية أخرى، وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسيرات(2)، ومنها:

1. استبعاد أي تدخل بشري، أو عمل سياسي يقضي، أو يفضي إلى عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة لليهود بها، فأرض الميعاد لم تعد في الفكر النصراني تعني رقعة جغرافية مادية، بل أصبحت تعني حقيقة روحية، فهي مملكة الله يقول القديس بولس في رسالته إلى العبرانيين11: **(بالإيمان تقرب إبراهيم في أرض الموعد9 كأنها قريبة ساكناً في خيام مع اسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه، لأنه كان ينتظر المدينة التي بها الأساسات التي صانعها وبارئها الله11)**.

2. بيَّن المسيحυ أن مملكة الله ليست كياناً سياسياً يلم شمل اليهود، وإنما هي حقيقة روحية موطنها القلب جاء في لوقا17: **(ولما سأله الفرسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هو ذا هاهنا أو هو ذا هناك، لأن ملكوت الله داخلكم20)**.

3. طبقاً للعهد الجديد فإن ورثة أرض الميعاد الروحية ليسوا بني إسرائيل؛ وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح لأنهم نسل إبراهيمυ الحقيقيون، يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية3: **(فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة29)**.

4. شعب الله المختار في العهد الجديد ليس جنساً بعينه هو ما يسمى بالجنس الإسرائيلي، وإنما هو شعب عالمي من مختلف الأجناس يجمعهم الإيمان بالمسيحυ، وهم كل الذين قبلوه كما قال يوحنا1: **(فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله12)**.

5. نصوص التوراة التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين أصبحت تعني عودة الكاثوليك إلى فلسطين، أي أنها: تنبوءات تحققت في الماضي، ولا ينتظر تحقيقها في المستقبل، كما أن كلمة إسرائيل نفسها أصبحت تعني الكنيسة المسيحية(3).

6. لم تكن أوروبا الكاثوليكية قبل عصر الإصلاح الديني تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قدر له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودي مختاراً لأمر ما فإنه اللعنة، وكان اليهود يعتبرون مارقين، ويوصمون بأنهم قتلة المسيح(4)، ولم يكن هذا الموقف موقف الكاثوليك فقط، وإنما الأرثوذكس أيضاً كانوا يتبنون نفس الموقف ففي لقاء للبابا شنودة الثالث مع الرئيس كارتر الأمريكي عام (1977م) صرح بأن العهد الجديد ليس فيه آية واحدة تقول بأن القدس عاصمة

---

(1) انظر: نفسه. ص163: 164.
(2) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف. ص26.
(3) انظر: النبوءة والسياسة: جريس هالسل. ص6: 7 بتصرف.
(4) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف. ص29.

أبدية لإسرائيل، ولكن هناك نبوءة صدقت، وتحققت بعودتهم من المنفى البابلي على يد قورش، وانتهى الوعد، وأصبح واقعة قديمة لم يعد منها إلا الذكرى(1).

هذا هو وضع اليهود كشعب، وكتاب، ووعد، ولغة، قبل حركة الإصلاح البروتستانتي، ولما انتشرت الحركة شكلت مسار التغيير في كل ما سبق، فانقلبت الأمور إلى اتجاه معاكس تماماً لما كانت عليه المسيحية من قبل فحصل اليهود من هذه الحركة بما لم يكونوا يحلمون به، وأخذت رياح التغيير في الموقف النصراني البروتستانتية تظهر بعد أن أطاحت هذه الحركة بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس، وتحديد الرؤيا المسيحية الفكرية، وبذلك تم إحياء النص التوراتي، وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلقة باليهود يحل محل التأويلات، والتفسيرات التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية الأم، وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجياً(2)، ومن هنا وعلى ضوء مفاهيم العهد الجديد أخذت كل التنبؤات، والعهود المتعلقة باليهود اتجاهاً تفسيرياً جديداً، حيث اعتمد البروتستانت على الكتاب المقدس العهد القديم كأصل، وآمنوا بوجوب التعامل الفردي المباشر مع نصوصه تاركين الأساليب المجازية التقليدية في تفسير نصوصه، ونتيجة لذلك نشأت الصلة بين البروتستانت، واليهود على وجه الخصوص مع بقاء الفرق النصرانية الأخرى على موقفها من اليهود، وعليه أصبح لليهود نظرة جديدة من قبل البروتستانت ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً، ونتج عنها ما يأتي:

1- أصبح العهد القديم المرجع الأساسي لفهم العقيدة النصرانية، وبلورتها(3).

2- اعتبرت اللغة العبرية باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله، واللسان المقدس التي خاطب بها الله شعبه المختار هي اللغة المعتمدة للدراسة(4).

إن النتيجتين السابقتين التي أفرزتهما الحركة تعدان نقلة ذات أهمية بالغة في تاريخ العلاقة بين الطرفين، حيث سُمح لتسرب الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة، والفكر النصراني من الداخل، وكانت هذه الأدبيات تدور حول أمور ثلاثة هي:

الأول: أن اليهود هم شعب الله المختار، وهم الأمة المفضلة على كل الأمم

الثاني: أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيمυ هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الثالث: ربط الإيمان النصراني بعودة المسيا بقيام دولة صهيون، أي: بإعادة، وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيا فيهم(5).

وبهذا يعتقد الأصوليون الإنجيليون التدبيريون، ويؤمنون بأن مساعدة اليهود؛ لتحقيق هذه الغاية لقيام دولة صهيون أمر يريده الله؛ لأنه يعجل بمجيء المسيا الذي يحمل معه الخلاص، والسلام، وساد الاعتقاد أن النصارى المخلصين سوف يعيشون مع المسيا في فلسطين ألف سنة في رغد، وسلام قبل يوم القيامة طبقاً لبعض التفسيرات الحرفية لسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وهكذا ظهر اتجاه جديد في الأصولية الإنجيلية يحيى الهالة التي أضفتها التوراة على بني إسرائيل، ويوجب على النصارى التدخل البشري؛ لتحقيق الوعود اليهودية الواردة في التوراة عليه قام هذا الاتجاه بدعم اليهود، والدعوة إلى قيام كيان لهم في فلسطين، وتزعم حركة الدعوة لانبعاث اليهود، وتسفيه التحقير المسيحي لليهودية، والمطالبة بضرورة رفع الظلم، والاضطهاد عن هذا الشعب المختار، وفقاً للإيمان الحرفي بالكتاب المقدس، وكان ذلك نتيجة لهذا التساهل

---

(1) انظر: جريدة الإهرام اليومية. القاهرة. بتاريخ: 1990/5/20م.
(2) انظر: النبوءة والسياسة: هالسل. ص9.
(3) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف. ص31.
(4) انظر: الأصولية الإنجيلية: محمد السماك. ص45. مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطا (ط2: 1998م).
(5) انظر: نفسه. ص44: 45.

العقدي أن سمح هذا الاتجاه الأصولي باختراق اليهود للمعتقدات النصرانية، وتحريفها، وانقلبت النظرة نتيجة لذلك بالنسبة لليهود من قتلة المسيح بزعمهم إلى المؤمنون به قبل نهاية العالم.

ثالثاً: مساندة الصهيونية العالمية اليهود؛ لتحقيق وعدهم بالعودة لأرض الميعاد:

تعتبر الأصولية الإنجيلية من أشد القوى الاجتماعية، والثقافية حيوية في أوروبا، وأمريكا، وقد تركت أثراً جوهرياً واضحاً في نسيج المجتمع النصراني بطرائق تتخطى حاجة الساحة السياسية، وتتعلق بقلب المجتمع النصراني فمن الضروري النظر إلى أبعد من علاقاتها بالقوة السياسية في السلطة، وأبعد من أهدافها السياسية المتعلقة بشحن الجماهير النصرانية بمبدأ الالتزام المطلق؛ لتحقيق الوعود التوراتية المقطوعة لجماعة بني إسرائيل باعتبار إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين حقاً دينياً، وتاريخياً، وذلك بالنظر في إنشائها للعديد من الحركات، والجماعات التي تعمل؛ لتحقيق هذا الوعد المزعوم، ومن أبشع الشيع البروتستانتية الإنجيلية تلك التي راجت في أمريكا، والتي ذكرناها سابقاً المعصومية، والمعمدانيون، المحافظون بشكل عام، وحواريو المسيح التي تدعى بالتومسيين نسبة إلى مؤسسها القس "جان توماس"، والدهرية(1).

والأحزاب المذكورة، وغيرها لا تألوا جهداً في تقدم الدعم للصهيونية العالمية، وللأصوليين اليهود؛ لتحقيق وعدهم المزعوم في أرض فلسطين، وينطلقون من مفاهيم دينية موحدة(2).

وهكذا أصبح الربط بين أرض فلسطين وبين اليهود أمراً تلقائياً، وقويت فكرة الانبعاث اليهودي القومي، وانتشرت في مختلف وسائل الإعلام، ومنها الصحافة العامة، وفي مجالات الأدب كافة، وفي الفن، والثقافة، والمسرح، وأجهزة الاتصال من قنوات فضائية وغيرها، وقد تمت مناقشتها بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الباب.

الباب الثالث

خطر الفكر الأصولي اليهودي والنصراني على العالم الإسلامي

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصــل الأول
أساليب الهجمة الأصولية اليهودية، والنصرانية على الإسلام

توطئة:

تحالف الأصوليون الصهاينة من اليهود والنصارى ضد الإسلام، والمسلمين بغرض إضعافهم والهيمنة عليهم فما مفهوم الحلف العالمي المعاصر؟، وهل هو التكتل، أو أنه يختلف عنه؟.

فإن مفهوم الحلف العالمي المعاصر: هو تجمع يضمّ دولتين، أو أكثر، ويفترض مصلحة متماثلة، وخطاً استراتيجياً معيناً، وقد يكون هذا التكتل بداية للتحالف، لكن الفرق بينهما أن الحلف عادة هو تجمع ذي أغراض عسكرية سياسية بالدرجة الأولى، وأما التكتل كقاعدة فهو يستهدف التعاون في الشئون السياسية، أو الاقتصادية بالدرجة الأولى فكل حلف هو تكتلٌ، وليس كـل تكتّـلٍ هو حلفاً، والتحالف لابدّ أن يستند إلى معاهدة دولية، ولابدّ أن يكون له هيئات تتابع حسن تنفيذ بنود المعاهدة بعكس التكتل الذي لا يشترط فيه بالضرورة مثل ذلك(1).

فالحلف في القانون الدولي، والعلاقات الدولية هو: «علاقة تعاقدية بين دولتن، أو أكثـر يتعهـد بموجبها الحلفاء المعنيون بالمساعدة المتبادلة في حالة الحرب»(2) ، وقد يكون التحــالف متوازنــاً بمعنى أن يكـون توازن المنافع ضمن التحالف متبادلاً تماماً، أي: أن الخدمات التي يقدمها الأطراف لبعضهم فيه متعادلة مـع المنافع المتوخاة، وهذا غالباً لا يكون إلاّ بين دول متساوية في القوة، وتعمل لمصالح متطابقة أما الشكل المعاكس لتوازن المنافع فهو الانتفاع الوحيد الطرف بمعنى أن طرفا واحداً يتلقى المنافع في حين يتحمل الآخرون الأعباء، وهـذا لا يختلف كثيراً عن معاهدات الحماية التي ابتكرتها السياسة الاستعـمارية الأوربية في إطار عصبة الأمم المتحدة، ثم في إطار هيئة الأمم المتحدة؛ لتمكر، وتكيد كلها خفية، وعلانية ضد الإسلام، والمسلمين.

والواقع أن معظم الأحلاف تُبرم بين دولة كبيرة، وبعض الدول الصغيرة بعد أن يدخل في روعها بأنها مهدّدة بخطر خارجي يُلجئها إلى هذه الدولة الكبيرة فتتمكن الدولة الكبيرة بالتالي من فرض سيطرتها في وقت السلم، والحرب إذ تتضمّن هذه المعاهدات إنشاء تحالف عسكري، ونظام للدفاع المشترك، والاحتفاظ بقواعد عسكرية في أراضي الدول الصغيرة مع السماح للدولة الكبيرة بحرية استخدام الموانئ، والمطارات، والمواقع الإستراتيجية الهامة(3)، وهذا لا ينطبق بالضرورة على كلّ الأحلاف القائمة، ولكنه هو الأعمّ الأغلب فقد تتمكن دولة صغيرة من استغلال علاقتها بحليف قوي لدعم مصالحها، كما هو الوضع في تحالف إسرائيل مع أميركا، ودول أوربا، وذلك في تحالفهم ضد الدول الإسلامية، وتوصف الأحلاف والتكتلات بالعالمية، والإقليمية، والوطنية، والقومية، والقارية،...، وممَّا أسهم في صنع معظمها، وخطط لها القوى النافذة في العالم ملبيّة الرغبة الملحة لدى بعض الدول التي تطلب معونتها، ومن أجل المحافظة على نفوذها، وهيمنتها على تلك الدول، ولما كانت تلك الدول النافذة ذات حضارة غربية اعتمدت معظم التكتلات، والأحلاف المصلحة أساساً دون العقيدة، وتوزعت البلاد الإسلامية على هذه الأحلاف، والتكتلات، وتشتت فيما بينها الأمر الذي أضعف جهودها، وربطها بعهود، ومواثيق مختلفة تتناقض في أكثرها مع عقيدتها الإسلامية، وشريعتها، حيث ضعف صوت الإسلام، وخفت دوره فسارت الأمور لصالح الدول النافذة ذات القوة، والسلطان، والنفوذ، وصاحبة التخطيط لمعظم هذه الأحلاف(4)، وما يهمنا من هذا التحالف هو تحالف الأصولية الصهيونية النصرانية مع الأصولية الصهيونية اليهودية ضد المسلمين؛ لذلك سنتناول فيما يلي تاريخه، وتطوره، وأسبابه.

تشير الكتابات، والوثائق التاريخية إلى أنه لم يكن قديماً أي أثر لأي تحالف بين اليهود، والنصارى، أو قيامهما بأي عمل كفريقين ضد الإسلام، والمسلمين بينما كانت هناك مؤامرات، ودسائس، وتحالفات من قبل كل فريق على حده ضد المشركين الوثنيين ظل أثرها إلى عهد قريب واضحاً بيّناً من خلال الفرق، والمذاهب المنتسبة للإسلام ثم ما لبث بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته الجغرافية عالمياً لاسيما بعد الانتصارات التي حققها المسلمون في الحروب الصليبية، وما

---

(1) انظر: القاموس السياسي: أحمد عطية. ص51. دار النهضة العربية. بيروت (ط: 1968م).
(2) العلاقات السياسية الدولية: إسماعيل صبري مقلد. ص104. مطبوعات جامعة الكويت. الكويت (ط: 1971م).
(3) انظر: تاريخ القرن العشرين: بيير رونوفر. ص111: 117. تعريب: د. نور الدين حاطوم. مطبعة الجامعة السورية. دمشق (ط: 1959م).
(4) انظر: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية: د. محمد كمال الدسوقي. ص183. دار الثقافة. القاهرة (ط: 1976م).

بعدها بدأت المخاوف تدب في الجسدين اليهودي، والنصراني، ولكنهما ظلا يعملان بمنأى عن بعضيهما حتى ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي فاستُغِلت بإدخال أفكار، ومعتقدات غير أصيلة على الحركة تبناها رجال السياسة البريطانيين على وجه الخصوص؛ لاستعمار أرض فلسطين لتكون معبراً لدرة التاج البريطاني ــ آنذاك ــ الهند؛ ولإضعاف العالم الإسلامي، والهيمنة على مقدراته، بأداة ما فتأت تشكل عبء اجتماعي، واقتصادي، وأمني على دول تنشد التطور، والنمو. وفي ظل القلاقل، والشغب التي تحدثها تلك الفئام من الناس مدعاة لتأخر الكثير من خططها التنموية، وتدني مستوى الأمن، وضعف، وانهيار الاقتصاد بالبلاد.

وقبل الحديث عن التحالف المعاصر نبيّن باختصار علاقة أصحاب الديانتين بنبي الرحمة^ قبل البعثة، وبعدها، ثم علاقتهما بالإسلام كدين ناسخ لما قبله من الأديان. وذلك من خلال ما ذكره ابن هشام في سيرته عن رحلته ^ المعروفة مع عمه أبي طالب إلى الشام(1)، وقصة الراهب بحيرى التي تدلل على معرفة اليهود، والنصارى بنبي الإسلام، وعلى الرغم من ذلك لم يلتزموا الإنصاف، والعدل تجاهه(2) «فالغالبية العظمى من حملة الإنجيل شككوا في الدعوة، وليس ذلك فحسب بل تحول شكهم إلى استنكار، وسخرية، ومعارضة، ومقاومة، وقتال مسلح حيناً، وتآمر خفي أحياناً آخرً»(3).

ــ فالنصارى بعد قيام دولة الإسلام في المدينة لعبوا دورهم في مواجهة الإسلام، واتخذوا مواقف عدائية منه فقد وقفت مجموعات كثيرة من نصارى العرب بدافع من الدولة، والكنيسة البيزنطية في معظم الأحيان، وبمعزل عنها في أحيان أخر موقف المعادي المؤلب ضد الإسلام، وأهله، ومن ذلك: ما قامت به القبائل القاطنة في دومة الجندل، والتي يتزعمها أكيدر ابن عبد الملك الكندري الذي يدين بالنصرانية، ويخضع لهرقل بضرب المسلمين في المدينة في ربيع الأول من السنة الخامسة من الهجرة فلما بلغ ذلك رسول الله ^ خرج في ألف من المسلمين فلما دنا منهم هجم على ماشيتهم، ورعاتهم فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وجاء الخبر إلى أهل دومة الجندل ــ، وهي من دمشق على خمسة ليال، وبينها، وبين المدينة خمسة عشر ليلة ــ فتفرق أهلها، ونزل النبي ^ بساحتهم فلم يجد أحداً فيها فأقام فيها أياماً، وبث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب أحداً منهم فرجع ^ إلى المدينة غانماً(4).

ونجد أن هذه الغزوة تعد أولى حلقات الصراع الحربي بين عالمي الإسلام، والنصرانية، والتي ظن النصارى أنهم يستطيعون ضرب القوة الجديدة في قاعدتها في المدينة المنورة، وبعد ذلك بعام أرسل النبي ^ عبد الرحمن بن عوفτ لقتال قبيلة كلب النصرانية فمكث عبد الرحمنτ ثلاث ليال يدعوهم إلى الإسلام فأسلم أميرهم النصراني، وأسلم معه ناس كثيرون بينما وافق الآخرون في الاستمرار على دفع الجزية، وبهذين الانتصارين أدرك النصارى مدى قوة المسلمين العظيمة(5). وقد خاض ^ العديد من المعارك ضدهم ليس هنا مجال حصرها، وإنما ذكرنا ذلك على سبيل المثال لعداوتهم للإسلام منذ ظهوره.

ــ أما عن عداء اليهود للإسلام فقد ذكرنا في قصة بحيرى، وخوفه على النبي ^ من اليهود، وتآمرهم عليه، وتحقق ذلك من خلال وقوفهم ضد دعوته ^ في مرحلتها السرية، والعلنية، حيث دعموا قريش، ووقفوا وراءهم يتبادلون معهم الوفود لمدة ثلاثة عشر عاماً ــ فترة دعوته ^ في مكة المكرمة ــ

---

(1) قصة الراهب بحيري المشهورة وخوفه على النبي محمد ^ من اليهود وشرهم، وذلك أن عمه أبا طالب "خرج في ركب إلى الشام تاجراً، وخرج معه رسول الله ^ ولم يتجاوز عمره يومئذٍ الثانية عشرة، ونزل الركب "ببصرى" من أرض الشام، وكان بها راهب يقال له:"بحيرى" يرد إليه علم أهل النصرانية، نزل بحيرى من صومعته على غير عادته،وصنع لهم طعاماً دعا إليه جميع الركب،صغيرهم وكبيرهم،فاجتمعوا،وأخذ بحيرى يلحظ النبي ^ لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال: "يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عن ما أسألك عنه، فقال: لا تسألني باللات والعزى شيئاً فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهم، فقال له بحيرى: فبالله إلا أخبرتني عن ما أسالك عنه فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله ورسول الله ^ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته،ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع من صفته عنده، فلما فرغ ــ قال ابن إسحاق ــ أقبل على عمه أبي طالب، فقال:له ما هذا الغلام منك؟ قال:ابني. قال بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي.قال: فما فعل أبوه؟ قال:مات وأمه حبلى به. قال: صدقت. فارجع بابن أخيك إلى بلده، وأحذر عليه من اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبتغينه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده (انظر: سيرة ابن هشام: ج1. ص168: 171. مكتبة الأنوار المصرية. القاهرة (ط.ب)).

(2) انظر: سيرة ابن هشام: ص189: 190.

(3) دراسة في السيرة: عماد الدين خليل. ص277. دار الوفاء. القاهرة (ط.ب).

(4) انظر: زاد الميعاد من هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية. ج2. ص163. دار عمر بن الخطاب. القاهرة (ط. ب).

(5) انظر: دراسة في السيرة: عماد الدين خليل. ص284: 285.

يتصلون بهم سراً من أجل أن يشددوا قبضتهم على النبي ^، وأن يشلوا حركة الدعوة قبل أن يشتد ساعدها، وتغدو قادرة على التغلب على كل مَن يقف في طريقها لصدها سواء كان وثنياً أو يهودياً(1)، وبعد أن خاب أملهم، ولم يحققوا مرادهم، وهاجر النبي ^ إلى المدينة المنورة لم يكن اليهود قادرين على خوض حرب علنية ضده فأوكلوا الأمر إلى قريش، وظلوا يساندونها من المواقع الخلفية، ويخططون لضربه فما كان منهم إلا أن نقضوا العهود، والمواثيق التي اعتبرها الرسول ^ دستوراً؛ لتنظيم الحياة السياسية في المدينة المنورة، وانضم إليهم المنافقون، وأوقعوا الفتن بين المهاجرين، والأنصار، وبين الأوس، والخزرج مرات عدة، كما أخبرتنا كتب السيرة، ولم يترك اليهود أسلوباً، أو مجالاً إلا اتبعوه لحرب الإسلام، ودعوته.

هذه النبذة المختصرة عن موقف كل منهما على حده ضد الإسلام قديماً لا تعني أن تحالفهم قديماً لم يشكل خطورة على الدعوة منذ بداياتها، ولكننا نركز جهدنا على تحالفهم المعاصر موضوع بحثنا، والذي أصبح قوياً، وشرساً آخذاً منطلقاته من مزاعم، وأفكار توراتية إنجيلية تراثية دينية مشتركة بما فيها من دعاوى كاذبة، وباطلة تزعمتها الصهيونيتان، وتدعوان إليها، وقد سبق عرضها، وهي الادعاء زوراً بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن فلسطين هي أرض الميعاد، ومسؤوليتهم إزاء بناء الهيكل، ومعركة هرمجدون، والعصر الألفي السعيد،...، وغيرها من الأفكار التي يعتنقونها، ويروجون لها من خلال تفسيراتهم الحرفية لكتبهم المقدسة، والتي نُظِمت فيما بعد لتكون أساساً لتحالفهما الفكري، فأخرجتا الأصولية الصهيونية: (اليهونصرانية) المعادية للإسلام، والمسلمين، والتي تمثل خطراً عظيماً على أمتنا.

ذلك أن صاحب الفكر، أو المعتقد، وإن كان باطلاً، ومزيفاً فإنه يعمل جاهداً؛ لينتصر له، ويتفوق في الغالب ما دام عاملاً على إنجاحه، وإذاعته، وتحت تأثيره؛ لذا فإن السلاح الأول، والأهم، والذي ينبغي على الأمة المسلمة أن تحمله، وترفع رايته أبداً في مواجهة أعدائها هو سلاح العقيدة، والإيمان.

ونجد أن الأصولية الصهيونية اليهود في عدائها للإسلام، والمسلمين تستخدم جميع الأساليب المتاحة، والمتوفرة، والتي تكون مُسانَدة، ومدعومة بقوة من خلال فتاوى علمائهم، وحاخاماتهم، وقساوستهم المبدِّلين للحقائق نعرض طرفاً منها على سبيل المثال:

- ما جاء في صحيفة معاريف الإسرائيلية سبب منح الحاخام إسرائيل لاو شرعية توراتية كاملة لسياسة الإحباط، والاعتراض فقال: «إن الشريعة اليهودية تدعم بشكل كامل سياسة الإحباط الفعال التي تنتهجها الحكومة الإسرائيلية، وتنفذها أجهزة الأمن في المناطق المحتلة؛ بهدف الحيلولة دون الإرهابيين، واستمرار التخطيط؛ لأن الواقع في البلاد هو حرب مقدسة، وتتطلب ليس الدفاع فقط، وإنما كذلك المبادرة، والجراءة، والمشارك فيها معفي من أداء الفرائض الأخرى»(2).
- وفي عام (1973م) أصدر الحاخام العسكري المقدم إبراهام أنيدان فتوى تنص على أن: «في وقت الحرب، وحسب تعليمات التلمود يجب على الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا أعدائهم المدنيين حتى ذوي السلوك الجيد منهم»(3).
- وفي نفس العام أصدر الحاخام مونسي زنون فتوى تقول: «إن الشريعة اليهودية تؤكد: أن الذين يسكنون أرض كنعان يجب أن يكونوا عبيداً لإسرائيل»(4).
- وفي عام (1978م) أصدر الحاخام الإرهابي المتطرف مائير كاهانا فتوى تقول: «إن العرب في إسرائيل يمثلون امتهاناً لاسم الله، وإبعادهم ليس عملية سياسية فحسب بل عملية دينية فلنطرد العرب من بيننا حتى نحصل على الخلاص»(5).
- ذكر الكاتب أديب كريم في مجلة بقية الله في دمشق العدد: 118 في تموز 2001م، ص43 أن الحاخام إسحاق جينزتبرغ علَّق على جريمة غولاشتاين بحق المصلين في الحرم الإبراهيمي في الخليل بقوله: «من الخبث أن يُسمِّي إطلاق النار على مصلين في المسجد الأقصى جريمة ففي وقت الحرب يجب إبادة كل عناصر الحرب التي تعادينا، و...، وأن الوصية المنزلة القائلة [لا تقتل] لا يجوز تطبيقها على العرب إذ عندما يقتل اليهودي يهودياً آخر تتوجب محاكمته، وعندما يقتل اليهودي عربياً فتلك إرادة العلي القدير وحده»(6).
- كتب يهود فرنسا لحاخام القسطنطينية يستفتونه بتخطيط يضاعف إلحاق الأذى بالفرنسيين

(1) انظر: نفسه: ص322.
(2) جريدة السفير المصرية الصادرة في: 28/ 7/ 2001م. نقل الصحفي حلمي موسى عن جريدة (معاريف) الإسرائيلية.
(3) العنصرية الصهيونية اليهودية: علي حسن طه. ص95.
(4) نفسه: ص96.
(5) مائيركاهانا وغلاة التطرف الأصولي: سيمون ورفائيل. ص160.
(6) العنصرية الصهيونية اليهودية: علي طه. ص96.

فأجاب: «ادخلوا بعض أولادكم دين الفرنسيين، واجعلوا منهم أطباء، وصيارفة، ورجال دين لتقتلوا فرنسا في صحتها، واقتصادها، ودينها»(1).

ذكرنا هنا نماذج لفكرهم العدواني المتطرف بمزاعمهم الدينية فما الذي تم إعداده للمسلمين من أساليب؛ لتنفيذ هذه الهجمة على المسلمين في النواحي السياسية والعسكرية، والإعلامية، والاقتصادية، والاجتماعية،...، هذا ما سنتعرض إليه في هذا الفصل ـ بإذن الله ـ.

(1) مفاهيم تلمودية نظرة اليهود للعالم: عبدالمجيد همو. ص39. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية والنصرانية على الإسلام في المجال السياسي

كما ذكرت آنفاً أن العداء للإسلام من اليهود، والنصارى كان منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية، وهذا العداء حقيقة مُقرَّرة في القرآن الكريم، قال عز وجل: ﴿الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ﴾ (سورة البقرة، آية: ١٠٥)، ويُظْهِر الله سبحانه وتعالى لنا خبايا قلوبهم، وما يتمنونه لنا من العنت، والكفر لنكون معهم في الكفر سواءً، قال تعالى: ﴿ ... ﴾ الآية (سورة النساء، آية: 89)، كما يبيِّن لنا حسدهم للمسلمين على إيمانهم به عز وجل، بقوله: ﴿البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون ...﴾ الآية (سورة البقرة، الآية: ١٠٩)، واخبرنا بأن كل تنازل سياسي، أو اقتصادي، أو عسكري، أو اجتماعي نقدمه لهم لا يرضيهم أبداً ما دمنا مسلمين، فيقول تعالى مبيّناً ذلك: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ﴾ (سورة البقرة، آية: ١٢٠)، فإما الإلحاد، أو الكفر بالله، وإلا فإنهم سيستمرون في حربهم ضد المسلمين، وعدم رضاهم عنهم، وينبهنا المولى أن هناك حرباً ضروساً لا تهدأ، ولا تتوقف بانتظار المسلمين عند عدم استجابتهم لدعواتهم الكفرية بقوله تعالى: ﴿...البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب﴾ (سورة البقرة، آية: ٢١٧)، وغيرها من الآيات التي تبيِّن للأمة الإسلامية طبيعة أعدائها، وما يضمرونه لها من سوء النية، والحقد، والحسد، و...، والأماني الكفرية المهلكة.

ولعلنا نجد فيما يقوله قادتُهم، ورؤساؤهم السياسيين المشاركون سواءً في صنع القرار، أو في صفوف الأحزاب المعارضة من أعضاء المجالس، والبرلمانات التشريعية ما يُظهر بوضوح الكيد للإسلام، والعداء له، وتعدد أساليب الهجمة الأصولية عليه في المجال السياسي منها على سبيل المثال ما قاله "إيوجين روستو" رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأميركية، ومساعد وزير الخارجية الأميركية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام (1967م) يقول: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب،\ بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية، والحضارة النصرانية لقد كان الصراع محتدماً بين النصرانية، والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث النصراني إن الظروف التاريخية تؤكد أن أميركا إنما هي جزء مكمِّل للعالم الغربي في فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي في فلسفته، وعقيدته المُتمثّلة في الدين الإسلامي، ولا تستطيع أميركا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام إلى جانب العالم الغربي، والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها، وفلسفتها، وثقافاتها، ومؤسساتها»(1).

وفي هذا الجانب أيضاً يقول جلاستون في مجلس العموم البريطاني وهو رئيس وزرائها: «ما دام هذا القرآن موجود في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق الأوسط»(2).

---

(1) الغرب والإسلام: منى ياسين. ص24. دار الجهاد للنشر والتوزيع. القاهرة (ط1: 1994م).
(2) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، أبيدوا أهله: جلال العالم. ص85. دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر. القاهرة (ط6: 1985م).

وفي بريطانيا أيضاً نجد رئيسة وزرائها السابقة تقول: «يجب المحافظة على الحلف الأطلنطي لمواجهة الخطر الإسلامي»، وعلى الرغم من أن مبررات حلف الناتو(1) أصبحت غير قائمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي إلا أنه ما زال موجوداً، وتحول هدفه إلى مقاومة الإسلام، كما صرح بذلك مسئول كبير في المجلس الوزاري الأوروبي "جياني دي ماكليس" بأن: «المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها إنها المواجهة بين العالم الغربي، والعالم الإسلامي»(2).

أما سكرتير عام حلف الناتو "ويلي كلايس" فيصرح بأن: «الحركات الإسلامية تشكل تهديداً سياسياً، وجغرافياً مباشراً على الغرب»(3)، ويقول "بن غوريون" رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: «إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد»(4)، ولا يخفي "شمعون بيريز" رئيس وزراء إسرائيل السابق حقده على الإسلام فيدعو إلى محاربة ما يسميه بالأصولية الإسلامية، حيث يقول: «وفي أجواء يسودها الإحباط، واليأس وجد الكثير من الناس متنفساً لهم في الغيبيات، والعوالم الأخرى رافضين الدولة العصرية مغرقين أنفسهم في الأصولية الدينية، وهي من أبرز العوامل التي تهدد أمن، واستقرار المنطقة، وتجذب اهتمام العالم خاصة، وأن أكثر من مليار مسلم ينظرون إلى الشرق الأوسط كمصدر للحياة، وأساس الإيمان»(5)، ويقول المستشرق "غاردنر": «إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس؛ وإنما كانت لتدمير الإسلام»، ويقول أيضاً: «إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا»(6)، ويقول "جون ميجر" رئيس وزراء انجلترا: «نحن لا نوافق الآن، ولا في المستقبل على تسليح المسلمين في البوسنة، والهرسك، نحن سوف نستمر في إرغام الأمم المتحدة على فرض حظر السلاح على مسلمي البوسنة، والهرسك، ونعلم جيداً أن اليونان، وروسيا، وبلغاريا يمدون الصرب بالأسلحة، ونعلم أن ألمانيا، والنمسا، وسلوفانيا يمدون الكروات بالسلاح، ومن الضروري أن نستمر في المحادثات الصورية للسلام بهدف تأخير أي تحرك للدول الإسلامية التي نتحكم في حكامها جيداً»(7).

حاولت في هذا المجال أن أتعرض لبعض أقوال المسئولين السياسيين سواءً المسئولين عن القرار، أو أعضاء الأحزاب السياسية المعارضين؛ لأبين موقفهم من أمتنا الإسلامية مستشهدة بواقعهم وأقوال ساستهم، ومنظريهم.

أما عن الأساليب السياسية التي أتبعوها في هذا الصدد فنجد قبل انتقال المركز القيادي للإمبريالية العالمية من أوروبا الغربية إلى الولايات المتحدة أن الأصولية اليهودية في أوروبا كانت نشطة، ومتحركة، وكما ذكرنا سابقاً عقدهم للمؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام (1897م)، حيث كان جل الحاضرين من يهود أوروبا، ثم انتشرت بعد عقده العديد من الجمعيات، والمنظمات اليهودية الأصولية التي كانت تعمل على جمع التبرعات، ودعم الحملات السياسية للتكاتف العنصري الصهيوني ضد الإسلام، والمسلمين، ومن أبرزها: (اتحاد الطلبة اليهود في فرنسا)، و(جمعية الصداقة اليهودية المسيحية)، و(حركة الشبيبة الصهيونية)، و(لجنة العمل من أجل إسرائيل)، و(جمعية المهندسين العلمانيين أصدقاء إسرائيل)، وجميعها مقرها في فرنسا،

---

(1) **حلف الناتو**: بالانجليزية: NATO - North Atlantic Treaty Organisation. تأسس عام 1949 بناءاً علي معاهدة شمال الأطلسي، والتي تم التوقيع عليها في واشنطن في 4 ابريل سنة 1949. ومقر قيادة الحلف في بروكسل عاصمة بلجيكا، وعدد الدول الأعضاء (28) دولة، الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول أوربا الشرقية، والغربية، وللحلف لغتان رسميتان هما الإنجليزية والفرنسية، والدور الرئيسي لهذا الحلف هو حراسة حرية وحماية الدول الأعضاء فيه من خلال القوة العسكرية، ويلعب دوراً بارزاً للأزمات السياسية وكل الدول الأعضاء فيه تساهم في القوى والمعدات العسكرية التابع له مما يساهم في تحقيق تنظيم عسكري لهذا الحلف، ويوجد هناك دول ذات علاقات ممتازة بحلف الناتو إلا أنها ليست جزءا منه بشكل رسمي وتسمى حليف رئيسي لحلف الناتو، ومن أسباب الاتحاد وتكوين الحلف: بسبب تواجد القوات السوفياتية في دول شرق أوروبا، والشعور لدى دول غرب أوروبا بقرب هجوم سوفياتي عليهم مما أدى بدول غرب أوروبا إلى التعاون مع الولايات المتحدة وتكوين الحلف، وللحلف أيضا أهداف أخرى هي: 1) حماية دول العالم بشكل عام" وحماية الدول الأعضاء فيه بشكل خاص. 2) حفظ الأمن والاستقرار. 3) محاربة التهديدات الأمنية الجديدة (انظر: الشبكة العنكبوتية. موسوعة ويكبيديا الحرة: حلف الناتو).

(2) صراع الوجود والبقاء فلسطين: أبوبكر عبد الستار خليل. ص46. دار القبس. القاهرة (ط: 1992م) نقلاً عن مقال لفهمي هويدي من الأهرام. القاهرة. بتاريخ: 1990/7/17م.

(3) مجلة المختار الإسلامي: ع153. جماد الأولى: 1416هـ. ص86.

(4) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام. أبيدوا أهله: جلال العالم. ص29.

(5) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: إسماعيل الكيلاني. ص244. المكتب الإسلامي. بيروت (ط2: 1990م).

(6) معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير: إبراهيم سليمان الجبهان. ص133. مطابع الريل. الرياض (ط: 1976م). وانظر: القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، ص55. دار الإرشاد للطباعة والنشر. القاهرة (ط2: 1970م).

(7) مجلة الإنسانية: إصدار لجنة الإغاثة بنقابة أطباء القاهرة. غير دورية. ص19. بتاريخ: 1419/4/19هـ.

وبذلك سيطر اليهود بعد الثورة الفرنسية في النصف الأول من القرن العشرين على كل المراكز السياسية المرموقة، حيث وصلوا إلى أكثر من خمسة عشر منصباً سياسياً منها رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزراء، ومديرية المباحث العامة، ومنصب وزير الدفاع، وكبار الرؤساء بالأحزاب، والسفراء، و...، وكلهم كانوا يهوداً خُلص حوَّلوا فرنسا بعد الثورة الفرنسية إلى أرض يهودية حتى قال فيردينالد سيلين: «إن فرنسا أصبحت مستعمرة صهيونية لم يعد لنا مجالاً للتفكير للتخلص من سادتنا اليهود»(1).

وأدى هذا النفوذ اليهودي في فرنسا إلى معارضة التقارب الفرنسي العربي في مجال العلاقات السياسية، والاقتصادية، وتعميق الصلة بين الحركة الصهيونية بمنظماتها، ورموزها، وبين الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي وصل إلى الحكم في فرنسا، وقيام الرئيس الفرنسي السابق ميتران، وعدد من كبار المسؤولين الفرنسيين بزيارة الكيان الصهيوني، وكذلك المسؤولون الفرنسيون في الوقت الحالي، ويلاحظ كذلك قيام رؤساء الكيان الإسرائيلي، وعدد من وزرائهم بزيارات متكررة للعاصمة الفرنسية، وإعادة العلاقات الاقتصادية، والثقافية، والعلمية بين الكيان الصهيوني، والفرنسي، ولتوطيد أسس هذه العلاقات، وتطويرها قامت فرنسا بدور قوي في تسويق الثقافة الصهيونية في بلدان أفريقيا، ولدى عدد من الدول العربية، وكذلك تأييدها لنهج كامب ديفيد في المنطقة(2).

وتُعد بريطانيا المعقل الأساسي، والتقليدي الداعم للحركة الصهيونية، وهي الانطلاقة الأساسية التي بدأت منها شرارة الأصولية (اليهمسيا) الأولى، وتعهداتها بقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وإلى اليوم، وتوجد في بريطانيا العديد من المنظمات اليهودية الأصولية من أهمها (مجلس الوكلاء اليهودي)، و(منظمة زيون)، و(الجمعية الإنجليزية اليهودية)، وتقوم تلك الجمعيات باستخدام كافة السبل السياسية في الحرب ضد الإسلام، والمسلمين، ويتمتع النفوذ الصهيوني بقوة فعَّالة داخل المؤسسات التمثيلية، والأحزاب السياسية البريطانية. ففي مجلس العموم البريطاني تبلغ نسبة تمثيل اليهود عشرة أضعاف نسبة تعدادهم من إجمالي السكان في بريطانيا إذ أن هناك (37) عضواً في المجلس إضافة إلى(3) أعضاء في مجلس اللوردات، ومن هنا لا يجد اليهود صعوبات كبيرة في المجال السياسي البريطاني فقد نجح اليهود في استصدار تشريع من البرلمان البريطاني عام (1830م) بمنحهم حقوقاً سياسية كاملة، وتمكنوا من إدخال أول نائب يهودي إلى البرلمان البريطاني، حيث نجح "بنيامين دزرائيلي" اليهودي الأصل في الانتخابات حتى وصل إلى منصب رئاسة الوزراء، وبلغ نفوذهم مداه في عهد الملك إدوارد السابع الذي أحاط نفسه بعدد كبير من اليهود، ووصل بعضهم في عهده إلى رئاسة أركان الجيش البريطاني، حيث نتج عن ذلك وعد بلفور ـ المشؤوم ـ الذي منحته بريطانيا لليهود، والذي يعد واحداً من آثار النفوذ اليهودي في هذا المجال، هذا هو النفوذ اليهودي (الوصولي) في أبرز دولتين أوروبيتين بريطانيا، وفرنسا في المجال السياسي، وأشرت لتلك الدولتين كمثال لسيطرة اليهود على الدول الأوربية قبل انتقال القرار إلى أميركا، ولا شك أن هذا النفوذ في مراكز صناعة القرار في أوروبا كان من أكبر دوافع التلاقي، والتحالف، والدعم للأصوليتين اليهمسيا في العصر الحديث في الوقت الذي لا يملك فيه المسلمون قوة ضغط في أي مكان حتى في بلادهم، وبهذا سيطر الأصوليون الصهاينة على أنظمة القرار السياسي العالمي. أما بعد انتقال اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية فنجدهم في المجال السياسي قد ساروا على خطين متوازيين، وذلك للتأثير على السياسة الأمريكية بصورة مباشرة، وغير مباشرة.

تمثل الخط الأول في:

1 ـ اتصال الأصوليين المباشر بكل من السلطة التشريعية والتنفيذية، وذلك عن طريق زرع اليهود في مناصب سياسية يمكن من خلالها التأثير على صنع السياسة، أو القرارات الهامة فمثلاً في عهد الرئيس كندي شغل اليهود عدد من المناصب الرئاسية، والحقائب الوزارية منها: وزارة الصحة، ووزارة العمل، ووزارة التعليم، ورئاسة لجنة الاتصالات الفدرالية، ورئاسة صندوق الدخل القومي، وسكرتير الرئيس الصحفي، و...، وفي عهد إدارة جونسون كان المستشار الأول للشؤون الخارجية، ووزير الصحة، ورئيس المحكمة العليا، ورئيس اللجنة التنفيذية، والمستشار المالي لجونسون كلهم يهود، وفي إدارة نيكسون كان كلٌ من وزير الخارجية، ووزير الصحة، والتعليم، ومستشار البيت الأبيض، والمستشار القانوني، ورئيس الحقوق الدينية للبيت الأبيض، ورئيس اللجنة الاقتصادية، والاتحادية من اليهود(3). كما أنهم موجودون في كل إدارات الحكومات

---

(1) النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية: فؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي. ص73: 75. مطبعة الفيصل. الكويت (ط1: 1407هـ).

(2) انظر: اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة أوروبا: فايز سارة. ص66: 68. دار الكامل. الأردن. عمان (ط: 1988م).

(3) انظر: صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية: ناديا سالم. ص223: 225. دار =

الأمريكية منذ ذلك الحين، وإلى عصرنا الحاضر.

2 ـ التأثير على السياسة الأمريكية، واستخدامها في ضرب الإسلام، والمسلمين، وذلك بأن يقوم اليهود باتصالات، واجتماعات مع كبار المسؤولين الأمريكيين بمن فيهم الرئيس، وأعضاء مجلس الكونجرس، والشيوخ، وكبار موظفي الخارجية، لإعداد، وإرسال المذكرات، والرسائل إلى الجهات الرسمية حول القضايا السياسية، والعسكرية التي تهم الكيان الصهيوني، وتدعم عدوانه الغاشم(1).

3 ـ ومن وسائل التأثير المباشر المعروفة لدى الجميع التأثير في الانتخابات الأميركية، وذلك من خلال التأثير على رئيس الدولة بتمويل حملاته الانتخابية، حيث يدعم اليهود تلك الحملات بإمكانياتهم الاقتصادية ـ المادية ـ الهائلة، وأن كل مرشح يقع تحت تأثير الصوت اليهودي ابتداءً من العمدة، وحتى رئيس الجمهورية، حيث يتركز اليهود الأصوليون في بعض الولايات المهمة. والتي تلعب دوراً حاسماً في انتخابات الرئاسة ممَّا يجعل أهميتهم كجماعة ضغط لوبي تتزايد فهم يشكلون نسبة (10.6%) من جملة الناخبين في ولاية نيويورك و(5.9%) في نيوجرسي، وغيرها من الولايات، ويتمتعون بأعلى مستوى تعليمي في الولايات المتحدة الأميركية مما يؤثر على سلوكهم وصوتهم الانتخابي، كما أنهم يشتركون في معظم الحركات السياسية، ويمتلكون عدداً كبيراً من كبار المثقفين، والفنانين، ورجال السياسة، الأمر الذي يزيد من ثقلهم كجماعة ضغط لوبي(2).

4 ـ دفع الولايات المتحدة لاستخدام حق نقض الفيتو لصالح إسرائيل، واستخدم لأول مرة عام (1970م) لصالحها، ثم استخدم (29) مرة لمنع مجلس الأمن من تبني أي قرارات ضد إسرائيل(3).

أما الخط الثاني غير المباشر فيتمثل في:

1 ـ إثارة القضايا المختلفة من خلال أجهزة الإعلام، والصحافة، ومن خلال الندوات، والرسائل، وحملات الدعاية المكثفة؛ لحشد الرأي العام الأميركي إلى جانب القضايا التي تهم الأصوليتين اليهمسيا الموجهة ضد الإسلام، والمسلمين.

2 ـ اتخاذ الأنظمة السياسية، والأحزاب درعاً منيعاً من خلال التغلغل فيها، والسيطرة عليها؛ لتحقيق أهدافها في ضرب الإسلام، والمسلمين، والسيطرة على العالم العربي، والإسلامي، ووضع اليد على ثرواته، ومقدراته، وتفتيت كلمة الأمة العربية والإسلامية، وليس أدل من ذلك ما نشرته مجلة كيفونيم عام (1982م)، والتي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية وثيقة بعنوان: إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات نشرت باللغة العبرية، ثم ترجمت للغة العربية مفادها: «أن العالم العربي، والإسلامي هو بمثابة برج من الورق، أقامه الأجانب فرنسا، وبريطانيا في العشرينات دون أن تضع في الحسبان رغبات، وسكان هذا العالم، ولقد قسم العالم العربي إلى (19) دولة كلها تتكون من الأقليات، والطوائف المختلفة، والتي تعادي كل منها الأخرى، وعليه فإن كل دولة عربية إسلامية معرضة إلى التفتت العرقي، وتمزق الكلمة من الداخل إلى حد الحروب الداخلية بينهم، وأن هذا الوضع يجعل من هذه الدول كبناء مصطنع كبرج الورق، لا يمكنه التصدي للمشكلات الخطيرة التي تواجهه، وبالتالي لابد من دعم إسرائيل؛ لتشكل تحديات وتحل مشكلات، وأخطار المنطقة؛ كما تمنحهم فرصة لبناء أمتهم من ذلك إعادة توزيع السكان إذ هو هدف إستراتيجي داخلي من الدرجة الأولى من دون ذلك سوف لا تستطيع إسرائيل البقاء في المستقبل في إطار أي نوع من الحدود»(4).

وتتمثل أبرز الأساليب السياسية المستخدمة للضغط على الأمة الإسلامية في الآتي:

1. تمزيق الوحدة الإسلامية ـ، وهذا ما قرره مؤتمر لندن الصليبي ـ

2. استغلال قوة اليهود المدمرة في الهدم، والتخريب فتاريخهم حافل بالدسائس والمؤامرات فأحيت هذا الجانب الهدام في داخله؛ لتسهّل لنفسها مهمة القضاء على المسلمين دون جهد منها سوى الدعم السياسي، والعسكري، والاقتصادي، وذلك لعلمهم بأن اليهود سيثيرون القلاقل السياسية، والاقتصادية، والأمنية بالمنطقة،...، وبذلك يتمكنوا من التدخل في الحين الذي يكون فيه

=

مأمون. القاهرة (ط: 1978م).

(1) انظر: اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة أوروبا: فايز سارة. ص45: 46.

(2) انظر: الجمعيات السرية في العالم البروتوكولات الماسونية البهائية: عبدالوهاب المسيري. ص247: 249. سلسلة كتاب الهلال. رقم515 (ط: 1993م) بتصرف.

(3) للمزيد عن القضايا التي استخدمت فيها الفيتو. انظر: الخداع جديد العلاقات الأمريكية الإسرائيلية: بول فندلي. ت: د . محمود زايد. ص225. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت (ط3: 2002م).

(4) التزوير الصهيوني للمسيحية: ماريا المعلوف. ص105: 114. دار الشرق للطباعة والنشر. لبنان (ط: 2006م).

الخصمان قابلين للسيطرة عليهما معاً(1).

3. استغلال اليهود كأداة لتبرير المخططات الصليبية، أو كقاعدة عسكرية تنطلق منها أسلحة النصارى الصليبية، وخاصة الولايات المتحدة الأميركية؛ لغزو العالم العربي، والإسلامي، ووضعهم كشرطي، أو كلب حراسة للبلاد الغربية في البلاد الإسلامية(2).

والمشكلة المطروحة هي في الواقع أكثر تعقيداً، وعمقاً، وخطورة ممَّا قد يوحي به السياسيون، والمحللون، والكتّاب الغربيون، كما أنها أكثر عمقاً من إدراك، وفهم أصحاب الحركات الدينية أنفسهم، ذلك أن المظاهر الخارجية الشكلية لا تعكس حقيقة المشكلة؛ لأنها مشكلة متعددة الوجوه، والأبعاد، وعملية عقلها علمياً لا تكون من خلال التعامل مع تعبيراتها الخارجية، وتحليلاتها السياسية لكن من خلال الغوص في البنيَة التحتية العميقة للعقل المتعامل معها، واستقصاء الأسباب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية الحافزة على ظهورها كإشكالية اجتماعية دنيوية؛ ذلك أن الله عز وجل دائم الوجود، والإسلام ـ قرآن وسنة ـ موجود منذ حوالي ألف وأربعمائة سنة، والجماعات الدينية لم تأت بآية قرآنية جديدة، ولا بحديث نبوي جديد، كما أن هذه الحركات الدينية، أو المد الديني يظهر، ويختفي على شكل موجات بين فترة، وأخرى، وهذا الاختفاء ثم الظهور تكمن أسبابه في ظروف سياسية بحتة بالدرجة الأولى، واجتماعية واقتصادية، أي: أنه يخضع لشروط دنيوية، وليست دينية(3).

---

(1) انظر: التبشير والاستعمار: مصطفى خالدي وعمر فروخ. ص180: 184. بتصرف.

(2) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى: أحمد محمد زايد، ص313– 314.

(3) انظر: المدرستان الاقتصادية والميكانيكية في علم الاجتماع: الكسندر سوركن. ص53. ترجمة: حاتم الكعبي. (دار. ب) بيروت (ط. ب).

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية، والنصرانية
على الإسلام في المجال العسكري

مفهوم الإنفاق العسكري:

الإنفاق العسكري يعني الإنفاق الشمولي، ويشمل: الإنفاق الأمني الذي يتمثل في الإنفاق المباشر على: الدفاع المدني، والشرطة، والمخابرات، والبنود الأمنية، والموازنات، والوزارات، و...، وأما الإنفاق غير المباشرة: كالإنفاق على إنشاء الملاجئ، وتكاليف المستعمرات، والترتيبات الأمنية في كافة القطاعات، ومنها الإنفاق على الدفاع الجوي المسلح الخارجي بوزارة الدفاع(1).

وبما أن الإنفاق العسكري الأمريكي على إسرائيل تجاوز كونه محصلة صراع عربي صهيوني، وتحوّله إلى صراع عربي إمبريالي استعماري ـ كما ذكرنا آنفاً ـ؛ لأنه أوكل لإسرائيل القيام بدور الوكيل الشرعي عنه في المنطقة التي تعتمل فيها العوامل الاستراتيجية، والاقتصادية، والسياسية،.و..، وبذلك يمكن القول إن الإمدادات العسكرية لإسرائيل لا تعد إنفاقاً خاصاً بها بقدر ماهو امتداد لإنفاق الدوائر الإمبريالية على مصالحها التي ترعاها لها إسرائيل بالمنطقة؛ لذلك أصبح للعبء الدفاعي في إسرائيل خصوصية تختلف تماماً في تفسيرها، ونوعها عن سائر الدول الأخرى بصفة عامة، وانعكس ارتفاع أهمية المكوِّن الخارجي في الإنفاق العسكري الإسرائيلي بآثار جلية تصب في صالحها منها:

1- جعل مخرجات هذا الإنفاق على الدفاع على أنه سلعة من قبيل السلع العادية الضرورية، وسعرها ليس عاملاً حاسماً في تقرير الطلب عليها.

2- جعل من الدفاع بوصفه وظيفة من الوظائف الراقية تسعى إسرائيل إلى إدامتها، ورعايتها، وجعلها من أكثر الوظائف حماية، وعدم مجابهتها بمشاكل تشريعية كغيرها من الوظائف.

3- لم يتح للأحزاب السياسية المتعاقبة على الحكم امتلاك تحديد مستوى الإنفاق العسكري، وحتى المؤسسة العسكرية نفسها لا تمتلك تقرير مستوى الإنفاق.

4- العمل على إرباك الموازنة، وعدم تكامل بنودها؛ لعدم القدرة على تحديدها؛ ولجعلها مفتوحة.

5- شحن سباق التسلح في المنطقة، وتصعيده.

وبناءً على ما سبق يتضح أن إسرائيل استغلت، وبجدارة اعتماد الطرف الإمبريالي الاستعماري عليها؛ لضمان مصالحه بالمنطقة، وتحقيق أهدافه، وحرصه على المحافظة على بقاءها، وإمدادها باحتياجاتها العسكرية التي تفرضها بما يكفل لها الدفاع عن نفسها؛ لعلمها بحقيقة وجودها، وبما أن إسرائيل تشعر دائماً بالخوف، والذعر من الجانب العربي، وأن أمتها مهددة بالفناء من جانبه جعلت الإنفاق العسكري من أولى أولوياتها بمكوناته المحلية، والخارجية(2).

وبناءً على هذه المخاوف تعددت، وتنوعت صور المساعدات الأمريكية لإسرائيل، وبلا تحفظ، ومن أبرزها ما كشف عنه تقرير ديوان المحاسبة الأمريكي أن إسرائيل تلقت من أمريكا في العام المالي (1982: 1983م) ما يزيد عن (24) مليار دولار منها (16) مليار دولار في المجال العسكري، ويذكر نفس التقرير أن إسرائيل حصلت من أميركا حتى عام (83م)، وعلى (700) طائرة مقاتلة، و(2100) دبابة ثقيلة، و(5700) دبابة خفيفة، و(500) مدفع مركب على دبابة، وهذه العطاءات تعادل (45%) ممَّا منح لدول أوروبا مجتمعة(3)، كما أن الإحصاءات تضاعفت مع الأيام، ومن مختلف الدول الأوروبية هذا ما أعلن عنه، وما خفي كان أعظم،... ولا يستطيع أي دارس أن يقف على إجمالها، أو تفصيلها، للأسباب المذكورة أعلاه الفقرتين (3 ,4).

من المعلوم بالمشاهدة أن الكيان الصهيوني لا موارد مادية له، وما يمتلكه حالياً من ترسانة عسكرية نووية قوية وفقاً لأحدث تطورات التقنية الحديثة يدلل على هذا الدعم الأورمريكي، وليس أدل على هذا الدعم ما ظهر بوضوح، ودون جهد تحليلي سياسي لأحدث الاعتداء الصهيوني الإسرائيلي على لبنان في صيف عام (2006م)، إذا أنها بدون المساندة السياسية، والعسكرية منهما لما تجرأت على إنفاذه.

ومن صور التحالف ضد الإسلام من أجل حماية الكيان الصهيوني أرست الولايات المتحدة

---

(1) انظر: العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد حرب تشرين الأول 1973م: أمين محمود عطايا. ص20. الرواد للنشر والتوزيع. بيروت (ط1: 1993م) بتصرف.

(2) انظر: الإنفاق العسكري الإسرائيلي (1965ـ 1990م): طلال كداوي. ص38. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة أطروحات الدكتوراه (31). لبنان. بيروت (ط2: 2000م).

(3) انظر: فلسطين والمواقف العربية والدولية: إبراهيم المسلم. ص62: 63. دار الأصالة. الرياض (ط1: 1985م).

الأمريكية في سياستها قاعدتين أساسيتين مهمتين مستمرة حتى اليوم:

الأولى: إغراق إسرائيل بالمساعدات العسكرية، والمالية التي أشرنا إليها أعلاه.

الثانية: مراقبة التسلح العربي، ومنع الدول العربية من الحصول على أي نوع من أنواع الأسلحة سواء أكانت دفاعية، أو هجومية(1).

ثم بالغت في دعمها بكل وسائل الدعم العسكري، والاقتصادي، والسياسي على كل الأصعدة، وفي كل مناسبة، وبخاصة في المحافل الدولية، ومجلس الأمن باستعمال حق النقض الفيتو ضد أيّ مشروع، أو قرار يُصوَّت عليه لصالح الفلسطينيين، أو يكون فيه إدانة لإسرائيل، وإن كان لا يترتب عليه أي موقف عملي، أو أثر واقعي، والموقف الراهن من المجازر الأخيرة التي يتعرض لها الفلسطينيون شيوخاً، ونساءً، وأطفالاً دليل واقعيٌّ، وشاهد صادق على ذلك الانحياز الظالم(2).

بدايات المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل وآثارها السلبية على المنطقة:

بدأت المساعدات الأمريكية تصل إلى إسرائيل منذ بداية إنشائها ككيان محتل، وقد وافق الرئيس الأمريكي ترومان على قرض قيمته (135) مليون دولاراً تقدمت به حكومة بن غوريون؛ لاستيعاب المستوطنين اليهود الجدد المهاجرين من مختلف دول العالم، ونُقل عن ترومان في خطاب له ألقاه في: 1948/10/28م قوله: «أولاً: هذه مسؤوليتي أن أرى سياستنا في إسرائيل تتوافق مع سياستنا في العالم بأسره، ثانياً: إنها رغبتي؛ لبناء دولة ديمقراطية حرة، مستقلة، وقوية بشكل كاف لجعل سكانها معتمدين على ذاتهم، وآمنين»(3).

- خلال الفترة بين عامي (1949: 1973م) كان معدل ما تحصل عليه إسرائيل سنوياً يبلغ (122) مليون دولار، وقد بلغ حجم تلك المساعدات في تلك الفترة (1.3) مليار دولار منها (277) مليون دولار فقط مساعدات عسكرية.
- في عام (1962م) بدأت إسرائيل بشراء الأسلحة من الولايات المتحدة إلا أن أول منحة عسكرية وصلت إليها كانت خلال حرب أكتوبر عام (1973م)، وقد برر الكونغرس تلك المساعدة بالقول إن ضعف إسرائيل عسكرياً سيؤدي إلى نشوب حروب مستمرة في المنطقة، وفي الأيام الأولى لتلك الحرب تعرضت إسرائيل لخسارة كبيرة في العتاد،... وقتها أمر الرئيس نيكسون ووزير خارجيته هنري كيسنجر بشحن ما طلبته إسرائيل من أسلحة، وذخائر، وصواريخ، وأضافت إليها الولايات المتحدة (20) طائرة مقاتلة من طراز (إف4).
- منذ عام (1974م) بدأت المساعدات العسكرية الأمريكية تنهمر على إسرائيل حتى زادت على (100) مليار دولار، واستطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ربط أي عملية سلام مع الجانب العربي بهِبات عسكرية أمريكية ضخمة(4).
- بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام (1979م) نالت إسرائيل مبلغ (5) مليار دولار؛ لإعادة نشر قواتها المنسحبة من شبه جزيرة سيناء، وبناء مطارات جديدة في النقب المحتل.
- حصلت على مبلغ (1.2) مليار دولار من الولايات المتحدة عام (1998م) بعد توقيع اتفاقية "واي ريفر"(5).
- مع بدء المفاوضات مع سوريا في العقد الماضي أعدت إسرائيل فاتورة بمبلغ (17) مليار دولار لدفع كلفة الانسحاب من الجولان، وأدى توقف المفاوضات وقتها إلى عدم حصول الجانب الإسرائيلي على المبلغ المطلوب.

---

(1) انظر: الأصولية الإنجيلية: محمد السماك. ص111.

(2) انظر: نفسه: ص112.

(3) انظر: اللوبي اليهود وسياسة أمريكا الخارجية: إدوارد تيفين.ت: د.محمود زايد. ص257- 258. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. بيروت (ط4: 1993م).

(4) انظر: نفسه: ص262، وانظر: السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي 1967- 1973م: د. هالة أبو بكر سعودي. ص189. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة أطروحات الدكتوراه (4). بيروت (ط2: 1986م).

(5) اتفاقية واي ريفر: نصت اتفاقية واي ريفر التي وقعت عام 1998 على الانسحاب الإسرائيلي من بعض مناطق الضفة، وعلى اتخاذ تدابير أمنية لمكافحة الإرهاب، وتوطيد العلاقات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل. وإعادة الانتشار الثاني للقوات الإسرائيلية في الضفة الغربية على أن تتم إعادة الانتشار على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى والثانية: وتشمل إجراءات تسهيل تطبيق الاتفاق الانتقالي بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع في الثامن والعشرين من سبتمبر/ أيلول 1995 واتفاقات أخرى ذات صلة بينها خاصة تلك المتعلقة بعمليات إعادة انتشار إضافية وبقضايا الأمن، المرحلة الثالثة من المزيد من إعادة الانتشار، وتتكون فيها لجنة يتابعها وزير الخارجية الأميركية آنذاك (وارن كريستوفر) ويتم إطلاع الولايات المتحدة باستمرار على ما يجري.وقد قسمت الاتفاقية إلى عدة بنود هي:
1 ـ الأمن. 2 ـ اللجان الانتقالية والشؤون الاقتصادية. 3ـ مفاوضات الوضع النهائي. 4 ـ الإجراءات الأحادية الجانب (انظر: مذكرة واي ريفر بشأن: اعادة الانتشار الثانية للقوات الإسرائيلية في الضفة الغربية واشنطن ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨م. الشبكة العنكبوتية. جوجل: واي ريفر).

• عند انسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية من غزة عام (2005م) طلبت الحكومة الإسرائيلية من الولايات المتحدة مبلغاً من المال للمساعدة في إعادة إسكان المستوطنين الذين تم إجلاؤهم عن غزة، ولكن جُمّد الطلب بسبب إعصار كاترينا الذي ضرب الولايات المتحدة.

• أعدت إسرائيل فاتورة أخرى عادلت قيمتها مبلغ (10) مليار دولار؛ لتنفيذ خطة الانسحاب من الضفة الغربية وفق مشروع أولمرت.

• ومنذ العام (1987) بدأت إسرائيل بالحصول على (1.8) مليار دولار كمساعدات عسكرية سنوياً، و(1.2) مليار كمساعدات اقتصادية لكن إدارة الرئيس الأمريكي كلنتون اتفقت مع الإدارة الإسرائيلية عام (1998م) على تخفيض المساعدة الاقتصادية بمبلغ (120) مليون دولار سنوياً على أن يحول نصفه (60) مليون للمساعدات العسكرية، ووفق هذا الاتفاق فإنه من المتوقع أن تحصل إسرائيل هذا العام على مبلغ (360) مليون دولار كمساعدات اقتصادية مقابل (2.22) مليار دولار كمساعدات عسكرية.

• إضافة إلى ذلك تمول الحكومة الأمريكية مشاريع عسكرية أخرى تقوم بها إسرائيل فعلى سبيل المثال: أنفقت الولايات المتحدة منذ العام (1986م) حتى الآن أكثر من مليار دولار على تطوير الصاروخ (أرو ـ السهم)، ولا تندرج ميزانيات التطوير هذه، وما شابهها في بند المساعدات العسكرية.

• مع بداية العام (1982م) بدأت الولايات المتحدة بإرسال المساعدات النقدية العسكرية لإسرائيل بواقع دفعة واحدة ترسل في بداية كل سنة مالية فيما يتم دفع هذه المساعدات بواقع أربع مرات في السنة للدول الأخرى، وخلافاً للدول الأخرى التي تتلقى مساعدات أمريكية فإن إسرائيل معفاة من شرح أوجه صرفها ـ كما ذكر أعلاه ـ ووفق الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين الأمريكي، والإسرائيلي يتعهد الأمريكيون حسب القانون الإسرائيلي باستثمار ما نسبته (27%) من المساعدات الأمريكية في إسرائيل نفسها، كما يلتزم الجانب الأمريكي بشراء منتجات صناعية إسرائيلية لاستخدامها في إنتاجه، وقد استثمرت شركة (لوكهيد مارتن)(1) مبلغ (900) مليون دولار في إسرائيل بعد صفقة طائرات (إف16)، واستثمرت شركة (بوينغ) مبلغ (750) مليون دولار بعد توقيعها اتفاقية بيع طائرات (إف15)، و(بلاك هوك) لإسرائيل.

• تنفق أميركا أكثر من ثلث مساعداتها الخارجية على إسرائيل التي لا تتجاوز نسبة سكانها الواحد بالألف من عدد سكان العالم، وأصبحت المساعدات الأمريكية حقاً مكتسباً لإسرائيل التي كلما وقعت اتفاقية سلام مع طرف عربي كلما زادت قيمة تلك المساعدات، كما أن المساعدات زادت بعد انتصار إسرائيل في حرب عام (1967م)(2) مما يدلل على أنها حرب صهيونية صليبية بمعنى الكلمة.

• تعزز المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل سباق التسلح في الشرق الأوسط فحصول إسرائيل على أحدث ما تنتجه المصانع الأمريكية يحتم على الدول العربية المجاورة شراء أسلحة تضاهي الأسلحة التي تحصل عليها إسرائيل؛ لحماية نفسها علماً أنه لا يوجد دولة في العالم تبيع أي دولة عربية أسلحة مجهزة تقنياً كالأسلحة التي تملكها إسرائيل، وبذلك تكون الولايات المتحدة عملياً قد سلحت إسرائيل مجاناً من خلال الأرباح التي تجنيها الشركات الأمريكية من بيع أسلحتها للدول العربية.

• ووفق القانون الدولي تعتبر إسرائيل دولة محتلة، وإذا اقتصر مفهوم الاحتلال على أراضي عام (1967م) فعلى إسرائيل الانسحاب منها، وكان "كوفي عنان: قد وجه نداءً للحكومة الصهيونية بتاريخ: 2002/3/12م دعاها فيه إلى الانسحاب، وإنهاء احتلالها غير القانوني للأراضي العربية المحتلة لكن إسرائيل، وبمساعدة الولايات المتحدة لا تضع للقرارات الدولية أي اعتبار.

• كما تنتهك الصهيونية العالمية الاتفاقيات الدولية، وخاصة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومنها اتفاقية جنيف الرابعة فتدمر إسرائيل منازل المواطنين الفلسطينيين، وتتلف محاصيلهم الزراعية، وتستولي على مصادر مياههم، وتلوث بشكل مقصود بيئتهم، وتصادر أراضيهم لبناء المستوطنات

(1) لوكهيد مارتن: شركة أمريكية، هي أكبر شركة لمقاولات التسليح في العالم من حيث الدخل، توظف حوالي 140000 شخص. قامت الشركة بتطوير أول طائرة تستخدم تقنية التخفي من الرادار و التي دخلت الخدمة في سلاح الجو الأمريكي تحت اسم (أف 117) (نايت هوك). وكانت تصنع العديد من الطائرات المدنية مثل لوكهيد (إل 1011) ترايستار، وتقوم الشركة حاليا بتصنيع طائرة الجيل الخامس الأمريكية (أف 22) رابتور، كما فازت بعقد تصنيع مركبات الفضاء أورايون والتي من المتوقع أن تخلف مكوك الفضاء بعد تقاعد أسطوله عام 2010. (انظر: الشبكة العنكبوتية. موقع الموسوعة الحرة: من ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org) www.googel.com).

(2) انظر: السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي 1967- 1973م: د. هالة أبو بكر سعودي. ص189. وانظر: مجلة فلسطين المسلمة: ص39، عدد كانون الأول (ديسمبر) 2006. وانظر:العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد حرب تشرين الأول 73م. أمين عطايا. ص55.

عليها، وتعتقلهم، وتعذبهم في السجون، وعلى الحواجز، وتحرمهم من العمل.

● إن الكيان الصهيوني عنصري قام على حجج دينية واهية تمجد اليهود، وتحتقر من سواهم، وتعمل على حمايتهم من الظلم الذي حاق بهم من خلال توطينهم في فلسطين؛ لذلك عملوا على طرد سكان البلاد الأصليين، ومَن لم يستطيعوا طرده ينظرون إليه كمواطن من الدرجة الدنيا، وقد شرّعوا لذلك قوانينهم مثل قانون حق العودة لليهود، وقانون الجنسية، فيما يعاني الفلسطينيون أصحاب الأرض من عدم القدرة على الحصول على رخصة بناء منزل، كما تعاني تجمعاتهم السكانية من سوء الخدمات في مجالات الطاقة الكهربائية، والخدمات البلدية الأخرى.

إن هذا الدعم المشبوه لإسرائيل يعرض الولايات المتحدة للانتقاد من المنظمات الدولية بشكل مستمر، كما يهدد مصالحها في العالمين العربي، والإسلامي، ويخشى خبراء أمريكان من انتقام مجموعات تحمل أفكاراً متطرفة من الولايات المتحدة على أراضيها، الأمر الذي يعرض سلامة المواطنين للخطر، وفي هذا يقول الرئيس "فورد" بعدما ضاق ذرعاً بالتجاوزات الإسرائيلية: «على الولايات المتحدة إعادة تقويم سياستها في الشرق الأوسط بما فيها سياستنا تجاه إسرائيل إذ لم تبدي مزيدا من المرونة»(1)، وسجل كيسنجر ملاحظة مماثلة عليها حيث يقول: «عندما أطالب رابين بتقديم تنازلات فيقول بأن إسرائيل ضعيفة إلى حد أنه لا يستطيع فعل ذلك، وعندما أقدم له أسلحة يقول: بإنه ليس مضطراً إلى تقديم تنازلات لأن إسرائيل قوية»(2).

---

(1) مجلة فلسطين المسلمة: عدد كانون الأول (ديسمبر) 2006م. ص25. وانظر: الخداع: بول فندلي.ص235.

(2) الخداع: فندلي. ص235.

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية النصرانية
على الإسلام في المجال الاقتصادي

الإسلام دين شامل شرعه الله لنا، وألزمنا بضوابطه؛ لإسعادنا في المعاش، والمعاد، ولم يغادر شيئاً فيه صلاحنا إلا، ونص عليه، أو أشار إليه، ويعد النظام المالي الإسلامي الاقتصادي أحد هذه الأنظمة الشاملة المنضبطة الذي يحقق لهذه الأمة عزتها، وكرامتها، ويحقق لها النماء، والكفاية، والتقدم الحضاري، وقد تعرض هذا النظام الإسلامي إلى المؤامرة تلو الأخرى بهدف تغييبه، وإحلال أنظمة اقتصادية بديلة مكانه بعضها رأسمالية غربية، وأخرى شيوعية شرقية، شقيت بها الأمة، والإنسانية، ويقوم الاقتصاد الإسلامي على عدد من المرتكزات، والقواعد الأساسية من أبرزها الالتزام بالقيم، والعقائد الدينية عند ممارسة نشاطه، ومن أهمها الأمانة، والصدق، والعدل، والتيسير على المعسر، والتصدق على المفلس، والتعاون على البر، والتقوى، وإخراج زكاة الأموال، وغيرها، والأصل في الإسلام في المعاملات الاقتصادية الحل إلا ما نص الشارع على تحريمه، كما يتميز النظام المالي الإسلامي بعدة مزايا منها: الجمع بين الثبات والتطور، وبين المصلحتين الخاصة، والعامة، والجمع بين المصالح المادية، والحاجات الروحية خاصة الإحساس بالله تعالى، ومراقبته في كل نشاط مادي(1).

أما في الغرب فنجد أن النظام الاقتصادي يقوم على أساس الملكية الفردية، والشركات لكل وسائل الإنتاج بأنواعها المختلفة وهم أحرار يسيرون طبقاً لمصالحهم الخاصة، ووفقاً لما يختارونه، وهم أحرار في الكسب، وجمع الثروات، ـ سواء كان طريقها الحلال، أو الحرام ـ، والتصرف بها، والإنفاق بطرق مشروعة، وغير مشروعة، كما يعتمدون الربا في المرابحات المالية.

وللتجارة، ورجال الأعمال القائمين عليها جهود واضحة في نقل الأفكار فرجال الأعمال الغربيون يحملون معهم أفكارهم إلى بلاد المسلمين، ويعملون على خدمة أهدافهم بطرق غير مباشرة، ودون وضوح بارز، وهذا ما فعله الفرنسيون في لبنان، وسوريا، والمغرب العربي، وجنوب الصحراء الكبرى، وفي البلاد التي احتلوها، وفي ذلك يقول أنيس صائغ في كتابه لبنان الطائفي: «كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية النصارى في الشرق، وخاصة الموارنة في لبنان، ودعمت فرنسا هذه السياسة المستترة بثوب ديني بتعهد العلاقات التجارية، والإرساليات التبشيرية، بين لبنان، وفرنسا، وضاعفت عنايتها بأمور التجارة، وأرسلت القناصل، وأسست المكاتب، والمراكز الثابتة؛ لتسهيل أمورها»(2).

ولا تزال هذه الوسيلة سارية المفعول لاسيما مع إصرار معظم الدول الإسلامية على الانخراط في ركب الحضارة المادية الحديثة، والدخول في منظمات التجارة العالمية في الوقت الذي لا تزال تعاني فيه من نقص الخبرات البشرية، والمحلية، والإمكانات المادية، فتضطر إلى الاقتراض، وجلب الشركات الأجنبية بعمالها، وإداراتها الأجنبية، وربما استخدمت الشركات بعض العاملين المحليين، وأملت عليهم الأنماط الإدارية، وعبرت من خلالها إلى غاياتها(3).

وليس جديداً على الساحة التجارية أن يأتي بعض الذين يخدمون أغراضاً دينية، أو سياسية بثياب التجار، وهذه الوسيلة ثبت مع الوقت جدواها، وكذلك بُعدها عن الاكتشاف إذ يشيع بين الناس أن العلاقات في هذا المجال مع الآخرين تجارية فقط لا تتعدى التبادل التجاري، وهذا التفكير سطحي، وساذج فالغربيون دائماً يخدمون مصالح بلادهم الاستعمارية، والدينية التنصيرية، كما يخدمونها اقتصادياً، ويقدمون هذه الخدمات، والمصالح لبلادهم من باب الولاء لها، ولقادتها الروحيين.

ونجد أن الأصولية التدبيرية شكلت تحالفاً؛ لدعم دولة إسرائيل، وقيامها، وأغدقت عليها الأموال بلا حصر لكي تقف على قدميها؛ لتهدد بقوتها العرب، والمسلمين، وقبل إيراد نماذج للأموال التي تمد للكيان الصهيوني لابد من التأكيد على أن كل الرؤساء الأميركيين كانوا متفهمين لمصالح إسرائيل التي تصب في مصالحهم المشتركة غاضين الطرف عن المصالح العربية، ولعل التحيز الأمريكي، والأوربي على مدى الخمسين عاماً الأخيرة واضح للعيان لكن على درجات، ونسب متفاوتة، ولا يشك فيه أحد فالكيان الصهيوني لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا بالدعم المالي، والاقتصادي من أميركا، وأوروبا، وسوف أشير هنا إلى مرحلتين للدعم الاقتصادي لإسرائيل:

المرحلة الأولى: من عام (1948-1963م):

---

(1) انظر: الوجيز في الاقتصاد الإسلامي: محمد شوقي الفنجري. ص11:19. دار الصحوة للنشر. القاهرة (ط: 1985م).

(2) لبنان الطائفي: أنيس صائغ. ص106. دار الصراع الفكري. بيروت (ط: 1955م).

(3) انظر: التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته: علي بن إبراهيم الحمد النملـة. ص100. (دار. ب). الرياض (ط3: 1424هـ).

حيث قدمت حكومة الولايات المتحدة في السنوات العشر الأولى من احتلال إسرائيل مساعدات مالية مقدارها (562.5) مليون دولار موزعة كالآتي:

- 165 مليون دولار عام (1950م).
- 63.5 مليون دولار عام (1952م).
- 74 مليون دولار عام (1953م).
- 37.5 مليون دولار عام (1957م).
- 89 مليون دولار عام (1958م).

ولا يدخل في هذا النطاق المبالغ التي يدفعها يهود أميركا كل عام، والتي تصل إلى (60) مليون دولار إضافة إلى (70) مليون دولار في المتوسط ثمناً لشراء السندات الإسرائيلية[1]، وقد وزع هذا المبلغ وفقاً لما يأتي:

- (792) مليون دولار على شكل مساعدات، وقروض.
- (500) مليون دولار من سندات قروض الاستقلال، والإعمار الإسرائيلية.
- (620) مليون دولار على شكل هدايا، ومنح، وهبات.
- كما وصلها من عام (1962م) إلى عام (1963م) مبلغ (780) مليون دولار[2].

ويلحظ على تلك المساعدات أنها مساعدات رسمية حكومية خالصة بخلاف المساعدات الخاصة من المجتمع الأمريكي، كما أنها مساعدات قدمت في شكل معونة لإسرائيل دون قيد، أو شرط، وهي لا تتناسب مع مساعدات أمريكا لبقية الدول.

المرحلة الثانية: من عام(1964م) إلى تاريخه:

ظل حجم المعونات في المرحلة السابقة بالنسبة للمرحلة الثانية ضئيلاً حيث تزايدت المعونات في المرحلة الثانية تزايداً كبيراً بمقدار(2000%) في عقد السبعينات وحده حيث بلغت (16.3) مليار دولار. أما في عقد الثمانينات قامت الحكومة الأمريكية بتحويل كل المعونات إلى منح، وزيادة حجمها مقدار الضعف تقريباً فبلغ مجموع ما حصلت عليه إسرائيل خلال الفترة من (1980: 1989م) ما يزيد عن (28) مليار دولار وهي ما زالت مستمرة بهدف إضعاف العرب، والمسلمين، والنيل منهم[3].

ولقد أخذ التحالف الصليبي الصهيونية على الإسلام، وأهله شكلاً أوسع، وأقوى؛ لتقوية الصف المعادي للإسلام فالحرب، والقتل، والتدمير هي لغتهم منذ ظهور نور دعوته، ورسالته ^، وينفقون أموالاً طائلة عليها للصد عن سبيل الله، ويوالي بعضهم بعضاً؛ لإبادة المسلمين، كما أقر ذلك عز من قائل في كتابه الكريم بقوله: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾ (سورة الأنفال، آية: 36)، وقوله: ﴿لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ ...﴾ (سورة الأنفال، آية: ٧٣).

ولذلك وجهت الصهيونية العالمية جميع سلطانها في العدوان على المسلمين، وضرب اقتصادهم، وساعدهم في ذلك علمانيو، وليبراليو، ومنافقو العالم الإسلامي، ودخولهم للعالم الإسلامي بالأسماء المستعارة كالاستثمار، والتبادل التجاري، والعولمة...إلخ. مما لم يعد خافياً على أحد من المهتمين بأمر هذا الدين، وأهله حتى آل الأمر إلى أن يكون المال دُولة بين الأغنياء، وقد حذر المولى عز وجل من ذلك بقوله تعالى: ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ﴾ (سورة الحشر، آية: 7) فاحتكروا المال، وأغرقوا فقراء المسلمين بسيل من الديون التي تتضاعف مع الزمن، وأكل القوي منهم الضعيف، ومحقت بركة المال، وتناسوا وعيد الله ـ عز وجل ـ لمن قام بمثل هذا الاحتكار، غاضي الطرف عن حقوق فقراء المسلمين التي خصها الله لهم في أموالهم.

ومن صور العدوان على أموال، وثروات، واقتصاد العالم الإسلامي:

أولاً: جر أبناء الأمة الإسلامية إلى حب المال، وتعظيمه:

---

(1) انظر: تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا: فيصل أبو خضراء. ص176: 178. (دار. ب). الرياض (ط.ب).

(2) انظر: وهكذا ضاع الشرق الأوسط: الفريد ليتنال. ص110: 112. من سلسلة اخترنا لك رقم (38) دار القاهرة للطباعة. القاهرة (ط.ب).

(3) انظر: تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا: فيصل أبو خضراء. ص178: 182.

وذلك باعتبار جمع المال غاية لا وسيلة؛ للعيش الكريم الحلال فلا يتوخوا الطرق الشرعية الحلال في الحصول عليه، وبذلك صدَّروا إلى ديار المسلمين صنوفاً من البضائع، والوسائل الكثيرة من المعاملات المحرمة، ومن أعظمها، وأشدها خطراً (الربا) الصريح بكل أشكاله، واستحداث المعاملات المصرفية التي تقوم على الربا تارة، وعلى الجهالة، والغرر تارة، وعلى النصب، والتحايل تارة أخرى، ولا يخفى ما في ذلك من محق لبركة المال، وغش، وغرر، وظلم للفقراء، وما أكثرهم، وفي كل ذلك عدوان على أمن الناس في أموالهم، ومؤذن بعقوبة، وحرب من الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادَلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ﴾ (سورة البقرة، الآيات: ٢٧٨ – 280).

ثانياً: استنزاف أموال المسلمين:

وذلك بسحب رؤوس أموال المسلمين للاتجار بها في ديار الكفر، ولا يخفى ما في ذلك من دعم لاقتصادهم، وفي المقابل إضعاف لاقتصاد المجتمعات المسلمة، كما أن غالب هذه الاستثمارات تقوم على الربا الصريح، والمعاملات التجارية المحرمة، فأصبح همهم كسب المال أيّاً كانت الذريعة، أو الوسيلة، ومعلوم بالضرورة ما في ذلك من إضعاف للمسلمين، وكسرشوكتهم، والتسلط عليهم، والسيطرة على مقدراتهم.

ثالثاً: ما خلفه الغزو الاقتصادي من أثر على أبناء الأمة الإسلامية:

نشأ من غزوهم، وعدوانهم على الدين، والمال، والأخلاق الإسلامية المتمثلة في الأخلاق الاقتصادية ضعف الخوف من الله، ومن ثم ضعف الوازع الديني، فانتشرت جرائم النصب، والاحتيال، والسرقة، والاعتداء على أموال الناس بالقوة بتبريرات برجماتية نفعية تُعلى جانب المصلحة الذاتية (الأنا العليا) على ما سواها من حقوق دينية، أو إنسانية.

رابعاً: إشغال المجتمعات المسلمة بجمع أكبر قدر من المباهج الدنيوية:

يتركز معظمها في الرغبة في سرعة الغنى، والحصول على المال الوفير الزائد عن الحاجة، وليس أدل على ذلك ما حدث لسوق الأسهم الدولي، والعالمي الذي جر الويلات على الشعوب الإسلامية، وأغرق المسلمين في الديون العظام، ولم يرحم حتى رجل الشارع البسيط، وهذا ما يريده أعداء الأمة.

خامساً: تضييق الخناق على الجمعيات الإنسانية الخيرية للمسلمين:

التي كان لها الأثر العظيم في مواساة فقراء المسلمين في كل مكان، وكفالة الأيتام، ودعم الدعاة إلى دين الله، وطباعة الكتب الإسلامية، ونشرها، ونصر المجاهدين في سبيل الله، وإغاثة اللاجئين، والمنكوبين من المسلمين، ولم يقف الأمر عند التضييق، بل ذهبوا إلى مصادرة أموال هذه الجمعيات، أو تجميدها، وتـخويف الناس، وإرهابهم من دعمها، أو الإنفاق في وجوه الخير فهل بعد هذا العدوان من عدوان على المال الحر الحلال؟.

سادساً: إغراق أسواق العالم الإسلامي بالبضائع المستوردة من بلادهم:

وهذا بدوره يقوي اقتصادهم، ويضعف اقتصاد المسلمين فتصبح الدول الإسلامية مستوردة، ومستهلكة، لا منتجة مصدرة، بل إنهم يضعون العوائق أمام الإنتاج المحلي للبلاد العربية، والإسلامية؛ لئلا تستغني عن بضائعهم فوق ما في ذلك من تبعية للأعداء، وبخاصة فيما يتعلق بالغذاء، والطعام، والملبس، ومعلوم بالضرورة أن أمة لا تمتلك أن تنتج غذاءها فإنها لا تمتلك أمنها، فالأمن على الغذاء ليس هو فقط أمن أكل، وشرب يأمن صاحبه فيه من الموت، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى أن يؤثر على أمن الدين، والنفس، والعرض؛ لأن المرء تحت وطأة الجوع معرض للعديد من التنازلات بحثاً عن اللقمة ـ عياذاً بالله ـ كما يحدث في عمليات (التبشير) المشاهدة في دول العالم الثالث التي تعيش تحت خط الفقر، والعوز.

سابعاً: القيام بالحملات الدعائية الواسعة المروجة لتجارتهم:

حرصت الدول المصدرة للدول الإسلامية على شن الحملات الدعائية المتلفزة، وغير المتلفزة، والتي تروج لسلعهم، وتدفع المستهلك إلى شرائها بمزاعم براقة كاذبة تـخدعه، وتـخدم مصالحهم، فغدا المسلم نتيجة لوقوعه في براثن هذه الدعايات فيشتري ما يحتاج، وما لا يحتاج لاختلاط الأمر عليه في الأنفع، والأصلح كون الدعايات تحمل شعارات براقة خادعة تضمن من خلالها، القوة الشرائية للمنتج، وهذا يصب في قوة اقتصادها في الحين الذي يحجم المستهلك المسلم

عن الصناعات المحلية(1).

ثامناً: وضع اليد على ثروات البلاد الإسلامية ومقدراتها:

وأهمها البترول، والنفط، ومشتقاته، والذهب، والمعادن بأنواعها، والتحكم في إنتاجها، وأسعارها عالمياً...، وهذا كله ساعد في فشل كل وسائل التنمية الاقتصادية داخل أجزاء الوطن الإسلامي، والعربي، والذي من نتيجته ضعف الاقتصاد، وانهياره في عدد من الدول ذلك أن كل محاولات التصنيع، والبناء الاقتصادي السابقة كانت تجري في ظل التبعية الأيديولوجية للغرب فقامت في داخل الوطن مؤسسات اقتصادية، وصناعية تحمل جوهر الغرب الحضاري،...، وشيئًا فشيئًا بدا واضحًا أن مصانعنا مهما بلغت ضخامتها قد تتوقف نهائيًا من أجل قطعة غيار صغيرة، أو بانتظار الخبير الأجنبي، وكانت النتيجة أن نموًا زائفًا يطفو على سطح مجتمعاتنا؛ لتزداد مشاكلنا الاجتماعية تعقيداً، ونزداد بالتالي تبعية للغرب مصدر التكنولوجيا فلا حققنا النهضة الاقتصادية، والصناعية، ولا حققنا الاستقلال الاقتصادي، ويبدو واضحًا أن الإسلام وحده القادر على فهم هذه الظاهرة، وهو بالتالي وحده القادر على التصدي لها.

وهذا ما جهله أبناء أمتنا من المسلمين عن دينهم، وفطن له الغرب برغم عدائهم للدين الإسلامي، وحربهم له. جاء على لسان أحد المحللين الاقتصاديين في الغرب أثر الأزمة الاقتصادية الشديدة التي تعرض لها الغرب بنهايات عام (2008م) حيث ذكر أن رئيس تحرير افتتاحية مجلة تشالينجز بوفيس فانسون كتب في افتتاحية العدد الصادر بتاريخ 5 أكتوبر الماضي موضوعاً بعنوان (البابا، أو القرآن)، وأثار موجة عارمة من الجدل، وردود الأفعال في الأوساط الاقتصادية فقد تساءل الكاتب فيه عن أخلاقية الرأسمالية؟، ودور المسيحية كديانة، والكنيسة الكاثوليكية بالذات في تكريس هذا الاتجاه، والتساهل في تبرير الفائدة مشيراً إلى أن هذا النسل الاقتصادي السيئ أودى بالبشرية إلى الهاوية، وتساءل عن موقف الكنيسة، ومستسمحاً البابا "بنديكيت" السادس عشر قائلا: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلا من الإنجيل؛ لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم، وأحكام، وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث، وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود»(2)، وفي الإطار ذاته لكن بوضوح، وجرأة أكثر طالب رئيس تحرير صحيفة لوجورنال "د. فينانس رولان لاسكين" في افتتاحية هذا الأسبوع بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي، والاقتصادي؛ لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، وعرض لاسكين في مقاله الذي جاء بعنوان: هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؛ لتلافي المخاطر التي تحدق بالرأسمالية، وضرورة الإسراع بالبحث عن خيارات بديلة؛ لإنقاذ الوضع، وقدم سلسلة من المقترحات المثيرة في مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية برغم تعارضها مع التقاليد الغربية، ومعتقداتها الدينية، وقد استجابت فرنسا لهذه النداءات، وأصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية ـ وهي أعلى هيئة رسمية تعنى بمراقبة نشاطات البنوك ـ في وقت سابق قراراً يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية، والبيوع الرمزية التي يتميز بها النظام الرأسمالي، واشتراط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من أبرام العقد، وهو ما يتطابق مع أحكام الفقه الإسلامي، كما أصدرت نفس الهيئة قراراً يسمح للمؤسسات، والمتعاملين في الأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامي في السوق المنظمة الفرنسية مشيرة إلى أن الصكوك الإسلامية هي عبارة عن سندات إسلامية مرتبطة بأصول ضامنة بطرق متنوعة تتلاءم مع مقتضيات الشريعة الإسلامية، ومن خلال ضرورة البحث عن خيارات بديلة عن الاقتصاد الرأسمالي المنهار تصب مجمل الخيارات في خانة البديل الإسلامي. ففي كتاب صدر مؤخراً للباحثة الايطالية "لووريتا نابليوني" بعنوان اقتصاد ابن آوى أشارت فيه إلى أهمية التمويل الإسلامي، ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، واعتبرت الباحثة أن مسؤولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي الذي نعيشه اليوم ناتج عن الفساد المستشري، والمضاربات التي تتحكم بالسوق، والتي أدت إلى مضاعفة الآثار الاقتصادية، وأضافت أن التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي بعد تحطيم التصنيف الغربي الذي يشبه الاقتصاد الإسلامي بالإرهاب، ورأت الباحثة نابليوني أن التمويل الإسلامي هو القطاع الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوني، وأوضحت أن المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك الغربية. فمع انهيار البورصات في هذه الأيام، وأزمة القروض في الولايات المتحدة فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يظهر تصدعاً، ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة، وذكرت أنه منذ عقدين من الزمن تطرق الاقتصادي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في

---

(1) انظر: يسألونك عن الإرهاب: أحمد ضميرية. ص 215- 217. (دار. ب). بيروت (ط: 2006م).

(2) جريدة الوطن الكويتية: إعداد سالم عبد الغفور. اقتصاديون كويتيون: توقعنا انهيار النظام الرأسمالي ولكن ليس بهذه السرعة تاريخ النشر: 2008/10/14م. ص15.

الاقتصاد "موريس آلي" إلى الأزمة الهيكلية التي يشهدها الاقتصاد العالمي بقيادة الليبرالية المتوحشة معتبرا أن الوضع على حافة بركان، ومهدد بالانهيار تحت وطأة الأزمة المضاعفة المديونية، والبطالة، واقترح للخروج من الأزمة، وإعادة التوازن شرطين هما تعديل معدل الفائدة إلى حدود الصفر، ومراجعة معدل الضريبة إلى ما يقارب (2%)، وهو ما يتطابق تماماً مع إلغاء الربا، ونسبة الزكاة في النظام(1).

(1) انظر: نفسه: ص16.

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية النصرانية على الإسلام في المجال الاجتماعي

يقيم الإسلام النظام الاجتماعي على أسس، وروابط ربانية يضمن للمجتمع السلامة، والأمن، وبالتزام المسلم بها في المجتمع يعرف واجباته، وحقوقه، وتقوم الأسرة بدورها الإيجابي، وتسود الأخوة الإسلامية، كما تحف مبادئ العدالة الاجتماعية على المجتمعات الملتزمة بهذه العهود الربانية يساعد على ذلك تفاعل المؤسسات التربوية، والاجتماعية مع حركة المجتمع الإسلامي، وينتج عن ذلك كله علو الفضائل، والمحاسن، واختفاء الرذائل، والفواحش، وقد ظل المجتمع الإسلامي هكذا ردحاً من الزمان حتى أدرك العدو سر قوة المسلمين تلك القوة المتمثلة في عقيدة الأمة، وشريعتها المحكمة، وترابط أبناءها بلحمة العقيدة المتينة التي تدعو إلى الاجتماع، وتنهى عن الافتراق، وتنادي إلى الحب، والتلاحم، ورأى العدو أنه من الضرورة بمكان وضع خطة مباشرة، وغير مباشرة؛ لتدمير هذا البناء المتين بضرب العقيدة، وتدمير الأخلاق، بشتى الوسائل الممكنة، لاسيما باستخدام الوسائل غير المباشرة أكثر من المباشرة، وهذا ما صرح به المسيو آتين لامي بقوله: «إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً فالواسطة الفعالة لهدمه، وتقويض بنائه هي تربية بنيه في المدارس النصرانية، وإلقاء بذور الشك في نفوسهم منذ النشأة، حيث تفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون، وإن لم يتنصر منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين، ولا نصارى، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام مما إذا اعتنقوا النصرانية، وتظاهروا بها»(1). ولقد اتخذ أعداء الإسلام مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، كما كان مخططهم شاملاً، ومتلاحقاً، وإن كان بطيئاً في الظاهر لكنه سريع المفعول من الداخل من حيث النتائج، ويهدف المخطط الصهيوني العالمي في المجال الاجتماعي إلى مجموعة من الأهداف من أبرزها:

1- تدمير الفرد المسلم بالسيطرة على أفكاره، وثقافته، والاعتداء على قيمه، وأخلاقه، وجعله مسخاً.

2- تدمير الأسرة المسلمة بتغريبها، وخلعها عن دينها، وتقويض بنيانها التلاحمي.

3- تغريب المجتمع الإسلامي عن طريق فرض، وترويج نظم، وعادات، وأعراف اجتماعية تخالف الدين، والعرف، والأخلاق.

الهدف من وراء الأهداف المذكورة المكر بالأمة الإسلامية، وتهيئة المجتمع الإسلامي؛ لقبول المخطط الآثم، ومن ثم السيطرة عليه سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً،...؛ لتصبح ثقافة أبنائه، ومجتمعه، غربية بحته(2)، وكيدهم بإذن الله مردود عليهم؛ لأن العزة، والنصرة لله ولدينه، ولأمته كما قال تعالى: ﴿الحُجُرَات قٓ الذّاريَات الطُّور النّجم القَمَر الرَّحمٰن الوَاقِعَة الحَدِيد المجَادلة الحَشر المُمتَحنَة الصّفّ الجُمُعَة المنَافِقُون التغَابُن الطّلَاق التّحرِيم المُلك القَلَم الحَاقّة المعَارج نُوح الجِنّ المُزّمّل المُدّثّر القِيَامَة﴾ (سورة فاطر، آية: 10).

وتمثلت وسائلهم في هدم المجتمع الإسلامي فيما يأتي:

أولاً: التآمر على المرأة، والأسرة المسلمة:

لقد حاول أعداء الإسلام صبغ المجتمعات المسلمة بالصبغة الغربية؛ لإخراجهم من التبعية الدينية الإسلامية إلى التبعية الغربية، وذلك ما نص عليه اليهود في محاضر جلساتهم السرية حيث يقول أحد حاخاماتهم: «سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ــ أي جنس من غير اليهود ــ ونفسد أهميتها التربوية، ونفسد أساس الأسرة (الأم)، (الزوجة) التي هي(المرأة)، وهو ما يسعى إليه النصارى». حيث يقول جلادستون: «لابد لاختلال قوى الإسلام من رفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة ،ونغطي به القرآن، ولابد من إتيان المسكرات، والمخدرات، والفواحش، والمنكرات»(3)، وكان التركيز على المرأة شديداً، وواضحاً في هذا المخطط فهي التي بسفورها تشيع المعاصي، وتستدرج أصحاب القلوب المريضة، وتفسد الأخلاق، وبذلك تفسد أبنائها، وقد قال أحد أقطاب الاستعمار: «كأس، وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف

(1) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص78. دار الأرقم. القاهرة (ط. ب).
(2) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى أحمد محمد زايد. ص430.
(3) المرأة ومكانتها في الإسلام: أحمد عبدالعزيز الحصين. ص12. (دار. ب). القاهرة (ط:1981م).

مدفع»(1)، ومن أجل ذلك حاول أعداء الأمة ما يأتي:

1. هدم النظام الإسلامي في الزواج، وتكوين الأسرة، واستغلوا المرأة في ذلك كأمضى سلاح في تحقيق أهدافهم، وعرضوا صوراً من العلاقات بين الرجل، والمرأة تخالف العلاقة الشرعية للزواج، وأقرب مثال لذلك ما ورد في وثيقة مؤتمر السكان، والتنمية المنعقد في القاهرة عام (1974م)، حيث يذكر المشروع على سبيل المثال ما يأتي: «أنه قد أثرت عملية التغير الديموغرافي، والاجتماعي، والاقتصادي السريع في أنحاء العالم على أنماط تكوين الأسرة، والحياة الأسرية، فأحدثت تغييراً كبيراً في تكوينها، وهيكلها أما الأفكار التقليدية للتقسيم على أساس الجنس للمهام الأبوية، والمهام المنزلية، وللمشاركة في القوة العاملة بأمره فلا تعكس الحقائق، والتطلعات الراهنة»، وهذا الكلام مذكور في الفصل الخامس تحت عنوان الأسرة وأدوارها، وحقوقها، وتكوينها، وهيكلها، ويصرح المشروع في هذا الفصل في أن الأهداف في هذا الفصل تتمثل في وضع سياسات، وقوانين تأخذ في الاعتبار تعددية أشكال الأسرة، كما يطالب المشروع الحكومات بتقييم، وتطوير الآليات الكفيلة بتوثيق التغييرات، وأن تجرى الدراسات بصدد تكوين الأسرة، وهيكلها، وفي هذا يعلق الباحث الفرماوي على ذلك بقوله: «وفي هذا ما فيه من عمل ـ تحت هذه العبارات الغامضة المطاطة ـ على تشجيع الاعتراف بالأسر التي تكون خارج الإطار الشرعي سواءً كانت بين رجل، وامرأة بدون زواج، أوزواج المثلية بين رجل، ورجل كما هو موجود في بلاد الغرب، أو بين امرأة، وامرأة، وهذا شيء يتنافى، ويتناقض تناقضاً عظيماً مع علو، وعظمة تشريعات، وأخلاق ديننا الإسلامي الحنيف، ومبادئه الرامية لصالح البشر أجمعين»(2).

2. التآمر على حجاب المرأة المسلمة، ودفعها إلى التبرج، والسفور، وإظهار المفاتن، وتغليف ذلك بشعارات زائفة براقة كتحرير المرأة، والمساواة، والحرية فما هذه الدعوات إلا مؤامرة على البيت المسلم؛ لتدميره من قواعده، وبناه التحتية ـ ألا وهي: المرأة المسلمة الأم، والأخت، والابنة، والزوجة الصالحة ـ، وتحويل مساره إلى وجهة مضادة فكان من ذلك سفور المرأة المسلمة حتى العرى، والتهتك ثم الانحلال الخلقي، والسبق للانخراط في الأعمال الرجالية الشاقة التي لا تتناسب، وطبيعتها، وتكوينها الأنثوي بدعوى المساواة(3).

3. هدم الأسرة بتقويض أعظم دعامة أسرية في الإسلام ألا وهي: القوامة بدعوات كثيرة انطلقت من عدة جهات تطالب بمساواة الرجل بالمرأة حتى في مسألة الميراث ضاربين بالتشريعات عرض الحائط ، ومن هنا خرجت المرأة تنافس الرجل في مجالاته، وتعمل جاهدة على الاستقلال، وانشغلت بعملها عن دورها الحقيقي في تربية أبنائها فلا هي أحسنت عملها، ولا هي أخرجت للأمة أجيالاً تحمل رايتها، وهكذا تستمر المحاولات في القضاء على الحجاب الإسلامي؛ لنشر الاختلاط، والسفور، وظهور دعاوي منع الزواج بأكثر من واحدة التعدد، وإباحة زواج المسلمة بغير المسلم، ولم يكن اليهود، والنصارى، وحدهم المنادين بذلك، بل وجدوا آذناً صاغية عند العلمانيين، والحداثيين، والليبراليين من أبناء أمة الإسلام، لا يسع المجال لذكرهم ـ حسبنا الله، ونعم الوكيل ـ(4).

ثانياً: محاولة وقف تكاثر وتناسل المسلمين:

يحث الإسلام على التناسل، والتكاثر قال تعالى: ﴿الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل﴾ (سورة النحل، آية: ٧٢)، ومن هنا فإن الدعوة إلى تحديد النسل لا تستقيم أبداً مع مطالب الشريعة الإسلامية، كما ولا تتفق، ومصالح الأمة بأي حال، وتنفق الدول الكبرى المعادية للإسلام، والمسلمين نفقات هائلة لوقف الزيادة العددية في الأمة الإسلامية، وهناك مؤسسات، وأجهزة عديدة تعمل ليل نهار في هذا المجال، ومن تلك الهيئات، والأجهزة، والمؤسسات ما يأتي:

1 ـ هيئة المعونة الأمريكية:

وهي من أدوات التآمر على نسل المسلمين، حيث استحوذ مشروع تنظيم الأسرة على ما نسبته (51.1%) من جملة المعونة الأمريكية الموجهة لقطاع الصحة بالتعاون مع الهيئة العامة

---

(1) تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان. ص287. دار السلام للطباعة والنشر. القاهرة (ط2: 1994م).

(2) عشر مخالفات شرعية في مشروع برنامج مؤتمر السكان والتنمية: عبدالحي الفرماوي. ص19: 20. دار الشروق. القاهرة (ط: 1974م).

(3) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى. أحمد محمد زايد. ص443.

(4) انظر: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل: الشيخ: محمد أبو زهرة. ص11. دار الفكر العربي. القاهرة (ط. بدون).

للاستعلامات، وبعض الجامعات المصرية، والمجلس القومي للسكان، وتقول إحدى الدراسات الخاصة بالقروض الأمريكية: إن برامج تحديد النسل تفرض على الدول المتلقية للمعونة الأمريكية بصرف النظر عما إذا لديها، أولم يكن لديها مشكلة سكانية، وكان ذلك شرطاً؛ لمنح معونة الغذاء، وأشكال أخرى من المعونة، وجاء في مناقشات لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس أن ما قيمته (3.3) مليون دولار خصصت عام (1979م)؛ لشراء وسائل لمنع الحمل الأمريكية الصنع وزعت على(3500) عيادة، ومركز صحي في مصر، كما جاء في اتفاقية منحة السكان الموقعة في:1983/6/30م، إن الهدف من المعونة هو توزيع خدمات تنظيم الأسرة، وتنشيطها عن طريق أطباء القطاع الخاص، ومنافذ التوزيع التجارية(1).

2- منظمة فوست بيزنس بلان (التبشيرية):

يترجم هذا الاسم إلى المنظمة الدولية لتنمية الأسرة، والمجتمع، ويدير هذه المنظمة يهودي أمريكي يدعى تيموثي فاريل، وتزاول نشاطها منذ عام (1980م) في منطقة مصر القديمة، وما حولها مخترقة الأسرة الفقيرة(2).

3 ـ مؤسسة الفورد فونديشن:

وهي من أخطر مراكز التجسس العلمية الأمريكية على الإطلاق مقرها في القاهرة بدأت نشاطها في مصر عام (1952م)، وتقوم بتقديم المساعدات للمؤتمرات النسائية، والتي تطلق على نفسها الحركة النسائية لمواجهة الردة الحضارية(3).

4 ـ المؤتمرات المشتركة ومنها:

مؤتمر السكان، والتنمية الدولي المنعقد في القاهرة عام (1994م)، والذي قاده كبراء الصهيونية العالمية، والصليبية، حيث يمثل هذا المؤتمر فيما يرى واضعوه الفرصة الأخيرة المتاحة في القرن العشرين للمجتمع الدولي كي يتصدى بصورة جماعية؛ للتحديات، وأوجه الترابط الحاسمة بين السكان، والتنمية(4)، والحقيقة أن الدعوة إلى تحديد النسل في العالم الإسلامي لم تكن بهدف الخوف من الانفجار السكاني كما أدعوا، وإنما كانت بهدف وقف مد النسل الإسلامي بدليل أنهم صدروا هذه الدعوة إلى دول إسلامية تعاني من قلة النسل مثل سوريا، التي يبلغ عدد سكانها (7) ملايين تقريباً، وبها نحو (12) مليون من الأفدنة الصالحة للزراعة، والتي تستوعب أكثر من (50) مليون من البشر، ومثل العراق الذي يبلغ عدد سكانه (9) ملايين تقريباً، ويملك نحو (20) مليوناً من الأفدنة الخصبة التي تستوعب أكثر من (80) مليوناً من البشر، ومثل السودان الذي يملك نحو (70) مليوناً من الأفدنة، ولا يجد من السكان من يزرع عشر هذه الأرض إذ لو كانت الدعوة لمصلحة المسلمين حقاً؛ لتركزت في المجتمعات الإسلامية ذات الكثافة السكانية العالية، ولكنها دعوات مجموعة استهدفت وقف المد البشري الإسلامي أياً كان مكانه(5)، وليس أدل على ذلك من أن الدعوة إلى تحديد النسل يروج لها في البلاد الإسلامية فقط ما ذكره أبو الأعلى المودودي عند فضحه لخططهم، وأهدافهم، وأكاذيبهم في كتابه حركة تحديد النسل قال: إن وزير داخلية بريطانيا قال عام (1943م) إن بريطانيا إذا كانت تحب المحافظة على مستواها في الوقت الحاضر، والتقدم في سبيل الرقي، والازدهار مستقبلاً فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد أفراد كل أسرة بنسبة (25%) على الأقل، ولهذا الغرض ألفت في عام (1944م) لجنة من قبل الحكومة؛ لبحث هذه المشكلة، وكيفية معالجتها، وخرجت بالقرارات، والتوصيات الآتية:

1- منح كل أسرة مكافأة مالية على عدد الأطفال.

2- أن يدخل التعديل على قانون ضريبة الدخل بحيث تخف وطأته على المتزوجين الذين لديهم عدة أطفال، وتشتد على غير المتزوجين.

3- أن تبنى على نطاق واسع بيوت تشتمل على أكثر من ثلاث حجرات للنوم.

4- أن يجري من مشاريع المحافظة على الصحة، والأعمال الخيرية ما يساعد على رفاهية الأسر الكبيرة، ورخائها الاقتصادي.

5- أن تؤلف جمعيات تقوم بالتحقيقات في مشكلة قلة السكان، وتعليم الناس كي يتخذوا الوسائل للتغلب على هذه المشكلة(6).

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى تحديد النسل، وتبنيها في مجتمعاتنا الإسلامية قد أوقعت

---

(1) انظر: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل: الشيخ: محمد أبو زهرة. ص11.
(2) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص248.
(3) انظر: المؤامرة على التعليم والمعلم: سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية رقم3. ص46: 47. إصدار مجموعة من الباحثين. دار الوفاء القاهرة (ط: 1993م).
(4) انظر: عشر مخالفات شرعية في مشروع برنامج مؤتمر السكان والتنمية: عبدالحي الفرماوي. ص56: 57.
(6) انظر: حركة تحديد النسل: أبو الأعلى المودودي. ص63: 65. الدار السعودية للنشر. الرياض (ط: 1984م).

المسلمين في مآزق، وأخطاء دينية، وصحية، واقتصادية، واجتماعية، كما أنها ستساهم في المدى البعيد على ضعف الأمة، وقلة كثافتها السكانية ممَّا يجعلها لقمة سائغة؛ للترصد الأصولي الصهيوني العالمي الذي ما فتئ يبحث سبل للسيطرة عليها.

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية النصرانية
على الإسلام في المجال التربوي

لقد أدركت الأصولية الصهيونية العالمية خطورة التعليم، والثقافة الإسلامية، وأنه سلاح خطير يمكن من خلاله تحقيق أهدافهم دون خسائر، ودون أن تتحرك الشعوب المسلمة للمقاومة، وبالفعل توجهت إلى تغيير طبيعة المسلمين، وقلوبهم، عن طريق هذا المدخل الخطير، وهو المدخل التربوي المرتبط بالتعليم في المدارس، والجامعات، واتخذت في ذلك عدة طرق، وأساليب منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

أولاً: افتتاح الأقسام التخصصية في الدراسات الإسلامية، والعربية بجامعاتهم:

وتعد هذه البعثات إحدى المعابر الأساسية للفكر الأصولي التبشيري للوصول إلى البلاد الإسلامية في عقر دارهم من خلال أبنائهم، حيث نجد أن كثيراً من المبتعثين يختلط عليهم الأمر كثيراً، فبدلاً من أن يطلبوا علوم التقنية الحديثة التي تحتاجها أمتهم، وأوطانهم، والتي سوف تؤدي، وتسهم في تطور، ورقي مجتمعاتهم بدؤوا ينقلون أساليب الحياة، والسلوك، والفكر، لتلك الشعوب سواء بقصد، أو بغير قصد بل نجد أن عدداً منهم قد تنكروا لثقافتهم، وأصالتهم، وبدؤوا يهاجمون دينهم، وشريعتهم، وأخذوا يطالبون باللحاق بركب الأعداء منبهرين بما عندهم من حضارة.

والمؤامرة تتمثل في أن الأعداء «افتتحوا في بلادهم أقساماً للدراسات الإسلامية، والعربية في جامعات فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، وكندا، وأميركا، وغيرها، وقد تولى التدريس في هذه الأقسام المستشرقون، والمبشرون، والحاقدون على الإسلام من اليهود، والنصارى الذين أخذوا على عاتقهم تغيير فكر، وعقيدة هؤلاء الشباب، بحيث يعودون إلى بلادهم، وهم محمَّلون بالشبهات على الإسلام، ويديرون ظهورهم لمصادر الثقافة الإسلامية، ويولون وجوههم، وأفئدتهم شطر المصادر الغربية يدرسونها، ويصدقون ما جاء فيها من مفتريات على الإسلام(1)، وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك، والتربية، والعادات الجديدة، وهؤلاء، وأمثالهم في بعض الدول العربية، والمسلمة، هم الذين كُتِب على أمتنا أن يقودوا حركتها في شتى مجالات الحياة حتى أحلوها دار البوار، وبدَّلوا، وجهتها في الحياة،، وكانوا هم الجنود المجندة في يد أعداء الإسلام؛ لإحداث هذا الانقلاب الجذري في حياة المسلمين(2)، وهم كالعلمانين، والحداثيين، والليبراليين الذين أبتليت بهم الأمة الإسلامية.

ويستخدم الأصوليون المبشرون، والصهاينة العديد من الأنشطة، ويضعون برامج للطلاب من زيارات للعائلات، وأوجه نشاطات اجتماعية من حفلات، ودعوات إلى الكنيسة، أوما يلحق بالكنيسة من الأفنية، والملاعب، لاسيما في المناسبات الدينية، والوطنية التي يحصل بها غالباً إجازات طويلة تنظَّم للطلبة الأجانب من غير النصارى خاصة لقاءات مع العائلات النصرانية البروتستانتية المتدينة، وفي خارج المدن الجامعية يتلقف المنصّرون الطلبة المسلمين بعد التعرف على عناوينهم، للوصول إليهم، وإبداء الرغبة في خدمتهم، والوقوف إلى جانبهم، والتعاطف معهم، ويتعرض الطلبة كذلك لألوان من محاولات الاستمالة مثل إرسال المطبوعات، والاتصال بالهاتف، والرسائل الهاتفية، والفاكسات، والاتصال الشخصي المباشر بموعد، ودون موعد، ويكثر هذا الأسلوب لدى جماعة (شهود يهوه) التي تسعى إلى مواجهة انتشار الإسلام في الغرب(3)، كما يستغل ضعف الطلبة المسلمين مادياً، وتتبنى الكنيسة، أو جمعية مدعومة منها دعمهم، وتعمل على إيجاد فجوة بين الموسرين، والمعسرين من الطلبة المسلمين تصل إلى حد الضغينة، والحسد، وترسيخ هذه المفاهيم في الأذهان حتى لا تقوم بين المسلمين من الطلبة رابطة قوية، كما يستغل ضيق بعض الطلبة المسلمين؛ لعدم قدرتهم على العودة المباشرة إلى بلادهم بسبب سوء الأحوال السياسية، والاقتصادية، والبحث عن إقامة نظامية في البلاد الغربية التي تتم غالباً عن طريق الزواج بمواطنة من البلد الغربي، وربما يرضى الزوج بأخذ أولاده إلى الكنيسة، بل ويذهب هو معهم، والانخراط في أوجه نشاطها، ولو لم يتم الإعلان الرسمي بالتعميد، أو التنصير(4).

ثانياً: التعليم العالي:

وهذه من الوسائل التي أسهمت كثيراً في تدمير المجتمع الإسلامي، حيث حرصوا على إنشاء

---

(1) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص72.

(2) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: إعداد مجموعة من الباحثين. ص82. دار الوفاء للتوزيع والنشر. بيروت (ط: 1989م).

(3) انظر: جماعة شهود يهوه أخطر منظمة تواجه انتشار الإسلام في الغرب: طارق عبدالباقي منينة. ج2. ص317. دار الإسكندرية. القاهرة (ط: 1998م).

(4) انظر: قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث: آمال قرامي. ص49. دار الجنوب للنشر. تونس (ط: 1996م).

الكليات، والجامعات، والمعاهد العليا في المجتمع المسلم، وأقرب مثال على ذلك وجود الجامعات الأمريكية، والفرنسية التي ثبت أنها تعمل بين المسلمين في مجالات التنصير، ومجالات خدمة الوجهة الغربية كالعمل الاستخباراتي لصالح الحكومات التي تدعم هذه المؤسسات التعليمية العليا، وتخرج الجامعات مجموعة كبيرة من أبناء المسلمين يكون لهم زمام المبادرة في شغل المناصب العليا ذات التأثير الإداري والثقافي، والأدبي، والسياسي، بل والديني أحياناً، وتُلمع هذه المجموعة المتخرجة من الجامعات الأجنبية، وتعطى الهالة الإعلامية، وتساعد بعضها في المناسبات العلمية، والثقافية، والأدبية، وغيرها(1).

ولا تخفي تلك الجامعات والمعاهد العليا نزعتها التنصيرية الحاقدة على الإسلام إلا في الأوقات التي تجد فيها من المصلحة أن تسير مع تيار يسيطر على الساحة، كما سارت مع تيار القومية الذي شاع ردحاً من الزمن(2)، كما يتوقع لها أن تسير مع تيار الصحوة السلفي التي تسميها بالأصولية لدراستها من منظور تنصيري استشراقي إلى تشويهها، ونعت أبناءها بالتطرف، والإرهاب، وإلى تشويه أفكار مَن يدرسها، أو يعمد إلى تبني هذا التوجه(3).

ومن إسهامات بعثات التعليم اشتراكها في وضع المناهج التربوية لبعض المراحل العليا، بل ربما أسند إليها التخطيط الشامل للتعليم العالي على المدى البعيد، ويعين على هذه الوسيلة إضعاف المؤسسات العلمية، والتعليمية الدينية في البلاد العربية، والإسلامية فقد تعرض الأزهر جامعاً، وجامعة إلى حملات متتابعة أدت إلى إضعافه، والعمل على تحويله إلى مؤسسة تعليمية مدنية، وتتعرض المؤسسات التعليمية الدينية الأخرى في الدول العربية، والإسلامية لمثل هذه الحملات التي يراد للمؤسسات التعليمية الغربية أن تحل محلها في منهجها، وتخطيطها، وطريقتها في التربية والتعليم، وتزداد الحملة على هذه المؤسسات في ضوء التطورات، والأحداث التي حصلت للمنطقة أخيراً، حيث يلاحظ المتتبع للإعلام الهجمة الكبيرة على مدارس التعليم الديني في باكستان، والتوجه نحو إغلاقها، وفي أفغانستان، وفي الهند، والتي يصرون على إنها هي المعقل الحقيقي للإرهاب، ولخروج المتطرفين الدينيين، كما طالت جامعة الزيتونة في تونس، وجامعة القيروان في المغرب، وغيرها من الدول الإسلامية.

ونجد المنصِّر فلمنج يصر على ضرورة إنشاء مدرسة، أو جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها، وتكون مشتركة بين الكنائس النصرانية في العالم على اختلاف مذاهبها؛ لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة(4). كما يقول جاردنر السكرتير العام لجمعية الطلبة النصارى: «إن من سداد الرأي منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين منها في جنوب أفريقيا إتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع في كل أفريقيا»(5).

ونجد في مصر على سبيل المثال العديد من الكليات، والمدارس التابعة للمذاهب النصرانية المختلفة فللمذهب البروتستانتي الذي يعمل لخدمة الأمريكان، واليهود العديد من المدارس هي: (كلية التجارة) بالعطارين بالإسكندرية، ومدارس (الأمريكان) بالقاهرة، ومدارس (الأسقفية) الإنجليزية بسرايا القبة، و(الجامعة الأمريكية) التي أنشؤوها؛ لمزاحمة الأزهر، و(كلية البنات الأمريكية) بشارع رمسيس، و(مدرسة الأزبكية) للبنات بالقاهرة، و(كلية البنات الأمريكية) بأسيوط، و(كلية البنات الأمريكية) بالأقصر، وهناك كليات، ومعاهد تابعة للمذهب الكاثوليكي هي: (المعهد الشرقي) بدير الدومنيكان في العباسية في القاهرة، ومعهد (دار السلام) في كنيسة دار السلام بمصر القديمة، ومدارس (الفرنسيسكان) بالفجالة، ومدارس (الفريد) بالحرنفش، ولهذه المدارس فروع في كل أنحاء مصر(6)، وفي غير مصر وجدت مدارس، وجامعات أجنبية تعمل بهذا الغرض ففي عام (1859م) أسس البروتستانت الأمريكيون في عبية اللبنانية مدرسة للبنات، ومثل البروتستانت فعل اليسوعيون فأنشؤوا مدرستهم الأولى في غزير في كسروان جبل لبنان، ولكنهم فيما بعد نقلوا نشاطهم إلى بيروت، وهناك الجامعة الأمريكية في بيروت، والكلية السورية الإنجيلية وفي هذه المدارس، والجامعات يجبر الطلاب جميعاً على دخول الكنيسة الخاصة بالمدرسة مرة كل يوم، كما يجبر الطلاب على حضور دروس في التوراة كحل وسط، ولما أضرب الطلاب المسلمون عن دخول الكنيسة أعفوا من دخولها، لكنهم لم يعفوا من دروس

---

(1) انظر: التنصير: علي النملة. ص78: 79.
(2) انظر: التبشير والاستعمار: مصطفى خالدي وعمر فروخ. ص106.
(3) انظر: المستشرقون والصحوة الأصولية: علي إبراهيم النملة. ص10. بحث قدم في ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. التي عقدت في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في المدة من 1420/7/25/22هـ.
(4) انظر: الغارة على العالم الإسلامي: أ. ل. شاتليه. ص24. تعريب: محب الدين الخطيب وسعد اليافي. مكتبة أسامة بن زيد. بيروت (ط. ب).
(5) نفسه: ص105.
(6) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص75.

التوراة(1)، وانتشرت تلك المدارس، والجامعات في كافة أنحاء العالم الإسلامي، فنجدها في إسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية في تركيا، وفي الهند، والباكستان، ومصر، وسوريا، ولبنان، إضافة إلي أفغانستان، وفي معظم دول العالم الإسلامي.

وتمثلت الأهداف الرئيسة لهذه المدارس، والجامعات في العالم الإسلامي في الآتي:

1. بناء جيل جديد مهجن، نصفه مسلم، والنصف الآخر نصراني، أو لا ديني علماني، ليبرالي يرفض الإسلام عملياً، وواقعياً فهو مسلم بالانتساب للوطن فقط.
2. تغريب المجتمع المسلم بنقل حضارة الغرب بمادياتها، وشذوذها إلى بلاد الإسلام، وفرض التبعية للأعداء عن هذا الطريق.
3. إعداد قادة الرأي في البلاد، وصناعتهم على يد الصهاينة الأصوليين، والصليبيين، والتنصيريين، حيث يتم إعداد القادة الخريجين؛ لتسلم مناصب في الدول الإسلامية، ومراكز الحكم، والتوجيه فيها.

فهذه المدارس هي التي خرجت أمثال "كمال أتاتورك" اليهودي الملحد الذي هدم الخلافة الإسلامية، و"سيد أحمد خان" في الهند الذي صبغ الهند الإسلامية بالصبغة الغربية، و"شاه إيران" الذي فصل إيران عن الإسلام، وحاول أن يجعلها قطعة من أوروبا، وغيرهم كثير ليس المقام مقام إحصائهم(2).

ومن أخطر التدخلات، والتأثيرات في هذا الجانب التدخل في مناهج التعليم في المؤسسات التعليمية الوطنية، وهو ما اشتد الحديث فيه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث بدأ الحديث صراحة، ودون مواراة من أن التطرف الديني هو نتاجاً لمناهج التعليم الديني في الدول الإسلامية، وكان الحديث في الماضي يدور خفية، أما الآن فقد أصبح علانية فعندما تصاعد الحديث عن ضرورة الإصلاح بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر عام (2001م) فقد كان المعني به أمرين أثنين الأول: الرؤية العامة التي يسميها بعضهم محافظة، ويسميها البعض الآخر أصولية، والثانية: إعادة النظر في البرامج التعليمية في المدارس الدينية التي قيل أنها تـخرج أصوليين متطرفين إرهابيين(3).

وقد ركزت الأصولية الصهيونية العالمية في تعديل المناهج التعليمية في المدارس على حذف الوجه الإسلامي للمناهج، ويتمثل ذلك باختصار في حذف الآيات، والأناشيد، والموضوعات التي تحث على الجهاد، والحكم بالإسلام، والوحدة الإسلامية، والخلافة، ومقاومة العدو المعتدي، وحذف معظم ما يدل على وحدانية الله، والتفكر في آلاءه، وإدراك عظمته، وأخبار الصحابة والتابعين، ورجالات الأمة وقدوتها من صالحي السلف، والخلف، وعدم ذكر بطولاتهم، وتضحياتهم؛ لنشر الدين، كل ذلك بحجج واهية ساقطة أو بدون حجج، ومبررات، وهذا هو الغالب(4)، وهذا في مجال الدول التي تتحكم في شعوبها من بعد، فما حال من هم تحت الاحتلال، والسيطرة؟، لا شك فأنهم يتبعون سياسة التضليل، والتجهيل إزاء المواطنين العرب في فلسطين على اعتبار أن العلم، والثقافة سلاحان ليس الكيان الصهيوني معنيٌّ بتزويد العرب بهما. يقول "أوري أوبراني" منسق النشاطات الإسرائيلية في محاضرة له أبان عمله كمستشار للشئون العربية بالخمسينيات: «إن على إسرائيل أن تقيِّد العرب بالعمل حطابين، وفي الأعمال السوداء، فكلما اكتسب العربي العلم، والثقافة سيصبح أكثر عداءً لإسرائيل، وسيستغل علمه؛ لتثقيف الأجيال الفلسطينية القادمة من أجل المطالبة بحقوقهم القومية، والشرعية، وطبيعيا فأنهم سيشكلون خطراً على الدولة»(5). ومن القرارات العنصرية التي صدرت بهذا الشأن: تبني حكومة العدو يوم 1987/5/17م اقتراح الوزير الصهيوني جدعون بات من حزب الليكود الحاكم حول رسوم التعليم بالجامعات الإسرائيلية، والذي يقضي بأن تكون الرسوم (1050) دولار للطالب الذي يخدم بالجيش الإسرائيلي، و(1550) دولار للطالب الذي لا يخدم بالجيش، ومعلوم بالضرورة، والبداهة أن الذي لا يخدم بالجيش الإسرائيلي هو الطالب العربي، رغم أن عددهم بالجامعات ثمانية آلاف طالب، وعلى قلتهم فهم مستهدفون؛ للتـخلص منهم، أو لتقليص أعدادهم(6).

---

(1) انظر: التبشير والاستعمار: مصطفى خالدي. وعمر فروخ. ص77: 79.
(2) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص86: 87.
(3) انظر: الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح السياسات الدولية: رضوان السيد، ص215. دار الكتـاب العربي. القاهرة (ط1: 2004م).
(4) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى. أحمد محمد زايد. ص454.
(5) الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي..ص62.
(6) انظر: نفسه: ص63.

أساليب الهجمة الأصولية اليهودية النصرانية على الإسلام في المجال الفكري الثقافي

يُقصد بالغزو الفكري الثقافي، أي: الوسائل غير العسكرية التي اتخذها العدو؛ لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وكل ما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار، وتقاليد، وأنماط، وسلوك، وأما سلاح هذا الغزو فهو الكلمة، والرأي، والفكرة، والشبهات، والنظريات إلى جانب براعة العرض، وشدة الجدل،...، وغير ذلك ممَّا يقوم مقام السيف، والمدفع، والصاروخ ويتصف الغزو الفكري بالشمول، والامتداد، فهو عبارة عن حرب دائمة دائبة لا يحدُّها زمان، ولا مكان بل تمتد لمجالات الحياة جميعاً فهي تسبق الحرب المسلحة، و أيضاً تكون معها مواكبة لها ثم تستمر بعدها؛ لتصل بالمكاسب إلى ما عجز السلاح عن تحقيقه فهي تشل إرادة المهزوم، وتضعف عزيمته، فيلين، ويستكين، ويقبل الخضوع، والتسليم؛ ليتلاشى بالتدريج في بوتقة أعدائه المنهزمين، أو يصبح امتداداً ذليلاً لهم، بحيث يُعاد تشكيله؛ ليصير تابعاً يفخر بتبعيته لأعدائه فالغزو الفكري تعبير دقيق يصوِّر خطورة التأثيرات الفكرية التي قد يستهين بها الناس، ولا يلقوا لها بالاً وهى تمضى بينهم، وتحدث تغييراتها فيهم ببطء، وهدوء.

لقد تدرج الغزو الفكري، فبدأ مع ظهور الاستشراق، والمستشرقين، ثم تسلل إلينا مع التنصير، والمنصِّرين، ثم اتخذ بعد ذلك الأشكال المتعددة، والأساليب المتنوعة؛ ليتحول إلى تيار جارف، له قدرة على تغريب المجتمعات الإسلامية بالمكر، والخديعة تارة، وبالقهر، والإكراه تارة أخرى، وصار لهذا التيار الجارف شعارات، وأفكار، ومذاهب، ونظريات هدامة، ظاهرها الفكر، وحقيقتها سهام مدمرة من أخطأه سهم أصابه آخر، وقد حشدت الصهيونية، والصليبية لتنفيذ هذا المخطط من الكتاب، والأدباء، والمفكرين دعاة الضلال الذين أعطوا مناصب القيادة، وألقاب الزعامة؛ ليُغرى بهم غيرهم، وتنخدع بهم شعوبهم فتنقاد لهم الجماهير، وقد بلغ الأمر في أيامنا الحالية أن تمكن التغريب من مجتمعاتنا غاية التمكن، وتغلغل في كل شئون حياتنا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإعلامية، والتعليمية، والفكرية عن طريق الإعلام حتى صار الغرب يطالبنا صراحة بل يفرض علينا مظاهر حضارته الغربية المادية فرضاً كاملاً باسم الحرية، والعولمة، والتطبيع.

إن الغرب في ظل النظام العالمي الجديد يسعى بقوة إلى صبغ دول العالم بصبغته الحضارية، والثقافية، بغرض محو هويتها، وتشكيل أساليب، ومظاهر الحياة الغربية، وهذا يساهم في عدم استقرار أحوالها، ويصير إنتاج أبنائها في حالة تبعية للثقافة الغربية، والذي يهمنا هو الجانب المتعلق بالعالَمين الإسلامي، والعربي، أي بالمسلمين عامة، والدعاة خاصة هو حضَّهم على أن يتعرفوا على أشكال، وأساليب، ووسائل الغزو الفكري الثقافي؛ ليتفادوا، ويمنعوا أخطاره، ويصلحوا ما فسد عبر زمن طويل في حياة المسلمين، وهذا ما نرجو أن نتعاون جميعا لتحقيقه.

ولقد ركزت الحروب الصليبية النصرانية في حروبها على للقضاء على الإسلام، وتعددت حملاتها، وتنوعت، وتتالت ثم منيت بهزائم فادحة، واستخدمت في تلك الحروب كل ما توصلت إليه البشرية آنذاك من تقنيات حربية، وعندما فشلت حملاتها، ومازالت إلى وقتنا الحاضر أيقنوا أن سر قوة المسلمين، وصمودهم يكمن في عقيدتهم، وإيمانهم، وشريعتهم، وتراثهم، وثقافتهم الدينية فهم يندفعون وسط المعارك لا يهابون الموت بل يطلبونه، وزهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، وقد أكسبهم ذلك قوة عجيبة، وأيقن التحالف الصهيوني أن الحروب لا تجدي في مواجهتهم، وكانت الخطة الخبيثة التي توصل إليها ملك فرنسا "لويس التاسع" وهو في خلوته داخل معتقله بالمنصورة في مصر، حيث يتحدث المؤرخ الفرنسي "جاندي جوانفيل" الذي رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا في حملته الصليبية فيقول: «إن خلوتي في معتقلي بالمنصورة أتاحت لي فرصة هادئة لأفكر بعمق في السياسية التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء، والمآخذ التي أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط...، وكان ما انتهى إليه لويس التاسع إنه لم يعد في وسع الكنيسة، أو فرنسا مواجهة الإسلام، والقضاء عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا، وأفريقيا»(1)، وهنا يضع لويس خيوط المؤامرة الجديدة على الإسلام، والتي تقوم على الأسس الآتية:

1. تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، وكان سلاح الحملات

(1) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى. أحمد محمد زايد. ص463. وانظر: الأعلام الإسرائيلي. غازي السعدي. منير الهور. ص65- 68. دار الجيل للنشر. والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان (ط1: 1987م).

الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم ببعض، وإثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية، والعمل على بقاء نارها مستعرة بينهم، وهنا ينهار الإسلام من تلقاء نفسه عملاً بالمنطوق اليهودي فرّق تسد.

2. تجنيد المنصّرين الغربيين في معركة سلمية؛ لمحاربة الإسلام، ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً، واعتبار هؤلاء المنصّرون جنوداً للغرب.

3. العمل على استخدام نصارى الشرق ــ الأقليات النصرانية ــ في تنفيذ سياسة الغرب بعد إثارة الفرقة، والضغينة بينها، وبين المسلمين العرب.

4. العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية، ولدعوته السياسية، والدينية، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية في لبنان، وفلسطين(1).

والملاحظ أن الخطة تتجه إلى الإسلام كعقيدة، وشريعة، فإذا كان الإسلام هو روح الأمة، وقلبها فإن انتزاع تلك الروح يحيل الأمة من حياة إلى موت، ومن هنا أعد العدو جيوش من نوع آخر لم تعد تحمل المدافع فسلاحه هو القلم، والورقة، والكتب، ولم تعد تلبس الزي العسكري فلباسها هو مسوح الرهبان، ولم تعد تسير في خطوات منتظمة بادية للعيان فطريقها هو الدس في الخفاء لقد كان الجيش الجديد عبارة عن كتائب، وفرق، ولواءات من المنصِّرين المستشرقين، ودعاة التقريب، والتغريب من المفكرين، والصحفيين، والإذاعيين الصليبيين، وكل مَن يملك أداة التوجيه الفكري في العالم الإسلامي جنّد في معركة الغزو الفكري،... هذه المعركة التي تستهدف تصفية الإسلام بتؤدة وأناة وبلا جلبة، ولا ضوضاء(2). إذاً فالمعركة تختلف في طبيعتها، وأسلوبها، وأدواتها عن سابقتها المسلحة إنها معركة الغزو الفكري(3)، وبالتالي فإن خطة لويس لتدمير الإسلام سلاحها الفكرة، والكلمة، والرأي، والنظريات، والشبهات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن موضعه، والحوارات الفكرية، والمناظرات، وغير ذلك من أسلحة سلمية في ظاهرها، وفتَّاكة في باطنها(4).

ولقد اتخذت الحرب الجديدة لتنفيذ مخططاتها عدداً من الحيل لغزو الإسلام من أبرزها ما يأتي:

أولاً: خلق وابتداع فرق وطوائف محسوبة على الإسلام:

من خلال خلق، وزرع الفرق الهدَّامة المدعية زوراً انتسابها للإسلام مثل: البهائية، والقاديانية والإسماعيلية، وسنعرض لتعريف مبسط لكلٍ منها، وأهدافها، وأفكارها:

البهائية (1817: 1892م): وهي عقيدة معاصرة دعا إليها ميرزا حسين علي نوري الذي كان يلقب بهاء الله، وتعود جذورها إلى العقيدة البابية التي أسست عام (1844م) على يد ميرزا علي محمد الشيرازي، الذي نشأ في وسط باطني حلولي متصوف، والذي أعلن إنه الباب أي :الطريق إلى الله، وتتلمذ على أيدي اثنين من دعاة الفكر اليهودي، وقد أوهماه بأنه سيكون له شأن، وأنه سيكون منقذ الإنسانية، وسرعان ما اعتقد هذه الأفكار، وتشربها، وروج لها، و...، وإن كُتب البهائية المقدسة هي كتابات بهاء الله التي كُتبت بالعربية، والفارسية، وهي تزيد عن المائة، وأبرز مبادئ، ومعتقدات هذه الطائفة ما يأتي:

●جميع الأديان صحيحة، والتوراة، والإنجيل غير محرَّفيَن، وهما مصدر توجيه بجانب القرآن، ولابد إذاً من توحيد كل الأديان في دين واحد هو البهائية التي نسخت الإسلام، وكل الأديان السابقة، وهذا هو مبدأ الماسونية، والروتاري، والليونز اليهودي.

●إنكار حقيقة عقيدة ختم النبوة.

●إنكار حقائق العقيدة الإسلامية من البعث، والحشر، واليوم الآخر، وتأويل ذلك كله تأويلاً يهودياً يخدم العقيدة البهائية.

●إنكار عقيدة الإلوهية بالمفهوم الإسلامي.

●رفض الشريعة، والعبادات الإسلامية من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والحدود، والقصاص، واختراع صلوات خاصة من حيث عددها، وعدد ركعاتها، والتوقيت، والقبلة،...وغير ذلك.

●محاربة اللغة العربية، وإحلال اللغة النورانية ـ التركية ـ محلها؛ لقطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم، وبتراثهم، وهذا من أحلام اليهود، والمستشرقين، والصليبيين.

---

(1) انظر: معركة المصحف: محمد الغزالي. ص162. دار الصحوة. القاهرة (ط: 1992م).
(2) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. ص22: 33.
(3) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: إعداد مجموعة من الباحثين. ص21.
(4) انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: توفيق الواعي. ص68. دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر. المنصورة (ط: 1408هـ).

●يؤمنون بأن المسيح بن مريم إله صلب على الصليب، كما يؤمنون بالحلول، والتناسخ الذي يؤمن به النصارى.

●رفض التشريعات الإسلامية، وتحريم تعدد الزوجات، كما قرروا المساواة بين الرجل، والمرأة في الميراث(1).

القاديانية: وهي حركة ظهرت في الهند في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي أوجدت بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي على يد رجل اصطنعه الاستعمار البريطاني يدعى غلام أحمد القادياني؛ لتُضرب به اليقظة الإسلامية الأصيلة التي أخذت في الانتشار في تلك الحقبة(2)، كما واستهدفت إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان هذه الحركة الناطق هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة العربية، ومن أفكارها:

1. إسقاط شريعة الجهاد، وهذا ما أفتى به مؤسس الحركة غلام القدياني.
2. رفض عقيدة ختم النبوة، وإدعاء أن ميرزا غلام نبي، ومَن لم يتبعه فقد كفر.
3. إن الإسلام لم يعد صالحاً لعصرنا؛ لاختلاف زماننا عن زمن نزول القرآن.
4. إن عيسىυ مات بالأرض، ولم يرفع للسماء، وإنه هرب إلى الهند، ومات بها.
5. إنكار عقيدة الجن، وتفسير الآيات التي وردت في شأنها تفسيراً متعسِّفاً.
6. إسقاط فريضة الحج، واعتبار وجهة الحج إلى قاديان(3).
7. إدعاء مساواة كتب القادياني بالقرآن الكريم.
8. لهم إساءات بالغة في حق الأنبياء، وإساءة في حق النبي ^، وإهانات للصحابة خيار هذه الأمة، وإساءات لأهل البيت رضوان الله عليهم.
9. سب علماء المسلمين، وعامتهم، وبأنهم كفار خارجون عن الملة، حيث أجمعت الأمة الإسلامية على أن أتباع المذهب القادياني هم كفرة خارجون عن دائرة الإسلام(4).

وبذا نجد أنفسنا أمام طائفتين الأولى: من صنع النصارى، وفي خدمتهم، والثانية: من صنع اليهود، وفي ركابهم، وكلاهما خليط من النصرانية، واليهودية، وقد انتشرت تلك الفرق في الكثير من البلدان الإسلامية، واستقطبت أعداداً كبيرة من أبناء المسلمين، وكانت منفذاً من منافذ الغزو الفكري، وأسلوباً من أساليب تدمير المجتمع المسلم في العصر الحديث الذي تواطأت اليهودية والنصرانية على تحقيقه.

الإسماعيلية الباطنية: وهي فرقة باطنية يدَّعي أصحابها الانتساب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ظاهرها التشيع لآل البيت عليهم رضوان الله، وحقيقتها الباطنية هدم عقائد الإسلام، وتشعبت فرقها في دول العالم الإسلامي، وامتد خطرها على الإسلام إلى وقتنا الحاضر، وقد خرجوا عن الإسلام بمبادئهم التي لم تستمد من الكتاب، ولا السنة، وكانت فرقهم حقلاً خصباً؛ لغزو المسلمين فكرياً، بنشر العقائد الباطنية الكافرة؛ ولضرب الإسلام من جذوره(5).

ثانياً: زعزعة الإسلام من خلال الفلسفات المضادة:

وهي فلسفات لا علاقة لها بنظام الحياة في مجتمعاتنا، ولم تؤمن بأي وحي، ورغم ذلك دست في دراساتنا، ومجتمعاتنا الإسلامية، وأصبحت من الأطروحات الغربية التي تلقى رواجاً في واقعنا الفكري، وأصبح لكل فلسفة منها مدرسة خاصة لها أسلوبها، وطريقتها في الفكر المعاصر، ولها أتباعها، وجنودها، ودعاتها، ومن هذه الفلسفات:

الوجودية: وهي تيار فلسفي يُعلِي من قيمة الإنسان، ويؤكِّد على تفرده، وأنه صاحب تفكير، وحرية وإرادة، واختيار، ولا يحتاج إلى موجِّه وهي جملة من الاتجاهات، والأفكار المتباينة، وليست نظرية واضحة المعالم، ونظراً لاضطرابها، وتذبذبها لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد، والأفكار(6)، إذ هي دعوة أحادية صهيونية تدعو لهدم القيم، والعقائد، والأديان، كما تدعو إلى الفوضى، والإباحية الجنسية، وإنكار كل القيود الدينية، وتدعو الإنسان أن يثبت وجوده

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذه الطائفة (انظر: الجمعيات السرية في العالم البروتوكولات الماسونية، البهائية: المسيري. ص70: 81. وانظر: والأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لمجموعة من المؤلفين. ص291: 294).

(2) انظر: العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري: فتحي يكن. ص62. دار الرسالة. بيروت (ط6: 1986م).

(3) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.. إشراف: د. مانع الجهني. ج2. ص389: 390. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر. الرياض (ط4: 1420هـ).

(4) انظر: موقف الأمة الإسلامية من القديانية: نخبة من علماء باكستان. ص52: 67. من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية (ط: 1976م).

(5) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة. ص50: 53. دار الفكر العربي.بيروت (ط. ب).

(6) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، المعاصرة: الندوة العالمية للشباب. ج2. ص543.

كما يشاء، وبأي وجه يريد دون قيود، أو ضوابط، ولها من المفاسد الفكرية، والاجتماعية ما لها، ومعتنقوها هم كفار ملحدون اعتبرت منفذاً رئيساً؛ لتدمير الإسلام، ولغزو المسلمين فكرياً، وعقائدياً(1)، ومن مفكريها أب الوجودية "سارتر".

الفوضوية: هي مذهب فلسفي، أو سياسي متطرف خلاصتها أن الدولة مبعث الظلم، وأداة الاستبداد في كل نظام اجتماعي، وأن الملكية الفردية هي مبعث للظلم كذلك، ومن ثم ينادون بإلغاء الملكية الفردية، والثورة على كل سلطة منظمة، وعلى الأخص الدولة، ومن مفكريها "وليام جودون"، و"برودون"(2).

المكيافيلية: وخلاصتها أن الغاية تبرر الوسيلة، وقد أحل ماكفيلي للحاكم اتخاذ كل وسيلة تكفل له استقرار حكمه، واستمراره حتى ولو كانت هذه الوسيلة منافية للدين، والخلق، وتنسب هذه الفلسفة إلى "نيكولو ماكيفلي" (1469-1527م) (3).

ثالثاً: من خلال التيارات التغريبية:

أ ـ التبشير (التنصير): وهي حركة دينية سياسية استعمارية بروتستانتية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة من دول العالم الثالث عامة، وبين المسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب(4)، ويهدف التبشير إلى:

- إنشاء جيل من المسلمين مسخ يحمل أفكار الغربيين، وثقافتهم حتى يسهل الاتصال بهم، والتفاهم معهم، وبالتالي السيطرة على بلادهم، ومقدراتهم، واستعمارها، والعمل على خلو الأجيال من الدين، والثقافة الإسلامية، والحمية الدينية، وفي ذلك يقول زويمر للمبشرين في مؤتمر القدس عام(1928م): «أيها الأبطال الذين كتب لهم الجهاد في سبيل النصرانية، واستعمارها لبلاد الإسلام إن مهمة التبشير التي تنتدبكم دول النصرانية للقيام به في البلاد المحمدية؛ ليست لإدخال المسلمين في النصرانية فإن في هذا هداية لهم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلمين من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملك هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية»(5).
- نشر النصرانية، والثقافة الغربية، والقضاء على اللغة العربية، وإحلال اللغة الانجليزية محلها، وجعل اللهجة العامية بدلاً من اللغة العربية، وذلك لقطع صلة المسلمين بقرآنهم، وتراثهم.
- القضاء على وحدة العالم الإسلامي التي كانت وراء انتصاراتهم، ومحاولة وقف انتشاره، وتشويهه في نظر الشعوب الأوربية خوفاً عليها من اعتناق هذا الدين الزاحف بذاتيته، وتصوير المسلمين تصويراً عنيفاً منفراً.
- معاونة الاستعمار الغربي، وخدمة الصهيونية، والكسب المادي، والتجاري(6).

وقد حقق التبشير كثيراً من أهدافه إن لم يكن كلها، وبنسب متفاوتة لكل هدف، وواقع الأمة يشهد بذلك فما الانحلال، والتفسخ الاجتماعي، والأخلاقي إلا أثر من آثار الأعمال، والحركات، والمخططات التبشيرية، وهذا ما نطق به زويمر حين قال للمبشرين في مؤتمر القدس: «لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في النصرانية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإن جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه»(7).

ب ـ الاستشراق: يشمل كل الدراسات الغربية التي تتعلق بالشرق الإسلامي، والمستشرق: هو كل عالم غربي يشتغل بدراسة أحوال الشرق، وعلومه، ولغاته، وآدابه،...، وتتلخص أهداف الاستشراق في الحيلولة بين الشعوب، وبين الدخول في الإسلام فقد عمل المستشرقون على تشويه الإسلام، وحجب محاسنه؛ لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم، ومن أهدافه كذلك تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين، وتحطيم وحدتهم، وتمزيقهم إلى دويلات، وعزل الشريعة عن التطبيق

---

(1) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى أحمد محمد زايد، ص471.
(2) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب. ج2. ص143.
(3) انظر: وسائل التربية عند الأخوان المسلمين: علي عبدالحليم محمود. ص39. دار الوفاء. القاهرة (ط1: 1989م).
(4) انظر: نفسه. ج2. ص159.
(5) التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية: أحمد سعد الدين الباسطي. ص223: 227. (دار. بدون). القاهرة (ط: 1989م).
(6) انظر: نفسه: ص227.
(7) جذور البلاء: عبدالله التل. ص257. المكتب الإسلامي للطباعة. بيروت (ط3: 1988م).

في المجتمع الإسلامي، وفصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، وذلك بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي، والاجتماعي، والنفسي، والعقلي للمسلمين، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية، والتخلف(1).

ج ـ التغريب: وهي محاولة طبع المستعمرات الآسيوية، والأفريقية عامة بطابع الحضارة الغربية، وذلك توصلاً إلى طبع النفسية، والعقلية لهذا الطابع عن طريق انطباع الظاهر إذ أن من المعلوم أن حالة من القلق تسري في النفس إذا ظل ظاهر الإنسان، وعقله في وادي، وقلبه، وروحه في وادي آخر، فإما أن يتبع الباطل ظاهره، وإما أن يتبع الظاهر باطنه، ولما كان انطباع الظاهر بطابع الحضارة الغربية لا يكلف الغربيين عناية المواجهة المباشرة مع العقائد، والأسس الكامنة فقد تركت هذه المواجهة تعمل عملها داخلياً، وبفعل هذا العامل النفسي، وذلك تحت ضغط مستمر على الظاهر حتى لا يستطيع الفكاك من طابع الحضارة الغربية، ومع مرور الزمن يألف الباطن ظاهره، ويتغير تبعاً له، وتسود الحضارة الغربية على هذا العالم الإسلامي ظاهراً، وباطناً، وتزول سيادة الإسلام في بلاده حساً، ومعنىً(2). فالتغريب إذاً محاولة لفصل، واقتلاع المسلم من ثقافته الإسلامية، وماضيه وتراثه العقلي، والروحي، والتوجيهي، والسلوكي عن طريقين:

أولهما: تمجيد التقدم العلمي الأوروبي.

ثانيهما: التزهيد، أو التنفير من تراث الأمة الإسلامية بالتقليل من شأنه، والحط من قيمته، وإبراز عدم صلاحيته لحياة الإنسان، وحياة المجتمع الإنساني في الوقت الحاضر، وقد أعانهم في هذا الطريق:

- المستشرقون، وكتاباتهم التي تثير الشبهات ضد الإسلام، وتشيع الأباطيل، وتقلب الحقائق، وتؤلب الشعوب على تاريخها، وحضارتها، وثقافتها.
- المبشرون كجند من جنود هذه الدعوة، وكأداة؛ لتنفيذها.
- كتاب، وأدباء من الدول الإسلامية ممَّن تربوا على موائد الفكر الغربي، والشيوعي الملحد، وتشبعوا منه، وأصبحوا أداة هدم لأمتهم(3).

د ـ العلمانية: وهي ترجمة لكلمة إنجليزية، وتعني: لا ديني، أو غير عقدي: «وهي نظام مؤلف من مبادئ، وتجارب فلسفية، تقوم على عزل الدين عن السياسة، والدولة في الحياة في سائر جوانبها»، والعلماني هو: «الشخص الذي لا يطبق الدين في السياسة، ولا في شئون الحياة كافة»(4)، وهي من الأسلحة التي يستعملها أعداء الإسلام في تضليل المسلمين؛ لإبعادهم عن دينهم وانتقلت إلى البلاد الإسلامية عن طريق التعليم الغربي، ووسائل الإعلام، والقانون، وروَّج لها كثيرون في البلدان الإسلامية، ورأينا كيف سادت العلمانية كتيار بارز في البلاد الإسلامية، وكان الإعلام من أخطر وسائل نقل العلمانية، حيث تم التعتيم من خلاله على كل ما هو إسلامي، وتناسى أحوال المسلمين، ومشاكلهم في العالم، وعرض الآراء، والأفكار، والنظريات اليهودية، والنصرانية الصليبية الحاقدة، وجيء بقوانين وضعية تحكم المسلمين، ومحاربة، وتشويه كل مَن ينادي بتصحيح النظرة إلى الإسلام(5).

هـ ـ التنظيمات السرية: عملت الأصولية اليهودية من خلال مخططاتهم العالمية، ومن خلال منافذ كثيرة منها منظمات سرية، وأخرى علنية، ومن هذه المنظمات السرية ما يعرف بالماسونية، وهي: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، هي: إعادة الهيكل الذي هو رمز دولة إسرائيل». وتضم الماسونية السواد الأعظم من الأثرياء، والقادة، والمثقفين، ورجال الفكر، والمال، والأعمال، و...(6)، وهي كما تُعرِّفها دائرة المعارف البريطانية طبعة (1981م) بأنها: «أكبر جمعيات سرية في العالم»، وتُسمَّى الجمعيات الماسونية بـ (المحافل)، جمع: محفل، والمحفل الماسوني، هو وحدة التنظيم السري، ويرأسه أستاذ، وتتدرج فيه مراتب الأعضاء، وكانت الماسونية تعمل على اصطياد ضحاياها من المفكرين، والمشاهير، وتستقطبهم للانضمام إلى محافلها بواسطة التعريف عن نفسها مستخدمة هذه الشعارات، والمبادئ:

- أنها جمعية خيرية لا تتدخل في الدين والسياسة.

---

(1) انظر: دراسات في الاستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام: علي شاهين. ص37: 40. دار المحمدية. القاهرة (ط1: 1992م).

(2) انظر: دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة: عبدالفتاح بركة. ص16: 17. هدية مجلة الأزهر. ملحق محرم: 1406هـ.

(3) انظر: التربية الإسلامية أسسها ومناهجها في الوطن العربي: حسن شحاته. ص31. مركز الكتاب للطباعة والنشر. القاهرة (ط: ب).

(4) العلمانية الأثر والنشأة في الشرق والغرب: زكريا فايد. ص12. دار الزهراء للإعلام. القاهرة (1995م).

(5) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: علي جريشة. ومحمد شريف الزئبق. ص62: 74. دار الاعتصام للنشر. القاهرة (ط3 :1979م).

(6) انظر: الماسونية في العراء: محمد علي الزغبي. ص18. (دار. ب) بيروت (ط: 1983م).

- الماسونية مؤسسة حرة للبناء العملي، ثم البناء الفكري،...
- الماسونية العربية مستقلة.

وتحت الشعار اليهودي (الحرية، الإخاء، المساواة)، نجح أبناء الماسونية العربية في استقطاب عدد كبير من مشاهير الأدباء، ورجال الفكر، والدين، والزعماء السياسيين(1). وتعتبر المحافل الماسونية التي بثها اليهود أينما حلوا في أقطار الأرض بمثابة اجتماعات، ومنتديات يتبادلون فيها الرأي، والمعارف، والأفكار، والأطروحات، وهي من أعرق منظماتهم التي كان لها بالغ الأثر، والفعالية في الحفاظ على الدعوة الصهيونية(2)، وتقوم الماسونية على عدة مبادئ منها:

1- محاربة الدين، وعلمائه: فالدين هو العدو الأول الذي تناصبه العداء؛ ولذلك تسعى لإزالته، وإلهاء الناس عنه.

2- النفاق: حيث يتشكلون حسب ما يرتضيه الحال في كل بلد.

3- دعم العلمانية، وذلك بمساندتها في أي مكان من بلاد العالم.

4- الدعوة إلى الانحلال، حيث تسعى لاستمالة الرجال، وإفساد أخلاقهم، وتشجع اختلاط الجنسين؛ لاجتذاب النساء، وقذفهن في مهاوي الرذيلة، والفساد.

5- تولي رئاسة الجمعيات الرياضية، والشبابية لإحكام السيطرة على الأجيال الناشئة.

6- حماية اليهود، وذلك بمناصرتهم في كل مكان من العالم.

7- السرية، وحفظ الأسرار.

وتتلخص أهم أهداف الماسونية في الآتي:

- العمل على الاستيلاء على العالم، وتأسيس جمهورية لا دينية عالمية خفية.
- محاربة الأديان، وحماية الدول العلمانية؛ لتحل محل الأديان، ولتقوم محافلها مقام المعابد.
- انتقال ثروة العالم إلى اليهود عن طريق السيطرة على البنوك، وبيوت المال، والتمكن من وسائل الإعلام المختلفة.

وقد نجح الماسون في تحقيق معظم أهدافهم، وجندوا كثيراً من أبناء الإسلام في محاربة الإسلام، واستقطبوا كثيراً من زعماء، وقيادات العمل في العالم الإسلامي، وهكذا يعيش المسلمون في معركة شرسة يتجاذبهم فيها الفكر اليهودي، والقيم النصرانية، والتوجهات الإلحادية، فيعيشون في تناقض بين ما يؤمنون به من دين، وعقيدة، وبين ما يغزوهم، ويحكمهم، ويسودهم من هذه التيارات الصهيونية العالمية، والصليبية الحاقدة المختلفة، والمتعددة.

فاليهود يعتمدون اعتماداً كبيراً في بلوغ غاياتهم، ونشر مفاسدهم على الجمعيات السرية، والحركات الهدَّامة، والمنظمات السرية الخفية، وإن الدور الذي قام به اليهود في بث روح الثورة، وإنشاء الجمعيات السرية، وإثارة الحركات الهدَّامة عظيم جداً، وذلك فضلاً عن ما يحدث داخلها من الصلات بين الصليبية التبشيرية، والشيوعية، والرأسمالية، والعلمانية، واليهودية، والبهائية، والقاديانية، وغيرها الكثير ممَّا هو معروفٌ، أو غير معروفٍ الشرق والغرب، وإذا افتضح أي أسلوب لتلك الجمعيات السرية بحثوا عن طريق جديد يستترون به أنفسهم، وحقدهم على الأديان بدعوى كسر الحواجز العقدية(3).

و ـ السيطرة على أجهزة الإعلام المختلفة، وعلى منابر الفكر، والثقافة:

حيث نجد أن السيطرة اليهودية العالمية على القنوات الأساسية للأجهزة الثقافية، والإعلامية التي تنقل الصور المشوهة للعرب، والمسلمين إلى الأوروبيين، والأمريكيين، وتتضمن شبكات: الإذاعة، والتلفزيون، والصحف اليومية، والمجلات الإخبارية واسعة الانتشار، والأفلام السينمائية، حيث تشكل هذه الهالة الإعلامية الهائلة إضافة إلى الاتصال المباشر النشط للمنظمات الأصولية الصهيونية العالمية، والصليبية مصدراً للتفسيرات التي تقدم صورة العرب، والمسلمين، وتعكس بلا شك المصالح لإسرائيل التي تخدمها كافة وسائل الإعلام التي هي من صنعها(4).

وتتسم الموضوعات، والقضايا العامة في معالجة الظاهرة الإسلامية في المقالات، والتعليقات في مختلف وسائل الإعلام الغربية بالأهمية إذ تنزع إلى المبالغة غير الإنسانية، والخطرة في وصف السلفية الإسلامية بأنها تمثل خطراً أكثر من الخطر الأحمر في فترة الحرب الباردة فهي تردد أن الخطر الأحمر الذي يقصد به الإسلام، أصبح يوصف بأنه سرطان ينتشر في العالم مهدداً

(1) انظر: الماسونية تحت المجهر، هدية مجلة التوحيد: إبراهيم فؤاد عباس. ص1: 16. دار الرشاد. جدة (ط1: 1988م).

(2) انظر: الصهيونية بين الدين والسياسة: عبدالسميع الهراوي. ص101. الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1985م).

(3) انظر: الجمعيات السرية والحركات الهدامة. محمدعبدالله عنان. ص115. دار الوفاء القاهرة (ط: 1995م) بتصرف.

(4) انظر: الأعلام الإسرائيلي. غازي السعدي. منير الهور. ص103.

القيم الغربية، وبدلاً من خطر، وتهديد موسكو صارت عواصم الدول الإسلامية مركز الخطر، والتهديد الأيديولوجي الجديد، ومثلما وُصِفت الشيوعية باعتبارها مرضاً صارت السلفية الإسلامية كذلك تُوصَف بأنها طاعون يصيب العالم الإسلامي بأكمله من المغرب إلى الهند(1).

وهكذا يحل عداء الغرب ممَّثلاً في الأصولية الصهيونية العالمية، والصليبية، لما يُسمَّى بالخطر الإسلامي محل العداء للخطر السوفيتي زمن الصراع بين الشرق، والغرب، أو بين السوفيت، والولايات المتحدة الأمريكية، ويحل التهديد الإسلامي محل التهديد السوفيتي بعد نهاية الحرب البادرة، ويشار على الدوام إلى أن الإسلام هو العدو الطبيعي للغرب، وتتبع الأصولية الصهيونية العالمية في ذلك بأن تدفع بشخصيات ثقافية، وعلمية لامعة لكي تقوم بالترويج لدعايتها، ولاستعداء العالم لخصومها، وحتى يكون رجع الصدى إيجابياً لكتاباتهم، أو مقالاتهم، أو مقولاتهم التحريضية على العرب، والمسلمين بأساليب ملتوية فقد ضم "هنتنجتون" في كتابه صراع الحضارات الكنفوشسية إلى جانب الإسلام في صراعهم الحضاري مع الغرب ففي مقالته الشهيرة في مجلة الفورين أفيريز يشير صمويل هنتنجتون إلى أن الصراع الإسلامي الغربي سيصبح جزءاً أساسياً من السياسة الدولية في المستقبل المنظور، ويضع مقال هنتنجتون ــ صدام الحضارات ــ تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات محل الحرب البادرة، والمعارك الأيديولوجية حول الفاشية، والشيوعية، والديمقراطية التي سيطرت على معظم القرن الفائت، ويرى هنتنجتون أن الصراع الإسلامي الغربي هو الأكثر استمرارية بينما يرى أن الصراعات الحضارية الأخرى مثل الصراع بين أمريكا الشمالية الغربية، أمريكا اللاتينية أقل قابلية للتفاقم، وأكبر قابلية للحلول الوسط هذه الحلول الوسط التي لا يمكن أن توجد لها مكان مع وجود السلفية الإسلامية بالذات إلا بإذابة الإسلام، وإحلال النصرانية محله(2)، قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ...﴾ (سورة البقرة، آية: 120).

بِسْمِ بِسْمِ بِسْمِ

---

(1) انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص205: 206. دار الأفاق العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 2001م). وانظر: السيطرة على الإعلام: ناعوم تشومكسي. ت: أميمة عبداللطيف. ص17.مكتبة الشروق. القاهرة (ط2: 2005م).

(2) انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. ص206: 207. وانظر: السيطرة على الإعلام: ناعوم تشومكسي. ص19.

الفصــل الثــاني
أثر معتقدات نهاية العالم عند الأصولية اليهودية، والنصرانية في واقع المسلمين المعاصر

توطئة:

ناقش الفصل الأول من هذا الباب بعضاً من أساليب الهجمة الأصولية الصهيونية العالمية على الإسلام، والمسلمين من الداخل في المجال السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والاجتماعي، والتربوي، والفكري الثقافي، واتضح من خلاله أن الأصولية الصهيونية ما تركت مجالاً من المجالات لاستهداف الإسلام؛ لتفكيك عراه، ولحمته إلا وسلكته كما استهدف من الخارج من قبل الأنظمة السياسية، والاقتصادية العالمية، وبالذات فيما أصبح يسمى اليوم بالنظام العالمي الجديد الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية من خلال المحافظين الجدد المنتمين إلى الأصولية الصهيونية العالمية، وانضمت إليهم مؤخراً الكنيسة الكاثوليكية الصليبية، والتي تمثل أكثر من مليار كاثوليكي ثلاثة أرباعهم من دول العالم الثالث، مستغلة ضعف العالم الإسلامي، والحملة العالمية ضده، والتي أتقن التخطيط لها، وتنظيمها منذ أمد بعيد، وأهدافها بالدرجة الأولى سياسية استترت تحت مزاعم دينية منطلقة من التراث المشترك بينهما، والذي يؤمن به اليهود والنصارى معاً بما فيه من دعاوي زائفة، ومكذوبة تحملها، وتدعو إليها كالميثاق الإلهي الذي يربطهم بالأرض المقدسة في فلسطين، وهو الوعد الإلهي السرمدي، وربط الإيمان النصراني بعودة السيد المسيح υ بقيام دولة صهيون، وجعل قيام إسرائيل من أبرز مقدمات العودة، وربط مستقبل الشعوب النصرانية بمدى إحسانها، أو إساءتها لليهود، وقد تم الحديث عن ذلك كله مفصلاً من خلال الباب الثاني لهذه الدراسة.

واليهود يستغلون البروتستانت ابتداءً، كما يستغل الإنجيليون اليهود، فيندفعون في مظهر تحالفي للعمل معاً؛ ليحقيق كل فريق مآربه فأنفذوا المشروع الاستيطاني على أرض فلسطين؛ للتخلص من رجس اليهود، وعملوا على تحويل الصراع التاريخي الدموي بينهما إلى تحالف استراتيجي، وحماية للمصالح، وأصبح المسلمون المؤمنون بالسيد المسيح عيسىυ أعدائهم، واليهود الذين نص إنجيلهم على قتلهم للمسيحυ، وصلبه أضحوا هم الحلفاء الذين برضاهم يرضى الرب، وبغضبهم يغضب، وبالتلاعب، والتزوير الذي أحدث بالإنجيل بسماح النصارى لليهود القيام به، فتحولت النصرانية إلى رسالة تدعم الصهيونية، وتقر العدوان، وتشجع اغتصاب الأوطان، ثم تضفي على ذلك صبغة دينية معتبرة أن ذلك سعياً؛ لتحقيق الوعد الإلهي(1).

ولقد أقر هذه الحقيقة حاييم وايزمان في مذكراته فقال: «وللقارئ أن يسأل: ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين؟، والجواب على ذلك أن الإنجليز، لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتديُّن الإنجليز هو الذي ساعدنا على تحقيق آمالنا، لأن الإنجليزي يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية الإنجيلية في هذه الناحية أكبر المساعدات»(2)؛ لذا لما قام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين تبارت بعض الطوائف الكاثوليكة، والبروتستانتية في تقديم التنازلات، والمزيد من الاعترافات لمصلحة إسرائيل، وليس أدلَّ على ذلك من الوثيقة التي صدرت عن المجمع الفاتيكاني عام(1965م)، أي بعد (17) عام من الاحتلال بخصوص العلاقة مع الأديان غير النصرانية حيث جاء فيها: «إن هذا المجمع المقدس إذ يتقصى سر الكنيسة يذكر الرباط الذي يربط روحياً شعب العهد الجديد بذرية إبراهيم، ولا تبرح أمام ناظري الكنيسة كلمات بولس الرسول في بني قومه الذين لهم التبني، والمجد، والعهود، والناموس، والعبادة، والمواعيد. لهم أيضاً الآباء، ومنهم المسيح ـ بحسب الجسد ـ ابن مريم العذراء، وأنها تذكر أيضاً بأن الرسل الذين هم عواميد الكنيسة، وأساسها ولدوا من الشعب اليهودي، وكذلك كثير من أولئك التلاميذ الأولين الذين بشّروا العالم بإنجيل المسيح،...، وبما أن للنصارى، ولليهود تراثاً روحياً مشتركاً يريد هذا المجمع المقدس أن يوحي بالمعرفة، والاعتبار، وأن يعززهما بين الاثنين، و...، وإن الكنيسة لا تدفعها في ذلك الدوافع السياسية بل محبة الإنجيل الدينية مذكرة بذلك التراث المشترك مع اليهود»(3)، ويقول بول فندلي عضو الكونجرس الأمريكي، ويؤيده أمريكيون عديدون من محافظين، وغيرهم بحجة القيم الثقافية، والسياسية المشتركة: «يعتقد عدة محافظين بأن قيام إسرائيل عام (1948م) كان تحقيقاً لنبوءة توراتية، وبأن إسرائيل ستستمر في لعب دور

---

(1) انظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى: أحمد زايد. ص236.
(2) النبوءة والسياسة: هالسل. ص10.
(3) نفسه: ص11.

مركزي في القدر الإلهي، والانتماء الديني»، يميل أيضاً إلى التأثير على معتنقي المذاهب الرئيسية على النظر إلى الشرق الأوسط، وكأنه صورة لما ورد في التوراة(1)، ويؤكد ذلك أيضاً ما قاله سفير أميركا "لونسن" عندما قدم أوراق اعتماده في (12 نوفمبر1995م) بمدينة القدس بقوله: «لا يسعني إلا الفخر بما قامت به بلادي من إنشاء بلادكم، وأنه لجدير بنا نحن الذين ندين بحضارتنا إلى الكثير من إلهام أنبياء إسرائيل متحدين مع أحفادهم في المهمة العظمى، وهي بناءُ أمةٍ حديثةٍ في الأرض القديمة»(2)، ومن خلال كلامه نرى تلك النصرانية الدينية التي هي من إلهام أنبياء بني إسرائيل، وهذا التعبير لا يصدر إطلاقاً إلا من إنسان أطلع على التوراة، وآمن بها مثل إيمان اليهودي تماماً، وعموماً فإن أي تحالف، وراءه عامل عقدي، أو فكري، وإن كان زعماً باطلاً غير واقعي، أو مقبولاً، أو منطقياً فهو يمثل خطراً شديداً على الإسلام، والمسلمين.

(1) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: إسماعيل الكيلاني. ص50: 51. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت (ط2: 1990م).
(2) أمريكا والصهيونية: سامي حكيم. ص152: 153. دار الأنجلو المصرية. القاهرة (ط1: 1989م).

أثر معتقدات نهاية العالم عند الأصولية اليهودية النصرانية في واقع المسلمين المعاصر

نجد أن للأفكار الأصولية الآثار الكبيرة، والمدمرة على الإسلام، والمسلمين من خلال إثارة الفتن الداخلية بين الأقليات غير المسلمة، والمسلمين في العالم الإسلامي، والعكس باضطهاد الأقليات المسلمة الموجودة في الدول غير الإسلامية، ومن ذلك التقرير الذي نشرته الإدارة الأمريكية في شهر آب أغسطس في عام (1999م) حول الحالة الدينية في كل دولة من دول العالم، وقد تضمن التقرير انتقادات متفاوتة لعدد كبير من الدول من بينها دول عربية، وإسلامية إضافة إلى دول أخرى، ورافق نشر التقرير جولة استطلاع على بعض الدول المعنية قام بها دبلوماسي أمريكي برتبة سفير كلف بمراجعة حكومات هذه الدول بإقناعها بضرورة تصحيح سياساتها، والامتناع عن الاضطهاد الديني، وخاصة ضد النصارى؟، وبدأت بعد ذلك الخارجية الأمريكية إصدار التقارير السنوية حول حقوق الإنسان[1]، وبدأت قصة ذلك التحرك عام (1996م) عندما أطلق محامي يهودي يدعى "مايكل هورو فيتيز" كان يشغل منصباً في وزارة المالية حملة إعلامية سياسية واسعة النطاق تضمنت الأمور الآتية:

أولاً: الادعاء بأن النصارى في الدول العربية، والإسلامية يتعرضون للاضطهاد، وأنهم يمنعون من ممارسة شعائرهم الدينية، ويحظر عليهم بناء الكنائس، وطبع الأناجيل، أو الكتب الدينية، وأنهم بسبب ذلك يهاجرون من هذه الدول هرباً بدينهم، ومعتقداتهم.

ثانياً: أن الكنيسة في أوروبا والولايات المتحدة تتجاهل مأساة إخوة الإيمان بالمسيح، وتقصّر في الدفاع عنهم، وعن حقوقهم الدينية، وأن حكومات الدول الغربية معنية بمصالحها فقط، وبسلامة الأنظمة التي تحفظ لها هذه المصالح حتى ولو كان ذلك على حساب حقوق النصارى في ممارسة شعائرهم الدينية.

ثالثاً: أن على الكنيسة الغربية، وحكوماتها أن تتحرك؛ لإنقاذ النصارى قبل فوات الأوان، وذلك بفرض عقوبات على الدول التي تمارس الاضطهاد الديني بصرف النظر عن تحالفها مع هذه الدول الغربية، أو تلك فالأولية في العلاقات مع العالمين العربي، والإسلامي يجب أن تقوم على احترام حق النصارى في ممارسة شعائرهم بحرية مطلقة[2].

ومن أجل إنجاح هذه الحملة أقام مؤسسته في واشنطن العاصمة باسم بيت الحرية مهمتها جمع الوثائق، والمعلومات عن اضطهاد النصارى في الدول الإسلامية، وإعداد المنشورات الإعلامية؛ لإدانة هذه الدول، وقد بدأت المؤسسة منذ ذلك الوقت بتوزيع منشورات تتهم دولاً مثل: اندونيسيا، ومصر، والسودان بممارسة الاضطهاد الديني بأشكال مختلفة، وبدأ عدد من الكتاب بكتابة مقالات، وتعليقات استناداً على تلك المنشورات، ثم تعاطفت الكنائس النصرانية الأمريكية، وأصدرت بياناً مشتركاً بعنوان بيان ضميري دعت فيه الإدارة الأمريكية بمواجهة الدول التي تمارس الاضطهاد الديني، وتمثلت الخطوة الثانية في الدعوة إلى لقاء تحت عنوان: «اليوم العالمي للتضامن مع الكنيسة المضطهدة»، اشتركت فيه استناداً إلى مجلة جيروزالم ريبورت عدد يناير(1997م)، (40.000) كنيسة، وأخذت هذه القضية إلى الكونجرس الأمريكي «فتشكلت لجنة خاصة استدعت عدداً من الشهود للاستماع إلى إفاداتهم حول الاضطهاد الديني ضد النصارى في الدول الإسلامية فإذا بهؤلاء الشهود أكثريتهم الساحقة من اليهود أمثال هورو فيتيز، ومنهم الكاتبة الصهيونية نينياشيه صاحبة كتاب في عرين الأسد، والكاتب الصهيوني باتيؤول صاحب كتاب انقراض النصارى الشرقيين في ظل الحكم الإسلامي، والكاتب المتصهين ستيفن أمرسون صاحب كتاب الأسلمة، وأثرها على العلاقات الدولية، وحقوق الإنسان، والكاتب المتصهين بول مارشال صاحب كتاب دمهم يصرخ، وأسوأ هؤلاء جميعاً الكاتب الصهيوني أ.م. روزنتال صاحب مقالة دورية في صحيفة نيويورك تايمز، والذي يركز في العديد من مقالاته على ما يسميه اضطهاد النصارى الأقباط في مصر»[3].

وكان طبيعياً أن يتأثر الرأي العام الأمريكي، والأوروبي بالحملة المتعددة الجوانب التي تصور النصارى في بعض الدول الإسلامية بأنهم يتعرضون للتنكيل، والاضطهاد على أيدي المسلمين، وبما أن الانتماءات الدينية تلعب دوراً أساسيا في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وفي انتخابات مجلس الكونجرس الشيوخ، والنواب فإن استرضاء الرأي العام بإجراءات معادية لمن يضطهد النصارى في أي دولة إسلامية قد أصبح هدفاً في حد ذاته في سياسة البيت الأبيض،

---

(1) انظر: رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية: سمير مرقس. ص33: 42. دارالشروق. القاهرة (ط: 2001م).
(2) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص108: 109.
(3) نفسه: ص109: 110.

والكونجرس على حد سواء، والتقرير الذي صدر عام (1999م)، والذي سبق الإشارة إليه كان البداية لذلك.

وبذلك أصبحت صورة المسلم في العقل الغربي المهود صورة مشوهة إلى حد بعيد، لدرجة أن الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون يحدد هذه الصورة في كتابه اقتناص اللحظة ص195بقوله: «إن الأمريكيين ينظرون إلى المسلمين على إنهم غير متحضرين، برابرة، مزاجيين، لا يستقطبون الانتباه؛ إلا لأن بعض قادتهم يحكمون مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط، والأمريكيون يذكرون الحروب الثلاثة التي شنها العرب للقضاء على إسرائيل، ويذكرون عملية الهجوم الإرهابي على أولمبياد ميونخ والتي قام بها فلسطينيون من منظمة أيلول الأسود، ويذكرون مذابح المليشيات الإسلامية في لبنان، وتفجيرات الطائرات المدنية بواسطة سوريا، وليبيا، ويلخص نيكسون هذه الصورة الحاقدة بقوله: «ليس لأي أمة في العالم، ولا حتى للصين صورة سلبية في الضمير الأمريكي مثل صورة العالم الإسلامي»(1).

وبدأ الإعلام الغربي منذ مطلع التسعينات تصنيف المسلمين على أنهم أبناء ثقافة الإرهاب، وجعل من الأصولية مصطلحاً سلبياً مرادفاً للإسلام، وأن الإسلام مرادف لكل ما هو بشع مثل (التعصب، والتطرف الديني، والإرهاب،...)، كما جعل من عبارة الأصولية مفتاحاً، أو شفرة لفهم الإسلام، ويكفي أن يعلن شخص ما في الغرب عن نفسه بأنه مسلم حتى يوصف على الفور بأنه أصولي، وبالتالي إرهابي، ومن أجل ذلك بدأ التحرك ضد العالم الإسلامي، والذي أخذ عدة أشكال متمثلة في عدة دوائر:

الدائرة الأولى: هي دولية وذلك من خلال ما تتعرض له الأقليات الإسلامية في العالم من اضطهاد، وقمع في يوغسلافيا السابقة، وخاصة في البوسنة، والهرسك، وكوسوفو، وفي الاتحاد السوفيتي السابق، وقبل ذلك في أذربيجان، وفي الهند، وخاصة في كشمير، وفي أوروبا الغربية حيث ارتفعت وتيرة الحركات العنصرية المعادية للمهاجرين المسلمين من تركيا، وشمال أفريقيا.

الدائرة الثانية: وتتخذ عدة أوجه منها: فرض أحكام دولية بالعقاب الجماعي الذي يلحق ضرراً جسيماً بحياة الناس، وينتهك حقوقهم كما يجري في العراق، وسابقاً في ليبيا، وسوريا، والسودان، وغيرهم، وذلك بحجة معاقبة أنظمة سياسية سيئة، ومنها سياسة المعايير المزدوجة، أو ازدواجية المنطقين المتناقضين بين العرب وإسرائيل، والتي أمثلتها واضحة للعيان مثل: إلزام الدول العربية بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وإسرائيل تمتلك ترسانة نووية ضخمة، وغيرها من السياسات في المنطقة.

الدائرة الثالثة: وهي داخلية، وتتمثل في الصراع على السلطة في بعض الدول العربية، أو بالصراع معها مثلما حدث في جنوب، وغرب السودان، والصومال،...، أو استهداف رموز السلطة بالاغتيال مثلما حدث في لبنان، والجزائر، و...، وكما يجري الاعتداء على ممتلكات الدول من مباني، وجسور، وطرق، ومنشآت عامة لتوليد الطاقة الكهربائية، وضخ المياه، أو أماكن إنتاج النفط، وذلك بهدف الإضرار بمصالح الشعوب، وتدمير اقتصاد الدول العربية، والإسلامية(2)، وأهم آثارها على العالم الإسلامي تتمثل في:

1. القضاء على الخلافة الإسلامية رمز الوحدة، وقاعدتها في تركيا، واستطاع الفكر اليهودي المباشر، والمستتر أن يزرع نظريات تقول بانتماء الأتراك إلى الجنس الآري المتقدم على الجنس السامي، وبأن الانحطاط التركي سببه الإسلام، وأنه بالتالي لا خلاص للأتراك إلا بفك ارتباطهم بالإسلام، وأدى الأخذ بهذه النظريات إلى استبدال الإسلام بالقومية الطورانية(3)الأمر الذي أفسح المجال أمام جملة من ردود الأفعال القومية في سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية أدى بالنتيجة إلى تفسخ وحدتها، وسهَّل عملية اقتسامها، وسلب أراضيها(4)، حيث تم اقتسام الإمبراطورية، فحصلت روسيا على القسطنطينية، وعلى ممرات البوسفور، وعلى قسم من شرق الأناضول، وحصلت فرنسا على سوريا، والموصل، وعلى جزء من جنوب الأناضول بما فيها الأسكندرون، وحصلت بريطانيا على بقية العراق، إضافة إلى مصر، والصراع الفرنسي البريطاني على

---

(1) نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله: عماد الدين خليل. ص110. دار النفائس. بيروت (ط: 1995م).

(2) انظر: الصهيونية المسيحية. ص123: 124.

(3) الطورانية: حركة ظهرت في تركيا عرفت ببني طوران، وقد نبتت في الآستانة سنة 1331م، ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من السلطنة، وقد امتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غايتها توحيد القومية التركية بالعنصرية الجنسية دون الروابط الدينية الإسلامية (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب. ج2. ص1088).

(4) انظر: دراسات في تاريخ العرب الحديث، الشرق العربي من الفتح العثماني وحتى نهاية القرن التاسع عشر: عبدالعزيز عمر. ص189. المكتب الحديث. الإسكندرية (ط: 1972م).

فلسطين أدى إلى اتفاقهم على وضعها تحت إدارة دولية(1).

2. الصراع الأمريكي البريطاني الفرنسي على امتيازات النفط، وانعكس على موقف كل منها من طريقة الانتداب التي تحدثت عنها سابقاً، وتصورها لحدود الانتداب على العراق، وفلسطين بشكل مغاير لما كانت تقترحه بريطانيا، وفرنسا، وهذا الصراع لم تحسمه سوى حرب الخليج عام (1991م) فأمريكا تفرض من خلال نتائج الحرب هيمنتها على الثروة النفطية في المنطقة من البئر حتى المصب.

3. مساعدة إسرائيل على هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، وتجْمع الأموال من جميع النصارى الصهاينة على مستوى العالم؛ لتحقيق ذلك، وهذا موثق في نشرة أصدرتها منظمة السفارة المسيحية بالقدس فور إنشائها جاء فيها: «ليكن عدائكم ضد الروح الإسلامي، إن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي، وعن كل العداء للسامية في أنحاء العالم، وعن موقف العداء لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط، وأمم أخرى في العالم أغلبيتها من المسلمين، ومسؤولة عن فكرة الابتزاز النفطي ضد أمم العالم التي تساند إسرائيل، والإسلام مسؤول عن السخرية الكبيرة من الله، إذ أن هناك مسجداً إسلامياً في أقدس بقعة في جبل مورية ...، وهذه وصمة عار للموقع المقدس للهيكل»(2).

4. عدم توقيع أي اتفاقيات سلام مع العرب ففي عام (1996م) ترأس نتنياهو بعدما انتخب رئيساً لإسرائيل المجلس الإسرائيلي النصراني، فدعا (17) من القادة الأصوليين الإنجيليين لزيارة إسرائيل بمَن فيهم دون أركي رئيس التحالف الوطني الإنجيلي، وبران جوستافسون رئيس المذيعين الوطنيين الدينيين، ودونالد ويلديمون رئيس الاتحاد العائلي الأمريكي، وهؤلاء هم الذين يمثلون ملايين النصارى الذين وقَّعوا عريضة يطالبون فيها بأن لا تتخلى أميركا عن إسرائيل، وفي العاشر من أبريل عام (1997م) نشر عدد منهم إعلاناً مؤيداً لإسرائيل في صحيفة نيويورك تايمز، واستخدموا عبارات من الكتاب المقدس، للتأكيد على أن القدس هي العاصمة الروحية، والسياسية للشعب اليهودي وحده طوال (3000) عام، ووقَّع على الإعلان بات روبستون، ورالف ريد رئيس التضامن النصراني، و وا. ماكثير عن منظمة الطاولة المستديرة الدينية إضافة إلى فوليل، ونتج عن ذلك أنه في عام (1998م) ألغت إسرائيل التزاماتها باحترام اتفاقيات السلام مع الفلسطينيين، وقد أشاد التحالف النصراني بإسرائيل؛ لتشددها، ورفضها السلام(3).

5. ضرب الإسلام عن طريق ضرب كل الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، وذلك بحجة الإرهاب، ومقاومة التطرف، ولقد تصدى لهذا الدور الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، والذي أعلن بعد حادثة 11 سبتمبر/2001م أنه سيقاوم الإرهاب، ويقضي عليه، ونجده بين فترة، وأخرى يعلن قوائم للإرهاب يضع فيها ما يشاء من الحركات الإسلامية المقاومة للإرهاب الصهيوني، وذلك للقضاء على الروح الإسلامية المجاهدة، وفي خطاب ألقاه في 2002/1/29م بيَّن فيه حربه المقدسة على الإسلام، والمسلمين ونصه: «السيد الرئيس رئيس الكونجرس الأمريكي أعضاء الكونجرس المواطنين الأمريكيين، أود بكل اعتزاز أن أقول لكم إن حال الاتحاد النصراني اليهودي الأبيض، والثري قوية تماماً، ولم يحدث أبداً في تاريخنا أن تكون القوة، والهيمنة، والقيم الأمريكية قوية، ومهابة، ومحترمة، ومقبولة في العالم كما هي اليوم، فاليوم يوجد العالم الأمريكي، والقوات المسلحة الأمريكية، ووكالة الاستخبارات الأمريكية (سي. آي، أيه)، ومكتب التحقيقات الفدرالي في أكثر من مائة دولة؛ لضمان السلام، والإذعان، والتحرر من الخوف، والإرهاب، وينبغي أن يكون الأمريكيون فخورون بي، وبحكومتهم، وبرجال القوات المسلحة، ونسائها الذين يضحون بمباهج الحياة من أجل ضمان استمرار أسلوب حياتنا الأمريكية، وإنني فخور أن أبلغكم بأن طالبان قد انتحرت، وأن كابول قد تحررت، و...، وأود أن أبلغكم أن النساء الأفغانيات تخلين عن براقعهن إلى الأبد، وأن الفتيات الأفغانيات رجعن إلى المدرسة ليطالعن كيف ظفرنا بالغرب الأمريكي، وأن رمز الحضارة الغربية الثقافي الأكثر أهمية وهو التلفزيون قد عاد للحياة الأفغانية وهم سعداء الآن في التنقل في بلادهم لزراعة الأفيون، وعلى الرغم من أن الحرب في أفغانستان توشك على نهايتها فإن أمامنا طريقاً طويلاً ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية، والإسلامية، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي، ومسلم مجرد من الإسلام، وحليق الوجه، والذقن، وغير متدين، وكافر، ولا دين له، وليس لديه مذهب يؤمن به، ومسالماً، ولا يغطي وجه امرأته نقاب، وإنني مصمم على استخدام جميع مواردنا؛ لتحقيق ذلك قبل انتخابي لفترة رئاسية ثانية، وقد اهتمت إدارتي بوضع سياسة الطاقة القومية تحت إشراف نائب الرئيس تشيني، وسنبدأ في العمل في مشروع طموح؛ لبناء خط أنابيب مباشر تحت الماء من

---

(1) انظر: تاريخ الشرق الأوسط الحديث: دزموند ستيوارت. ص15. ترجمة: زهدي جارالله. دار النهار للنشر. بيروت (ط1: 1974م).

(2) قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. ص195.

(3) انظر: يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحها لصالح إسرائيل: جريس هالسل. ص90.

السعودية، والخليج، وإيران، والعراق إلى نيويورك، وعلى نفقتهم؛ لضمان امتدادات نفطية غير منقطعة، ولقد حان الأوان لنعيد تشكيل العالم من الجنس الأبيض المتحضر لفرض معتقداتنا الرزينة الودودة، والتحررية على عالم عربي مسلم جائع لأموالنا، ورسالتنا ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى، ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن، أو أجسادهن لقد حان الوقت لنحد من الحقوق المدنية، وندع رقابة على وسائل الإعلام العربية الإسلامية، كقناة الجزيرة الأخبارية لقد حان الوقت لننشئ شاشات لمراقبة حركة الطيران ورصدها»، ويستطرد قائلا: «إن حربي ضد الإرهاب لا تهدف فقط لقتل الأفغان، ولكنها تهدف إلى تجويع المسلمين، والعرب، وحرمانهم من المعونات الأمريكية، واليهودية التي لا يحمدوننا عليها أريد أن أغلق بنوك العالم في وجوههم، وأريد أن أجمد أرصدتهم في أمريكا، وفي أنحاء العالم سوف لا أقبل توسلاتهم عندما يجوع أطفالهم، وصغارهم الذين لا يتحملون الجوع سوف لا تمتلك جميع الأمم سوى خيارين: إما أن يكونوا معنا، أو يكونوا ضدنا»(1)، ويلاحظ من هذا الخطاب العنصرية، والحقد الشديد على الإسلام، وأهله، والتحيُّز لإسرائيل، وفرض مساعدتها، ويتبين كذلك يهوديته الخفية، وصهيونيته أكثر من الوصوليين الصهاينة أنفسهم؛ ذلك أن الانتخابات الرئاسية بأميركا تحت رحمة اللوبي الصهيوني، فلابد إذاً أن يكون أكثر، وأعمق صهيونية منهم حيث المصالح الوصولية في إعادة الترشيح تتطلب ذلك.

6 ـ ومنها أيضاً اختراقها الكنائس الشرقية، وخاصة الكنائس المصرية، وهذا الأمر له خطر كبير على مستقبل الإسلام، ويرجع رفيق حبيب في كتابه المسيحية، والحرب اختراقهم لمصر إلى أواسط الستينات من القرن العشرين في مدينة الإسكندرية، وعبر سلسلة المؤتمرات المنعقدة بالمؤتمرات، والتي عرفت بمدرسة الكرازة، وتعقد تحت رعاية أحد القساوسة التابعين للكنيسة الإنجيلية المشيخية المصرية، وهو القس الراحل "لبيب قلدس"، ولم يكن ذلك تعبيراً عن فكر الكنيسة بقدر ما كان تعبيراً عن فكر القس نفسه الذي كان من الأصوليين الكارزماتيين(2)، وبعد دخول الحركة إلى مصر بدأ الفكر ينتشر بين الكنائس المصرية، وتم ذلك تدريجياً، وبوضوح، وبرغم أنه كان ضد إرادة، وفكر الكنيسة في معظم الأحيان لكنه تم دون أدنى مقاومة منها، أو من قيادتها، ومن خلال هذه المؤتمرات تكوَّن جيل من الشباب المتحمس المتشبع بأفكارها، ولم يهجر الكنيسة بل كان يعود من المؤتمرات؛ ليعلم وينشر الفكر الجديد، وفي مصر كما في العالم بدأ الفكر يخترق الكنائس البروتستانتية التي تمثل الأصولية القديمة تاريخياً ثم يخترق باقي الكنائس مثل الكنيسة المشيخية، ثم تسرب للكنيسة الكاثوليكية، فالكنيسة الأرثوذكسية، وكان الطريق المخطط له، والمستهدف واحداً، وهو الاختراق دون الثورة، والتسرب من الداخل دون الهجوم من الخارج، وهي قاعدة، وإستراتيجية الأصولية الغربية المعاصرة في صورتها الأمريكية الخاصة(3)، وهذا الاختراق للكنائس النصرانية في الشرق الأوسط، وفي الدول الإسلامية له خطورته الكبيرة على البلدان الإسلامية، حيث يعمل على إيصال أفكار الأصولية الصهيونية العالمية، والمتمثلة في حق اليهود في أرض الميعاد، وشعب الله المختار، وغيرها من الأفكار التي يزعمها من خلال أباطيل العهد القديم، ويعمل على ترسيخها، ونشرها بين أفراد أبناء أجيالنا الصاعدة، وهو أمر له خطورته، وعواقبه الوخيمة على أمتنا الإسلامية، والعربية، وعلى أجيالنا القادمة التي نأمل أن نعدها بكل اقتدار، وثبات؛ لمواجهة هذه التيارات الحاقدة على دينها، وأمتها، وما ذكر قليل من كثير من تلك التأثيرات على ديننا وأمتنا، واكتفينا بها منعا للإطالة، أو التكرار.

بِسْـــــــــبِسْمِــــــبِسْمِـــــــــمِ

(1) جريدة الجيل المصرية. الثلاثاء. 24 رجب 1423هـ. أكتوبر 2006م. ع21. ص4.

(2) الكرزماتية: هي الإيمان بالعمل الإعجازي للروح القدس، ويعني ذلك أن المؤمن الخالص أو المولود ثانية والذي تخلص في لحظة وقبل المسيح مخلصاً شخصياً لحياته، يمر باختبار يزيد إيمانه، وهذا الاختبار هو الامتلاء بالروح القدس، فيسكن روح القدس بداخله ويعطيه قدرات معجزية، وتظهر هذه القدرات في أشكال كثيرة منها القدرة على معرفة إرادة الله، والقدرة على سماع صوته، والقدرة على شفاء المريض...، يقوم بعض الموهوبين بترجمتها وهي في النهاية رسالة من السماء. (نقلاً عن: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. محمد صقر. ص276).

(3) انظر: المسيحية والحرب، قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي: رفيق حبيب. ص160: 161. دار يافا للدراسات والأبحاث. القاهرة (ط: 1991م).

الفصل الثالث
مناقشة مزاعم التيارات الأصولية اليهودية، والنصرانية العقدية، ونقضها

ويتضمن:

توطئـــة:

المبحـــث الأول: الرد عليهم من خلال:

1- نصوص من التوراة تدل على خلاف مزاعمهم.
2- الفـرق اليهوديـة المناهضـة للأصـولية اليهوديـة المتطرفة
3- من أقوال وشـهادات الحاخامـات، والعلمـاء مـنهم من المتقدمين والمتأخرين.
4- نصوص من الإنجيل تدل على خلاف مزاعمهم.
5- الفـرق النصـرانية المناهضـة للفـرق النصـرانية الأصولية المتطرفة.
6- مــن أقــوال وشــهادات القساوســة، والرهبــان، والعلماء منهم من المتقدمين والمتأخرين.

المبحـث الثـاني: عـرض الأدلـة السـمعية والآثـار المثبتـة فـي أشـراط الساعة المختلف عليها لدى:

1- الأصولية الصهيونية اليهودية المعاصرة.
2- الأصولية الصهيونية النصرانية المعاصرة.
3- المسلمين.

المبحث الثالـث: عـرض أوجـه الاخـتلاف والاتفـاق فـي عقيـدة نهايـة العـالم ــ فـي مسـائل الاخـتلاف ــ فـي الإسـلام، ثـم اليهودية والنصرانية، وإثبات الوجه الصحيح.

توطئـــة

اتضح من خلال عرض الأبواب، والفصول السابقة أن العلاقة بين الأصوليتين اليهودية، والنصرانية، واتحادهما؛ لتشكيل الحركة الصهيونية العالمية؛ أدى إلى ارتباط أهدافهما، ومعتقداتهما من حيث القول بـ:

- قدسية الشعب اليهودي، وتميزه عن بقية البشر.
- إن أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب توراة إسرائيل، والعهد بين الله، وبين اليهود هو عهد قائم على علاقة ثلاثية بين الله، والأرض، والشعب، فالأرض مقدسة؛ لأن الله اختارها مقاماً له، واختارهم للقيام معه(1)، حيث يقول الرب لإبراهيم: **(وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض)**(2).
- لابد من قيام إسرائيل؛ لأنها ستكون المركز الرئيس للمسيح الموعود الذي سيحكم من خلالها العالم، ويأتي على يديه الخلاص. يقول "هال لندسي" الصهيوني المتعصب: إن دولة إسرائيل هي الخط الفاصل لكل الحوادث التاريخية في الماضي، والمستقبل، وإن ميلاد إسرائيل عام 1948م في أرض فلسطين هو تأكيد على صحة النبوءات التوراتية، وعلامة على اقتراب موعد العودة الثانية للمسيح(3).
- الإيمان بمعتقد بناء الهيكل الثالث؛ لأنه سيعجل ـ بزعمهم ـ مجيء المسيا؛ لذا فهم يتعاونون؛ لتحقيق هذا الهدف، وهو هدم المسجد الأقصى؛ وقبة الصخرة، ثم بناء الهيكل مكانه ثم انتظار المجيء الوشيك للمسيح الذي يطمعون أن يدخل اليهود في دينه هذه المرة، والاختلاف في شخصية المسيح الآتي بين الأصوليتين لا يعطل مسيرة العمل المشترك بينهما بل إن كليهما يعين الآخر في القدر المشترك من الاتفاق فهما متفقان على ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى ثم عندما يأتي المسيح يكون له شأن آخر(4). فقد قال أحد زعماء الحركة الصهيونية لزملائه من الأصوليين المسيحيين: «إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح، ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوياً»(5).
- أما الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير، وقوى الشر فهو من صنع الحركة الصهيونية، وتبعهم الأصوليون النصارى في هذا الاعتقاد فكانت عقيدة معركة هرمجدون النووية؛ ليحققوا أهدافهم، ومكاسبهم.

ومن هنا يتبين لنا أن العلاقة المدعمة بين الطرفين لها أثرها الكبير، والخطير على الإسلام، والمسلمين، ولنا في هذه العقائد المزعومة وقفات؛ لجلاء الحقائق لا من وجهة نظر العلماء المسلمين فحسب، وإنما من خلال نصوص من كتبهم المعتمدة، وفرقهم المناهضة لهم، وأقوال علمائهم، وحاخاماتهم، ورهبانهم، وقساوستهم من المتقدمين منهم، ومعاصريهم، وممَّن دخل منهم الإسلام بعد قناعته بزيف كتبهم، وتبديلها، وتحريفهم للنصوص بما يلائم أغراضهم، وبحسب الزمان، والمكان، والأحوال، وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل بإذنه تعالى.

---

(1) انظر: الأصولية المسيحية: جورجي كنعان. ص126.
(2) انظر: نفسه. ص127.
(3) انظر: نفسه. ص134.
(4) انظر: قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. ص155.
(5) نفسه: ص155.

المبحث الأول
مناقشة مزاعم التيارات الأصولية اليهودية، والنصرانية العقدية، ونقضها

1. الرد عليهم بنصوص من التوراة تدل على خلاف مزاعمهم في عقائد نهاية العالم:

أولاً: نقض عقيدة: أرض المعاد عند الصهيونية العالمية(1):

ذكرت سابقاً(2) أن عقيدة أرض المعاد عند فرق الأصولية اليهودية الصهيونية تُعد من الأفكار الراسخة، والتي تؤمن بها إيماناً لا يقبل الشك، ويعتبرون أن الله تعالى قد وعد إبراهيم، ونسله من بعده بالملكية الأبدية لفلسطين وما حولها، وذلك انطلاقاً من مصادرهم التشريعية، وهذا المعتقد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الشعب المختار؛ لأن الشعب والأرض يرتبطان برباط أزلي مقدس تجسدا في منح الله شعبه المختار لتلك الأرض المقدسة؛ لأنها أرض الرب، حيث جاء في سفر يوشع9: **(الأرض التي يقطن فيها الله، وهي أيضاً أرض الرب3)**، وهي مقدسة لارتباطها بالشعب المختار، حيث جاء في سفر دانيال11: **(الواحد القدوس، تبارك اسمه، قاس جميع البلدان بقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لإسرائيل سوى أرض إسرائيل16)**. ولأن الأرض منحة من الله كما وردت في التوراة، وليست منحة من أحد فقد تحولت عقيدة أرض الميعاد في العقل اليهودي إلى فكرة لاهوتية فقدت أبعادها التاريخية الجغرافية المتعيّنة.

ونظراً لكثرة النصوص المحرفة بكتابهم المقدس العهد القديم، فإننا سنعرض، ونناقش أهم النصوص الواردة بهذا الشأن التي لا تخفى على كل ذي لب مخالفتها، ومناقضتها لمزاعمهم فتزعم الأصولية الصهيونية العالمية كما ذكرنا بالفصل الرابع من البابين الأول، والثاني أن الرب أعطى لبني إسرائيل فلسطين على النحو الآتي:

- ملكاً أبدياً لهم، ولذرياتهم من بعدهم.
- حددت ثلاث نصوص ملكية الأرض من الفرات إلى النيل(3).

ولتفنيد هذين الزعمين نعرض أولاً بعضاً من النصوص:

ذكر التوراة عهود من الرب لإبرام (إبراهيمυ) ـ كما يزعمون ـ، وذريته من أبناء يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، وامتدت بعد وفاته لموسىυ، ومن بعده لخليفته على قومه يوشع بن نون رغم أن بينهما، وبين نبي الله إبراهيمυ **(7)** قرون، وتكررت تلك العهود بزعمهم أكثر من (10) مرات في عدة مواضع من التوراة منها:

1. يقول الرب لإبرام في التكوين13: **(ارفع عينيك، وانظر الموضع الذي فيه14 شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى <u>لك أعطيها</u>، <u>ولنسلك إلى الأبد</u>، <u>واجعل نسلك كتراب الأرض</u>،...قم، وامش في الأرض طولاً، وعرضاً، <u>لأني لك أعطيها18</u>)**.

2. ثم كرر هذا العهد، وجعله بحدود جغرافية مفتوحة مترامية الأطراف يقول في التكوين18: **(<u>لنسلك أعطي هذه الأرض</u> من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات15)**.

3. أما عهد الختان الذي يستدلون به على تملك إبراهيمυ للأرض ملكاً أبدياً يقول الرب لإبرام أيضاً في التكوين7: **(<u>أما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك4 في أجيالهم</u>، <u>هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم</u>، <u>وبين نسلك من بعدك</u>، <u>يختتن منكم كل ذكر</u> <u>...فيكون علاقة عهدي بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختتن منكم كل ذكر في أجيالكم</u>... <u>وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه، عهداً أبدياً لنسلهم من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره، كثيراً جداً، أثنا عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية22</u>)**. فذكر هنا الشرط الأول الختان ثم يقول: **(<u>واختتن إبراهيم وهو ابن 99 سنة</u>،وأما إسماعيل فهو <u>ابن 13 سنة</u>، <u>وولد إسحاق بعد عام17</u>)**. وفي هذا العهد سماه الله إبراهيم بدل إبرام.

4. ثم ذكر في موضعاً آخر الشرط الثاني للتملك وهو عبادة الله وحده لا شريك له فقال في التكوين17: **(<u>لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم7وأثمرك كثير جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون</u>، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، عهداً أبدياً، <u>لأكون لك إلهاً</u>**

---

(1) إذا ذكرت الأصولية الصهيونية العالمية فأنها تعني الأصولية الصهيونية اليهودية والنصرانية، وكل فرد يعتقد ذلك ويساند قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، ويساند الاحتلال والتوسع الاستيطاني يعتبر صهيوني.

(2) الباب الأول. الفصل الرابع. ص214.

(3) انظر: تكوين: 12/ 15/ 26.

<u>ولنسلك من بعدك</u>، <u>وأعطيك الأرض التي أنت نازل فيها لك ولنسلك من بعدك</u>، <u>كل أرض كنعان</u> ، <u>ملكاً أبدياً وأكون لهم إلهاً</u>18).

5. ثم جنح إبراهيمυ للظلم ـ عياذاً بالله ـ؛ ليستأثر إسحاق دون أخوته حيث يقول في التكوين25: **(وأعطى إبراهيم كل ما له لإسحاق ولبني السراري التي لإبراهيم هبات وصرفهم... بعيداً عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق6).**

6. ثم نجد الرب يجدد العهد مع يعقوب ابن إسحاق كما جاء في التكوين35 ويقول: **(والأرض التي أعطيتها لإبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك12...).**

وكما هو واضح من النص الأول فهو مطلق لم يحدد النسل هل هم أبناء إسماعيل أم إسحاق، وبغض النظر عن التقييد، أو الإطلاق فإن هذه النصوص محرفة بلا أدنى شك، ومفتراه على الله عز وجل، وقبل مناقشة النصوص لابد من التسليم، وإثبات قضيتين مهمتين هما:

أولاً: تحديد نسل إبراهيمυ كما جاء في التوراة بالتسلسل، والترتيب كالآتي:

1. ورد في التكوين16: **(وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل16..)**، ومعلوم أن من ذرية إسماعيل العرب وهو الجد الأعلى لنبينا المصطفى محمد ^.

2. وفي موضع آخر من التكوين21: **(فحملت سارة وولدت لإبراهيم ابنا فسمى إبراهيم ابنه إسحاق4)**، وإسحاق أبو جميع أنبياء بني إسرائيل.

3. يذكر التكوين21 الزوجة الثالثة لإبراهيمυ: **(وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قنطورا1 فولدت له: زمران، ويقشان، ومدان، ومدين، ويشبان، وشوحا3)**، ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية(1) أن إبراهيمυ تزوج من حجون بنت أمين العربية، وله منها خمسة أولاد، وهؤلاء الأبناء الـ (11) لم يذكر، أو يثبت في الكتاب، أو السنة، أو التاريخ لأحدهم نبوة..، بحسب ما وقع بأيدينا من مصادر، وهذه الأنفس مجتمعة هم نسل إبراهيمυ الذكور، ومنهم تفرعت الذرية فلماذا خص إسحاق دون غيره من أخوته؟، علماً أن النص ذكر الوعد قبل أن يولد أياً منهم؟.

ثانياً: صحة ملكية إبراهيم υ للأرض:

يذكر القرآن الكريم أن الله عز وجل مَنَّ على إبراهيمυ بالملك العظيم مع عدم تحديد نوع الملك قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (سورة النساء، آية:54) فقوله: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾ فالكتاب: اشتمل على النبوة، والرسالة متضمنة لها بالضرورة إذ أن الكتاب لا ينزل إلا على رسول نبي، وأما ﴿بِٱللَّهِ﴾: فتشتمل على العلم، ورجحان العقل، والفطنة، وكمالهما، وقوله ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ فالعطف بالملك العظيم المغاير لما سبق من فضل من الكتاب، والحكمة فيشتمل على: المال، والنعمة غير المحدودين في حساب البشر أياً كان مصدره ونوعه، ويدخل ضمناً جميع أنواع التملك المادي المعلوم بالبداهة كتملك: الأراضي، والبساتين، والإنسان، والحيوان، وكمال صحة الأبدان، وخلافه كما حكى القرآن الكريم عن: يوسف، وداود وسليمان عليهما السلام، وطالوت، وقد ذكر القرآن الكريم محاجة بني إسرائيل لنبيهم عندما أخبرهم باختيار الله لطالوت ملكا عليهم رغم أنه ليس من أرباب المـال، والنفوذ، قال تعالى: ﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ ﴾ (سورة البقرة، آية:247)، فمناط التكليف هنا اكتمال العلم، والصحة البدنية، لا المال، وقال تعالى على لسان يوسفυ: ﴿ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ ﴾ (سورة يوسف، آية:101)، رغم أنه لم يكن ملكاً إنما كان وزير ملك.

فعليه يثبت لإبراهيم υ، ولذريته من بعده ممَّن حفظ العهد، وعمل بالشرائع على وجه الخصوص من الأنبياء، والرسل:

---

(1) انظر: ج1. ص180. وذكر ابن كثير أن أبناء حجون بنت أمين فولدت لـه خمسة: كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس.

- الملك: بسائر صوره.
- الكتاب: المتضمن بالضرورة النبوة، والرسالة.
- العلم: المتضمن الحكمة.
- المال: المتضمن الملك [وإن وردت الأحاديث الصحيحة بأن الأنبياء لا يورثوا الملك، والمال].
- الصحة: المتضمنة القوة، والكفاءة... وفي كليهما أعطىً درجة الكمال الإنسانيّ.

مناقشة، ونقد نصوص التوراة المعتمدة بكتبهم أعلاه:

بعد إثبات ذرية إبراهيمυ، ونسله من الذكور الثلاثة عشر الواردة أسماؤهم بالنصوص التوراتية أعلاه نجد الآتي:

1. النصان الأول، والثاني في الأول الحدود على مرمى النظر فقط، والمحددة بقوله: **(ارفع عينيك وانظر الموضع الذي فيه شمالاً وجنوباً، وشرقاً، وغرباً؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد)**، وقدر الطاقة في السير على الأقدام المحدد بقوله: **(قم، وامش في الأرض طولاً، وعرضاً؛ لأني لك أعطيها)**. وبالثاني حدد ملكية الأرض من الفرات إلى النيل تحديداً جغرافياً مقنناً فإذا سلمنا بهذين الحدين جدلاً فإن التحديد كان:

- قبل مولد إسماعيل، وإسحاق عليهما السلام فكيف يمكن تفسير اختصاص بني إسرائيل، وحدهم من نسل إسحاق، وذريته دون نسل إسماعيلυ، وذريته، وأخوته؟.
- إذا كان التعبير التوراتي في العهد مع إبراهيمυ ينص على قوله: **(نسلك)** يدخل فيها بلا أدنى ريب إسماعيلυ، لما له حق السبق كونه أولاً: الابن البكر، وثانياً: الأب الحقيقي للجم الغفير من البشر المذكورين، والموصوفين بنفس النص **(واجعل نسلك كتراب الأرض)** هذا إذا ما استثنينا أبنائه من زوجتيه قنطورا وحجون ــ لعدم ورود ذكرهم في الكتاب أو السنة أو التاريخ، كما أنهم ليسوا مجال خلاف ــ.
- كما إذا تأملنا النصين السابقين في التكوين وجدنا قوله لإبراهيمυ أن أمته ستكون أمة عظيمة، وذريته كتراب الأرض، ومعلوم بالتتبع التاريخي أنه منذ العصور القديمة حتى زمننا المعاصر لم يكن بنو إسرائيل، ولا اليهود أمة عظيمة ــ في العدد ــ في أي زمن من تاريخهم، ولم يكن نسلها كتراب الأرض عدّاً في أي مرحلة من مراحلها التاريخية، ولجميع القرون، فإذا علمنا أن عدد اليهود ذرية إسحاقυ ــ كما يزعمون ــ في جميع أنحاء العالم أقل من(20) مليون نسمة مشتتة في بقاع الأرض، وعدد المسلمين ما يزيد على مليار ونصف المليار نسمة، فأيهما النسل الكثير المشار إليه بالنص **(واجعل نسلك كتراب الأرض)**؟، لاشك أنهم ذرية إسماعيل العرب فكان ذلك الوعد لنسله υ أتباع النبي المصطفى ^، وهم أكثر من ربع سكان الأرض، وإذا اعتبرنا جدلا أن النص صحيح في حق إسحاقυ فهو عهد بحدود زمانهم زمان الأنبياء بكثرتهم على مَن سواهم من الأقوام التي عاصروها، وهو بكل الأحوال منسوخ؛ نظراً لكفرهم، وتعديهم على الذات الإلهية، وعبادتهم للأوثان، وقتلهم للأنبياء، وظلمهم للعباد واستبدادهم، وإخلالهم بشروط الخلافة، و...، وليس أدلَّ على ذلك من النصوص الكثيرة الواردة في مختلف الأسفار التوراتية، ومنها ماجاء في التثنية، والمبني على نقضهم للشرط الثاني من شرطي العهد، وذلك بعبادتهم غير الله؛ وبذلك استحقوا غضبه، ونقمته عليهم، وهم لا يذكرون لهذا النص طرفاً في معرض حديثهم عن الوعد، والميراث، وقد ذكر في عدة مواضع نذكر واحداً منها يقول الرب في التثنية28: **(فتبقون نفراً قليلاً عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة62، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك، وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب ليفنيكم ويهلكم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت وآباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأيام لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول يا ليته المساء، وفي المساء تقول يا ليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر67)**. وهذا هو حالهم في الحقيقة إلى يومنا هذا كما جاء بالنص.

2. تنص التوراة في مواضع أخرى على أن الحق لإسماعيل كما لإسحاق مِثلاً بمِثل؛ لأنهما ابنا إبراهيم ^ حيث يقول في التكوين21: **(ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحاق9، فقالت لإبراهيم أطرد هذه الخادمة وابنها فإن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابني إسحاق، فساء هذا الكلام جداً في عيني إبراهيم بشأن ابنه، فقال الله لإبراهيم، لا يسوء في عينك أمر الصبي وأمر خادمتك، مهما قالت لك سارة، أسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل وابن الجارية سأجعله أمة عظيمة لأنه نسلك12)**، بل ويتضح من النص التفضيل لإسماعيل على إسحاق بقوله: **(بإسحاق يدعى لك نسل)** يدعى: ويحتمل النص البشارة، والنذارة، أي: تمتد ذريتك، ويبقى الذكر، والاسم على مر الأجيال، وفي هذا محدودية، ونذير من انتهاء، وذوبان ملكهم مع بقاء نسلهم، بينما قوله في حق إسماعيل**(سأجعله أمة عظيمة)** والأمة: أعم، وأشمل، فمع بقاء الاسم، والذكر في ذريته، يكثر، ويعظم من حيث الاتباع، والاقتداء، والتأسي من سائر الأمم، والشعوب، والطوائف الأخرى ممَّن يشترك في النسب، وممن لا يشترك، ففيه من التكثير،

والتعظيم، والتفضيل مالا يخفى على ذي لب.

3. واضح من النص الثالث أن العهد كان في أيام إسماعيل، وكان عمره (13) عاماً، واختتن مع والده عليهما السلام معاً في يوم واحد، ولم يولد إسحاقυ بعد فلمَن تكون أرض كنعان بحسب ظواهر نصهم؟، ولماذا زج باسم إسحاقυ بنهاية النص، وهو لم يولد بعد؟، كما أنه من الوضوح بمكان أن ذكره ورد على سبيل التنبيه فقط، لا البشارة، أو المشاركة بالحدث، أو الاستدلال على أمر ما، أو الخبر، وهذا من الزيادات البينة.

4. يتضح من النصين الثالث، والرابع أن العهد بتملك الأرض، وخلافتها مبني على شرطين مهمين إذا اختل أحدهما بطل العهد، والخلافة، وبالتالي الملك المبني على الخلافة، وهما:

أ ـ عبادة الله وحده، وعدم الإشراك في عبادته.

ب ـ الالتزام بشريعة الختان لكل ولد ذكر ابن ثمانية أيام.

وهذا العهد ما يشير إليه الباري عز وجل في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف﴾ (سورة البقرة، آية :124)، ذكر ابن كثير في تفسيره للآية، وعدد الكلمات التي ابتلي بها الله إبراهيم، وأتمهنυ بالاستسلام، والإذعان، والقبول، وأنفذها إيماناً، واحتساباً في الجانبين: العقدي، والشرعي. نذكر طرفاً منها، ففما ابتلاه في العقيدة : «ابتلاه الله بالحرق في النار، والكواكب، والقمر، والشمس، فوجده صابراً، وابتلاه بمحاجة الطاغية النمرود ـ وإثباته وحدانية الله، وإفراده بالعبادة، وإلقاءه في النار، فصبر، وأمره الله بالهجرة، وفراق الأهل، والوطن فأذعن، وأمره بذبح ابنه الوحيد فامتثل،...، وما كان منها في الشريعة يذكر ابن كثير بلفظ مسلم: **«الفطرة خمس:الختان، الاستحداد، قص الشارب، تقليم الأظافر، نتف الإبط»** وكان إبراهيمυ أول من قام بهذه الشرائع، وغيرها ـ مما ذكره ابن كثير ـ مما لا يسع ذكره». فامتثل، واستسلم، وأنفذ فكافأه الله بالإمامة، قال تعالى: ﴿الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات﴾ أي: قدوة يأتم بها الناس، ويحكمهم بشرع الله، ومناط التكليف هنا الإيمان بالله، والاستسلام، والامتثال، والإذعان، والانصياع لأوامر الله، والانتهاء بنواهيه يقول ابن كثير في معرض تفسير الآية: «لما جعله الله إماماً سأله إبراهيمυ أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، بيد أنه أخبر أن سيكون من ذريته ظالمون فلا ينالهم، ولا يشملهم عهد الله، ولا يملكون، كما بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة، وأن الظالمين لا يستحقون عهد الله؛ لأن ما عند الله ينال بالأعمال لا بالانتساب كما قال ^: **«مِنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبُهُ»**(1)، وقد برئ إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدوٌّ لله كما برئ من قومه لما كفروا، ولكن الله إجاب طلبه في حال الإيمان، والدليل على الإجابة قوله تعالى: ﴿ الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء﴾ (سورة العنكبوت، آية: 27)» ا.هـ، ونقول أنه قد يقول قائل رداً على قول ابن كثير ما نشاهده عبر العصور، وإلى زماننا من الإمبراطوريات الكافرة، والملوك عبدة الأوثان، من ذرية إبراهيمυ ما يناقض النص نقول:

أولاً: منهم مَن لا ينتسب لذرية إبراهيم υ:

أ . الذين قال الله فيهم لنبيه نوح υ: ﴿﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آل عِمْرَان النساء المائدة الأنعام الأعراف﴾ (سورة هود، آية: 48)، وهم أقوام لهم أنبياء ذكر الله قصصهم بالقرآن الكريم، ولكنهم ليسوا من ذرية إبراهيمυ، كقوم: شعيب، وهود، وصالح، ولوط عليهم السلام، و...، وغيرهم من الأمم التي لم تذكر في القرآن الكريم، ولكن الله أشار بوجودها إشارة فقط فقال عز من قائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ...﴾ الآية (سورة غافر، آية: 78).

---

(1) صحيح مسلم: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. برقم: 2699.. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط2: 1972م). وأخرجه ابن ماجه في سننه. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. برقم: 225. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط: 1395م). وأخرجه أبو داود في سننه. باب الحث على طلب العلم. كتاب العلم. برقم: 3643. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت (ط.ب).وأخرجه علاء الدين البرهان فوري. كنز العمال في سنن القوال والأفعال برقم: 2436. مؤسسة الرسالة. بيروت (ط: 1413هـ).

ب . ومنهم من خلقهم الباري عز وجل؛ ليكونوا حصب جهنم ممن يمتعهم بالنعم، والملك، والسلطة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ (سورة العنكبوت، آية: 66)، وهم الكفرة: من المجوس عبدة: النار، والنجوم، والكواكب، والبقر، والشيطان، والملحدين، واللادينين، والماديين، قال تعالى: ﴿الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة﴾ (سورة الأنبياء، آية: 98).

ثانياً: منهم من ذرية إبراهيم υ ممَن قال الله فيهم رداً على إبراهيم υ عندما سأله الإمامة في ذريته قال تعالى: ﴿الجن المزمل المدثر القيامة الانسان المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر﴾ (سورة البقرة، آية: 126)، كاليهود، والنصارى، والمرتدين عن الإسلام، وعصاة المسلمين ممَّن قرأنا في كتب التاريخ من دول، وأمارات سادت، ثم بادت عندما كفرت بأنعم الله، وما نراه إلى عصرنا الحاضر، وهو كما قال عز وجل: ﴿الشرح التين﴾. وبالعود إلى نصوصهم نلحظ في نهاية النص التوراتي الأول التزوير البيّن وكيف أن الوعد الإلهي كان موجهاً أول الأمر إلى نسل إبراهيم من إسماعيلυ، ثم انحرف إلى إسحاقυ بقولهم: **(ولكن عهدي أقيم مع إسحاق)**؛ لإبعاد إسماعيل، ونسله من التملك، والميراث.

ثالثاً: معلوم أن الأنبياء لا يورّثون إلا النبوة، والعلم، والحكمة، قال تعالى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ﴾ (سورة النمل، آية: 16) فميراث سليمانυ هنا النبوة، والحكمة، لا الملك، والمال.

هذا هو الوعد ـ المزعوم ـ فما هي حدود ذلك الميراث كما يتصوره حاخاماتهم، وقساوستهم، ومفكروهم؟، وهل التزموا بالحد الذي ذكر لهم؟، وما موقفهم من الشعوب المحيطة بهم؟، وما الوصايا الربانية لهم بشأنهم؟، سنكتفي بعرض، ومناقشة ورد سبعة نصوص رئيسة متناقضة يقاس على أساسها سائر النصوص.

حدود أرض الميراث كما وردت في بعض نصوص التوراة:

1 ـ حدد لهم واضعوا التوراة حدود الأرض لموسىυ زمن التيه، ولخليفته يوشع بن نون من بعده: شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً كما سبق، وحددها لإبراهيم υبرغم أن الزمن بينهم، وبين سيدنا إبراهيم υ (7) قرون، ولكن تذكر التوراة هذا التحديد فتقول:

أ ـ جاء في سفر العدد33: **(وخاطب الرب موسى في عربة موآب على الأردن أريحا50 قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إذا أنتم عبرتم الأردن إلى أرض كنعان فطردتم جميع سكان تلك الأرض من وجهكم، تزيلون جميع منقوشاتهم، وأصنامهم المسبوكة52)**.

ب ـ حد لهم حدود الأرض حيث ذكر بالنص قال في سفر العدد34: **(مر بني إسرائيل وقل لهم إذا دخلتم أرض كنعان1، فهذه هي الأرض التي تقع لكم ميراثاً، أرض كنعان بحدودها، يبتدئ لكم الحد الجنوبي من بريه صين على جانب أدوم، فيكون لكم الحد الجنوبي من طرف بحر الملح شرقاً (البحر الميت)، ثم يميل لكم الحد الجنوبي إلى عقبة العقارب، ويمر بصين ،وينفذ إلى جنوب قادش برنيع، ثم ينفذ إلى حصر أدار، ويمر بعصمون، ثم يميل إلى وادي مصر(وادي العريش) نافذاً إلى البحر، وأما الحد الغربي فيكون لكم البحر الكبير جداً، ذلك يكون لكم حد الغرب، وهذا يكون لكم الحد الشمالي: من البحر الكبير تخطون لكم خطاً إلى جبل هور، ومن جبل هور تخطون خطاً إلى مدخل حماة، ويكون منفذ الحد إلى صدد، ثم ينفذ إلى زفرون وينتهي إلى حصر عينان: ذلكم يكون حدكم الشمالي، وتخطون لكم حدكم الشرقي من حصر عينان إلى شافام ثم يهبط إلى هربلة شرقي العين ويهبط أيضاً ويلاصق منحدرات بحر كناره (بحيرة: جنسارت) شرقاً ،ويهبط الحد على طول الأردن ، وينفذ إلى بحر الملح تلك تكون لكم حدود الأرض من كل جهة12)**.

2 ـ وجاء في التثنية3: **(قال الرب لموسى: وَمر الشعب2 وقل لهم: إنكم تجتازون حدود إخوانكم بني عيسو المقيمين بسعير ، فسيخافونكم ، فتنبهوا جداً <u>لا تتحدوهم</u> <u>فإني لست معطيكم من أرضهم شيئاً ولا موطئ قدم</u>، <u>لأن جبل سعير قد وهبته لعيسو ميراثاً</u>4)**، عيسو أخو يعقوبυ التوأم وتقع أرضه شرقي البحر الميت.

3 ـ وفي موضع آخر من سفر التثنية2: **(يقول موسى فقال لي الرب : <u>لا تعاد</u> <u>الموابين ولا تتحداهم للقتال</u> ، <u>فإني لست معطيك من أرضهم ميراثاً</u>10)**، وموآب أرض واقعة شرقي البحر الميت.

4 ـ ويقول في موضع ثالث من السفر2: **(يقول موسى: كلمني الرب قائلاً: أنت عابر اليوم**

حدود موآب في عار، فإذا اقتربت من جهة بني عمون فلا تعادهم ولا تتحداهم، فإني لست معطيك أرض بني عمون ميراثاً فقد وهبتها لبني لوط ميراثاً20)، وأرض عمون تقع شرق الأردن.

5 ــ ثم يبني الرب مع يوشع بن نون عهداً مخالفاً لما بناه مع موسى وينقض المواثيق والعهود التي أعطاها للشعوب الأخرى بني عيسو، وموآب، وعمون ــ حاشا لله ــ حيث يقول في خطابه ليوشع1: **(إن موسى عبدي قد مات9، فقم الآن واعبر الأردن هذا أنت وكل هذا الشعب، إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل، كل مكان تطأه أخامص أقدامكم لكم أعطيه.كما قلت لموسى: من البرية ولبنان هذا النهر الكبير نهر الفرات.كل أرض الحيثيين. وإلى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس تكون أراضيكم. فلا يقف أحد أمامك طول أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك لا أهملك26...)**.

6 ــ يقول في حق سليمانυ في سفر أخبار الأيام2: 9: **(كان سليمان متسلطاً على جميع الملوك من النهر إلى أرض الفلسطينيين، وإلى تخوم مصر26)**، وقد قال الله عز وجل في القرآن الكريم على لسان سليمانυ قوله: ﴿لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف﴾ (سورة ص، الآية: 35) وننوه قبلاً أن الله استجاب لطلبه بما في ذلك أنه لن يكون هناك على الأرض ملكاً من بعده كملكه أبداً حيث قال: ﴿ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف﴾ وهم يأملون، ويحلمون، ويزعمون أن الرب وعدهم بمملكة ألفية كمملكة سليمانυ في آخر الزمان.

7 ــ يعلل الرب هذا الامتياز في التملك من وجهة نظرهم بقوله في التثنية7: **(لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الرب بحبكم واختاركم، فأنتم أقل من جميع الشعوب بل لمحبة الرب لكم ومحافظته على القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد قوية وفداك من دار العبودية، من يد فرعون ملك مصر، فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه إلى ألف جيل10)**.

مناقشة النصوص ونقضها:

- النص الأول يورد الحدود التي حدها الرب لموسىυ، ولبني إسرائيل بعد انتهاء مدة التيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴾ (سورة المائدة، آية: 26) وقد حكم الله عليهم بذلك نتيجة؛ لعصيانهم دخول الأرض المقدسة، وقولهم لموسىυ: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله﴾ (تك: 12) ، فضنُّوا، وبخلوا بأرواحهم، وأنفسهم على الله، فنجده يحدد بالنص الأول لموسىυ الأرض، وينقض مساحاتها، وحدودها، ويزيد عليها بالنص الخامس عند تحديدها للمرة الثانية ليوشع بن نون.
- يحذرهم، وينهاهم الرب ويشدد عليهم في النص الثاني، والثالث، والرابع عن الاعتداء على الأمم، والشعوب الأخرى، ويؤكد أحقية الشعوب الأخرى بميراثهم للأرض، وبالنص الخامس يحثهم على اغتصابها بمساندة الرب، ـ عياذاً بالله ـ، ويقول: **(كل مكان تطأه أخامص أقدامكم لكم أعطيه.......فلا يقف أمامك أحد)**.
- واضح بالفقرة **(أ)** من النص الأول قوله: **(إذا أنتم عبرتم الأردن إلى أرض كنعان..)** يعني عدم دخول أرض الأردن ضمن الحدود المذكورة ناهيك عن أرض الفرات إذ هي من باب الأولى من حيث البعد، والموقع.
- يصف الرب ذاته في النص السابع بقوله: **(هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والرحمة)**، وفي النص الخامس يحرضهم ــ حاشا لله ــ على نقض العهد، واغتصاب الأرض بالقوة، والتوسع في الأطماع، والحدود، ويقول: **(كما قلت لموسى)**، والحدود المذكورة في النص الخامس تختلف عنها في النص الأول، وهذا من التألي، والكذب على الله، ونعته بنقض الصفات ــ عياذاً بالله ــ.
- واضح بالنص الخامس دخول العراق ضمن الحدود علماً أن النصوص التحذيرية للتعدي على المناطق: سعير، وموآب، وبني عمون لا تخترق حدود العراق، وهي الأدنى منها فما بال حدود فلسطين.
- الاختلاف البيّن في حدود النصين الأول، والخامس مما يظهر تزوير النصوص بجلاء، والأطماع التوسعية لدى الصهيونية.
- النص السابع يذكر، ويؤكد بأنهم أمة قليلة بل أقل من كل الشعوب مما لا يدع مجالاً للشك على كذب واضعي التوراة حيث إن المساحة المحددة من النيل للفرات لا تتناسب مع قلة العدد، وتوعد الرب لهم، وغضبه عليهم ببقائهم قلة على مدى العصور، وعلى تشردهم، وتشتتهم أبداً ما حيوا بقوله: **(فتبقون نفراً قليلاً عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك)** وقوله:

(كذلك يفرح الرب ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت وآباؤك من خشب وحجر). هذا قليل من كثير ما يثبت فساد الزعم بأن فلسطين الأرض الموعودة أرض المعاد التي بنت عليها الأصولية الصهيونية العالمية أطماعها التوسعية، ووضع يدها على الأرض العربية؛ لتصبح تحت الحكم الغربي؛ لنهب شعوبها، ومقدرات أراضيها، وصدق الحق تبارك وتعالى، حيث قال: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء﴾ (سورة الأنفال، آية: 30).

ثانياً: نقض عقيدة: شعب الله المختار:

كما ذكرت آنفاً(1) فإن الأصوليين اليهود يعتقدون من خلال ما دونه حاخاماتهم، وعلماؤهم في مصادرهم التوراتية، والتلمودية عبر القرون أنهم شعب اختاره الله، واصطفاه دون الشعوب الأخرى، وظهرت هذه العقيدة عندهم منذ عهد الأنبياء الأوائل في القرن الثامن (ق.م)، واستمرت حتى تدمير آخر معالم الاستقلال السياسي لليهود في فارس، وفلسطين في القرن الخامس الميلادي، وعلى الرغم من الهزيمة، والاندثار الذي مُنوا به عبر القرون، والحروب الطاحنة لم تزل عقيدة الشعب المختار راسخة في الذهنية اليهودية، وتشكل النواة الأسطورية لحياة اليهود السياسية المعاصرة، ومن خلالها تتضح رؤيتهم لأنفسهم، كما تعكس نظرتهم للآخرين، وكيفية التعامل معهم.

«وتُعد الأصولية اليهودية المتطرفة هي المصدر لهذه الأفكار، والمعتقدات، والمسئولة عن انتشارها، وذيوعها بين أبنائها، وتصديرها للعالم من حولها، وترى من خلالها بث فكرة: أن اليهود هم الشعب الذي اصطفاه الله لإتمام رسالته العالمية التي بعث الله بها أنبياءه؛ للإقرار بوحدانيته، ونشر دينه، وأنه تعالى قد استخلفهم في الأرض فهي لهم خالصة، وكل ما على الأرض مسخر لخدمتهم، وهذه الفكرة تكررت في التوراة مراراً منها ما جاء في التثنية14: **(لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض2)**، وترسخت هذه الفكرة أكثر فيما بعد عندما أدخلتها الأصولية الصهيونية اليهودية في الصلاة اليومية، حيث إنهم يقولون كل يوم في صلاتهم: **(أنهم أبناء الله وأحباؤه)**، وتذهب الأصولية اليهودية إلى أن هذا الاختيار اختيار أبدي على أساس أنه دُوّن في عهد أزلي بين الرب، والنبي إبراهيم أولاً، ثم بين الرب، ونسل إبراهيم فيما بعد، حيث قال لإبراهيم في التكوين17: **(وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدة أجيالهم عهد الدهر7)**»(2).

وللبدء في المساءلة للإنصاف، وإعطاء المسألة حقها في البحث، والتحري لابد من وقفه مع كتاب الله العظيم؛ لنرتوي من نبعه الصادق الصافي حقائق الأمور لوضعها في محكاتها الصحيحة. فالله أصدق قائل، وكتابه أصدق الكتب، وخبره أصدق الخبر.

لا يوجد شك في أن الله فضل اليهود على العالمين، ولكن العالمين ممّن كانوا يعيشون بين ظهرانيهم في ذلك الزمان؛ لقوله تعالى: ﴿الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق﴾ (سورة البقرة، آية: 47) وذلك لأن شعوب الأرض الأخرى ممّن يقطنون حول كنعان في أزمنتهم كانوا عبدةً للأوثان، والكواكب، والنجوم، والعجل، والجن، و...، كما صرح بذلك القرآن الكريم، وتواترت الروايات وبنو إسرائيل كانوا أهل كتاب سماوي، وتوحيد، على الرغم من قسوة، وغلظة قلوبهم، وقد تعددت أنبياؤهم، ورسلهم لذلك، بينما الأقوام الأخرى ينزل الله عليهم النبي فإن كذبوه أنزل عليهم العذاب مرة واحدة فيفنيهم عن بكرة أبيهم بعد عنادهم، ومكابرتهم لأنبيائهم، وإعراضهم عن الحق، والتوحيد، ...، كقوم صالح، وهود، وشعيب، وثمود، وقوم لوط على ماذُكر في كتاب الله، حيث قال الله عز وجل: ﴿عظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ﴾ (سورة الذاريات، آية: 36) وكمكابرة فرعون قال تعالى على لسان موسىυ: ﴿الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية﴾ (سورة يونس، آية: 88).

كما زامن عصور بني إسرائيل عصور أمم موحدة لا تقطن حول كنعان كذرية إسماعيل، ويونس صاحب الحوت الذي آمنوا جميعهم، وأيوب بن عيسو أخو يعقوب التوأم عليهما السلام، والتي لم يذكر

---

(1) الباب الأول: الفصل الرابع. ص202.

(2) الكنز المرصود في فضح التلمود: أوغست ولوران، ص15-55.

القرآن الكريم أن الله أفناهم لكفرهم، أو أرسل لهم الرسل، والأنبياء تترا، وغيرهم ممَّن ذكرهم القرآن في قصصه، ومَن لم يذكرهم فقد كانوا أقواماً موحدين، وقد ورد لفظ التفضيل لبني إسرائيل في القرآن الكريم في أربعة مواضع على سبيل: التذكير بنعم الله عليهم السابقة، والتوبيخ، والمَن، و...، وليس هناك مجال للشك بأنهم كانوا مفضَّلين في عهود أنبيائهم الموحدين فحسب، كما ذكرهم بذلك سبحانه وتعالى في عدة مواضع من القرآن الكريم منها على سبيل المثال:

أولاً : قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰن الْوَاقِعَة الْحَدِيد الْمُجَادَلَة الْحَشْر الْمُمْتَحَنَة الصَّفّ الْجُمُعَة الْمُنَافِقُون التَّغَابُن الطَّلَاق﴾ (سورة البقرة، آية: 47)؟؟؟، ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿سُورَةُ الفَاتِحَة البَقَرَة آلِ عِمْرَان﴾ (سورة البقرة، آية: 122) أي: بما أعطوا من كثرة في عدد: الرسل، والكتب، والملك: كما كان ليوسف، ولداود، وسليمان عليهم السلام ما لم يعط مثله لأحد في زمانهم، ولا قبلهم، ولا بعدهم قال الله تعالى على لسان يوسف υ: ﴿ق الذَّارِيَات الطُّور النَّجْم الْقَمَر الرَّحْمَٰن الْوَاقِعَة الْحَدِيد الْمُجَادَلَة الْحَشْر ...﴾ الآية (سورة يوسف، آية:101) وقال على لسان داودυ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ﴾ (سورة ص، آية: 20)، وقال على لسان سليمانυ: ﴿الْحَجّ الْمُؤْمِنُون النُّور الْفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل الْقَصَص الْعَنْكَبُوت الرُّوم لُقْمَان السَّجْدَة الأَحْزَاب سَبَأ فَاطِر يس الصَّافَّات ص الزُّمَر غَافِر فُصِّلَت الشُّورَى ...﴾ الآية (سورة سبأ، آية: 12)، فمن النعم ما كان على سبيل الكرامة، والاصطفاء، ومنها ما كان للابتلاء، والاختبار فدوام النعم مرتبط ارتباطا وثيقاً بشكر المنعم المتفضل بها، والمحافظة عليها، وصيانتها، والخوف من محقها، وزوالها بنكران فضل المتفضل، وجحودها باقتراف أم الكبائر: الكفر بالله، وعباده غيره من دونه، وإنكار الشرائع فتنقلب النعمة نقمة، والمنحة محنة، وصور النقمة عديدة منها: اللعن، والبؤس، والتسليط عليهم، والتشريد، والتشتت، و...، والنصوص، والشواهد في ذلك من الكتاب، والسنة، والتوراة أكثر من أن تحصى.

ثانياً: قال تعالى: ﴿الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الْحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الْكَهْف مَرْيَم طه الأَنْبِيَاء الْحَجّ الْمُؤْمِنُون النُّور الْفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل الْقَصَص الْعَنْكَبُوت﴾ (سورة المائدة، آية:20)، وهنا يُذكّر موسىυ قومه بما أنعم الله عليهم، ويحدد نوع النعمة، وسبب التفضيل، فالنعمة ــ كما أوردها ابن كثير في شرح الآية ص38 ــ: «أنه كلما هلك منهم نبي قام فيهم نبي يدعو إلى توحيد الله، ويحذرهم من نقمته حتى ختموا بعيسىυ، ــ، وما ذلك إلا لغلظتهم، وقسوة قلوبهم، وسرعة جحودهم، ونكوصهم ــ، وهذه هي النعمة المقصودة، وهي للاختبار، والابتلاء، وقد فشلوا في هذا الابتلاء. أما الملك فعن ابن عباس قال:« كان الرجل منهم إذا ملك الزوجة، والخادم، والدار سمي ملكاً»، وقال: «كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل، وخادم، واستأذن عليه فهو ملك». قال: «وأما قوله: ﴿الْمُؤْمِنُون النُّور الْفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل الْقَصَص الْعَنْكَبُوت﴾، أي: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ» ا.هـ.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿الرَّحِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾﴾ (سورة الأعراف:140) فالعالمين هنا واضح من السياق الشعوب الأخرى في زمانهم ممَّن هم حولهم وهم: عبدت الأوثان، والعجل، وفرعون الذي قال: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾؛ لاسيما وأن هذا أول لفظ للتفضيل على العالمين بعد مغادرتهم أرض مصر، وطلبهم من موسىυ صناعة عجل لهم ليعبدوه إذ أنهم كما هو معلوم أن فرعون، وقومه كانوا يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، واتخذوهم خدماً، وعبيداً، وعليه لا وجه للتفضيل من قبل أن يأتيهم موسىυ بآياته، ومعجزاته العشرة المعروفة، وانفلاق البحر، وغرق فرعون، وقومه، فهي مناط التفضيل في الآية.

وفي آخر ما ورد في القرآن للفظ التفضيل على العالمين بيَّن أن التفضيل نعمة زائدة بخلاف نعمة الملك، والكتاب، والنبوة، ورزقهم الطيبات معطوفة على ما سبق، وهي تفيد المغايرة، وكمال التفضل، والإنعام، والمَّن، ومقابلة هذا الفضل، والتفضيل بالجحود، والنكران، والخسة.

رابعاً: قال تعالى: ﴿الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ (سورة الجاثية، آية: 16) وهذا الفضل لا لأجلهم بل لأجل آبائهم الموحدين، وبعد الإقرار بفضل آبائهم نقارن بين النصوص موضع الاستشهاد نقول:

من واقع نصوصهم تذكر التوراة في عدة مواضع نقضهم للعهود، والوعود، وعبادة غير الله، وانتهاك محارمه يقول إرميا11: **(قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم . لذلك هكذا قال الرب .** __**هاأنذا جالب عليهم شراً لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون**__

إلي فلا أسمع لهم11)، وبهذا فقدوا التفضيل، والاصطفاء، والاختيار على مَن في زمانهم ناهيك عن زماننا وأمتنا الموحدة ويقول إرميا16: **(أنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها13)**، أي أن آباءهم من قبلهم أساؤوا، وإن إساءتهم تعظم إساءة آبائهم، وهكذا فقدوا الأرض، والميراث، وتحقق لهم الطرد من الأرض، والتشتيت في أرض غربة، ويقول حزقيال33: **(إن سكان تلك الأخربة في أرض إسرائيل يتكلمون24 قائلين: كان إبراهيم وحده وورث الأرض، ونحن كثيرون فقد أعطينا الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب ، أنكم تأكلون بدم، وترفعون عيونكم إلى قذارتكم** ـ أصنامكم ـ **وتسفكون الدم، أفترثون الأرض** ؟ **إنكم اعتمدتم على سيوفكم، وصنعتم القبيحة، ونجستم كل رجل امرأة قريبة، أفترثون الأرض** ؟ **هكذا تقول لهم27)** وفي هذا بيان:

أولاً: حسدهم لإبراهيمυ، والذي بسببه منحوا الكرامة، والتفضيل لوعد الرب إياه بحفظ ذريته، وتمكينهم إن هم آمنوا، وعبدوا الإله وحده لا شريك له كما أوصاهم.

ثانياً: نفي بقاء الأرض لهم ميراثاً على سبيل الاستنكار، والتعجب في بقائها لهم مع ما اقترفوا من الكفر، والكبائر، وقتل الأبرياء، وفيه الإشارة إلى قتلهم الأبرياء لأكل خبز الفطير الممزوج بدم الأممي.

إذاً ثبت أن مناط التفضيل، والاختيار لأي أمة على الأرض لا يكون إلا بشروط، وهي:

1. الإيمان، والتوحيد الخالص، وإخلاص العبادة لله.
2. العمل بمقتضى الشرائع، ووفق التنزيل.
3. نشر دعوة التوحيد ـ ملة إبراهيم ـ دون انحراف عن الحق، أو الانحياز.

ومتى ما اختل شرط من الشروط، وعُبد غير الله، أو أشرك معه غيره في العبادة، أو لم يقم الأنبياء، والرسل، ومَن بعدهم بواجب نشر الدعوة، فُقدت المنحة، وحل الغضب، والسخط، والمشمول بالطرد من الرحمة، بالتشتيت بألوان العذاب النفسي لهم، ولذريتهم من بعدهم لمَن أصر منهم على العناد والمكابرة، وتكذيب الأنبياء، والرسل بالدنيا، والآخرة، ونشر دين الله وشرائعه دون حقد، وغِيرة من دخول الشعوب، والأمم الأخرى في دين الله، وتوحيده.

عليه نجد النصوص التي تذكر الفضل، والتفضيل، والاختيار لعصور أنبيائهم الموحدين، والذين عملوا على نشر الدين، وحصل لهم الاطمئنان، والسكينة في الملك، والتوسع في النعمة، والرضا من الله مثل يوسفυ حين دعا صاحبي السجن إلى التوحيد، وعبادة الله بعقد مقارنة بين عبادتهم للإلهة، وعبادة الله وحده لا شريك له بقوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (سورة يوسف، آية: 39)، وقال تعالى على لسان سليمانυ في قصته مع ملكة سبأ لما قرأت كتاب سليمانυ قالت: ﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَأٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ ﴾ (سورة النمل، الآيتان:30، 31)، فلو لم تكن الدعوة عامة فما شأن سيدنا سليمان بمملكة بلقيس ملكة سبأ، وعبادتها للشمس؟ وهي التي تبعد عن مملكته بالقدس آلاف الأميال بأرض اليمن أقصى الجنوب بالجزيرة العربية؟، بل ولم ينتظرυ جوابهم، أو إسلامهم حباً في إعلاء دين الله، ونصرته، فقال الله على لسان نبيه سليمانυ ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ (سورة النمل، آية: 38).

وما يدل على عموم رسالتهم ما جاء في القرآن الكريم من دعوة موسىυ فرعون، وقومه إلى توحيد الله، وتصدي فرعون للدعوة، ثم ذكر الباري عزوجل عقابه لفرعون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَٰن الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المجَادلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ ﴾ (سورة الأعراف: آية: 103) وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ ﴾ (سورة الزخرف، آية: 46) وقال: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ (سورة الأنفال، آية: 54)، قال تعالى: ﴿... القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَأٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ ﴾ (سورة القصص، آية: 32)، فلماذا يبرهن موسىυ على صدق نبوءته، ورسالته ما لم يُأمر بدعوته إليها؟، ثم يصور القرآن الكريم استجابة قلوب المؤمنين من قوم فرعون، وإيمانهم بما جاء به موسىυ، وتصوير ردة فعل قوم فرعون عندما همَّ فرعون بقتل موسىυ قال تعالى: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ﴾ (سورة غافر، آية:28) فيتضح بجلاء أن دعوته لم تكن قاصرة على بني إسرائيل، وإنما شملت فرعون، وقومه.

ثم يذكر الله حال قوم فرعون بعد إظهار المعجزات، وإيمانهم، وتصديقهم برسالته υ، قال تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ﴾ (سورة يونس، آية:83)، ذرية من قومه، أي: قوم فرعون فأكد في الآيتين السابقتين بأن من آمن به υ هم من قوم فرعون، وليس من بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل كانوا موحدين؛ لأنهم ما تبقى من ذرية يعقوبυ بعد قصة يوسفυ لمّا قال لأبويه عندما دخلوا عليه: ﴿... ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴾ (سورة يوسف، آية: 99)، فالدعوة إلى الله ليست جديدة عليهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لمّا ذكر الله قصة موسىυ مع الذي استغاثة على عدوه حدد أيضاً طرفي الفريق بقوله: ﴿الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴾ (سورة القصص: الآية: 15)، فكما بيَّن في الآية الأولى أن الذي يكتم إيمانه من قوم فرعون بيّن في الآية الثانية: قلَّة مَن آمن بموسىυ من قوم فرعون، والدليل الأخير يدل على عموم رسالة موسىυ، حيث يصف الله حال فرعون في نهاية المطاف عند الغرق بقوله تعالى: ﴿... تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ﴾ (سورة يونس: آية:90).

نصوص من التوراة تدل على مساواتهم بغيرهم من الأمم أمام الله عز وجل، وبطلان الزعم القائل بأنهم شعب الله المختار:

بالنظر إلى نصوص التفضيل، والاختيار التي تعنتوا بها نجد في شريعة موسىυما يقابله من نصوص المساواة بين بني إسرائيل، وغيرهم من الأمم الموحدة أمام الله بنصوص عدة منها ما جاء في العدد15: **(وإذا نزل عندكم غريب أو كان أحد في وسطكم في أجيالكم وعمل وقود رائحة سرور للرب فكما تفعلون كذلك يفعل، أيتها الجماعة لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهريه في أجيالكم، مثلكم مثل الغريب أمام الرب، شريعة واحدة، وحكم واحد، يكون لكم، وللغريب النازل عندكم15)**، فكما نلاحظ أن الخطاب موجه إلى بني إسرائيل لعمومية رسالتهم، ــ لا كما يزعمون بأنها خاصة لبني إسرائيل؛ لأن الرب واحد، والشريعة واحدة ــ إلا أنهم ضنوا بها على الشعوب الأخرى، واختزلوها لأنفسهم، وهذا من تمام الحسد الذي ملأ قلوبهم حتى لا يشاركهم غيرهم في الرب؛ لذا غضب عليهم الله عز وجل؛ لأنهم لم يبلغوا الرسالة، وقوله: **(شريعة واحدة، وحكم واحد، يكون لكم، وللغريب النازل عندكم)**، وليس أكثر من هذا النص دلالة على تحريم الرب لهم تخصيص الرسالة، وقصرها على أنفسهم.

وينبههم في مواضع أخرى إلى أن شريعة الله واحدة لبني إسرائيل، وغيرهم فالأمر سواسية أمام الرب: **(مثلكم مثل الغريب أمام الرب، شريعة واحدة، وحكم واحد، يكون لكم، وللغريب النازل عندكم)** ويقول بموضع آخر من الخروج12: **(إذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختتن منه كل ذكر، ثم يتقدم ليصنعه، فيكون كمولود الأرض وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل بينكم49)**، ففي هذا النص نرى أن ختان الذكر أمر ضروري للاحتفال بعيد الفصح، أي: الدخول في طقوس الجماعة، ويتأكد هذا المعنى أيضاً في قوله في التكوين17: **(وقال الرب لإبراهيم أما أنت فاحفظ عهدي9، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم، هذا هو عهدي...أن يختتن كل ذكر منكم فعلى كل وليد سواءً ولد في بيتك أم أشترى بمال أن يختتن، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، أما الذكر الأغلف الذي لم يختتن يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدي14)**. إذاً فعهد الرب عندهم مرتبط بالختان، ومتى تم من النزيل يصبح حكمه هو حكمهم، أي: تكون شريعة واحدة لمولود الأرض، وللنزيل النازل بينكم، وهو ما يعني قبول الرب له، والمعروف أن ختان الذكر هو أمر حتمي بالنسبة للذكر المسلم في الشريعة الإسلامية.

ومن النصوص المخالفة لهم، والتي تدل على أنهم لم يحفظوا عهد الله، وزعمهم بأنهم شعب الله المختار الذي هو مشروط بسماع صوت الله، أي: الالتزام بشريعته، وحفظ عهده فهل بنو إسرائيل، واليهود سمعوا فعلاً كلمة الله، وحافظوا على عهده حتى يكونوا شعبه المختار؟، والإجابة من شهادة الكتاب المقدس نفسه يقول في القضاة2: **(وفعل بنو إسرائيل الشر، في عيني الرب11، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة**

أخرى من آلهة الشعوب التي حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركو الرب وعبدو البعل وعشتروت، فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعوهم بأيدي أعدائهم..حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر15)، ولم يقتصر الأمر على العامة من بني إسرائيل بأنهم لم يستمعوا لكلمة الله كما لم يحفظوا عهده، بل تعد الأمر إلى رجال الدين أيضاً بارتكاب جميع الآثام يقول في أخبار الأيام2: 23: **(حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة14حسب كل رجسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم، فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله...فكانوا يهزؤون برسل الله، ورذلوا كلامه، وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، فلم يشفق على فتي أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده17)**، فكيف يكونوا بعد كل ذلك هم شعب الله المختار، ويؤكد هذه الحقيقة قوله متى21: **(لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره43)**، وصدق الحق تعالى فيهم إذ يحملون أسفارهم، ولا يعلمون ما تحمل من شرائع، فيأخذوا منها ما يخدم أغراضهم، ويتركوا ما سواه مما يفضح سرائرهم، وغضب الرب عليهم، وأنهم أمة ملعونة لا مختارة كما يزعمون، وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنعَامِ الأَعرَافِ الأَنفَالِ التَّوبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعدِ إبرَاهِيمَ الحِجرِ النَّحلِ الإِسرَاءِ الكَهفِ مَريَمَ طَهَ الأَنبيَاءِ الحَجِّ ﴾ (سورة الجمعة، آية: 5)، وقال فيهم: ﴿... بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسمِ﴾ (سورة البقرة، آية: 89)، وأما دعوى بنو إسرائيل بأنهم من نسل إبراهيم فمردود عليهم بقوله تعالى: ﴿الفُرقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّملِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقمَانَ السَّجدَةِ الأَحزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَت الشُّورَى الزُّخرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحقَافِ ﴾ (سورة البقرة، آية: 124).

إن الكتاب المقدس يذكر شروط اختيار الله لشعبه المختار، بقوله في أشعيا43: **(يمجدني حيوان الصحراء والذئاب وبنات النعام، لأني جعلت في البرية ماءً أنهارا، في القفر لأسقي شعبي مختاري، هذا الشعب جعلته لنفسي يحدث بتسبيحي21).**

إذاً فشعب الله المختار هو الذي يحدث بتسبيح الله، وليس الشعب الذي يجحد نِعم الله، ويشرك معه في عبادته غيره ، وبدهي أن لا يتحقق هذا الشرط في الشعب اليهودي من قبل كما رأينا، كما لا يتحقق فيه الآن، والسؤال الآن هل الشعب اليهودي الآن الذي يجحد جميع الأديان هو الشعب الذي يحدث بتسبيح الله؟ أم أن الشعب المسلم هو الذي يحدث بتسبيحه؟.يقول الباحث محمد إسماعيل: «معلوم أن الأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة على الأرض التي تنزه الباري عن المماثلة، والمشابهة، والمناظرة، وتفرده بالعبادة، والتوحيد فالذي يحدث بتسبيح الله هو الذي يؤدي خمس فروض في اليوم، والليلة يتخللها التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والشكر على النعم في الركوع، والسجود، والقيام، والمأكل، والمشرب، والملبس،...، وسائر أمور الحياة، فأيهما إذاً شعب الله المختار الذي يحدث بتسبيحه؟»(1).

كما أنه من المهم ملاحظة أن سفر أشعياء الوارد فيه شرط التسبيح هو السفر الذي يتنبأ بالرسول القادم، وبشعب الله المرتقب، حيث يقول في أشعيا42: **(هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، ولا يصيح ولا يرفع في الشارع صوته، لا يكن ولا ينكسر حتى يحق الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته4)**، وفيه إشارة واضحة للنبي محمد ^، وصفاته الكريمة، ودعوته العامة العظيمة هذا بالإضافة إلى أن نصوصهم بالتوراة حكمت عليهم بأنهم مفطورون على الزنا الذي يحول دون رجوعهم إلى الله كما جاء في هوشع7: **(أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى الله، لأن روح الزنا في باطنهم، وهم لا يعرفون الرب6)**، وأن كل إنسان يبغضهم ويلعنهم لأنهم مصدر الشر والقتل والإرهاب والخصام والنزاع لأهل الأرض وعلى مر العصور يقول في أرميا15: **(ويل لي يا أمي23، لأنك ولدتني إنسان خاصم، وإنسان نزاع لكل الأرض،لم أقرض ولا أقرضوني، وكل واحد يلعنني10)**، ويؤيده النص الآخر في أشعيا1: **(ودفعت يعقوب إسرائيل إلى اللعن، وإسرائيل إلى الشتائم29)**، ويصف أعمالهم لسقامتها، ووهنها بأنها لا تنسج حتى الثوب الذي هو أبسط الأمور، وبأنهم ظلمة آثمون، وأشرار سفاكو دماء، واغتصاب، وخداع، ولا سلم معهم، ولا أمان، يقول في أشعيا59: **(خيوطهم لا تصير ثوباً4، ولا يكتسون بأعمالهم، أعمالهم إثم، وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم للشر تجري، وتسرع إلى سفك الدماء الذكية، أفكارهم أفكار إثم، في طريقه اغتصاب وسحق، طريق**

---

(1) البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي: محمد إسماعيل. ص322: 324.

السلام لم يعرفوه، وليس في ممالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم ييلاً معوجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً9).

أما حكم الإنجيل فيهم فجاء في متى23: **(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة، تظهر من خارج جميلة وهي في داخلها مملوءة عظام أموات وكل نجاسة، هكذا أنتم أيضاً تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً28)،** وهناك العديد من النصوص في التوراة وعدت بنهايتهم؛ لشرهم المستطير منها على سبيل المثال ما جاء في أرميا9: **(على الجبال أرفع بكاءً ومرثاة وعلى مراعي البرية ندباً لأنها احترقت فلا إنسان عابر ولا يسمع صوت الماشية، من طير السموات إلى البهائم هربت مضت. وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوي ومدن يهوذا أجعلها خراباً بلا ساكن11).** وأيضاً قوله بفقرة9 من أرميا: **(فقال الرب على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم13، ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم، لذلك هكذا قال ورب الجنود إله إسرائيل ها آنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا(1) وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم16)،** وقوله في التثنية28: **(فتبقون نفراً قليلاً عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة62 لأنك لم تسمع لصوت الرب، وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب في جميع الشعوب من إقصاء الأرض إلى أقصاها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت وآباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأيام لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول يا ليته المساء، وفي المساء تقول يا ليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر67)،** فكيف يسوغ لعاقل بعد ذلك أن يقول أنهم شعب الله المختار؟(2).

نصوص من التوراة تدل على خلاف الزعم بأنهم شعب الله المقدس:

غالى اليهود بوصف أنفسهم، وإضفاء طابع القداسة عليها، وزعموا بأنهم شعب الله المختار، والأمة المقدسة، وأنهم أبناء الله، وأحباؤه، و...، وكما هو معلوم بالضرورة إذا كان الأمر كذلك أن تكون كتبهم المقدسة مليئة بمثل تلك النعوت التي لا تخرج عنها مطلقاً بذم، أو قدح لتتم على وجه الحقيقة تلك الميزة،... فكان من الضرورة بمكان الوقوف على صفاتهم من كتبهم المقدسة، والواردة على وجه الخصوص على لسان أنبيائهم، وشهادتهم لهم باتصافهم بالقداسة، والاختيار، والاصطفاء، لاسيما ما كان منها على لسان نبي الله موسىυ لنزول التوراة عليه بزعمهم بصورتها الحالية فبماذا وصفتهم التوراة؟.

تذكر التوراة جملة من صفات اليهود الخبيثة كما جاءت على لسان أنبياءهم منها:

1. شعب صلب الرقاب جاء في الخروج32: **(وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم10).**

2. فاسدون كما يذكر الخروج7: **(فقال الرب لموسى اذهب انزل قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر32).**

3. قتلة الأنبياء جاء في أخبار الملوك1: 19: **(وكان كلام الرب إليه يقول: مالك هاهنا يا إيليا. فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبيائك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها10).**

4. ناقضوا العهد يقول في أخبار الملوك1: 19: **(فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج13ووقف في باب المغارة، وإذا بصوت إليه يقول: ما لك هنا يا إيليا. فقال غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها14).**

5. كفار عبدوا العجل والأصنام يقول في الخروج8: **(زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر32).** وقال في32: **(وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة. فقال هارون لا يحم غضب سيدي أنت تعرف الشعب أن فيه شر. فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا**

---

(1) أفسنتين (البعيتران) نبات من الفصيلة التي تعرف باسم Artemesia. ويوجد منه خمسة أنواع في فلسطين، وأكثر الأنواع وجوداً هو الذي يعرف باسم Artemesia abisnthium وعصيره مر للغاية وسام أيضاً ولذا فقد استخدم كرمز للعصيان على الله وللويلات التي تجلبها المرأة الزانية، ولقضاء الله على إسرائيل، وللآلام التي يعانيها إسرائيل وظلم الإنسان وجوره (انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص95).

(2) انظر: نفسه: ص322: 324.

أصابه23).
6.زناة، كذابون، خونة يقول في سفر العدد25: **(وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب. فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن. وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فحمي غضب الرب عليه. فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عنهم. فقال موسى لقضاتهم: اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور5)**. وقال في أرميا9: **(يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فاترك شعبي وانطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين يمدون ألسنتهم للكذب3)**.
7.جبناء عصاة كما جاء في التثنية26: **(لكنكم لم تشاؤوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب. وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا. إلى أين نحن صاعدون. قد أذاب إخوتنا قلوبنا قائلين، شعب أعظم وأطول منا مدن عظيمة محصنة، وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك. فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم30)**.
8.لم يثقوا بالله حيث يقول في التثنية32: **(...ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلهكم. السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم في نار ليلاً ليريكم الطريق التي تسيرون فيها وفي سحاب نهاراً23)**.
9.أشرار يذكر سفر القضاة4: **(وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت إهود1)**. معظم ملوكهم شريرون يقول سفر الملوك1: 14: **(اذهبي قولي ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل7 من أجل أني قد رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيساً على شعبي. وشققت المملكة من بيت داود وأعطيتك إياها ولم تكن كعبدي داود الذي حفظ وصاياي والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم في عيني. وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحتني وراء ظهرك9)**(1).
10. ملء قلوبهم بالحقد والغل، والحسد للأغيار من نصوص: التلمود والقابالاه: **(يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زوراً للإيقاع بالمسيحي. فاسم الرب لا يدنس ولا يجدف به، حين نكذب على المسيحيين)** (437)، وقوله: **(في يوم الحمان، على جميع اليهود أن يؤدوا الصلاة والحمد للرب في دعاء ارور حمان، الذي يقول: ملعونة هي جميع الشعوب، ومباركة هي أمة اليهود)** (441)، وقوله: **(يحق لليهودي أن يغتصب، أن يخادع، أن يقسم يميناً كاذبة، ولكن بشرط أن يحرص على أن لا يكتشف أمره أحد حتى لا يساء إلى سمعة إسرائيل)** (455)(2).
وهذا قليل من كثير منثور في كتبهم المقدسة من صفاتهم الخبيثة، ورقابهم القاسية، وكفرهم، وجحودهم لنعم الله، وعصيانهم، وتمردهم على أنبيائهم، وليس ذلك فحسب بل حكم الله عليهم في العهد القديم بالعقاب الشديد؛ لرفضهم وصاياه، وتعاليمه فقال في سفر لاوي26: **(لكن إن لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا14. وإن رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي بل نكثتم ميثاقي. فإني أعمل هذه بكم، أسلط عليكم رعبا وسلا، وحمى تفني العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلاً فيأكله أعداؤكم. وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم. وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد في تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فأحطم فخار عزكم وأصيّر سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس. فتفرغ باطلا قوتكم وأرضكم لا تعطي غلتها وأشجار الأرض لا تعطي ثمارها. وإن سلكتم معي بالخلاف ولم تشاؤوا أن تسمعوا لي أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم. أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد وتقرض بهائمكم وتقللكم فتوحش طرقكم. وإن لم تتأدبوا مني بذلك، بل سلكتم معي بالخلاف. فإني أسلك معكم بالخلاف وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم. أجلب عليكم سيفاً ينتقم نقمة الميثاق فتجتمعون إلى مدنكم وأرسل في وسطكم الوبأ فتدفعون بيد العدوّ. بكسري لكم عصا الخبز تخبز عشر نساء خبزكم في تنور واحد ويردون خبزكم بالوزن فتأكلون ولا تشبعون. وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي، بل سلكتم معي بالخلاف. فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطاً وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم. فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم تأكلون. وأخرب مرتفعاتكم وأقطع شمساتكم وألقي جثثكم على جثث أصنامكم وترذلكم نفسي. وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم. وأحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها. وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومنكم تصير خربة. حينئذ تستوفي الأرض سبوتها كل أيام وحشتها وأنتم في أرض أعدائكم، حينئذ تسبت الأرض وتستوفي سبوتها. كل أيام وحشتها تسبت ما لم تسبته من سبوتكم في سكنكم عليها والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة**

---

(1) لم يتم ذكر الملوك الذين عملوا الخير لأنهم قلة مقارنة بالذين عملوا الشر، وتستطيع أن تسلسل أيضاً حكام "إسرائيل" اليوم على المنوال نفسه، فلا فرق بين أوائلهم ومعاصريهم في عمل الشر.
(2) اليهود: زهدي الفاتح. ص65.

فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد، ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم. والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم، وأيضاً بذنوب آبائهم معهم يفنون. لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها وسلوكهم معي الذي سلكوا بالخلاف وإني أيضاً سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم إلى أرض أعدائهم إلا أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف ويستوفوا حينئذ عن ذنوبهم. أذكر ميثاقي مع يعقوب، واذكر ميثاقي مع إسحاق وميثاقي مع إبراهيم واذكر الأرض. والأرض تترك منهم وتستوفي سبوتها في وحشتها منهم... لأنهم قد أبوا أحكامي وكرهت أنفسهم فرائضي ولكن مع ذلك أيضاً متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقي معهم لأني أنا الرب إلههم45).

وغضب الرب عليهم، وعاقبهم مراراً، ومن النصوص الواردة في ذلك:

• ما جاء في العدد14: (قال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني لجميع الآيات التي عملت في وسطهم إني أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم12).

• وفي سفر القضاة2 يقول: (وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم11. وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت. فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم. حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم، فضاق بهم الأمر جداً. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها21...).

• وفي نص آخر في القضاة10 يقول: (وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب6 وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب لم يعبدوه. فحمي غضب الرب عليهم وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد عمون. فحطموا ورضضوا بني إسرائيل في السنة8).

• وجاء في أخبار الملوك2: 21 ما نصه: (وتكلم الرب على يد عبيده الأنبياء قائلاً. من أجل أن منسي ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذي عمله الأموريون الذين قبله وجعل يهوذا يخطئ بأصنامه. لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل. ها أنا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه. وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت أخاب وامسح أورشليم كما يمسح واحدٌ الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه. وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم. لأنهم عملوا الشر في عيني وصاروا يغيظونني من يوم خروج آباؤهم من مصر إلى هذا اليوم15).

• وقال في سفر المزامير78: (فجربوا وعصوا الله56 العلي وشهاداته لم يحفظوا. بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم انحرفوا كقوس مخطئة. أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً59).

وذكر وعد التوراة بنهايتهم في أكثر من موضع منها ما يأتي:

• جاء في إرميا9: (على الجبال أرفع بكاءً1ومرثاة وعلى مراعي البرية ندباً لأنها احترقت فلا إنسان عابر ولا يسمع صوت الماشية، من طير السموات إلى البهائم هربت مضت. وأجعل أورشليم رجماً ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا أجعلها خراباً بلا ساكن11).

• وقال الرب في إرميا9 أيضاً: (على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم13، ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها. بل سلكوا وراء عناد قلوبهم روراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم. لذلك هكذا قال: ورب الجنود إله إسرائيل ها آنذا أطعم هذا الشعب أَفْسَنْتِيناً(1) وأسقيهم ماء العلقم. وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق ورائهم السيف حتى أفنيهم16).

• وجاء في التثنية28 قوله: (فتبقون نفراً قليلاً عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة62 لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك. وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب ليفنيكم زيهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت وآباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأيام لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس. وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على

---

(1) أفسنتين: (البعيثران): نبات من الفصيلة التي تعرف باسم Artemesia ويوجد منه خمسة أنواع في فلسطين، وأكثر الأنواع وجوداً هو الذي يعرف باسم Artemesia absinthium، وعصيره. مر للغاية وسام أيضاً ولذا فقد استخدم كرمز للعصيان على الله وللويلات التي تجلبها المرأة الزانية، ولقضاء الله على إسرائيل، وللآلام التي يعانيها إسرائيل ولظلم الإنسان وجوره. (انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص95).

حياتك. في الصباح تقول يا ليته المساء، وفي المساء تقول يا ليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر67).

وبعد...هل يقول عاقل بعد هذه النصوص البيّنة أنهم شعب مقدس؟، وأنهم من سيؤيد من الله آخر الزمان، وينتصر، ويحكم العالم؟.

مناقضة التلمود للفكر الصهيوني في تملك أرض فلسطين:

يناقض التلمود المنطق الصهيوني في سبب نكبة اليهود في السبي البابلي ذلك أن اليهود يدعون أنهم أخرجوا من ديارهم مكرهين إذ طردوا من بلادهم بالقوة، والتلمود يكذب هذا الزعم كلياً، ويؤكد أن الرب هو الذي دمرهم، وسبى بقيتهم، ودمر هيكلهم بمشيئته بسبب ذنوبهم من وثنية، وتفسخ أخلاقي حيث يقول إرميا9: **(لأنهم جميعا زناة جماعة خائنين3)**، ويقول حزقيال16: **(وسكبت زناك على كل عابر سبيل15)**(1).

كما يسطر التلمود ألواناً من ذنوبهم نذكرها كما جاءت نصاً حيث يقول: **(عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات (إرمياه)، ترك النبي (إرمياه) أورشليم وسافر إلى بلاد بنيامين، وطالما كان النبي لا يزال في المدينة المقدسة، كان يدعو للرحمة عليها، فنجت، ولكنه عندما هجرها إلى بلاد بنيامين، دمر (نبوخذ نصر) بلاد إسرائيل، وحطم الهيكل، ونهب مجوهراته، وتركه فريسة للنيران الملتهبة، وكان (نبوذر دان)- فارسي- قد أرسل نبوخذ نصر لتدمير أورشليم). (وقبل أن يبدأ (نبوخذ نصر) حملته العسكرية، سعى لمعرفة نتائج الحملة،بواسطة الإشارات، نظرا لذهوله من الموقف. فرمى من قوسه نحو الغرب، فسارت السهم في اتجاه أورشليم، ثم رمى مرة أخرى، نحو الشرق، لكن السهم اتجهت نحو أورشليم، ثم رمى مرة أخرى، ليتأكد من محل وقوع المدينة المذنبة التي وجب تطهيرها من الأرض، وللمرة الثالثة اتجهت سهمه نحو أورشليم). (وبعد أن استولى (نبوخذ نصر) على المدينة، توجه مع أمرائه وضباط جيشه إلى داخل الهيكل، وصاح ساخراً مخاطبا اله إسرائيل: (وهل أنت الإله العظيم، الذي يرتعد أمامه العالم؟ ها نحن في مدينتك ومعبدك)! (ووجد (نبوخذ نصر) علامة لرأس سهم على أحد جدران الهيكل، كأن أحداً قتل أو أصيب بها، فسأل: من قتل هنا؟ فأجاب الشعب: (زكريا بن يهويا داه) كبير الكهنة. لقد كان يحذرنا في كل ساعة من حساب (عقاب) اعتداءاتنا (الوصايا). وقد سئمنا من كلماته! فانتهينا منه)! (فذبح جنود نبوخذ نصر سكان أورشليم- كهنتها وشعبها، كهولها وشبابها، نساءها وأطفالها، وعندما شاهد كبير الكهنة هذا المنظر ألقى بنفسه في النار التي أشعلها نبوخذ نصر في الهيكل، وتبعه بقية الكهنة، مع عودهم وآلاتهم الموسيقية الأخرى!)، (ثم ضرب جنود نبوخذ نصر السلاسل الحديدية في أيدي باقي الإسرائيليين، وساقوهم إلى السبي). (ورجع ارمياه النبي إلى أورشليم، وصحب إخوانه البؤساء الذين خرجوا عرايا تقريباً، وعندما نبوخذ نصر بقتل جميع الإسرائيليين، لأنهم رفضوا أن يغنوا أمامه تلك الأغاني التي طالما غنوها في الهيكل، جرت محادثة بين بيلاطيا ابن يهويا داه (أخو النبي زكريا) قال فيها: (لقد أعطى الله إسرائيل في يديك، وأنت الآن مسؤول عمن تقتلهم)** هذا هو نص الشهادة التلمودية دون أي تصرف في الترجمة(2).

وخلاصته أن طرد اليهود من فلسطين، وتدمير الهيكل الأصلي الذي بناه الملك سليمانυكان بمشيئة الله، وانتقاما منهم، وإضافة إلى ذلك فإن التلمود حكم في بعض نصوصه على أن تشتيت بني إسرائيل كان انتقاماً منهم بالإضافة إلى أنه خير لهم: **(عمل الرب خيراً لإسرائيل، عندما شتت أبناء إسرائيل بين الأمم)** غير أنه من الإنصاف أن نضيف إلى عقيدة التلمود المناقضة للعقيدة الصهيونية عقيدة التوراة التي تطابق التلمود، وتناقض الصهيونية في أن إبادتهم، وسبيهم كان بقدر الله، وانتقامه يقول أشعيا10: **(ويل لأشور، قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخطي5، على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه، ليغتنم غنيمة وينهب نهبا، ويجعلهم مدوسين كطين الازقة6)**، ذلك السبي الآشوري لمملكة إسرائيل، والسبي الأول ليهوذا. أما تدمير البابليين ـ الكلدانيين ـ لأورشليم، وإزالة يهوذا من الوجود، فتقول فيها التوراة في سفر إرميا37: **(هكذا، قال الرب- ها انذا ادفع هذه المدينة- القدس- 8ليد ملك بابل، فيحرقها بالنار، واجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكن9)**.

وأشباه هذه النصوص في انتقام الله من اليهود على أيدي الوثنيين الآشوريين، والكلدانيين كثيرة فهو عقاب إلهي على أعمالهم كما جاء في حزقيال5: **(هذه أورشليم...، فخالفت أحكامي، لأجل ذلك يأكل الآباء الأبناء في وسطك، والأبناء يأكلون آباءهم، واجري أحكاما، واذري بقيتك كلها في كل ريح،...واجعلك خرابا وعارا بين الأمم التي حواليك، أمام عيني كل عابر فتكون عارا وتأديبا ودهشا**

---

(1) انظر: نهاية العالم حقيقة لا وهم: عبدالمحسن دهيني. ص66. دار الهادي. بيروت (ط1: ب).
(2) انظر: نهاية العالم حقيقة لا وهم: دهيني. ص66: 70.

للأمم التي حولك، .. أنا الرب تكلمت16).
بل إن إلههم يعلن في توراتهم أن تدميره لأورشليم بسبب خلوها من يهودي واحد يعبد الله، ويستجيب له من سائر سكانها حيث يقول في حزقيال22: **(وطلبت من بينهم رجلا يبني جدارا ويقف في الثغر أمامي على الأرض، لكيلا أخربها، فلم أجد، فسكبت سخطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي جلبت طريقهم على رؤوسهم، بقول السيد الرب31)**، بل كما جاء في إشعيا1: **(كل رأس مريض، وكل القلب سقيم6، من اسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط7)، ويقول لهم في إرميا23: (لذلك ها انذا أنساكم نسيانا، وارفعكم من أمام وجهي39، أنتم والمدينة أورشليم التي أعطيتكم وآباؤكم إياها، واجعل عليكم عارا أبديا وخرابا أبديا لا ينسى40)**. وكان الوعي اليهودي في العالم بهذه الفكرة، والعقيدة حتى نهايات القرن التاسع عشر(1). بعدها ألفت الأيدي الصهيونية الآثمة العقائد الصهيونية الجديدة، والتي تطالب فيها بعودة اليهود إلى أرض المعاد، وبناء الهيكل،...

ثالثاً: نقض عقيدة نزول المسيحυ من الأوجه المخالفة لصفة نزوله في العقيدة الإسلامية:

إن عقيدة نزول المسيح عيسى ابن مريمυ قبل يوم القيامة من عقائد أهل السنة، والجماعة، وقد وردت الآيات، والأحاديث التي بلغت حد التواتر المعنوي التي تشير إلى نزوله آخر الزمان، ونزوله في الشريعة الإسلامية يعد النزول الأول، والأخير إذ لا نزول قبله، ولا بعده.

ونظرا لما تعنيه كلمة المسيا عند اليهود الذي يعني: المتوج بطريقة شرعية، وبالزيت المقدس يختلف اليهود في تحديد شخصيته، ومكانته الرئاسية مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى بناء على هذا المدلول فهم ينتظرون ملكاً يهودياً ممسوحاً بالزيت متوجاً يحكم العالم بما أوتي من قوة من نسل النبي داودυ، ويريدونه ملكاً، وليس نبياً ذلك أن النبي يفرض عليهم تشريعات، وعبادات تقيدهم سلوكياً، وأخلاقياً، واجتماعياً، وتفرض عليهم تشريعات دينية لا يستطيعوا الوفاء بها فضلا عن رغبتهم عنها فهم يريدون ملكاً يحكم، ويكوّن لهم مملكة عالمية هم أسيادها دون أن يكون لهم مع الرب المعطي، أي: التزامات دينية، أو تعبدية.

وفي ظل الاضطهادات التي شهدها اليهود من الفرس، والروم على مر التاريخ تحول المصطلح من مدلوله المادي اللغوي إلى مدلوله الاصطلاحي السياسي عندما ارتبط بفكرة الخلاص الأصولية.

ونظرة اليهود للمسيا تختلف عن نظرة النصارى له حيث ينتظر كل منهما مسيا حسب رغباته، وتصوراته، وتظهر كتبهم جملة من تناقضاتهم في هذه العقيدة.

فقد حوى العهد الجديد بالإضافة إلى تناقضات العهد القديم على العديد من النصوص التي تظهر قدر عظيم من الاختلاف، والتناقض، والذي تكذِّب فيه كل رواية الرواية الأخرى مما يستحيل معه القطع بصحة إحداها(2)، ومنها مسألة قيامة المسيح من موته، وظهوره للتلاميذ للمرة الأولى، وفي هذا الحدث الذي لا يقوم عليه إثبات نبوءته، وإلهيته مصدر الدعوة النصرانية فقط بل يقوم عليها أساس، وجوده، ومشروعيته عامة، ويختلف كتاب العهد الجديد في رواية هذا الحدث من جانبين :

أولهما القيامة: فلا يتفقون على شيء من العناصر الرئيسية لقصة زيارة النسوة للقبر الخالي:

فيذكر سفر مرقص: أن الزائرات كن ثلاثة نسوة، ويذكر متى بأنهما كانتا أثنتين فقط بينما يقول لوقا: بأنهن جمع من النساء، و الرجال. أما يوحنا: فيجعل بطلة الزيارة مريم المجدلانية وحدها، ويختلفون حول الشباب المتواجدون عند القبر فبينما هو في متى: ملاك الرب فقط، ومنظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج يرى لوقا أنهما كانا رجلين بثياب براقه، ويجعلهما مرقص رجلاً واحداً. أما يوحنا: فيذكر ملكين يجلس أحدهما عند الرأس، والآخر عند القدمين.

الثاني الظهور: تختلف الأناجيل في مَن كان أول من رأى القائم من الموتى؟. فيجعله مرقس، ومتى، ويوحنا من نصيب مريم المجدلانية بينما جعل لوقا الظهور الأول من نصيب اثنين كانا منطلقين إلى قرية عمواس، و...، ويختلفون في مكان وقوعه للأحد عشر إذ يحدث الظهور في الجليل لدى مرقس، ومتى، ويجعله لوقا، ويوحنا في أورشليم كذلك يختلفون في مرات الظهور فيحكي يوحنا عن ثلاث مرات أما الباقون فيتحدثون عن مرة واحدة فقط(3).

ومن النصوص أيضاً التي تختلف فيها الأناجيل ما أثبتته وقائع التاريخ من عدم تحقق نبوءات العهد الجديد الإعجازية، والتي من أبرزها:

---

(1) انظر: فضيحة التلمود: عابد الهاشمي. ص45.
(2) انظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب: عبد الراضي محمد. ص308: 310.
(3) انظر: النبوة والأنبياء في المسيحية واليهودية والإسلام: أحمد عبدالوهاب. ص290: 299. مكتبة وهبة للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1988م).

تنبؤ المسيح بعودته، ونهاية العالم في عصر الجيل الأول من تلاميذه حيث يقول متى24: **(وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتى الغروب26، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان، وحيث تكون الجيفة تتجمع النسور، وعلى أثر الشدة في تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يرسل ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماء، وتظهر عندئذٍ في السماء آية ابن الإنسان، فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتياً على غمام السماء في تمام العزة والجلال، ويرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير، فيجمعون الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع من أطراف السموات إلى أطرافها الأخرى من التينة خذوا العبرة، فإذا لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور كلها، فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب، الحق أقول لكم، لن يزول هذا الجيل حتى تحدث هذه الأمور كلها34)** ومثله في (مر: 13-30) (لو:21: 25-32).

وقد مضى عشرون قرناً من الزمان ولا يزال العالم قائماً، ولم يأت المسيح على الرغم من نهاية الوقت المضروب لذلك، وتجدر الإشارة إلى أن عدم تحقيق هذه النبوءات قد شكل مشكلة كبرى للنصرانية منذ بدايتها، وبدأت الشك، والتشكيك في إلهية مصادرها بسبب عدم تحقق هذه النبوءة منذ عصر الجيل الأول، ولقد حاول بطرس في رسالته (الثانية3) أن يخفف هذه الشكوك، ويرد عليها فقال: **(فاعلموا أول الأمر أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون كل الاستهزاء تقودهم أهوائهم3 فيقولون أين موعد مجيئه، لقد مات أبائنا ولا يزال كل شيء منذ بدء الخليقة على حاله4)**(1).

وبناءً على ماسبق فإن العقيدة الإسلامية تثبت نزول، وظهور لمرة واحدة فقط قبل يوم القيامة بعد أن رفعه الله للسماء، بينما تثبت النصارى ظهورين الأول في القيامة الأولى السابقة الذكر، والمختلف فيها في مصادرهم، والثاني ظهوره آخر الزمان بينما ينفي اليهود مجيئه على الأرض من قبل مطلقاً، ويكون مجيئه الأول على الإطلاق؛ لأنهم لا يعترفون بأنه عيسىυ.

رابعاً: نقض عقيدة بناء هيكل سليمان الثالث:

تزعم الأصولية اليهودية أن إيمانها بعقيدة بناء الهيكل منبثق مما ورد من نبوءات توراتية عن بناء الهيكل الجديد فمنها ما جاء في تفسير سفر حزقيال حيث يقول: إن التفسير الصحيح هو أن هذه النبوءة لم تتم بعد، وستتم مستقبلاً، وسيكون هذا البناء أفخم، وأعظم بناء فهيكل سليمان في كل عظمته لا يعتبر شيئاً بالنسبة للبناء الجديد، وتمثل هذه العقيدة أخطر أزمة داخلية في تاريخ الأصولية اليهودية المعاصرة، وفي الأعوام الأخيرة، أصبح يوجد إجماع إسرائيلي على رفض الوضع القائم في جبل الهيكل كوسيلة لإحباط مقترحات متنوعة تدعو إلى التقدم في المفاوضات بتضمين الصيغة القائلة: «حكم المسلمين على مقدسات المسلمين» إلى المساعدة في زيادة كثافة المطالبة الأصولية بالتغيير، وقد حاول بعض رؤوس الحاخامات استخدام المكتشفات الأثرية الحديثة؛ لإلغاء القيود الدينية المفروضة على دخول اليهود إلى جبل الهيكل.

ويزعم اليهود بوجوب القيام بالطقوس الدينية داخل الهيكل المهدم؛ لهذا ظلوا يتجهون ناحيته في صلواتهم منذ ذلك التاريخ، ويتشوقون إلى اليوم الذي يستطيعون فيه إعادة بنائه تحت مسمى الهيكل الثالث، ولأن الفرصة لم تسنح لهم طوال ما يقرب من ألفي عام للاقتراب من حلمهم التاريخي بإعادة بنائه إلا في هذا القرن ـ بزعمهم ـ بعد عودتهم للاستيطان بأرضهم، وحلمهم وشيك التحقق، لاسيما بعد أن احتلوا مدينة القدس بعد حرب عام (1967م)، حيث وقع المسجد أسيراً تحت أيديهم، واستولوا على حائط البراق، وسموه حائط المبكى، وابتدع حاخاماتهم دعاءً يرددونهم في صلواتهم أمام الحائط عبارة عن قسم، وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم باكين بأن تلتصق ألسنتهم بحلوقهم إذا هم نسوه، وأول من ردد ذلك الدعاء والتزام هذا التعهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام (1967م)(2).

كما يربط الأصوليون الإنجيليون بين بناء الهيكل الثالث، وإقامة دولة إسرائيل بالمجيء الثاني للمسيح على الأرض، ولا علاقة بينهما في نظر الديانة النصرانية التقليدية الأرثوذكسية، والإسلام، وقد ورد في الكتاب الشهري الذي يصدره بيت التكريس لخدمة الكرازة بالقاهرة، والكتاب يتحدث عن عودة المسيح من السماء، يقول عن هذا الموضوع(3): ينبغي أن نؤكد على أن المسيحية، ورجاؤها في عودة المسيح من السماء لا علاقة لها بإقامة دولة يهودية في فلسطين، أو ببناء الهيكل اليهودي فلا يوجد في العهد الجديد، ولا في التقليد المسيحي المستقيم منذ الرسل أي ربط بين مجيء المسيح من السماء، وبين قيام دولة للشعب اليهودي، أو بناء هيكل لهم بعد الهيكل الذي تنبأ المسيح بخرابه، وخرب فعلاً سنة (70م) كل العلاقة في الإنجيل بين مجيء الرب، وبين

---

(1) انظر: نفسه: ص299.
(2) الباب الأول الفصل الرابع ص241.
(3) انظر: عودة المسيح من السماء بيت التكريس لخدمة الكرازة. ص11: 12. الكتاب الشهري للشباب. والخدام. ديسمبر 1999م.

اليهود هي في عبارتين:

الأولى: قالها الرب يسوع لليهود قبل أن يتنبأ بخراب الهيكل مباشرة فجاء في متى23: **(هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً؛ لأني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب39)**. وهذا معناه أنه عندما تؤمن بقية من اليهود بالمسيح حسب نبوءة إشعياء10: **(لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقية منه قد قضى بفناء بالعدل22)**، وقوله في إشعيا1: **(لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة9)**، وجاء في رومية9: **(وإشعياء يصرخ من وجهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص . لأنه متمم أمر وقاض باليد . لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض . وكما سبق إشعياء فقال لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمرا29)**. عندئذ سيظهر المسيح، ويروه كما وعد في هذه الآية فالعلاقة هي بين إيمان (البقية) التي ستؤمن، وبين رؤيتهم له عند مجيئه، والأمر لا علاقة له بإقامة الدولة، أو ببناء الهيكل، أو بالسياسة.

الثانية: هي للرسول بولس في رسالة رومية بأن الله سيطعمهم، أي: اليهود من جديد في الزيتونة الطبيعية بعد أن قطعوا منها بسبب عدم إيمانهم، وهذا التطعيم معناه: أنهم يؤمنون بالمسيح، وبذلك يخلصون، وهكذا ستخلص بقية إسرائيل يقول بولس في رسالته23: **(وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعمون11؛ لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً. لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة. فإني لست أريد أيها الإخوة، أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل. كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب. وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم. من وجهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم. وأما من جهة الاختيار فهم أحياء من أجل الآباء. لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضاً برحمتكم. لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع32)**.

وواضح من كلام بولس أنه يتحدث عن خلاص من يؤمن من اليهود بالمسيح، وليس فيها مايشير إلى إقامة دولة، أو بناء هيكل فكل هذه الآمال اليهودية هي في نظر المسيحية المستقيمة قد انتهت تماماً بتجسد المسيح، وصلبه، وقيامته، والذي بدأ بإقامة مملكته الروحية على الأرض في قلوب المؤمنين به فبولس كتب رسالة تسالونيكي الثانية سنة (50م)، أي: عندما كان هيكل أورشليم قائماً مثلما تنبأ المسيح أيضاً عن الهيكل، وعن رجسه الخراب التي تقوم فيه قبل حدوث الخراب بـ (40) سنة(1).

وقد فسّر مصطلح رجسة الخراب الكاتب: أكرام لمعى، بقوله: «المقصود برجسة الخراب هنا انتشار الشر، وتجسده بصورة لم يسبق لها مثيل، حيث يرتد الكثيرون عن الإيمان»(2). ويقول الراهب لوكاس الأنبابيشوى بعد أن تكلم عن خراب هيكل أورشليم، وأنه لن تقوم له قائمة بعد ذلك يقول: «وهكذا، خرب هيكل سليمان، وأبطلت ذبائحه الحيوانية إلى الأبد بمجيء المسيح، والذبيحة الحقيقية غير الدموية، وعليه فلن تقام للهيكل قائمة إلى اليوم مهما حاول اليهود، واجتهدوا في الحفر، والتنقيب، وفي عام (637م) حكم العرب القدس، وظلوا يحكمونها 15 قرناً عربية تؤمن بعروبتها، وستظل وحدة العرب إلى الأبد، ومن هنا أعلن قداسة البابا شنودة الثالث بعدم دخول القدس إلا مع إخوتنا العرب، وبعد الوصول إلى حل عادل، وشامل للقضية الفلسطينية»(3).

كذلك لا يوجد في الإسلام أي علاقة بين الهيكل، ومجيء المسيح الثاني، وما يعتقدونه برجسة الخراب التي تحدث عنها دانيال النبي يقول د. سفر الحوالى في رده على عقيدة الأصوليون في أن بناء الهيكل علامة من علامات المجيء الثاني للمسيح: «رجسة الخراب مصطلح كتابي مهم جداً، وهو واضح لكن القوم كالعادة أحاطوه بهالة من الغموض في لفظة، وفي تأويله، وهذا التركيب بصيغة المضاف، والمضاف إليه له مترادفات أخرى مثل (وحشة الخراب)، (شناعة، أو شنيعة الخراب) وله ترجمات بالمعنى مثل (معصية الخراب، والمعصية المدمرة، أو الخطيئة المدمرة)، وجاء بمعنى أوضح، وهو (المملكة الخاطئة)»(4).

ثم يعلق د. سفر الحوالي في كلامه عن تحديد العهد القديم لرجسة الخراب بقوله: «والآن وقد رأينا رجسة الخراب قائمة برجساتها وخرابها، بوحشيتها، وشناعتها، وبوثنيتها، وإلحادها، وبتعطيل الصلوات في المسجد الأقصى، وهدمه، وحرقه، ونسأل الله أن يكف شرها فلا تقضي

---

(1) انظر: عودة المسيح من السماء بيت التكريس لخدمة الكرازة. ص12.
(2) هل يملك المسيح على الأرض: إكرام لمعى. ص20. دار الثقافة. القاهرة (ط1: ب).
(3) انظر: هيكل سليمان والمزاعم الإسرائيلية. ص61.
(4) يوم الغضب وهل بدأ بانتفاضة رجب: د. سفر الحوالى. ص72 (مخطوط).

على البقية الباقية منه»(1).
ثم إن عملية فكرة إعادة بناء الهيكل الثالث كما يسمونه فكرة أصولية صهيونية معاصرة، الغاية منها هدم المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، وبما أن هذه المهمة شاقة، وليست سهلة، وميسورة لجَؤُوا إلى الحيلة، والمؤامرة بدعاوى دينية أصولية فزعموا أن من علامات المجيء الثاني للمسيح خراب الهيكل الثالث بعد بنائه، وممارسة الطقوس، والعبادات اليهودية فيه، ثم يأتي النبي الكذاب، والوحش يبطلان كل نشاط ديني يهودي فيه، ويفرضان عبادة الوحش، ووضع صورته في الهيكل، وهذه هي العبادة الوثنية التي تسبب ما يُسمّى عندهم برجسة الخراب، أي: «أن العبادة الوثنية هي التي تسبب الخراب»، وهم بذلك يبعدوا شبهة أن يكون الخراب، والعبادة الوثنية منهم، ويلصقوها بالنبي الكذاب، والوحش، وأنهم باقون على إيمانهم.
وقد سبق وأن تكلمنا عن الخراب المذكور، وأزمنة حدوثه على يد نبوخذنصر، وتيطس، كما تحدث النبي دانيال27 عنه في رؤياه بقوله: **(وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها ويثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد ، وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب26)**، وهذا الخراب الذي يحدثه الوحش وهو: «من أطلق عليه دانيال وصف رئيس آت الذي هو الوحش الطالع من البحر، أي: من الأمم»(2)، ويضطرب الأصوليون في تفسير النص ليتناسب مع أحداث الزمان، فيذكروا أن الوحش يرمز إلى حلف مكون من عشر دول غربية متحدة يتكون هذا الحلف الغربي من الكنيسة الاسمية، أو كنيسة روما التي ستتحكم في الإمبراطورية الرومانية العائدة للحياة إلى حين(3)، والنبي الكذاب (ضد المسيح) فهو الذي يطلق عليه كما جاء في سفر الرؤيا16: **(الذي سيعمل بكل سلطان الوحش الأول13**(4)، **...الأثيم أو الوحش الطالع من الأرض – أرض إسرائيل – الذي هو النبي الكذاب20)**(5)(6)، ويستدل الأصوليون الإنجيليون على هذه العقيدة بما في إنجيل متى24 بقوله: **(ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل1، فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض! وفيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح! ويضلون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حيث يسلمونك إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل أسمى، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى ، فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس وليفهم القارئ15)**.
يتفق النبي الكذاب مع الوحش الأول على خداع اليهود فيأتي النبي الكذاب، ويظهر نفسه لليهود على أنه المسيح المنتظر الذي انتظروه طويلاً، وسيصدقه اليهود، ويقبلونه، ويجعلونه ملكاً لهم يحكم أرض إسرائيل(7)، ويأتي الوحش الأول إلى الأمة الإسرائيلية؛ ليعدهم بالحماية، والنصرة، وإقامة الشعائر في الهيكل، ويعقد معهم معاهدة على ذلك هذه المعاهدة ستحظى بموافقة، وقبول معظم الشعب اليهودي ممثلاً في الحكومة الإسرائيلية هذا ما عبر عنه دانيال12– بزعمهم –: **(بالقول يثبت عهداً مع كثيرين، أي ماعدا البقية التقية ستحتفي إسرائيل بهذا الرئيس الآتي باعتباره حامي حماهم العظيم، وسيقبلونه بفرح، إلا أنهم سيفاجئون في وسط الأسبوع – السبعين من دانيال – بهذا الرئيس وقد رفع البرق من على وجهه، وكشف عن حقيقة شخصه وحقيقة نواياه، فإذا به ينقض عهده معهم ويبطل معاهدته، ويأمر بإبطال الذبيحة والحرقة التي يقدمها اليهود إلى الله في هيكله، والتي هي أساس العبادة اليهودية، وأساس اقتراب الشعب اليهودي إلى الله؛ ليدخل بدلاً منها طقوساً وعبادات وثنية، مكلفاً الأثيم – الذي هو النبي الكذاب اليهودي – بالإشراف على تنفيذ ذلك، كما سيثبت مركزه كونه أنه يعمل بكل سلطان الوحش**

(1) نفسه: ص85.
(2) خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. ص158.
(3) انظر: المجيء الثاني، وهل سينتهي العالم سنة (2001) او (2012): أبو الخير بسيط. ص119.
(4) وفيه: (رأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع).
(5) وفيه: (فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه، الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش، والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت).
(6) انظر: خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. ص58.
(7) انظر: المجيء الثاني، وهل سينتهي العالم سنة (2001) او (2012): أبو الخير بسيط. ص58.

الأممي13).

فإذا كان الوحش الأممي هو الدكتاتور العظيم المنفرد بالسلطة السياسية في العالم فإن النبي الكذاب سيكون الرئيس الديني الأوحد المتسلط على شعائر العبادة، وطقوسها(1)، وإضافة إلى ما ذكر يقوم الكذاب بأعمال أخرى منها:

1. إظهار نفسه في الهيكل على أنه إله، كما ورد في رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الثانية2: **(إنه يجلس في هيكل الله مظهراً لنفسه أنه إله4)**.

2. يجعل الناس يسجدون لصورة الوحش، ومن لا يسجد للوحش يقتل فقد جاء في سفر الرؤيا13: **(وأعطى أن يعطى روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون15)**.

3. سيقوم باضطهاد من يقف أمامه، ولا يسجد للوحش، وخاصة «البقية التقية من اليهود، ومن الأمم الذين يؤمنون بإنجيل الملكوت»(2)، وسوف يهربون من هذا الاضطهاد إلى الجبال، والكهوف انتظاراً لمجيء المسيح؛ لينقذهم، ويخلصهم من هذا الاضطهاد.

ويرفض الباحث: محمد صقر عقيدة بناء الهيكل جملة، وتفصيلا في مؤلفه الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية حيث يقول: اليهود لا علاقة لهم بالقدس، وليس لهم حق فيها حتى يقوموا ببناء هذا الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى. فاليهودية تعنى الديانة التي تقوم على الكتاب الذي جاء به موسى لبني إسرائيل وحياً من الله تعالى ويعرف باسم التوراة؛ ونزلت في أرض مصر بجبل الطور في سيناء وبلغة غير اللغة العبرية التي لم تكن على أيام موسى قد ولدت بعد ومن الطبيعي أن تكون التوراة قد خلت من كل حديث عن أورشليم القدس تصريحاً، أو تلميحاً فلا علاقة لمن يعتنق اليهودية قديماً، أو حديثاً بطقوس في القدس، كما أن موسى اسمه مصري خلعه عليه بيت فرعون الذي تربى فيه، وتعلم في مدارس الأمراء، وأبناء الكهنة، وفي هذا تقول الأسفار الرسل7: **(فتهذب موسى بكل حكمة المصريين، وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال22)**. ولم يسكن أحد منهم في مدينة يبوس (القدس) إلا بعد موسى بأكثر من (30) عام فالقدس في الإسلام لها موضع التقديس خلافاً لليهودية التي لا تعرف عنها شيئاً(3).

ويقول د. المسيري تعليقاً على أحقية اليهود في بناء الهيكل: إذا كان الأصوليون يحرّفون كتبهم بما يتوافق مع عقيدتهم فالتاريخ يشهد أنه لا حق لهم في بنائه، وفي تقرير قامت به اللجنة الدولية برئاسة وزير خارجية السويد، وعضوين أحدهما هولندي، والآخر سويسري يتضمن هذا التقرير: أن حائط البراق ــ ويسميه اليهود، والأصوليون النصارى حائط المبكى ــ ملك للمسلمين، و لم يتم بناء المسجد الأقصى على أنقاض هيكل سليمان، وقد نشر هذا التقرير في ديسمبر سنة 1930م، وقد وافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم، وحكومة بريطانيا ــ الدولة المنتدبة على فلسطين ــ على قرارات هذه اللجنة، وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها، وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ هذا اعتباراً من 8 يونيو سنة 1931م، وقد قررت اللجنة: «أن المسلمين هم المالك الوحيد للحائط، وللمناطق المجاورة، وأن اليهود يمكنهم الوصول إلى الحائط للأغراض الدينية فحسب على ألا ينفخوا في البوق (الشوفار)، وألا يجلبوا خيمة، أو ستارة، أو ما شابه ذلك من أدوات، وقررت اللجنة أن أية أدوات عبادة يحق لليهود وضعها بمقتضى الأمر الواقع بالقرب من الحائط لا يترتب على إنشائها أي حق عينى لليهود في الحائط، أو في الرصيف المجاور له»(4).

كما أن تسمية اليهود للحائط بحائط المبكى فالتسمية غير صحيحة فهو معروف باسم حائط البراق، وهو: «الذي يحيط بالمسجد الأقصى من الناحية الغربية، ويعتبر جزءاً لا يتجزأ من المسجد الأقصى، وسمي بهذا الاسم؛ لأنه المكان الذي ربط عنده الرسول ^ براقه ليلة الإسراء، والمعراج، ويسميه اليهود حائط المبكى؛ لاعتقادهم أنه من بقايا هيكلهم الذي لم يعثروا عليه للآن»(5).

حائط المبكي هو «ترجمة لكلمة (الحائط الغربي)، ويقال إنه جزء من السور الخارجي الذي بناه هيرودس؛ ليحيط بالهيكل والمباني الملحقة به. ويعتبر هذا الحائط من أقدس الأماكن الدينية عند اليهود في الوقت الحاضر إذ لامكان عباده لديهم سواه، ــ كما لا أثر لوجود لهم سابق في الأرض سوى هذا الادعاء ــ ويبلغ طوله مائة وستون قدماً أما ارتفاعه ستون قدماً. وسمي حائط المبكي؛ لأن صلواتهم

---

(1) انظر: خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. ص59: 60.
(2) المجيء الثاني، وهل سينتهي العالم سنة (2001) أو (2012): أبو الخير بسيط. ص121.
(3) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. ص245، وانظر: تاريخ انهيار دولة إسرائيل ومحو الهيكل من الجغرافيا والتاريخ: لواء أحمد عبد الوهاب. ص113: 114. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة (ط1: 2001م)،
(4) موسوعة اليهود: د. المسيري. ج1. ص170.
(5) فلسطين بالخرائط والوثائق: بهاء فاروق. ص252. دار هلا للنشر والتوزيع. بيروت (ط: 2002م).

حوله أخذت شكل العويل، والنواح»(1)؛ والسبب في عبادتهم بالنواح، والعويل: « لتصورهم أن الحضور الإلهي يملأ هيكل الملك سليمان كما جاء في ذلك الإصحاح الثامن من سفر الملوك الأول8: **(ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب11)**، وعلى هذا الأساس أخذت أجيال، وأجيال تنوح على خراب الهيكل، ومازالوا ينوحون عليه، ويعتقد اليهود أن الحائط الغربي لايمكن هدمه على الإطلاق؛ لأن الحضور الإلهي مستقر فيه على الدوام»(2). وبسبب هذا الاعتقاد استمرت محاولات الاستيلاء عليه من الصهاينة منها محاولة عبد الله حاخام الهند حيث قام بشراء الحائط عام (1850م)، وحاول السيد موسى مونتيفورى أن يستصدر تصريحاً بوضع الكراسي، أو المظلات الواقية من المطر أمام الحائط، ولكن طلبه رفض، وفي عام (1887م) حاول البارون روتشيلد شراء الحى المجاور للحائط؛ لإخلائه من السكان، واقتراح أن تشتري إدارة الوقف أرضاً أخرى بالأموال التي ستحصل عليها، وتوطن السكان فيها، وهو حل يحمل كل ملامح الحلول الصهيونية الترانسفير، وقد رفض طلبه كذلك.

وقبل الحرب العالمية الأولى قام البنك الأنجلو فلسطيني بمحاولات جادة لشرائه كما قام الصهاينة بمحاولات للاستيلاء على الحائط، أو التسلل إلى منطقة هضبة الجبل عن طريق تقديم رشاوى، أولاً للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين حيث عرضوا عليه نصف مليون إسترليني، ثم عرضوا على الشيخ سعيد العلمي مبلغ مليون دولار، وغنى عن البيان أن هذه المحاولات لم تكلل لا بكثير، ولا بقليل من النجاح، ولم تكن محاولات الاستيلاء تتم عن طريق الإغراء المالي فحسب إذ كان العنف يأخذ أشكالاً مباشرة حينما كان الصهاينة يحاولون تأكيد حقوقهم في الحائط، وفي هضبة الجبل، وقد كانت هذه المحاولات يقابلها الرفض من قبل الفلسطينيين الأمر الذي كان يؤدي إلى الاشتباكات العنيفة بين الطرفين»(3).

إن ادعاء اليهود بملكية هذا الحائط ادعاء باطل؛ لأن: «كل المصادر التي تتحدث عن يهود القدس حتى القرن السادس عشر تلاحظ ارتباطهم بموقع الهيكل وحسب، ولا توجد أي إشارة محددة إلى الحائط الغربي، كما أن المؤرخ اليهودي نجمانيدس الذي عاش في القرن الثالث عشر لم يذكر الحائط الغربي في وصفه التفصيلي لموقع الهيكل عام (1267م)، ولم يأت له ذكر أيضاً في المصادر اليهودية التي تتضمن وصفاً للقدس حتى القرن الخامس عشر»(4)ما يؤكد أنها فكرة وليدة القرن العشرين. كذلك يبين لنا التاريخ: «أن اليهود بعد أن تملكوا فلسطين بحق الفتح طردهم الرومان منها في إثر تدمير الإمبراطور تيطس لمدينة القدس، وحكم النصارى فلسطين بعدئذ حتى الفتح العربي بقيادة عمر بن الخطاب τ، واستمرت البلاد في حوزة العرب المسلمين (1300 عام) إذ استثنينا مدة تسعين سنة كانت فيها بحوزة الصليبيين، ولم يتعرض العرب لليهود الذين جاءوا إلى فلسطين بل تم إكرامهم، وأثناء هذه العصور الطويلة لم تقع حوادث ما عند البراق، ولم يدّع اليهود السابقون يوماً من الأيام أي حق في الحائط بل كانوا قانعين بالذهاب إليه للنواح حيناً بعد آخر، وراضيين بالتأكيدات التي أعطيت لهم بأن العرب المتسامحين لن يتعرضوا لهم، وأن وعد بلفور الذي أدمج في أحكام صك الانتداب هو السبب في وقوع الخلاف الذي أدى إلى إراقة الدماء في فلسطين، وحرص اليهود على تقديم مطالب لم يحلموا بها فيما مضى»(5). إن حائط البراق ظل في ملك المسلمين، وتصرفهم قرون عديدة فهو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى، وليس منه حجر واحد يعود إلى عهد الملك سليمان، والممر الكائن عند الحائط ليس طريقاً عاماً، ولكنه أنشئ فقط لمرور سكان محلة المغاربة، وغيرهم من المسلمين في ذهابهم إلى مسجد البراق، ومن ثم إلى المسجد الأقصى، والمنطقة التي حولها يقطنها المسلمون من المغاربة ممَّن جاءوا إلى المدينة المقدسة كحجاج، أو يودون قضاء ما بقي من حياتهم فيها، وبالتالي فهذه المحلة إسلامية بحتة، ولن يرضى العرب على الإطلاق بنزع ملكيتها لليهود الذين ترمي غايتهم القصوى إلى إنشاء كنيس في ذلك المكان، وبما أنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان فإن وجودهم عند الحائط في أيام كانت معلومة لا يعنى سوى أنه من قبيل التسامح الذي أبداه نحوهم المسلمون، والذي يفوق ما أبداه المسيحيون لهم؛ لذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح كوسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة كما يحاولون أن يفعلوا الآن،... إن قدسية الحائط الذي هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع، وقد ورد ذكر إسراء النبي ^ إلى القدس في قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ

(1) موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص169.
(2) حائط البراق: د. زينب عبد العزيز. ص128: 129. دار الحرمين. القاهرة (ط1: 2001م).
(3) موسوعة اليهود: المسيري. ج1. ص169: 170 بتصرف.
(4) نفسه: ج1. ص169.
(5) حائط البراق: زينب عبدالعزيز. ص134: 135.

ٱلرَّحِيمِ﴾ (سورة الإسراء، آية:1).

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا أنه لما أسرى بالنبي محمد ^ إلى القدس أصبح موقع ــ الهيكل المزعوم ــ الذي كان موضع احترام، وتقديس المسلمين، والذي يعرف بالمسجد الأقصى؛ لتمييزه عن المسجد الحرام، والمسجد النبوي؛ لأن مكة المكرمة كانت مناوئة للنبي ^، وبناءً على ذلك أصبحت القدس مدة من الزمن القبلة الأولى للمسلمين، أي أن المسلمين في ذلك الزمن كانوا يولون وجوههم شطر القدس عند الصلاة إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ...﴾ (سورة البقرة، آية: 144)، وقد أساء اليهود تغيير الرسول ^ لقبلة بيت المقدس، وأخذوا بالهمز، واللمز فرد الله عليهم بقوله عـز من قائـل: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ:﴾ (سورة البقرة، آية: 142). إذاً هم يعلمون جيداً مكانة المسجد الأقصى، والقدس، وأهميتهما في الدين، الإسلامي، ويعلمون أحقية المسلمين بها حتى قبل أن يدخلها المسلمون فاتحين، وأنها تشكل قبلتهم الأولى، ولولا ذلك لقال قائل منهم لماذا يوجه محمد صحبه لهيكل سليمان؟. إذ لا وجود للهيكل، ولا لسواه من مقدساتهم على الحقيقة لكنهم يغالطون أنفسهم بإدعاءات كاذبة حتى أن بني جلدتهم يرفضون تلك الإدعاءات جملة، وتفصيلا، وليس أدل على مكانة القدس في قلوب المسلمين من وقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم فأنشئت فيها زوايا، وبيوت لحجاج المغاربة بالمنطقة، وهي موجودة إلى عهد قريب(1).

خامساً: نقض عقيدة معركة (هرمجدون):

سبق أن عرضنا عقيدة قيام معركة هرمجدون انطلاقاً من النبوءات التوراتية ــ المزعومة ــ التي تؤمن بها الأصوليتان اليهودية، والنصرانية، وأنها تشكل نهاية العالم، والحكم الألفي السعيد(2)، وعلمنا أن لفظ هرمجدون لم يرد في التوراة مطلقاً، وورد مرة واحدة فقط في الإنجيل في سفر رؤيا يوحنا، ولم يكن اللفظ الوارد يشير صراحة إلى اسم المعركة فضلاً عن قيامها، وقتل ثلثي سكان الأرض فذكر اللفظ جاء سياقه على أنه جمعهم في موضع يدعى هرمجدون يقول يوحنا16: **(ثم سكب الملاك الرابع جامه على الشمس9 فأعطيت أن تحرق الناس بنار فاحترق الناس احتراقاً عظيماً، وجدفوا على اسم الله الذي له سلطان على هذه الضربات، ولم يتوبوا ليعطوه مجداً، ثم سكب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش، فصارت مملكته مظلمة وكانوا يعضّون على ألسنتهم من الوجع، وجدفوا على إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم، ولم يتوبوا عن أعمالهم، ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم، وكل المسكونة؛ لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء، ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيرو عورته، جمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون16)**، والمعارك التي تحدث في آخر الزمان على ما جاء في المصادر الإسلامية، واليهودية، والنصرانية كثيرة إلا أن هرمجدون بمسماها لم ترد في المصادر اليهودية، كما أن باقي النصوص الواردة في التوارة، والإنجيل تشير إلى مواقع، وحروب حدثت فعلاً في الماضي، وانتهت، ومن أمثلتها:

- ماجاء في التثنية28: **(ويجلب الرب عليكم أمة من بعيد من أقصى الأرض، فتنقض عليكم كالنسر أمة (جافية الوجه) يثير منظرها الرعب. لا تهاب الشيخ ولا ترأف بالطفل (أولي بأس شديد) فتستولي على نتاج بهائمكم وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا، ولا تبق لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً. حتى تفنيكم وتحاصركم في جميع مدنكم حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة التي وثقتم بمناعتها49..)**.
- ما جاء في رؤيا إشعياء13 بن آموص بشأن بابل: **(انصبوا راية فوق جبل أجرد1، اصرخوا فيهم، لوحوا بأيديكم، ليدخلوا أبواب(العتاة).. لأن الرب القدير يستعرض جنود القتال.**

(1) انظر: نفسه: ص135: 138.
(2) الباب الأول. الفصل الرابع. ص245.

يقبلون من أرض(بعيدة) من أقصى السماوات، هم جنود الرب وأسلحة سخطه لتدمير الأرض كلها.(ولولوا)، فإن يوم الرب بات وشيكاً، قادماً من عند الرب محملاً بالدمار. لذلك ترتخي كل يد، ويذوب قلب كل إنسان. ينتابهم الفزع، وتأخذهم أوجاع، يتلوون كوالدة تقاسي من آلام المخاض8..).

● يقول أيضاً في إشعيا13: **(ها أنا أثير عليهم الماديين الذين لا يكترثون للفضة17 ولا يسرون بالذهب، (فتحطم) قسيّهم الفتيان ولا يرحمون الأولاد أوالرضع.أما بابل مجد الممالك وبهاء وفخر الكلدانيين فتصبح كسدوم وعمورة اللتين قلبهما الله لا يسكن فيها ولا تعمر من جيل إلى جيل ولا ينصب فيه بدوي خيمته ولا يربض فيها راع قطعانه. إنما تأوي إليها وحوش القفر وتعج البوم خرائبها وتلجأ إليها بنات النعام وتتواثب فيها (معز الوحش) وتعوي الضباع بين أبراجها وبنات آوى في قصورها الفخمة. إن وقت عقابها بات وشيكاً وأيامها لن تطول22)**(1).

● ويهدد بالخراب في إشعيا14 ويقول: **(لا تفرحي يا كل فلسطين (إسرائيل)، لأن القضيب الذي ضربك قد انكسر. فإنه من أصل تلك الأفعى يخرج أفعوان، وذريته تكون ثعباناً ساماً طياراً...ولول أيها الباب، ونوحي أيتها المدينة، ذوبي خوفاً يا فلسطين قاطبة، لأن جيشاً مدرباً قد زحف نحوك من الشمال29..)**، ويقع المحتوم كما جاء في إشعيا11: **(أدعو من المشرق الطائر الجارح، ومن الأرض البعيدة برجل مشورتي، قد نطقت بقضائي، ولا بد أن أجريه46).**

● يقول في سفر أرميا9: **(فها أنا أجند قبائل الشمال، بقيادة عبدي ـ جاءت صفة لنبوخذنصر في التوراة ـ، وآتي بها إلى هذه الأرض، فيجتاحونها ويهلكون جميع سكانها، مع سائر الأمم المحيطة بها، وأجعلهم مثار دهشة وصفير، وخرائب أبدية25)**، ويقول في موضع آخر من إرميا10: **(اسمعوها أخبار تتواتر عن جيش عظيم مقبل من الشمال ليحول مدن يهوذا إلى خرائب ومأوى لبنات آوى22).**

● يقول في سفر حزقيال38: **(في الأيام الأخيرة عندما تجمع إسرائيل من الأمم، سوف تتسبب في أمر ما، هذا ما سوف يحدث. إني سوف أضع صنارة في أفواه القوى المؤتلفة... وبعد أيام كثيرة تفتقد في السنيين الأخيرة تأتي من الأرض المستردة السيف، المجموعة من جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشي الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك... ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل، يقول السيد الرب: إن غضبي يصعد، وغيرتي في نار سخطي، تكلمت أن في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فيرعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض، وأستدعي السيف عليه في كل جبالي، يقول السيد الرب: فيكون سيفي لكل واحد على أخيه، وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر علية وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيم وناراً وكبريتاً38).**

● ومما جاء في سفر حبقوق3: **(الله يجيء من جبال فاران يجيء يسير الوباء ووراء قدميه الموت. يقف فتهتز الأرض، وينظر فترتعد الأمم. رأيت البلاء في خيام كوش والاضطراب في مساكن مديان أعلى الأنهار يحتد غضبك؟ أعلى البحار غيظك يا رب؟ حين ركبت خيلك يا رب، ومركباتك المنتصرة، وشددت قوسك شداً، وسددت سهامك. شق بوقك الأرض يارب، وانحلت الجبال لرؤياك. المياه انهمرت و طمت، والقمر أطلق صوته وارتفعت أمواجه إلى العلاء. الشمس والقمر في برجيهما وقفاً لتطاير سهامك وضياء بريق رمحك. وطئت الأرض بسخط، وبغضب دعست الأمم. خرجت لخلاص شعبك، فهدمت دعامة بيت الشرير، وعريت أساسه إلى الصخر12).**

● كما جاء في البروتوكولات: «إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادر الجديد لن يكون كفؤاً لأيد عريقة كأيدننا ...، إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم»(2).

إن حبك الأصولية الصهيونية العالمية للنصوص الدينية التي تروى قبح فعالهم، وعقاب الرب لهم؛ لجحودهم ونكرانهم نعمه، وإنزال العقوبة بهم تلو العقوبة عليهم، وذلك بقلب الحقائق وتأويلها على أنها نصوص تفيد عقوبة من يعتدي عليهم؛ وأن الله سينتقم منهم بمعركة كونية تدمر أعداءهم، وتعيد لهم مجدهم بين الشعوب؛ وذلك لتمريرها على السذج من شعوب العالم؛ لتنفيذ مخططاتها التي باتت مكشوفة للعامة ناهيك عن كل ذي لب، وفهم حصيف، وقلبت النصوص لأغراض منها:

---

(1) انظر: أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية بأقلام عربية: عرض وتوثيق. هشام آل قطيط. ص155.
(2) بروتوكولات حكماء صهيون: ص123. ترجمة: خليفة التونسي. البروتوكول الخامس

1 ـ صرف الأنظار عن النصوص التي تظهر بجلاء بأنهم الأمة المبغوضة الملعونة على لسان الأنبياء، والرسل، والتركيز الإعلامي على النصوص التي تظهرهم بأنهم الأمة المفضلة، ومن الواضح من خلال النصوص أعلاه يظهر بكل جلاء أن المبعوثين على اليهود في المرة الثانية سيخرجون من الأرض نفسها التي خرجوا منها في المرة الأولى، وأن هذه الأرض هي بابل القديمة، والقادمون من كل ناحية هم أبناؤها، وسائر الكلدانيين، ومعهم جميع أبناء آشور، ورغم معرفتهم هذه الحقيقة فهم يأخذون من التوراة ما يوافق أهواءهم، ويتركون ما سواه فالحل لديهم ليس التوبة، والرجوع إلى الله في ظل هذا الوعيد بالفناء، و...، وإنما بمخالفة مخططات الله، وإبطالها ـ بزعمهم ـ معتمدين على ما ألفه كهنتهم من نبوءاتهم المكذوبة عن الشعب المختار، والملك الموعود كحل لمعضلتهم المستعصية مع الله، وهي إبادة الكلدانيين، ومحو بابل عن الوجود، وتحويلها إلى صحراء قاحلة فعمدوا إلى تأويل النصوص لتكون المعركة القائمة بين قوى الخير، وقوى الشر، والشريرون هم الكفار من المسلمين، وغيرهم من قوى المعسكر الشرقي يأجوج، ومأجوج، وأما قوى الخير أي المؤمنون فمنهم، وفي هذه المعركة سوف تُدمر قوى الشر، وهي بمثابة حرب نووية(1) كما أنها حرب مقدسة؛ لأن قائدها يهوه(2). كما جاء في سفر يونيل4: **(أعلنوا حرباً مقدسة9)**.

2 ـ التأكيد على أحقيتهم بالأرض من خلال ادعاء أن الله هو قائد معاركهم ضد أعدائهم ليمكنهم من السيطرة على العالم؛ ولتتناسب النصوص مع ادعاءاتهم، وأهدافهم، ومطامعهم السياسية المعاصرة يرون أن يوم الرب العظيم الذي تحدث فيه نصرتهم هو اليوم الذي تحدث فيه معركة هرمجدون؛ ليكون لهم وطن قومي في فلسطين؛ وليحققوا من خلاله حلمهم بإحكام السيطرة على العالم، وهو ما يعني تسييس الدين في خدمة الأهداف القومية اليهودية، ونظمت إسرائيل لخدمة هذا الغرض رحلات سياحية دورية؛ لجذب المؤمنين بهرمجدون من كل دول العالم، وفي مقدمتها أمريكا؛ لزيارة مسرح العمليات المرتقبة، ومكان معركة نهاية البشر التي يدَّعون أن من يدركها أو يدرك العودة الثانية للمسيح فإن شبابه سوف يتجدد؛ ليبدأ حياة سعيدة من السلام التام(3).

ولتعميق إيمان العالم بتلك المزاعم انبرى علماؤهم، وحاخاماتهم؛ ليؤكدوا أن الحروب التي حدثت في القرن العشرين إنما تمت بإرادة الله في تدبير الخلاص لهم أرضاً، وشعباً، ومن ذلك ما قاله الحاخام تسفي يهودا كوك: «إن أرضنا المقدسة التي كانت منهوكة غارقة في السبات قد نهضت بفضل الحروب التي وقعت في الخمسين سنة الأخيرة، واليوم صارت الأرض في أيدينا، وجبل الهيكل في أيدينا»(4)، وتواصلا مع هذا المفهوم ترفض حركة الأصولية امتهان اسم الرب(5)، وهذا الامتهان يتم من خلال التنازلات الإقليمية عن الأرض المقدسة لصالح الأجنبي، وأما الأرض التي مازالت في غير أيديهم فيجب أن تستعاد بالقوة، يقول: «علينا أن نستوطن أرض إسرائيل كلها، ونبسط حكمنا عليها فإذا تيسر ذلك بالسبل السلمية كان به، وإلا فنحن مأمورون بالحرب لتحقيق ذلك»(6)، وعلى هذا فالحرب هي الطريق الوحيدة التي يتم من خلالها الخلاص اليهودي(7)، وهذا يفسر إلى حد ما تحبيذ الأصوليين للقوة العسكرية لحل المشاكل السياسية(8)، ومن هنا دعا الحاخام كليستر إلى ضرورة إعداد حراس يعرفون الحرب؛ كي لا يأتي العرب لإبادة الكروم(9).

وفي هذا الصدد يقول الحاخام موشى غورين حاخام الجيش الإسرائيلي أثناء حرب (1967م): «إن حروب إسرائيل الثلاث مع العرب في السنوات (48م، 56م، 1968م) هي حروب مقدسة إذ جرى في أولها: تحرير أرض إسرائيل، وفي الثانية: تم تثبيت أركان دولة إسرائيل، أما الحرب الثالثة: فقد كانت لتحقيق كلمات أنبياء إسرائيل، ومن أجل تحرير، وتثبيت، وتحقيق أمن إسرائيل نُؤمر بالقتال»(10)، ويكرر هذا الحاخام قولته الأخرى يوم الخامس من حزيران للسنة نفسها: «لقد جاء اليوم العظيم لأمة إسرائيل، ولسوف يساعدكم رب المعارك،

---

(1) انظر: حمى سنة 2000: مصطفى عبدالعزيز. ص60.
(2) انظر: السيف الأحمر: جمال البدري. ص226.
(3) انظر : البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي: محمد إسماعيل. ص97: 99.
(4) السيف الأحمر: د. البدري. ص227.
(5) انظر: نفسه: ص227.
(6) نفسه: ص32.
(7) نانظر: فسه: ص227.
(8) انظر: الحلف غير المقدس: آلان دريمز. ص53.
(9) انظر: معارك المنظمة العسكرية القومية: دافيد نيف. ج1. ص38 . تل أبيب 1965م.
(10) الإستراتيجية العسكرية الصهيونية: ص14، مؤسسة الأهرام مركز الدراسات السياسية. القاهرة (ط: 1974م).

وينصركم»(1) أما حرب عام (1973م)، والتي هزم فيها الجيش الإسرائيلي هزيمة نكراء اعتبرها اليهود: «بأنها تذكرة من الله لشعبه كي يسلم بخروج حاله من السواء، وبانفصاله الجذري عن عالم الأمم، والقبول بالقدر المقدر عليه في العهد»(2).

ولم يتصدى علماء الإسلام من السلف لدحض هذه الفرية، وتفنيدها، والرد عليها رغم تناولهم الرد على العقائد، والتشريعات اليهودية، والنصرانية بالفحص، والتمحيص، والمقارنة ذلك أن الزعم بحدوث معركة كونية نووية تسمى معركة هرمجون إنما أنبثق، وولد مع ميلاد القنبلة النووية(3)الأولى عام (1945م)، وبما أنها لم تكن معروفة في العقلية الأصولية الصهيونية آنذاك فلم يرسم خطوط هذه المعركة قساوستهم، وحاخاماتهم إلا متأخراً، ومع ذلك فقد انبرت الأقلام المخلصة لدينها، وأمتها ممَّن عاصر نشوء الفكرة بدراستها، وتمحيصها لدحضها، والرد عليها فتناولها عدد من الكتاب، والباحثين، والمفكرين المختصين في التاريخ، والحضارة الإسلامية من مختلف جوانبها؛ لبيان تهافتها فقد جاء في مجلة تراث الإماراتية تحقيق حول معركة هرمجدون، وكان بعنوان هرمجدون أكذوبة نهاية التاريخ بيَّن هذا التحقيق أن هرمجدون قصة من اختراع الفكر الصهيوني اليهودي، والنصراني المتطرف؛ لإرهاب العالم، وخداعه فيقول أ.د.محمد حسن قجة رئيس الآثار، والتراث بسوريا حول حقيقة هرمجدون: «إنها معركة وهمية في الذهن التوراتي يتصور فيها اليهود أنهم سوف يخوضونها، ويبنون من خلالها هيكلهم المزعوم، ودولة إسرائيل الحديثة، وهذا لم، ولن يحدث وفقاً للمفهوم الإسلامي»(4).

ويقول د. محمد عمارة عن هذه المعركة: الله وحده يعلم بنهاية الأرض لا الأساطير، ولا النبوءات،...، وفي إخفائها حكمة لا يعلمها إلا الله، لكننا نعلم كيف يصنع اليهود أساطيرهم، وخرافاتهم بحيث تبدو كما لو كانت حقائق دامغة، وكما لو كانت مسلمات يعتمدون في ذلك على عدة أسلحة.

أولاً: الدعاية الصهيونية الجبارة في الأوساط الأمريكية، والأوربية، وسبيلهم في ذلك هو وسائل الإعلام، والصحف التي تتحدث بلسان حالهم، وتدافع عن جرائمهم، وتظهرهم في صورة الأبرياء، بينما هم مجرمون، وتحويلهم الأمر ــ أمر نهاية الأرض ــ لنبوءة مغلوطة، ومقلوبة هو طريقهم.

ثانياً: لتغيير الحق، وتعطيل العدالة كمجرمين يمارسون ذلك بالفطرة لا استبعد أن يكون ذلك مخططاً لهم كيهود، أو كصهاينة، أو حتى بعض المتعاطفين معهم؛ لتعميم هذه الخرافات، ونشرها في العالم فمن قبل حدَّثونا عن هيكل، والآن عن هرمجدون، وفي المستقبل سيكون هناك كذب جديد، ودائماً نعرف منهم القدرة غير المحدودة على صناعة الكذب ثم إن كلامهم مشكوك فيه؛ لأنهم غيَّروا، وتصرفوا، واصطنعوا في الكتاب؛ ليوافق أهوائهم؛ وليتناسب مع أغراضهم، وبعد ذلك يختلقون الأكاذيب، ويصدقونها إن اليهود هم الشعب الأكثر خديعة في الأرض منذ نزلها الإنسان، وفي عهد الرسول ^، وفي كل العهود يتصرفون بطريقة الخديعة نفسها، وكيف نصدق اليوم نبوءتهم، أو حتى نعيرها التفاتاً.

ويقول د . عبد الوهاب المسيري: «إن هذه النبوءة لا تخرج عن الأهداف العامة التي يروّج لها الصهاينة، وهم كالحرباء التي تتكون حسب المحيط الموجودة فيه، وهي حركة تجيد فن الإعلام، وتمتلك ناصيته ففي الستينات، أيام حركة عدم الانحياز، وحركات التحرر الوطني طرحت إسرائيل نفسها على أنها إحدى دول العالم الثالث، وأن الصهيونية إن هي إلا حركة من حركات الكفاح ضد المستعمرين، وهكذا تتلون الحرباء دائماً حسب ظروفها المختلفة، وهرمجدون نبوءة دينية لبشر غير متدينين يمكنهم ادعاء التدين؛ لإقناع الآخرين بالنبوءة فقط، أما يهود أمريكا أنفسهم فهم غالباً لا يمارسون شعائرهم الدينية الأولية بل تجد بعضهم لا يعرف عنها شيئاً لكنهم يعرفون جميعاً، واجباتهم تجاه إسرائيل الدولة العنصرية، وأستطيع الجزم أن يهود أمريكا يعيشون في نعيم، ويدفعون ضريبتهم بمساندة الفكرة الصهيونية، وإذا طلب منهم الرحيل لأرض ميعادهم المزعومة رفضوا فهل بعد ذلك

---

(1) موشيه بن شاؤول جنرال إسرائيل: ص116. دار هادرا للنشر. تل أبيب (1968م).
(2) السيف الحمر: د. البدري. ص226.
(3) القنبلة الذرية = السلاح النووي: استعمل مرتين أولاهما، وهي الأكثر شهرة في العالم، في مدينة (هيروشيما) اليابانية التي أبيدت في السادس من آب/أغسطس من عام 1945م، عندما ألقى عليها سلاح الطيران الأمريكي قنبلة نووية معبّأة باليورانيوم تزن أكثر من 4،5 طن، وكان الأمريكيون قد أطلقوا على تلك القنبلة إسماً رمزياً هو "الولد الصغير، وألقيت القنبلة في وسط مدينة هيروشيما، عند الساعة الثامنة والربع من صباح ذلك اليوم من ارتفاع 1980قدم. تحوّلت المدينة بعد ثوانٍ إلى كومة من اللهب العملاق تأكل الأخضر واليابس، وتبيد البشر والحجر، في أكبر تفجير عالمي معروف حتى ذلك الوقت، أسفر عن سقوط حوالي سبعين ألف قتيل ومثلهم من الجرحى الذين مات معظمهم لاحقاً متأثرين بالتسمّم الإشعاعي. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة: غربال، ج2. ص1401).
(4) مجلة تراث: الإمارات. ع36. شعبان: 1422هـ. نوفمبر 2001م. ص10: 11 بتصرف.

ننشغل بقضية هي في عمومها أسطورة جديدة ابتدعوها لأنفسهم؛ وينكرها أغلبهم؟»(1).

ومن هذه الأقوال يتبين: أن اليهود استطاعوا بث هذه النبوءة في الفكر المسيحي، وخاصة المسيحية الأصولية فقامت هذه الحركة الأصولية بقادتها، وإعلامها المتمثل في الكنيسة المرئية، والمنظمات الأصولية، وغيرها من الوسائل التابعة لهذه الحركة بالتبشير بالمعركة الوهمية، وهذا كله راجع إلى مصلحة اليهود.

وإذا نظرنا إلى تصريحات قادة الأصولية الأمريكية حول هرمجدون نجد أن الإعلام يلعب دوراً هاماً؛ لتثبيت هذه الفكرة في أذهان الشعب وسيطرتها عليهم ففي عام (1982م) أكد الواعظ الإنجيلي بات روبرتسون على شاشة التلفزة للعالم على أن نهاية العالم أوشكت بقوله: «إنني أؤكد مع نهاية عام (1998م) سيكون هناك قيامة على الأرض»(2)، وانخرط الشعب ببيع ممتلكاته، و...؛ استعداداً لذلك اليوم مسلماً تسليماً تاماً لتلك المزاعم، وانتظر العالم في نهاية عام (1999م)؛ ليشاهد نهاية العالم، ووقف المؤمنون بالفكرة بالشوارع ينتظرون رؤية المسيح في السماء ـ؛ لينزل، ويأخذهم، ويصعد بهم إلى السماء ثم ينزلون معه يزفونه إلى الأرض ـ بطريقة فاضحة شاهدها العالم على أجهزة التلفزة مما جعل من شعبهم أضحوكة، وها هي المعركة لم تقع، والقيامة لم تقم، ونحن في القرن21!، ومن المؤكد أن بات روبرتسون تغافل عما جاء في إنجيل متى24، حيث يقول: **(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده37)**.

ويقول الواعظ الإنجيلي الأول بأميركا القس التلفزيوني بلي جراهام: «إن الإنجيل قد خطط على الأرض لقدوم معركة كبيرة سوف تكون معركة خسوف كل شيء على وجه الأرض، سوف تنتهي معظم الأجناس على وجه الأرض»(3)، ويريد بهذه المعركة القضاء على الأرض، وتدمير البشرية جمعاء بالقنابل النووية، والسؤال يطرح نفسه: أهذا هو نهج المسيحυ، وأخلاقه، وتعاليمه؟!!. فإن كنتم تعلمون أنكم تخالفون تعاليمه فهذه الطامة، وإن كنتم لا تعلمون تعاليمه فهاهو يقول لكم حسب ما جاء في متى5: **(قد سمعتم إنه قيل للقدماء لا تقتل10. ومن قتل يكون مستوجب الحكم،... وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه: رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم. فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فأترك هناك قربانك قدام المذبح وأذهب أولاً اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك15)**. فهل هذا النص لدى الصهيونية المسيحية يدل على ضرورة تدمير العالم، والبشرية؟. فإذا قال: **(...من قال لأخيه ياأحمق استوجب جهنم...)**، إذا من أراد استعجال حرق العالم، وإبادته فماذا يستحق؟.

ويقول في متى5: **(...طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون.؟ طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعو9)**، فأي رحمة، وأي سلام يريدون مع قنبلة نووية تبيد العالم؟، ويقول في متى5 أيضاً: **(سمعتم إنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا بالشر39. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين، من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم.أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم؟ اليس العشارون أيضا يفعلون ذلك. وإن سلمتم على أخوتكم فقط فأي فضل تصنعون. أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل48)**. فأوصاكم بأسمى درجات التسامح، وأعلاها: **(...من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا...)**، و**(فأقول لكم أحبوا أعداءكم)**، و**(باركوا لاعنيكم)**، و**(أحسنوا إلى مبغضيكم)**، و**(وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)**،... فأين معركة هرمجدون الوحشية الدموية، والتي ينتظرونها بفارغ الصبر من هذه النصوص؟.

لا شك أن الله قادر على أن يهلك عباده العصاة الكفرة كما فعل بالأقوام السابقة عاد، وثمود، وقوم صالح، ولوط عليهم السلام، وغيرهم، وهو المتصرف في ملكوته، وأرضه، وعباده، وليس للعباد حكم، أو تصرف في ملكه، لا بالأصل، ولا بالمساعدة، وإمهال الله للظالم لحكمة لا يعلمها إلا هو حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت

(1) انظر: الأصولية بين الغرب والإسلام. ص45.
(2) النبوءة والسياسة: جريس هالسل. ص139.
(3) نفسه: ص 140.

الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ ﴾ (سورة النحل، آية: 61) وقال جل في علاه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

...﴾ الآية (سورة فاطر، آية:45) إن نهج المسيحυ، وتعاليمه مثلها مثل تعاليم سائر الأنبياء، والرسل لا تستهدف التدمير، وإهلاك البشرية بل تسعى للبناء تحث على السلام، والمحبة، والاجتماع، والنهي عن الفرقة، والافتراق، وإعطاء الاستخلاف في الأرض حقه من العبادة، والحكم بالعدل، والتعمير، والله قادر على ذلك إن أراد، ولكنه قال في محكم آياته في حق المسلمين، وكل من آمن بالله على نحو إيمان أمة محمد ^: ﴿اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿سُورَةٌ ...﴾ (سورة النـور، آية: 55)، فإذاً ليس بيد مخلوق تدمير سائر المخلوقات؛ ليسود على الأرض، ويحكم العالم.

ثم لنا أن نسأل الأصوليين الصهاينة: إذا تم إبادة سكان الأرض فمَن سيحكمون؟، والحاكم الملك المسيا الذي سيحكم العالم من هم شعبه؟، أهم شعبه ذواتهم بشخوصهم؟، وأمته التي عاش بين ظهرانيها اليوم؟، إذا كان كذلك فلماذا يحتاج الأمر في نظرهم أن يبيدوا العالم؛ ليحكموا أنفسهم؟.

وإذا سلمنا جدلاً قيام المعركة هرمجدون التي يفنى من خلالها ثلثي سكان الأرض لنلقي نظرة على الموقع عن قرب، فإما التسليم وإما الرد:

يؤكد الأصوليون الإنجيليون أن معركة هرمجدون ستقع في أرض المجدل في فلسطين الممتد من أيدوم في الجنوب مسافة حوالي (200ميل)، وتصل إلى البحر المتوسط في الغرب إلى تلال موهاب في الشرق مسافة (100ميل) تقريباً، وهذه الأرض ضيقة لايمكن بحال أن تتجمع فيه كل جيوش العالم؟!. وهل يمكن أن يفنى ثلثي سكان الأرض في هذه المساحة الصغيرة؟، ونختم بتعجب الكاتبة الأصولية الإنجيلية جريس هالسل في كتابها النبوءة، والسياسة بعد أن رأت هذا المكان، فتقول: «إن هذا السهل الممتد أمامنا يبدو صغيراً جداً لاستيعاب آخر أعظم معركة حاسمة إنه صغير، بحيث يضيع لو وضع في وسط واحدة من مزارع تكساس»(1).

وبناءً على ما سبق فإننا لا نرى اختلافاً بين المسيح الدجال الوارد في السنة النبوية المطهرة، ومسيح اليهود المنتظر، لاسيما وأن الأحاديث الواردة بهذا الشأن تشير إلى أنه سيتبع المسيح الدجال (70) ألف من علماء اليهود ، كما سنبين لاحقاً.

سادساً: نقض عقيدة الملك الألفي السعيد:

ترفض معظم الفرق النصرانية عقيدة الملك الألفي جملة، وتفصيلا ويتضح هذا الرفض من خلال تقسيم العلماء لهذا المعتقد، ومنظريه إلى أربع نظريات، وسنقف على الأولى، والثانية، والثالثة في موضعها من هذا المبحث(2) ـ إن شاء الله ـ

وما يهمنا هنا النظرية الرابعة: وهي نظرية رافضوا الملك الألفي، حيث تعلن هذه النظرية أن مجيء المسيح الثاني هو إعلان لنهاية العالم، والدينونة، ويتلخص رأي أصحابها في أنه لا يجب أن تفسر النبوءة بشكل حرفي ففي خلال العصر الذي يتوسط المجيئين يكون حكم المسيح في السماء، ويكون إبليس مقيَّداً من خلال العمل الذي عمله المسيح على الأرض، بحسب ما جاء في لوقا11: **(ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله20)**، ويكون امتداد عمل الله على الأرض مبنياً على شعب الرب، وقرب نهاية حكم المسيح زمنياً في السماء، ستكون هنالك فرصة لإبليس؛ لأن يُحل ويعمل كما جاء في الرسالة الثانية إلى تسالونيكي2: **(ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا ولا بروح ... حتى إنه يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه إنه إله4)**، وفي هذه الفترة يعود بعض اليهود إلى المسيح (وليس كل مؤيدي هذه النظرية يقولون هذا). يقول بولس في رسالته إلى روميه11: **(فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء25،... وهكذا سيخلص جميع إسرائيل،كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم27)**. ثم يهزم إبليس نهائياً بمجيء المسيح الثاني ثم القيامة، والدينونة فالمدينة الجديدة.

وقد تبني هذه النظرية نخبة من أبناء الكنيسة في العصر الأول(3)، وتبناه متأخراً أغسطينوس

(1) النبوءة والسياسة: هالسل. ص34

(2) المبحث الثـاني عرض الأدلة السمعية و الآثار المثبتة في أشراط الساعة المختلف عليها لدى النصارى

(3) مثل: كليمنت، وبوليكاريوس، وتعاليم الأثني عشر (انظر: الاخراق الصهيوني: أكرم لمعي. ص604).

ثم لوثر، وكالفن، والاختلاف الأساسي بين أصحاب التفسير الروحي للملك الألفي، وبين رافضيه هو رؤيتهم للمستقبل. فرافضو الملك الألفي يرفضون أي محاولة لتحديد مجيء المسيح الثاني، فلا أحد يعلم عن هذا اليوم، أو الساعة، ولا حتى الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الأب. (مر:32:13)(1).

إن عقيدة الملك الألفي من العقائد المزورة إذ لا حاجة لمكوث الأمم لمدة ألف عام، أي: ما يقارب أثنين وعشرين جيلاً، والشيطان مقيَّد، ـ بزعمهم ـ، والرخاء والأمن سائد على كل المعمورة فما نطق به الصادق المصدوق^ هو الحق، والأحق بالتصديق، والقبول؛ لموافقته للعقل،...إذ يمكث نبي الله عيسىυ ما يقارب الجيل أربعين عام، ويصدقه قول الحق تبارك وتعالى عندما حكم على اليهود بالتيه في الأرض بغرض أن ينهي الجيل القاسي الرقاب، ويأتي جيل يعبد الله بإخلاص في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ...﴾ (سورة المائدة، آية: 26)، والأربعين سنة تكفي لنهاية جيل، وبداية جيل آخر، وهذه الحكمة من بقائه أربعين عام لا ألف عام كما يدعي النصارى إذ لا حكمة جلية في ذلك ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

ولعل ما ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي، وصححه الألباني ما يؤكد ذلك فعن أبي هريرةτ قال: قال رسول الله ^: **«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»**(2)، وقد رفع الله عيسى عليه السلام، وهو ابن ثلاثة وثلاثون عاماً فإما أن تكون الزيادة على حسب ما ورد في الحديث الأول بزيادة سبع سنوات، ويكون بقاءه في الأرض أربعين عاماً، أو أن تكون زيادة الأربعين على العمر السابق فيكون كأمة محمد ^ في العمر؛ لأنه υ تابع لها، ولشرعها(3) فيكون مجموعها ثلاث وسبعون عام، وهي أعمار أمة محمد ^ الموحدة، ويصدق ذلك قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى :﴾ (سورة آل عمران، آية: ٤٦). فالكهل هوالذي تجاوز السبعين، وإذ ما جارينا قولهم بالألفية السعيدة جدلاً، وطبّقت على ما جاء في القرآن الكريم نجد إن حساب الأيام عند الله يختلف عن حسابنا فقد قال عز من قائل في كتابه العزيز: ﴿... ﴾﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم﴾ (سورة الحج، آية: 47).

وهذا ما تقول به أيضاً كتبهم وتقره فهذه رسالة بطرس الثانية3 يقول فيها: **(وهُناكَ أمْرٌ يَجِبُ أنْ لا تَجهَلوهُ أيُّها الأحبّاءُ8، وهوَ أنَّ يومًا واحدًا عِندَ الرَّبِّ كألفِ سنَةٍ، وأنَّ ألفَ سنَةٍ كيَومٍ واحدٍ. والرَّبُّ لا يُؤخِّرُ إتمامَ وَعدِهِ، كما يتَّهِمُهُ بَعضُهُم، ولكنَّهُ يَصبِرُ علَيكُم لأنَّهُ لا يُريدُ أنْ يَهلِكَ أحدٌ، بَلْ أنْ يَتوبَ الجَميعُ، ولكِنَّ يومَ الرَّبِّ سيَجيءُ مِثلَما يَجيءُ السّارِقُ، فتَزولُ السَّماواتُ في ذلِكَ اليومِ بِدَويٍّ صاعِقٍ وتَنحَلُّ العَناصِرُ بِالنّارِ وتَحاكَمُ الأرضُ والأعمالُ التي فيها، فإذا كانَت هذِهِ الأشياءُ كُلُّها ستَنحَلُّ، فكيفَ يَجبُ علَيكُم أنْ تكونوا؟ أما يَجِبُ أنْ تَسلُكوا طَريقَ القَداسَةِ والتَّقوى، تَنتَظِرونَ وتَستَعجِلونَ مَجيءَ يومِ اللهِ؟ حينَ تَلتَهِبُ السَّماواتُ وتَنحَلُّ وتَذوبُ العَناصِرُ بِالنّارِ. ولكِنَّنا نَنتَظِرُ، كم وعَدَ اللهُ، سَماواتٍ جديدةً وأرضًا جديدةً يَسكُنُ فيها العَدلُ13)**.

ـ كما أن فكرة الألف عام السعيدة لا تؤمن بها إلا الطائفة الإنجيلية التدبيرية، وأتباعها، وترفضها الكنائس الإنجيلية المناهضة للتدبيريين، والكنيستين الكاثوليكية، والأرثوذكسية بطوائفهما المختلفة.

ـ إن عقيدة الملك الألفي، وما يتبعها من عقائد نهاية العالم من العقائد الأصولية الصهيونية المعاصرة، وضعت لتتواءم مع طموحاتهم، وتطلعاتهم السياسية؛ للسيطرة على العالم، وحكمه بالقهر إذ لا يوجد له في أسفار التوراة، أو الأناجيل أي أشارة، أو دليل صريح،...، وجل ما في الأمر تفسيرات معاصرة تتسم بالتناقض، واللاواقعية.

ويعلق الكاتب رضا هلال على أصحاب هذا المعتقد بقوله: إن أصحاب هذا الاعتقاد يفسرون هذه النبوءات بتأويلات تناسب أوضاعهم، ويطبقونها على وقائع، ومسميات حسب زمانهم، ووقائعه، وأحداثه فيزعمون أن بلاد الشرق هي قوى الشر، والمقصود بهم المسلمون، ومن معهم من دول مساندة حدودها بأسمائها، وأعيانها، ومنها (روش) روسيا، (ماشك) موسكو، (فارس)

---

(1) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص203: 210. وانظر: جذور الانحياز: د. الحسن. ص12: 14. وانظر: نهاية العالم وأزمنة الأمم: د. شرابي. ص15: 27.

(2) المراد بالستين والسبعين إما أن العقد على طريقة من يلغي الكسر بين العقود فيقول: لمن كان عمره خمسة وستين عمره ستون، أو أن السبعين انتهاء الغاية، (فيض القدير: 11/2) أخرجه الترمذي الحديث3896، وصححه الباني وأخرجه ابن ماجه. برقم: 4377. وأبو يعلي. برقم: 5875. وابن حبان. برقم: 3042.

(3) وكذلك سائر الأنبياء لأن دعوتهم واحدة وهي توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه كما في حديث: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي"، رواه أحمد، والبيهقي في كتاب: شعب الإيمان، وهو حديث حسن.

إيران، (كور) أوروبا الشرقية، (توغارما) القوقاز، (لوبيا) ليبيا، (غومر) القرن الأفريقي مع جنوب اليمن، (آشور، وبابل) العراق، وأنها ستقدم يوماً على حرب ضد قوى الخير ممثلة في إسرائيل، وأشياعها من دول العالم النصراني الغربي(1).

(1) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم:رضا هلال. ص138.

2 ـ الفرق الأصولية اليهودية المناهضة للأصولية اليهودية الصهيونية

نشرت جريدة الشرق الأوسط الدولية ص9 يوم الاثنين الموافق: 1985/2/15م، الوثيقة التي وزعها اليهود الأرثوذكس في مدينة منوسي بولاية نيويورك الأمريكية التي رفعت إلى مختلف دول العالم، والتي تنص على: «أن الشعب اليهودي، ودولة إسرائيل شيئان مختلفان ومتعارضان؛ لأن الديانة اليهودية، والتوراة قد حرَّمت على الشعب اليهودي أن تكون له دولة خاصة به قبل المسيح، وأن الخالق قد أعطاهم مملكة قبل آلاف السنين ثم أخذها منهم، وشتت شملهم؛ لأنهم آثموا...، وأن عليهم انتظار مشيئة الله لبعث المسيح، وبعدها قد يجمع الخالق شملهم دون أي تدخل إنساني»، وأكدت الوثيقة بالنص على أن دولة إسرائيل لا علاقة لها باليهود، وأنه ليس لدولة إسرائيل الحق بأن تنطق، وتتكلم باسم إسرائيل...، وأن دولة إسرائيل هي تسمية خاطئة، وأن اليهود الحقيقيين لن يعترفوا أبداً بدولة إسرائيل، وقد كشفت هذه الوثيقة عن رسالة طبيب يهودي موجهة إليهم شرح فيها الطبيب الممارسات الإرهابية، واللا إنسانية من قبل الكيان الصهيوني ضد عرب فلسطين، بل وضد اليهود الذين لم يولدوا من أم يهودية(1). فكما أن هناك أحزاباً، ومنظمات أصولية يهودية صهيونية تؤيد، وتدعم الكيان الصهيوني، والاستيطان، والاحتلال، والامبريالية بدعوات دينية مكذوبة، هناك أيضاً العديد من الأحزاب، والمنظمات اليهودية الأصولية المناهضة لتلك الأحزاب، وترفض، وتندد بالاحتلال، والتوسع الاستيطاني، وتنادي بحق الفلسطينيين بتقرير مصيرهم على أرضهم نذكر منها:

1ـ حزب العمال الموحد (مبام):

يعتبر حزب مبام من أحزاب اليسار الصهيوني في إسرائيل، وتتلخص أفكاره المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي فيما يأتي:

1. يطالب إسرائيل بوقف سياستها القمعية اتجاه الأرض المحتلة كمدخل لعملية السلام.
2. يؤيد مبدأ إعادة الأرض مقابل السلام، ويدعو إلى الاعتراف المتبادل بين الدول العربية، ومنظمة التحرير من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، ويؤكد على ضرورة الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.
3. يدعو إلى مساواة عرب إسرائيل بالواجبات، والحقوق التي يتمتع بها كافة الإسرائيليين بما في ذلك تأدية الخدمة الوطنية.
4. يؤيد عقد مؤتمر دولي للسلام تشارك فيه كافة الأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير على قدم المساواة مع الآخرين.

وقد شكلت النقاط المذكور مسودة ورقة العمل التي قدمها الحزب في مؤتمره العاشر الذي افتتح في: 7/ 8/ 1988م، بحضور(1200) عضو، وعدد من الضيوف منهم شخصيات فلسطينية ضمن منظمة التحرير(2).

2ـ الحزب الشيوعي الإسرائيلي (ماكي):

دعا الحزب في مؤتمره الحادي عشر عام (1949م) إلى تقديم المساعدة؛ لنضال الشعب العربي في فلسطين من أجل إقامة دولته، وأن السلام سيتحقق فقط عندما يمارس الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره. وفي المؤتمر الثاني عشر عام (1952م) أكد الحزب على برنامجه القائل بأن السلام مع الدول المجاورة يمكن تحقيقه على أساس الاحترام المتبادل، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة، وحق اللاجئين في العودة، وفي المؤتمر الثالث عشر للحزب عام (1957م)، أكد الحزب على أن حل النزاع يتطلب الاعتراف المتبادل بالحقوق القومية المشروعة لشعب إسرائيل، والشعب العربي الفلسطيني، وفي المؤتمر السابع عشر للحزب الذي عقد عام (1972م) كرر الحزب موقفه من حل قضية اللاجئين، ودان سياسة الاستيطان، والضم، والقمع التي تمارسها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة، وحصل الحزب في انتخابات الكنيست عام (1974م) على أربعة مقاعد، كما اعترف الحزب بمنظمة التحرير الفلسطينية، وشارك في مناسبة يوم الأرض عام (1976م)، وفي عام (1987م)، عقد الحزب اجتماعاً اتخذت فيه القرارات الآتية:

1- الحل الأمثل لاحلال السلام أن يمثل المؤتمر الدولي حضور كافة الأطراف المتنازعة بما فيها إسرائيل، ومنظمة التحرير الفلسطينية، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني.

2- إن معارضة شامير للمؤتمر الدولي، ورفضه التفاوض مع منظمة التحرير هو بحد ذاته

---

(1) نقلاً عن: أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل: محمد معروف الدواليبي. ص103. دار القلم. دمشق (ط1: 2000م).

(2) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص276. وانظر: نظرة في أحزاب إسرائيل. د. أسعد رزوق. ص60. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1966م).

السبب في زيادة حدة التوتر في المنطقة.

3- يعارض الحزب الشيوعي (اركاح) بشدة سياسة الضم الزاحف، وإقامة المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة.

4- تندد اللجنة المركزية بكافة الإجراءات التعسفية، والإرهابية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وأن المصلحة الحيوية لإسرائيل تكمن في وضع حد للاحتلال، وإحلال سلام عادل، وشامل لمصلحة كل الشعوب(1).

3- حزب اليسار الاشتراكي (شياح):

تأسست عام (1967م) وباشرت عملها عام (1969م) ودعت لإقامة دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل، وعارضت الاستيطان في المناطق المحتلة، وسياسة الأمر الواقع، وخلال عام (1975م) تبلورت أفكارها كتيار معاد للإمبريالية الأمريكية، وتدعوا إلى سياسة خارجية لإسرائيل تتوافق مع مفهوم الحياد الإيجابي، وبلورت برنامجها السياسي على عدة محاور منها:

1- إقامة دولة فلسطين في جميع المناطق المحتلة عام (1967م).

2- مبادرة إسرائيل للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي عام (1976م) نظمَّت مظاهرة أمام الكنيست للاحتجاج على سياسة مصادرة الأراضي العربية في الجليل، والمثلث، والنقب، وتعارض قانون العودة لأرض المعاد حيث تقول إنه: «قانون لسنا بحاجة إليه، وإنه إذا كان لابد من القانون بهذه الروح فيجب أن يطبق على اليهود، وعلى اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا عن ديارهم عام (1948م)»(2).

4- حزب التقدميين المعتدل:

قال عضو الكنيست التقدمي يهودا شعاري في تموز عام (1971م): إنه يجب إقامة دولتين في أرض إسرائيل القديمة يهودية، وعربية، وعلى الحكومة العمل على حل مشكلة اللاجئين العرب، وإعطاء سكان الأرض المحتلة حكماً ذاتياً، واحتجت شبيبة هذا الحزب، وطالبت بعقد اجتماع مستعجل للاحتجاج على التصريحات المطالبة بضم قطاع غزة لإسرائيل، وشجبوا إجلاء البدو من مدخل رفح، واشتركوا بالتوقيع على عريضة موجهة إلى رئيسة الوزراء غولدا مائير يحتجون فيها على تعذيب المساجين، وطرد العرب، وأعرب موشى كول رئيس الحزب عن رغبته بإعطاء قطاع غزة للأردن، وهاجم سياسة التوسع الإسرائيلية، وهاجم وزير الدفاع موشى ديان، واتهمه بأنه يحبط فرص السلام، ويتصرف بشكل يتنافى، وقرارات الحكومة(3).

5 ـ الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (حداش):

خاضت الجبهة الديمقراطية للسلام انتخابات عام (1977م)، وحصلت على خمسة مقاعد في الكنيست، وتضمن برنامجها لانتخابات عام (1988م) النقاط الآتية:

1- انسحاب إسرائيل من جميع المناطق المحتلة عام (1967م) على أن تكون خطوط 4 حزيران 1967م حدود السلام المعترف بها بين إسرائيل، والدول العربية.

2- الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وإقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية، وقطاع غزة.

3- تسوية عادلة لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وذلك وفقا لقرار الأمم المتحدة التي تعترف فيها بحقهم في الاختيار بين العودة إلى وطنهم، أو قبول التعويضات.

4- احترام حق إسرائيل والدول العربية الأخرى في السيادة، والتطور في ظروف سلام، وطمأنينة.

5- في إطار تسوية سلمية تعترف بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل، والقدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة.

وكررت الجبهة مطالبها في انتخابات الكنيست للأعوام من (1981: 1984م)، واستنكرت ضم الجولان، وعملية غزو لبنان، وحصلت في هذه الانتخابات على أربع مقاعد، وضمت إليها الحركات الآتية:

- الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح).
- جناح من الفهود السود.
- اليسار الإسرائيلي (شاي).
- جبهة اليسار.

---

(1) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. ص258: 259. وانظر: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. د. رشاد الشامي. ص244.

(2) نفسه: ص269: 270.

(3) انظر: نفسه: ص286. وانظر: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. د. رشاد الشامي. ص221. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. عالم المعرفة للطباعة والنشر. الكويت (ط: 1994م).

- جبهات ديمقراطية محلية.
- شخصيات، وهيئات اجتماعية يهودية[1].

6- المنظمة الاشتراكية في إسرائيل (متسبين):
حركة يهودية معادية للصهيونية من أهم بنود برنامجها السياسي ما يأتي:

1. الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه في كل فلسطين مطلقاً، ودون تحفظات، أو شروط.
2. العمل على أن يتأقلم الشعب الإسرائيلي في الشرق العربي، وأن يتحمل قسطاً من العبء في نضال الثورة العربية ضد الإمبريالية، والصهيونية، والرجعية العربية.
3. يكمن حل النزاع العربي الإسرائيلي بانخراط اليهود في الوحدة الاشتراكية في المشرق العربي مع احترام حقهم في تقرير المصير.
4. الدعوة إلى الانسحاب من المناطق العربية المحتلة الضفة الغربية، قطاع غزة، هضبة الجولان.
5. تأييد شرعية المقاومة الفلسطينية بكل الأساليب التي تراها مناسبة من أجل الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، وأن نضال الشعب الفلسطيني نضالاً عادلاً بغض النظر إذا كان النضال اشتراكياً، أو لا[2].

هذا بالإضافة إلى الجماعات الأربع المحسوبة على التيار الديني اليميني المتزمتة التي تعادي الصهيونية، وتكفِّر دولة إسرائيل، وتعيش في عزلة جيتوتية داخل المجتمع الإسرائيلي، والتي تضم:

7- الطائفة الحسيدية (حركة حبد):
ويتجلى موقفها في رفض الصهيونية من أول ظهورها، وقام الربي شالوم دوف زعيم الطائفة بنقد الصهيونية نقداً حاداً في بدايات القرن العشرين لمبادرتها السلبية لاستعجال النهاية بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة، وهذه الحركة وإن كانت تظهر تعاون مع الحكومة إلا أنها لا تعترف بدولة إسرائيل، وقد أعلن زعيمها هذا التوجه بعد الانتقادات الواسعة ضد الحركة فقال: إن حبد تكتفي حالياً بالنضال على صيغة الدولة دون التضامن مع إقامتها[3].

8- الطائفة الحريدية:
ومفردها حاريد، أي: ورع، ويطلق عليهم اليهود المتدينين المغالين في التشدد، والذين يعادون الصهيونية، ويكفرون الدولة، ويعيشون في عزلة جيتوية، وتتكون الطائفة من عدة جماعات أهمها (طائفة ذرية هارون)، و(طائفة ساطمر)، و(المدرسة الدينية اليشيفا)، وقسم من جماعة (المقدسيين)،...، وهذه الطائفة ليست هيئة، أوحركة بقدر ماهي أسلوب، وطريقة قائمة على مبدأ مقاطعة الدولة الصهيونية، وتترجم هذه المقاطعة على أرض الواقع بمعيارين الأول: عدم الاشتراك في انتخابات الكنست، أو الانتخابات المحلية. ثانياً: عدم تلقي الأموال من الصهاينة، ويشترط على كل عضو في الطائفة أن يلتزم بالأسس الثمانية عشر التي تعتبر دستوراً للطائفة، وأهمها:

1. الانصياع لأوامر حاخامية، ومحكمة الطائفة.
2. معارضة الصهيونية، وجميع نشاطاتها.
3. مقاطعة حزب أغودات يسرائيل؛ لتعاونه مع الصهيونية.
4. عدم الاشتراك في انتخابات الكنيست، أو الانتخابات المحلية.
5. الإيمان التام بأن إقامة الدولة قبل قدوم المسيح إنما هو عقاب من الله، وأن البرلمان الإسرائيلي تدنيس لأوامره، وإهانة للتوراة؛ لأن قوانينه تتناقض مع شريعة موسى.
6- أن لا ينتمي أعضاؤها إلي أي تيار تعليمي يتلقى مساعداته من الحكومة الإسرائيلية[4].

9- طائفة (ساطمر) الحسيدية:
وهي من أكبر الجماعات الحسيدية في العالم يتزعمها الحاخام يوئيل طايطلبويم الملقب بساطمر، ويعد من ألد أعداء الصهيونية من منطلق رفضه لوجود العلمانية، ولدولة إسرائيل، كما يرفض فكرة أن حرب (1967م)، وكل ما ترتب عليها إنما هو تعبير عن مساعدة الرب السماوية العليا لشعب إسرائيل؛ لأن هذا الشعب هو شعب من المارقين عن الدين، ولايستحقون معجزة إلهية من الرب لمساندتهم، وأتباع هذه الطائفة قليلون في إسرائيل بسبب معاداتهم للفكرة الصهيونية[5].

---

(1) انظر: الأحزاب والحكم في إسرائيل: السعدي. ص359: 360.
(2) انظر: نفسه: ص270: 271.
(3) انظر: القوى الدينية في إسرائيل. د. رشاد الشامي. ص264.
(4) انظر: نفسه: ص303- 304.
(5) انظر: نفسه: ص313.

10- جماعة نطوري كارتا، **أي: حراس المدينة:**

ويقدر عددهم في إسرائيل بحسب مصادرهم بأكثر من نصف مليون نسمة في إسرائيل، والخارج، وجميع أتباع الحركة يتفقون على معاداة الحركة الصهيونية، والانعزال عن دولة إسرائيل؛ لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله، وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل بدلاً من انتظار المسيح المخول وحدة بإقامة مملكة إسرائيل؛ لذا يقاس الانتماء للطائفة بمقدار البعد عن الصهيونية، وأموال الدولة، وانتخاباتها، وصحافتها، وكهربائها العلمانية، ونظام توقيتها الصهيوني، وقد عارضت ناطوري كارتا الصهيونية بشدة؛ لأنها انتهكت العهود الثلاث التي قطعها للرب، وهي:

- ألا يسببوا الألم للأغيار الذين يقيمون بينهم.
- ألا يحاولوا احتلال أرض إسرائيل بالقوة.
- ألا يستعجلوا الأمور.

واعتبرت الحركة أن إعلان استقلال إسرائيل نقض لأسس قوانين الشريعة؛ لذا رفضت الاعتراف بالدولة، وقوانينها، وأعلنت بأن أعضاءها لن يهبوا للدفاع عن هذه الدولة لو تعرضت للاعتداء(1).

(1) انظر: نفسه: ص317.

3 ـ من أقوال وشهادات الحاخامات، والعلماء اليهود المنصفين منهم

بما أن فكرة الصهيونية العالمية فكرة معاصرة لا تمت للواقع اليهودي من خلال تاريخه الموغل في القدم، والأفكار التي انبنى عليها لا تمت للحقيقة بصلة كما أوضحنا في عرضنا السابق؛ لذا تصدى لهذه الأفكار العديد من أبناء أمتهم المخلصين لدينهم، وأنكر تلك الأفكار، والادعاءات الشيطانية، ودواعيها جملة، وتفصيلا ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

● مورتيكات اليهودي حيث يقول: «لا يمكن الاعتماد بصورة كلية على أساطير التوراة، إذ برهنت الأحداث التاريخية على عدم صحة أكثرها»(1).

● روت بلاو زوجة أحد كبار الحاخامات في القدس(2) حيث تقول جاء في التلمود: «إن الله استحلف الشعب اليهودي قبل أن ينفيهم من الأرض المقدسة ثلاثة عهود:

أولاً: أن لا يعودوا إلى الأرض قبل المسيح في جماعات، أو بالقوة.

ثانياً: أن لا يتمردوا على شعوب العالم.

ثالثاً: أن لا يحاول اليهود القتال من أجل تقصير مدة الشتات وذلك بمحاولة العودة إلى فلسطين قبل ظهور المسيح، وإن الله قد جعل عقوبة للذين ينقضون هذه الأيمان فقال: وإذا لم تحافظوا على هذه الأيمان فسوف أبيح دماءكم كما أبحت دماء الغزلان في الغابات، وأن الله سيسحق جميع الأمم التي ستساعد شعب إسرائيل على تمرده»(3).

● يقول الأسقف صليبا رئيس أساقفة العرب في الولايات المتحدة، وأستراليا، وكندا: «إن كنيستنا تتخذ موقفاً معارضاً للرأي التوراتي القائل بأن فلسطين لليهود مهما كان هذا الرأي»، وفي تقرير له أشارت إليه صحيفة القدس يقول: «إن الموسويين عندما جاءوا إلى فلسطين كان هناك الكنعانيون، والفلسطينيون، واليبيسيون، وهؤلاء هم أصحاب الأرض الأصلية، ولا علاقة لإبراهيم باليهود، الذي طلب مدفناً لزوجته من الفلسطينيين، كما جاء في سفر التكوين، وأن مجيء السيد المسيح ألغى كافة الوعود السابقة ما يتعلق بالأرض وأصحاب الأرض»(4).

● كما تصدى الفيلسوف اليهودي الكبير مارتن بوبر للانحراف اليهودي الذي يشهد له روجيه غارودي بأنه واحد من أرقى المفكرين في عصرنا، وهو مؤلف كتب إيمان اليهودية، والدين الكتابي، والإنسانية العبرية، وإسرائيل والعالم رداً على رجل الدولة بن غوريون في القدس سنة (1957م) بهذه الأقوال: «يقول لنا بن غوريون إن الفكرة المسيانية حية، وستبقى حية إلى حين مجيء المسيا، وأنا أجيبه ما هو يا ترى عدد القلوب في هذا الجيل، وفي بلدنا التي ما لبثت فيها الفكرة المسيانية حية بشكل مغاير لشكلها القومي الضيق الذي ينحصر في عودة المنفيين. إن فكرة مسيانية تخلو من توق إلى اقتداء البشرية، ومن الرغبة في المساهمة بهذا الاقتداء لم تعد الرؤيا المسيانية التي كانت لأنبياء إسرائيل. ويقول أيضاً: إننا نتحدث عن روح إسرائيل، ونعتقد إننا لسنا مشابهين للأمم الأخرى، ولكن إذا لم تكن روح إسرائيل سوى خلاصة هويتنا القومية، وإن لم تكن سوى تبرير جميل لأنانيتنا الجماعية المتحولة إلى صنم نكون نحن الذين رفضنا أي حاكم آخر سوى رب العالمين مشابهين للأمم الأخرى، وشاربين معها للكأس الذي يسكرها، كما نرجو أن ننقذ القومية اليهودية من خطأ تحويل شعب إلى صنم، ولكننا فشلنا»(5).

● انتقد الحاخام اليهودي يهوذا في بيان أصدره عام (1961م) بقوله: «أنا لست مواطناً أمريكياً أدين باليهودية بل أنا يهودي ولد في أمريكا إنني أمريكي منذ (63) سنة من عمري البالغ (64) سنة، لكني يهودي منذ أربعة آلاف سنة لقد كان هتلر محقاً في مسألة واحدة فقط، وهي وصفه الشعب اليهودي بالعنصري، ونحن والحق يقال عنصريون»(6).

● ويذكر بني موريس أحد أبرز المؤرخين الإسرائيليون الجدد، والذي يُصنف نفسه على أنه صهيوني في كتابه تصحيح غلطة عن قضية الاحتلال فيقول: «نحن الإسرائيليين كنا طيبين لكنا قمنا بأفعال مشينة، وبشعة كثيرة. كنا أبرياء، ولكننا نشرنا الكثير من الأكاذيب، وأنصاف الحقائق التي أقنعنا أنفسنا، وأقنعنا العالم بها نحن الذين ولدنا لاحقاً بعد إنشاء الدولة عرفنا كل الحقائق الآن. عرفنا أن زعماءنا عرضوا علينا الجوانب الإيجابية فقط من تاريخ إسرائيل لكن للأسف كان

---

(1) انظر: اليهود. زهدي الفاتح. ص107. (دار. ب) (ط2: 1987م).
(2) انظر: حراس المدينة: روث بلاو. ص61. دار النشر الفرنسية. باريس (ط: 1978م).
(3) أمريكا وإسرائيل: دور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل: محمد الدواليبي. ص108: 109.
(4) اليهود والتوراة والعالم وقضايا أخرى حقائق تظهرها المستندات: حسن حدا. ص15: 16. مطبعة اليازجي. دمشق (ط3: 1998م).
(5) إسرائيل بين الدعوة والرفض قراءة كتابية على ضوء الأحداث الحاضرة:كوستي بندلي. ص93: 95. دار النور. بيروت (ط: 1985م).
(6) فضيحة التوراة: عابد الهاشمي. ص10. مؤسسة الرسالة. بيروت (ط: 2000م).

ثمة فصول مظلمة سوداء لم نسمع شيئاً عنها، وكانوا يبلغونا الأكاذيب عنها،...، فقد كذبوا علينا عندما أخبرونا: «أن عرب اللد، والرملة طلبوا مغادرة بيوتهم بمحض إرادتهم». كما زعم بذلك رئيس قسم التاريخ في وزارة الدفاع، وكذب علينا بن غريون عندما قال لنا: «إن مرتكبي مذبحة قبية هم مستوطنون غاضبون»، كذبوا عندما أبلغونا أن: «المتسللين الفلسطينيين إرهابيون متعطشون للدماء، وأن الدول العربية أرادت تدميرنا، وأننا كنا الوحيدين الذين نريد السلام طوال الوقت»، كذبة الأكاذيب التي أسموها الاستقلال،...، لقد حان الوقت لمعرفة الحقيقة، وهذه مهمة ملقاة على عاتقنا نحن المؤرخون الجدد سيغضب المؤرخون القدامى، وبالفعل غضبوا، وأثاروا ضجة حول كشفنا للحقائق، ولكن سيكون التاريخ هو الحكم النهائي بيننا»(1).

● في نهاية القرن العشرين قذفت المطابع سيلا من الجدل الديني الأدبي، وبخاصة الجدل العنيف الدائر بين جوزيف برستلي الصهيوني النصراني، وخصمه اليهودي دافيد ليفي الذي كان يرفض المبادئ الإنجيلية التدبيرية المتعلقة بالعصر الألفي السعيد، وقد رد ليفي في كتابه رسائل إلى الدكتور برسلي رداً على رسائله لليهود معطياً الإجابة لليهود على كل الشكوك بين غير اليهود الذين كانوا يربطون بين اليهود، وعودتهم إلى فلسطين، وقد رفض حتى مجرد التفكير في التحول إلى النصرانية، وأهم من ذلك أنه هاجم عودة قومه مؤكداً أن عليهم أن يحققوا مهمة الخلاص وهم مشتتون بدلاً من العودة إلى وطن قومي لهم(2).

● يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون محدداً موقع اليهودية من التراث الإنساني بشكل دقيق: «لم يكن لليهود فنون، ولا علوم، ولا صناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة لهم إنهم لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم الأشبه بالمتوحشة التي ليس لها تاريخ. لقد كانوا في غاية العجز عن أن يقيموا بأنفسهم معابدهم، وقصورهم فاضطروا في عهد سليمان إلى الاستعانة بالمهرة من سكان البلاد الأصليين الذين لم يكن لدى اليهود قرناء منهم»(3).

● اشترط بطريك القدس إيليا سفرونيوس لمَّا قام العرب المسلمون بإعادة تحرير فلسطين من الحكم الروماني على أن تسلم المدينة إلى الخليفة عمر بن الخطابτ، وقد أخذ عهداً خطياً محفوظاً حتى اليوم جاء فيه: «...أن لا يسكن مع أهل إيليا، أي: القدس أحد من اليهود»، أي: أن فلسطين يوم أعيد تحريرها عام (16هـ :637م) كانت نظيفة تماماً من اليهود، وهو ما يؤكده المؤرخ الأوربي كلرمون في كتابه خطط الشام ترجمة محمد كردي، والذي جاء فيه: «لمَّا دخل المسلمون أرض النصرانية فلسطين كما يسميها كلرمون لم يجدوا يهوداً؛ لأن الحروب، واضطهادات الملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية، والوثنية بل أمعنوا في القضاء عليها، وذروا رمادها في الرياح للجهات الأربع، وجميع اليهود الذين تراهم اليوم في فلسطين هم من الوافدين عليها بلا استثناء نزلوها بعد أن بادوا منها خمسة عشر قرناً»(4).

● طرح كارل ماركس اليهودي المتحرر من معتقداته حلاً للمسألة اليهودية فقال: «إن المسألة اليهودية تنتهي بانتهاء النظام القائم على الاستغلال، وإن تحرير اليهود يكون في تحرير الإنسانية من اليهودية الطاغية ذلك المال هو إله إسرائيل الجشع، وعنده لا ينبغي لأي إله آخر أن يعيش. إن المال يخفض جميع آلهة البشر، ويحولها إلى سلعة»، وبذلك يكون ماركس أول من وضع يده على الحقيقة الرأسمالية لليهودية، والصهيونية فيما بعد، بل أنه وجد أساس النظام الرأسمالي، وبذوره تكمن في اليهودية قبل أي شيء آخر(5).

● أما فلاديمير لينين الزعيم الاشتراكي فقد أكد في أكثر من موضع من أدبياته في أن جوهر المشكلة اليهودية هو في اعتقادهم: «أنهم يشكلون أمة، بينما هم لا يشكلون حتى جماعة؛ لأن مقومات الأمة تفرض شروط محددة لا وجود لها على الإطلاق لدى اليهود فليست لديهم أرض، ولا تاريخ مشترك، ولا تراث، بل إن لغتهم هي لغة القرطنة القرباطية، وإن فكرة الأمة اليهودية حسب قوله، وشعب الله المختار هي فكرة كاذبة تماماً، وهي الأكثر رجعية على الإطلاق في العالم كله»(6).

● واعتبر شلومو زانت أستاذ الدراسات التاريخية بجامعة تل أبيب في مقابلة أجرتها معه صحيفة فرانكفورت رروند شاو الألمانية إن إصرار إسرائيل على مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بها كدولة يهودية يمثل تطوراً خطيراً في بلد ربع سكانه من غير اليهود، ونفى زانت وجود ما يسمى بالشعب اليهودي معتبراً أن اليهودية ديانة، وليست أمة، وقال: «إن مصطلح الشعب

---

(1) العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الإيدلوجي الديني: علي طه. ص157: 158.
(2) انظر: الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف. ص85.
(3) يهودية أم صهيونية: عبدالوهاب زيتون. ص262.
(4) نفسه: ص73.
(5) انظر: يهودية أم صهيونية: عبد الوهاب زيتون. ص106.
(6) نفسه: ص107.

اليهودي ليس إلا مصطلحاً مختلقاً اخترعه المؤرخون الصهاينة الذين استغلوا الإنجيل، وحولوه من كتاب ديني، وأدبي يمثل تحفة فنية إلى كتاب للقصص بهدف الترويج؛ لأسطورة الشعب اليهودي، وأشار "زانت: الذي أثار كتابه الشعب اليهودي المختلق جدلاً حاداً داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث أشار إلى أن: ما يشاع عن تهجير اليهود من فلسطين، وتشتتهم في القرن الأول الميلادي هو أيضا مجرد أسطورة مختلقة، وأوضح المؤرخ أن وجود اليهود في أماكن مختلفة في العالم خلال العصور الوسطى حدث نتيجة لاعتناق سكان هذه الأماكن اليهودية، وليس بسبب هجرة اليهود إليها، وأكد أن إصرار الحكومة الإسرائيلية على التمسك بمصطلح الدولة اليهودية مرتبط بالمخاوف التاريخية العميقة الموجودة في المجتمع الإسرائيلي بشأن الهوية، ولا يستند إلى حقوق تاريخية، وقال: إن إسرائيل طفل لقيط ولد نتيجة عملية اغتصاب لحقوق المواطنين العرب»، مضيفاً: «أن هذا الطفل غير الشرعي له الحق في الحياة؛ لأنه موجود كواقع، ورأى أن إسرائيل ينبغي أن تتعامل كدولة ديمقراطية مع جميع مواطنيها على قدم المساواة»(1)، وليس أدل على ما سبق بأن أبرز خصائص الفكر الصهيوني، وسماته التنكر للدين بكل مورثاته، وكان التفكير السلبي حيال الدين شائعاً بين عدد من الزعماء المؤسسين للصهيونية من أبرزهم [مارتن بوبر (1878- 1965م)(2)الذي أكثر من انتقاداته للتاريخ اليهودي، وللممارسات الدينية اليهودية(3). كما أن فلاديمير جابونتسكي (1880- 1940م)(4)كان يبدي انتقادات حادة، ولاذعة للدين اليهودي، ولزعمائه(5)، وهو لم يؤمن بالدين اليهودي على الحقيقة كما أن أكثر الصهيونيين كانوا ملحدين(6)، وقد جمع هرتزبرغ أعمال (37) من أشهر الصهاينة، وقدم نبذة عن الناحية الروحية لهؤلاء فوجد أن ما لا يقل عن (21) منهم تخلوا عن الفروض الدينية، من أبرزهم رائد الصهيونية العمالية موسى هيس (1812: 1875م)، والكاتب، والداعية الصهيوني بيرتس سمولنسكن (1842: 1885م)، وأب الصهيونية هرتزل، والمفكر، والزعيم السياسي الصهيوني الألماني ماكس نورداو (1849: 1923م)، والكاتب، والمفكر، والأديب فيلسوف الثقافة الصهيونية أحادهعام (1856: 19237م)، والمفكر المنّظِر للصهيونية العمالية الروسي نحمن سكرين، ومؤسس حركة عمال صهيون، وزعيمها دوف بوروخوف (1881: 1917م)، ووايزمان، وبن غوريون(7)؛ لهذا دعا هرتزل أعضاء المؤتمر في بازل إلى استحالة الطرق الروحية؛ لإحياء وتوجيه الوعي القومي اليهودي(8).

---

(1) صحيفة سبق الالكترونية: الأخبار الدولية. يوم الاثنين بتاريخ: 2009/6/15.

(2) مفكر ألماني يهودي، ولد بفينا ، حلولي، متطرف في حلوليته، وجودي النزعة، كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق، ومع هذا يعد من أهم المفكرين الدينيين اليهود في هذ القرن ومن دعاة التصوف اليهودي، ومن أكبر مفسري العهد القديم ــ وهذا من التناقضات اليهوديةــ، عمل رئيس تحرير جريدة دي فيلت، الناطقة بلسان الحركة الصهيونية.(موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2، ص163).

(3) انظر: كتاب الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية: الانتقاد الذاتي. جوزيف حاييم برنر. ص195: 196. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران. 1970م.

(4) مفكر صهيوني وقائد حركة الصهيونيين التصحيحين ولد في أوديسا بروسيا كان اهتمامه باليهودية ضئيلاً، إذ كان ينظر إليها من الخارج، ولم تكن له معرفة بالعبرية، استوعب الرؤية المعرفية الإمبريالية تماماً، فتبنى رؤية توماس هوبز للواقع، ورفض كل المثل الإنسانية، وأعلن أن العالم إن هو إلا ساحة لصراع الجميع ضد الجميع. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية: المسيري. ج2. ص283).

(5) انظر: قرارات إسرائيل المصيرية: يهو شفاط هركابي ترجمة: منية سمارة، ومحمد ظاهر. ص102. دار الكرمل. عمان (ط:1990م).

(6) انظر: النخبة الحاكمة في إسرائيل: د. نظام محمود بركات. ص29. مطابع الكرمل. بيروت (ط: 1982م).

(7) انظر: الصهيونية وإسرائيل وآسيا:ج. هــ. جانسن. ترجمة: راشد حميد. ص29. م. ب. ت. ف. بيروت (ط: 1972م).

(8) انظر: كتاب الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية. خطاب المؤتمر الأول: ثيودور هرتزل. ص125(ألقي في بازل 29 أب 1897م). منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1970م.

4 ـ نصوص من الإنجيل تدل على خلاف زعم الإنجيليين، وتقر بنهاية اليهود

يزعم اليهود بأنه بعد نزول المسيا المنتظر للأرض، والذي هو ملك من نسل داود ^ ـ، وليس هو عيسى بن مريم ـ سيملكون معه العالم، ويحكمونه من أرض أورشليم بعد وقوع معركة هرمجدون، وفناء ثلثي سكان الأرض، ويعيشون مع المسيا ألف عام سعيدة مليئة بالرخاء، والأمن.

ـ جاء في رسالة بطرس الثانية3 خلاف زعمهم والاشارة إلى نهايتهم يقول: **(إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة8، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده، كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشأ أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة، ولكنه سيأتي كلص في الليل يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر المحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تنحل، أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي تنحل السموات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضا جديدة، يسكن فيها البر13)**. ويقول في متى23: **(يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء27 وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً. لأني أقول لكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب29)**.

ـ وفي موضع آخر من متى24 يقول: **(ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل1، فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم إنه لا يترك حجر على حجر لا ينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضللكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، انظروا لا ترتاعوا، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى. فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للمبالي والمرضعات في تلك الأيام. وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت. لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام. حينئذ إن قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. ها أنذا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا، ها هو في المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان؛ لأنه حيثما تكن الجنة فهناك تجتمع النسور(1). وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم(2)، الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصى السماوات إلى أقصاها. فمن**

---

(1) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص124.

(2) في قاموس الكتاب المقدس: سيعلن البوق مجيء المسيح الثاني، وكذلك يعلن قيامة الأموات. وتشير نبوءة للكاتب التوراتي الأمريكي (هال ليندسي) إلى عودة المسيح والجبل الذي ولد منذ عام 1948 هو الذي سوف يشهد عودة المسيح الثانية، ولكن بعد حربين الأولى ضد يأجوج ومأجوج والثانية في هرمجدون والمأساة بحسب تعبيره سوف تبدأ هكذا: كل العرب بالتحالف مع السوفيات سوف يهاجمون" إسرائيل" وفي كتاب له اسمه العالم الجديد القادم يقول ليندسي: فكروا في ما لا يقل عن مائتي مليون جندي من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الامبراطورية الرومانية المستحدثة(أوروبا الغربية) ويضيف أن عيسى المسيح سوف يضرب أولا أولئك الذين دنسوا مدينته القدس ثم يضرب الجيوش المحتشدة في ماجيدو أو هرمجدون، فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة 200 ميل من القدس، وهذا الوادي سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء، وهذا الكاتب يعتقد أن العالم =

شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب. وهكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء إلا أبي وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى، يؤخذ الواحدة وتترك الأخرى41). وبه قال: (مر: 13: 1-32)، (لو: 21: 5-25). كما ورد ذكر اليهود في الإنجيل على سبيل الذم، والقدح لا على سبيل التقديس، والتمجيد، والاختيار كما تزعم الصهيونية النصرانية فوصفوا بأنهم:

- قليلو الإيمان يقول متى8: **(ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه وإذ اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجّنا فإنا نهلك فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان26).**
- يفكرون بالشر جاء في متى9: **(فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم8).**
- أغبياء كما جاء في لوقا11: **(يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل40).**
- خِراف ضالة كما قال في متى10: **(بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة6).**
- أولاد الأفاعي(1)وينص على ذلك متى12 في قوله: **(يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار).**
- مراؤون يقول متى15: **(يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم أشعياء قائلا. يقترب إلي هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا. وباطلاً يعبدونني7).** ويقول في متى23: **(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون13 لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا15).**
- أشرار فاسقون يقول متى16: **(...جيل شرير فاسق يلتمس آية، ولا تعطى له آية....ثم تركهم ومضى4).**
- لا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يفهمون غليظو القلوب يقول متى13: **(من أجل هذا أكلمهم بأمثال13، لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون، فقد تمت فيهم نبوءة إشعياء القائلة تسمعون سمعا ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم15).**
- عميان، وجهال، وقادة عميان يقول متى23: **(ويل لكم أيها القادة العميان16 القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب... أيها الجهال العميان أيهما أعظم القربان أم المذبح19).**
- طاردوا الأنبياء، وقاتلوهم ينص على ذلك متى23 بقوله: **(...وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء29. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملؤوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح35)**(2).

=

سيتم تدميره بحرب نووية، وستدمر مدن مثل لندن وطوكيو وباريس، ونيويورك، ولوس أنجيلوس وشيكاغو، وهو يعتقد بأنه عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى، بحيث يكون كل شخص تقريبا قد قتل يحين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الانسانية من الاندثار الكامل. ويتوقع أن يبقى فقط 144 ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون، وهؤلاء سينحنون أمام المسيح متحولين إلى الديانة المسيحية (انظر: النبوءة والسياسة: هالسل. ص37: 39).

(1) انظر: أولاد الأفاعي: وصف للفريسيين وهم: إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين فئتي الصدوقيين والأسينيين وكانت أضيقها رأيا وتعليماً (وانظر: قاموس الكتاب المقدس. ص 674).

(2) انظر: نهاية إسرائيل حقيقة لا وهم: عبدالمحسن دهيني. ص65، وللمزيد من النصوص انظر: (مت: 26، =

5 ـ الفِرق النصرانية المناهضة للفرق الأصولية النصرانية المتطرفة

على الرغم من قوة تأثير، وفعالية الصهيونية النصرانية في الولايات المتحدة إلا إن لها معارضين من داخل الكنيسة الإنجيلية نفسها، ومن خارجها.

أولاً: من داخل الكنيسة الإنجيلية:

المجلس الوطني لكنائس المسيح:

يضم هذا المجلس (34) طائفة، ويبلغ عدد أبنائها نحو (40) مليون شخص بأمريكا، ويصدر عن هذا المجلس مجلة شهرية تدعى القرن المسيحي، ومجلة شهرية أخرى تدعى المسيحية، والأزمات، ويستقطب هذا المجلس، ومجلتاه اللبراليين الذين يرفضون التفسير الحرفي للكتاب المقدس، كما يرفضون الصهيونية اللاهوتية(1)في الكنيسة، ومن أبرز المواقف السياسية التي اتخذها المجلس الوطني لكنائس المسيح إعلانه في عام (1979م) أن من حق منظمة التحرير الفلسطينية الاشتراك في أي مفاوضات للسلام باعتبارها الممثل الشرعي، والوحيد للشعب الفلسطيني ويعبر عن هذه المواقف والآراء في دوريات أخرى أبرزها ثلاثة هي:

أ ـ مجلة القيمون: وتصدر في واشنطن العاصمة.

ب ـ مجلة الطرف الآخر: وتصدر في فلادلفيا.

ج ـ مجلة المصلح: وتصدر في ميتشجن.

والمجلات الثلاثة تنتقد باستمرار الممارسات الإسرائيلية، وتدعو إلى احترام حقوق الشعب الفلسطيني، وخاصة حقه في تقرير مصيره، ومن الكنائس الإنجيلية المتعاطفة مع هذا الخط، ولو بنسب متفاوتة الكنيسة: المشيخية، والمنهجية، والمعمدانية، والأسقفية(2)، وهذا يشير بوضوح إلى أن هناك أطرافاً داخل الأصولية الإنجيلية تعمل على كبح جماح الأصولية الإنجيلية المتطرفة، وعدم الاستسلام لنفوذها العدائي الانتهازي المدمر.

ثانياً: من خارج الكنيسة الإنجيلية:

1 ـ موقف الكنيسة الكاثوليكية:

ظهر أول موقف للكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية في مايو من عام (1897م) عشية المؤتمر الصهيوني الأول حيث قال هرتزل: «لقد مر (1827م) عام على تحقق نبوءة المسيح بأن القدس سوف تدمر». أما فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها فيتحتم علينا أن نضيف أن ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه الذي أخبرنا مسبقاً بأن القدس سوف تدوسها العامة جنتيل حتى نهاية زمن العامة (لو:24/21) أي حتى نهاية الزمن(3).

وبعد سبع سنوات على إعلان هذا الموقف، وجَّه البابا بيوس العاشر رسالة جوابية إلى ثيودر هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية قال فيها: «لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع هذه الحركة الصهيونية نحن لا نستطيع أن نمنع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نقرّه. إنني بصفتي قيمّاً على الكنيسة لا أستطيع أن أجيبك بشكل آخر لم يعترف اليهود بسيدنا، ولذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي فإذا جئتم إلى فلسطين، وأقام شعبكم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائساً ورهباناً؛ لتعميدكم جميعاً». أي: تحويلهم من اليهودية إلى النصرانية.

وبعد صدور وعد بلفور عام (1917م) أوفدت الحركة الصهيونية أحد أعضائها، وهو الروسي ناحوم سكولوف لمقابلة البابا بنديكت الخامس عشر في هذا اللقاء الذي تم في (1917م) قال له البابا: «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة»(4).

دافعت الصحافة الكاثوليكية في أوروبا في الولايات المتحدة نفسها عن موقف البابا حتى إن المجلة الكاثوليكية الأمريكية نشرت في عددها الصادر في إبريل (1918م) مقالاً بعنوان: موقف المسيح من التطلعات السياسية الدينية لليهود قالت فيه: «بما أن الانتقام هو صفة اليهود المميزة فإن التدمير الكامل لأعدائهم هو من أعظم إنجازات تطلعاتهم القومية، ويرى كثير من اليهود في إشباع مشاعرهم الانتقامية هذه جزءاً من عظمة مستقبلهم السعيد»(5)(1).

=

59-75: 21-25)، (مر: 15)، (لو: 23)، (يو: 18). وانظر: قاموس الكتاب المقدس. ص124.

(1) الصهيونية اللاهوتية: هي التي ترى أن اليهود أمة تتميز عن غيرها، لأن الله هو الذي أسسها بنفسه، وتعارض الاتجاه العلماني عند بعض الصهيونيين. انظر: موسوعة السياسة: د. الكيالي. ج3. ص663.

(2) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص149: 150. وانظر: الأصولية الإنجيلية: الهذلول. ص113.

(3) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك: ص151.

(4) نفسه: ص152 .

(5) نفسه: ص152. وانظر: الإنجيليون والعمل القومي: دراسة توثيقية: أديب نجيب سلامة. ص341. دار

=

تلقف البابا التضامن الإسلامي، والمسيحي العربي في فلسطين ضد وعد بلفور بالقبول؛ ليؤكد رفض السيادة اليهودية على الأرض المقدسة. ففي ديسمبر (1920م) تألفت هيئة إسلامية مسيحية؛ لمطالبة السلطات البريطانية بإعادة النظر في وعد بلفور، كما أن المؤتمر العربي الثالث في حيفا طالب باستبدال الانتداب البريطاني بحكومة عربية احتلت أحداث الانتفاضة الفلسطينية في ربيع (1921م) الصفحات الأولى من الصحف الكاثوليكية في العالم، وفي14 يونيو (1921م) أعلن البابا بندكت: «إن الوضع لم يتحسن بل ازداد سوءاً من خلال التنظيمات المدنية الجديدة التي استهدفت عملياً على الأقل، ولو من غير قصد أصحابها إقصاء المسيحية عن موقعها السابق، ووضع اليهود في مكانها؛ ولذلك فإننا نهيب بحرارة بجميع المسيحيين بمن فيهم الحكومات غير الكاثوليكية أن تحث عصبة الأمم على إعادة النظر في الانتداب البريطاني على فلسطين»(2)، وفي عام (1922م) وجه الفاتيكان مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم تنتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وجاء في المذكرة التي وضعها الكاردينال كاسباري: «إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات، والمعتقدات الأخرى، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان»، وتجاوباً مع هذا الموقف تحركت الدبلوماسية الفرنسية، والإيطالية، والبرازيلية، وكلها دول كاثوليكية في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور في عملية استيعابية لهذه التحركات. قام تشرشل، وكان وزيراً للمستعمرات بحركته الالتفافية فأصدر قراراً استهدف إقناع خصوم الصهيونية بفرض قيود على المستقبل السياسي للمستوطنين اليهود في فلسطين دون إعادة النظر في نص أو مضمون وعد بلفور. وبناءً عليه جاءت توضيحات من المكتب العربي في القاهرة بأن: «أي مستوطنة يهودية في فلسطين لن تقام إلا في حدود مراعاة الحريات السياسية، والاقتصادية للسكان العرب»(3).

عزز حركة تشرشل الموقف الذي اتخذه الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ، والنواب بتأييد وعد بلفور بمنح اليهود وطناً قومياً دون إلحاق الأذى بالحقوق الدينية للمسيحيين، أو غيرهم من غير اليهودية. هذان الموقفان البريطاني الإنجلي، والأمريكي البرتستانتي أديا معاً إلى هزيمة موقف الفاتيكان الكاثوليكي.

على الرغم من ذلك، وبرغم انشغال البابوية بالانعكاسات السلبية على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الشيوعية، فإن الفاتيكان لم يتراجع عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينات من القرن العشرين ففي يوليو من العام (1937م)، وفي أعقاب الثورة الفلسطينية التي نشبت في عام (1936م) ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية يهودية، مع إبقاء الأماكن الدينية في القدس، وبيت لحم تحت إشراف الانتداب البريطاني. عارض العرب المسلمون، والنصارى توصيات اللجنة، وعارضها الفاتيكان أيضاً. ففي مذكرة وجَّهها إلى الحكومة البريطانية في السادس من أغسطس من ذلك العام عارض الحبر الأعظم تقسيم فلسطين، وعارض بصورة أخص وضع المناطق المقدسة فيها بحيرة طبريا، والناصرة ضمن الجزء المخصص للدولة اليهودية، وأعرب الحبر الأعظم عن قلقه الشديد من نتائج مثل هذا التقسيم لفلسطين على المجموعات المسيحية.

نتيجة للثورة الفلسطينية، والمعارضة الفاتيكانية، وما رافقها من توتر دولي تراجعت الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم ثم أصدرت في عام (1939م) الورقة البيضاء التي حددت بموجبها عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة سنوياً إلى فلسطين، ومساحة الأراضي التي يسمح لهم بتملكها عكست الصحف الأمريكية الكاثولكية ساين، وتابليت الحملة الفاتيكانية ضد التقسيم، وركزت على أن: «فلسطين ليست، ولن تكون وطنا قوميا لليهود»(4). ولا يهمنا في هذا المبحث التغير المفاجئ في الموقف الكاثولكي لاحقاً؛ نتيجة للتأثيرات السياسية، وما يهمنا موقفها الأساس من الصهيونية، وهو المعتمد في القضية.

2 ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط:

اتـخذت الكنيسة الأرثوذكسية موقفاً مناهضاً للأصولية الإنجيلية بهدف الدفاع عن العقيدة النصرانية بالدرجة الأولى، وذلك من خلال البيان الذي أصدره المجلس(5)عن الحركات الإنجيلية

=

الثقافة. القاهرة (ط1: ب).

(1) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك، ص152. وانظر: الإنجيليون والعمل القومي: أديب سلامة. ص341.

(2) الإنجيليون والعمل القومي: أديب سلامة. ص342.

(3) نفسه: ص343.

(4) نفسه: ص344.

(5) مجلس كنائس الشرق الأوسط مجلس يضم جميع كنائسها، باستثناء الكنيسة الآشورية العراقية، الأرثوذكسية بشقيها والكاثوليكية والإنجيلية المسكونية، ومن أهداف هذا المجلس تعميق الإيمان النصراني، وتحقيق وحدته

=

الغربية الجديدة، والذي أكد فيه على أن: «التعاظم المفاجئ في نشاط الحركات الإنجيلية الغربية، وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط هو مسألة تهم كنائس المنطقة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ففيما نجتهد لاستعادة وحدتنا في المسيح، تعترينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثراً انقسامياً، فبعضها لا يعترف بالكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها، وشهادتها، ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصر على زرع رؤية لاهوتية غربية على ثقافتنا بل إن اختلاط المفاهيم أحدث قلقاً، وبخاصة بين الإنجيليين، والأسقفيين من أعضاء مجموعة كنائس المجلس الذين نجحوا في أداء شهادة أصلية وملائمة ثقافياً، وحذروا من أن بعض المراسلين كادوا ينكرون أن النصرانية، والتوراة جاءتهم من الشرق الأوسط، ويؤمنون بأن الإرساليات الغربية هي التي أتت إلى الشرق الأوسط بهما، وعرف بعضهم أن في الشرق الأوسط كنائس، لكنهم آمنوا أنها ليست نصرانية كفاية..»(1).

إضافة إلى ما صدر عن السيد غربيال الأمين العام للجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط في بيان آخر أدان فيه سوء استخدام الكتاب المقدس، وإثارة المشاعر في محاولة لتبرير خلق دولة ما، وتشريع سياسات حكومة ما، ويقصد بها الحكومة الإسرائيلية، وتُذكِّر كنائس الشرق الأوسط النصرانية في العالم باستمرار إلى رفض الأيديولوجية، والأهداف السياسية للاتجاه الأصولي اليهودي النصراني(2).

نظمت بطريركية الأقباط الأرثوذكس مؤتمراً شعبياً في القاعة المرقسية بمبنى الأنبا رويس يوم 19 مايو (1970م)؛ لشرح الدين المسيحي في المعركة الصهيونية؛ لتوعية الشعب بمسئولياته حتى يبذل ما يستطيع لمواجهة المعركة، وتحدث القس د. لبيب مشرقي عن الكنيسة الإنجيلية في المؤتمر فقال: ما هو واجبنا ككنيسة في هذه الآونة الصعبة؟ سألت عن ذلك فقالوا: نصلي، وكفى، وأنا أقول نصلي، ولا نقول كفى؛ لأننا سنعمل، ونعلم ما هي أسلحة القوم الذين يحاربوننا لنأخذ حذرنا، ولا أعني الأسلحة العسكرية إنما الأسلحة الفكرية الخبيثة التي يستعملونها، وحددها في أربع أنواع:

1. إضعاف الروح المعنوية فينا.
2. إيجاد هزة في جبهتنا الموحدة مع المسلمين، والعرب.
3. نشر، وإشاعة المغالطات الدينية.
4. إشاعة الاضطرابات، والفوضى في البلاد.

وهذه أسلحة تتطلب دراسة طويلة، ووعي للتخطيط لمواجهتها، وبإشارة عاجلة على كل سلاح نرى أن السلاح الأول: في أن يشيعوا فينا الفشل، واليأس. فيقولوا لنا: سلاح أمريكا: الفانتوم، وسكاي، وهوك، والقنابل وأن جيش إسرائيل لا يهزم، وأن أسلحتنا غير كاملة، و...؛ لذلك فواجبنا تقوية معنوياتنا بالحق لا بالباطل كما يعملون. أما السلاح الثاني: فهم يستغلون وجود أي ثغرة في خط الجبهة بمهارة؛ لدعم الافتراءات، والتفرقة، وخلق الفتن لانقسام وشق الصف في البيت الواحد، و...، فقولوا لهم: إن بلادنا لا يوجد فيها طبقية، وأن فيها شعباً أبياً، وقولوا لهم: لا يوجد لدينا مسلمين، ونصارى بل كلنا مواطنون، والدين لله، والوطن للجميع، فاحذروا مواطن الفتنة، والدسائس، إن الذين يساعدون الأعداء، وينشروا الفتنة هم خونة، خونة، خونة...، صونوا وحدتكم بكل السبل. والسلاح الثالث: أنهم يستغلون الدين بزعمهم أن الله أعطاهم الأرض من النيل إلى الفرات، وأن الكتب المقدسة تقول بعودتهم إلى القدس، ومن المؤسف أن بعض النصارى في أمريكا، وبعض بلاد الغرب يصدقون هذا الافتراء. أنا ـ وأنا نصراني ـ، وأنا قسيس وأنا دارس للكتاب المقدس أتحدى أن يريني أحد ما يلقي ظلالاً من الحقيقة على هذا الأمر ومن جهة مملكة الله الروحية، و...، لا تصدقوا كلامهم، ومفترياتهم بل لو أنكم سألتم رؤوسهم في إسرائيل، وفي أمريكا لابتسموا؛ لأنهم يعلمون كذب ما ادعوا، وعلينا أن نفتح عيون الشعب المسيحي بل الإسرائيل ليروا هذه المغالطة بصورتها البشعة. أما السلاح الرابع والأخير: فيتمثل في إشاعة الاضطراب، والفوضى، وبخاصة عقب إلقاء القنابل على الأطفال، والنساء، والبيوت، والمصانع المدنية...(3).

قامت اللجنة التنفيذية لسنودس النيل الإنجيلي المجمع الأعلى لطائفة الأقباط الإنجيلين في اجتماعها بتاريخ: 22 يونيو 1967م بتأييد ما قام به د. القس: إبراهيم سعيد رئيس الطائفة

= من خلال هذا الإيمان، وتنظيم الحوار بين الكنائس والمساهمة في أعمال التنمية الإنمائية الاجتماعية، وتثبيت العيش المشترك بين النصارى وغيرهم على أساس العدالة والسلام، (نقلاً عن: الصهيونية المسيحية: السماك. ص160).

(1) صدر هذا البيان في لماسول. قبرص. في أبريل: 1986م.
(2) انظر: الصهيونية المسيحية. السماك. ص160: 163.
(3) الإنجيليون والعمل القومي: أديب نجيب سلامة. ص344.

الإنجيلية في مصر بإرسال برقيات التأييد إلى رئيس الجمهورية في كل مواقفه ضد العدوان الإسرائيلي باسم الشعب الإنجيلي، والبرقيات التي أرسلها مجلس الكنائس العالمي، والمحافل الكنسية الدولية التي تعلن استنكار الطائفة للعدوان الإسرائيلي الغادر على الدول العربية، وتواطؤ الاستعمار في هذا العدوان، ويطالب بعودة الحق إلى أصحابه العرب، وإزالة كل آثار العدوان على الدول العربية، والأماكن المقدسة، وقامت هذه اللجان بتوعية مواطنيها، وجمع التبرعات المالية في معركة النضال ضد الصهيونية، والإمبريالية الاستعمارية، وإرسال منشورات، وكتيبات إلى مجالس الكنائس العالمية، ومحافلها الدولية موضحة موقف الطائفة من معركة الشرف، وتطالبها بالتضامن، وبذل الجهود لرد وردع العدوان(1).

3 ـ مجلس المصلحة القومية:

أنشأه بول فندلي عضو الكونجرس الأمريكي(2)، مؤلف كتاب من يجرؤ على الكلام، وكتاب الخداع، وأهمية هذا المجلس تكمن في أنه يعكس آراء، وأفكار، ومواقف بعض النصارى الأمريكيين الذين ضاقوا ذرعاً من الضغط اللوبي الصهيونية على السياسة الأمريكية، وجعلها عبداً مطيعاً لإسرائيل، ويعد هذا المجلس من أقوى التوجهات الحديثة في مقاومة الأصولية الإنجيلية في أميركا المعاصرة(3).

---

(1) انظر: نشر البيان في جريدة الأهرام: 25 يونيو 1967م للقس: عبدالملك مهني، نقلاً عن كتاب: الإنجيليون والعمل القومي: أديب سلامة، ص:327: 328.

(2) بول فندلي: عمل عضوا في الكونجرس لمدة (22) عام وخرج منه عام (1982م)، وكان واحدا من تسعة أعضاء باللجنة الفرعية للشئون الخارجية لمعالجة شئون الشرق الأوسط (انظر: مقدمة كتاب العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق: الشيخ: أحمد ديدات. دار الفضيلة. القاهرة (ط.ب)).

(3) انظر: الأصولية الإنجيلية: الهذلول. ص114.

6 ـ من أقوال، وشهادات القساوسة، والرهبان، والعلماء النصارى المنصفين منهم

ـ يورد الكاتب "عبد الله التل" في مؤلفه "الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام" رسالة الأستاذ طانيوس حاموش أحد رعايا الكنيسة الأرثوذكسية الذي رد على الارشمندريت سرجيوس مفرج(1)في ملحق جريدة النهار بتاريخ: 30/ 5/ 1971م مبدياً رفضه لقرار ضم التوارة للإنجيل، وجعلهما كتاباً واحداً حيث يصدر خطابه بعبارة: «نحن ضد التوراة، وضد اليهود، والمسيح لم يتمم إنما نقض الناموس» ـ بحسب معتقده ـ، ثم يقول: «سيدي حضرة الأب أنا مسيحي أرثوذكسي مؤمن بيسوع معلماً، وهادياً عادلاً محباً تعرفت إليه يوم قرأت إنجيله، وآمنت بالله يوم تعلمت من أن المحبة هي الله. لم يأت يسوع لأنقاذ شعب من عبودية شعب آخر، بل أتى لإنقاذ الإنسان من عبودية شهواته جاعلاً منه إنساناً مجتمعياً يعي عظمة مسؤوليته اتجاه أخيه الإنسان، لم يأت ليوزع الأرض على خاصته، ويقيم تخوم الخصومة، والبغضاء بين أبناء الله، بل أتى ليعلم الإنسان أن ملكوت الله لجميع المؤمنين، وأنه هو الطريق، والحق، والحياة هذا وجه يسوع في الإنجيل،...، ورأيت صدفة بعدما قرأت التوراة هل تعرف ما رأيت؟، رأيت إلهاً صنماً يرتجل شرائعه من حمم المعارك، يسوق شعباً من الموت إلى الموت، العبودية موت يا أبتي، والاستعباد موت آخر، نحن نعتبر التوراة كتاب تاريخ لشعب (ما) عاش في زمن له إلهه، وعاداته، وتقاليده أما أن يأتي رجال الكنيسة اليوم، ويفرضوا علينا الإيمان بها على أنها كتاب مقدس فهذه جريمة كبرى بحق يسوع، ورسالته، نسألكم لماذا تشبثكم بالتوراة؟. تقولون: لأنها كتبت عن يسوع!! نسألكم أين؟ فلا تجيبون!!؛ لأن الكتابة عنه جاءت تلميحاً، ولو أن يسوع الذي أتى هو يسوع الذي تكلمت عنه التوراة، فما الداعي إذاً لقتله بالصلب على يد أئمة مفسري التوراة؟، وهل تدعون أنكم تعرفون التوراة أكثر من أوليائها؟، وتعلمون أن يسوع رفض نبوءات التوراة عنه التي قال فيها في متى7: **(كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط، أذهبوا عني، يا فاعلي الأثم22)»**(2).

ـ ويقول القس الإنجيلي أكرم لمعي من أبناء الكنيسة المصرية ذات الصلات الوثيقة بالكنيسة المشيخية الأمريكية التي تجنح إلى التفسير الحرفي لرؤيا يوحنا الذي ألف كتابه المشهور الاختراق الصهيوني للمسيحية، وفيه رد على الأصولية الإنجيلية في أهم نصوصها التي تبني عليها معتقداتها الدينية، والفكرية، وهي رؤيا يوحنا فناقش، وفنَّد تلك القضية، وأيَّد تفسيرها غير الحرفي، كما ناقش في كتابه العديد من المعتقدات، وأفكار الحركة، وردها بشجاعة، ووضوح: «أما فكرة حكم المسيح للعالم حرفياً لألف عام من أورشليم فهي فكرة لا سند حقيقي لها من الكتاب المقدس، وكل ما يعتمدون عليه فيها بعض الآيات التي تُفسَّر بطريقة خاطئة، ومغرضة في نفس الوقت الذي تعتبر هذه الفكرة غير حضارية؛ لأنها تتسم بالعنصرية، ولا تتفق مع رسالة المسيح، واتجاهه العام...»(3).

ـ كما قام بول فندلي عضو الكونجرس الأمريكي بدور كبير في كشف أخطار، ومخططات الصهيونية، والمتمثل في منظماتها النشطة في أمريكا، ومن أهم ما تناوله في مؤلفاته اللوبيات الصهيونية التي لها تأثير في السياسة الأمريكية، ومنها اللجنة الأمريكية للشئون العامة إيباك، وهي ضمن لجان الكونجرس، ومما قال فيها: «إيباك تعرف أحياناً ما يقوله أعضاء الكونجرس عن سياسات الشرق الأوسط حتى في الأحاديث الخاصة، ومن ينتقد إسرائيل إنما يعرض مكانته السياسية للخطر...»(4).

ـ ووجه الأسقف جيمس آرمسترونغ عام (1981م) كتاباً إلى قساوسة الكنيسة الميثودية(5) في أنديانا ينتقد فيه انتقاداً لاذعاً بشارة جيري فالويل(6)، وعقلية الأكثرية الأخلاقية، وقال: «إن

---

(1) الارشمندريت = الحبر . سرجيوس مفرج: رئيس دير قرية الخضر بفلسطين وتتميز بأن جميع سكانها من المسلمين.

(2) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: عبدالله التل. ص206: 207. المكتب الإسلامي. بيروت (ط: 1971م).

(3) الاختراق الصهيوني للم(3)سيحية: أكرم لمعي. ص155.

(4) من يجرؤ على الكلام: بول فندلي. ص45. ترجمة: محمود زايد. شركة المطبوعات. بيروت (ط6: 1990م).

(5) الميثودية: أسسها ويسكي عام 1729م ومعناها: الطريقة أو النظام بمعنى أن كنيستهم مرتبة على نسق قانوني (انظر: العقائد القبطية الأرثوذكسية ونشأة الطوائف المسيحية: ص43. لجنة النشر بمطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم. مطبعة شفيع. القاهرة (ط1: 1997م).

(6) هو: جيري فولويل تبشيري من الدرجة الأولى، صاحب شبكة التلفزيون المعروفة بـــ (الشركة المسيحية =

القول بأن إسرائيل شعب الله المختار تعني أنهم عبيده، ولم تعط إسرائيل ترخيصاً باستغلال الآخرين، وليس عند الله من يُؤثر على سواه»(1).

ـ أما الكاتبة الإنجيلية الأمريكية البارزة غريس هالسل فبعد أن استعرضت في كتابها النبوءة، والسياسة أبرز أعمال المبشرين الأصوليين الأمريكيين الذين يقدمون البرامج الدينية، ويبشرون بنظرية هرمجدون في الإذاعة، والتلفزيون علقت بقولها: «...ومن بين 4 الآف أصولي إنجيلي يشتركون سنوياً في مؤتمرات الإذاعات الدينية الوطنية هناك ثلاث آلاف من التدبيريين يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض وهذه الرسالة تبث عبر 1400 محطة في أمريكا، ومن بين 80 ألف قسيس إنجيلي يذيعون يوميا من خلال 400 محطة، ويجعلون من تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة، ويؤمنون بأننا يجب أن نخوض هرمجدون، وأن المسيح يعود بذلك فقط إلى القدس، وأن إسرائيل اليوم تبارك من الله بأنها هي نفسها صهيون التوراتية، ...، وأن الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بطريقة واحدة، وهو ينظر على أننا منقسمون إلى فئتين: اليهود، والعامة، وإن لله خطة واحدة هي خطة أرضية من أجل اليهود، وإن لله خطة ثانية خطة سماوية للمسيحيين المخلصين، أما بقية شعوب الأرض من المسلمين، والبوذيين، و...، وغيرهم من أصحاب الاعتقادات فإنها لا تهمهم،...، ولن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح، وأي تبشير بالسلام هو هرطقة؛ لأنه ضد كلمة الله، وضد المسيح»...ثم تعقب بقولها: «إن نظاماً إيمانياً من هذا النوع يستحق الاكتشاف ذلك أن المراحل الدينية التي يبشرون بها من أجل تصور المسيحية الكاملة تتضمن مأساة نووية يمكن أن تدمرنا جميعاً»، وتتساءل بتهكم: «طالما أن أرضنا محكوم عليها بالدمار؛ لأنها آخر أعظم كرة أرضية فهل قراراتنا السياسية اليوم متأثرة بتصور أنه لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح؟، هل نزع التسلح يناقض خطة الله؟»(2) .

ـ يقرر أستاذ الدراسات الدينية بجامعة نورث كارولينا الأمريكية بارت إيهرمان بأن: الإنجيل مزور، وعيسىυ بشر، ويؤكد ذلك بعد سنين طويلة قضاها كأصولي إنجيلي يعتقد أن الإنجيل الموجود حالياً حقيقي، ورأى أن معظم أجزاء العهد الجديد مزورة، وأن مفاهيم ألوهية المسيح غير مبنية على أي شيء قاله المسيح، أو حوارييه حسبما قالت (سي إن إن)، وقال: «إنه لا يوجد أحد يؤمن بكل ما ورد بالإنجيل، حيث يقوم الجميع بعملية انتقاء لما يراه صحيحاً». مدللاً على ذلك بدور النساء في الكنيسة، والخلاف على تفسير ما ورد بالعهد الجديد حول هذه المسألة. فمن ناحية يشير إيهرمان إلى أن بولس أصرَّ في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس في الإنجيل على أنه يجب على النساء أن يبقين صامتات بالكنيسة، وبالمقابل يرى إيهرمان أن الصورة تختلف في الإصحاح 16 من رسالة بولس إلى أهل رومية، حيث قال أن النصوص تدل على أنه يمكن للنساء أن يصبحن قائدات للكنيسة، حيث كن يقمن بوظيفة الشماس في الكنيسة القديمة، وأكد أيضاً إلى أنه: «لا يوجد أي دليل على قيام المسيح بعد صلبه» خصوصاً، وأن القصص الإنجيلية الواردة بهذا الشأن تنقض بعضها بعضاً برأيه، حيث رأى أنه على الأرجح أن حواريي المسيح كانوا قد تعرضوا لرؤية في منامهم حيث شاهدوه، وتحدثوا معه، وحول سبب انغماسه بدراسة الإنجيل رغم عدم إيمانه بعصمته. أكد هذا لاعتقاده أن الإنجيل كان أهم كتاب في تاريخ الحضارة الغربية، وأنه كان في شبابه أصولياً مسيحياً يعتقد أن الإنجيل هو كلمة الله الفعلية، حيث كان قد حفظ أجزاءً منه، ولكن رؤيته لتصرفات بعض المتدينين غير الإيجابية، وانتشار التعاسة، والعذاب في العالم شككه بمعتقداته جاعلا منه لا أدرياً(3) .

ـ ندد عميد الكاتدرائية الوطنية في واشنطن في خطابه الذي ألقاه على منبر الجليل بعيد الفصح من عام (1972م) بقوله: «...كانت القدس رمز أحلام الإنسان كلها ملك يأتي ذات يوم؛ ليحررنا من كل عبودية حلم السلام الذي سننتصر على كل عنف، وقداسة السماء التي تزيل خبث الأرض، و...، والقدس بكل ما في تاريخها من ألم تبقى دليلا على أعظم عيب لنا: ذروة أملنا الذي لم يتحقق بسبب الخسة المفرطة للذين يرفضون مشاركة أخوانهم فيها مفضلين القتل على أن يخضعوا لأمر الله، و...، والآن صار المظلومون ظالمين. العرب يبعدون، العرب يسجنون دون توجيه اتهام إليهم، العرب يحرمون من أن يرثوا أراضيهم، وبيوتهم، ولا يسمح لأقاربهم بأن يقيموا في القدس، وليس لهم صوت، ولا هناء في المدينة التي هي عاصمتهم الدينية»(4) .

=

الوطنية)، وتم تغيير أسمها إلى محطة الحرية للبث، وتبث البرامج الدينية التبشيرية على مدار 24 ساعة (انظر: النبوءة والسياسة: هالسل. ص51).

(1) انظر: النبوءة والسياسة: هالسل. ص406.
(2) النبوءة والسياسة: هالسل. ص50: 56.
(3) انظر: صحيفة سبق الالكترونية: محطات دولية. الاثنين: 18/ 5/ 1430هـ الموافق: 18/ 5/ 2009م.
(4) من يجرؤ على الكلام: بول فندلي. ص413: 414.

ـ وينقد بوكاي(1) الروايات الإنجيلية، ويؤكد بأنها تثبت تضادات بارزة، فيقول: لا يمكننا التصديق بوجود أمرين متناقضين، ولا يمكننا قبول بعض ما لا يصدق، كما لا يمكننا قبول تأكيدات تتجه إلى مصادمات لمعطيات مثبتة تماماً من العلوم العصرية، ويقول أيضاً: تتمثل إساءة متى في استخدامه الوقائع العجيبة، والتضادات البارزة بين الأناجيل، والمستحيلات فيها، والتناقضات مع معطيات العلم الحديث...، وتغيير النصوص المتتابعة كل ذلك جعل الفكر يذهب إلى أن الأناجيل تحوي فصولاً، ومقاطع ناشئة عن مجريات الخيال الإنساني، ثم يعلق على ذلك قائلاً: لا شك أن النصرانية من أكثر ديانات العالم حاجة إلى ما يثبت عقائدها، ويؤيدها شأنها في ذلك شأن اليهودية؛ نظراً لما تنضويان عليه عقائدهما من الغموض، والاضطراب، والتناقض، والتباين الذي يستحيل على العقل البشري الصائب أن يحيط، أو يلم بها ناهيك عن تصديقها، وقبولها(2).

ويذكر الحبر اليهودي الذي هداه الله للإسلام، وحسن إسلامه: السموأل بن يحى المغربي (570هـ) في كتابه إفحام اليهود عدد غير قليل من التناقضات في الروايات اليهودية، والنصرانية في كتبهم المقدسة بعهديها، ويناقشهم فيه بالحجة العقلية، ويلزمهم بها الدخول في الإسلام، ويدلل على نسخ القرآن الكريم لكتبهم المحرفة(3).

ـ ويقول ديفيد ديوك الرئيس الوطني لمنظمة الوحدة، والحقوق الأوربية الأمريكية، وهو عضو سابق في مجلس الممثلين الأمريكي البرلمان بولاية لويزيانا الأمريكية عن خطر الصهيونية العالمية الذي يهدد أمن المواطن الأمريكي: «متى سيأتي الزمن الذي تدرك فيه أمريكا في النهاية أن ما هو خير لحكومة إسرائيل الإرهابية هو مدمر، بل مميت للولايات المتحدة الأمريكية»(4).

ـ كما يستنكر الكاتب، والأستاذ الجامعي الكبير الذي اختص بالعلوم التوراتية، وبالآثار القديمة بأميركا وليم بيكر القول بالوعد بامتلاك اليهود لأرض فلسطين، وأبان أن ذلك قد تحقق تاريخياً، وانتهى، وليس من حق اليهود اليوم امتلاك هذه الأرض، ويقول في كتابه سرقة أمة: «عندما نفسر النبوءة ينبغي أن نأخذها أولاً ضمن سياقها، وظرفها التاريخي فالتفسير يبدأ مع مظهر النبوءة ضمن الظرف التاريخي المباشر. فهل تحقق الوعد في ما مضى من أحداث التاريخ؟ لا ريب في ذلك**!** فقد كرر الله وعده حول إرث الأرض في مناسبات عديدة، كما ظهر أساساً في سفر التكوين7 حيث يقول: **(لنسلك أعطى هذه الأرض12)**، فليس في النص أي دلالة على وجود وعد مزدوج بالأرض، أو تقسيم للوعد، وينتج عنه: أن الوعد بالأرض تحقق خلال حياة إبراهيم، وإسحاق، وأن وعد الأرض الثاني، أو ما يسمى أحياناً أرض كنعان الكبرى يتحقق الآن بالاحتلال اليهودي الراهن لفلسطين، وهؤلاء الذين يعتقدون بالوعد المزدوج: أي أن الله قد أبقى جزء من وعده لإبراهيم عندما قاد أبناء إسرائيل للخروج من مصر عام (1440ق. م)، والتوجه إلى فلسطين، وإن الحكومة العسكرية الصهيونية الآن منهمكة في تحقيق وعد الأرض الكبرى، أي: الجزء الثاني من الوعد، وهذا زيف بصورة جازمة**!**، وكما ذكرت فالنص التوراتي لا يحتوي في مكان منه وعداً مزدوجاً. فالوعد الوحيد الذي كرره الله هو احتلال أرض كنعان القديمة، وينطبق القانون الأساسي لعلم التفسير، والتأويل على هذا الاستنتاج، ولا يمكن الوصول إلى أي تمييز إذ ليس هناك فرق، أو خلاف في النص**!**»(5)، ويستطرد مسهباً في شرحه مفنداً إدعاءاتهم بالأدلة، فيقول: «يتجاهل المتمسكون بحرفية النصوص أن دولة إسرائيل التوراتية لن تستعاد**!**، وهم يتجهون بطريقة موائمة إلى تجاهل النصوص التي تفيد أن دولة إسرائيل التوراتي ستنتهي كلية،

---

(1) موريس بوكاي (1920: 1998م): ولد من أبوين فرنسيين، كاثوليكي المذهب، درس الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة، كان ضمن فريق العمل الذي كلف بترميم جثة فرعون مصر المعروفة، أوصله التفكر في مسألة بقائها بهذه الدرجة من الحفظ دون سائر الجثث الفرعونية الأخرى إلى المعجزة الهية القرآنية في الإخبار ببقائها عبرة لمن خلفه قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ (سورة يونس، آية: 92)، فأسلم وألف أشهر كتبه عن القرآن الكريم والذي هز علماء الدول الغربية قاطبة وعنوانه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم .. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ترجم الكتاب إلى (17) لغة (انظر: موقع موسوعة ويكيبيديا الحرة، موريس بوكاي بتصرف).

(2) انظر: دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية: محمد الصوياني. ج1. ص124: 126. دار طيبة للطباعة والنشر. الرياض (ط1: 1989م).

(3) أفحام اليهود. السموأل بن يحي المغربي. تحقيق: د. محمد عبدالله الشرقاوي. ص91. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة. الرياض (ط6: 1986م)

(4) أمريكا ـ إسرائيل و11 أيلول 2001: ديفيدديوك. ص54 ترجمة: سعد رستم. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2002م).

(5) سرقة أمة: وليم بيكر: ص106: 107. ترجمة: سهيل زكار وعدنان برنيه. دار حسان. دمشق (ط1: 1985م).

ولن تسكن أرض الميعاد مرة أخرى، ومن هذه النصوص:

ما جاء في هوشع1: **(فقال له الرب أدع اسمه يزرعيل لأنني بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل4 وأبيد مملكة بيت إسرائيل. ويكون في ذلك اليوم أنى أكسر قوس إسرائيل في وادي يزرعيل ثم حلبت أيضاً وولدت بنتاً فقال له أدع اسمها لو رحامة لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضاً بل أنزعه نزعاً6).**

وجاء في إشعيا5: **(لأنشدن عن حبيبي نشيد محب لكرمه1. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة فنقبه ونقى حجارته وغرسه وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً6).**

وما جاء في إرميا19: **(والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمى1. ماذا يصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له، لماذا إذا انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً. فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمى. أنزع سياجه فيصير للرعى. أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم ألا يمطر عليه. إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا، فانتظر حقاً فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ11)**، وفي موضع آخر من إرميا23: **(هكذا قال الرب: أذهب واشتر إبريق فخارى من خزف وخذ من شيوخ الشعب ومن شيوخ الكهنة. واخرج إلى وادي ابن هنوم الذي عند مدخل باب الفخار وناد هناك بالكلمات التي أكلمك بها. وقل اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هأنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من سمع به تطن أذناه. من أجل أنهم تركوني وأنكروا هذا الموضع ونحروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفونها هم ولا آباؤهم ولا ملوك يهوذا وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء وبنو مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل الذي لم أوص ولا تكلمت به ولا صعد على قلبي لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يدعى بعد هذا الموضع توفه ولا وادي ابن هنوم بل وادي القتل. وأنقض مشورة يهوذا وأورشليم في هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعداؤهم وبيد طالبي نفوسهم وأجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض. وأجعل هذه المدينة للدهش والصفير. كل عابر بها يدهش ويصفر من أجل كل ضرباتها. وأطعمهم لحم بنيهم فيأكلون كل واحد لحم صاحبه في الحصار والضيق الذي يضايقهم به أعدائهم وطالبوا نفوسهم. ثم تكسر الإبريق أمام أعين القوم الذي يسيرون معك. وتقول لهم. هكذا قال رب الجنود. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد وفى توفه يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن،.... لذلك هأنذا أنساكم وأرفضكم من أمام وجهى أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآبائكم إياها. وأجعل عليكم عاراً أبدياً لا ينسى39).**

وجاء في متي21: **(اسمعوا مثلاً آخر كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج33 وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمة إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيدة إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. ولذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه، ولما سمع رؤساء الكهنة الفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه عندهم مثل نبي45).**

ـ ويبين الكاتب الأستاذ بشرى زخارى مخائيل أن هذه العودة قد تحققت فعلاً وانتهت، وأن القول بتحقيقها مرة أخرى يخالف طبيعة النبوءة من وجهة النظر النصرانية فيقول: «فالعودة قد تحققت فعلاً، وهي لا يمكن أن تتحقق مرة أخرى؛ لأن هذا يخالف طبيعة النبوءة، ولا تشير أسفار العهد القديم إلى نبوءة تقول بعودة ثانية بعد عودتهم من السبي البابلي؛ وذلك لأسباب أهمها أولاً: لأن كل اليهود الذين رغبوا في العودة إلى الأرض المقدسة عادوا إليها، وفضل الجزء الأكبر منهم البقاء في البلاد التي عاشوا فيها، وكانوا هؤلاء نواة الكنيسة المسيحية فيما بعد. ثانياً : إن آخر أنبياء بني إسرائيل مات قبل خراب أورشليم سنة (70م) بعدة قرون. فمما لا شك فيه إن وعود العهد القديم قد تحققت منذ زمن بعيد في التاريخ، وتمت أيضاً بظهور المسيح»(1).

وإذا كان هذا الوعد صحيحاً بمنحهم هذه الأرض فنحن نتساءل: هل هذا الوعد مطلق أم مشروط ؟، وإذا كان مشروطاً فهل تحققت هذه الشروط؟، أم لم تتحقق؟، وجاء في التثنية6 ذكر

---

(1) المسيحية وإسرائيل: بشرى زخارى ميخائيل. ص15. مطبعة الطلبة. القاهرة (ط1: ب).

لهذه الشروط وهي: **(أحفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها17)**، وقال في موضع آخر6: **(أعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك18)**، وقال أيضاً في التثنية7: **(فأحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعلمها11)**. فهذه النصوص تشرح الشروط وتفصِّل الأسس التي جعلها الرب جوهر (العهد)(1)فهل التزم بنو إسرائيل بها؛ ليستحقوا الوعد؟**!**.

ـ ونبَّه الرئيس الأمريكي الحر بنيامين فرانكين الشعب في المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور عام **(1789م)** بعدما شعر بالخطر اليهودي، ولما لاحظه من الميل الشديد من الطائفة البروتستانتية التدبيرية نحوهم حيث قال: «هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة هذا الخطر هو اليهود، ففي كل أرض يستقرون فيها يحطمون الروح المعنوية، ويقللون قدر الأمانة التجارية يحاولون خنق الأمم مادياً، كما فعلوا في البرتغال، وأسبانيا فإذا لم يتم إبعادهم من الولايات المتحدة بمقتضى الدستور، فإنهم سوف يتدفقون إلى هذه البلاد بأعداد تسمح لهم بحكمنا، وتدميرنا، وتغيير شكل نظامنا الذي سفكنا نحن الأمريكيين دماءنا، وضحينا بأرواحنا، وممتلكاتنا، وحريتنا الشخصية من أجله،...، إنني أحذركم أيها السادة بأنكم إذا لم تبعدوا اليهود إلى الأبد، فإن أطفالكم، وأحفادكم سوف يلعنوكم في قبوركم، إن الفهد لا يستطيع أن يغير البقع التي على جلده»(2)وأرسل قبل وفاته إلى رئيس جامعة يال رسالة قال فيها: «أنا أؤمن بإله واحد خالق الكون الذي يتولاه بعنايته الإلهية، وهو وحده المستحق للعبادة، وأن أفضل ما نقدمه له هو تقديم الخير لعباده الآخرين، كما أؤمن بأن روح الإنسان خالدة، وسوف تعامل بعدل في الحياة الأخرى حسب سلوكها في الحياة الدنيا،...، وأن الدين الذي تركه المسيح هو الأفضل في العالم إلا أن البعض تسببوا في إفساده، وتشكك في إلوهية المسيح إلا أن هذه النقطة لم يعطها مساحة من الأهمية، وإن كان يبدو بوضوح أنه توحيدي المذهب»(3). فلو كان الأمر كما زعمت الصهيونية المسيحية بأنهم شعب الله المختار، وأبناء الله وأحباؤه لما نادى، أو تمكن فرانكلين، أوغيره من طردهم، وإبعادهم من البلاد، ولكان وجودهم سبب كل بركة، وخير لكل أرض تطأها أقدامهم**!!!**.

كما ألف، وقدم دراسات مستوفاة في المسألة العديد من المفكرين، والباحثين الأوربيين ذوي الوعي، والبصيرة للخطر التدبيري على الغرب، والعالم، ومنهم: جبيل كيبل في كتابه: يوم الله بطبعته الأولى عام (1992م)، وديفيد ديوك عضو الكونجرس الأسبق في كتابه الصحوة الصادر عام (2002م)، وكارين أرمسترونج في كتابه: معارك في سبيل الإله طبعة عام (2000م)،...وغيرهم، وجميعهم حذر من خطر الأصولية المسيحية، ومعتقداتها الفكرية المدمرة، وخططها المتهورة، ونصرتها العمياء للصهيونية اليهودية من غير وجه حق، ولومها على تزوير نصوص الكتب المقدسة، والتاريخ، و...في محاولة لإيقاظ الحس العالمي لهذا الخطر الصهيوني.

---

(1) انظر: هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية: محمد أحمد أبو فارس. ص30 : 31. بيت الحكمة. بغداد (ط2: 1995م).

(2) الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الإمبراطورية: ديب علي حسن. ص95. مراجعة: إسماعيل كردي. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2002م).

(3) مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله: عادل المعلم. ص125.

المبحث الثــاني
عرض الأدلة السمعية والنظرية والآثار المثبتة في أشراط الساعة المختلف فيها

أولاً: عرض الأدلة السمعية عند الأصولية الصهيونية اليهودية المعاصرة.
ثانياً: عرض الأدلة السمعية والنظرية عند الأصولية الصهيونية النصرانية المعاصرة.
ثالثاً:عرض الأدلة السمعية عند المسلمين، ونقد أدلة الأصولية اليهودية، والنصرانية في المسائل الآتية:

- عودة اليهود لفلسطين كمؤشر لعلامات الساعة.
- بناء هيكل سليمان الثالث.
- نزول المسيح.
- معركة هرمجدون.
- الحكم الألفي بعد نزول المسيح.

أولاً: الأدلة السمعية عند الأصولية الصهيونية اليهودية المعاصرة:

عقيدة نهاية العالم من العقائد اليهودية الأساسية التي يعول عليها اليهود نصرة الرب لهم آخر الزمان، ويستدلون على ذلك بماورد في أشعيا11: **(ومن ذلك اليوم يعود السيد فيمد يده؛ ليحوز بقيه شعبه من بقى منهم من أشور، ومصر، وفارس، وكوش، وعيلام، وسنعار، وحماة، وجزائر البحر، وينصب راية للأمم، ويجمع المنفيين من إسرائيل، ويضم المشتتين من يهوذا من أطراف الأرض2).**

وبالاطلاع على بعض ما تيسر من كتبهم القديمة؛ للاستدلال على عقيدة نهاية العالم لم نجد لها إشارة مجملة، أو مفصلة، كما أن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون (ت: 603هـ-1205م)، في كتابه الموسوم بدلائل الحائرين اعتبر أن الحديث عن قصة الأمر، أي: نهاية الخلق بما تحمله من أحداث من الأمور التي تحيطها المحاذير الشرعية للتصريح بها، وقام بشرح مفردات الرواية الواردة في المسألة في كتابه المذكور بناءً على خلفياته الشخصية لا من خلال قراءته في الكتب المعنية بالموضوع، أو أي إلهامات إلهية، إلا أنها كتابات لا ترتقي للاستناد عليها كتقرير للنظريات القديمة، أو المعاصرة الخاصة بنهاية العالم عند اليهود؛ لاعتبارها شرح المفردات الصعبة بمفردات مثيلة(1)، أما كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة(2) الذي عاش في القرن السابع الهجري لا يعرج على عقيدة نهاية العالم، والرؤى الواردة بشأنها، أو النقد الموجه إزاءها كونها من العقائد الشائكة منذ بعثة عيسىυ، وتعنت اليهود معه؛ لرفضه تتويجه ملكاً عليهم.

وقد انفردت كتب المعاصرين بما حوت من أضاليل، وإضافات لم تكن تشملها كتب الأولين

---

(1) عرض في مؤلفه دلائل الحائرين الفصل 48 من الجزء الثالث إلى تفسيرات مبسطة لرمزية (سفر الرؤيا)، حيث ذكر في مقدمة الفصل أن عرض تفصيلاتها كما جاءت من المحاذير الدينية الشرعية يقول: "قد بينا مرات أن معظم الغرض كان في هذه المقالة تبيين ما يمكن تبيينه من قصة الخلق وقصة الأمر، بحسب الذي ألفت له هذه المقالة، وقد بينا أن الأشياء من جملة غوامض التوراة، وقد علمت إنكارهم عليهم السلام على من يكشف غواض التوراة، وقد بينوا عليهم السلام أن أجر الذي يخفي غوامض التوراة التي هي بينة واضحة لأهل النظر عظيم جداً: " لأن تجارتها تكون للساكنين أمام الرب ليأكلوا ويشبعوا، ويلبسوا الرياش، قالوا لمن الذي ستر الأشياء التي أوحيت من القديم السرمدي، فأفهم قدر ما أرشدوا إليه إن كنت ممن يفهم، وقد بينوا غموض قصة المر، وغرابته عن اذهان الجمهور. وتبين أن ولو القدر الذي يتبين منه لمن فتح عليه بفهمه، قد منع منعاً شرعياً من تعليمه، وتفهيمه الاشفاها للواحد الموصوف، ولا يذكر له أيضاً إلا رؤوس الفواصل، وهذا هو السبب في انقطاع علم ذلك من الملة جملة، حتى لا يوجد منه قليل ولا كثير، وحق له أن يفعل به هكذا لأنه لم يبرح متنقلاً من صدر إلى صدر، ولم يوضع قط في كتاب، وإذا كان هذا هكذا، فكيف لي حيلة في النبيه لك على ما عساه أن ظهر وتبين لي واتضح بلا شك عندي في مافهمته من ذلك، أما تركي أن أضع شيئاً مما ظهر لي حتى يكون تلافه بتلافي الذي لابد منه، فأني رأيت أن ذلك جبنا عظيما في حقك، وحق كل متحير، وكأنه غضب الحق لمستحقه، أو حسد الوارث على أرثه، وكلا هذين خلق مذموم" ويستطرد قوله: "وأما التصريح بذلك فقد تقدم ما فيه الكفاية من النهي الشرعي مضافا لما يقتضيه الرأي مضافا إلى كوني أيضا في ما وقع لي من ذلك ذا حدس وتخمين، ولا أتاني به وحي إلهي يعلمني الأمر هكذا قصد به، ولا تلقنت ما اعتقده في ذلك عن معلم، بل دلتني النصوص من الكتب النبوية، وكلام الحكماء مع ما عندي من مقدمات نظرية أن الأمر هكذا، بلا شك عندي، ويمكن أن يكون الأمر بخلافه، ويكون المقصود من شيء آخر، وقد حركتني الفكرة المسددة، والمعونة الإلهية في ذلك لحال أصفها" (انظر: ج3. ص459: 460).

(2) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام: سعد بن منصور بن كمونة. ص27. دار الأنصار. بيروت (ط ب).

من مثل عقيدة الشعب المختار، وأرض المعاد، وبناء الهيكل الثالث، وحكم العالم الألفي السعيد،...، وخلافه، فمن أين جاءت هذه الأفكار في الكتب المتأخرة إذاً ؟. لا شك أنها جاءت من خلال سماح الأصولية التدبيرية للصهيونية باختراق العقائد النصرانية من داخل الكنيسة؛ لتحريفها بما يتناسب مع أهدافها، وخططها، وتطلعاتها، وأياً كان نوع الاختراق، ودواعيه فإن المصدر التشريعي؛ لتقرير دقائق نهاية العالم، وتفصيلاته للأصوليتين يعتمد على رؤيا دانيال، وحزقيال الواردة في التوراة، ويوحنا من الإنجيل، وهي بمثابة الأدلة السمعية المعتمدة مع الاختلاف البيّن في تفسيراتها بين الماضي، والحاضر نوردها نصاً كما جاءت في أسفارهما على النحو الآتي:

الرؤيا الأولى: رؤيا دانيال:

في السَّنةِ الأولى مِنْ عَهدِ بَلشصَّرَ مَلِكِ بابلَ، حَلُمَ دانيالُ11 حُلُمًا رَآهُ في مَنامِهِ وهوَ على فِراشِهِ، فكتَبَ الحُلُمَ وأخبَرَ بخُلاصَتِهِ قال: (رَأيتُ في مَنامي ليلاً، فإذا برياحِ السَّماءِ الأربَعِ اَجتاحَتِ البحرَ الكبيرَ، فطَلَعَ مِنَ البحرِ أربعَةُ حيواناتٍ عظيمَةٍ يَختَلفُ بَعضُها عَنِ البَعضِ الآخرِ. الأوَّلُ مِثلُ الأسدِ ولَه جناحا نَسْرٍ. وبَينَما كُنتُ أنظُرُ إليهِ اَقتُلِعَ جناحاهُ، ثُمَ اَرْتَفَعَ عَلى الأرضِ وقامَ على رِجلَيهِ كإنسانٍ، وأُعطِيَ قَلبَ إنسانٍ. وإذا بِحيوانٍ آخَرَ شَبيهٍ بالدُبِّ، فقامَ على جَنبٍ واحدٍ وفي فَمِهِ ثَلاثُ أضلُعٍ بَينَ أسنانِهِ فقِيلَ لَه: قُمْ فكُلْ لَحمًا كثيرًا. وبَعدَ ذلَكَ رَأيتُ فإذا بآخَرَ مِثلَ النَّمِرِ، ولَه أربعَةُ أجنِحَةٍ، طَائِرٌ على ظَهرِهِ. وكانَ لِلحيوانِ أربعَةُ رُؤوسٍ وأُعطِيَ سُلطانًا14...)(1).

الرؤيا الثانية: رؤيا الكبش والتيس:

في السَّنةِ الثَّالثةِ مِنْ عَهدِ بَلشصَّرَ المَلِك رَأيتُ، أنا دانيالُ12، رُؤيا بَعدَ الرُّؤيا التي ظَهَرَت لي في البَداءَةِ. فرَأيتُ في رُؤيايَ: (أنّي في شُوشانَ العاصمَةِ التي بإقليمِ عيلامَ، وكُنتُ واقِفًا على نهرِ أولايَ. ورفَعْتُ عينيَ ونظَرْتُ فإذا بكَبْشٍ واقفٍ عِندَ النَّهرِ ولَه قَرْنانِ عاليانِ، أحدُهُما أعلى مِنَ الآخرِ، والأعلى نبتَ بَعدَهُ. ورأيتُ الكَبْشَ يَنطَحُ نَحوَ الغربِ والشَّمالِ والجَنوبِ، فما وقَفَ أمامَهُ حيوانٌ ولا كانَ مُنقذٌ مِنْ يدِهِ فعَمِلَ ما يُرضيهِ وصارَ عظيمًا15...).

صلاة دانيال13: **(في السَّنَةِ الأولى مِنْ عَهدِ داريوسَ بن أحشَويروشَ، مِنْ نَسلِ الماداييِّنَ، الذي أُقيمَ مَلِكًا على مَملَكةِ بابِلَ، تَبيَّنْتُ، أنا دانيالُ، مِن قراءَةِ الأسفارِ عدَدَ السِّنينِ التي قالَ الرَّبُّ لأرميا النَّبيِّ إنَّها ستَنقَضي على خرابِ أُورُشليمَ، وهيَ سَبعونَ سنَةً. فتَطَلَّعْتُ إلى السَّيِّدِ الإلهِ طالبًا بالصَّلاةِ والتضرُّعاتِ وبالصَّومِ والمِسْحِ والرَّمادِ. صلَّيتُ إلى الرّبِّ إلهي واَعتَرَفْتُ فقُلتُ: أيُّها السَّيِّدُ الإلهُ العظيمُ الرَّهيبُ، حافظُ العَهدِ والرَّحمَةِ للَّذينَ يُحبُّونَكَ ويعمَلونَ بوَصاياكَ، إنَّنا خطِئنا وأثِمْنا وفعَلْنا الشَّرَ وتمَرَّدْنا وزُغْنا عَنْ وَصاياكَ وأحكامِكَ، وما سَمِعْنا لعَبيدِكَ الأنبياءِ الذينَ كلَّموا باَسْمِكَ مُلوكَنا ورُؤساءَنا وآباءَنا وجميعَ شعبِ أرضِنا. لكَ أيُّها السَّيِّدُ الحَقُّ في ما فعَلتَ، ولنا سَوادُ الوجهِ كما في هذا اليومِ، نحنُ رِجالَ يَهوذا وسُكَّانَ أُورُشليمَ وجميعَ شعبِ إسرائيلَ، القريبينَ مِنهُم والبعيدينَ، في جميعِ البُلدانِ التي طرَدْتَهم إليها لخيانَتِهم لكَ. فلنا أيُّها السَّيِّدُ سوادُ الوجهِ، ولِمُلوكِنا ورُؤسائِنا وآبائِنا، لأنَّنا خطِئنا إليكَ، ولكَ أيُّها السَّيِّدُ إلهَنا الرَّحمَةُ والسَّماحُ لأنَّنا تمَرَّدْنا عليكَ، ولم نسمَعْ لِصوتِكَ أيُّها الرّبُّ إلهَنا، فنَسلُكَ في شَرائِعكَ التي وضَعْتَها أمام عُيونِنا بأيدي عبيدِكَ الأنبياءِ. فتَعَدَّى جميعُ شعبِ إسرائيلَ شريعَتَكَ، وزاغُوا غيرَ سامِعينَ لصوتِكَ، فاَنْصَبَّتْ علَينا اللَّعنَةُ المَكتوبَةُ في شريعَةِ موسى عَبدِكَ، لأنَّنا خطِئنا إليكَ. فحقَّقْتَ كلامَكَ الذي تكلَّمْتَ بهِ علَينا وعلى قُضاتِنا الذينَ قَضَوا بَينَنا، جالِبًا علَينا سُوءًا عظيمًا بحَيثُ أنَّ الذي حدَثَ في أُورُشليمَ لم يَحدُثْ مثلُهُ تَحتَ السَّماءِ كُلِّها. وكما كُتِبَ في شَريعَةِ موسى، حَلَ علَينا جميعُ هذا السُّوءِ مِنْ دُونِ أنْ نَستَعطِفَ وجهَكَ أيُّها الرّبُّ إلهَنا تائِبينَ عَنْ آثامِنا، مُدرِكينَ حقَّكَ. فأمْعَنْتَ أيُّها الرّبُّ في السُّوءِ، وجلَبْتَهُ علَينا، لأنَّكَ أيُّها الرّبُّ إلهَنا عادِلٌ في جميعِ أعمالِكَ التي عَمِلْتَها، ونحنُ ما سَمِعْنا لصَوتِكَ. والآنَ أيُّها السَّيِّدُ إلهَنا أنتَ أخرَجتَ شعبَكَ مِنْ أرضِ مصرَ بيَدٍ قديرَةٍ، وأقَمْتَ لنَفسِكَ إسمًا كما في هذا اليومِ، وأمَّا نحنُ فخطِئنا وفعَلْنا الشَّرَ. ويا أيُّها السَّيِّدُ، كَما كُنتَ عادلاً في كُلِّ أعمالِكَ عُدْ عَنْ شِدَّةِ غضَبِكَ على مدينَتِكَ أُورُشليمَ، جبَلِكَ المُقَدَّسِ، فلأجلِ خطايانا وآثامِ آبائِنا صارَ جميعُ الذينَ حَولَنا يُعَيِّرونَ أُورُشليمَ وشعبَكَ. فالآنَ إسْمَعْ أيُّها السَّيِّدُ إلهَنا صلاةَ عبدِكَ وتَضَرُّعاتِهِ واَنظُرْ بِعينِ الرِّضى إلى مَقْدَسِكَ الخرِبِ، وذلِكَ لأجلِكَ أيُّها السَّيِّدُ. أمِلْ أُذُنَكَ يا إلهي واَسْمَعْ. إفتَحْ عَينَيْكَ واَنظُرْ خرائِبَنا والمدينةَ التي دُعِيَ إسْمُكَ علَيها. ونَحنُ لا نُلقي تَضَرُّعاتِنا أمامَكَ لأنَّنا صالِحونَ، بل لأنَّكَ كَثيرُ الرَّحمَةِ. أيُّها السَّيِّدُ إسْمَعْ...أيُّها السَّيِّدُ أصغِ وافعَلْ.. وذلِكَ لأجلِكَ يا إلهي، لأنَّ إسْمَكَ دُعِيَ على مدينتِكَ وعلى شعبِكَ14).**

تفسير النبوءة:

رأى دانيال**14 جبريل يفسر النبوءة: (وبَينَما كُنتُ أتكلَّمُ وأُصلِّي وأعتَرِفُ بِخطيئَتي وخطيئَةِ شعبي، وأُلقي تَضَرُّعاتي أمامَ الرّبِّ لأجلِ جبَلِهِ المُقَدَّسِ، إذا بالرَّجلِ جبرائيلَ الذي رَأيتُهُ في بَداءَةَ**

(1) سبق ذكرها مفصلة بالباب الأول الفصل الرابع.

الرُّؤيا، طارَ سَرِيعًا ولمَسَنِي في وقتِ تَقريبِ التَّقدِمَةِ للهِ عندَ المساءِ، وقالَ لي مُوضحًا: خرَجتُ الآنَ يا دانيالُ لأجعَلَكَ تُدرِكُ الرُّؤيا وتَفهَمُها. مُنذُ بَداءَةِ تَضرُّعاتِكَ اَستَجابَ اللهُ لكَ، وجِئتُ أنا لأخبِرَكَ الجوابَ لأنَّكَ مَحبوبٌ مِن اللهِ. فتأمَّلْ وافهَمِ الجوابَ على الرُّؤيا. حدَّدَ اللهُ سَبعينَ مرَّةً سَبْعَ سنَواتٍ على شعبِكَ وعلى مدينتِكَ المُقدَّسَةِ للقضاءِ على المَعصِيَةِ وإنهاءِ الخطيئَةِ، وتكفيرِ الإثمِ وإحلالِ الحَقِّ الأبديِّ، وتمامِ الرُّؤيا والنُّبوءَةِ وإعادَةِ تكريسِ قُدْسِ الأقداسِ. فاعلَمْ وافهَمْ أنَّهُ مِنْ صُدورِ الأمرِ بإعادَةِ بِناءِ أورُشليمَ إلى مَجيءِ الرَّئيسِ الذي مسَحْتَهُ إثنانِ وستُّونَ أسبوعًا، فتَعودُ تُبْنى ساحَةُ المدينةِ وسورُها، ولكنْ في وقتٍ يكونُ فيهِ ضِيقٌ. وبَعدَ اثنَينِ وستِّينَ أسبوعًا يُقتَلُ المُختارُ الذي مسَحْتَهُ ولا مَنْ يُدافِعُ عنهُ، ويأتي رئيسٌ بجيشِهِ فيُخرِّبُ المدينةَ والمَقدِسَ. وكما بالطُّوفانِ يقضي عليهِما، فيَحينُ الحربُ والخرابُ اللَّذانِ قضى اللهُ بهِما. وفي أسبوعٍ واحدٍ يقطَعُ هذا الرَّئيسُ لِكثيرينَ مِنَ النَّاسِ عَهدًا ثابتًا، وفي نِصفِ الأسبوعِ يُبطِلُ الذَّبيحَةَ والتَّقدِمةَ وفي الهَيكلِ ترتَفِعُ رَجاسةُ الخرابِ وتَبقى هُناكَ إلى أنْ يَنْصَبَ غضَبُ اللهِ على الذي رَفَعَها).

الرؤيا الثالثة: رؤيا دانيال1:

يقول: في السَّنةِ الثَّالثةِ مِنْ عَهدِ كورَشَ مَلِك فارِسَ كُشِفَتْ كَلِمَةٌ لِدانيالَ المُسمَّى بَلطَشاصَّرَ، والكَلِمَةُ حَقٌّ وفَهمُها في مُنتَهى الصُّعوبَةِ، وكانَ فَهمُه لها في الرُّؤيا. في تلكَ الأيّامِ، أنا دانيالُ، نُحتُ ثَلاثةَ أسابيعَ لا آكلُ طَعامًا شَهيًا، ولا يَدخُلُ فمي لَحْمٌ ولا خمرٌ، ولا أتَطيَّبُ بطِيبٍ إلى أنْ تَمَّتِ الأسابيعُ الثَّلاثةُ. وفي اليومِ الرَّابِعِ والعِشرينَ مِنَ الشَّهرِ الأوَّلِ كُنتُ على جانِبِ النَّهرِ العظيمِ الذي هوَ دِجلَةُ، فرَفَعْتُ عيني ورَأيتُ فإذا بِرَجلٍ لابسٍ كَتَّانًا، وعلى حقَوَيهِ حِزامٌ مِنْ ذهَبِ أوفارَ، وجِسمُهُ كالزَّبَرْجَدِ ووجهُهُ كمَرْأى البَرْقِ، وعيناهُ كمشعَلَي نارٍ، وذِراعاهُ ورِجلاهُ كمَنظَرِ النُّحاسِ الصَّقيلِ، وصوتُ أقوالِهِ كصوتِ جمهورٍ. فرأيتُ الرُّؤيا، أنا دانيالُ وحدي، والرِّجالُ الذينَ كانوا معي لم يَروا الرُّؤيا، ولكنْ وقعَت عليهِم رِعْدَةٌ عظيمَةٌ فهَربوا مُختَبئينَ. فبَقيتُ أنا وحدي أرى هذهِ الرُّؤيا العظيمَةَ، فلَم تَبْقَ فيَ قوَّةٌ، وتحوَّلَت نَضارَتي فيَ إلى ذُبولٍ، وفقَدْتُ كُلَ عَزمٍ. ولمَّا سَمِعْتُ صوتَ أقوالِهِ وقَعْتُ على وجهي في نومٍ عميقٍ، ووجهي مُلتَصِقٌ بالأرضِ. فإذا بِيَدٍ لَمَسَتْني وأقامَتْني على رُكبَتَيَ وعلى كَفَّيْ يَدَيَ. وقالَ لي: يَا دانيالُ، أيُّها الرَّجلُ المحبوبُ، افهَمِ الأقوالَ التي أُكلِّمُكَ بِها، وانتَصِبْ واقفًا، فالآنَ أُرسِلْتُ إليكَ. فعندَما كلَّمَني بِهذا الكلامِ وقَفْتُ مُرتَعِدًا. فقالَ لي: لا تخفْ يا دانيالُ، فمِنْ أوَّلِ يومٍ وجهْتَ فيهِ قلبَكَ للفَهْمِ ولإذلالِ نفسِكَ أمامَ إلهِكَ، سَمِعَ اللهُ كلامَكَ وجِئتُ أنا لأجلِ ذلكَ. ووقَفَ في وجهي رئيسُ مَملَكَةِ فارِسَ واحدًا وعِشرينَ يومًا، فجاءَ لِنصرَتي ميخائيلُ رئيسُ رُؤساءِ الملائكةِ، فلم أُبطِئْ هُناكَ في مَملكَةِ فارِسَ، وإنَّما جئتُ لأُبيِّنَ لكَ ما يَحدُثُ لِشعبِكَ في الأيّامِ الآتيَةِ، لأنَّ الرُّؤيا هيَ لِتلكَ الأيّامِ. وبَينَما هوَ يتكلَّمُ معي بمِثلِ هذا الكلامِ جعلْتُ وجهي إلى الأرضِ مُتألِّمًا، فإذا بِشبهِ إنسانٍ لمَسَ شفَتَيَ، ففتَحْتُ فمي وتكلَّمْتُ وقُلْتُ للواقِفِ أمامي يا سيِّدي إنَّهُ مِنَ الرُّؤيا قدِ إنقَلَبَ ما في داخلي ولم يَعُدْ لي عَزْمٌ، فكيفَ أقدِرُ، أنا عبدُكَ يا سيِّدي، أنْ أُكلِّمَكَ وما بقيَ فيَ نسمَةٌ؟» «فعادَ الذي يُشبِهُ هيئَةَ إنسانٍ فلَمَسَني وقَوَّاني. وقالَ: لا تخفْ أيُّها الرَّجلُ المحبوبُ، سلامٌ عليكَ. تقَوَ وتشَدَّدْ. ولمَّا كلَّمَني تَقَوَّيتُ وقلتُ: تكلَّمْ يا سيّدي لأنَّكَ قوَّيتَني. فقالَ: سأرجِعُ لأحارِبَ رئيسَ مَملكَةِ فارسَ، وبعدَ ذهابي يَجيءُ رئيسُ اليونانِ. والآنَ أعلَمْتَ لماذا جئتُ إليكَ؟ جئتُ لأُخبِرَكَ بما هوَ مَرسومٌ في كتابِ الحقِّ، ولا أحدَ يُساعِدُني على تَحقيقِهِ إلاَ ميخائيلُ رئيسُ رُؤساءِ الملائكةِ فمُنذُ السَّنةِ الأولى مِنْ عَهدِ داريوسَ المادايَّ وميخائيلُ يَقِفُ معي ليُقوِّيني ويُعزِّزَني. والآنَ أُخبرُكَ بما هوَ حَق: ها إنَّ ثَلاثةَ مُلوكٍ يَقومونَ مِن بعدُ في فارِسَ، والرَّابعُ يكونُ أوفرَ غِنى منهُم جميعًا، وعِندَما يتقوَّى بِغِناهُ يُثيرُ جميعَ النَّاسِ على مَملَكةِ اليونانِ. ويقومُ مَلِكٌ جبَّارٌ يتَسلَّطُ ويكونُ سُلطانًا عظيمًا ويفعَلُ ما يشاءُ. ومتى قامَ تَنكسِرُ مَملكَتُهُ وتَنقسِمُ إلى أربَعِ جِهاتِ السَّماءِ، ولا تكونُ لِنسلِهِ ولا في مِثلِ سُلطانِهِ، لأنَّ مَملكَتَهُ تُمزَّقُ ويتَقاسَمُها غَيرُ أولئكَ أيضًا. «ويتقوَّى مَلِكُ الجنوبِ، لكنَّ أحدَ قُوَّادِهِ يَقوَى عليهِ ويتَسلَّطُ ويكونُ سُلطانُهُ عظيمًا. وبَعدَ سِنينَ يتحالفانِ وتَجيءُ بِنتُ مَلِكِ الجنوبِ إلى مَلِكِ الشَّمالِ لِعَقْدِ الصُّلحِ، ولكنَّها لا تَملِكُ قُوَّةَ الذِّراعِ ولا يَدومُ نسلُها، وتُسلَّمُ إلى الهَلاكِ، هيَ والذينَ جاؤوا بِها وولَدُها ووالِداها. وفي تلكَ الأوقاتِ يقومُ فَرْعٌ مِنْ أصولِها ويزحَفُ بِجيشٍ، ويدخُلُ حِصْنَ مَلِكِ الشَّمالِ، ويَقسو عليهِم ويَقهَرُهُم، ويَسبي آلهتَهُم إلى مِصرَ معَ مَسبوكاتِهِم وآنيَتِهِمِ الثَّمينَةِ مِنَ الفضَّةِ والذَّهبِ. وبَعدَ سِنينَ مِنَ السَّيطرَةِ على مَلِكِ الشَّمالِ يزحَفُ مَلِكُ الشَّمالِ على مَملكَةِ مَلِكِ الجنوبِ، ولكنَّهُ يَرجِعُ خائبًا إلى بِلادِهِ. «ويَجرُؤُ ابْنَا مَلِكِ الشَّمالِ ويَجمَعانِ جيشًا كبيرًا جدًا، ويزحَفُ أحدُهُما كالسَّيلِ ويعبُرُ البحرَ، ويهجُمُ مُسرِعًا على حِصْنِ مَلِكِ الجنوبِ. فيغضَبُ مَلِكُ الجنوبِ ويخرُجُ ويُحارِبُ مَلِكَ الشَّمالِ ويَصُدُّ جيشَهُ الكبيرَ عليهِ. ويتَكبَّرُ جدًا ويَنتَفِخُ قلبُهُ ويَصرَعُ عشَراتِ الألوفِ، ولكنَّهُ لا يَغزو مَملَكَةَ الشَّمالِ. فيَرجِعُ مَلِكُ الشَّمالِ ويُقيمُ جيشًا أكبرَ مِنَ الجيشِ الأوَّلِ، وبَعدَ عِدَّةِ سِنينَ يزحَفُ بِجيشٍ عظيمٍ وعتادٍ كثيرٍ. وفي تلكَ الأثناءِ يقومُ كثيرونَ مِنَ النَّاسِ على مَلِكِ الجنوبِ. وينهَضُ رِجالٌ أشِدَّاءُ مِنْ شعبِكَ لِتَحقيقِ الرُّؤيا فيَعثُرونَ. ويَجيءُ مَلِكُ الشَّمالِ ويرفَعُ مِترَسَةً ويأخُذُ مدينةً حَصينَةً، فلا تَقِفُ أمامَهُ قُوَى الجنوبِ ولا حتى خيرةُ أبطالِهِ، لأنَّ لا قوَّةَ لهم على المُقاومَةِ. فيفعَلُ مَلِكُ الشَّمالِ

بشعبِ الجنوبِ كيفَ يَشاءُ، ولا أحدَ يَقِفُ في وجهِه، ويقومُ في الأرضِ المَجيدَةِ فتَصيرُ كُلُّها تَحتَ يدِهِ. ويتوَجهُ مَلِكُ الشَّمالِ بكاملِ قوى مَملكَتِه إلى أرضِ عَدُوِّهِ، فيُصالِحُهُ ويُعطيهِ ابْنَتَهُ وفي نيَّتِه أنْ يُفسِدَ مَملَكَتَهُ، ولكنَّ ذلكَ لا يَثبُتُ ولا يكونُ لَه ما أرادَ. ويصرِفُ وجهَهُ إلى مَناطِقِ السَّاحِلِ ويأخذُ كثيرًا مِنها، ولكنَّ أحدَ القادَةِ يَقهَرُهُ ويَضَعُ حَدًا لِتَكبُّرِه، بل يَرُدُّ تَكبُّرَهُ عليهِ. ويصرِفُ وجهَهُ إلى حُصونِ أرضِهِ، ولكنَّهُ يعثُرُ ويسقُطُ ولا يَبقى لَه أثَرٌ. ويقومُ مكانَهُ مَنْ يُرسِلُ جابيًا فيَسلُبُ مَجدَ المَملَكَةِ، وفي أيّامٍ قليلَةٍ يَنكَسِرُ لا في علانيَّةٍ ولا في قِتالٍ. ويقومُ مكانَهُ رَجلٌ مَنبُوذٌ لا يَصلُحُ لِلمُلْكِ، لكنَّهُ يأتي في أمانٍ ويقبضُ على زِمامِ المُلْكِ بالحِيلَةِ. ويَجتاحُ الجيوشَ أمامَه اجتياحًا وتنكسِرُ، ويَقتُلُ رئيسَ شعبَ العَهدِ. وما إنْ يَعقُدُ حلفًا حتى يَمكُرَ بحَليفِه، ويَعلو ويَعظُمُ بأُمَّةٍ قليلَةٍ. ويَغزُو أغنى الأقاليمِ في أمانٍ ويفعَلُ ما لم يفعَلْهُ آباؤُه ولا آباءُ آبائِه. فيُوَزِّعُ على أتباعِه الأسلابَ والغَنائِمَ والأموالَ، ويَحسِبُ حِسابًا لِمُهاجمَةِ الحُصونِ، ولكنْ إلى حينٍ. ويستَنهِضُ قُوَّتَهُ وهِمَّتَهُ ويُهاجِمُ مَلِكَ الجنوبِ بجيشٍ عظيمٍ. فيُسرِعُ مَلِكُ الجنوبِ إلى مُقاتَلَتِه بجيشٍ عظيمٍ قويٍّ جِدًا، لكنَّهُ لا يَثبُتُ لأنَّ مَلِكَ الشَّمالِ حسَبَ لَه حِسابًا. والذينَ يأكُلونَ طَعامَهُ حتى التخمَةِ يَخونونَه، فيَنكَسِرُ جيشُه ويسقُطُ قَتلَى كثيرونَ. أمَّا هذانِ المَلِكانِ فقَلبُهُما يُضمِرُ السُّوءَ، فيَتَكَلَّمانِ بالكَذِبِ وهُما على مائدَةٍ واحدَةٍ. على أنَّهُما لا يَنجحانِ، ونهايَتُهُما لا بُدَ أنْ تأتيَ في حينِها. فيَرجِعُ مَلِكُ الشَّمالِ إلى أرضِه بثَروَةٍ عظيمةٍ، وفي قلبِه نيَّةٌ سَيِّئَةٌ على شعبِ العَهدِ المُقدَّسِ. فيَفعَلُ ما يشاءُ ويرجِعُ إلى أرضِه. وفي الوقتِ المُعيَّنِ يَعودُ مَلِكُ الشَّمالِ ويَدخُلُ الجنوبَ، ولكنْ لا تكونُ الحالُ كما كانَت عليهِ مِنْ قَبلُ، لأنَّ سُفُنًا مِنْ كِتِّيمَ تأتي وتُهاجِمُهُ، فيَجبُنُ ويرجِعُ ساخطًا على شعبِ العَهدِ المُقدَّسِ ويفعَلُ ما يشاءُ. ثمَ يتَعَرَّضُ عندَ رُجوعِه إلى الذينَ تركوا العَهدَ المُقدَّسَ. ويقومُ مِنْ جنودِه مَنْ يُحلِّلُ تَدنيسَ الحِصْنِ المُقدَّسِ، ويُزيلُ المُحرقَةَ الدَّائمَةَ، ويُقيمُ رَجاسةَ الخرابِ، ويَجعَلُ الأشرارَ يَميلونَ عَنِ العَهدِ، بأضاليلِه، لكنَّ الشَّعبَ الذينَ يعرِفونَ إلهَهُم يَتَشَدَّدونَ في مُعامَلَتِه. والعُقلاءُ مِنَ الشَّعبِ يُبيِّنونَ الأمرَ لِلكثيرينَ، ولكنَّهُم يسقُطونَ تَحتَ السَّيفِ واللَّهيبِ والسَّبْيِ والنَّهْبِ، لكنْ إلى حينٍ، وعندَ سُقوطِهِم يَنالونَ قليلاً مِنَ العَونِ، ويُنكِرُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ عليهِم حَقَّهُم ويَحتالونَ عليهِم. فيَسقُطُ بعضُ العُقلاءِ ويكونُ سُقوطُهُم سَبَبًا لِتَمحيصِ الشَّعبِ وتنقيَتِه وتطهيرِه إلى أنْ يَحينَ الوقتُ الذي حَدَّدَهُ اللهُ. ويفعَلُ المَلِكُ كيفَ يشاءُ، ويتَرَفَّعُ ويتَعاظَمُ على كُلِّ إلهٍ. ويَتكلَّمُ الأباطيلَ على إلهِ الآلهةِ، وينجحُ إلى أنْ يَحينَ وقتُ السُّخطِ، فيعمَلُ اللهُ عملَهُ. ولا يعترِفُ المَلِكُ بآلِهَةِ آبائِهم، ولا بالإلهِ الذي تُحبُّهُ النِّساءُ، ولا بإلهٍ مِنَ الآلهةِ، لأنَّهُ يتَعاظَمُ على الجميعِ. ولكنَّهُ يُكرِمُ إلهَ الحُصونِ الذي ما عرَفَهُ آباؤُهُ، يُكرِّمُهُ بالذَّهبِ والفِضَّةِ والحجرِ الكريمِ والنَّفائسِ. ويعمَلُ على تحصينِ حُصونِه بهذا الإلهِ الغريبِ، والذينَ يقبَلونَه يَزيدُهُم مَجدًا، ويُسلِّطُهُم على كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، ويقسِمُ الأراضيَ مُكافأةً لهُم. ومتى حانَ الوقتُ يُحارِبُهُ مَلِكُ الجنوبِ، فيُسرِعُ إليهِ مَلِكُ الشَّمالِ بمَركباتٍ وفُرسانٍ وسُفُنٍ كثيرةٍ ويدخُلُ الأراضيَ ويجتاحُها ويعبُرُها، ويدخُلُ الأرضَ المَجيدَةَ فتَسقُطُ مُدُنٌ كثيرةٌ وتَنجو هذهِ مِنْ يدِهِ: أدُومُ ومُوآبُ وما تبقَّى مِنْ أرضِ بَني عَمُّونَ. ويَمُدُّ يدَهُ على جميعِ البُلدانِ وأرضُ مصْرَ لا تَنجو. ويستَولي على كُنوزِ الذَّهبِ والفِضَّةِ وعلى جميعِ نَفائسِ مِصْرَ، وَفي طريقِه يَنضَمُّ إليهِ اللِّيبيُّونَ والكُوشيُّونَ. وتُفزِعُهُ أخبارٌ مِنَ الشَّرقِ والشَّمالِ، فيَخرجِ بغضَبٍ شديدٍ لِيُدَمِّرَ ويقتُلَ كثيرًا مِنَ النَّاسِ. ويَنصُبُ مُعَسكرَهُ المَلَكيَ بينَ البحرِ وجبَلِ القُدسِ المَجيدِ، ويبلُغُ حَدَّهُ ولا نَصيرَ لَهُ).

رؤيا آخر الأيام لدانيال13: (وفي ذلكَ الزَّمانِ يَنهَضُ ميخائيلُ، رئيسُ المَلائكةِ العظيمُ الذي يعتَمِدُ عليهِ بَنو شعبِكَ، ويكونُ وقتُ ضِيقٍ لا مَثيلَ لَه مُنذُ كانَتِ الأمَمُ إلى ذلكَ الزَّمانِ. ولكنْ في ذلكَ الزَّمانِ يَنجو مِنْ شعبِكَ كُلُّ مَنْ يُوجَدُ إسْمُهُ مكتُوبًا في الكِتابِ، وكثيرٌ مِنَ الرَّاقِدينَ في تُرابِ الأرضِ يستَيقِظونَ بَعضُهُم للحياةِ الأبديَّةِ وبَعضُهُم للعارِ والذُّعْرِ الأبديّ. ويُضيءُ العُقلاءُ كضياءِ الأفلاكِ في السَّماءِ، والذينَ هَدُوا كثيرًا مِنَ النَّاسِ إلى الحقِّ يُضيئونَ كالكَواكبِ إلى الدَّهرِ والأبدِ. وأنتَ يا دانيالُ، أغلِقِ الكتابَ واختُمْهُ إلى آخرِ الأيّامِ وإلى أنْ يَحينَ الوقتُ، يَشُطُّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ ويزدادُ السُّوءُ. ورَأيتُ أنا دانيالُ، فإذا باثنَينِ آخرَينِ واقفانِ، أحدُهُما مِنْ هُنا والآخرُ مِنْ هُناكَ على شاطئِ النَّهرِ6فقُلتُ للرَّجلِ اللابِسِ الكتَّانَ الواقفِ على مياهِ النَّهرِ: متى تنقَضي العَجائبُ؟ فسَمِعْتُهُ يقولُ وهوَ يرفَعُ يُمناهُ ويُسراهُ إلى السَّماءِ ويَحلِفُ بالحَيِّ إلى الأبدِ إلى ثَلاثِ سِنينَ ونِصفِ السَّنَةِ، فإذا تَمَ تَشتيتُ قوى الشَّعبِ المُقدَّسِ تَتَمُّ هذهِ كُلُّها. سَمِعْتُ ذلكَ ولم أفهَمْهُ، فقُلتُ: يا سيِّدي ماذا تكونُ آخرَةُ هذا كُلِّه؟ فقالَ: إذهَبْ يا دانيالُ فالأقوالُ مُغلَقَةٌ ومَختُومَةٌ إلى أنْ يَحينَ الوقتُ. كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يتَنَقَّونَ ويتَطَهَّرونَ ويُمَحَّصونَ، والأشرارُ يفعَلونَ الشَّرَ ولا أحدَ منهُم يفهَمُ، أمَّا العُقلاءُ فيَفهَمونَ. ومِنْ وقتِ إزالَةِ المُحرَقَةِ الدَّائمَةِ وإقامَةِ رَجاسةِ الخرابِ ألفٌ ومِئَتانِ وتسعونَ يومًا. هَنيئًا لِمَنْ يَنتَظِرُ ويبلُغُ إلى ألفٍ وثَلاثِ مئَةٍ وخمسَةٍ وثَلاثينَ يومًا. وأنتَ إذْهَبْ واسْتَرِحْ إلى أنْ يَحينَ الوقتُ، فتقومَ لتَنالَ نَصيبَكَ عِندَ انقِضاءِ الأيّامِ14).

ثانياً: رؤى حزقيال1:

في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المجلوين على نهر

كبار، أنفتحت السموات، فرأيت رؤى إلهية في السنة الخامسة من جلاء الملك يوياكين كانت كلمة الرب إلى حزقيال بن بوزي الكاهن يقول: فنظرت فإذا بريح عاصف مقبلة من الشمال، وغمام عظيم ونار متواصلة، وللغمام ضياء من حوله، ومن وسطها ما يشبه اللمعان القرمزي من وسط النار، ومن وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها، لها هيئة بشر، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل مستقيمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وهي تبرق مثل النحاس الصقيل، ومن تحت أجنحتها أيدي بشر على أربعة جوانبها، وكذلك وجوهها وأجنحتها لأربعتها أجنحتها متصلة واحد بالآخر، والحيوانات لا تعطف حين تسير، فكل واحد منها يسير أمام وجهه أما هيئة وجوهها فهو وجه بشر ووجه أسد عن اليمين لأربعتها ووجه ثور عن الشمال لأربعتها، ووجه عقاب لأربعتها، وجهها وأجنحتها منفصلة من فوق لكل واحد جناحان متصلان أحدهما بالآخر، وجناحان يستران أجسامها، وكانت تسير كل واحد منها أمام وجهه، وإلى حيث الروح يوجه السير كانت تسير، ولا تعطف حين تسير، أما هيئة الحيوانات فمنظرها كجمرات نار متقدة كمنظر مشاعل وهي تسير بين الحيوانات، وللنار ضياء، ومن النار ما يخرج برق، والحيوانات تجري وترجع ومنظرها كالبرق، فنظرت الحيوانات ، فإذا بولاب واحد على الأرض بجانب الحيوانات ذوات الوجوه الأربعة، منظر الدواليب وصنعها كلمعان الزبرجد، ولأربعتها شكل واحد، ومنظرها وصنعها كأنما كان الدولاب في وسط الولاب، فعند سيرها تسير على جوانبها الأربعة، ولا تعطف حين تسير، أما دوائرها فعالية وهائلة، ودوائرها ملأى عيوناً من حولها لأربعتها، وعند سير الحيوانات تسير الدواليب بجانبها، وعند أرتفاع الحيوانات عن الأرض ترتفع الدواليب، وإلى حيث الروح يوجه السير كانت تسير، والدواليب ترتفع معها، لأن روح الحيوان في الدواليب، ..... ورأيت كلمعان القرمز كمنظر نار بالقرب منه محيطاً به، مما يشبه وسطه إلى فوق، ومما يشبه وسطه إلى تحت رأيت كمنظر نار والضياء يحيط به، وكان منظر هذا الضياء من حوله كمنظر قوس الغمام في يوم مطر، هذا منظر يشبه مجد الرب، فنظرت وسقطت على وجهي وسمعت صوت متكلم فقال لي: يا ابن الإنسان قم على قدميك فأتكلم معك، فدخل فيَّ الروح لما تكلم معي، فقال لي: يا ابن الإنسان إني مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أناس متمردين،قد تمردوا عليَّ فقد عصوني هم وآباؤهم إلى هذا اليوم نفسه، فأرسلك إلى البنين الصلاب الوجوه القساة القلوب، فتقول لهم: هكذا قال السيد الرب، سواء سمعوا أم لم يسمعوا، ...فلا تخف منهم، لأنهم يكونون معك شوكاً وعليقاً، ويكون جلوسك على عقارب من كلامهم20، ...).

ويعتبر اليهود أن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين اليوم هو حجر الأساس في مملكة الألف الأخيرة، وهذا على المستوى الدولي، والرسمي، والفردي، وليس أبلغ على ذلك دلالة من شعارهم الرسمي الشمعدان السباعي المسمى بالعبرية المينوراة ذي الفروع السبعة الدالة على أيام الخليقة السبعة، والذي يتوسطها الفرع السابع منفرداً؛ ليرمز لإسرائيل في ألفيتها السابعة. وبمعنى آخر: أن إسرائيل ستمتد أطرافها؛ لتتحول إلى مملكة تحكم العالم بأسره من عاصمتها بالقدس أورشليم، ويقول إيمانويل هيمان مؤلف كتاب الأصولية اليهودية: «أغلب اليهود الأرثوذكس اليوم يقولون: إنه حيث أن مرحلة العودة المنتظرة للمسيح قد بدأت فإننا نمر بمرحلة انتقالية يفسرها عودة جزء من الشعب اليهودي إلى الأرض»، وقد ناقش إيمانويل أحد الحاخامات بشأن المسيح المنتظر فقال له الحاخام: «نحن بالتأكيد على مشارف عهد مجيء المسيح المنتظر، والتوراة تؤكد ذلك حيث تقول التثنية30: **(فإن رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم، ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك، يرد الرب إلهك سبيك، ويرحمك، ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك9)»**(1)، ويعقب المؤلف على هذا القول بقوله: «كيف لا يفعلون ذلك، والتلمود الذي يتعبدون به يقول: **(يجب على كل يهودي أن يسعى؛ لأن تظل السلطة في الأرض المقدسة لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود العالم يجب أن تقوم حرب يهلك فيها ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي، ويحقق النصر)**، ويستحث التلمود أتباعه للعمل على إخراج المسيح بقوله: **(اطلبوا المسيح بإخلاص، وهو يستجيب، ويجيء)»**(2).

ثانياً: عرض الأدلة السمعية والنظرية عند الأصولية الصهيونية النصرانية المعاصرة:

تعتبر مسألة المسيح المنتظر المسيا أيضاً من العقائد الأساسية في الإيمان النصراني لجميع الطوائف في أنحاء العالم، كما تُجمع على أن العودة تعتبر الظهور الثاني للمسيح υ بعد رفعه للسماء بعد قيامته من الأموات بعد موته بثلاثة أيام على اختلاف الروايات بحسب معتقداتهم، وتشكل هذه الفكرة أهم موضوعات الإنجيل في العقيدة الأخروية، ولا يخلو سفر من أسفار العهد

---

(1) حمى سنة 2000: عبدالعزيز كامل. ص205.
(2) الأصولية اليهودية: إيمانويل هيمان. ص92. وانظر: حمى سنة 2000. ص207.

الجديد من ذكرها، ولكن تختلف، وتتباين كل منها في الكيفية، وتفاصيل المجيء من طائفة لأخرى، وقد نجحت الصهيونية من خلال اختراقها للنصرانية من إقناع بعض النصارى بأن إنشاء إسرائيل علامة من علامات المجيء الثاني، وعودته ستكون داعمة، وقوية؛ ليقف مع إسرائيل في مواجهة أعدائها في معركة دموية جبارة ينتصر بعدها المسيح، وحلفاؤه، ويحكم العالم لمدة ألف عام، وتعتمد الأصولية الإنجيلية في إثبات هذه الفكرة على ما جاء في سفري دانيال، وحزقيال من العهد القديم، والذي سبق ذكرهما في أدلة الأصولية اليهودية الصهيونية، وسفر رؤيا يوحنا من العهد الجديد، ثم على آراء بعض علمائهم اللاهوتين، ومفكريهم الدينين، ودعاتهم المعاصرين الذين يؤوِّلون النصوص كيفما تخدم توجهاتهم السياسية، أو الدينية، وسنتناولهما بايجاز على النحو الآتي:

رؤيا يوحنا20 التي رآها حول مستقبل العالم ونصها: **(ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده، فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو أبليس، والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلق وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً. ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش، ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباهم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هي القيامة الأولى مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة. ثم متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه، ويخرج؛ ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض، جوج ومأجوج يجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين، وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عبد الله من السماء وأكلتهم، وإبليس، الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً10).**

وقد اختلفت الأصولية النصرانية حول تفسير رؤيا يوحنا، وانقسمت إلى عدة اتجاهات قام القس أكرم لمعي في مؤلفه الاختراق الصهيوني للمسيحية ببلورتها، واختصارها في أربع نظريات رئيسة هي:

النظرية الأولى: نظرية القبل ألفي (التاريخية)، أو سابقو الملك الألفي:

وتأتي كلمة التاريخية هنا بسبب أن أصحاب هذا التفسير عاشوا في القرون الأولى الميلادية فهم بعض الآباء(1) الذين آمنوا بالملك الألفي، ومنهم أوغسطينوس(2) ـ رغم أنه رفض هذا الفكر بعد ذلك في نهاية حياته ـ وأصحاب هذا الرأي يعتقدون أن مجيء المسيح الثاني سوف يسبق الملك الألفي؛ ولذا سموا بالقبل ألفي، أو سابقي الملك الألفي. بمعنى أن المسيح سوف يأتي ثانية بشكل حرفي، ثم يحكم الأرض لمدة ألف عام، واعتمدوا في هذه الفكرة على مقاطع كثيرة في العهد القديم لتأييدها خاصة ما جاء في الإصحاحات الأخيرة من حزقيال، ودانيال التي تتحدث عن عودة الشعب من سبي بابل، وسيادة السلام، وطبقاً لهذه النظرية فهناك بعض الأحداث يجب أن تقع قبل المجيء الثاني للمسيح، وهي كالآتي:

1. الكرازة بالإنجيل لكل الأمم: أي وصول دعوة الإنجيل إلى كل العالم دون استثناء.
2. الضيقة العظيمة: وهي فترة اضطراب تسود الأرض كلها تكون فيها حروب، ومجاعات، وزلازل، ويموت خلالها ثلثي العالم.
3. ظهور شخصية ضد المسيح، وهنا يتجسد إبليس في إنسان ملك، أو رئيس له سلطان، ويتحدى المسيح، وتنادي هذه النظرية بأن الكنيسة سوف تجتاز الضيقة العظيمة، ولقد رأى يوحنا7 الكنيسة خارجة من الضيقة، وسأل الملاك عنها فأجاب: **(هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسّلوا ثيابهم وبيّضوها في دم الخروف14).**

وقد اقترح بعض مؤيدي هذه النظرية بأن فترة الضيقة العظيمة سبع سنوات، وهو الزمن الذي سيكون فيه اضطراب عظيم على الأرض، وهو ما يعبِّر عنه سفر دانيال بالأسبوع السابع. فقد قسّم دانيال الزمن إلى سبعة أسابيع، وكل أسبوع يُعبِّر عن حقبة زمنية معينة، ونحن الآن في الأسبوع السادس، أي: ما قبل الأخير، وبعد مجيء المسيح، واختطاف الكنيسة يبدأ الأسبوع السابع، والأخير، وفي هذا الأسبوع الأخير سوف تجتاز إسرائيل في الضيقة العظيمة حتى يتوبوا، ويعودوا إلى المسيح كجماعة، وبعد توبتهم يبدأ الملك الألفي للمسيح.

أما البعض الآخر فلم يركز على زمن الضيقة العظيمة؛ لأنها سوف تنتهي على أي حال، لكن اتفق الجميع من أصحاب هذه النظرية على أن المسيح سوف يأتي بعد الضيقة العظيمة، وعندما

---

(1) منهم: إريناوس، وترتليان، وجوستن مارتر (انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص190).
(2) سبق ترجمته.

يأتي المسيح سوف يقوم الأموات المؤمنون به من القبور في الوقت الذي فيه تتغير أجساد المؤمنين الأحياء إلى أجساد سماوية، والكل سوف يخطف لملاقاة المسيح في الهواء، ثم بعد ذلك ينزلون معه إلى الأرض، وعندئذ يقيد إبليس، وينتهي حكمه ضد المسيح على الأرض، وهنا يعود اليهود إلى المسيح، ويؤمنون به كمسيا، ويعترفون بخطاياهم، وهذه العودة الجماعية من اليهود إلى المسيح سوف تكون سبب بركة عظمى للعالم عندئذ يبدأ ملك المسيح على الأرض، ولمدة ألف عام، وهذا الملك يكون حرفياً، ومرئياً، وفيه يصبح اليهود، والأمم شعباً واحداً للرب، وأما الأمم التي سترفض ملك المسيح عليها فسوف تحفظ في القيود، وتحكم بواسطة المسيح، وسوف تكون هذه الحقبة الألف سنة هي: العصر الذهبي للإنسان سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، فيسود العدل، والسلام كل الأرض، وتتحول الطبيعة الشريرة في كل المخلوقات إلى طبيعة خيرة، فيعيش الحمل بجوار الأسد دون خوف، ويضع الطفل يده في جحر الثعبان، ولا يُلدغ، وسوف تخرج الصحراء خضاراً، وزهوراً، وباقتراب نهاية الألف عام، يُحل إبليس من يقوده، ويخرج؛ ليضل الأمم مرة ثانية، ويجمع كل الأمم معه للمعركة الأخيرة ضد المسيح، فيجمع معه جوج ملك روش، ويفسرونها ملك روسيا، ومأجوج ملك تركيا، والصين، وإيران، ويقودهم للهجوم على معسكر القديسين المسيح، وشعبه في أورشليم، وتقع المعركة هرمجدون، ولكن تأتي فجأة نار من السماء، وتبيدهم، وبعد هزيمة الأمم يقاد إبليس إلى البحيرة المتقدة بالنار جهنم، ويبقى فيها إلى الأبد، وبعد نهاية الألف سنة يقوم غير المؤمنين من الأموات، ثم تكون الدينونة لكل البشر أمام عرش الله العظيم، وكل من يوجد اسمه مكتوباً في سفر الحياة سوف يدخل إلى السماء، ويعيش مع الله إلى الأبد، ومن لا توجد أسماؤهم في سفر الحياة سوف يلقون في بحيرة النار، والكبريت إلى أبد الآبدين. ولقد انتشرت هذه العقيدة بقوة بعد القرن الرابع الميلادي، وقد أعلن أغسطينوس رفضه لهذه العقيدة، وإيمانه أن ملك المسيح لابد وأن يكون ملكاً روحياً لا حرفياً.

ومع نهاية القرن الرابع الميلادي اختفت هذه العقيدة، ثم ظهرت بصورة ضعيفة في عصر الإصلاح القرن السادس عشر الميلادي، ولكنها بدأت في الظهور بقوة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي خاصة في الأوساط الشعبية، وأصبحت العقيدة الشعبية السائدة أثناء الثورة الفرنسية (1798م) واستخدمت استخداماً سياسياً فقد فسرت شخصية ضد المسيح: بأي شخص يقف ضد الثورة، ومن يرفض الراديكالية التطرف الثوري إنما هو ضد المسيح، ولقد ذهب أصحاب هذه العقيدة في ذلك اليوم، وهم: هنري دروماند، وأدوارد ارفانج إلى أبعد من ذلك خلال صحيفتهم التنبؤية. فأعلنوا أن الثورة الفرنسية حققت نبوءة دانيال13 النبي القديم، والتي قال فيها: **(ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف ويتكلم كتنين. ويعمل بكل سلطان الوحش الأول أمامه11، ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفي جرحه الميت. ويضع آيات عظيمة حتى أنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس. ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطى أن يصنعها أمام الوحش قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش. وأعطى أن يعطي روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش ويقتلون، ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم وأن لا يقدر يشتري أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه. هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنه عدد إنسان. وعدده ستمائة وستة وستون18).**

وأكدوا بناءً على ذلك رفضهم لحكم روما، وسلطان البابا عليهم عام (1798م)، إذ اعتبروا البابا هو الوحش المذكور في سفر الرؤيا (666)، وبهذا أخرج أصحاب هذه العقيدة الثورة الفرنسية من قلب الكتاب المقدس، كما يخرجون دولة إسرائيل، وحرب الخليج، ومعركة هرمجدون، والعصر الألفي،...؟، وقد قاموا بتأييد الثورة الفرنسية بسلطان الوحي، ويعلق القس لمعي على ذلك بقوله: «هذا يجعلنا نفهم لماذا يفسر أصحاب هذه العقيدة الوحش (666) على أنه هتلر»(1). كما نفهم أيضاً تأييدهم لدولة إسرائيل فهذه التفسيرات ليست بغريبة على أسلوبهم في تفسير الكتاب المقدس فهم يفسرون النصوص حسب احتياجاتهم العصرية التي تخدم مصالحهم.

النظرية الثانية: القبل الألفيين المحدثين (الحقبية):

يقول القس لمعي: تعتبر هذه النظرية امتداداً للنظرية السابقة القبل ألفي التاريخية التي عملت بواسطة اللاهوتيين القدامى منذ القرن الثاني الميلادي، أما هذا التعليم المحدث للقبل ألفي فهو يفصل فصلاً تاماً بين إسرائيل، والكنيسة على عكس التعليم الأول، وهذا التعليم لم يظهر قبل جون داربي (1800: 1882م)، وظهرت على يد سكوفيلد عام (1909م)، وهذا ما يؤكد نظرية اختراق الفكر الصهيوني اليهودي للنصرانية، ويتفق أصحاب هذه النظرية مع النظرية التاريخية في أن المسيح سوف يحكم الأرض بصورة حرفية لألف سنة بعد مجيئه الثاني، لكن هناك فروق

(1) الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص190: 193.

كثيرة بينهما، وقبل الحديث عن هذه الفروق علينا أن ندرك ملمحين أساسيين لهذه العقيدة.

1 ــ تبني التفسير الحرفي لكل الكتاب المقدس سواء كان النص أخلاقياً، أم أدبياً، أم تاريخياً ــ وهو ما يسمى التفسير بظاهر النص ــ، وهذا خطأ فادح في فهم قواعد التفسير، وتطبيقها فلا شك أن هناك نصوصاً كثيرة لا تفسر حرفياً.

2 ــ تقسيم التاريخ الإنساني إلى حقب تبعاً لتعاملات الله مع الإنسان، واعتمدوا في ذلك على اختلاف أسلوب الله في تعامله مع الإنسان من حقبة لأخرى حسب تصورهم، ولذلك سموا بالحقبيين، وهي كلمة استخدمت لشرح النظام الذي وضعوه لشرح كيف أن الله تعامل مع الإنسان بسبع طرق مختلفة على طول التاريخ، والكلمة حقبة تعني في مفهومهم زمن يختبر فيه الإنسان إعلانات الله عن إرادته، وحددوا الحقب كما يأتي:

1- حقبة الطهارة: وهي ما قبل سقوط آدم في الخطية قبل النزول فترة الجنة.
2- حقبة الضمير المسؤولية الإنسانية: وهي الفترة من سقوط آدم إلى نوح.
3- حقبة الحكومة البشرية: وهي الفترة من نوح إلى إبراهيم.
4- حقبة الوعد: وهي الفترة من إبراهيم إلى موسى.
5- حقبة الشريعة: وهي الفترة من موسى إلى المسيح.
6- حقبة النعمة: وهي الفترة من مجيء المسيح الأول إلى بداية الملك الألفي.
7- حقبة الملكوت: الملك الألفي.

وتتحدث هذه النظرية عن عودة ثانية للمسيح قبل الألف سنة مباشرة، وتقع بين الزمن السادس، والسابع، وسوف تكون هذه العودة سرية بهدف اختطاف المؤمنين الكنيسة، حيث يكونون في السماء أثناء الضيقة، وقبل المجيء الثاني للمسيح، والذي يتسم بالعلنية، وقد اقترح البعض منهم حرباً عالمية ثالثة في نهايتها يظهر ضد المسيح، وهو إنسان يأتي إلى العالم قبل أن تبدأ هذه الحقبة بمجد مادي غير عادي، كملك، أو رئيس عظيم يتلو ذلك حقبة السبع سنوات، وفيها الضيقة العظيمة على العالم، وقد اقترح البعض الآخر تقسيم هذه الحقبة إلى جزأين كل جزء منها (3,5 عام)، أو(42 شهراً)، أو(1260 يوماً) لكل جزء في هذه الأثناء يبدأ نشاط ضد المسيح هذا، ويقول عنه دانيال7 النبي: **(....ويتكلم بكلام ضد العلى، ويبلى قديسي العلى، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة، يسلمون ليده إلى زمان** ــ مدة عام ميلادي ــ **وأزمنة، ونصف زمان25)**. وفي أثناء هذه الضيقة سوف تؤمن أغلبية إسرائيل بالمسيح كالمسيا، وبسبب إيمانهم سوف يؤمن عدد كبير من الأمم بالمسيح، وفي ختام السبع سنوات يأتي المسيح ثانية بصورة علنية، وبمجد، حيث يدخل في معركة مع جميع أعدائه في موقعة هرمجدون، ويدمرهم، ويسحقهم بقوة، وفي ذلك الوقت يكون قد تم تجميع اليهود الذين آمنوا بالمسيح أثناء الضيقة العظيمة من كل أنحاء العالم؛ ليستقبلهم حيث يكون وعددهم (144000) (رؤ: 4/7)، وبمجرد دخول المسيح إلى أورشليم كملك يقيد إبليس؛ ليملك المسيح ملكاً حرفياً لمدة ألف عام، وتحت هذا الحكم سيكون اليهود مكانة أعظم من كل الأمم فيعاد خلالها بناء الهيكل في أورشليم، وتقدم الذبائح عليه ثانية، ويملأ السلام، والعدل، والحب كل العالم، ويرث شعب الرب الأرض، ويدخلون إلى ملكوت الله كالشعب المختار، وفي نهاية الألف عام يحل إبليس من قيده ثم يهزم نهائياً، وعندئذ تكون القيامة العامة لكل البشر، ويدان غير المؤمنين، وتبدأ الحياة الأبدية للجميع سواء في الجحيم، أو في السماء.

وقد اختلف أصحاب هذه النظرية على ما سوف يحدث أثناء الضيقة العظيمة قبل الملك الألفي مباشرة، وتقول ماري رلفى مثلاً: إن اختطاف الكنيسة جماعة المؤمنين سيكون في منتصف الضيقة العظيمة، وليس في بدايتها، وتؤكد على ذلك من النص على القيامة الأولى في سفر الرؤيا20: **(ورأيت عروشا4)**، فجلسوا عليها، وأعطوا حكماً، ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع من أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش، ولا لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباهم، وعلى أيديهم فعاشوا فملكوا مع المسيح ألف سنة. أما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة، وهذه هي القيامة الأولى ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله، والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة (رؤ:20:4-6)، وقد اعتمدت في ذلك على أنه بعد اختطاف المؤمنين سيكون من المستحيل أن يؤمن أحد بالمسيح إذ كيف يؤمنون بلا دعوة، ولذلك يجب أن تبقى الكنيسة فترة أثناء الضيقة لكي تعلن رسالتها فيؤمن بها الآخرون.

ويعلق القس: أكرم لمعي على هذه النظرية بقوله: ولنا على هذه النظرية مآخذ هامة نجملها فيما يأتي: «إن مدرسة التفسير الحرفي للنبوءات ضعيفة علمياً فلغة النبوة ليست حرفية بصفة دائمة، ولا تفسر أبداً بهذا الأسلوب»، فجاء في سفر العدد12: **(فقال اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه6)**، فهو يقول إن الله سوف يتحدث للأنبياء برؤى، وأحلام، وليس بالحرف وفي سفر هوشع12 يقول: **(وكلمت الأنبياء وكثرت الرؤى وبيد الأنبياء مثلت أمثالاً10)**، وهنا يقول إن الأنبياء سيتحدثون بأمثال، فلذلك ليس من المستغرب أن الكثير من النبوءات كتبت في شكل صور، أو لغة رمزية شعرية، أو خلافه، والسؤال الذي يواجه هذه النظرية هو لماذا نضع خطاً

فاصلاً بين التفسير الحرفي، والتفسير الرمزي؟(1).

النظرية الثالثة: التفسير الروحي للحكم الألفي (لاحقو الملك الألفي (البعد ألفين)):

يقول القس لمعي: هذا الرأي يعتبر أكثر استقامة من سابقيه، وأهم ما يميزه هو القول: بأنه بالمجيء الثاني للمسيح سوف تكون القيامة، والدينونة، وأن الملك الألفي ليس حرفياً، وليس لمدة ألف عام بالضبط فتعبير الألف سنة أنما هو زمن لفترة معينة تنتشر فيها الرسالة بين الأمم، وتعود فيها الأمم من المشارق، والمغارب إلى الله، وهو الزمن الذي نعيشه اليوم بصورة روحية، وليست حرفية، وأما بالنسبة لضرورة تقييد إبليس في هذه الحقبة فقد قيد إبليس فعلاً بعمل المسيح، وجعل إبليس خاضعاً لأبناء الله، وغير قادر على إيذائهم، وفي نهاية هذه الفترة سوف تقوم عملية إحياء، وصحوة دينية، حيث يعود اليهود إلى المسيح بطريقة طبيعية، وبدون عنف، أو قتل جاء في رسالة رومية11: **(فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر25 لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخلوا في الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل،كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم27)**، بعد ذلك يظهر إبليس بقوة على شكل إنسان الخطية تقول الرسالة الثانية إلى تسالونيكي2: **(ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنكم أحد على طريقة ما لأنه لا يأتي إن لا يأتي الارتداد أولاً و يستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه أنه إله4)** سيكون هذا آخر حدث لهذا العصر، وعندئذ يعود المسيح حرفياً في نهاية الألف عام للدينونة، والحياة الأبدية.

ويقول القس لمعي: أكثر من أيَّد هذه العقيدة طائفة تدعى التدبيريين التي ظهرت في إنجلترا، وقد أثرت هذه العقيدة في اتجاههم نحو العالم، ومنها بدأت حركة الإرساليات، ثم إن ما حققه العالم الغربي من حضارة في حقوق الإنسان، والحرية، والعدالة كان نتيجة لهذا الفكر القائل بأن الله يحكم العالم، ولذلك يجب أن يتنقى من كل فكر شيطاني منحرف، ثم يعلق بقوله: ونحن أن ننتقد الإمبراطوريات المسيحية القديمة، وتسلط الكنيسة، وانحراف رجال الدين، لكننا لا ننكر التقدم الأخلاقي الذي حدث في هذه البلاد بثورة الإصلاح، والحريات، والذي رأى العالم ليس كالجحيم الذي ينبغي أن نهرب منه لكن كعالم الله، وهذه معركة كل مؤمن به، وإيجابية هذه المدرسة أنها تشير إلى التوتر الحادث في العالم بين الله، وإبليس (الخير، والشر)، وتعلن أن هذا التوتر إنما هو إطار خطة الله للعالم، والذي هو في النهاية أن الله سيبيد الشر، والشرير، ويستطرد في تعليقه على هذه النظرية بقوله: أما نقطة الضعف في هذه النظرية فهي أنها لا تفسر سبب نمو الشر باطراد في العالم فالمفروض حسب فكرهم أن يتناقص الشر مع الزمن، وهم يقولون: إنه في انتظار مجيء المسيح الثاني على المؤمنين أن يقوموا بالإصلاح الاجتماعي، وإقرار العدالة الاجتماعية، والعمل على حماية اليتيم، والأرملة(2)أما النظرية الرابعة رافضوا الملك الألفي فقد سبق ذكرها(3).

لذا نجد أن ديتر تسمرلنغ في كتابه النهايات يؤكد نفس الفكرة مع بعض الاختلاف اليسير في دقائق التفسير حيث يقول: يذكر يوحنا في الفصل العشرين من رؤيته بأنه رأى ملاكاً نازلاً من السماء يحمل بيده مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة فأمسك التنين تلك الحية القديمة، أي: إبليس، أو الشيطان، وقيده لألف سنة، ورماه في الهاوية، وأقفلها عليه، وختمها؛ لئلا يضلل الأمم حتى تتم الألف سنة، ثم يصف النص قيامة أولئك الشهداء الذين سقطوا قتلى في سبيل الشهادة ليسوع، ولكلمة الرب،...، وقيامة الشهداء الذين سيحكمون العالم طوال ألف عام مع المسيح(4).

ويقول جيري فالويل في خطبة ألقاها في 1984/12/2م معلقاً على اقتباس من سفر الرؤيا، ومشيراً إلى معركة مجدو: «إن هذه الكلمة مجدو تنزل الخوف في صدور الناس، سيحدث اشتباك أخير، وسيدمر الخالق هذا الكون»، وقال: «وبالرغم من التوقعات الوردية، وغير الواقعية من جانب حكومتنا بشأن اتفاقات كامب ديفيد، فإن هذه المعاهدة لن تدوم طويلاً»، ثم قال: «من المؤكد أننا نصلي من أجل سلام القدس، ومن المؤكد أننا نكن الاحترام لمن وقع اتفاقية السلام. إنني أعلم، وأنتم تعلمون

---

(1) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص194: 202. وانظر: نهاية العالم وأزمنة الأمم: د. شرابي اسكندروس. ص15: 27. وانظر: منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية. الفجالة. القاهرة (ط: ب).

(2) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: أكرم لمعي. ص202: 206. وجذور الانحياز: د. يوسف الحسن. ص12: 14.

(3) سبق ذكرها مفصلة بالباب الأول الفصل الرابع.

(4) انظر: النهايات الهوس القيامي الألفي: ديتر تسمر لنغ. ص76. ترجمة: ميشيل كيلو. قدمس للنشر. دمشق (ط1: 1999م). وانظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: لمعي. ص189. وانظر: الكارثة نذير ونفير: عبدالعزيز مصطفى كامل. ص212. دار البيان. الكويت (ط: 2000م).

أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يوماً على عرش داود في القدس»[1].

وعندما سئل القس ديلوتش إذا نجح اليهود الذين تأيدهم، ودمَّروا قبة الصخرة، والأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة فهل تعتبر نفسك من المسئولين عن ذلك؟. أجاب قائلا: «كلا!! لأن ما سيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله»[2]إن الاعتقاد المزعوم في وقوع هرمجدون على أنها وشيكة سيطر على قطاع كبير من الصهاينة النصارى، ومنهم أشخاص اعتلوا أعلى كراسي المسؤولية في العالم، ومنهم:

الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان يقول الأمريكي أندرولانج مدير الأبحاث في معهد الدراسات النصرانية بواشنطن: «لقد أجريت دراسات عميقة مع ريغان، ومعتقداته إزاء هرمجدون، ووجدته قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من جيري فالويل، وجيمس سوجارت، ومبشرين آخرين، وأن لديه اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة، وبنى سياسته الخارجية، والداخلية على أساسها. فمثلا: لم يسمح بالحد من التسلح النووي، واعتدى على ليبيا عام (1986م)؛ لاعتقاده بأنها ستكون في المعسكر الهرمجدوني المعادي، وتسارعت خطا تكديس الأسلحة، وبرنامج حرب النجوم؛ لأن هَرْمَجدُّون لا يمكن أن تكون في عالم منزوع السلاح، ولا يمكن السماح لدولة مثل العراق بامتلاك هذه الأسلحة؛ لأن ذلك يناقض مشيئة الله، كما يفهم دعاة الأصولية، ومن إيمانه العميق بهذه النظرية كان يعتقد أنه من الجيل الذي سيرى المعركة، ولذلك فإن فترة رئاسته اعتبرت الفترة الذهبية للأصولية الصهيونية في أمريكا[3]؛ لاعتقاده بأنه ذلَّل كل العقبات التي تحول دون حدوثها، ويقول: «إن كل النبوآت الأخرى التي تعين على تحقيقها قد حدثت، كما جاء في حزقيال38: **(إن الله سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار، حيث سيكونون مشتتين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد7)**، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهيأ للمعركة، وللمجيء الثاني للمسيح»[4]، ومات عام (1425هـ) الموافق6 يونيو 2004م، ولم يشهد المعركة التي طالما حلم بها، وذلَّل لحدوثها كل المصاعب بزعمه؟!

وبناءً عليه ازدادت في السنوات القليلة الماضية وتيرة الخوف من حدوث حرب عالمية ثالثة تكون أحداثها هي التطبيق الفعلي لأخبار المعركة، وصدرت العديد من الكتب في الغرب التي تتحدث عن مواصفاتها إضافة إلى العديد من الأفلام السينمائية الضخمة الإنتاج، والتي يُقبل على مشاهدتها عشرات الملايين، وتدور أحداثها حول ملامح العالم في ظل حرب كونية نووية شاملة، ما يدل على أن النصارى الإنجيليين في انشغال دائم بمعتقد حرب الهرمجدون.

ولما غزا العراق الكويت في أغسطس (1990م) روَّج اليمين الإنجيلي لدعاية مفادها أن هذه الحرب هي المقدمة الحقيقية للمعركة، وأن قائدها البابلي سيقود قوى الشر لتدمير إسرائيل، لكن تحالف قوى الخير سيهزمه، وظنوا أن هذه المعركة ستتفاعل حتى تتحول إلى حرب نووية عالمية، فلما لم يحدث ذلك أقنعوا أنفسهم بأن تلك الحرب ما هي إلا حلقة من حلقات الهرمجدون[5] .

والقساوسة المبشرون من أمثال جيري فالويل، وهول لندسي، وبات روبرتسون والنصارى اليمينيون الآخرون هم المنظِّرون لهذه العقائد، والذين يحركون الشعوب نحوها بزعم النبوءات الإنجيلية التي تدل على أن عودة المسيح وشيكة، وذلك بعد فترة حروب نووية، وكوارث طبيعية، وانهيار اقتصادي، وفوضى اجتماعية، ويعتقدون بأن هذه الأشياء لابد أن تحدث قبل المجيء الثاني للمسيح، ويزعمون أن هذه الأفكار مبثوثة، ومبيّنة بوضوح في الإنجيل، ويستندون في ذلك على نص ورد في إنجيل متى24 على لسان عيسى υ قال: **(إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب فلا تقلقوا، فإنه لابد أن يكون هذا، ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى، وهذا أول المخاض، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع9)**[6].

وبناءً على ما سبق فلا تخرج أدلتهم التي يعتمدون عليها في إحداث نهاية العالم عن تفسيراتهم لرؤيا يوحنا التي تناولها علماؤهم السابقون، والمعاصرون بالتفصيل في النظريات السابقة.

---

(1) الكارثة نذير ونفير: عبدالعزيز كامل. ص212.
(2) اليهود من كتاباتهم: محمد علي الخولي. ص120. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن (ط: 1998م).
(3) انظر: الدين في القرار الأمريكي: محمد السماك. ص41: 43. دار النفائس. بيروت (2003م). وانظر: النبوءة والسياسة: هالسل. ص76.
(4) النبوءة والسياسة: هالسل. ص64. وانظر: حمى سنة 2000: عبدالعزيز كامل. ص162.
(5) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم. رضا هلال. ص136.
(6) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة محمد خليفة التونسي. ص123. البروتوكول الخامس.

ثالثاً: عرض الأدلة السمعية والآثار المثبتة في أشراط الساعة المختلف فيها عند المسلمين ونقد لأدلة الأصولية اليهودية والنصرانية.

لا يوجد في المصادر التشريعية الإسلامية ما يسمَّى بعقيدة نهاية العالم على وجه التحديد، وإنما ذكر الوقائع ضمن أركان الإيمان الست الركن الخامس الإيمان باليوم الآخر، بمقدماته، وغيبياته التي لا يعلمها إلا الله، كما أن ما تحويه هذه العقيدة من خروج الدجال، ونزول المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، وإن كانت من العقائد الأساسية، والهامة لدى المسلمين، إلا أنها لا تشغل الفكر الإسلامي ببناء سياساتها، وعلاقاتها، وخططها نحو العالم عليها، ولم تأخذ المساحة التي أخذتها في سائر الأصوليات. ذلك أن المسلم مؤمن أن تلك الأحداث تحت إرادة الله، ومشيئته، وليس للبشر فيها إرادة، أو قدرة، كما ذكرت الأصوليات الصهيونية(1).

أما عن ترتيب أحداث أشراط الساعة الكبرى فهو غير مصرَّح به شرعاً، ولا يوجد نص صريح يرتبها حسب وقوعها، وجاء ذكرها في الأحاديث متداخلة، وغير مرتبة مما يجعل الجزم بتقدم علامة على أخرى أمر عسير، مالم ينص عليه نص صراحة، أو أن يكون جلي الترتيب بحيث تدل العلامة منها على الأخرى بالضرورة كصلاة عيسىυ خلف المهدى ساعة نزوله، وقتل عيسىυ للدجال،...، ففيها دلالات واضحة بترتيبها لا تغيب على ذي لب، وقد سئل الشيخ: ابن عثيمين ــ رحمه الله ــ هل أشراط الساعة الكبرى تأتي بالترتيب؟.

فأجاب: أشراط الساعة الكبرى بعضها مرتب، ومعلوم، وبعضها غير مرتب، ولا يعلم ترتيبه، فمَّما جاء مرتباً نزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج، ومأجوج، والدجال،... والدجال يخرج ثم ينزل عيسى بن مريم فيقتله، ثم يخرج يأجوج، ومأجوج، وقد رتب السفاريني رحمه الله في عقيدته هذه الأشراط لكن بعض هذا الترتيب تطمئن إليه النفس، وبعضها ليس كذلك، والترتيب لا يهمنا، وإنما يهمنا أن للساعة علامات عظيمة إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قربت، وقد جعل الله للساعة أشراطاً؛ لأنها حدث هام يحتاج الناس إلى تنبيههم لقرب حدوثه.(2) أ. هـ

ومن الأحاديث التي تذكر جملة من أشراط الساعة الكبرى غير المرتبة ما يأتي:

1. عن الحذيفة بن أسيد الغفاريτ قال: اطلع النبي ^ علينا، ونحن نتذاكر، فقال: **«ما تذاكرون؟»** قالوا: نذكر الساعة. قال: **«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىυ، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»**(3).

2. وعن أبي هريرةτ أن رسول الله قال: **«بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»**(4) ، خاصة أحدكم: أي موته، أمر العامة: أي القيامة التي تعم الناس جميعاً.

أولاً: موقف الإسلام من خروج المسيح الدجال آخر الزمان:

إن الاعتقاد بخروج الدجال، وأنه يهودي الديانة من عقائد أهل السنة، والجماعة، وقد وردت الأحاديث الصحيحة المصرّحة بذلك منها:

عن أنس بن مالكτ قال: أن رسول الله ^ قال: **«يَتْبَعُ الدّجّالَ، مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ(5)، سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطّيَالسَةُ(6)»**(7). ولم يذكر القرآن الكريم خروج الدجال صراحة في أيٍ من آيته برغم هول، وعظم فتنته، وتحذير سائر الأنبياء أقوامهم منه؛ وقد ذكر الإمام ابن حجر في الفتح أن السبب في عدم ذكر الدجال صراحة في القرآن ربما يعود لأمور منها:

1. أن الله عز وجل ذكر في قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

---

(1) تذكر الأصولية اليهودية والنصرانية أنه لا بد من مساعدة البشر لله للتعجيل وذلك ببناء الهيكل الثالث، للإسراع بخروج المسيا.
(2) انظر: موقع شبكة المنهاج الإسلامية. الموضوع: أشراط الساعة الكبرى تاريخ: 29/ 6/ 2007م.
(3) صحيح مسلم بشرح النووي.كتاب الفتن وأشراط الساعة. ج9. باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة. رقم الحديث: 7215. وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم والفتن. باب: أمارات الساعة. برقم: 4311. وأخرجه الترمذي في كتاب الفتنن باب: ماجاء في الخسف. برقم: 2183.
(4) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة. رقم الحديث: 7214. وأخرجه ابن ماجة:كتاب الفتن. باب: الآيات. برقم: 4055. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: برقم: 337.
(5) أصبهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أولاً جيا ثم صارت اليهودية، وهي مدينة من مدن إيران حالياً.(انظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج1. ص206. دار صادر. بيروت (ط: 1993م)).
(6) الطيالسة: جمع طيلسان. والطيلسان كلمة أعجمية معربة، قال في معيار اللغة: هو ثوب يلبس على الرأس ويحيط بالكتف والبدن ينسج للبس. خال من التفصيل والخياطة (موقع: موسوعة ويكيبيديا العالمية: طيلسان).
(7) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: في بقية أحاديث الدجال. رقم الحديث: 2944.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ (سورة الأنعام، آية: 158). وبذلك أجملت فتنة الدجال ضمن الآيات العظام في قوله تعالى:﴿... بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ...﴾، والتي فسرتها السنة فعن أبي هريرة رفعه: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ** ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ...﴾ الآية: **الدّجّالُ وَالدّابّةُ وطُلُوعُ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(1).

2. بما أن القرآن الكريم أشار إلى نزول عيسىυ في قوله تعالى: ﴿ طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ ﴾ (سورة النساء، آية: 159). وأن عيسىυ من سيقتل الدجال فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر؛ ولأن وجود أحدهما معلق بوجود الآخر، ومبني عليه(2). وبمثله قال ابن كثير(3).

3. أما الأحاديث الواردة في ذكر خروجه وصفته فكثيرة منها ما يأتي:

1. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ^ فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «**إِنّي لأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيّ إِلاّ وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيّ لِقَوْمِهِ، تَعَلّمُوا أَنّهُ أَعْوَرُ، وأَنّ الله تَبَارَكَ وتَعَالى لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»(4).

2. وعن أبي هريرةτ قال: قال رسول الله ^: «**أَلاَ أُحَدّثُكُمْ حَدِيثاً عَنِ الدّجّالِ مَا حَدّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنّهُ أَعْوَرُ وَإِنّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنّةِ والنّارِ فَالّتِي يَقُولُ إِنّهَا الْجَنّةُ هِيَ النّارُ وَإِنّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**»(5).

3. وعن حذيفة(6) τ أن رسول الله ^ قال: «**لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدّجّالِ مِنْهُ. مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا: رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ. والآخَرُ: رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجّجُ. فَإِمّا أَدْرَكَنّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النّهْرَ الّذِي يَرَاهُ نَاراً وَلْيُغَمّضْ. ثُمّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنّ الدّجّالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلّ مُؤمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيرِ كَاتِبٍ**»(7) .

4. وعن المغيرة بن شعبةτ قال: ما سأل أحد النبي ^ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: «**مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ**»، قُلْتُ: لأَنّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ قَالَ: «**هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ**(8)»(9).

5. وعن جبير بن نفير الحضرمي عن النواس بن سمعانτ قال: ذكر رسول الله ^ الدجال ذات غداة، فخفض فيه، ورفع ....الحديث ثم قال: «... قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَمَا سُرْعَتُهُ في الأَرْضِ؟ قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرّيحُ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر**

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الإيمان. باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. رقم الحديث: 158. أخرجه الترمذي في سننه وصححه. كتاب تفسير القرآن. باب: ومن سورة الأنعام. برقم: 3072. دار الكتب العلمية. بيروت. (ط: 1987م).
(2) صحيح البخاري:كتاب الفتن. باب: الدجال. رقم الحديث: 7127. وكتاب الجنائز. باب: إذا أسلم الصبي يصلى عليه. برقم: 1354. ورواه مسلم: كتاب الفتن. باب: ابن الصياد. رقم: 7283. وأخرجه الترمذي:كتاب الفتن. باب: ما جاء في علامة الدجال. برقم: 2235.
(3) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير. ص129.
(4) صحيح البخاري:كتاب الفتن. باب الدجال. رقم الحديث: 7127.
(5) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء. باب: قوله تعالى: ﴿ الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء ﴾. رقم الحديث: 3338. وصحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال وصفته وما معه. رقم الحديث: 2936. واللفظ للبخاري.
(6) هكذا ورد اسم حذيفة في صحيحي البخاري ومسلم دون إتمام الاسم أو الكنية.
(7) صحيح البخاري:كتاب أحاديث الأنبياء. باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. رقم الحديث: 3450. وكتاب الفتن: باب: ذكر الدجال. برقم: 7294. وصحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال. برقم: 2934. وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم والفتن. باب: خروج الدجال. برقم: 4315.
(8) قال القاضي عياض: أي هو أهون أن يجعل ما يخلقه على يديه فضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب المؤمنين (فتح الباري: ج13. ص99).
(9) صحيح البخاري:كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال. رقم الحديث: 7122. وصحيح مسلم.كتاب الفتن. باب: في الدجال أهون على الله. رقم الحديث: 7304 و 7305.

السماء فتمطر، والأرض فتنبت،...» ثم ذكر الحديث بطوله»(1) . وهذه من الفتن التي أعطاه الله إياها السرعة في الحركة والتنقل في الأرض، ليفتن غالب أهل الأرض ممن يؤمنون به.

6. وعن أنس بن مالكτ قال رسول الله ^: **«لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ. إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ. وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»**(2). النقب: الطريق وقيل الطريق بين جبلين.

7. وعن أبي أمامةτ قال رسول الله ^: **«... وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِه أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّه. فَيَقُولاَنِ: يَا بُنَيَّ! اتَّبِعْهُ. فَإِنَّهُ رَبُّكَ...»**(3). وفي هذا تعاون الشيطان معه عليهما لعنة الله.

8. وعن أبي أمامةτ قال: قال ^: **«إِنَّهُ المسيح الدجال يَبْدَأُ فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلاَ نَبِيَّ بَعْدِي. ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. وَلاَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حتَّى تَمُوتُوا. وَإِنَّه أَعْوَرُ. وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**(4) .

9. وفي رواية أخرى من حديث سمرة بن جندبτ قال، قال ^: **«.. وأنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله..»**(5) .

10. وعن أبي سعد الخدري τ قال: حدثنا رسول الله ^ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما تحدث به أنه قال: **«يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْه أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ^ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ فَيَقُولُونَ: لا فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْه»**(6) .

مدة مكثه في الأرض، وموته:

عن عبدالله بن عمروτ قال: قال رسول الله ^: **«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه ذرة خير أو إيمان إلا قبضته...»**الحديث(7).

ثانياً: موقف الإسلام من الاعتقاد بنزول المسيح υ آخر الزمان:

تعتبر عقيدة نزول المسيحυ من أشراط الساعة الكبرى، ومن أهم المعتقدات الأصولية عند أهل السنة، والجماعة، وينص الركن الخامس من أركان الإيمان الستة على الإيمان باليوم الآخر إيماناً مطلقاً بأشراطه الصغرى، والكبرى، ونزول المسيحυ على وجه الخصوص من الأشراط الكبرى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وقد أشار أكثر المفسرين للآيات الدالة على نزولهυ قبل يوم القيامة وأن نزوله نزولاً حقيقياً مشاهداً، ملموساً، وقد جاءت الأحاديث النبوية مؤكدة، ومعضّدة لذلك النزول؛ ونزوله يكون لتقرير عدد من الأمور المتعلقة بشأن بشريته، وأنه من ولد آدم، وبأنه لم يقتل صلباً على ما جاء في كتبهم بل رفعه الله إلى السماء، ثم بعد اظهاره ما أمره الله به من الحق يتوفاه الله، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنوه، وهذه الأحاديث قد بلغت حد التواتر المعنوي، وتتفق العقائد الإسلامية مع النصرانية في هذه المسألة بأن المسيح المنتظر، والذي ينزل آخر الزمان هو عيسى ابن مريم عليهما السلام آخر أنبياء بني

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال وصفته وما معه. رقم الحديث: 2937.
(2) صحيح مسلم: كتب الفتن. باب قصة الجساسة. رقم الحديث: 2943.
(3) صحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: قصة الجساسة. رقم الحديث: 2943. أخرجه ابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج. برقم: 4077.
(4) صحيح البخاري:كتاب الفتن. باب الدجال. رقم الحديث: 7127.
(5) سنن البيهقي:كتاب صلاة الخسوف. باب الخطبة بعد صلاة الكسوف. ج3. ص339. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت (ط1: 1347 هـ) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة. باب استحباب استحداث التوبة عند كسوف الشمس لما سبق من المرء من الذنوب والخطايا. ج2. ص327. رقم الحديث: 1230.تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي. بيروت (ط. ب). رواه الحاكم المستدرك على الصحيحين. كتاب الكسوف. باب كسوف الشمس. ج1. ص478. برقم: 1230. وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي في التلخيص صحيح على شرطهما. ولم يخرجاه. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت (ط1: 1411هـ) صحيح ابن حبان.كتاب الصلاة. باب صلاة الكسوف. ج7. ص102. برقم: 2856. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. دار الرسالة للنشر. بيروت (ط3: 1418هـ).
(6) صحيح البخاري:كتاب الفتن. باب لا يدخل الدجال المدينة. رقم الحديث: 7133. صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: صفة الدجال. تحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحياءه. رقم الحديث: 7301 و7302.
(7) صحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: خروج الدجال ومكثه في الأرض. رقم الحديث: 7307. ورواه الإمام أحمد في مسنده. برقم: 166. ورواه الحاكم في مستدركه برقم: 550.

إسرائيل، وتختلف عند المسلمين بأن نزوله من السماء النزول الأول، وعند النصارى النزول الثاني بعد القيامة الأولى،...، وتختلف مع اليهودية حيث يعتبر اليهود بأن مجيء المسيح هو المجيء الأول على الأرض، ولم يسبق له مجيء، ولا تعترف بأنه عيسىυ، ولا نبي بل ملك من نسل داودυ يحكم العالم من العاصمة أورشليم آخر الزمان، وسنعرض للآيات الدالة على نزولهυ ذلك كما فسَّرها العلماء، ثم نعرج على الأحاديث النبوية، وأقوال علماء الإسلام في المسألة، والحكمة، والغاية من نزوله.

الآيات الدالة على نزول عيسى υ في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿بِسْـــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْـــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى :﴾ (سورة آل عمران، آية: ٤٦). وقال عز من قائل: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ﴾ (سورة النساء، آية: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿بِسْـــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْـــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى :﴾ ﴿بِسْـــمِ اللَّهِ﴾ (سورة الزخرف: آية: 61). فالآية الواردة في سورة آل عمران تشيران إلى أن عيسىυ كلم الناس في المهد، وقد حدث ذلك بأن قال كما حكى القرآن الكريم عنه، وعن أمه البتول عليهما السلام: ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء﴾ (سورة مريم، الآيتان: ٢٩ ، ٣٠)، وأما كلامه وهو كهل، فيقول الإمام القرطبي: «فإذا أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء آخر الزمان أنزله على صورة ابن ثلاثة وثلاثين وهو الكهل»(1). ويستفاد من ذلك: «أن عيسىυ كلم الناس في المهد، ورفع قبل الكهولة، وسيكلم الناس عند نزوله إلى أن يبلغ الكهولة، وهو يدعو إلى الله تعالى» فالآيتان تشيران إلى أن نزولهυ قبل يوم القيامة، فكما كلم الناس في المهد، فسوف يكلمهم عند نزوله من السماء وهو كهل، أي: إلى أن يصير كهلا.

أما قوله تعالى: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ﴾ فيقول ابن جرير الطبري في تفسيرها: «اختلف أهل التأويل في معناها فقال بعضهم ﴿... السجدة الأحزاب سبأ﴾ يعني بعيسىυ ﴿...النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت ...﴾ يعني قبل موتهυ، ويوجه ذلك بمعنى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيمυ»(2).

وبعد أن ناقش الطبري رحمه الله (ت :310هـ) العديد من الأقوال قال: «أولى هذه الأقوال بالصحة، والصواب قول من قال تأويل ذلك، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى»(3)، وذلك بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان.

وقد تابع الطبري في ذلك كثير من المفسرين، فنجد ابن كثير رحمه الله (ت:774هـ) يعلق على كلام الإمام الطبري بقوله: «ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأن المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما أدعته اليهود من قتلهυ، وصلبه، وتسليم من سلم لهم بذلك القول من النصارى الجهلة، فأخبرهم الله أنه لم يكن الأمر كما ذكرتم، وإنما شبِّه لهم فقتلوا الشبيه، وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه تعالى رفعه إليه، وإنه باقٍ حي لم يمت، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الهدى مسيح الضلالة الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، أي: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان فلا يقبل إلا الإسلام، أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ لا يختلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت ...﴾ أي قبل موتهυ. وقوله: ﴿...الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ﴾ أي

---

(1) الجامع لأحكام القرآن الكريم: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ج2. ص86. دار الفكر العربي. بيروت (ط: 1995م). ولا نوافقه في ذلك إذ أن مفهوم الكهل اللغوي والشرعي يخالف ذلك.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن الكريم: أبي جعفر بن جرير الطبري. ج4. ص356. دار الكتب العلمية للطباعة. بيروت (ط: 1992م).

(3) نفسه: ص360.

بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء بعد نزوله إلى الأرض»(1).

ويقول الإمام البغوي رحمه الله (ت:516هـ) في تفسيره: «وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسىυ، وهذا قول أكثر المفسرين، وأهل العلم فلا يبقى أحد إلا آمن به. حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام»(2).

ويقول الإمام القرطبي (ت:671هـ) في تفسير الآية ﴿الفُرْقَان الشُّعَرَاء﴾ أي: يؤمن بعيسىυ من كان حياً حين نزوله قبل يوم القيامة،...، وروى يزيد عن زيرع عن رجل عن الحسن في قوله: ﴿...النُّور الفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل القَصَص العَنكَبُوت ...﴾، قال قبل موت عيسىυ، ووالله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به(3).

وقال الإمام الشوكاني (ت:1255هـ) حول هذه الآية: «وذهب كثير من التابعين، ومن بعدهم إلى أن المراد قبل موت عيسىυ، وقيّده كثير منهم بأنه يؤمن به من أدركه عند نزوله للأرض، وقد تواترت الأحاديث بنزول عيسىυ»(4).

وذهب الإمام الزمخشري (ت: 538هـ) في تفسيره للآية إلى ترجيح القول بأن الضميرين في الآية ﴿النُّور الفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل القَصَص العَنكَبُوت﴾ يعود الأخير منها إلى الكتاب، والأول لعيسىυ، فيقول: «وما من اليهود، والنصارى أحد إلا ليؤمن قبل موته بعيسىυ، وبأنه بشر من بني آدم، وعبدالله ورسوله، يعني: إذا عاين رؤيته قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف»، وعن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية. وقال: إني أوتى بالأسير من اليهود، والنصارى فأضرب عنقه لا أسمع منه ذلك. فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجه، وقالوا: يا عدو الله أتاك عيسى نبياً فكذبت به؟. فيقول: آمن إنه عبد نبي. وتقول للنصارى أتاك عيسى نبياً فزعمت إنه الله أو ابن الله فيؤمن إنه عبدالله، ورسوله، حيث لا ينفعه إيمان. قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً فنظر إليَّ وقال: ممَّن؟. قلت: حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه، ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية، فإن قلت: ما فائدة الأخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم؟. قلت: فائدته الوعيد؛ وليكون علمهم بأنهم لابد لهم من الإيمان به عند المعاينة، وأن ذلك لا ينفعهم بعثاً لهم، وتنبيهاً على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به؛ وليكون إلزاماً للحجة لهم، وكذلك قوله: ﴿... الرُّوم لُقْمَان السَّجْدَة الأَحْزَاب سَبَأ﴾ أي: يشهد على اليهود بأنهم كذَّبوه، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله(5).

ومما سبق عرضه لأقوال المفسرين حول هذه الآية يتبين أن ما عليه أكثر المفسرين أن هذه الآية تقرر نزول المسيح υ آخر الزمان، وعلى ذلك فالضميران في الآية ﴿النُّور الفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل القَصَص﴾ يرجعان إليه. أما قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ (سورة الزخرف، آية:٦١)، فيقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيرها: «اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله (بِسْمِ)، ما المقصود بها، ومنهم من ذكر بأنها بمعنى: ما هي. فقال بعضهم هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه، وقالوا معنى الكلام: وإن نزول عيسىυ علم يعلم به مجيء الساعة؛ لأن نزوله من أشراطها، ونزوله علامة من العلامات الكبرى على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة»(6)، وذكر الإمام ابن كثير العديد من الآراء، ورجَّح أحدها حيث قال: «الصحيح أنه عائد على عيسىυ، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿... الرُّوم لُقْمَان السَّجْدَة الأَحْزَاب سَبَأ﴾

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير. ج2. ص336. المكتبة التوفيقية. القاهرة (ط1:ب).
(2) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: أبو محمد الحسين البغوي. ج1. ص497. تحقيق: خالد عبد الرحمن ومروان سواد. دار المعرفة. بيروت (ط: 1986م).
(3) انظر: التفسير الكبير: فخر الدين الرازي. ج6. ص106. دار الفكر. بيروت (ط: 1981م)
(4) فتح القدير: للشوكاني. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ج1. ص462: 463. دار الوفاء. المنصورة (ط1: 1995م).
(5) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبي القاسم محمود الزمخشري. ج2. ص153. مطبعة مصطفى الحلبي. القاهرة. (ط. ب: 1385هـ).
(6) تفسير الطبري: ج11. ص204.

أي: قبل موت عيسىυ، ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى، وإنه لعلم للساعة. أي:أمارة، ودليل على وقوع الساعة. قال مجاهد:إنه لعلم للساعة، أي، آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليهما السلام قبل يوم القيامة، وهكذا روي عن أبو هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ^ أنه أخبر بنزول عيسىυ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً»[1]، وبه قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفي سنة(548هـ)[2]، والإمام الرازي (ت606هـ)[3]، والإمام البقاعي (ت885هـ) في تفسيره لهذه الآية[4]، والإمام محمد جمال الدين القاسمي (ت1332هـ) في تفسيره محاسن التأويل[5].

الأحاديث المتواترة في نزول عيسى υ:

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآية (61) من سورة الزخرف لقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ^ بأنه أخبر بنزول عيسىυ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً قسطاً[6]، وقد ذكر الإمام محمد الكشميري في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح أكثر من (70) حديثاً في نزولهυ، وقال في المقدمة: «واعلموا أن هذه الأحاديث المتواترة كلها في الحقيقة تفسير لقوله تبارك وتعالى: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت ...﴾ (سورة النساء، آية: 159)، كما صرَّح به المفسرون قاطبة بتصريحاتهم، وإخراجهم أحاديث هذه الآية، ولتنصيص ألفاظ الروايات عليها، لاسيما حديث أبي هريرةτ ـ مرفوعاً وموقوفاً ـ فقد قال فيه بعد ذكر نزول عيسىυ متأكداً بالقسم اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ﴾، استشهاداً على النزول»[7] .

ومن الأحاديث المتواترة الصريحة في ذكره ما رواه أبو هريرةτ قال: قال رسول الله ^: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»**[8] .

وقال الإمام الألباني عن تواتر أحاديث نزول عيسىυ، «وقد تيقنت ـ أنا شخصياًـ بتواتر أحاديث نزول المسيح عيسىυ، وأحاديث خروج الدجال،... وقد بلغت الطرق التي تجمعت عندي أكثر من (40) طريقاً عن نحو أربعين صحابياً بعضها على شرط الصحة، وسائر أكثر شواهدها معتبرة»[9].

وقد تحدث العديد من العلماء عن تواتر الأحاديث في نزولهυ، حيث ذكر ذلك محمد صديق حسن وقال: الأحاديث في نزولهυ كثيرة ذكر الشوكاني منها (29) حديثاً ما بين صحيح، وحسن، وضعيف منجبر، ثم قال منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال، وتنضم إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة، فكلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك، ثم ساقها، ثم قال: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر، كما لا يخفى على من له فضل إطلاع، وهذا ما عليه أكثر علماء الأمة، ونذكر طرفاً من الأحاديث التي أخرجها مسلم في صحيحة عن نزولهυ، ومكان، وزمان النزول، وصفته حال نزولهυ، ثم قتله الدجال[10] .

وقت ومكان نزوله υ:

تذكر الكثير من الكتب أنه إذا أوشكت أيام الدجال على الانقضاء، ودنًا أجله نزل عيسىυ

---

(1) تفسير ابن كثير: ج3. ص180.
(2) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل الطبرسي. ج3. ص211. تحقيق: السيد الطباطبائي. دار المعرفة. بيروت (ط1: 1406هـ).
(3) انظر: التفسير الكبير: الرازي. ج11. ص106.
(4) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي. ج2. ص365. دار الكتب العلمية للطباعة. بيروت (ط1: 1415هـ).
(5) انظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي. ج3. ص623. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. بيروت (ط2: 1978م).
(6) انظر: تفسير ابن كثير: ج3 ص180.
(7) التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور الكشميري. ص86. تحقيق عبد الفتاح أبو قدة. دار القلم. بيروت (ط5: 1412هـ).
(8) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء. باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما لسلام. رقم الحديث: 3449. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً. رقم الحديث: 390.
(9) قصة المسيح الدجال ونزول عيسىυ وقتله إياه: محمد ناصر الدين الألباني. ص5. المكتبة الإسلامية للطباعة. عمان (ط1: 1424هـ).
(10) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: محمد صقر. ص234.

بأمر من الله إلى الأرض بين الآذان، والإقامة لصلاة الفجر فيصلي تلك الصلاة خلف المهدي تكرمت الله لهذه الأمة بأن يصلي نبي من الأنبياء من أولو العزم من الرسل خلف إمام من أئمة المسلمين، ثم يستلم الأمر منه، ويصبح المهدي(1)من أصحابه، وخواصه المقربين، ويعملان معاً في محاربة مسيح الضلالة المسيح الدجال؛ لإعلاء كلمة الله، والأحاديث الدالة على ذلك ذكرتها سابقاً، وتجمع الروايات الواردة في أن نزوله سيكون بإذن الله فجراً بين الأذان، والإقامة عند المنارة البيضاء شرقي دمشق:

1. عن النواس بن سمعانτ عن النبي ^ قال: **«ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه..»**(2) .

2. عن أبي أمامة الباهليτ قال ^: **«...فبينما إمامهم قد تقدم كي يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح. فرجع ذلك الإمام، ينكص، يمشي القهقري، ليتقدم عيسى يصلى بالناس. فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنما لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم...»**(3).

3. عن عثمان بن أبي العاصτ قال: سمعت رسول الله ^ يقول: **«... وينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله تقدم صل، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيتقدم أميرهم فيصلي»**(4). يقول الكاتب الفقير: هذه المنارة موجودة اليوم في شرق دمشق، وليس من باب الصدفة أن تبنى منارة بيضاء من أكبر المنارات في العالم في مطار دمشق الدولي، وقد أخرج ابن عساكر في التاريخ عن كعب الأحبار، قال: يهبط المسيح عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي(5).

صفات المسيح υ عند نزوله:

وهناك العديد من الأحاديث التي ذكرت وصفهυ عند نزوله منها:

1. عن أبو هريرة τ أن رسول الله ^ قال عن المسيحυ : **«الأنبياء إخوة لعلات(6)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران(7)، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام،..»**(8).

2. وعن نواس بن سمعانτ في حديثه قال: **«إذ بعث الله المسيح بن مريم υ فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين(9)، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ»**(10).

3. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ^ قال: **«رأيت عيسى ابن مريم مربوع**

---

(1) للمزيد عن أحاديث المهدي الصحيح والحسن. انظر: سلسلة الرسائل الجامعية (رسالة الماجستير للأستاذ: يوسف عبدالله الوابل: أشراط الساعة. الفصل الأول ص249. دار ابن الجوزي. الدمام (ط20: 1424هـ).

(2) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال. رقم الحديث: 2937.

(3) صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب: نزول عيسىυ حاكما بشريعة نبينا محمد ^ رقم الحديث: 156.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك:كتاب الفتن والملاحم. ج4. ص536. وقال الحاكم صحيح الإسناد. وقال الذهبي في التلخيص صحيح الإسناد. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج7. ص342، تحقيق عبدالله الدرويش. دار الفكر. بيروت (ط: 1994م).

(5) انظر: ثلاثة ينتظرهم العالم، المهدي المنتظر، المسيح الدجال، المسيح عيسىυ: حمزة الفقير. ص92. دار الإسراء. عمان (ط: 1995م).

(6) أخوة لعلات: أخوة لأب.

(7) ثوبان ممصران: الملوّن بالصفرة الخفيفة.

(8) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: 406 وقال إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود. برقم: 2324. مختصراً، ورواه ابن جرير الطبري في التفسير برقم:10830. وقد صحح الحافظ بن حجر إسناده بفتح الباري. برقم: 493.

(9) مهرودتين معناه: لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بالزعفران. وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة. وقوله تحدر منه جمان كاللؤلؤ: الجمان هي: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمى الماء جماناً لشبهه به في الصفاء (صحيح مسلم بشرح النووي. ج4. ص67).

(10) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء. باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام. رقم الحديث: 3448.

الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس»(1).

4. وعن عروة بن مسعود الثقفيτ قال سمعت عبدالله بن عمرو يقول: أن رسول الله ^ قال: **«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين** ـ لا أدري أربعين يوماً، أو شهراً، أو عاماً ـ **فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه...»** الحديث(2).

الأعمال التي يقوم بها عند نزولهυ وهي:

عن سعيد بن المسيبτ أنه سمع أبا هريرة τ قال: قال رسول الله^: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها... »**(3)، ومن خلال الحديث تتضح المهام التي نزلυ بشأنها:

1. الانتصار للإسلام، وإظهاره على كل الديانات القائمة في ذلك الزمان:

معلوم من الدين بالضرورة أن دين الله واحد، ورسالة الأنبياء واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله، وعدم إشراك آلهة أخرى في ألوهيته، وما رسالته ^ إلا إتماماً لما جاء به من سبقه من الأنبياء، والرسل، وهذا ما أكده كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر﴾ (سورة البقرة، آية: 285) وبعد أن حرَّف اليهود، والنصارى أصل دينهم، وأدخلوا فيه ما ليس منه جاءت شريعة الإسلام ناسخة للشرائع التي قبلها، وقد أخذ الله العهد، والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ^، ويتَّبعوه إذا بُعث وهم أحياء، قال تعالى: ﴿الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق﴾ (سورة آل عمران، آية: 81).

ومن أجل هذا كانت مهمته عليه السلام عند نزوله آخر الزمان كسر الصليب رمز النصرانية المحرفة، وقتل الخنزير المحرَّم في كتاب الله، وأن يضع الجزية فلا يقبل من أحد من اليهود، والنصارى، وغيرهم إلا الإسلام، أو القتل، وهي من شرائع الإسلام، ويبين النبي ^ أن عيسىυ سينزل حكماً مقسطاً بكتاب الله، وسنة رسوله ^، وشريعته، وتدل الأحاديث النبوية على ذلك حيث أنهυ بعد نزولهυ يرفع صوته بالتلبية محرماً بحج، أو عمرة، أو الجمع بينهما، وهذا يكون من مكان يقال له فج الروحاء(4)، ثم يأتي قبر النبي ^، ويسلم عليه، ويرد النبي ^ عليه السلام.

وقد بينت الأحاديث ذلك: فعن أبي هريرةτ قال: قال رسول الله ^: **«وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلّنّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجّ الرّوْحَاءِ، حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ لَيَثْنِيَنّهُمَا»**(5) يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: «قوله ^: **«لَيَثْنِيَنّهُمَا»**، يكون بعد نزول عيسىυ من السماء في آخر الزمان»(6) .

عن أبي هريرةτ قال: قال رسول الله ^: **«ليهبطن ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً وليسلكن ـ فج الروحاء ـ حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ، ولأردن عليه»**. يقول أبو هريرة: أي بنى أخي! إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام(7)، ويتبين لنا من حجة υ، وزيارة روضة المصطفى ^ أنه إذا نزل سوف يكون تابعاً لشريعة محمد ^، ولا ينزل بشريعة جديدة، ويؤكد الإمام النووي ذلك بقوله: «ينزل حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة»(8).

---

(1) صحيح البخاري في الفتح. رقم الحديث: 2638، وصحيح مسلم. رقم الحديث: 2931. والإمام أحمد: 2/ 148، والبغوي في شرح السنة: 15/ 70.

(2) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: ذكر الدجال. رقم الحديث: 2937.

(3) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: خروج الدجال ونزول عيسى وقتله. رقم الحديث: 2940.

(4) فج الروحاء: يقع بين مكة والمدينة كان طريق رسول الله ^ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج (انظر: معجم البلدان: ج4. ص236).

(5) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الحج. باب جواز التمتع في الحج والقرآن. رقم الحديث: 1252.

(6) صحيح مسلم بشرح النووي: ج5. ص143. رقم الحديث: 1252.

(7) رواه الحاكم في المستدرك:كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. برقم: 4162. وقال الحاكم صحيح الإسناد. وقال الذهبي في التلخيص صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(8) صحيح مسلم بشرح النووي: ج5. ص143.

ويشرح الإمام القرطبي صفته υ بين ظهرين أمة محمد ^، بقوله: «فعيسىυ إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة، ومجدداً لما هجر الناس منها إذ هي آخر الشرائع،...، وهو سلطان يومئذ للمسلمين، ولا إمام، ولا قاضي، ولا مفتي قد قبض الله تعالى العلم، وخلى الناس منه، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره؛ لأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله الله»(1)، وبه قال الإمامان السفاريني(2)، والسيوطي(3)(4).

2. **وضع الجزية أي: عدم قبول الجزية: فيخير أصحاب الملل إما الإسلام، وإما القتل، أما ما ورد عن عدم قبوله الجزية : فقد وردت عنه روايتان:**

- رواية الإمام البخاري: يضع الجزية يقول الإمام ابن حجر في شرحه لهذه العبارة: «أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة من يؤدي الجزية، وقيل: معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له، فتترك الجزية استغناءً عنها»(5).
- رواية الإمام مسلم ويضع الجزية: يقول الإمام النووي في معناه: «لم يكف عنه ــ الإسلام ــ بها بل لا يقبل إلا الإسلام، أو القتل»(6).

3. نشر العدل، والأمن، والطمأنينة بين الناس بعد أن ملئت عليهم الدنيا ظلماً، وجوراً.
4. إقامة الحجة، والدليل على القائلين بقتله صلباً من اليهود، فأرسله الله لقتالهم، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا هلك، ولا ينفعهم الاختباء وراء الشجر، أو الحجر.
5. **المهمة الكبرى قتل الدجال:** فعن أبي أمامة الباهليτ قال: قال ^: **«.. قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: افْتَحُوا الْبَابَ. فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ. مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيّ. كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ. فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِباً. وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ. فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ. فَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلاَّ أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ. لاَ حَجَرَ وَلاَ شَجَرَ وَلاَ حَائِطَ وَلاَ دَابَّةَ ــ إِلاَّ الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لاَ تَنْطِقُ ــ إِلاَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ! هَذَا يَهُودِيّ.تَعَالَ اقْتُلْهُ»**(7). بباب لُد: منطقة في فلسطين تسمى اللُّد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ^: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة. من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين أخواننا. فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً. ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله. ويفتتح الثلث. لا يفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون. وذلك باطل. فإذا جاؤوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف. إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم^. فأمهم. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»**(8). حيث يضع حربته بين سندوته ــ اللحم حول الثدي ــ فيقتله، وفي رواية ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول إمام المسلمين: ياروح الله تقدم فيقول: **«إن بعضكم أمراء على بعض تكرمة الله هذه الأمة»**(9)، وبذلك تنتهي أعظم فتنة في تاريخ البشرية بانتصار الحق على الباطل، وقتل الدجال، والدجالين، ورد العدل إلى الأرض؛ لينعم به الناس.

6. **حفظ عيسىυ للمؤمنين بوحي من الله من بطش يأجوج ومأجوج:**

---

(1) المسيح الدجال: الإمام القرطبي. ص28. دار الفجر. القاهرة (ط1: 1419هـ).
(2) المسيح الدجال وأسرار الساعة: محمد بن أحمد السفاريني. ص51: 52. المكتب الإسلامي. بيروت (ط3: 1411هـ). وانظر: المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب طويلة. ص209: 211. دار السلام. القاهرة (ط6: 2004م).
(3) انظر: الإعلام في نزول عيسىυ: الإمام السيوطي. ص20. تحقيق مجدي الشهاوي. المكتبة التوفيقية. القاهرة (ط.ب).
(4) انظر: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية: محمد صقر. ص238.
(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج6. ص552. رقم الحديث: 3448.
(6) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى حاكما بشريعة محمد^. ج2. ص247. رقم الحديث: 389-
(7) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن. باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم. برقم: 4077.
(8) صحيح مسلم: كتاب الفتن. رقم: 2897. وكتاب الإيمان: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: رقم الحديث: 247.
(9) صحيح مسلم: كتاب الإيمان. رقم: 156.

في آخر الزمان، وفي زمن عيسىυ بالتحديد يخرج يأجوج، ومأجوج، ويفسدون في الأرض، فيوحي الله عز وجل إلى عيسىυ أن هؤلاء القوم لا يقدر أحد على قتالهم، فيأمره الله بإبعاد المؤمنين من طريقهم إلى جبل الطور:

فعن النواس بن سمعان قال: قال ^: **«.. أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَىυ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي، لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ. فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»**(1). يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: «قال العلماء معناه: لا قدره، ولا طاقة يعني: بيأجوج، ومأجوج، يقال مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان؛ لأن المباشرة، والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان: لعجزه عن دفعه، ومعنى **«حرزهم إلى الطور»**: أي ضمهم، واجعله لهم حرزاً، يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً: إذا حفظته، وضممته إليك، وصنته، ووقع في بعض النسخ حَزِّب: بالحاء، والزاي، والباء أي: جمعهم. قال القاضي وروى حَوِّز: بالواو، والزاي، ومعناه: نحهم، وأزلهم عن طريقهم إلى الطور»(2).

ومما سبق عرضه يتضح: أن عيسىυ سينزل من السماء، ويكون تابعاً لشريعة محمد ^، ويقضي على جميع الشرائع سوى الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يقبل إلا الإسلام، ويحج، أو يعتمر، ويزور قبر المصطفى ^، ويقتل الدجال، ومن معه من اليهود، ويقوم بحماية المؤمنين من بطش يأجوج، ومأجوج بضمهم لجبل الطور.

مدة مكث عيسىυ في الأرض بعد نزوله آخر الزمان:

قوله ^: **«فيمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفاه الله فيصلي عليه المسلمون»**(3).

وصية الرسول ^ لمن حضر ساعة نزول عيسىυ من أمته:

عن أبي هريرةτ عن النبي^ أنه قال: **«إني لأرجو إن طال بي عمر؛ أن ألقى عيسى ابن مريم ^، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام»**(4).

ثالثاً: معركة هرمجدون في الإسلام:

لا يوجد في المصادر التشريعية الإسلامية ما يشير إلى معركة كونية تدمر ثلثي سكان العالم تسمى معركة هرمجدون كعلامة من علامات الساعة الكبرى، بيد أن كتب السنة المعتبرة، والمختصة بالملاحم، والفتن، وأشراط الساعة ذكرت عدد من الوقائع القتالية التي تحدث بين المسلمين، واليهود، والنصارى آخر الزمان، كعلامة من العلامات الكبرى، نذكرها باختصار ذلك أن موضوعنا لا يعتبر تحقيقاً لهذا الجانب على وجه الخصوص إنما نوردها على سبيل النفي، أوالإثبات، الموافقة، أوالمخالفة لما جاء في الكتب السماوية عملاً بقوله ^: **«لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم»**(5)، وقوله ^: **«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**(6)، ولا اختلاف بين النصين يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية؛ والقواعد الدينية، خشية الفتنة، فلما زال المحذور وقع الإذن. لما في الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار. عليه سنسرد الوقائع حسب التسلسل الزمني لمقارنتها بما جاء في شريعتهم؛ لإظهار وجه الاتفاق، والاختلاف ــ وبالله نستعين ــ.

أ ــ كثرة الروم، وقتالهم للمسلمين في آخر الزمان:

1. عن عوف بن مالك الأشجعي رضيτ قال: قال رسول الله ^: **«اعدُدْ ستاً بين يدي الساعة .. »** فذكر منها: **«ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر** ــ الروم ــ، **فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية**(7)، **تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»**(8) . فيكون مجمل عدد الروم تسعمائة ألف

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة. رقم الحديث: 2137. وأخرجه الترمذي: برقم:2240. وقال حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة: برقم: 4075.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ج9. ص194.

(3) سنن أبي داود: كتاب الملاحم. باب خروج الدجال. رقم: 4324، صحيح سنن أبي داود: الألباني. رقم: 7635. رواه الإمام أحمد في مسنده. برقم: 9630.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وقال حديث صحيح. ج2 برقم: 298- 299.

(5) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبي ^: **«لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»**. رقم الحديث: 7362.

(6) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء. باب ماذكر عن بني إسرائيل. رقم الحديث: 3461.

(7) غاية: أي راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، ولأنها تشبه السحاب، فهي تظل الأجناد لكثرتها، واتصال ألويتهم.

(8) صحيح البخاري:كتاب الجزية والموادعة. باب: ما يحذر من الغدر. رقم الحديث: 3176. وأخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن. باب: أشراط الساعة. برقم: 4042 و4095.

وستون ألفاً.

2. عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبه رضي الله عنهما قال: «كنا مع رسول الله ^... فحفظت منه أربع كلمات أعُدهن في يدي، قال: **«تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله»**، قال نافع: «يا جابر! لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم»(1).

3. عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري ـ دابة ـ ألا: ياعبدالله بن مسعود! جاءت الساعة. قال: فقعد ـ وكان متكئاً ـ، فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا، ونحاها نحو الشام، فقال: عدوُ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة(2) للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفي هؤلاء، وهؤلاء كل غير غالب، ثم تفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفي هؤلاء، وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا اليوم الرابع نهد إليهم ـ نهض ـ بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة ـ الهزيمةـ عليهم، فيقتتلون مقتلة؛ إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم يُر مثلها، حتى أن الطائر ليس بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتاً، فيتعاد بنو الأب ولو كانوا مئة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك؛ إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ^: **«إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آباءهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»**(3) ، وهذا القتال يقع في الشام في آخر الزمان، قبل ظهور الدجال، ويكون انتصار المسلمين على الروم إيذاناً لفتح القسطنطينية(4).

4. عن أبي هريرةτ أن رسول الله ^ قال: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق(5)، أو بدابق(6)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذي سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين أخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام؛ خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فنزل عيسى بن مريم عليهما السلام»**(7)(8).

ب ـ ما جاء في فتح القسطنطينية(9):

من علامات آخر الزمان فتح مدينة القسطنطينية على أيدي المسلمين قبل خروج الدجال، والذي تدل عليه الأحاديث أن الفتح يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى، حيث يتوجهون بعدها إلى القسطنطينية فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم التهليل، والتكبير، كما جاء في الحديث:

عن أبي هريرةτ أن النبي ^ قال: **«سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟»**. قالوا: نعم يا رسول الله. قال: **«لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني**

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: إقبال الروم في كثرة القتل عن خروج الدجال. رقم الحديث: 7213. وأخرجه ابن ماجة:كتاب الفتن. باب: الملاحم. برقم: 409.

(2) الشرطة: أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة.

(3) صحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: إقبال الروم في كثرة القتل عند الخروج الدجال. رقم الحديث2899. وأخرجه الحاكم في مستدركه. برقم: 447/4.

(4) انظر: أشراط الساعة: يوسف الوابل. ص211: 212.

(5) الأعماق: قال ياقوت الحموي: "هي كوة قرب دابق بين حلب وأنطاكية، وهما في الشام"، وقيل الأعماق ودابق موضعان في سورية قرب حلب.

(6) دابق: بكسر الباء وروي بفتحها وهي: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(7) صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب: في فتح القسطنطينية وخروج الدجال. رقم الحديث: 2897. وأخرجه الحاكم في مستدركه. برقم: 482/4. وذكره الهندي في كنز العمال. برقم: 38416.

(8) أشراط الساعة: يوسف الوابل. ص213.

(9) القسطنطينية: مدينة الروم: ويقال لها القسطنطينية، وهي معروفة بأسطنبول من مدن تركيا، وتعرف قديماً باسم (بيزنطة)، ثم لما ملك قسطنطين الأكبر ملك الروم بنى عليها سورً وسماها قسطنطينية، وجعلها عاصمة ملكه، ولها خليج من ناحية البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر (انظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي. ج4. ص347).

إسحاق(1) ، **فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم؛ قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ...ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»**(2)، وذهب الحافظ بن كثير إلى أن هذا الحديث يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على أيدي طائفة منهم.

ومما لا شك فيه أنه خلال القرون السابقة، ومشاهدتنا للتاريخ المعاصر من خلال دخول الناس في الإسلام على مختلف أجناسهم، وأصولهم فمنهم من هم من بني إسحاق، ومنهم من بني إسماعيل، ومنهم من بني الأصفر، ومنهم من بني الأحمر، فهم خليط من جمٍّ غفير من مشارق الأرض، ومغاربها، ويحتمل أن تكون هذه الطائفة ممَّن أسلم منهم، وحسن إسلامه، وصدق في إيمانه ففتح الله عليهم، كرامة لهم، ولكنهم ليسوا من ذرية إسماعيلυ، كما أنه معلوم بالضرورة أنه ليس كل مسلم من ذرية إسماعيلυ، فكما أن هناك يهود، ونصارى من ذرية إسماعيل فهناك أيضاً مسلمون من ذرية إسحاق ــ والله أعلم ــ. كما أن فتح القسطنطينية بدون قتال لم يقع إلى زماننا الحاضر، لاسيما وأن تركيا المعاصرة من الدول الإسلامية الكبرى، وفيه نذارة، وبشارة، فالنذرة: خروج تركيا عن بوتقة الإسلام قبل آخر الزمان، وتكون تحت حكم الروم الغرب، وبشارة: في استردادها، والعودة بها إلى حضيرة الإسلام مرة أخرى في آخر الزمان.

ج ــ قتال المسلمين لليهود آخر الزمان:

ومما ذكر من العلامات الكبرى آخر الزمان قتال المسلمن لليهود، فيكون المسلمون يومئذ تحت راية عيسىυ، وجنده، ويكون اليهود يومئذ تحت راية الدجال، وجنده، كما أخبرت بذلك الأحاديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ^ يقول: **«تُقَاتِلُكُم الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»**(3).

وعن أبي هريرةτ عن النبي ^ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر، والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد(4)، فإنه من شجر اليهود»**(5).

وهذه الأحاديث المذكورة أعلاه في المعارك التي تقوم قبل قيام الساعة، والتي تعتبر نذيراً لقيامها، وعلامة من علاماتها الكبرى،... لم تذكر لا بالتلميح، أو التصريح معركة وادي هرمجدون الواردة في رؤيا يوحنا، والتي تبرر بها احتلال فلسطين.

خلاصـــة:

من خلال ما سبق عرضه يتضح الآتي:

- لم تسجل أي معركة من المعارك المذكورة سابقاً قتل ثلثي سكان الأرض، فكل المعارك محدودة الأطراف من أهل الأرض.
- المعارك التي ستشن أرضية، وليست نووية، ولم يذكر طرفاً لتقنيات التسلح غير المعهودة في الأزمنة السابقة.
- وسيلة التنقل في ساحة المعارك في جميع المصادر الإسلامية، ومصادر اليهود، والنصارى: الخيل، والدواب فكيف يحدث بهما فناء ثلثي سكان الأرض؟.
- السلاح المستخدم تارة: السيف، والرمح، وتارة: السلاح الأبيض، وتارة: الإيمان بالله بالتهليل، والتكبير.
- مواقع المعارك في جزيرة العرب، وفارس، والروم (الشام (دمشق ـ حلب))، اسطنبول القسطنطينية، وبلاد المقدس، أي: في حدود قارة آسيا دون سائر قارات العالم، ما يعني استحالة فناء ثلثي سكان العالم على هذا الوجه.

وتعلق الأصولية الإنجيلية غريس هالسل على ذلك الاضطراب في كتبهم، والذي أربكها

---

(1) قوله: من بني إسحاق: قال القاضي: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم (من بني إسحاق) قال: وقال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية. ونرى أنه لا يبعد أن يكونوا من بني إسحاق ممن أسلم وحسن إسلامه. (انظر: شرح النووي: ج9. ص175).

(2) صحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: لا تقوم الساعة. رقم الحديث: 2920. وذكره الهندي في كنز العمال. برقم: 38775 ورقم: 38789.

(3) صحيح البخاري:كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام. رقم الحديث: 3593.

(4) الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد المقدس.

(5) صحيح البخاري:كتاب الجهاد. باب: قتال اليهود. رقم الحديث: 2925. صحيح مسلم:كتاب الفتن. باب: لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بالقبر فيتمنى أن يكون مكانه. رقم الحديث: 2922 .

عندما تعرضت لهذه النقطة فقالت: «إن احتلال كلمة هرمجدون هذه الأهمية المميزة في حياتنا دعاني إلى أن أحدد مصدرها، فإنني مرتبكة، فالعهد القديم لا يذكرها، وسفر الرؤيا يتحدث عن مكان هرمجدون، إلا أن بعض الأصوليين يصر على أن هرمجدون تعني اسم معركة»(1).

وأخذت مقالات المفكرين، والكتاب، والعلماء المختصين في الدراسات التاريخية تسلط الضوء على القضية وتتناولها من عدة أوجه، فقد جاء في مجلة تراث الإماراتية تحقيق حول معركة هرمجدون، وكان بعنوان: هرمجدون أكذوبة نهاية التاريخ بيَّن هذا التحقيق أنها قصة من اختراع الفكر اليهودي المتطرف لإرهاب العالم، حيث ذكر فيه الأستاذ محمد حسن فجه: رئيس الآثار، والتراث بسوريا: «إن هرمجدون معركة وهمية في الذهن التوراتي يتصور فيها اليهود أنهم سيخوضونها، ويبنون من خلالها هيكلهم المزعوم في دولة إسرائيل الحديثة، وهذا لم، ولن يحدث وفقاً للمفهوم الإسلامي»(2).

وذكر في هذا التقرير الدكتور: محمد عمارة عن هذه المعركة: «أن الله وحده يعلم بنهاية الأرض لا الأساطير، ولا النبوءات، ولا أي أحد، وفي ذلك حكمة لا يعلمها إلا الله، لكننا نعلم كيف يصنع اليهود أساطيرهم، وخرافاتهم، بحيث تبدو كما لو كانت حقائق دامغة، وكما لو كانت مسلمات يعتمدون في ذلك على عدة أسلحة أولها: الدعاية الصهيونية الجبارة في أوساط الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الأوربية، ووسائل الإعلام المختلفة»(3).

وذكر فيه د. عبد الوهاب المسيري: «أن هذه النبوءات لا تخرج عن الأهداف العامة التي يروج لها الصهاينة، وهم كالحرباء التي تتكون حسب المحيط الموجودة فيه، وهي حركة تجيد فن الإعلام، وتمتلك ناصيته، وهرمجدون نبوءة دينية لبشر غير متدينين يمكنهم إدعاء التدين؛ لإقناع الآخرين بالنبوءة فقط، لذلك أقنعوا الأوربيين، والأمريكان؛ لكسب دعمهم، وتعاطفهم تجاه الدولة الصهيونية العنصرية لتنفيذ هذه المعركة التي يعتقدون فيها»(4) .

ثالثاً: عقيدة الملك الألفي السعيد في الإسلام:

لنا أن نسأل هل في المصادر الإسلامية السلفية، والمعاصرة ما يشير إلى أن سكان العالم سيعيشون ألف عام سعيدة بعد قتل عيسىυ للدجال؟ كما تذكر المصادر الصهيونية؟.

مكثه υ في الأرض بعد قتله للمسيح الدجال أربعين سنة:

لقوله ^: **«فيمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفاه الله فيصلي عليه المسلمون»**(5).

كما ثبت من السنة المطهرة أنه خلال مدة بقاءه υ بالأرض يحل الخير، والبركة، وسيكون υ حاكماً بشريعة الإسلام، مقسطاً عدلاً، ومتبعاً في ذلك الرسول ^، وأصحابه، وأتباعه هم المسلمون الذين آمنوا بمحمد ^، وبعيسى، وبجميع أنبياء الله، ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم، ولم ينكروا نبوة، أو رسالة أحدهم،...، وهم الذين ينزل بهم بين الصلاة، والإقامة لصلاة الفجر، ويصلي خلف إمامهم؛ لتكريم المولى ـ جلّ في علاه ـ أمة محمد ^، ومن تلك البركة، والرخاء، والأمن التي تذكرها الأحاديث بأن يرسل الله ـ عز وجل ـ المطر الغزير، وتنبت الأرض الثمر الكثير، ويفيض المال، وتذهب الشحناء، والبغضاء، والتحاسد،...

جاء عن النواس بن سمعانτ أنه قال: قال رسول الله ^ بعد هلاك يأجوج ومأجوج في زمن عيسىυ: **«...يرسل الله عليهم مطراً لا يكن منه بيت مدر، ولا وبر فيغسله، حتى يتركه كالزلقة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم، ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل تكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر تكفي القبيلة، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس»**(6).

وعن أبي هريرة τ أن النبي ^ قال: **«الأنبياء إخوة لعلات...، وإنه نازل فيكم، فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ويقع الأمن على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر،**

---

(1) النبوؤة والسياسة: هالسل. ص27.
(2) مجلة تراث الأمارات العدد 36. نوفمبر (2001م). ص10
(3) نفسه: ص: 11
(4) نفسه: ص11
(5) سنن أبي داود: كتاب الملاحم. باب خروج الدجال. رقم: 4324، صحيح سنن أبي داود: الألباني. رقم: 7635. رواه الإمام أحمد في مسنده. برقم: 9630.
(6) صحيح مسلم: كتاب: الفتن.باب: ذكر الدجال وصفته. رقم الحديث: 2937. وأخرجه الترمذي. برقم: 2240. وقال: حديث حسن صحيح.

والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»(1).

عليه لم يرد في الشرع الإسلامي شيء عن الملك الألفي سوى ما يعم العالم من الخير، والرخاء، والأمن، والأمان آخر الزمان مع اختلاف مدة الرخاء، وأسبابه بين الإسلام، واليهودية، والنصرانية، وأصدقها خبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة، والسلام لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ﴾ (سورة النجم، آية: 3، 4).

(1) سبق تخريجه. ص668.

المبحث الثالث
بيان أوجه الاختلاف والاتفاق في عقيدة نهاية العالم في المصادر الإسلامية مع ما ورد في الأصوليتان اليهودية والنصرانية وإثبات الوجه الصحيح

من خلال العرض السابق للأدلة السمعية لمجريات الأحداث ما قبل قيام الساعة في عند اليهود، والنصارى، والمسلمين اتضح أن هناك اتفاق في مجمل بعض الأحداث، واختلاف بين في الدقائق، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: معارك آخر الزمان في المصادر الإسلامية وأوجه الاتفاق والاختلاف بما جاء في مصادر اليهود والنصارى:

1. يتفق ما جاء في المصادر الإسلامية مع ما جاء في مصادر اليهود، والنصارى من حدوث جملة من المعارك، والملاحم آخر الزمان. وبشكل عام بين النصارى، والمسلمين، وبين المسلمين، واليهود، وبين اليهود، والنصارى، وبينهم جميعاً على اختلاف دوافعها، ونتائجها، ويختلف ذكر الملاحم في المصادر التشريعية الثلاثة في التفاصيل على النحو الآتي:

- تتفق الأصوليتان الصهيونيتان على نشوب معركة بتل مجدو في أرض فلسطين يطلق عليها معركة هرمجدون، ولفظ هرمجدون كما ذكرنا آنفاً لم يذكر إلا في الإنجيل، ولمرة واحدة فقط.
- لا يؤمن اليهود بالإنجيل، واللفظ هرمجدون كما ذكرنا ورد بالإنجيل، ولم يرد مطلقاً بأي نص توراتي، إلا أن اليهود يتمسكون بهذه الفكرة من منطلقات الصهيونية العالمية التدبيرية.
- لم يرد في المصادر الإسلامية ما يسمى بهرمجدون، وملاحم آخر الزمان المنثورة في كتب السنة لا يوجد ما يشير إلى قيام أيُ منها في تلك البقعة بالتحديد.

2. تروى مصادر الأصولية اليهودية المعاصرة بأن تلك الواقعة ستكون دموية، ونووية مدمرة، وستكون بين قوى الخير، وقوى الشر، وتختلف المصادر الصهيونية، وتضطرب في تحديد قوى الخير والشر، اضطراباً بيّنا، فكل مصدر يحددها خلاف الآخر، وكل عصر من عصور الثورات يجسدها على الأحداث السياسية لذلك العصر، وذلك منذ نشوء الفكرة إلى الوقت الراهن، ما يجعلها فكرة متأرجحة، غير ثابتة...، غير أن الثابت في المصادر الأصولية اليهودية المعاصرة أن قوى الخير هم اليهود، وحلفائهم، وقوى الشر الروس، والمسلمون، وحلفائهم، وستقضي المعركة على ثلثي سكان العالم، وفي المصادر الأصولية النصرانية المعاصرة، انقسمت إلى فريقين:

<u>الأول</u>: بأنها معركة ستقضي على ثلثي سكان العالم. كما في الأصولية اليهودية. **<u>الثاني</u>**: بأنها معركة ستقضي على ثلثي يهود العالم على وجه التحديد؛ لأنهم هم أساس الشر في الأرض، ومن يبقى منهم يكرز في النصرانية، ويؤمن بألوهية المسيح، ويكون مبشر بالإنجيل في العالم، ولنا في ذلك وقفه:

- إذا كان النصارى آخر الزمان أكثر الأمم عدداً، وقضى في المعركة ثلثي سكان العالم، فمعلوم بالضرورة أن يكون المتبقي على الأرض المؤمنون بهυ، وهم أنفسهم النصارى المؤمنون به ـ بزعمهم ـ. فما الحاجة بأن يقوم اليهود الذين دخلوا في النصرانية بالتبشير بعيسىυ؟. إذ أن جميعهم من المؤمنين به!!؛ لأن المعركة في الأصل قامت بين قوى الخير، والشر فانتصرت قوى الخير، وتم بعدها وضع الشيطان في سلاسل، وقذفه في الجحيم. فإذا كان الشيطان قذف في الجحيم، فمَن الفئة المتبقية التي ستغوى على الأرض؟، إذ أنه من المفترض أن يكونوا جميعاً مؤمنين، وصالحين، ...، وإذا كان اليهود سيبشرون العالم بعيسىυ، يعني: أنه لم يتم القضاء على قوى الشر؛ لأن ذلك يعني أنه مازال هناك أشرار لا يؤمنون به!، ويكون عيسىυ في هذه الحالة إما أنه لم يؤدِ وظيفته التي نزل لأجلها كما أمره الله ـ عياذاً بالله ـ، وأما أن يكون أدَّاها على أكمل وجه!، ويصبح السؤال ما الغاية من عمل اليهود المتنصرين بالتبشير؟.
- إذا كان التبشير البروتستانتي معناه: التبشير بقرب عودة المسيحυ الثانية، وحكمه للعالم لألف عام سعيدة(1)، وقد وقع ذلك على الحقيقة فما الرسالة التي سيحملها اليهودي المتنصر؟ وما

---

(1) الفرق بين التنصير والتبشير: التنصير دعوة عامة يقوم بها جميع أفراد الطوائف النصرانية المختلفة (لكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت)، بمختلف فرقهم للدخول في النصرانية وخلع ما سواها بلا تحديد، أما التبشير: فهو خاص بالطائفة البروتستانتية وتحمل بشارة عودة المسيح عيس ابن مريم آخر الزمان، وحكمه للعالم ألف عام سعيدة، ومن يؤمن به يدخل ملكوته، ويتطلب الإيمان بذلك مساندة إسرائيل بالتبرعات المالية لقيامها بمشروعاتها الاستيطانية، وهجرة اليهود وتوطينهم، وبناء الهيكل الثالث؛ لتعجيل ظهور المسيا، إذ لا =

غايتها؟ ولمن؟، وثلثي العالم قد فنا.

إذاً الحق في المسألة أن هذه أمور غيبية لا يعلمها إلا الله، والتوقف فيها ألزم لسلامة عقيدة المؤمن، كما أن الخوض فيها لا يزيد، أو ينقص، أو يغير في حقيقتها.

ثانياً: مسألة خروج المسيح الدجال في المصادر الإسلامية وأوجه الاتفاق والاختلاف بما جاء في مصادر اليهود والنصارى:

يتفق ما جاء في المصادر الإسلامية مع ما جاء في مصادر الأصولية النصرانية حول مسألة خروج المسيح الدجال آخر الزمان، في جملة من الأمور وهي:

1- أن الدجال سيخرج من المشرق، وقيل من أصبهان.
2- أن الدجال من أبوين يهوديين، وسيتبعه سبعون ألف من يهود أصبهان عند خروجه. إلا أن النصارى يسمونه في معتقدهم الوحش، واليهود يطلقون عليه المخلص من نسل داودυ، وهو الذي سيغرر بهم، ويأمرهم بعبادة غير الله بعد أتباعه كما بينت لنا الشواهد.
3- صفته: دمامة خلقته.
4- فتنته: ما يقوم به من الأعمال الخارقة للعادة تبهر عقول أتباعه.
5- قتله على يد المسيح عيسىυ.

وتختلف الصهيونيتان فيما جاء في الدجال عن المصادر الإسلامية فيما يأتي:

1. يعتبره اليهود هو المسيا المنتظر، لكنه ليس بنبي، وليس عيسىυ، وإنما ملك من نسل داودυ، ويؤمن به الكثرة لما معه من خوارق العادات، وإغرائه لهم بها بأنه سيملك الأرض إلا أنهم لا يؤمنون بكونه المسيح الدجال الوارد في المصادر الإسلامية بل يعتقدون يقيناً بأنه المخلص، وأنهم سيملكون الدنيا، ويحكمون العالم.
2. يعتبره اليهود في عقيدتهم المضطربة بأنه هو المخلص، والذي سيقتل النبي الكذاب، والوحش، وسيبني معهم الهيكل الثالث، ويقيم به المذابح، وطقوس العبادة، وليس من دلالة واضحة في كتبهم تحدد شخصية النبي الكذاب، والوحش.
3. يذكر اليهود بأنه بعد قتله للنبي الكذاب، والوحش سيحكم العالم لألف عام سعيدة، وتكون أورشليم عاصمة المملكة الألفية، واليهود هم من يحكم العالم.
4. وفي النصرانية: ينتظر منه النصارى بناء الهيكل الثالث مع اليهود؛ لتقريب مجيء المسيح عيسىυ، ثم يتمم لليهود عبادتهم في الهيكل، وتذبح القرابين فيه، ثم يدنس الهيكل برجسة الخراب التي هي عبادة الأوثان، والتي ستؤدي لخرابه للمرة الأخيرة، ومن ثم يقتله المسيحυ، وهذا لم يرد له طرف بالمصادر الإسلامية.

ثالثاً: نزول عيسىυ في المصادر الإسلامية وأوجه الإتفاق والاختلاف بما جاء في مصادر اليهود والنصارى:

يتفق ما جاء في المصادر الإسلامية مع ما جاء في المصادر الأصولية النصرانية في مسألة نزول المسيح عيسىυ، وتنكر الأصولية اليهودية المسألة جملة، وتفصيلا. أما وجه الاتفاق بين المصادر الإسلامية، والنصرانية ما يأتي:

1- يتفق الإسلام مع النصرانية في مسألة نزول المسيحυ في آخر الزمان بصورة حرفية مشاهدة مرئية.
2- إن من أسباب نزوله القضاء على المسيح الدجال.
3- الاتفاق على زمان نزوله بعد خروج الدجال، ومكان نزوله في الشام.
4- أتباعه هم المؤمنون بالله.

تختلف المصادر الإسلامية عن مصادر الأصولية النصرانية في عدة أمور هي:

1. أن هذا النزول في الإسلام يكون على مرحلة واحدة، وليس على مرحلتين كما ذهب إليه الأصوليون في أنه يأتي لاختطاف المؤمنين خفيه ــ حسب معتقدهم ــ، فلا يراه أحد ثم يأتي بعد ذلك من السماء، ويظهر لكل عين تنظر إليه.
2. أن مكان نزول المسيحυ من السماء سيكون عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وعند الأصوليين النصارى سيكون نزولهυ على جبل الزيتون.
3. الأعمال التي يقوم بها المسيحυ عند نزوله في معتقد الأصوليين النصارى ينزل؛ ليخلص إسرائيل، وينجيهم، ويصنع معهم عهداً جديداً، وفي المصادر الإسلامية أنه ينزلυ؛

=

ظهور له دون القيام بهذه البرامج، والتبشير لا يقوم به العامة والخاصة كما في التنصير، إنما تقوم به جهات مدربة على أعلى المستويات، وتصرف على برامجه المبالغ الطائلة لتدريب الدعاة المتخصصين،...(الباحثة).

ليخلص المؤمنين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ^، فينزل على الفئة المؤمنة المقاتلة؛ لإعلاء كلمة الله عز وجل، ويقاتل الدجال، وأتباعه من اليهود، ويقتله، كما بيَّنت الأحاديث.

4. يعتقد الأصوليون النصارى أن المسيحυ سينزل؛ لإقامة حكم الله في العالم، ويكرز ببشارة الملكوت إلى الخليقة كلها، وهذا باطل؛ لأنه عند نزوله ينزل للقضاء على جميع الشرائع عدا الإسلام، فينزل تابعاً لمحمد ^، ويصلي خلف إمام المسلمين، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وينزلυ حاكماً بالشريعة الإسلامية، ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة، ولا بشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام أمة محمد ^، ويقوم بشعائر الإسلام، فيحج، أو يعتمر، ويزور قبر الحبيب المصطفى ^، وفي زمانه يخرج يأجوج، ومأجوج، فيقوم بحماية المؤمنين، ويذهب بهم إلى الطور بوحي من الله عز وجل، ويدعو هو، وأصحابه بهلاك يأجوج، ومأجوج فيهلكهم الله عز وجل.

5. ينزلυ في آخر الزمان؛ ليبطل إدعاء اليهود، والنصاري بأنه قتل، وأنه قام بعد ثلاثة أيام من موته من بين الأموات، فيظهر كذبهم، كما ينزل مكذِباً للنصارى، ويظهر زيفهم، وأباطيلهم بالقول بإلوهيته، وأنه من ولد آدم بشر من طين، ويهلك الله على يده كل الملل إلا الإسلام.

6. يمكثυ في الأرض ما شاء الله له أن يمكث ثم يموت، كأي بشر كتب الله عليه الموت، ويصلي عليه المسلمون، ويدفن في المدينة في غرفة النبي ^، وجواره على ما جاء في بعض الروايات.

وفي النهاية ننقل تعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في أحداث آخر الزمان حيث يقول: إنه لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتواكلوا، ويقعدوا عن العمل الجدي للإسلام استسلاماً، وانتظاراً لنزول المسيحυ محتجين في أن العمل الآن لا يجدي بعد انتشار الفساد في الأرض، وكثرة الضلال، فيقول قائل منهم علينا الآن انتظار نزول عيسىυ، وحينئذ سيعود النصر للإسلام، وهم بفعلهم ذلك يتقاعسوا عن الذود عن الدين، ويتركون العمل لإقامة دولة الإسلام في الأرض، وهذه فكرة خبيثة دخيلة على الإسلام منشأها أيدي الاستعمار الخفية؛ لإسقاط السعي الجدي الواجب، والوعي الإسلامي الصحيح لإفراغ الساحة من الروح الإيمانية الحقيقة المنافحة؛ للتصرف بالأمة، وأبنائها، وتوجيهها حسبما تمليه مطامعهم، ومصالحهم اتجاهها!، وكثيراً ما خدع، وغرر ببعض المسلمين من أبناء الأمة بذلك، والقرآن الكريم يخبرنا أنه إذا أخذنا بالأسباب الموجبة للنصر نصرنا الله عز وجل في أي وقت، وليس النصر مخصوصاً بوقت نزولهυ، قال تعالى: ﴿ غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح ﴾ (سورة محمد، آية: 7)، وقال عز من قائل: ﴿...الشيطان الرجيم ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ (سورة الحج، آية: 40)، ولقد وعد الله عز وجل الذين آمنوا باستخلافهم في الأرض، والتمكين لدينه عز وجل، ولكن بشروط عبادته حق العبادة، وتغيير أنفسهم على ما يحب، ويرضى، قال تعالى: ﴿الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سورة ﴾ (سورة النور، آية: 55) وقال: ﴿ السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت ...﴾ (سورة الرعد، آية: 11)، فالعبادة الصحيحة لله عز وجل، وعدم الإشراك به، وإقامة شرعه في الأرض، وتغيير الاعوجاج في الطريق إلى الاستقامة مدعاة للملك، والتمكين(1).

بسم بسم بسم

الباب الرابع
طرق مواجهة الخطر الأصولي اليهودي، والنصراني

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصـــــل الأول: الإعداد الإيماني.
تقوية الوازع الديني في الدفاع عن

الفصل الأول

الإعـــداد الإيمـــاني

من الجدير أن نبدأ هذا الباب بما هو خلاصة لأهم هدف من أهداف الأصوليتين الصهيونية، والنصرانية ألا وهو محاولة تقويض عزائم أهل الإسلام، والإخلال بتوازن المسلم، وإخراجه من دينه؛ ليتجه إما إلى التنصير(1)، أو التهويد(2)، أو إلى اللا دين(3)؛ ليكون بذلك مهيأ للاستعمار، والاحتلال، والسيطرة، وإحكام القبضة عليه، وفلسطين تعد الخطوة الأولى التي ستنتهي بحسب مخططاتهم إلى العالم العربي بأسره من نهر الفرات إلى نهر النيل، ومنه إلى العالم الإسلامي. فالعدو متربص يتحين أدنى الفرص كما نبهنا لذلك المولى عز وجل في قوله تعالى: ﴿يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب﴾ (سورة التوبة، آية: 52) وبيَّن لنا عز وجل بأننا مهما أبدينا لهم من روح التسامح، والعطف فلن يرضيهم إلا خروج المسلم عن دينه، وأتباعه لهم في الكفر؛ ليكون معهم عند الله سواء في الحكم حيث قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم﴾ (سورة البقرة، آية: 120).

هذا برغم أن التجارب التي أمضاها جهابذة منصِّريهم في تنصير مسلمي العالم الإسلامي أثبتت لهم صعوبة تحويل المسلم عن دينه، وتمسكه بعقيدته، وكتابه، كما ثبت لهم بالمعاينة صعوبة السيطرة على المسلمين، وقد صرح بذلك زعماؤهم، ومنظري، وواضعي استراتيجياتهم وخططهم، حيث يقول أحد أكبر أقطابها "السموأل صموئيل زويمر" بعد أن فشلت حملاته التبشيرية التي عملت منذ مائة عام مضت، وما زالت تعمل؛ لتحقيق أهدافها في خطابه الموجه للدعاة، والعاملين في المحافل التبشيرية، حيث قال: «...لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن أداء، ووفقتم لها أسمى توفيق، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية من التنصير!، إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين إلى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: (إما صغير لم يكن له أهل يعرفونه ما هو الإسلام، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر، وعزَّت عليه لقمة العيش، وأما الآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية. لكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم، وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام، وهذا ما أهنئكم، وتهنئكم دول المسيحية، والمسيحيون جميعاً عليه...»(4).

ويؤكد البابا شنودة في خطابه السري الذي ألقاه في الكنيسة المرقصية في الإسكندرية عام (1393هـ : 1973م) على هذا التوجه، حيث يقول: «...أنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية على أن الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذي اتفق عليه من التبشير في المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الفئات، والجماعات أكثر من التبشير بين الأفراد، وذلك لزحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم، أو التمسك به على أن لا يكون من الضروري دخولهم في المسيحية. ويكون التركيز في بعض الحالات على زعزعة الدين في نفوس المسلمين، وتشكيك الجموع الغفيرة في كتابهم، وفي صدق محمد، وإذا نجحنا في تنفيذ هذا المخطط في المرحلة القادمة فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئات عن طريقنا، وحتى هذه الحالة إن لم تكن لنا فلن تكون علينا»(5).

و بناءً على هذه الرؤيا، ولما تيقنوا صعوبة أخراج المسلم من دينه عمدوا إلى أساليب

---

(1) يكون ذلك بالحركات التنصيرية (الكاثوليكية ـ الأرثوذكسية ـ البروتستانتية النصرانية).
(2) بخروجه من الإسلام ويعتنق البروتستانتية الإنجيلية المهودة (الصهيونية).
(3) أي: لا دين له فلا هو مسلم، ولا نصراني، ولا يهودي إنما هو مسخ عياذاً بالله.
(4) جذور البلاء: عبدالله التل. ص275.
(5) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير: إبراهيم الجبهان. ص27. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد، الرياض (ط1: 1404هـ) وانظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر التنير. ص18. تعليق: محمد الشيباني. مكتبة ابن تيمية. الكويت (ط1: 14-8هـ).

التشكيك، وهي الأساليب التي اتخذت طابعاً رسمياً في كتابات المستشرقين(1)، والتي تعني ببذر الشك في الإسلام، ومصادره، وثقافته، وتاريخه، ورجالاته الصالحين الأتقياء من السلف والخلف، و...؛ لنزع سلطانه من النفوس، ونجد من ذلك الكثير المبثوث في كتبهم، ومنهم المستشرق هاملتون جب(2) ،حيث تصدر في كتبه للتشكيك في الرسالة المحمدية، وفي تشريعاتها، ومنها كتابه إلى أين يتجه الإسلام؟.

ولعل الخطابين أعلاه فيهما من الوضوح ما يغني عن شرحهما فقد منَّ الله بفضله على أبناء هذه الأمة بقوة الإيمان، ورسوخ العقيدة التي جعلت من مائة عام عمل دؤوب في التبشير بإنفاق مادي ضخم، وتدريب متخصص على أعلى المستويات، و... يخفق في تحويل المسلم عن دينه ما جعلهم يبدلوا أساليبهم الدعوية، واتجاهاتهم لرفض المسلم الديانة النصرانية بمعتقداتها التثليثية غير العقلانية، وعجزهم عن إيصال قناعاتهم الدينية للمستمع ما يضعف المبشر ذاته عن إتمام رسالته، وتختل ثقته بعقيدته، وتساوره الشكوك حولها ـ لاسيما في ظل إسلام عدد غير قليل من المبشرين بعد تجربة التبشير ـ الفاشلة التي مروا بها(3)، ومعرفتهم حقيقة دعوتهم المغرضة التي تطال المسلمين في دينهم قال تعالى: ﴿الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء ﴾ (سورة الأنفال، آية: 30)؛ لذا عمد ساستهم على تغيير نهجهم من نكوص المسلم عن دينه إلى النصرانية التي لا تستسيغها العقول إلى إخراج المسلم من دينه إلى (اللادين)، وأنَّا لهم ذلك؟.

إذاً الواجب عظيم، والإعداد للمواجهة لابد أن يكون بحجم قوة الأسلحة الموجهة؛ لتكافئ الكفتان، فيجب إعداد شباب الأمة للجهاد ،...، وإعداد القوة العسكرية، ورجالاتها، و...، كما قال تعالى: ﴿الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان ﴾ (سورة الأنفال، آية: 60)، وقوله تعالى: ﴿التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات ﴾ (سورة البقرة، آية: 190)، وإن إعداد القوة لا يقتصر على حمل السلاح في ساحة الحرب، بل يشتمل على إعداد العدة في جميع الميادين؛ لكشف مناهج العدو، وغاياته، ومواجهة دعاة التغريب، والتبشير، والتنصير، ودعاوى الإرهاب، والتطرف، والرد على دعاوى المستشرقين.

وممَّا لاشك فيه أن أسمى، وأقدس وأرفع درجات الجهاد عند الله الشهادة في سبيله في ميدان القتال إذا غلب كيد العدو، وتم الاعتداء على المقدسات، والأوطان حيث يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل، و...، ولكل مسلم دور في الدفاع والذود عن أمته كل حسب قدراته، وإمكاناته سواء كان باليد، أواللسان، أوالقلم،..،.وسنعرض في هذا الباب طرق مواجهة خطر الأصوليتين اليهودية، والنصرانية ـ بإذن تعالى ـ في حالتي السلم، والحرب.

---

(1) المستشرق اِرْبِيْنُيوس: شبهة القرآن لا يعدو أن يكون تقليداً مضحكاً للكتاب المقدس، ـــ عليه لعنة الله ـــ، المستشرق آرنولد توماس وولكر: شبهة الفتوحات الإسلامية كانت بحثاً عن الغنائم والمكاسب المادية، المستشرق ايزادور الباجي: موسي بن نصير لم يفتح سرقسطة إلا بحد السيف، المستشرق بروكلمان كارل: شبهة أن الرسول أتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى... (انظر: الاستشراق تاريخه، وأهدافه: أحمد شلبي، ص35، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة (ط: 1993م).

(2) هاملتون جب: مستشرق بريطاني ولد في الإسكندرية (1895ـــ 1971م) انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة، التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية، عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1921م، ثم أصبح أستاذاً للغة العربية عام 1937م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة. إضافة إلى ذلك كان له اهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره. من أبرز إنتاجه (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى سنة 1933م)، و(دراسات في الأدب العربي المعاصر) وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام)، ثم قام بدراسة العالم الإسلامي المعاصر، وله كتاب بعنوان (المحمدية) ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام) وكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم (انظر: معجم افتراءات الغرب على الإسلام: أنور محمود زناتي. حرف ج، الرسول مصلح اجتماعي عكس ضرورات البيئة العربية في مكة).

(3) منهم المبشر القس سابقا إبراهيم فليبس: قسيس الكنيسة الإنجيلية بباقور محافظة أسيوط: الذي عمل أبتداء للإرساليات الإنجليزية الكندية، ثم عمل سكرتيراً للإرساليات الألمانية السويسرية بأسوان. وكان مجاله التنصيري مستشفى الجرمانية حيث يتوافد المسلمون والمسلمات للعلاج. والأسقف: فرديريك دولا مارك. كبير أساقفة جوهانسبرج. آرثور بيلا سنتوس المبشر الفلبيني سابقاً. المبشر السنغالي: ليوبولد سنجور...وغيرهم (لمعرفة المزيد من الشخصيات التبشيرية المهتدية بإذن الله للإسلام. انظر: لماذا أسلم هؤلاء القساوسة. الشوادفي الباز. ص26-33- 63- 128- مكتبة العبيكان. الرياض (ط1: 1417هـ).

1 ـ تقوية الوازع الديني في الدفاع عن الدين والأمة:
إذا علمنا أن الله خلقنا لغاية وهي: عبادته وحده وترك عبادة ما سواه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ (سورة الذاريات، آية: 56) ووعدنا بالاستخلاف، والتمكين إن التزمنا بالطريق المستقيم، وأن يبدل خوفنا أمناً كما قال في كتابه الكريم: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آل عِمْرَان النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ﴾ (سورة النــور، آية: 55)، وبيَّن لنا أن نبينا محمد ^ هو خاتم الأنبياء، والرسل، والقرآن الكريم ناسخ للكتب السماوية السابقة، وديننا هو دين الحق وهو آخر الأديان قاطبة، والله مظهره على ما سواه ولو كره المشركون كما قال تعالى: ﴿بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (سورة التوبة، آية: 33) وأخبرنا بضرورة إعداد العدة للدفاع عن ديننا لوجود عدو متربص بنا حسداً إذ هدانا الله للحق، وهم الذين نكصوا عنه وردُّوه بعدما جاءهم، قال تعالى: ﴿البَقَرَةِ آل عِمْرَان النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ﴾ (سورة البقرة، آية: 109)، وقال: ﴿المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ﴾ (سورة آل عمران، آية: 69)، وقال: ﴿﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴾ (سورة النساء، آية:89)، ووعدنا في حال الذود عن الدين، والصبر، والثبات بالنصر المؤزر، والأجر في الدارين قال تعالى: ﴿غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ﴾ (سورة محمد، آية: 7) وهذه الأخبار، وأمثالها كثيرة مبثوثة في كتابه عز وجل ممَّا يبعث في النفس الطمأنينة، والقوة، والرغبة الصادقة في الجهاد، والاستبسال في سبيل الحق تعالى ثقة بوعده، وإيماناً وتصديقاً بنصره، ورجاءً للفوز بإحدى الحسنيين (النصر، أوالشهادة) قال تعالى: ﴿يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ﴾ (سورة التوبة، آية: 52)، وقوله: ﴿لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ﴾ (سورة الروم، آية: 47)، وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴾ (سورة الحـج، آية: 40) وقال: ﴿المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ﴾ (سورة آل عمران، آية: 120)، فتقوية الوازع الديني لها طرائقها التي لا تـخفى على كل ذي لب فمنها: التمسك بالإيمان الصادق، والدعوة إليه، والاستفادة ممَّا في التاريخ من أحداث، ومواقف، وعبر مع الأخذ بالتوازن بين متطلبات الحياة المعاصرة للمجتمع؛ ليتم تنميته وفق احتياجات العصر على أسس عقدية قويمة رفيعة المستوى.

وللأساليب المتنوعة التي يستخدمها الداعية في إنفاذ كلمته لقلب المستمع ما يقوي الوازع الديني لدى المسلم وذلك بالبعد عن الطرائق التقليدية المملة، والمنفِّرة التي لا تتناسب مع حاجة العصر، ومن تلك الأساليب الدعوة بـ: الكلمة(1)، وبالرسالة(2)، وبتأليف القلوب(3)، وبإرسال البعثات(4)، وبالبرامج العلمية، أوالعملية المكثفة، وبالأسلوب المباشر، والتأسي، والاقتداء(5)،

---

(1) الكلمة: كالخطب، والمحاضرات، والندوات، والمقال،... المكتوب والمسموع، والمرئي.

(2) الرسائل والمكاتبة مثل: رسائله ^ إلى ملك البحرين، والحبشة، والروم، وفارس، وكتابه إلى: سمعان بن عمرو الكلابي. وإلى ورد بن مرداس أحد بني سعد هذيم. وإلى الا قيال من حضرموت. وكتابان إلى أهل قريتين. وغيرها...

(3) كقولــــه تعـــالى: ﴿الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ﴾ (سورة التوبة، آية: 60).

(4) كبعث النبي ^ مصعب بن عمير إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج، ليعلّمهم القرآن، ويفقّههم في الدين.

(5) المواقف التي ذكرت في كتب التاريخ مسببه دخول المشركين وأهل الكتاب الدين لما لمسوه من أخلاق عظيمة من المسلمين، لا تحصى، كما عبر العديد من الداخلين في الإسلام المعاصرين أن السبب ما في الدين =

وخلافه.

ومهما كانت قيمة الوسائل المستخدمة عالية فهي لا تعطي ثمارها إذا لم تبني على تخطيط، واستراتيجيات، ودراسة سلفية علمية عملية جادة؛ لتحديد الاحتياج الفعلي لمَن يُراد مواجهتهم، والأساليب الدفاعية الاحترازية الواجب الأخذ بها.

فإذا كانت الدعوة بالمسالمة، والقول لابد أن يكون الداعية: قوي العقيدة عالم بالشرع، والفقه، والأديان، وعقائدها، وأباطيلها لاسيما ما يتعلق بعقائد آخر الزمان المزعومة: من العودة لأرض المعاد، والشعب المقدس، وبناء الهيكل الثالث، والعصر الألفي السعيد التي سبق عرضها، ونقدها بالإضافة إلى القضايا العقائدية الأخرى، وقراءة ما دونه العلماء الأجلاء في رد أباطيلها،...؛ للاستفادة من التاريخ، ومواقفه، وخبراته الاعتبارية، وقبل ذلك كله القدوة الحسنة في الأخلاق، والسلوك، وحضور الذهن، والقدرة على مقارعة الحجة بالحجة.

وللوصول إلى قلب المخالف في الفكر، أو المعتقد يتطلب الالتزام بالحوار الهادئ الهادف المبني على البرهان، والدليل القاطع؛ لإيصال كلمة الحق مهما كانت قسوة، وجفوة الخصم فمتى ما أخلص الداعية وصدق مع الله، وقع الحق في قلب المخالف. إذ العنف، والتعنيف في الدعوة لا يزيد العدو إلا صلفاً، وصدوداً، وهو يعلم الحق يقيناً، وذلك موت الضمير. إذاً لا بد من الامتثال لقوله عز وجل: ﴿الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق﴾ (سورة النحل، آية: 125)، ولغة الحوار السامية بشروطها، وضوابطها الشرعية تحتاج إلى تدريب، وتأهيل وفق المستجدات العلمية والتقنية، كما أنها تحتاج إلى قوة، ورصانة في لغة القوم؛ للتمكن من الرد المفحم، و نشر الدعوة.

وللصعوبات التي قد تواجهها مسارات الدعوة لتنوعها، واختلاف احتياجاتها نجد ضرورة وجود جهة شرعية متخصصة؛ لتخريج شباب يتقنوا أسلوب الحوار الحضاري مع المخالفين مع ضبط الحجة، وتصدير البرهان؛ لئلا يتصدر للدعوة من هم ليسوا بأهلٍ لها فيقلبوا الموازين، فيصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً، كما لا بد للمُحاور أن يكون مُلمّاً بدقائق المِلل، والنِّحل، لاسيما الأصوليتين الصهيونية، والنصرانية، ودسائسهما ـ التي ترفضها طوائفهم النصرانية، واليهودية التقليدية منهم قبل غيرهم ـ، وأن يكون على علم بما يعني قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ (سورة آل عمران، آية: 64)، ليتم التحاور من منطلق قوة الإسلام، وتشريعاته، وعزته، وليس من منطلق الاستجداء، والدفاع، والتبرير، والاعتذار، فالإسلام شامخ بعقائده، وتشريعاته التي لا يدانيها عقائد، أو تشريعات، وعن طريق الحوار يمكن تصحيح المفاهيم الخاطئة، وتغيير طبيعة العلاقة من المواجهة المسلحة إلى الحوار، ليكون بديلاً لهم عن التبشير، والتنصير، والحروب المدمرة(1)، ولكي يتم ذلك يجب أن تتعاون الدول العربية، والإسلامية مع الأقليات المسلمة في مختلف دول العالم على وضع إستراتيجية عملية علمية مبنية على الدراسات السابقة للحركات التبشيرية، والتغريبية، والهجمات العسكرية، بمختلف المزاعم؛ لصد العدوان من مختلف اتجاهاته، وتجفيف منابعه المعلومة، والمتوقعة،...بحيث تتشارك في ذلك جميع مؤسسات الدول في العالمَين العربي، والإسلامي، والأقليات المسلمة في الدول الكافرة، ويغطي مختلف المجالات الدينية، والتعليمية، والتربوية، والثقافية، والسياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والإعلامية، ..، وقبل التعاون لابد من التشديد على الاجتماع، والنهي عن الفرقة، والاختلاف، والعنصرية.

2 ـ نبذ الفرقة ودواعيها ببيان التوحيد الصحيح والثبات على الحق:

نهى الشرع الإسلامي الأمة عن الفرقة، وأمرهم بالاجتماع وتوحيد الصف والكلمة، وشدد على ذلك في مواضع عديدة من الكتاب والسنة، وهذا الباب كان من أشد الأبواب التي حرص عليها الاستعمار؛ لإرهاق المسلمين في سنوات الاحتلال، والاستعمار قديماً وحديثاً، حيث عني بتفتيت كيان أبناء الأمة الإسلامية كل عناية، وسخَّر لذلك كل الإمدادات الممكنة ممَّا أسهم في إسقاط الخلافة الإسلامية، ودك كيانها؛ لإضعاف سلطانها، ومقاومتها بعد تقسيمها كمستعمرات أوربية، ثم محاولة

=

الإسلامي من اليسر والسهولة، بالإضافة إلى ما لمسوه من أخلاق المسلمين العالية، والترابط الأسري، والاجتماعي الذي تفتقده المجتمعات غير المسلمة عموماً، والنصرانية خصوصاً.

(1) انظر: التنصير. مفهومه. أهدافه. وسائله. سبل مواجهته: علي إبراهيم النملة. ص145: 146. وللمزيد: انظر: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: عبدالله التل. ص123. وما بعدها. و الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام. د. عدنان حداد. ص209. دار البيروني. بيروت (ط1: 1997م).

إنهاكها بالحروب الداخلية، والخارجية؛ لتشتيت كلمتهم، وزرع الأحقاد القبلية، والوطنية، والقومية بينهم حتى لا تقوم لهم قائمة إلا بعد حين يكون العالم الأوربي، والأمريكي هو المسيطر على العالم، والمتتبع للأحداث العالمية يؤكد ذلك بلا جدال، أو مراء.

عليه: فوجود كيان إسلامي عالمي فريضة، وضرورة حتمية؛ ليتحقق من خلاله التضامن، والوحدة بين مواطني الدول، وأفراد المجتمعات الإسلامية الواحدة، والتي تجمعها العقيدة، والدين، وكتاب الله العظيم مع العمل على نبذ العنصرية بكل صورها التي زرعها الأعداء بين أبناء الأمة الواحدة؛ لأن التضامن، والوحدة بين المسلمين مطلب شرعي(1)قرره المولى عزَّ وجل في قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 92)، وقال: ﴿سَبَإٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ﴾ (سورة المؤمنون، آية: 52)، ثم حثَّ الأمة على التعاون والتقوى لبقائها ونمائها قال تعالى: ﴿التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ﴾ (سورة المائدة، آية:2)، ودعا إلى الوحدة، والتكاتف قال تعالى: ﴿الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (سورة آل عمران، آية: 103)، ونهى في مواضع عدة عن التفرقة، والتنازع في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ (سورة الأنفال، آية: 46) وتدعوا السنة لمثل ذلك من ضرورة الأخوة في الله، وتوصي بالوحدة، والاتفاق، وتنهى عن التباغض، والاختلاف، والتحاسد، والعنصرية الطائفية، وتأمر بالإصلاح، ودعم وحدة المسلمين، وجماعتهم، والسمع لولي الأمر، والطاعة، وعدم الخروج عليهم، وتحذر من التحاسد، والتدابر، والتقاطع، وتدعوا إلى التعارف بين الأفراد، والجماعات، والشعوب، والقبائل، وتركز على أن مبدأ التفاضل عند الله قائم على التقوى قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (سورة الحجرات: آية: 13).

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية على أمر الشارع بالاجتماع، ونهيه عن الافتراق، ولأهميه الموضوع خصها بقاعدة مستقلة في مؤلفاته سميت بـ (قاعدة في الجماعة، والفرقة)، حيث يخرج بخلاصة بعد شرح تفصيلي للقاعدة مفادها: «أن جمع الدين، والعمل به، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً، وظاهراً،... سببه الاجتماع، والألفة، ونتيجته الحتمية رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة في الدنيا، والآخرة، وبياض الوجه، و...، وأن الفرقة سبب في ترك حظ ما أمر العبد به، والبغي بين الجماعة، و...، ونتيجة هذه الفرقة عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجه، وبراءة الرسول ^ منهم،...»، ويعلق الشيخ عبد الرحمن بن قاسم على قول ابن تيمية لهذه القاعدة بقوله: «وهذا ما جعله يعتبر هذا المذهب دليل على ما ذهب إليه العلماء من أن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله، ورحمته بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد، أوقول، أو عمل» ا.هـ(2).

3 ـ إقرار سنة الجهاد، وإعداد النشء لها:

الجهاد أنواع منها ما يكون بالروح، والنفس، وهذا أعلاه درجه، وبالمال، واليد، واللسان، والقلم، والقلب ولكل مجاله، ودرجة ثوابه، وفي الجمع بينهم الأمثل، وتمام المثوبة، ومضاعفة الأجر، لما فيه من كمال نعمة الله، والعمل بواجب الدين، والتأسي بنبي الهدى، والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

فالجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه باللسان، والقلم لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، ومواجهة الأعداء تحتاج لجميع أنواع العدد المتاحة، وهذا خلاف المواجهة الكلامية على الدعاوى المغرضة، والمشككة في الدين التي تحتاج إلى بصيرة عملية، وعلمية فكرية نافذة، إذ أننا لا نشعر بثمارها إلا بتقديم البديل الشامل الكامل الذي يعتقد أنه الحق للآخرين عند نقض دعواهم، ولا شيء يمكن أن يكون البديل سوى الإسلام بتشريعاته السمحة، والسهلة التي لا تحتاج إلى أي وسطاء بين الخالق، والمخلوق.

الجهاد في الشرع له إطلاقان هما:

إطلاق خاص: ويراد به: بذل الجهد في قتال الكفار، والبغاة.

---

(1) مؤآخاة النبي ^ بين المهاجرين والأنصار وغيرهم.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد. ج1. ص17. مجمع الملك فهد. المدينة المنورة (ط: 1416هـ).

إطلاق عام: عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحب الله من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر، والفسوق، والعصيان»(1)، وينقسم الجهاد باعتبار إطلاقه الشرعي العام، والخاص إلى:

1 ـ مجاهدة النفس بالاستقامة، والتغلب على الشيطان: وذلك بالبعد عن كل ما من شأنه مظنة إفسادٍ اتقاءً للشبهات، والتزود بالعلم الشرعي الذي يساعد على أمر النفس بالمعروف، ونهيها عن المنكر، ويوضح لها معالم الطريق، ويساعدها على كبح أهوائها، ورغباتها الغرائزية التي توصلها إلى الانغماس في الشهوات المحرمة ذلك أن الجنة حُفَّت بالمكارة، والنار حُفَّت بالشهوات، وأمرنا الله بالمجاهدة بعد أن بيَّن لنا الحلال، والحرام، قال تعالى: ﴿الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس﴾ (سورة الحج، آية: 78)، ثم امتدح من استطاع أن يربوا بنفسه عن المزالق، وزكَّاها، وعلا بها، بقوله تعالى ﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ (سورة الشمس، آية: 9) ولما للمجاهدة من أجر عظيم، أقسم الله بالنفس(2)الزكية التي تلوم نفسها إذا ما وقعت في المعاصي، وتربأ بها عن المهالك قال تعالى: ﴿آل عمران النساء المائدة الأنعام﴾ (سورة القيامة، آية: 2)، والنفس الأعلى درجة عند الله التي تجاهد بأن لا تقع في الخطأ، ولا تتواجد حيث يمكنها الزلل فتلزم المساجد، ودور، وحلقات العلم، وصحبة الأخيار، ويحركها الوازع الديني، والضمير الحي، وهي النفس التي تنهى عن مواطن الهوى حباً، واستحياءً من الله، وطمعاً في رحمته قال تعالى: ﴿الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة﴾ (سورة النازعات، آية: 40)، وهي النفس المطمئنة التي أثنى الله عليها في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ (سورة الفجر الآيات: 27: 30).

2 ـ مجاهدة النفس ببذل المال: دون إفراط، ولا تفريط قال تعالى: ﴿صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ:﴾ (سورة الإسراء، آية: 29) على أن يُبذل المال في أوجه الخير، ويخرج حق الله منه الزكاة ـ الصدقة ـ قال تعالى: ﴿...النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج ...﴾ (سورة سبأ، آية: 39)، وكما قال ^ فيما رواه الستة عن ابن مسعود τ عن النبي ^ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطهُ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها»**(3)متفق عليه.

3 ـ مجاهدة الفساق: بدعوتهم إلى الحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والصبر على أذاهم، والدعاء لهم، ونصحهم بالتي هي أحسن.

4 ـ مجاهدة المنافقين: نقض شبهاتهم، والرد عليها، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

5 ـ مجاهدة الكفار بدعوتهم إلى الدين وقتالهم: وهو الجهاد؛ لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد عبده ورسوله، وهذا هو غايتنا، ولكن ما يهمُّنا في هذا المقام مجاهدة أعداء الدين الكفار، وواجبنا كمسلمين في إعداد العِدة لهذا النوع من المجاهدة.

---

(1) مجموع الفتاوى ابن تيمية: ج10. ص191.

(2) النفوس ثلاثة كما ذكرها المولى عز وجل في القرآن الكريم: النفس المطمئنة قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، النفس الأمارة بالسوء قول تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ (سورة يوسف، آية: 53) الاستشهاد بتسمية النفس فقط، النفس اللوامة قال تعالى: ﴿آل عمران النساء المائدة الأنعام﴾.

(3) يدل هذا الحديث على أنه ينبغي للإنسان أن يبذل ماله حسب ما شرع الله عز وجل وهي أعظم القربات إلى الله وصاحبها محسود كما قال ^: **«لا حسد إلا في اثنتين»** يعني: لا غبطة، ولا أحد يغبط أحد على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من مال وغيره إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، فصار لا يبذله إلا فيما يرضي الله، وهذا يُحسد: لأنه انفق ماله في سبيل الله، في الخيرات، في أعمال البر، كإعانة الفقراء، بناء المساجد، بناء المدارس، طبع الكتب، الإعانة على الجهاد، وما أشبه ذلك. فهذا سلط ماله على هلكته في الحق. ومنهم: من يسلطه على هلكته في اللذائذ المحرمة، والأهواء، والشهوات ـ العياذ بالله ـ فيسافر إلى الخارج ويأتي المحرمات بشرب الخمر، ولعب القمار، وإتلاف ماله فيما يغضب الرب عز وجل والثاني: رجل أتاه الله الحكمة فحكم بها بين العباد، وعلمها للناس.

فضل الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله الذي هو قتال الكفار ذورة سنام الإسلام ، وبه قام هذا الدين، وارتفعت رايته، وهو من أعلى القربات، وأجل الطاعات؛ شرع لإعلاء كلمة الحق تعالى، وتبليغ دعوته للناس كافة، والآيات الكثيرة، والأحاديث النبوية دالة على هذا الفضل، يقول تعالى: ﴿الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين﴾ (سورة التوبة، آية: 111) ويقول تعالى: ﴿التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم﴾ (سورة التوبة، الآيات:20: 22)، ويقول تعالى: ﴿الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر﴾ (سورة آل عمران، الآيات: 169: 171)، وروى الشيخان عن أبي هريرة τ: أن رسول الله ^ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: **«إيمان بالله ورسوله»**، قيل: ثم ماذا؟، قال: **«الجهاد في سبيل الله»**(1) ، وأخرجا أيضاً عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: **«لغدوة، أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا، وما فيها»**(2).

حكم الجهــــاد:

فرض الله الجهاد وحث عليه في أكثر من موضع من الكتاب العزيز ووعد المجاهدين بالثواب العظيم، وقد اتفق علماء المسلمين على أن جهاد الكفار، وقتالهم؛ لنشر دين الله فرض، ويكون فرض كفاية إذا قام به من يكفي فيسقط الإثم عن الباقين، قال تعالى: ﴿ الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق ﴾ (سورة التوبة). وقال تعالى: ﴿ مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ ﴾ (سورة الصف). وقال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب: من قال إن الإيمان هو العمل رقم الحديث:26. صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.رقم الحديث: 83.

(2) صحيح البخاري: كتاب الجهاد. باب: الغدوة والروحة في سبيل الله. رقم الحديث:2792. صحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب: فضل الغدوة والروحة. رقم الحديث1880.

بِّسْـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ (سورة النساء، آية: 95) كما نهى الله تعالى أن ينفر المسلمون للجهاد كافة، وحض على أن ينفر من كل فرقة طائفة إذ أن الجهاد في الإسلام نوعان: الأول جهاد الدفع: **وهو ما يخوضه الجيش المسلم دفاعا عن الدين، أو النفس، أو العرض، أو المال، أو البلاد ردا لعدوان الكفار، وهو من فروض الأعيان حيث يجب الدفع على الجميع رجالاً، ونساء.** والثاني: **جهاد الطلب: وهو قصد ديار الكفار دعوةً لله، ونشرًا لكلمة الحق، وإعلاءً لكلمة التوحيد، وهو فرض على الكفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين كما** قال تعالى: ﴿المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس﴾ (سورة التوبة، آية: 122).

يتضح من العرض السابق أن ليس في أي نوع من أنواع الجهاد في الإسلام علو في الأرض بالباطل، ولا استطالة علي عباد الله، ولا رغبة في نهب ثروات العباد، أو سرقة لخيرات الشعوب، ولا احتلال بلادهم، نتيجة لما يقع من الحسد في النفوس على ما أعطى الله لبعض خلقه من النعم كما جاء في نهي المولى عز وجل عن هذا الخلق الذميم، فالله هو الباسط، وهو القابض، قال تعالى: ﴿﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (سورة النساء، آية: 54)، كما وجَّه الله النظر إلى شروط الولاية العظيمة التي منها: عدم الكِبر، والاستعلاء، والإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن﴾ (سورة القصص، آية: 83).

فكل من أسلم، أو استسلم، وقَبِل دعوة الله فقد أَمِنَ على دمه، وماله، وولده، وأهله، وصار له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم ـ، وإن كان ذمياً عليه الجزية، ويعيش في مأمن، وقد ضمن له الإسلام حريته الدينية، ودمه، ونفسه، وعرضه، وماله ـ، وقد كان المسلمون يخرجون للجهاد بغرض هداية الناس، ونقلهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وكان هذا النوع من الجهاد من أفضل، وأحب أنواع الجهاد إليهم، فعندما أرسل رسول الله ^ علياًτ إلى خيبر قال علي: «...نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟، فقال له الرسول ^: **«على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يُهدَى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»**(1)، ولم يكن لدعاة الإسلام رغبة، أو طمع فيما عند الناس، بل كانوا فيها من الزاهدين فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ^ بعث معاذ τ إلى اليمن فقال: **«...ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم، وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم»**(2)، فبيَّن هذا الحديث أن الدعوة لعبادة الله، وليست لعلو جنس على جنس آخر، كما أن الأموال الصدقة المأخوذة منهم عائدة لفقرائهم، وليس لإغناء شعوب على حساب غيرهم، والأحاديث في هذه المعاني كثيرة.

وكان رسول الله ^ إذا أَمَّر أميراً على جيش، أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً ثم قال: **«اغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة، والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله، وقاتلهم»**(3). فالجهاد إنما يكون في سبيل الله تعالى لا في سبيل العلو في الأرض، والاستطالة على العباد، ونهب الثروات، وسرقة الخيرات، وهذه الأهداف النبيلة، والغايات الحميدة للجهاد لا تسوغ سلوك الأساليب، والطرائق غير المشروعة؛ لذلك جاءت النصوص الصريحة بتحريم الغدر، ولو في القتال ضد الأعداء، فقال **«ولا تغدروا»**، كما حذرت من معرة الغدر يوم القيامة فقد قال^: **«إذا جمع الله**

---

(1) صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: دعاء النبي ^ الناس إلى الإسلام والنبوة. رقم الحديث: 2942. وباب من فضل من آمن على يديه رجل. رقم الحديث: 3009.

(2) صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن. رقم الحديث: 4341 و4342.

(3) صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب: تأمير الإمام الأمراء والبعوث. رقم الحديث: 4497.

الأولين، والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء. فقيل هذه غدرة فلان بن فلان»(1).

الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة:

من حكمة الله تعالى أن جعل الصراع بين الحق، والباطل باقٍ إلى يوم القيامة، وما دام هذا الصراع موجوداً فالجهاد موجود لا يُحَدُّ بوقت معين، فمتى وُجد الباطل، والضلال، والكفر، فالجهاد ماض، وفضيلته باقية بحسب كل زمان، ومكان وقد بين الله لنا حقدهم على الإسلام، وأن عزيمتهم في حربه لا تفتر إلى قيام الساعة للوصول لغاياتهم. قال تعالى: ﴿...البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود ...﴾ الآية (سورة البقرة، آية: 217)، وقال تعالى: ﴿بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسۡـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ...﴾ الآية، وقال: ﴿...قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ (سورة البقرة، آية: 191)، وما رواه مسلم عن جابرτ مرفوعاً: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»**(2) ، وما رُوي عن عبد الله بن عمر τ قال: قال رسول الله ^: **«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**(3). وما رواه سهل بن سعد الساعدي τ أن رسول الله^ قال: **«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا، وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا، وما عليها»**(4).

فهذه الأدلة مجتمعه وغيرها الكثير بيّنةً جلية على أن الجهاد قائم إلى قيام الساعة ما دام هناك عدو متربص بالإسلام، وأهله، وليس هناك من زمان تربص به العدو بالمسلمين كمثل زماننا الحالي، فحيَّ حيَّ على الجهاد.

---

(1) صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب: تحريم الغدر. رقم الحديث: 1735.

(2) صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب: قول النبي ^: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»**. رقم الحديث: 7311. صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب: قول النبي ^: **«لا تزال طائفة من أمتي منصورة»**. رقم الحديث1923.

(3) صحيح البخاري: كتاب. الجهاد والسير. باب: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة. رقم الحديث:2849.

(4) صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: فضل الرباط في سبيل الله. رقم الحديث: 2892.

الفصل الثـانـي
الإعداد الفكري: التربية والتعليم والثقافة

تواجه الأمة الإسلامية في هذا العصر تحديات عدة أهمها: الصهيونية، وخططها، وأطماعها، وتربص الأعداء، وتكالبهم عليها، والعولمة، وتداعياتها، وتُهَم الإرهاب، وتبعاتها،... إلخ.

وفي مقابل كل هذا نجد الفرقة، والشتات تعصفان بأبنائها، ودولها خلافات طائفية، وقومية، ونزاعات، وحروب داخلية تذهب بثروتها، وطاقاتها المادية، والبشرية، و...، وإلى جانب هذا، وذاك نجد ضيقاً في النظر، وتعصباً في المواقف!!.

إن القاعدة، والأساس السليم لمواجهة هذه التحديات هي وحدة الأمة، وتعاونها، وأساس الوحدة الكاملة متوفرة، وهي وحدة الدين، والمعتقد أولاً. ثانياً: وحدة التاريخ، والثقافية، والإحساس المشترك بالأخوة التي تقوم على قاعدة التقوى قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

﴿ ﴾ (سورة الحجرات، آية: 13)، بعيداً عن العنصرية، والتحزب، إلى جانب الشعور بالمسؤولية المشتركة في حماية الدين، ورعاية المجتمعات المسلمة، والنهوض بها، وعناصر الوحدة ترتكز على عدد من الدعائم أهمها: الوحدة الدينية والفكرية، والتربوية، السياسية، والاقتصادية، وغيرها إلا أن الأرضية المشتركة لها جميعاً هي الوحدة التربوية التي كانت سبباً في إيجاد ذلك الشعور المشترك بوحدة كيان الأمة، والإحساس بالأخوة الإسلامية الجامعة. فالإنسان لا يكون إنساناً حقيقياً إلا بالتربية، وليست التربية إلا إتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء، والرسل من الأحكام، والتشريعات، والحكم، والتعاليم، وهي المبادئ الحقيقية التي تعلم الإنسان الصدق، والأمانة، والإخلاص، وجُل الخصال الحميدة.

أما الرابط بين التربية، والوحدة فيتمثل في أن التربية هي الأساس الصحيح للوحدة، والإنسان إذا تربى تربية صحيحة أحس في نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه على عكس ما يشعر به غيره من الشقاء بوجود غيره بجانبه(1)، فالتربية تبث في المسلمين إحساساً واحداً يؤلف بين قلوبهم، وشعورهم، وحاجاتهم، ويشعر كل فرد بأن له وظيفة يؤديها لنفسه، ولغيره، فالتربية الحقيقية هي التي تعلم الإنسان مَنْ هو؟، ومَنْ معه؟، وما العلاقة التي تربطه بالخالق، وبالمخلوقين من أفراد نوعه، فيتكون من ذلك شعور واحد، ورابطة واحدة هي رابطة الإتحاد، والاتحاد ثمرة الأخلاق الفاضلة بمراتبها المختلفة، فعلى المسلمين إذا أرادوا الإتحاد أن يربوا أنفسهم تربية إسلامية حقيقية؛ ليجنوا تلك الثمرة، فالناس في كل الأمم أكفاء فيما بينهم لا يتمايزون إلا من جهة العقول، ونوعية الأخلاق، وهي لا تكتمل إلا بالتربية(2)، وأهم ما تصبوا إليه التربية الإسلامية، تربية المسلم على أنه يشكل، وأبناء أمته نسيج عضوي واحد مشترك في العقيدة، والتاريخ، والثقافة،...، وليعلم أن الأعداء المتربصون بالأمة الإسلامية، وإن ظهروا لنا بأنهم شيء واحد إلا أن مشاربهم متعددة، وقلوبهم متفرقة، ظاهرة الاتفاق، وباطنهم الاختلاف تحسبهم جميعاً، وقلوبهم شتى، كما قال تعالى: ﴿... ﴾ (سورة الحشر، آية: 14).

ومن خلال هذه التربية الوحدوية، وترسيخها في عقل، وقلب كل مسلم من المليار مسلم في كل بقعة من العالم يعي كل فرد منهم وظيفته اتجاه أمته؛ للوقوف صفاً واحداً متكاتفين متضامنين ضد أي عدوان يمس عزة، وأمن، وكرامة دينهم، ومقدساتهم، وأمتهم، وأوطانهم.

ولعل من أبسط ما يوجه أمتنا الإسلامية من صور العدوان السافر على الفكر، والثقافة، والتربية في عقر دارها ما تتعرض إليه مؤسساتنا التربوية التعليمية بمختلف مستوياتها من هجوم تبشيري، تنصيري، تغريبي، استشراقي؛ للعمل على تغيير ثوابتنا العقدية الدينية، أو التشكيك فيها، للتحلل منها، ورصد مليارات الدولارات لذلك الغرض، كما نبهنا لذلك المولى عز وجل في قوله: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (سورة الأنفال، آية: 36)، و

---

(1) من هنا يتمثل الفرق البيِّن بين التربية الإسلامية، والتوجهات الأصولية اليهودية والنصرانية التي لا يسعها أن ترى المسلم سعيد بدينه فخور بانتسابه لأمته، فترص المليارات لإخراج المسلم من دينه، أو أقل ما يمكن عمله تشكيكه في معتقداته وثوابته الدينية وموروثاته التاريخية، والثقافية، بينما تنصب دعوة المسلم للكافر على بيان الحق في المعبود والعبادة دون بذل أي جهد من إخراج أياً كان عن دينه إلى لا دين، فيصبح هائماً على وجهه، فالأصل في الدعوة الإسلامية للمسلم التناصح، وللكافر بيان الحق بالأدلة والبراهين.

(2) انظر: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبد: ج3. ص168. ترجمة: محمد عمارة. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1993م) بتصرف.

وقد جاء في نشرة وزعتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي عن نشاطات المبشرين مانصه:« بلغ عدد المنصِّرين، ومنظماتهم على النحو الآتي:

1. عدد النصارى في العالم يبلغ مليارًا وسبع مائة وعشرين مليون (1721000000) نسمة.
2. عدد المنظمات التبشيرية في العالم أربعة وعشرين ألفا وخمس مائة وثمانين (24580) منظمة.
3. بلغ عدد المنظمات العاملة في مجالات الخدمة يزيد عن عشرين ألفا وسبع مائة (20700) منظمة.
4. بلغ عدد المنظمات التي تبعث مبشرين متخصصين في مجالات التبشير، والإغاثة ثلاثة آلاف وثماني مائة وثمانين (3880) منظمة.
5. يزيد عدد المعاهد التبشيرية على ثمانية وتسعين ألفا وسبع مائة وعشرين (98720) معهداً.
6. بلغ عدد المبشرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني أكثر من مئتين وثلاثة وسبعين ألفا وسبع مائة وسبعين (273770) مبشراً.
7. يزيد عدد الكتب المؤلفة لأغراض التبشير عن اثنين وعشرين ألفا ومائة (22100) كتاب بلغات عالمية ومحلية، ولهجات متعددة.
8. بلغ عدد النشرات والمجلات الدورية المنتظمة ألفين ومئتين وسبعين (2270) نشرة ومجلة، توزع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة.
9. يزيد عدد محطات الإذاعات التبشيرية على ألف وتسع مائة (1900) إذاعة، تبث إلى أكثر من مائة (100) دولة وبلغاتها ولهجاتها المحلية.
10. إن مجموع التبرعات التي حصل عليها المبشرون لعام واحد حوالي مائة وواحد وخمسين مليار (151000000000) دولار أمريكي. وهذا الرقم زاد إلى هذا الحد خلال أعوام قلائل، ولا غرابة في هذه الأرقام، فذلك راجع إلى نوعية المصادر التي يستأنس بها موردو هذه الإحصائيات، وعلى أي حال فالأرقام، والإحصاءات عالية، ومتغيرة بسرعة عجيبة نظرا لتطور التبشير، وأساليبه»(1) .

فهل ما رصد، وما بذل لصد الهجوم على العالم الإسلامي يتقارب مع ما بذل، ورصد من العدو؟ لاشك أنه أمر لا يمكن تقديره، ذلك أننا كما ذكرنا سابقاً أننا بحاجة إلى الوحدة، والتضامن، وتنسيق الجهود، والكلمة، والعمل المتضافر كتضافر أعدائنا ضدنا، فلربما الجهود المبذولة من الدول الإسلامية، والعربية أضعاف أضعاف ما أوردته تقاريرهم، إلا أننا لا نستطيع تقرير ذلك، أو حصره، ولا العلم به؛ لأن جهودنا وإن كانت كبيرة إلا أنها مبعثرة، أحاديه الجانب، وهذا ما يضعفها، ويقلل من شأنها، وقيمتها، ويمكِّن العدو من النيل من أمتنا،...، ولا يُستبعَد عند البحث في جهود المسلمين إزاء هذا التيار الهدام أن نجد جهود العالم الإسلامي أقل بكثير، مما ذكرته تقاريرهم!!!

بقي أن نركز على ما هو الدور المناط بنا بعد أن علمنا بجهود أعدائنا في ساحة واحدة من ساحات الهجوم العدائي ناهيك عن سائر الساحات الأخرى؟.

1 ـ دور العلماء وطلبة العلم:

لاشك أن العلماء هم قلب الأمة النابض، وللعلماء في العالمَين العربي، والإسلامي كمؤسسات، وأفراد دور فاعل، وجهود عظيمة جليلة بيِّنة، وواضحة من حيث توعية شباب الأمة، وتوجيههم، والتصدر للدعوة، والإفتاء في كل ما يخص شئون الحياة إلا أن الموجود من عدد العلماء، والدعاة لا يغطي الاحتياج الفعلي للميدان، فمازال الميدان بحاجة إلى تكثيف العمل الدعوي من جانبين: الأول: بتقوية الوازع الديني لدى الشباب، وعدم الانسياق وراء التيارات، والدعوات العبثية الفاسدة، والهدامة، في المخبر، والمظهر، وهذا الجانب يحتل الجزء الأكبر من دعوة العلماء، وطلبة العلم أفراداً، وجماعات، والثاني: التنبيه من الدعوات المشبوهة، والهدامة كـ: التبشير، والتنصير، والتغريب، ودعاوى الاستشراق الكيدية للإسلام في الجامعات، والمدارس، ومواطن الأنشطة، والترفيه، والمنازل من خلال الأيدي العاملة الأجنبية التي تحرص على تربية الأطفال على الطقوس، والعبادات غير الإسلامية، ووسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، ووسائل الاتصالات المختلفة، وغيرها، وهذا الجانب قلما يتصدى إليه الدعاة، وهو الجانب الذي يحتاج إلى لفت النظر إليه، ودعمه بمزيد من الدراسات، والتوعية، لاسيما في ظل الانفتاح النوعي في التعليم داخل البلاد، وخارجها ممَّا يسهل تغلغل الأفكار الحركات الدخيلة من خلالها.

وذلك بتنشيط الدعوة في مختلف صورها من: المحاضرات، والندوات، والمؤلفات، والإعلام بوسائله المرئية، والمقروءة، والمسموعة، وتكثيف إنتاج البرامج الدينية التثقيفية التي تصب في

(1) التنصير: علي النملة. ص19.

ذات المجال، وإصدار المجلات، والدوريات المتخصصةفي التوعية، وعقد المؤتمرات المحلية، والإقليمية، والدولية، والعالمية، بالاشتراك مع الجامعات، والمؤسسات التعليمية؛ في دول العالم الإسلامي؛ لتوحيد العمل، والوجهة، ودعوة كل أفراد المجتمع القادر للإسهام في التوعية بمخاطر الأصولية على الأمة بصورها المختلفة كل حسب إمكاناته، وقدراته، وخبراته بشكل مقنن، ومدروس من ذوي الاختصاص.

2 ـ دور المؤسسات التعليمية:

المؤسسات التعليمية المختلفة: كالجامعات بتخصصاتها العلمية، والأدبية، والمعاهد، ومراكز البحوث، والدراسات، فالجميع مناط به هذه المسؤولية إذ أن تضافر جهود جميع أفراد المجتمع يؤدي إلى الوعي التام لما يدور حول أبناء الأمة من مخاطر، ويجعل الفرد يقظاً عالماً بما يحاك لأمته من دسائس تمس معتقداته الدينية، وتحولها، إما إلى النكوص والردة بالدخول في الديانات الأخرى أوإلى لا دين ـ عياذا بالله ـ.

فيتعين على الجامعات ابتداءً فتح أقسام متخصصة في دراسة مقارنة الأديان، والمذاهب المعاصرة، قائم بذاته، ومستقل عن قسم العقيدة يهتم بالدراسات الخاصة بالحركات التبشيرية، والتنصيرية، والاستشراق، وأباطيلهم، وشبهاتهم، والرد عليها، ودحضها مع الاطلاع على كل جديد في الدعوات التغريبية، والتبشيرية، ورصد تحركاتها، ومتابعة خططهم، وأعمالهم ضد الإسلام؛ لتجفيف منابعها أول بأول، ولتأسيس قاعدة متينة رصينة للرد عليهم بمنطق العلم، والعقل، والحجة، وكشف مخططاتهم بعيدة المدى قبل الشروع فيها، وسائر الفرق المعاصرة سواء المنتسبة للإسلام، أو غير المنتسبة للإسلام يناط بالخريج منها الدعوة في الداخل، والخارج، ومواطن الاحتياج الملحة؛ لصد كافة الهجمات ضد الإسلام، وتشريعاته، وسياساته. وأن تركز الدراسات، والعلوم بالقسم على عقائد الديانات الأكثر ضرراً، وأشد أثراً في أبناء أمتنا، وعالمنا المعاصر التي تهدف إلى قتل الروح المسلمة، وتشكيك المسلم في دينه، وعقيدته، ولا شك أن الجامعات في وقتنا الحاضر تقوم بهذا الدور لكنه دور مزدوج لسببين:

الأول: أن الهدف الأساسي للدراسة تغطية حاجة المجتمع من الخريجين بالتخصص للعمل وفق حاجة الميدان الوظيفية التعليمية، أو المهنية.

الثاني: الدراسة بالأقسام تقوم على دراسة مختلف الأديان، والطوائف ممن له أثر، وممن ليس له أثر، وما اندثر منه، وما هو باق غير ذي أثر على كيان الأمة الإسلامية؛ لذا يُأمل من الجامعات محورة برامجها نحو الاحتياج الفعلي في صد الهجوم على الدين الإسلامي بكافة وسائله، وهذا الجانب لا يقل أهمية عن حاجة الميدان التعليمي الأول.

كما يناط بالمسؤولين في المؤسسات التعليمية وضع الاستراتيجيات اللازمة التي تخدم الغرض على المدى البعيد، وعقد المؤتمرات المحلية، والإقليمية، وتكليف المؤسسات العلمية من مراكز، وجمعيات، وجامعات في العالم الإسلامي، ممن تملك الكوادر البشرية المدربة، والقدرات العلمية الفذة القادرة على التأليف، والترجمة بلغات العالم، وتملك منهجية الحوار، والإقناع؛ للقيام بأعمال الترجمة للكتب التراثية، والحديثة في الموضوع، وتوزيعها على شكل مطويات، وكتيبات لدول العالم الثالث، والأقليات المسلمة المستهدفة بالدرجة الأولى بالحركات التبشيرية، والتغريبية، وإصدار دوريات عالمية، ومحلية علمية، وثقافية تعني بكل ما هو جديد في التبشير، والتنصير، والفكر المعادي من الآليات، والخطط، والتوجهات، والبلاد المستهدفة في الخطط المستقبلية.

كما أن على كل مؤسسة حكومية تعليمية رصد مبالغ مالية من ميزانيتها العامة؛ لتشجيع البحث العلمي في ذات المجال، والترجمة بجميع اللغات الشرقية، والغربية، والعبرية، و...، ووضع الإستراتيجيات الفاعلة في صد التيارات التغريبية، ورصد الجوائز، والمكافآت العلمية العالية التي تخلق روح المنافسة الشريفة؛ لتستفيد من المفكرين، والباحثين، والكتاب، والأقلام الناشئة الشابة، وخصوصاً في مجال الرد على الشبهات بالحجج، والبراهين، والأدلة السمعية النقلية، والرد على أدلتهم العقلية.

3 ـ دور رابطة العالم الإسلامي(1):

تقوم الرابطة بجهود كبيرة في سبيل الدعوة إلى الله، ويتطلع إليها المسلمون في بذل المزيد في مواجهة الدعوات الأصولية الصهيونية الدينية الكاذبة، والمضللة، ودحضها، وصد حركات التنصير، والتبشير، والرد على شبهات الاستشراق، و...، وذلك بما تملك من قدرة على التأثير،

---

(1) أنشأت رابطة العالم الإسلامي في: ذي الحجة 1381هـ، بعد المؤتمر الإسلامي الأول المنعقد بمكة المكرمة عام 81هـ، وتمثل فيها كافة الشعوب الإسلامية. وتهدف إلى تبليغ الدعوة الإسلامية ومبادئها وتعاليمها، بالوسائل والأساليب التي تراها مناسبة من العمل على تحكيم الشرع، والأخذ بمبدأ الشورى، وإقامة ندوة عالمية سنوية بمكة المكرمة، وقد انتهجت لذلك خطوات ضمنتها ميثاق الرابطة (انظر: الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي: رابطة العالم الإسلامي عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد. ص3. مكة المكرمة (ط: 1401هـ)).

وقدرة على الوصول إلى مَن يمكن فيهم التأثير، وإن لم تكن قادرة قدرة مباشرة على التصدي لهذه الحملات التبشيرية في المجتمع المسلم، ولكنها تسهم على أي حال في هذا المجال، لاسيما أن أهدافها تنص على دحض الشبهات، والتصدي للأفكار، والتيارات الهدامة ــ التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين في دينهم، وتشتيت شملهم، وتمزيق وحدتهم ــ، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين، وآمالهم، ويحل مشكلاتهم، وينتظر منها المزيد في اتخاذ الوسائل التي أعلن عنها، وذلك مثلا: بإقامة لجنة تحت مظلة الرابطة تعني بالمزاعم الدينية المكذوبة في مسائل آخر الزمان، وعودة اليهود إلى فلسطين، وبناء وطن قومي لهم، وبناء هيكل سليمان الثالث، وغيرها من المقولات الباطلة؛ لدحضها، وردها، بالمناظرات، والحوارات المفتوحة، بالإضافة إلى محاربة الهجمات التبشيرية، والعمل على رصد تحركاتها، والتنسيق مع جميع الدوائر الحكومية التي تعمل بنفس الغرض؛ لتوحيد الجهود ،ووحدة مصدر التصدي، والملاحظة.

مع تخصيص عدد من المحطات المرئية بعدد من لغات العالم تعني بهذا الجانب على وجه الخصوص؛ لتوعية المسلمين في كل بقعة في العالم بهذا المد الاستعماري الذي يعمل في النور، والظل معاً مع دعوة المشاهدين بالمشاركات في الأنشطة التطوعية التي تخدم العمل مع إعداد تقارير مقروءة، ومسموعة تذاع بأخبار المحطات المتخصصة، ومن خلال الفواصل الإعلانية بين البرامج، بالإضافة إلى النشرات الافتتاحية؛ للوقوف على كل جديد في الميدان، وتخصيص أرقام هواتف، وفاكسات؛ لاقتراحات المسلمين من مختلف دول العالم ممَن يمتلك القدرات الفكرية المتميزة، و...

4 ــ دور الندوة العالمية للشباب(1):

تهدف الندوة العالمية الدائمة للشباب الإسلامي إلى توجيه جهودها، وأنشطتها نحو الشباب المسلم في العالم الإسلامي، وتحمل لهم المنهج الصحيح، وتركِّز على المخيمات الشبابية في أفريقيا، وآسيا ثم أوربا، والأمريكيتين، وتجلب لهم العلماء، وطلبة العلم، والكتب، والرسائل، والنشرات الإسلامية المترجمة إلى اللغات العالمية، حسب إتقان كل فئة شبابية، كما وتركِّز نشاطاتها الثقافية في المخيمات على الأخطار التي يواجهها هؤلاء الشباب في عقر دارهم، وبين ظهرانيهم، والتي منها الحملات التنصيرية، والتبشيرية(2)، وما زلنا ننتظر من القائمين بالعمل في الندوة العالمية مزيداً، ومزيداً من الأنشطة الفكرية، والعلمية، والأدبية، ومضاعفة الأنشطة، وتنوعها، ومضاعفة أعداد المستفيدين، فالشباب العربي المسلم يعاني أشد العناء من الفراغ النوعي(3)، والكيفي(4)، وبرامج إعداد الشباب لصد الهجوم على الأمة الإسلامية مازال في حاجة إلى تجنيد عدد من الشباب، وتدريبهم، وتأهيلهم؛ ليقوموا بهذا الدور الهام، فحسبنا لو قامت الندوة بهذا الدور؛ لتغطية حاجتها من الكوادر أولاً، وثانياً: لتساهم في توظيف خبرات الشباب، وتوجيه أفكارهم بما يعود عليهم، وعلى أمتهم بالخير.

5 ــ دور الجمعيات الإسلامية(5):

---

(1) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: تأسست عام 1392هـــ ـــ 1972م، وهي هيئة مستقلة وملتقى إسلامي يجمع جهود العاملين في حقل منظمات الشباب والطلاب المسلمين في العالم، وتهدف إلى التعاون والتنسيق في مجالات النشاط الإسلامي فكرا وتخطيطا وتنفيذا، (انظر: التعريف بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، أهدافها، وأوجه نشاطها، ونظامها الأساسي: ص397. الندوة العالمية للشباب. الرياض (ط: 1405هـ)).

(2) من أعمال الندوة العالمية للشباب:
1. خدمة الدعوة إلى الإسلام عقيدة وشريعة.
2. ترسيخ الاعتزاز بالإسلام لدى الشباب.
3. تبيين العقيدة الصحيحة التي يجب على المسلمين الإيمان بها.
4. العمل على تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب المسلم.
5. دعم الهيئات والجمعيات العلمية والثقافية والمهنية الخاصة بالشباب.
6. التعاون والتنسيق مع المؤسسات والهيئات التي تعمل في خدمة الشباب.
7. الاهتمام بالطلاب المسلمين النابهين ورعايتهم مادياً وثقافياً.
8. توضيح رسالة الشباب المسلم في بناء المجتمع الإسلامي.

(3) الفراغ النوعي: الفراغ الروحي، والعاطفي، والعلمي، والعملي،...

(4) الفراغ الكيفي: لدى شبابنا من الجنسين طاقات مبدعة، وعقليات فذة غير مستغلة،كما لايملك الفرد منهم آليات استغلال الطاقة، مما يدعوا إلى هدرها بالسلب.

(5) الجمعيات الإسلامية: هي جمعيات محلية طلابية وتعني: بالمواطنين، وبالجاليات والأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية كأوربا والأمريكتين، وهي جمعيات مستقلة في أنحاء العالم، متعددة الأنشطة تقدم خدماتها الإنسانية للبؤساء والمحتاجين في العالم بدون تمييز أو تعصب بعيدا عن التدخل في السياسة أو الصراعات العرقية مقتدية في نشاطها بالمثل الأعلى للعمل الخيري الإسلامي الخالص لوجه الله أداء لحق الله من غير منٍّ ولا أذى، وتشمل أنشطتها النواحي الاقتصادية والصحية والتعليمية والثقافية، والاجتماعية بالإضافة إلى الأعمال الإغاثية. وبعد الهجوم الذي تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر الماضي، تنادت جهات دولية عديدة وتحت دعوى تجفيف منابع الإرهاب إلى اتهام بعض الجمعيات الخيرية =

للجمعيات الخيرية أعمال بر كثيرة تصرف على ذوي الاحتياجات داخل البلاد، وخارجها في مصارف الزكاة المعروفة بالإضافة إلى رفع الأذى عن المسلمين سواء كان ذلك الأذى نتيجة للكوارث الطبيعية، أو الحروب، أو الوضع الاجتماعي السيئ فالمسلمون ينشدون مجتمعاً مثالياً قائماً على التآخي، والتراحم، لقوله تعالى: ﴿المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان﴾ (سورة التوبة، آية: 71)، وتضطلع الجمعيات الإسلامية بعدة مهام منها: تحفيظ القرآن الكريم، وبناء المساجد، والمعاهد، والمستشفيات، والمدارس، والجامعات، وتوصيل المياه، وحفر الآبار، وتقديم الغذاء، والدواء، والملبس، و...

يقول زكي رحيمي في الندوة التي أجرتها جريدة الوطن السعودية اليومية عن نشاطات الجمعيات الخيرية الحكومية، والأهلية بعدما هوجمت بشراسة من أرومريكا بدعوى تمويلها للإرهاب ما نصه:

«إذا تحدثنا بلغة الأرقام فإن برامج حكومة المملكة بلغت مستوى عالياً من الإنفاق على الأعمال الإغاثية، والخيرية فإلى عام (1997م) قدمت المملكة نحو(90) مليار ريال كمنح، ومعونات مالية لا ترد، وترعى(350) مؤسسة تعليمية في أنحاء متفرقة من العالم»، ثم يذكر أمثلة على استجابة حكومة المملكة، وشعبها لإغاثة المسلمين بأنه «في عام (2000م) انطلقت حملة تبرعات للإخوة الفلسطينيين فجمع خلال (10) أيام ما يزيد (150) مليون ريال، وأيضاً ما قام به خادم الحرمين الشريفين من حملة تبرعات إلى أفغانستان، وجمعت في يومها الأول 4ـ1422/8/5هـ (135) مليون ريال، وكان خادم الحرمين الشريفين، وولي العهد، وسمو النائب الثاني في طليعة المتبرعين»، ثم يعلق بقوله: «ما طبيعة الاتهامات الصهيونية الموجهة إلى المؤسسات الخيرية الإسلامية؟، وهل تؤثر الإجراءات الدولية الجديدة على عمل، ونشاط هذه المؤسسات؟(1)، ثم يبادر بالرد بقوله: «لا أتصور أن يتأثر العمل الإسلامي الخيري بمثل هذه الاتهامات؛ لأن هذا العمل نابع من عقيدة المسلم نفسه، وهو فرض ديني، وتعتبر الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، ولا خوف على هذه المؤسسات طالما تستظل بمبادئ الشريعة الإسلامية، ومن واجب وسائل الإعلام العربية، والإسلامية التصدي لهذه الاتهامات، والرد عليها بقوة، وبمنطق إسلامي واضح، حيث اتضح أن الغرب يجهل الكثير عن الإسلام، واللوبي الصهيوني، والصهيونية العالمية تحاولان انتهاز هذه الفرصة للنيل من الإسلام، والمسلمين»(2).

أما الدكتور علي بن عمر: طالب بضرورة وجود إعلام قوي مواز للتعاطي الإيجابي مع المؤسسات الدولية العاملة في نفس المجالات، وشدد على ضرورة توفير حصانة محلية في البلدان التي تعمل بها الجمعيات، بحيث يتم الدفاع عنها ضد أي مسيء لها، ولبرامجها، كما أقترح كُلٌ من الدكتور عدنان باشا، والمهندس حنفي، والدكتور عبد الوهاب نور ولي في نفس الندوة بضرورة حشد الجهود من الجمعيات الإسلامية في العالم؛ لتشكيل جبهة قانونية، سمّاها الدكتور باشا جبهة الحقيقة تقوم بمقاضاة كل من يقوم باتهام الجمعيات الخيرية، والعمل الخيري الإسلامي بما ليس فيه»(3).

إذاً بما أن الجمعيات الإسلامية في ظل ما واجهت من الحرب كصورة من صور الهجمات

=

الإسلامية، بدعم الإرهاب، وحمل الإعلام الأوروبي والأمريكي على الجمعيات الإسلامية والسعودية منها على وجه الخصوص، حيث توجد عدد من الجمعيات الخيرية التي تقدم الدعم والمساندة للمسلمين المادية للمسلمين في الملمات والكوارث وتنتشر أعمال هذه الجمعيات فيما يقارب 100 دولة من دول العالم.

(1) من محاور الندوة: بالمقابل نجد الجمعيات الخيرية المسيحية، قد جمعت في أمريكا وحدها في عام 1996م (200) مليار دولار، فلماذا لا يسألون كيف أنفقوا هذه الأموال الضخمة؟ من يمول الجماعات المسيحية المتطرفة؟ من يمول الجيش الجمهوري الايرلندي، وجيش تحرير جنوب السودان، والجيش الأحمر الياباني؟، وإذا كان هناك جمعيات خيرية إسلامية تمول الإرهاب لابد من تسميتها والإعلان عنها، وتقديم الدليل على تورطها، ويحاسب المخطأ، بدلاً من تعميم الاتهامات على جميع المنظمات الخيرية الإسلامية، بالتأكيد هذه الاتهامات ستكون ذات تأثير على العمل الإسلامي الخيري خاصة في الخارج.

(2) جريدة الوطن السعودية: البرنامج: ندوة الوطن: الموضوع: الجمعيات الخيرية الإسلامية في ظل الأحداث الراهنة، العدد (544) السنة الثانية. الأربعاء 13 محرم 1423هـ. الموافق 27. مارس 2002م. جدة: خالد المحاميد.

(3) أ . زكي رحيمي، و د. علي عمر بادحدح، و د. عدنان خليل باشا، و المهندس: عبدالعزيز حنفي، و د. عبد الوهاب نور ولي، ود. صالح مهدي السامرائي، و د. عبد العزيز التركستاني، قيادات من المؤسسات والهيئات الإغاثية، استضافتهم جريدة الوطن في الندوة الخاصة بالحملة الموجهة ضد العمل الخيري ليتناولوا عدد من المحاور التي تتعلق بطبيعة عملهم، وبالحملة الإعلامية الموجهة ضد العمل الخيري الإسلامي.

الصهيونية العالمية على الإسلام، والمسلمين، وضد الأعمال الخيرية بدعوى دعم الإرهاب، وجمَّدت برامجها الإنمائية، والتكافلية فهي مطالبة كسائر المؤسسات بالإسهام في المواجهة علماً أن التهم ليست موجهة إلى الجمعيات الخيرية بحد ذاتها، ولكنها موجهة للإسلام كدين، وهذه هي الحرب بعينها التي نود أن نشير إليها، وننبّه شباب المسلمين عليها، ونعد العدة لمواجهتها، كما أن الحرب الأصولية الصهيونية ليست موجهة إلى المجتمعات المسلمة فحسب، بل إن الجاليات، والأقليات المسلمة تتعرض للهجمات بمختلف الذرائع ممَّا يشكل خطورة على الأجيال المسلمة القادمة ما لم تكن مسلحة بسلاح الإيمان، والمعرفة التامة بالعدو، وأساليبه.

الفصل الثالث
الإعــــداد الاقتصادي

المقاطعة الاقتصادية أسلوب معروف، ومشهور منذ القدم، وله أمثلة تاريخية كثيرة، وسنقتصر على مثالين من التاريخ القديم، والمعاصر، ففي التاريخ القديم كانت أهم مقاطعة في حياة المسلمين، وأقساها على النفس مقاطعة النبي الكريم^ عندما لجأت قريش في صدر الإسلام إلى هذا الأسلوب، وأعلنت الحرب على الرسول ^، ومن آمن معه من أهله، وصحبه فلم يبدؤوه بحرب العدة، والسلاح، وإنما كانت بداياتهم حرب اقتصادية، فقاطعوه مع مَن انتصروا له من بني عبد المطلب، وبني هاشم، وحاصروهم في شعب أبي طالب، ولم يبيعوا لهم، ولم يشتروا منهم، ولم يزوّجوهم، ولم يتزوجوا منهم.

والواقعة الثانية: يرويها تاريخنا المعاصر وذلك بتصدر الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في عام (1973م) الحملة الداعية إلى قطع النفط العربي عن الولايات المتحدة، والدول الداعمة لإسرائيل، ولقبته مجلة التايم الأمريكية برجل العام لسنة (1974م)، وكان رحمه الله هو صاحب المقولة المشهورة التي قرع بها هنري كيسينجر وزير خارجية أميركا: «نحن كنا، ولا نزال بدو، وكنا نعيش في الخيام، وغذاؤنا التمر، والماء، ونحن مستعدون للعودة إلى ما كنا عليه. أما أنتم الغربيون فهل تستطيعون أن تعيشوا بدون النفط؟»، وأكد على نيَّتِه الذهاب للقدس، وهدد بإغلاق جميع آبار النفط إذا لم تعد القدس للمسلمين، ولكن المنية سبقت تحقيق أمله، وبإذن الله أبناء أمتنا غادون لتحقيق الهدف.

وبهذين المفهومين القديم، والمعاصر للمقاطعة الاقتصادية هو ما بلوره د. شحاتة في تعريفه لها بقوله هي: «قطع المعاملات الاقتصادية، والمالية، وما في حكم ذلك مع العدو، ومن يعاونه، أو يدعمه كنموذج من نماذج العقاب، وإرسال رسالة عزيزة، وقوية إليهم بهذا المعنى، كما تعتبر من أهم أسلحة الجهاد المشروعة ضد المعتدين، ومن في حكمهم»(1) .

وتعتبر المقاطعة الاقتصادية حقاً مشروعاً في السياسة الدولية لكل من يمارس ضده عدوان كما في ميثاق الأمم المتحدة الذي ينص في مادته (41) على أن: «لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله إن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير، ويجوز أن يكون من بينها وقف الاتصالات الاقتصادية، والمواصلات الحديدية، والبحرية، والجوية، والبريدية، والبرقية، واللاسلكية، وغيرها من وسائل المواصلات وقفاً جزئياً، أو كلياً، وقطع العلاقات الدبلوماسية»(2) .

ومن الغريب المستهجن أنه في الوقت الذي تنشط فيه حملات المقاطعة العربية، والإسلامية ضد المنتجات الأمريكية، والإسرائيلية؛ لعدوانهم على المسلمين، ومقدساتهم، يحتدم الخلاف داخل الدول الغربية حول مشروعية هذه المقاطعة، وما إذا كانت تتوافق مع القانون الدولي، وميثاق الأمم المتحدة، واتفاقات منظمة التجارة العالمية أم لا؟...، خاصة أن البعض في هذه الدول اعتبر المقاطعة العربية لإسرائيل عنصرية، وغير مشروعة دولياً(3) .

لذلك سنتناول مواجهة الإسلام للحرب الأصولية الصهيونية على الإسلام في الجانب الاقتصادي من ثلاث جوانب مهمة هي:

أولاً: واجب المقاطعة.

---

(1) المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان: د. حسين شحاتة. ص25. المكتبات الإسلامية الكبرى. القاهرة (ط1: 1426هـ).

(2) أنشئت هيئة الأمم المتحدة في 24/ 10/ 1945م، وأول أهدافها وأهمها: حفظ السلم والأمن الدوليين، وتحقيقا لهذا الغرض تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة، لمنع وإزالة ما يهدد السلم، ولقمع الأعمال العدوانية، أو كل ما يخل الأمن. وأخذ ميثاقها بفكرة المقاطعة الاقتصادية كأحد التدابير التي يتخذها مجلس الأمن ضد الدول التي تمارس العدوان..ويلاحظ على المادة أعلاه أنها أعطت لمجلس الأمن سلطة تقديرية في اتخاذ الإجراءات والتدابير غير العسكرية، لذلك فإن مجلس الأمن غير ملزم باتخاذ إجراءات المادة (41) من الميثاق، وإنما له أن يقرر استخدامها أو عدمه، وله أيضاً أن يختار من بين تلك الإجراءات، ومن الوقائع التي وجبت فيها تطبق إجراءات المادة (41) ولكن مجلس الأمن لم يلجأ لتطبيقها، ومن الحوادث التي هددت السلم، وأمن المواطنين ما حدث في فلسطين عام (1948م) حيث كان تهديداً للسلم بالمعنى الذي تضمنته المادة (39) من الميثاق، كما وقع من الهجوم الإسرائيلي على فلسطين، ولكن أياً من القرارات لم يطبق،... ومهما يكن فإن مجلس الأمن إذا قرر تطبيق تلك الجزاءات غير العسكرية فقراره يلزم أعضاء المنظمة بتطبيقها استنادا إلى المادة 25 من الميثاق (انظر: www.googe.com منظمة الأمم المتحدة، وانظر: المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة: د.حسين عمر ص30. الكتاب الجامعي. دار تهامة للنشر. جدة (ط2: 1404هـ)).

(3) انظر: المقاطعة حرب بلا دماء: مغاوري شلبي. باحث اقتصادي www.googe.com .

ثانياً: بناء الاقتصاد الإسلامي العالمي، لتغيير الوجهة من المصارف الأجنبية إلى المصارف العربية، والإسلامية.

ثالثاً: الاكتفاء الذاتي في: التصنيع، والإنتاج المحلي، والدولي.

أولاً: واجب المقاطعة وشرعيتها:

لما كانت لغة المال، والاقتصاد هي لغة العصر، وهي العامل المسيطر عالمياً أصبحت المقاطعة الاقتصادية في الوقت الحالي ذات أهمية كبرى، وتأثير فاعل على المواقف الدولية، واتجاهاتها، ومع ارتفاع وتيرة الدعوات الداعية إلى مقاطعة البضائع، والمنتجات التي تصدرها الدول التي تحارب المسلمين من منطلقات أفكار، ومعتقدات أصولية صهيونية دينية كاذبة، ومعادية للإسلام، والمسلمين، والمتمثلة في الاحتلال الصهيوني السافر لفلسطين، ودعواتها الدينية الكاذبة بأحقية أرض فلسطين، وبناء الهيكل، وخلافه. ناهيك عن الحركات التبشيرية، والتنصيرية، والتغريبية، والاستفزازية، من سب الرسول الكريم^ ، والسخرية من الدين الإسلامي، والتشكيك في تاريخه، وتشريعاته.

لذلك فالمقاطعة تتمثل أسمى غاياتها في هز مكانة الكيان الصهيوني عالمياً، والتقليل من شأنه، وإضعاف اقتصاده، ومَن يواليه، وعقابه، وحمله على أن يجعل للأمة الإسلامية هيبة، وقيمة عليا، ويضعها في الحسبان عند الهم في التفكير في الاعتداء عليها، وفي ذات الوقت تقوية اقتصاد الأمة؛ ليكون لها قوة، وعزه، ومنعة، ونفوذ.

ودليل مشروعية المقاطعة نورده في جواب الشيخ: حمود بن عقلاء(1) لأحد الطلبة عندما سأله ما حكم مقاطعة اليهود، والنصارى حسب ما تقتضيه الشريعة؟.

قال: «النبي^ لم يقاطع اليهود في أول الأمر حين كانوا مسالمين؛ لأنهم لم يظهروا نواياهم ضد الإسلام، والمسلمين فلما علم ^ نواياهم، وخاف من شرهم، وضررهم، وقد نقضوا عهودهم قاطعهم، وحاصر قراهم فقد حاصر بني النضير، وقاطعهم، وقطع أشجارهم، ونخيلهم، واستمر حصاره لهم ^ إلى أن سلّموا، وطلبوا الجلاء عن المدينة، وقد ذكر الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه قصتهم، وذلك أنهم لما نقضوا العهد حاصرهم ^، وقطّع نخيلهم، وحرقها، فأرسلوا إليه أنهم سوف يخرجون، فهزمهم بالحرب الاقتصادية، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿العظيم بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡـمِ﴾ (سورة الحشر، آية: 5)، فكانت المحاصرة، وإتلاف مزارعهم، ونخيلهم التي هي عصب قوة اقتصادهم من أعظم وسائل الضغط عليهم، وهزيمتهم، وإجلائهم من المدينة، وكذلك فعل ^ مع بني قريظة لما علم خيانتهم، وميلهم للأحزاب حاصرهم حصاراً محكماً حتى نزلوا على حكم الله، فقتلهم، وسبا نساءهم، وذراريهم.

ثم إن قياس حالة الأمريكان، واليهود، والنصارى، وشركاتهم في وقتنا الحاضر على يهود المدينة الذي هم قلة بالنسبة للمسلمين مع أنهم لم يعلنوا الحرب قياس فاسد؛ لأن الأمريكان، واليهود، والنصارى، وشركاتهم لا يفتئون يشنون الحروب على الشعوب المسلمة في فلسطين، وفي العراق، ويدعمون أعداء الإسلام في حروبهم ضد المجاهدين كدعمهم الروس في قتالهم ضد المجاهدين في الشيشان، وكدعمهم الفلبين في قتالهم ضد المسلمين هناك، وكدعمهم للمقدونيين في قتالهم ضد الألبان المسلمين، فهؤلاء حربيون لوقوفهم مع أعداء المسلمين الصهاينة في فلسطين، فهم يدعمونهم بالمال، والسلاح، والخبرات، ولولا دعمهم المتواصل منذ خمسين عام لدولة الصهاينة لما ثبتت لهم قدم في فلسطين؛ لأن اليهود من أجبن خلق الله، كما حكى الله عنهم في كتابه العزيز، حيث قال: ﴿الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات﴾ (سورة الحشر:آية: 14)، وكذلك حكى سبحانه وتعالى عنهم رفضهم طلب موسىυ حيث قال تعالى: ﴿لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان﴾ (سورة المائدة، آية: 21) وذكر سبحانه أجابتهم لموسىυ في قوله تعالى: ﴿الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة﴾ (سورة المائدة، آية: 22)، إلى قوله : ﴿بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله

---

(1) فتوى الشيخ: حمود بن عقلاء الشعيبي: التأكيد على مقاطعة أعداء الإسلام. ورد على فتوى بعض العلماء في تحريم ذلك بتاريخ: 4/ 4/ 1422هـ. نبيل العوضي. طريق الإيمان www.googe.com .

العظيم بِسۡــــــــمِ ﴾ (سورة المائدة، آية:24)، فلولا دعم الأمريكان، والإنجليز، والشركات اليهودية، والنصرانية للصهاينة لما تمكنوا من الإقامة في فلسطين. إذن قياس هؤلاء المحاربون للإسلام الحاقدون على المسلمين على حفنة من اليهود كانوا في المدينة تحت موادعة المسلمين قياس فاسد كما تقدم. فإذا كانت الشعوب الإسلامية في الوقت الحاضر ليس لديها قوة في الجهاد المسلح ضدهم بسبب الخلاف القائم بين حكام المسلمين وتخاذلهم عن إعلان الجهاد، وارتباط أكثرهم بالدول الكافرة فلا أقل من المقاطعة الاقتصادية ضدهم، وضد شركاتهم، وبضائعهم»، ثم واصل بتوجيه خطابه للمسلمين بقوله: «إنني أحث إخواننا المسلمين في المثابرة، والمصابرة على هذا الجهاد، قال تعالى: ﴿الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحۡرِيمِ المُلۡكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ ﴾ (سورة آل عمران، آية: 200)، وأن لا يملوا، أو يتكاسلوا فإن النصر مع الصبر، وأن يجتهدوا في مقاطعة الشركات، والبضائع الأمريكية، والبريطانية، واليهودية مقاطعة صارمة، وقوية، وشاملة، قال تعالى: ﴿...التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحۡرِيمِ المُلۡكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ المُرۡسَلَاتِ ...﴾ الآية (سورة المائدة، آية: 2) . وقد رأينا ولله الحمد فيما سبق، وفيما تناقلته وسائل الإعلام، ولمسنا أثر المقاطعة الشعبية السابقة على الاقتصاد (الأورمريكا)، والحاصل أنهم الدول حاملة لواء محاربة الجهاد الإسلامي في كل مكان، ووراء دعم الصهاينة في فلسطين، و دعم الروس ضد المجاهدين الشيشان، ودعم النصارى ضد إخواننا المجاهدين في الفلبين، وإندونيسيا، وكشمير، وغيرها، وهم وراء دعم أي توجه؛ لإضعاف الجهاد الإسلامي، وقد صدق فيهم قوله تعالى: ﴿بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ﴾ (سورة البقرة، آية:120) وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين»ا هـ. وبه قال العلماء الأفاضل منهم:

- فضيلة الشيخ: ابن عثيمين ــ رحمه الله ــ حيث أجاب علي موضوع المقاطعة أثناء قتال الصرب للمسلمين جاء في جوابه: المسلمون لو قاطعوا كل أمة من النصارى تساعد الذين يحاربون إخواننا لكان له أثر كبير، ولعرف النصارى، وغير النصارى أن للمسلمين قوة، وأنهم يد واحدة....

- وذكر الشيخ: ابن جبرين ــ رحمه الله ــ في فتواه المعروفة في مشروع المقاطعة، وهو أحد الموقعين على بيان مكة الثاني ضمن عشرات العلماء الذي ركز في أحد بنوده على: تفعيل سلاح المقاطعة الاقتصادية على كافة المستويات، ضد العدو اليهودي، وكل من تعاون معه، أو دعمه، واتخاذ كل التدابير الكفيلة بنشر هذه الثقافة بين كافة شرائح المجتمع المسلم.

- ويقول الشيخ: صالح اللحيدان في فتوى مستقلة عن مشروعية المقاطعة: تعتبر جزءاً من الجهاد في سبيل الله. واعتبر شراء بضائع الدول الداعمة للعدو نوع من إضاعة المال(1).

ويحدد د. شحاتة المقاصد الأساسية المشرعة للمقاطعة الاقتصادية في المعالم الآتية:

1- التعبير الصادق عن النصرة لدين الله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين عامة.

2- إشعار المسلم بعزته، وكرامته، وشخصيته وهويته، وأنه يفقد ذلك كله عندما يُعتدى على دينه، وعرضه، ونفسه، وثقافته، وماله، ووطنه.

3- اختبار قوة إيمان المسلم أمام تحديات التضحية من أجل جعل كلمة الله هي العليا من جانب، وبين ضغوط الغرائز، والشهوات، والأهواء من جانب آخر.

4- إرسال رد قوي إلى العدو بأن الأمة الإسلامية قوية بدينها، وعقيدتها، ولن تفرط في حق من حقوقها لصالح المحتل.

5- التطبيق الحقيقي لمفهوم الأخوة في الله من خلال نصرة إخواننا المجاهدين، والمستضعفين من المسلمين في كل مكان.

6- إضعاف اقتصاد الدول المعتدية ولو معنوياً، وتقوية اقتصاد الأمة الإسلامية من باب: وأعدوا لهم ما استطعتم(2).

من صور المقاطعة وأساليبها:

1 ــ عـدم التعامل مع العدو، ومن يَدعَمه بأي شكل من أشكال التعامل التجاري، وصوره المعروفة، والتأكد من بلد التصنيع قبل الإقدام على شراء السلعة، والبحث عن البديل الوطني، فإن

---

(1) انظر: www.googe.com، فتوى العلماء في المقاطعة الاقتصادية. نبيل العوضي. موقع طريق الإيمان.
(2) المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان: د. حسين شحاتة. ص27. بتصرف.

لم يجد فيبحث عن البديل من دولة عربية، أو إسلامية، أو من دولة أجنبية غير معادية، وغير موالية لهم، ويقول د. القرضاوى: «قاطع منتجاً تنقذ مسلماً»(1)، ويقول: «كل قرش تدفعه عبارة عن ثمن رصاصة يُقتل بها مسلم»(2).

2 ـ عدم استثمار أموال المسلمين في بنوك الدول الداعمة للصهيونية، ومن يواليهم؛ لأنها استثمارات تدعم اقتصادهم أولاً، وثانياً: تصرف أرباح هذه الاستثمارات في دعم الصهاينة بصور مختلفة كالمنح، والإعانات، والهبات، والقروض،...، ونحو ذلك فعلى سبيل المثال: المسلم الذي يودع ماله في بنوك أوروبا، وأمريكا، وهما أكبر دولتين تدعم إسرائيل، وتساعدها على قتل المسلمين، وتدنيس المقدسات يكون معيناً، وداعماً لهم على أمته، ودينه.

3 ـ عدم السماح للصهاينة في باستثمار أموالهم في المؤسسات، والمشروعات، والشركات في البلاد العربية، والإسلامية، لما في ذلك من مخاطر جسيمة على الاقتصاد الإسلامي، والوطني، وما تقوم به من جمع معلومات تفيد العدو، كما يعتبر ذلك من أساليب التطبيع الاقتصادي غير الجائز شرعاً.

4 ـ عدم السماح للخبراء اليهود، ومن في حكمهم، والذين يحملون جوازات سفر أمريكية، أو أوروبية بالتنقل داخل البلاد العربية، والإسلامية، حيث لا يؤمن مكرهم السيئ، وينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ ...﴾ الآية (سورة آل عمران، آية: 73)، فهؤلاء الصهاينة، ومن والاهم لا عهد لهم، ولا ميثاق، ولا يرقبون في مؤمن إلاً، ولا ذمة، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿... سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوبَةِ يُونُسَ﴾ (سورة التوبة، آية:10).

5 ـ منع الصهاينة، ومن يدعمهم من المشاركة في المعارض العربية، والإسلامية، وكذلك في الندوات، والمؤتمرات، ونحو ذلك، وأن لا يعطوا الشرعية في المشاركة مهما كانت الدواعي؛ كي يستشعروا العزلة التامة، والمقاطعة.

6 ـ التوعية الدائمة بكافة أساليب الاتصالات، والمعلومات عن حيل العدو الخفية للتغلغل إلى وحداتنا الاقتصادية، ويجب أن يكون المسلم فطناً، وحذراً، ومستيقظاً(3).

ثانياً: بناء اقتصاد إسلامي عالمي، لتغيير وجهت العميل من المصارف الأجنبية إلى المصارف العربية، والإسلامية:

بدأت الأزمة المالية الاقتصادية العالمية المعاصرة في سبتمبر 2008، وتعتبر الأسوأ من نوعها منذ زمن الكساد الكبير سنة (1929م)(4)، فبدأت في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم امتدت إلى دول العالم، لتشمل الدول الأوروبية، فالآسيوية، فدول الخليج، ثم الدول النامية التي يرتبط اقتصادها مباشرة بالاقتصاد الأمريكي، وقد وصل عدد البنوك التي انهارت في الولايات المتحدة خلال العام (2008م) إلى (19) بنكاً، كما توقع المراقبون الاقتصاديون آنذاك المزيد من الانهيارات الجديدة بين البنوك الأمريكية البالغ عددها (8400) بنكاً(5).

ويلفت أ. د صالح سليمان النظر إلى دور الشبكة العنكبوتية التي سلطت الأضواء على الدور اليهودي الذي كان خلف الأزمة المالية الاقتصادية العالمية الراهنة فيقول: «فتح الإنترنت مجالاً واسعاً لنشر المعلومات، والآراء التي لا تجرؤ وسائل الإعلام العالمية، والمحلية على نشرها، فلقد ظهر الكثير من المواقع التي تتحدث عن الدور اليهودي في تشكيل الأزمة المالية العالمية، وتحملهم المسؤولية عن صنع هذه الأزمة، وقد أثرت هذه المواقع على اتجاهات الرأي العام، حيث أوضح استطلاع جمعية (ضد القذف)، وهي منظمة متحيزة لـ(إسرائيل)، وتعمل على كشف أية اتجاهات معادية لها، وكشفت أن (31 %) من الأوروبيين يوجهون اللوم لليهود على الأزمة

---

(1) نفسه: ص27.
(2) نفسه: ص27.
(3) انظر: المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان: د. حسين شحاتة. ص28 بتصرف.
(4) الكساد الكبير أو الانهيار الكبير (بالإنجليزية Great Depression) هي أزمة اقتصادية في عام (1929م) ومرورا بالثلاثينيات، وبداية الأربعينيات، وتعتبر أكبر و أشهر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين، ويضرب بها المثل لما قد يحدث في القرن الواحد والعشرين، وما مدى سوء الأزمة التي قد تحدث وقد بدأت الأزمة بأمريكا ويقول المؤرخون أنها بدأت مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في 29 أكتوبر 1929م، وكان تأثير الأزمة مدمر علي كل الدول تقريبا الفقيرة منها والغنية, وانخفضت التجارة العالمية ما بين النصف و الثلثين,كما انخفض متوسط الدخل الشخصي، وعائدات الضرائب والأسعار والأرباح. وكان أكثر المتأثرين بالأزمة هي المدن وخاصة المعتمدة علي الصناعات الثقيلة،كما توقفت أعمال البناء تقريبا في معظم الدول, كما وتأثر المزارعون بهبوط أسعار المحاصيل بحوالي 60% من قيمتها. (انظر: القاموس الاقتصادي: حسن النجفي. مطبعة الإدارة المحلية. بغداد (ط: 1977م).
(5) انظر: الموسوعة الحرة: ويكيبيديا. قسم الاقتصاد. الأزمة المالية العالمية: 2008م. www.googel.com.

الاقتصادية العالمية الحالية، وفي استطلاع تم توزيعه على المواطنين في مجموعة الدول الأوربية أوضحت نتائجه أن أكثر من نصف الأوروبيين يعتقدون أن اليهود أكثر ولاءً لـ(إسرائيل) من البلاد التي يعيشون فيها، وأن (40%) من الأوروبيين يعتقدون أن اليهود يتمتعون بقوة كبيرة جداً خاصة في عالم المال، والأعمال، فعلى سبيل المثال كشف موقع ألماني متخصص في الأخبار المالية أن اليهود يسيطرون على النظام المالي العالمي، وأنهم تمكنوا من بناء إمبراطوريات مالية كبيرة نهبوا من خلالها تريليونات الدولارات يستخدمونها؛ لإشعال الحروب، وتمويلها، ومن الواضح أن الموقع يشير بذلك إلى العدوان الإسرائيلي المستمر ضد الفلسطينيين، والعدوان الأمريكي ضد العراق، وأضاف الموقع إن الولايات المتحدة هي المركز المالي لليهود وهي الوطن الثاني لهم، حيث نجح اليهود مثل: روتشيلد، ووليمان برازرز، وجولدمان، و...، في السيطرة المالية على العالم، وتشكيل الاقتصاد العالمي»(1).

وهذا ما عنيناه أعلاه من حرب العدو الأصولي الصهيوني العالمي ضد الأمة الإسلامية(2)، والتي تلزمنا كمسلين خلق البدائل التي تجعل العالم الإسلامي هو المتصدر في بيت المال، والأعمال (الاقتصاد العالمي)، وهذا ممكن في ضوء فرض طابع سمو الأخلاق الإسلامية في معاملاتها ما يمكِّنها أن تكون لها الصدارة العالمية، ويؤيد ذلك الخبير البريطاني "رودني ويلسون" مدير الدراسات العليا في معهد الدراسات الشرق أوسطية، والإسلامية في جامعة درام الإنجليزية في حديث خاص للشرق الأوسط في أبو ظبي الذي يؤكد على أن المصارف الإسلامية أصبحت في العقود الثلاثة الماضية من الصناعات الكبيرة عالمياً، وقال: «لقد تزايد أعداد الغربيين المستائين، والمتشككين في الخدمات المصرفية التقليدية التي يحصلون عليها، ويعتبرونها تنطوي على استغلال، وهي غير أخلاقية، و... ما جعل ظهور المصرفية الإسلامية بنظامها الأخلاقي المتميِّز يتمخض عن إبراز وجه الإسلام الإيجابي،...، واعتبر أن البنوك الغربية بحاجة إلى إرشاد أخلاقي؛ ذلك؛ لأن الجشع، وانعدام الأخلاق هما اللذان تسببا في الأزمة العالمية الحالية، وأن صناعة المصرفية الإسلامية لها تاريخ يمتد إلى (40) عاماً، وقد وُجدت لتبقى، وإن مستقبلها يبدو واعداً،...، وإن العديد من المصرفيين الغربيين ينظرون إلى التمويل الإسلامي باعتباره أمراً مثار اهتمام، بل وربما كفرصة عمل،...، وأضاف: إن التمويل الإسلامي يعتبر بالفعل بديلاً مبشراً للبنوك التقليدية، ويمتلك سجلاً مشرّفاً،...، وأكد على أن التمويل الإسلامي ليس متطابقاً مع الرأسمالية الغربية، ولا الاشتراكية، بل نشأ كنوع مختلف، وهو الرأسمالية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية ـ على حد تعبيره ـ، وزاد: أنه نظراً لأن الشريعة الإسلامية عبارة عن مبادئ سماوية كونية، وليست قوانين وضعية أصبحت شركات المحاماة الدولية الرائدة منخرطة في المصرفية الإسلامية، والتمويل الإسلامي نظراً لضرورة صياغة العقود بطريقة تتسق مع الشريعة في ظل القانون الإنجليزي، أو الأميركي، وفي الواقع تتمثل الوظيفة الرئيسية لأعضاء الهيئات الشرعية الذين يعملون في مجالس إدارات البنوك الإسلامية، والبنوك التقليدية التي تقدم منتجات إسلامية في ضمان توافق العقود الجديدة مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ومواصلة الحوار مع المحامين في حال عدم توافقها فيما يخص التعديلات، وإعادة الصياغة، وأضاف: «أنه من الممكن للمصرفية الإسلامية، والتمويل الإسلامي أن يرسما الاتجاه المستقبلي للتعاملات...»، وحول أداء المصارف الإسلامية أوضح: «إن البنوك تحقق أرباحاً ضخمة، حيث تكاليف التمويل منخفضة، كما أن نطاق خدماته، وقنوات تقديمها تضاهي أفضل ما يمكن أن تقدمه المصارف الغربية فضلاً عن أن المصارف الإسلامية تقدم منتجات جذابة، وتمتلك قاعدة متزايدة من العملاء»، وشدد ويلسون على أن: «الوقت الراهن مناسب جداً للمستثمرين الغربيين، والآسيويين للاقتناع بأن التمويل الإسلامي هو المكان المناسب الذي يستثمرون فيه أموالهم؛ حيث لا تجمد البنوك الإسلامية أية حساب، ويكون العملاء مطمئنين على أن ودائعهم في أيد أمينة»(3).

ولعلنا من خلال التصريحات السابقة القوية، والصريحة للخبير البريطاني ، ووجود الأرضية الممهدة، للمنافسة، وبناء قاعدة اقتصادية إسلامية عالمية تنافس الاقتصاد العالمي، وتحويل الوجهة إلى المعاملات الإسلامية،... ما يجدد بنا الأمل بأنه آن الأوان؛ لأن تصنع الأمة الإسلامية مجدها، وقوتها، وتكون حاكمة لا محكومة تملك زمام أمورها، ولا يجرؤ العدو للوقوف أمامها،...، وهذا

---

(1) صحيفة الشرق القطرية: أ. د . سليمان صالح. مقال بعنوان: ما دور اليهود في الأزمة الاقتصادية العالمية؟. زاوية: الشرق في أسبوع (18/ 2/ 2009م). يومية سياسة جامعة. تصدر عن دار الشرق. الدوحة قطر.

(2) وإن كان انهيار الاقتصاد العالمي طال جميع الأمم بلا استثناء، ومنها دول أوربا وأمريكا، إلا أن استهداف المصالح الإسلامية ودول النفط، أكثر أثر لا سيما إذا علمنا أن صانع الأزمة كما تشير العديد من المواقع الحرة أثرياء اليهود، والصهيونية المسيحية السابقة والتي تساند الصهيونية قلباً وقالباً.

(3) الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي: القسم: أقوال وتصريحات علماء الغرب الموضوعية عن الاقتصاد الإسلامي. الخبير المصرفي البريطاني ردوني ويلسون: التمويل الإسلامي البديل للبنوك التقليدية. ويطالب العالم بالترحيب بنظام المصرفية الإسلامية وعدم قمعه أو إعاقته. تعريب: طارق محمد.

ما ننتظره، ونتطلع إليه من علماء الاقتصاد، ومفكري أمتنا الإسلاميين، قال تعالى: ﴿...السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى ...﴾ الآية (سورة الرعد آية:11).

ثالثاً: الاكتفاء الذاتي في: التصنيع، والإنتاج المحلي والدولي:

تستورد الدول العربية، والإسلامية أكثر من (90%) من احتياجاتها من دول أوربا، وأمريكا، وغيرهما، وهذا ما يضعفها، ويضعف مواقفها السياسية، ويجعلها أداة سهلة لتكالب العداء، ويضعف قراراتها، ومكانتها، فالعالم الإسلامي بحاجة إلى التعاون، والتكاتف؛ لتكوين قوة في وجه العدو، وبما أن المال، والاقتصاد هو لغة العصر، وبما أن أمريكا تحتل مركز الصدارة في الصناعات عالمياً مكنها من تملك زمام المال، والاقتصاد، وإحكام القبضة على العالم، وكيما نكون مسلمين بحق، وننافس على مركز الصدارة يلزمنا الأخذ بالأسباب التي تجعل منّا القوة العالمية الأولى في الصناعة، أو أقل تقدير تباري القوى الصناعية في العالم؛ لتأخذ أمتنا مكانتها العالمية التي تستحقها،...، وليس ذلك من المستحيلات في شيء لامتلاك دول العالم الإسلامي جميع مقومات النصرة فلديها قوة عقلية فذة في أبناءها، وقوة مالية ضخمة، بالإضافة إلى قواعد صناعية متقدمة في مختلف المجالات ابتداءً من الصناعات الصغيرة، وانتهاءً بالصناعة الثقيلة، والتكنولوجيا المتقدمة، والبناءات الميكانيكية، والكيماويات، وغيرها، وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن لدى الأمة الإسلامية كافة المقومات للنهضة، والتقدم، وجُل ما تحتاجه هو توحيد الصف، والترشيد، والتنسيق، والتنظيم؛ ليكون التصنيع إحدى ركائز قوتها.

كما جاء في توصيات المؤتمر العالمي السابع للاقتصاد الإسلامي الذي عقد في جامعة الملك عبدالعزيز خلال الفترة من 1ــ 3 إبريل 2008م، والذي اشتملت فعالياته على ثلاثة محاور رئيسة هي: جلسات النقاش العلمية، أوراق العمل، وجلسات التطبيقات، والحلول حسب البرنامج المعد من قبل المنظمين، وكانت الرؤية الإستراتيجية للمستقبل الاقتصادي بدعوة مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي لوضع خطة إستراتيجية مستقبلية للبحث في الاقتصاد الإسلامي، بمشاركة المراكز البحثية ذات العلاقة، وبالتعاون مع الجهات المعنية، والعلماء، والرواد في الاقتصاد الإسلامي مع ضرورة تضافر جهود المراكز البحثية، والمؤسسات التعليمية، والمنشآت التمويلية، والجهات الحكومية،...، وغيرها؛ لتحقيق أهداف هذه الإستراتيجية، وتفعيل جميع التوصيات(1)، ويلاحظ سيطرة التنظير على أعمال هذا المؤتمر كما هو وارد في التوصيات إلا أننا نحتاج إلى دور فاعل، ودفعة قوية للخروج من البحوث التقليدية، والآليات النظرية إلى التطبيق العملي الإيجابي، والتنفيذ الايجابي الذي تتعلق به آمال الأمة.

ولعل ما جاء في منتدى الأعمال الدولي الإسلامي التاسع الذي أختتم فعالياته في الغرفة التجارية الصناعية بجدة ما ينبأ بخطوات إيجابية أولية بسيطة، حيث قدم خلالها البنك الإسلامي عدة توصيات؛ لدعم التجارة البينية للدول الإسلامية منها:

1- تأسيس مركز دائم في جدة لمنتجات الشركات التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

2- تأسيس السوق الإلكترونية للتبادل التجاري بين الشركات في الدول الإسلامية؛ لحل مشكلة التواصل التجاري، ورفع كفاءة التواصل المعلوماتي فيما بينها.

3- تأسيس صندوق لدعم الصادرات بين الدول الإسلامية؛ ليكون محل دعم تبادل التجارة البينية بين الدول الإسلامية.

---

(1) أما مستقبل البحث في الاقتصاد الإسلامي: يتبنى المؤتمر تشجيع الجامعات والمراكز البحثية لإجراء البحوث والدراسات في الاقتصاد الإسلامي في المجالات التطبيقية الهادفة إلى معالجة المشكلات المعاصرة التي تواجه كثيراً من البلدان الإسلامية، البطالة، والفقر وغلاء الأسعار والتضخم، والتخلف الاقتصادي، وتقلبات الأسواق المالية، وأزمات الديون، بهدف إيجاد حلول لها متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية.تشجيع المؤسسات العامة والوقفية والخيرية لإجراء البحوث والدراسات التاريخية والمعاصرة المعمقة في مجالات محددة مثل الوقف، والزكاة والمالية العامة الإسلامية.ضرورة تكاتف جهود المراكز البحثية والمؤسسات التمويلية، وهيئات الرقابة الشرعية والمجامع الفقهية لتصميم منتجات مالية إسلامية جديدة تلبي الاحتياجات الحالية والمستجدات لجميع الفئات الاقتصادية في الأسواق المالية ومتوافقة مع المقاصد والضوابط الشرعية.ضرورة قيام البنك الإسلامي للتنمية بمشاركة المؤسسات المالية والمراكز البحثية بإنشاء صندوق وقفي لتمويل البحوث في الاقتصاد الإسلامي، وتقديم المنح الدراسية لطلبة الدراسات العليا، والجوائز التشجيعية للأبحاث المتميزة، لدعم مسيرة البحث في الاقتصاد الإسلامي.الاهتمام بالبحوث والدراسات المتعلقة بالفكر الاقتصادي الإسلامي والتطبيقات الاقتصادية الإسلامية بلغات أخرى غير اللغات العربية والانجليزية، والفرنسية، مثل الفارسية، الماليزية والإندونيسية والتركية وغيرها.تشجيع جهود الترجمة في الاقتصاد الإسلامي من وإلى لغات أخرى غير اللغات الثلاث المذكورة.تشجيع الجامعات الإسلامية وأقسام الاقتصاد بتأليف الكتب والمراجع الدراسية الجامعية في المواضيع المتعددة في الاقتصاد الإسلامي. الاهتمام بالتوعية ونشر ثقافة ومفاهيم الاقتصاد الإسلامي من خلال وسائل الإعلام المختلفة، كإنشاء قناة فضائية متخصصة في هذا المجال. (انظر: المركز الوطني للتوثيق: قاعدة المعطيات حول التنمية الاقتصادية والاجتماعية. الاثنين 11 أغسطس 2008. بقلم: المركز المتعدد الوسائط. الاقتصاد ــ المالية. التعاون الاقتصادي www.googel.com .

وتطرق وزير التجارة بالمنتدى إلى المعوقات التي تحول دون تنمية حجم التبادل التجاري بين الدول الإسلامية، واختصرها في أربع أسباب هي:

1. عدم وجود شبكة نقل، أو مواصلات متطورة تساعد على تدفق السلع بين الدول الأعضاء من مناطق الإنتاج إلي الأسواق.
2. محدودية الإنتاج، وضيق تنوعها في الدول الأعضاء، بالإضافة إلى تشابه المنتجات مما يؤدي إلى تقليل فرص التبادل التجاري بين هذه الدول.
3. ضعف الأنظمة والتشريعات التي تساعد على التدفق التجاري، وتحرير التجارة بين الدول الأعضاء فضلا عن عدم تطبيق نظام تكنولوجيا المعلومات بين هذه الدول.
4. إضافة إلى أهم العوامل وهي ضرورة تحفيز القطاع الخاص للمساهمة في المشروعات الإسلامية المشتركة، والحد من تسرب الأموال نحو الدول الأجنبية.

وأيضاً قال: إن دول الخليج قد ركزت خلال السنوات الماضية على الالتزام بسياسات التحرير الاقتصادي، والعمل على تنشيط القطاع الخاص، وإعطائه دور أكبر في إدارة النشاط الاقتصادي، وأهمية استفادة الدول الإسلامية من تجارب الدول المختلفة في مجال تطبيق التجارة الإلكترونية، واستخدام المعلومات، وذكر أن البنك الإسلامي للتنمية وضع جُل اهتمامه تطوير التجارة البينية بين الدول الإسلامية، وتشجيع التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء، وجعل من ذلك هدفا رئيسياً يسعى البنك لتحقيقه؛ لذلك ركز بصفة خاصة على زيادة التجارة الإسلامية من خلال أنشطة التمويل، والتشجيع المختلفة، ونتج عن ذلك زيادة قيمة الصادرات البينية، والواردات البينية بنسبة (33%) للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بين عامي (2001 و2003)، حيث انتقلت من حوالي (113) مليار دولار عام (2001م) إلى (151) مليار دولار عام (2003م)، وسجلت حصة التجارة البينية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي من التجارة الإجمالية للدول الأعضاء ارتفاعا، حيث انتقلت من (12.8%) عام (2001م) إلى (13.5%) عام (2003م) بزيادة نسبتها (5.5%)، وقال: إنه على الرغم من أن مجموعة الدول الأعضاء في البنك تضم بعض أكبر منتجي البترول، وعدداً قليلا من الدول التي أصبحت صناعية حديثا إلا أن تجارتها البينية تظل منخفضة للغاية بنسبة (12.2%)(1)، ولا شك أن وضع اليد على المعوقات، ووضع الحلول الجادة؛ لتجاوزها، والخروج من الأطر النظرية إلى الميدان العملي مؤشر من مؤشرات النجاح.

تعقيب:

رغم الجهود المبذولة عند مقارنتها بجهود العدو المتربص نرى أننا نحن بحاجة إلى عمق أكثر، ورؤية مستقبلية ثاقبة أشمل؛ لأننا نحمل رسالة عظيمة، ونملك كل المقومات المادية، والعملية، والعلمية، والفكرية لخدمتها، وأكثر،... فماذا ننتظر؟، وإلى متى يظل كل منّا يعمل بمنأى عن حاجات أمته؟، وكم من المليارات يلزمنا جمعها لنبني ذواتنا، حتى نفرغ، ونلتفت لما تحتاج منّا أمتنا؟، ولنجيب على الآتي:

1- ماذا يجب علينا أن نفعل لتحتل أمتنا الإسلامية الصدارة، والريادة العالمية في التجارة، والصناعة لنكون أصحاب قرار؟.
2- كيف؟، ومتى؟ يتم توجيه أصحاب البليارات من المسلمين لخدمة أمتهم؟
3- كيف نضاهي، وننافس الصناعات الأجنبية العالمية الثقيلة، وكم من الزمن نحتاج للتغلب عليها؟.
4- كم من الزمن نحتاج لنعيد لأمتنا عِزّها، ومجدها، ومكانتها، وعهد الصالحين من الفاتحين، وأرباب العلوم الدينية، والعلمية، والفكرية؟.

(1) انظر: جريدة الشرق الأوسط الدولية اليومية. جدة: إبراهيم الفقيه. ص7. الثلاثاء 02 رمضان 1426 هـ . ع 9807.

الفصل الرابـع
الإعــداد الإعــــلامي

للإعلام بوسائله المختلفة المرئية، والمسموعة، والمقروءة أهمية حيوية، ودور فاعل في صياغة مفاهيم، ومعارف المجتمعات، والتحكم في خلق القناعات، ومن ثم صنع القرارات الأكثر تعقيداً ـ وإن كانت مخالفة لأصل الحقيقة ـ ولاشك أنه لا غنى للمجتمعات المعاصرة عن الإعلام بضروبه المختلفة، رغم مساوئه التي انعكست سلباً، على المجتمعات ـ لا سيما المحافظة منها ـ وعلى فكر، وإرادة الإنسان البسيط العادي، ولما كان الإعلام المرئي هو الوسيلة الأكثر شيوعاً للتواصل الفكري الجماهيري سخَّرته القوى المعادية للإسلام كسلاح موجه إلى صدر أبناء الأمة الإسلامية من عدة جهات نذكر منها:

1. معادات الإسلام في صورته النقية من العقائد، والشرائع، وذلك بتضليل شعوبها، وقلب الحقائق؛ لتصوير المسلم بالهمجي البربري، الإرهابي المتطرف المتعطش لسفك الدماء دونما سبب، سوى القسوة، والوحشية الممتلئ بها قلبه،...، وذلك للتحكم في توجهات، وأفكار الشبيبة منهم من الجنسين.

2. الدعوة إلى التحريض، والتشويش السياسي، وتأليب الشعوب ضد حكوماتها، وضد بعضها البعض، فيصبح الإنسان تائهاً لا يدري ما يعمل؟، وماذا يريد؟، ومَن هو الصحيح، ومن هو الذي على خطأ!، ومن الصادق؟، ومن الكاذب؟.

3. تأسيس محطات، وقنوات متخصصة في الرذيلة، والإباحية المطلقة، لإفساد أخلاق الشباب المسلم من الجنسين، وهدم الأسرة المسلمة التي تعد اللبنة الأولى في المجتمع، فتتفسخ الأخلاق، وتتحلل القيم، والمبادئ مما يسهل السيطرة عليها.

هذا وغيره كثير لا يسع المقام لذكره وهو ما يُسمَّى بالغزو الإعلامي لبلاد الإسلام، ولكنه بإذن الله مردود عليهم كما قال تعالى: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء﴾ (سورة الأنفال، آية: 30)، وقال تعالى: ﴿... محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور﴾ (سورة الأنعام، آية: 123).

وصدق الله العظيم إذ قال في محكم آياته: ﴿... الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء﴾ فسعوا لتشويه الإسلام، وقلب الحقائق، ورصدوا لذلك الملايين، وجنَّدوا له خيرة جندهم، وكان الله لهم بالمرصاد قال تعالى: ﴿... القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة ...﴾ الآية (سورة فاطر، آية: 43) فممَّا جاء في هذا الصدد: «ما ذكرته صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية مؤخرًا من أن أجهزة المخابرات الأوروبية والأمريكية، والموساد الإسرائيلي قدموا تقارير مطولة إلى وكالة المخابرات الأمريكية، يحذرون فيها من ارتفاع معدل انتشار الإسلام في الغرب، رغم كل الأزمات التي تحيط بالمسلمين، وأن العامين الماضيين شهدا اعتناق أكثر من خمسين ألف شخص أوروبي للإسلام أغلبهم من النساء، وأن العالم الغربي يجب أن يحترس من هذه الظاهرة المخيفة، والخطيرة في آن واحد، خاصة في ظل إقبال المرأة الأوروبية، والأمريكية على الدخول في الإسلام، وما يمثله هذا من خطر جسيم باعتبار أن المرأة تدخل الإسلام، ومن خلفها أسرة بأكملها، لا يقل متوسط عدد أفرادها عن خمسة أفراد، وأن المرأة التي تعتنق الإسلام حديثًا تؤكد لكل من حولها أنها اعتنقت الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يمنح المرأة حقها كاملاً غير منقوص،....»(1).

وأكد ذلك تقرير رابطة العالم الإسلامي من خلال الإحصائيات الأوربية الدورية التي تتابع انتشار الإسلام في أوربا، وأمريكا يقول التقرير: «أكدت إحصائيات حديثة صادرة عام (2008م) أن محاولات تشويه صورة الإسلام، والمسلمين إعلامياً، وبناء صورة سيئة للمسلم باءت بالفشل، وأن الإسلام مازال ينتشر في أوروبا، وأمريكا،...، ويُذكر أن تعداد المسلمين في العالم أصبح يمثل (20%)، وهناك توقعات لأستاذ الجغرافيا الاجتماعية بجامعة أكسفورد "سيري بيتش" بتضاعف عدد المسلمين بحلول (2015م) بينما سينخفض عدد غير المسلمين بنسبة (3,5%) وهو ما دفع المونسنيور "فيتوريو فورمينتي"(2)في مارس (2008م) أن يقول: «إن عدد

---

(1) موقع بوابة الإسلام: الموضوعات العامة، ارتفاع معدلات الإسلام في الغرب. تاريخ المقال: 2007/10/2م.

(2) المونسنيور فيتوريو فورمينتي: معد كتاب الإحصائيات السنوي لعام (2008) وقد صدر حديثًا وقال فيه: إن المسلمين يشكلون 19.2 في المائة من سكان العالم مقابل 17.4 في المائة للنصارى الكاثوليك. وأضاف فورمينتي في مقابلة مع صحيفة الفاتيكان (لوزرفاتوري رومانو): "للمرة الأولى في التاريخ لم نعد في =

المسلمين فاق عدد الكاثوليك، ليصير أتباع الإسلام الأكثر في العالم، وللمرة الأولي في التاريخ لم نعد في القمة»، وفي دراسة أعدتها وزارة الداخلية الفرنسية أن (3600) شخص يعتنقون الإسلام سنوياً، وأكدت الدراسة أن المسلمين الفرنسيين أكثر التزاماً، وتندر الجريمة في أوساطهم، وتشير الإحصائيات أن في فرنسا (2300) مسجداً، و(7) ملايين مسلم؛ ليصبح الإسلام الدين الثاني بعد المسيحية في فرنسا، وهناك توقعات بأن يمثل المسلمون ربع سكان فرنسا بحلول عام (2025)، وأكدت دراسة لصحيفة لاليبر بلجيك البلجيكية أن ثلث سكان بروكسل الآن مسلمون، وأضافت الدراسة أن الدين الإسلامي سيصبح الدين الأول في بروكسل بعد نحو (20) عاماً من الآن...»[1].

وفي المقابل لا يزال إعلامنا الإسلامي قاصراً علي أداء دوره، ورسالته في الحياة، وإذا أردنا له أن يقوم بدوره فلابد من جهد تنسيقي؛ لتوحيد الرسالة، والأفكار، والرؤى،...

وقد سأل أ.د.بدر الماض[2]رئيس قسم الدراسات الإسلامية بدولة الكويت عن مدى حاجة الإسلام لتدعيمه إعلامياً؟، قال: «نعم لأن الإسلام في القرون الأخيرة شهد هجمة شرسة من قبل قوى معادية كثيرة، ومن قبل أطراف مشبوهة متعددة الأهواء، والمشارب بعضها من داخل البلاد، وبعضها من الخارج في محاولة مستميتة لعزل الإسلام، وفصله عن أبنائه، وحصره في أمور العبادات، وأداء الشعائر، ومن هنا برزت الحاجة الماسة للإعلام الإسلامي، كي يعمل على صد هذه المحاولات منطلقاً من قوته الذاتية، وإذا كان أعداء الإسلام قد استخدموا في هجمتهم كافة وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة، فمن واجب الإعلام المسلم أن يوظف نفس الوسائل، كما يبتكر وسائل جديدة لا كردة فعل دفاعية، إنما كتعبير عن قوة الفكر الذي يحمله الإعلامي المسلم»...، كما اقترح: «إنشاء هيئة إعلامية عالمية هادفة تأخذ على عاتقها جمع العاملين في حقل الإعلام الإسلامي، وتوحيد رؤاهم اتجاه كافة القضايا الإسلامية على أن يخضع الإعلام الإسلامي بكافة أجهزته، ومؤسساته العاملة لخطة شاملة تقدمها الهيئة الإسلامية المقترحة، تتضمن الإطار العام، والمبادئ الرئيسية، والأهداف المنوطة، وتكون مهمتها التخطيط، والتوجيه، والمتابعة، فيما تترك عمليات التنفيذ، والبرمجة للوسائل الإعلامية الفرعية المتخصصة»[3].

وقد ركز البيان الختامي لمؤتمر الإعلام بين حرية التعبير، والإساءة إلى الأديان الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع وزارة الأوقاف، والإرشاد في الجمهورية اليمنية بوضع برنامج عمل يعالج الإساءات إلى الإسلام، وتبريراتها في إطار البحث العميق في الجذور، والأسباب الحقيقية الكامنة وراء الحملة العدائية على الإسلام التي تخطت حدود المواثيق، والأعراف الدولية، وخرج المؤتمر بعدد من التوصيات الهامة:

1- الحث على تنظيم المزيد من مؤتمرات الحوار، ومنتدياته مع توسيع مشاركة، وسائل الإعلام الإسلامي في هذا المجال؛ لتقوم بدورها الواعي في التعريف بالإسلام، والرد على الإساءات، وتصحيح الصور النمطية السلبية عن مبادئه، وشريعته الغراء.

2- طالب البيان المنظمات، والمؤسسات الإعلامية الإسلامية بتنسيق مواقفها، والارتقاء بخطابها الإعلامي إلى مستوى المهمة المناطة بها.

3- طالب الإعلاميين المسلمين بتفويت الفرص على المسيئين للإسلام، وعدم الانجرار إلى مزالق الإعلام المعادي للإسلام الساعي؛ لإثارة الكراهية، وأنواع الصراع الحضاري، والثقافي، والديني، والحرص على إبراز المنهج الإسلامي في مجالات الحريات، وحقوق الإنسان، والعدالة، والمساواة، والتعريف بالجانب الاجتماعي في الإسلام، وبيان محاسنه فيما يتعلق بشئون المرأة، والزواج، والأمومة، والطفولة.

4- طالب المؤتمر بالتركيز على بيان عظمة شخصية الرسول ^، ومواقفه التي تكشف المعاني الإنسانية، والتربوية العظيمة، وموقف الإسلام، والمسلمين من المتغيرات السياسية، والاقتصادية، والتعايش السلمي بين الأمم.

=

القمة.. المسلمون تجاوزونا"، موضحًا أن هذه البيانات تعود إلى عام (2006). وتابع يقول: إذا وضعنا في الاعتبار كل الطوائف المسيحية بما في ذلك الكنائس الأرثوذكسية والانجليكانية والبروتستانتية فتكون نسبة المسيحيين 33 في المائة من سكان العالم أي حوالي مليارى نسمة. الموضوع: الفاتيكان:عدد المسلمين تجاوز الكاثوليك لأول مرة في التاريخ. (الموقع الرسمي لـ: www.islamhouse.com.

(1) موقع: رابطة العالم الإسلامي: الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام. أخبار الأقليات المسلمة في العالم. إحصاءات غربية: انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا رغم حملات التشويه تاريخ المقال: 9/ 13/ 2004م.

(2) رئيس قسم الدراسات الإسلامية. بكلية التربية الأساسية بدولة الكويت.

(3) النظرة الإسلامية للإعلام محاولة منهجية: د.محمد كمال الدين إمام. ص144. دار البحوث العلمية. الكويت (ط2: 1983م). وانظر: موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت. القسم: لقاء وحوار. رئيس قسم الدراسات الإسلامية: أ. د. بدر الماض. موضوع اللقاء: هيئة عالمية للإعلام الإسلامي ضرورة إعلامية. البوابة الإسلامية.

5- دعا إلى ضرورة اختيار إعلاميين متميزين، ومؤهلين تأهيل عال يتم إقامة دورات تدريبيه لهم على برامج متخصصة بمعالجة الإساءات الموجهة للإسلام، والمسلمين؛ ليتحقق فيهم التمكن الجيد من العلم الشرعي، وخاصة القرآن، والسنة، وما كان عليه سلف الأمة الصالح، والمعرفة الجيدة بالواقع عموماً وواقع الثقافات، والمجتمعات الغربية، والمعرفة العامة بالشبهات المثارة ضد الإسلام بين الغربيين، والردود التفصيلية عليها، والمتابعة العامة لاتجاهات الرأي العام، وتأصيل فكرة حرية التعبير لدى الآخرين وفق الضوابط الخلقية، والقوانين الدولية التي تمنع الإساءة للأديان.

6- أوصى البيان بتنشيط الهيئة العالمية للإعلام الإسلامي لتنفذ ما وضعته من خطط في مجال توظيف وسائل الاتصال الحديثة في خدمة الأهداف الإسلامية، والتنسيق بين وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، والتوسع في الاستفادة من شبكة المعلومات العالمية (النت).

7- دعا منظمة (اليونسكو) للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مجال الحوار، ومتابعة ما بدأته عام (2007م) من مناقشة حرية التعبير في إطار فهم مشترك لمضامين حقوق الإنسان، والتعاون بين أتباع الحضارات.

8- طالب بتكوين لجنة إعلامية عليا يشارك فيها علماء، وإعلاميون؛ للنظر في السبل الثقافية، والوسائل العملية التي تضمن تحقيق أهداف العمل المشترك بين مؤسسات الإعلام، والمنظمات الإسلامية، والعلماء، والدعاة مع التوسع في الحوار بين الهيئات الإسلامية، وعلماء الاجتماع، والإعلاميين المسلمين.

9- دعا البيان كليات الدعوة، والإعلام في جامعات العالم الإسلامي إلى إدخال مقرر دراسي يختص بالخطاب الإعلامي شكلاً، ومحتوى، ومطالبتها بالاهتمام بالدراسات الجامعية في موضوعات الحملات الإعلامية على الإسلام، والمسلمين، ومعالجة مضامينها، والرد عليها، وتوجيه طلاب الدراسات العليا إلى العناية بهذا الموضوع في رسائلهم العلمية.

10- أوصى بإنشاء معهد عالمي للإعلام الإسلامي يتولى إلى جانب التدريب، والتأهيل مهام النشر المتخصص في قضايا الاتصال الدولي الإسلامي، ويدعو المؤتمر رابطة العالم الإسلامي إلى إعداد دراسة عن المعهد، ومناقشته في المؤتمر الثاني للإعلام الإسلامي.

11- أيد البيان مطالبة مؤتمر مكة السابع بإنشاء هيئة استشارية من المتخصصين في القوانين، والأنظمة العالمية، تعمل في إطار رابطة العالم الإسلامي، مهمتها المتابعة القانونية للإساءات، ووسائل منعها قانونياً، بما فيها رفع دعاوى قضائية على كل من يسيء إلى الدين الإسلامي، وذلك أمام المحاكم المختصة في بلده، والمحاكم الدولية.

12- دعا رجال المال، والأعمال، والغرف التجارية، والصناعية، والمؤسسات الاقتصادية في العالم الإسلامي؛ للإسهام في دعم المؤسسات الإسلامية المتخصصة بالتعريف بالإسلام، وبنبي الرحمة ﷺ؛ تحقيقاً للأهداف المبتغاة في تبليغ الدعوة عبر مختلف الوسائل الإعلامية.

13- أكد أهمية تعزيز التعاون، والتكامل الاقتصادي بين المسلمين، واستخدام إمكاناتهم السياسية، والاقتصادية في مواجهة الإساءة إلى الإسلام، والتواصل مع مؤسسات الإعلام العالمية من خلال ندوات خاصة مشتركة لشرح صورة الإسلام الصحيح للشخصيات الفاعلة فيها، وبيان الردود الإسلامية على الحملات، والاتهامات الباطلة.

14- ناشد وزارات الإعلام، والثقافة في البلدان الإسلامية إلى التنسيق في مجال التصدي للحملات الإعلامية التي تستهدف الإسلام، والمسلمين، ومطالبتها بالتنسيق، والتعاون في هذا الشأن مع رابطة العالم الإسلامي، والمنظمات الإسلامية الأخرى.

15- دعا المشاركين إلى إقامة منتدى فكري عالمي سنوي بإشراف رابطة العالم الإسلامي، وتنظيمها الهدف منه رصد كل ما يسيء إلى الإسلام في الإعلام المعادي، وفتح قنوات الحوار مع العلماء، والخبراء، والأكاديميين من غير المسلمين؛ لتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، والعمل على إزالة كافة مظاهر سوء الفهم(1).

ومن الملاحظ أن توصيات المؤتمر انصبت على الناحية البحثية البحتة المعتمدة على جمع البيانات وتصنيفها، والرد عليها،...، وتركزت جهودها في الدعوات المسيئة للإسلام إساءة مباشرة، دون النظر إلى الوسائل الأخرى التي تنال من الإسلام، وبنيته التحتية، وعماده ألا وهو الشباب المسلم بجنسيه، ومؤثرات الإعلام المعادي عليه بالتحلل من قيمه، وأخلاقه، والانسلاخ عن دينه بما يصدّر له من مواد مستهدفه تقويض كيانه، واستقراره الأسري لا شك أن البرامج المطروحة قوية، ومتميزة إذا ما أخذت بعين الاعتبار، وتم العمل على تنفيذ ما جاء بالتوصيات، ويكون بذلك تم سد ثغرة من جملة الثغرات، ويبقى الاحتياج إلى عمل إعلامي أوسع، وأشمل؛

---

(1) انظر: جريدة الرياض اليومية شؤون دولية: صنعاء: خالد عبدالله. مؤتمر الإعلام المعاصر يدعو إلى التصدي لمحاولات تشويه الإسلام وتصحيح الصور النمطية عن مبادئه. يوم الاثنين: 14/ 2/ 1430هـ الموافق: 9/ 2/ 2009م.

لاستيعاب جميع جوانب الهجوم العدواني، لاسيما إذا علمنا أن الأسلحة الإعلامية التي تشهرها الصهيونية اليهودية، والمسيحية لحرب الإسلام، والمسلمين هو سيطرتها على الإعلام، ووكالاته العالمية، ووسائله المتنوعة إما بالتملك، أوالتأسيس الرئاسي، والإشرافي ومنها: وكالة (رويتر)، ومؤسسها جاليوس رويتر اليهودي، ووكالة (انتر ناشيونال)، ومؤسسها وليام هيرست، وكالة أنباء (هافاس) الفرنسية، وهي أقدم وكالة أنباء عالمية، ومؤسسها أحد أفراد عائلة هافاس اليهودية،...، وغيرها، كما تسيطر على الصحافة العالمية كصحيفة (التايمز) اللندنية، و(الصنداي تايمز)، ومجلة (صن)، و(نيوز أوف ذي وورلد) أنباء العالم، و(سيتي ماغازين)، ويملكها جميعاً المليونير اليهودي (روبرت ميردوخ)، و(كالديلي أكسبريس)، و(النيوز كرونيكل)، و(الديلي ميل)، و(الديلي هيرالد)، و(المانشسترغارديان)، و(جون بول)، و(يور كشايربوست)، و(إيفننج ستاندرد)، و(إيفننج نيوز)، و(الأوبزرفر)، و(صنداي ريفري)، و(صنداي أكسبرس)، و(صنداي كرونيكل)، و(ذي صندي يببل)، و(صنداي دسباتش)، و(ذي سكتش)، و(ذي سفير)، و(ذي جرافيك)، و(ويك أند)(1)، وغيرهما. هذا في بريطانيا وحدها، أما في أمريكا التي تصدر مطابعها يوميا (1759) صحيفة بالإضافة إلى (668) صحيفة أسبوعية، ومن أهم، وأشهر الصحف الأمريكية اليومية التي يمتلكها اليهود (نيورك تايمز)، و(الواشنطن بوست)، و(الديلي نيوز)، و(النيويورك بوست)، و(ستار ليدجر)، و(صن تايم)، ومجلتي (تايم)، و(نيوزويك) الأكثر انتشاراً، وشهرة عالمياً، و...، أما عن التلفاز فتنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين (700 : 1100) شبكة تلفزيونية، يمتلك اليهود، ويسيطر على أهمها عالمياً، وهي محطة: (A.B.C) و (C.B.S) و(N.B.S)(2)، وغيرها الكثير من الصحف، والمجلات، ومحطات، وشبكات التلفزة، وغيرها من وسائل الإعلام التي لا تقل أياً منها عن الأخرى أهمية، أو شهرة،...

أم عن الإعلام الصهيوني المسيحي الموجه للغزو الفكري الشعوبي الصهيوني الذي ينادي بالتبشير، وعقائده،...،ومنها عقائد نهاية العالم من: العودة لأرض المعاد، وبناء الهيكل الثالث، وحكم العالم، فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: محطة تلفزيون (C.B.N) التي يملكها الداعية الإنجيلي الديني المعروف (بات روبرتسون)، وسبعمائة آخرون بالاشتراك مع محطة تلفزيون الشرق الأوسط التي تبث من جنوب لبنان بالإضافة إلى ثلاث محطات تلفزة، ومحطة راديو، وجامعة، ونظاماً للمساعدة الدولية، ومجموعة ضغط (اللوبي) يشاهدها (16) مليون عائلة، وثاني أشهر محطة تلفزيون إنجيلية صهيونية (باتون روج) في لويزيانا، ويديرها الداعية الإنجيلي (جيمي سواجرت)، وتتصل برامجها إلى(9) مليون وربع أسرة تقريباً أما ثالث أشهر محطة تلفزيونية إنجيلية يملكها (جيم بيكر) الداعية الذي تتلمذ على يد بات روبرتسون، وتصل المحطة إلى (6)مليون عائلة(3).

ولنا أن نسأل في خضم هذا الزخم الهائل ممَّا ذكرنا، وممَّا لم نذكر(4) من الإحصائيات الإعلامية المبثوثة في الكتب من: الصحف، والمجلات، وشبكات التلفزة اليهودية التي توجه الفكر البنيوي التحتي لشعوب العالم الأوربي، والأمريكي، وما تصدره من أفكار، ومعتقدات مكذوبة، وباطلة، ما هو المتوقع من الرصيد الفكري لهذه الشعوب عن الإسلام، والمسلمين؟، وما الذي تكنه لهم بين حناياها؟، كما لنا أن نتساءل كم صحيفة، ومجلة ببريطانيا، أو أي دولة أوربية، أو أمريكية مؤسسها، أو مالكها عربي، أو مسلم من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة سلفي المعتقد والتوجه يخدم من خلالها صفاء، ونقاء العقيدة الإسلامية، ويبرز سماحتها، ونورها، وهدايتها للبشرية؟، هل من ضعف إمكانات؟، أو قلة في المقدرات؟.

من هنا لابد أن نبدأ بمباشرة مسؤوليتنا كمسلمين أمام الله ــ عزّ وجل ــ أولاً، ثم أمام أنفسنا؛ لصد العدوان بجميع أنواعه، ومنطلقاته، وذلك ببناء قاعدة إعلامية أخطبوطية عملاقة تصل لكل بيت في قارات الأرض السبع(5) بوسائلها المتنوعة المقروءة، والمسموعة، والمرئية، ووكالاتها(1)، مع توجيه

---

(1) (ويك أند) مجلة أسبوعية متخصصة بالتشهير بكل ما مسلم عربي، وأفردت صفحات لقصص الأثرياء العرب، تدس من خلالها سمومها ضد العرب والمسلمين،وتغطي الصور الكاريكاتيرية مساحات كبيرة من صفحاتها تتهكم وتسخر فيها منهم (انظر: النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية: فؤاد الرفاعي. ص18).

(2) انظر: النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية: فؤاد الرفاعي. ص12: 35. وانظر: جذور البلاء: عبدالله التل. ص70.

(3) انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص66: 68.

(4) للمزيد من الإطلاع على الإعلام الصهيوني (انظر: الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: الدكتور محمد علي حوات) و (انظر: الإعلام الإسرائيلي: غازي السعدي و منير الهور. ص169 وما بعدها. دار الجليل. عمان (ط1: 1987م).

(5) عدد القارات في العالم سبعة قارات وهي بالترتيب على حسب المساحة كالتالي: 1) قارة آسيا 2) قارة أفريقيا 3) قارة أمريكا الشمالية 4) قارة أمريكا الجنوبية 5) قارة أوروبا 6) قارة أوقيانوسيا (أستراليا) 7) قارة القطب الجنوبي (انظر: موقع الموسوعة الحرة: ويكيبيديا: قارة).

برامجها إلى الوجهة الإسلامية السلفية الصحيحة، وإعداد الكوادر المؤهلة، ومباشرة التنفيذ، وتفعيل البرامج المناهضة للبرامج العدائية المسيئة للإسلام، وذلك بالتعريف بالإسلام، وسماحته، وتشريعاته، وهذا المشروع لو فُعل كما ينبغي على أرض الواقع، نستطيع أن نقول أعدنا ـ بإذن الله ـ عز، ومجد، وكرامة أمتنا، قال تعالى: ﴿...الأنفال التوبة يونس هود﴾ (سورة المنافقون، آية: 8) وقال: ﴿غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح﴾ (سورة محمد، آية: 7) وقوله: ﴿ ﴾ ...﴾ الآية (سورة آل عمران، آية: 160) وإن غداً لناظره لقريب.

بسم بسم بسم

---

(1) لم أعثر من خلال ما سنح لي من مراجع ومواقع الكترونية عبر الشبكة العنكبوتية على وكالات عالمية إسلامية أو عربية سوى على اثنين منهم هما:
1. اتحاد وكالات الأنباء العربية (فانا: F.A.N.A) وعرض مشروع إقامة الوكالة عام 1964م ولم ينفذ إلا 1973م
2. وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا: I.I.N.A): بدأت الفكرة بإنشاء وكالة إسلامية دولية في الخمسينات ميلادية، لنقل الرأي العام الإسلامي من الحقائق، والأحداث التي تجري في العالم، نتيجة إهمال وكالات الأنباء العالمية لهذه الأحداث، أو نقلها مشوهة، ثم قامت منظمة المؤتمر الإسلامي، واتخذت قرار بإنشاء الوكالة في المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية المنعقد في كراتشي بباكستان عام 1390هـ 1970م.(انظر: الصهيونية المسيحية: السماك. ص66: 68)

الفصل الخامس
عقد المؤتمرات المستمرة، وإنشاء المنظمات(1)، وهيئة الأمم الإسلامية المتحدة

إلى بدايات القرن العشرين لم تكن هناك حاجة لوجود منظمات، أو هيئات إسلامية إقليمية، أو دولية، أو عالمية، وذلك لأن العالم الإسلامي كان تحت مظلة الخلافة الإسلامية العثمانية الموحدة(2)، فالآمال، والطموحات، والرؤى الدينية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، و... نابعة من تشريعات دولة إسلامية موحدة، وإن اختلفت الأيدلوجيات العربية، وغير العربية في التطبيقات العملية على المستوى المحلي، أو الإقليمي وفق ما سنحت به الدولة الإسلامية في تقسيماتها الإدارية(3).

هذه الوحدة الإسلامية القوية التي أكسبت حكومة العالم الإسلامي القدرة على مواصلة الفتوحات؛ لنشر الدين الإسلامي بالتوسع الجغرافي اللامحدود، فكانت بتطلعاتها، وتحركاتها، وبانتشار الإسلام في المعمورة منبع قلق دول أوربا المتمثل في إمبراطورية بريطانيا العظمى آنذاك، والدول المتحالفة معها، لاسيما في ظل رغبة بريطانيا العظمى في ضم عدد من دول الشرق الأقصى لمستعمراتها وعلى رأسها الهند(4)، و... وبعد عدة محاولات فاشلة لخرق صفوف المسلمين، ووحدتهم لتحقيق هذا الهدف، عملت الأحلاف على التخطيط لإسقاط الخلافة الإسلامية

---

(1) المنظمة الدولية تعرف بأنها: "هيئة تتفق مجموعة من الدول على إنشائها للقيام بمجموعة من الأعمال ذات الأهمية المشتركة، وتمنحها الدول الأعضاء اختصاصاً ذاتياً مستقلاً يتكفل ميثاق الهيئة ببيانه، وتحديد أغراضه ومبادئه الرئيسية"، وتختلف أهدافها حسب المنظمة فمنها ما يختص في مجال المشكلات الدولية للمنتجين، وبعضها يعني بالمشكلات الدولية للمستهلكين، وبعضها يعني بمشكلات النقد، والائتمان، أو التعمير، والبناء، أو التجارة الدولية، والعلاقات الاقتصادية بين الدول الأكثر تقدماً والدول الأقل تقدماً...(انظر: المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة: د. حسين عمر. ص17. دار تهامة. جدة (ط3: 1404هـ)).

(2) الإمبراطورية العثمانية (1299 - 1924): أوالخلافة العثمانية: هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول حكمت أجزاءً كبيرة من آسيا الصغرى والحجاز وبلاد العراق والشام ومصر والسودان والمغرب العربي والصومال والبلقان والنمسا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا و أرمينية وجورجيا واليونان..((انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الإمبراطورية العثمانية).

(3) التنظيمات الداخلية: عندما اتسعت الدولة العثمانية لجأ العثمانيون إلى تقسيمها ولايات. وقسمت الولايات إلى أقسام إدارية صغيرة عرفت بالسنجق والتي قسمت بدورها إلى أقسام إدارية أصغر سميت بالناحية، ويتشكل الجهاز الإداري للولايات العثمانية من عدد من كبار موظفي الدولة على النحو الأتي: 1) الوالي: كانت مهمة الوالي أن ينوب عن السلطان في الأمور الإدارية والعسكرية، وحفظ الأمن وجباية الضرائب وإرسال الأموال المفروضة على الولاية إلى خزينة الدولة. 2) السنجق والناحية: يتولى حكام السنجق والناحي تنفيذ أوامر الوالي و الإدارة المركزية وتصريف الأمور الداخلية وحفظ أمن و استقرار الأوضاع من مناطقهم. 3) الدفتردار: يعين من قبل السلطان مباشر، ويتمثل دوره الشؤون المالية في الولاية وهو بمثابة أمين الخزينة. (انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: نظام الحكم والإدارة العثمانية في الولايات العربية).

(4) الهند درة التاج البريطاني: كان الهدف من الحروب الصليبية الأوربية في القرن 16م هو الالتفاف حول العالم الإسلامي من الخلف لخنقه اقتصادياً، لإضعاف الدولتين المملوكية والعثمانية، لكنها فوجئت بأن العمق الإسلامي يمتد في وحدة دينية فريدة وخطيرة حتى وصل إلى جزر الفلبين، ماراً بالهند، ما أثار شهية الأوربيين، لكونها من أعظم المراكز الاقتصادية الإسلامية في ذلك الوقت، واستغل الأوربيون السماح لهم بالدخول للهند فأخذوا بالتسلل إليها كتجار، حتى تمكن الإنجليزي (وليم هوكنز) من مقابلة السلطان (جها نكير) في عام (1017هـ / 1608م) بصفته مبعوثاً من الملك الانجليزي (جيمس الأول)، وقد حاول (وليم هوكنز) استثمار مقابلته للسلطان(جها نكير) بأن يأخذ منه خطاب مجاملة إلى الملك (جيمس الأول) لكن الوزير الأول في بلاط السلطان رد عليه قائلاً: (إنه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتاباً إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون !). لقد عرف الإنجليز أن وجود الحكم الإسلامي في الهند كفيل بتعطيل أحلامهم الصليبية، فاكتفوا بتأسيس شركة الهند الشرقية للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجاورة في عام (1009هـ /1600م). ومع الوقت كانت الشركة تتوسع فلما لبث وأن ظهرت حقيقتها تتكشف فلم تكن إلا قواعد عسكرية إنجليزية، وبؤر تجسس هدفها تجنيد المنافقين من المسلمين، والعملاء من الهندوس والسيخ. وفي عام (1170هـ / 1757م) وفي إبان الغزو الصفوي الإيراني للهند قام الجيش البريطاني التابع لشركة الهند الشرقية باستغلال هذا الظرف الحرج فتمكن من هزيمة المسلمين في منطقة البنغال في معركة (بلاسي) التي تعد أول المعارك الحاسمة بين الطرفين، وقد تم لهم ذلك بمساعدة المنافقين والعملاء الذين تم تجنيدهم عبر عشرات السنين، إلا أن احتلال الإنجليز للهند لم يتم إلا بعد قرن من الزمان وبعد معارك طاحنة بين الطرفين، انتهت بعزل (بهادر شاه) أخر السلاطين المسلمين ونفيه إلى بورما حيث توفي عام (1279هـ / 1862م) لذلك فقد قامت بريطانيا في عام (1275هـ /1858م) بضم الهند إلى التاج البريطاني رسمياً، لتصبح درة التاج البريطاني منذ ذلك التاريخ (انظر: أسطورة غاندي: د. خالد بن محمد الغيث. ص3. جامعة أم القرى.كلية الشريعة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية. بحث (مخطوط)).

لاسيما بعد أن بدأ عليها الضعف، والانهيار، وذلك بتفتيتها، وتقسيمها(1) إلى دويلات؛ ليسهل السيطرة عليها، ولعل ما تحمله المؤلفات التاريخية بين دفتيها عن سقوط الخلافة الإسلامية(2)، وتقسيم العالم الإسلامي، والوطن العربي إلى دويلات متناحرة غني عن ذكره في هذا المقام، سوى ما يخص الجانب الفلسطيني كونها نقطة الارتكاز، وعصب الموضوع الذي جعل من بريطانيا تجعلها من أولويات عملها السياسي بالمنطقة، ورغبتها القوية لأن تكون إحدى مستعمراتها بدءً بوضعها تحت الانتداب البريطاني(3)، ومن ثم تسليمها لليهود لإقامة وطن قومي لهم على أراضيها؛ إنفاذاً لوعد بلفور المشئوم، فكانت ضربة قوة أصابت الأمة بالعجز، لاسيما ما تلا هذه الخطوة من خطوات أدت إلى إسقاط الخلافة الإسلامية، فعادت هاتين المأساتين على الأمة الإسلامية بالويلات، والضعف الذي جلب النكبات(4)، والانتكاسات المتتالية وإلى وقتنا الحاضر.

---

(1) تقسيم العالم الإسلامي: في 1917 احتلت القوات البريطانية المتجهة من مصر جنوبي بلاد الشام من الدولة العثمانية، وفرضت عليها حكما عسكريا. في 9 ديسمبر 1917 دخل قائد القوات البريطانية الجنرال أدموند أللنبي مدينة القدس، مما أثار مشاعر الابتهاج في أوروبا، إذ وقعت القدس تحت السيطرة المسيحية لأول مرة منذ أكتوبر 1187. كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقت على تقسيم بلاد الشام بينهما في اتفاقية سرية في 16 مايو 1916. في هذه الاتفاقية وعد الجانبين جعل منطقة فلسطين (من بئر السبع جنوبا إلى عكا شمالا تقريبا) منطقة دولية، ولكن بعد انتهاء الحرب ندمت بريطانيا على هذا المبدأ من الاتفاقية إذ أرادت إنشاء معبر متواصل بين الخليج العربي وميناء حيفا. في أبريل 1920 اجتمع مندوبي "دول الاتفاق" المنتصرة في الحرب العالمية الأولى في مدينة سان ريمو الإيطالية، بما يسمى مؤتمر سان ريمو، ليقرروا الشكل النهائي لتقسيم الأراضي المحتلة من الدولة العثمانية. في هذا المؤتمر اتفقت الجوانب على منح منطقة فلسطين لبريطانيا رغم المتفق عليه سابقا. (انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الانتداب البريطاني على فلسطين).

(2) للمزيد من المعلومات عن أسباب سقوط الخلافة الإسلامية (انظر: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية: أ. د. مصطفى حلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة (ط1: 1427هـ /2006م) والذي حاز على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية.

(3) الانتداب البريطاني على فلسطين كان نظام السلطة على فلسطين لمدة 28 عاما بين يوليو 1920 ومايو 1948، وبالحدود التي قررتها بريطانيا وفرنسا بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى وبموجب معاهدة سيفر. في 11سبتمبر 1922، أقرت عصبة الأمم الانتداب بشكل رسمي على أساس وعد بلفور. غطت منطقة الانتداب ما يعرف اليوم فلسطين التاريخية (أي المنطقة التي تقع فيها اليوم كل من دولة إسرائيل والأراضي الفلسطينية - الضفة الغربية وقطاع غزة) بالإضافة إلى منطقة شرق الأردن (اليوم: المملكة الأردنية الهاشمية) غير أن منطقة شرق الأردن تمتعت بحكم ذاتي (فيما كان يعرف بإمارة شرق الأردن) ولم تخضع لمبادئ الانتداب أو لوعد بلفور.كانت مدينة القدس عاصمة الانتداب حيث سكن الحاكم البريطاني ومؤسسات حكومة الانتداب. عند بداية فترة الانتداب أعلنت بريطانيا هدفا له تحقيق وعد بلفور، أي فتح الباب أمام اليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين وإقامة "بيت وطني" يهودي فيها..(انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الانتداب البريطاني على فلسطين).

(4) أثر الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي: خلال الحرب وقفت البلدان العربية بجانب الحلفاء في مواجهة الدول الدكتاتورية، كانت تونس والمغرب وموريتانيا تحت الاستعمار الفرنسي، وقد فرضت فرنسا على جميع الدول العربية التي كانت تسيطر عليها سياستها، أما مصر، وليبيا، وجنوب الجزيرة العربية ومعظم مناطق الخليج العربي كانت تحت النفوذ البريطاني، ولم تصل الحرب إلى الخليج العربي، لكنه أصبح طريق مرور للمساعدات الأمريكية والبريطانية إلى الاتحاد السوفييتي عبر إيران. قام رئيس الوزراء العراقي بثورة ضد بريطانيا بالتعاون مع الألمان لكن البريطانيين قضوا على ثورته واحتفظوا بوجودهم في البلاد. ثم أعلنت حركة فرنسا الحرة استقلال سوريا في سبتمبر 1941 ثم استقلال لبنان في 26 نوفمبر 1941 لكن هذا الاستقلال ظل اسميا واستكمل الاستقلال باستلام المصالح التي يديرها الفرنسيون وتحقيق جلاء الجيوش الفرنسية عن أراضيهم سنة 1946. وبرغم الظروف العسكرية الضاغطة انتهز العرب فرصة هزيمة الحلفاء في بداية الحرب ليجهروا بمطالبهم الاستقلالية فلجأ الحلفاء في أكثر من منطقة إلى إغداق الوعود إليهم من أجل امتصاص النقمة الداخلية التي لاقت دعما كبيرا من الألمان الذين دخلوا بدورهم بعض المناطق العربية وأحدثوا فيها تغييرات سياسية وعسكرية لمصلحتهم وخصوصا في العراق وشمال أفريقيا. ومع ظهور انتصار الحلفاء في المرحلة الثانية من الحرب راحت وعودهم للعرب بالاستقلال تتلاشى وازدادت ممارستهم القمعية وتشددوا في حكمهم للمناطق العربية المستعمرة مما كان له أبعد الأثر في ردود فعل العرب المناهضة لهم. حدثت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات سياسية كبرى تمثلت في سقوط التحالف الأوروبي وبروز قوتي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي الذين سيطرا على المقدرات السياسية للعالم،... فلجأ العرب إلى كافة السبل الدبلوماسية والعسكرية لنيل استقلالها والتحرر من السيطرة الخارجية، فلجئوا لهيئة الأمم المتحدة، وانتهى ذلك باستقلال بعض الدول العربية التي راحت تدعم شقيقاتها التي كانت ما تزال تقاوم الاستعمار. بدأت تظهر ملامح تضامن عربي فعال عبر التفكير بقيام هيئة عربية توحد الموقف العربي فجرت اتصالات بين الدول العربية المستقلة في ذلك الوقت وانعقد مؤتمر في الإسكندرية سنة 1944 ضم مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية واليمن وشرق الأردن وتم على إثره وضع بروتوكول الإسكندرية الذي مهد لقيام جامعة الدول العربية سنة 1945 فجعل مقرها في القاهرة وراحت الدول العربية الأخرى تنضم إليها تباعا بعد استقلالها. ومن مساوئ الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي ظهور قضية جديدة شغلت وما تزال تشغل الحيز الأكبر من اهتمام العرب الذين جندوا لها الكثير من طاقاتهم هي القضية الفلسطينية فقد كانت بريطانيا قد شجعت على دخول اليهود إلى فلسطين خلال =

حاولت في تلك الفترة الأمة الإسلامية النهوض من جديد لاستعادة مجدها؛ ولإعادة مقدساتها، وأراضيها المغتصبة، وكرامتها،...في نفس الوقت الذي انشغل فيه المسلمون في سائر بقاع الدول الإسلامية المستعمرة، بمحاولات لملء الفجوة التي أوجدها إلغاء الخلافة الإسلامية؛ لتوحيد الصف الإسلامي من جديد فنادت إلى عقد المؤتمر الإسلامي الأول لمناقشة الموضوع في القاهرة عام (1344هـ: 1926م)، وحضر ممثلون من مجموعة دول عربية، وإسلامية إلا أن حضورهم لم يكن بصفة حكومية رسمية، وإنما بصفتهم الخاصة؛ ذلك أن دولهم كانت ما تزال تحت وطأة الاستعمار، وتم الاتفاق في المؤتمر على: «أنه من الضروري أن تمثل كل الشعوب الإسلامية بصورة ملائمة في جمعية تعقد في بلد يختاره ممثلو الشعوب الإسلامية؛ لمناقشة الإجراءات التي ستتخذ بهدف إنشاء الخلافة؛ لإتمام كل الشروط التي أوجبتها الشريعة، ودعا المؤتمر إلى عدم تجاهل أمر الخلافة، واعتبرها نموذجا روحيا للإسلام»، وكانت ردود الأفعال حيال النداءات مخيبة للآمال، حيث لم يلتفت أحد لها، ولم يعد يعقد مؤتمر آخر لمناقشتها(1).

في تلك الأثناء قامت هيئة دولية جديدة على أسس واضحة ترعى السلامK وحقوق الإنسان، وتدعم تحرر البلدان الخاضعة للاستعمار، وهي "منظمة الأمم المتحدة"(2) أخذت على عاتقها فض النزاعات الدولية، وقد ساعد وجودها الدول المستعمَرة في كفاحها من أجل التحرر والاستقلال ومنها الدول العربية والإسلامية، فلجأ إليها العرب بعدما استنفذوا كافة السبل الدبلوماسية، والعسكرية؛ لنيل استقلالهم، وتحرير أراضيهم من السيطرة الخارجية، وانتهى الأمر باستقلال بعض الدول العربية التي بدأت تدعم شقيقاتها التي كانت ما تزال تقاوم الاستعمار.

ثم بدأ في الأفق ظهور ملامح تضامن عربي فاعل عبر التفكير بقيام هيئة عربية توحد الموقف العربي، فأخذت الاتصالات بين الدول العربية المستقلة مجراها في ذلك الوقت، فانعقد مؤتمر الإسكندرية الأول عام (1944م) الذي ضم [مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، والسعودية، واليمن، والأردن]، وتم على أثره وضع بروتوكول الإسكندرية الذي مهد لقيام جامعة الدول العربية(3)عام (1945م) بعد حصول عدد من الدول العربية على الاستقلال عبر البعض

= فترة الانتداب بهدف تطبيق وعد بلفور الذي نص على إعطائهم وطنيا قوميا في فلسطين، فأدى ذلك إلى صراع بين العرب واليهود. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفعت بريطانيا النزاع العربي اليهودي في فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة وبدأت مأساة الشعب الفلسطيني عندما أقرت هيئة الأمم تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية في سنة 1947.وفي سنة 1948 أعلن الصهاينة قيام دولة إسرائيل فهب العرب إلى منع ذلك ودخلت جيوشهم إلى المناطق التي احتلها اليهود لكن مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم أعلن الهدنة بين الطرفين المتقاتلين فسمح ذلك للصهاينة بفرض الأمر الواقع وتكريس الكيان الصهيوني جسما غريبا في قلب الوطن العربي يعمل على تهجير الشعب الفلسطيني وتهديد أمن العرب. (انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: أثر الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي).

(1) انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي:د. عبدالله الأحسن. ص37: 38. ترجمة: عبدالعزيز الفايز. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي (ط1: 1410هـ).

(2) تأسست منظمة الأمم المتحدة عام 1945م، ويتبعها: أولاً: هيئات منظمة الأمم المتحدة (الأجهزة الرئيسية): 1) مجلس الأمن: يتألف من 15 عضواً، منهم 5 أعضاء دائمون، وهم أعضاء الدول التي لها حق الفيتو وهي: (روسيا الاتحادية، أمريكا، فرنسا، الصين، بريطانيا) 2) الجمعية العمومية : تتألف من ممثلي كل الدول الأعضاء ، وتعقد مرة في السنة 3) أمانة السر(الأمانة العامة): ويرأسها أمين عام معين من الجمعية العمومية لمدة خمس سنوات، ويتدخل في الصراعات الخطيرة 4) محكمة العدل الدولة: مقرها لاهاي ببولندا، وتفصل في المنازعات الدولية 5) المجلس الاقتصادي والاجتماعي: ينسق عمل المؤسسات التابعة للمنظمة 6) مجلس الوصايا: يدير الشؤون الإقليمية التابعة للمنظمة ثانياً: المؤسسات التابعة للأمم المتحدة: 1) منظمة العمل الدولية جنيف OIT 2) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) باريس UNESCO 3) منظمة التغذية والزراعة (الفاو) = روما FAW 4) مؤسسة الأمم المتحدة للطفولة والأمومة (اليونسيف) نيويورك UNICEF 5) منظمة الصحة العالمية جنيف OMS 6) منظمة الأحوال الجوية العالمية جنيف OMM 7) صندوق النقد الدولي واشنطن FMI 8) البنك الدولي للتعمير والإنماء واشنطن BIRD 9) جمعية الإنماء الدولية واشنطن IBRO 10) الشركة المالية الدولية واشنطن SFI 11) اتحاد البريد العالمي برن UPU 12) المنظمة العالمية للطيران المدني منتريال oaci 13) اتحاد الاتصالات العالمية جنيف UIT 14) وكالة غوث اللاجئين جنيف 15) منظمة الأمم المتحدة للبيئة الإنسانية نيروبي 16) لجنة نزع السلاح نيويورك 17) الوكالة الدولية للطاقة الذرية فينا IATS (انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة (عربي)، وانظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: منظمة الأمم المتحدة. التعريف بها ـ الهيئات التابعة لها).

(3) جامعة الدول العربية: بدأت عضويتها بـ (7) دول أعضاء والآن (21) دولة في الشرق الأوسط، وأفريقيا ويعتبر أعضائها دولاً عربية، هدفها الوحدة العربية والمصالح المشتركة ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، من ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات، وأذن السفر، والعلاقات الاجتماعية، والصحة، مقرها الدائم في القاهرة، أول أمين عام لها: عبد الرحمن باشا، وأمينها العام الحالي: عمرو موسى (انظر: الموقع الرسمي لجامعة الدول العربية على الشبكة العنكبوتية: التعريف بالجامعة).

منهم في المؤتمر عن رغبتهم بأن يكون الهدف التالي الوحدة الإسلامية، فأعلنت باكستان: «إن الاهتمام الرئيسي لسياستها الخارجية هو تشجيع الوحدة الإسلامية»، واقترح أحد قادة الحركة الباكستانية أن لا تعترف الدول الإسلامية ببعضها البعض كدول قومية، وقال: «إذا بدأ المسلمون بالاعتراف بباكستان، ومصر، والسعودية، وسوريا، والعراق، وإيران، وتركيا، وأفغانستان،...، وهي دول مسلمة كدول إسلامية، فإنهم سيكونون مذنبين في تقسيم الأمة الإسلامية في الزمن القادم، ويجعلون أي تقدم في اتجاه توحيد الدول الإسلامية في أي شكل كجمعية، أو اتحاد، أو غيرها مستحيلاً، وواجب المسلمين في كل أنحاء العالم أن يعملوا على إنشاء الدولة القرآنية عبر التجمعات السياسية، والاتصالات الاجتماعية، والتعاون الاقتصادي، والتغير اللغوي؛ ليتمكن النبوغ الإسلامي في فن الحكم من استنباط سلطة مركزية للعالم الإسلامي عبر اتحاد ديمقراطي، أو غيره، وليس للاستغلال، ولكن للقيام بالواجب الذي ألقى عليهم بالإرادة الإلهية»(1)، ولم تجد نداءاته آذاناً صاغية، وكان التهكم حليفها، ثم توقف عقد المؤتمرات الإسلامية بعد ذلك.

ثم ظهرت جهود جديدة في أوائل الخمسينات من هذا القرن الميلادي تدعوا لجمع المسلمين في نظام سياسي واحد أوضمن منبر سياسي واحد تحت مظلة (منظمة دولية)؛ لدعم الاهتمامات المشتركة، وقد ساهمت قضيتان رئيسيتان في دعم هذا التوجه:

<u>الأولى</u>: الاهتمام المشترك للدول الإسلامية باستقلال باقي دول العالم الإسلامي.

<u>الثانية</u>: إنشاء دولة إسرائيل مدعومة بالقوى العظمى في قلب العالم الإسلامي.

ومن هنا تم اتخاذ خطوات أساسية نحو الوحدة الإسلامية تمثلت في إعادة إحياء نشاطات مؤتمر العالم الإسلامي، كما كان هناك محاولات نحو الوحدة، إذ عقد المؤتمر الإسلامي الاقتصادي الدولي الأول في كراتشي عام (1369هـ)، والهدف من عقده تشجيع التعاون بين الدول الإسلامية في حقول التجارة، والاقتصاد، والشئون المالية، والتنمية العامة لجميع البلدان الإسلامية، ثم ازداد الحماس، وارتفعت الأصوات، والنداءات، والمطالبات بمزيد من التعاون في الشؤون الثقافية، ومجالات التنمية الفكرية الشاملة.

ومع كل هذا الحماس إلا أن أفكار الوحدة الإسلامية، والتعاون بين البلدان الإسلامية فشلت في إعطاء أي نتيجة عملية، أو إيجابية!، ولم يعقد مؤتمر يناقش القضية، أو أيا من قضايا التعاون الأخرى، أو ينفذ توصيات المؤتمر الإسلامي الاقتصاد الأول، ولم يجتمع هذا المؤتمر الإسلامي مرة أخرى حتى عام (1381هـ)، ويعلق الدكتور عبد الله الأحسن على ذلك الفتور بقوله: «لم تتابع أفكار الوحدة الإسلامية رغم أن أغلب البلدان أيدت هذه الأفكار بحماس بعد حصولها على الاستقلال مباشرة؟؛ نظراً لتضارب التوجهات السياسية للدول العربية، والإسلامية في ذلك الوقت».

بعد الفتور الذي عصف بالأمة، والمناحرات السياسية قام الأمير فيصل آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية آنذاك بإحياء فكرة الوحدة الإسلامية من جديد، واشترط أن تكون مبنية على مفهوم الأمة؛ لمقاومة المفاهيم الإلحادية المتطرفة التي ذاعت في ذلك الوقت، وعقد مؤتمر إسلامي دولي في نفس العام (1381هـ) دعا فيه إلى الأساليب التي يجب اتخاذها لمكافحة العلمانية في العالمين العربي، والإسلامي، ولم يحصل على دعم رسمي من كل البلدان الإسلامية، بيد أن أهم قرارات هذا المؤتمر هو: إنشاء رابطة العالم الإسلامي(2) التي كان الهدف الأساسي من إنشائها نشر الإسلام(3)، ثم تتالى إنشاء المنظمات(4)، والهيئات،

---

(1) منظمة المؤتمر الإسلامي: د. عبدالله الأحسن. ص37: 43.

(2) رابطة العالم الإسلامي: 1401هـ: منظمة إسلامية عالمية جامعة أنشئت بموجب قرار صدر عن مؤتمر العالم الإسلامي المعقود بمكة المكرمة في 14 ذو الحجة 1381 هـ الموافق 18 مايو 1962م، ومقرها مكة المكرمة، يمثلها (60) عضواً من العلماء والقادة، وأول أمين عام لها: الشيخ محمد الصبان، وأمينها العام الحالي: د. عبدالله التركي، ومن أهدافها: تقوم بالدعوة للإسلام، وشرح مبادئه، وتعاليمه ودحض الشبهات والافتراءات التي تلصق به، وإقناع الناس بضرورة الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، وتقديم العون للمسلمين لحل مشكلاتهم، وتنفيذ مشاريعهم الدعوية، والتعليمية والتربوية والثقافية، وهي تنبذ العنف والإرهاب وتشجع على الحوار مع أصحاب الثقافات الأخرى (انظر: الموقع الرسمي لرابطة العالم الإسلامي على الشبكة العنكبوتية: التعريف بالرابطة).

(3) انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي: د. عبدالله الأحسن. ص46: 48.

(4) منظمة المؤتمر الإسلامي:1390هـ أنشأت بقرار من وزراء الخارجية في الدول الإسلامية، ومقرها جدة، تهدف إلى تعزيز التعاون والتضامن الإسلامي، ومحو التفرقة العنصرية، واتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين، وتنسق من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة، ودعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية، وتعمل على تحرير الأماكن المقدسة في فلسطين، وتنبثق عنها مجموعة من الهيئات والمجالس التي تسعى لتحقيق أهدافها، ويبلغ عدد الدول الأعضاء (46) وزيادة بعد انهيار جمهوريات الاتحاد السوفيتي، والشيوعية في أوربا الشرقية المؤسسات الإسلامية التي أنشئت في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي: 1) البنك الإسلامي للتنمية 2) الوكالة الإسلامية الدولية للأنباء (إينا) 3) منظمة إذاعات الدول العربية 4) الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع 5) منظمة العواصم الإسلامية 6) الاتحاد =

والوكالات(1)، والمؤتمرات، والمجالس العمومية(2)، والجمعيات، والجماعات العالمية، والإقليمية بمختلف أغراضها، السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والتربوية، والاجتماعية؛ لتغطي كافة مناحي الحياة التي توفر حياة آمنة لكل إنسان على الأرض إلى أن تجاوزت مئات الألوف مما لا يمكن حصره رغم أننا حاولنا الوقوف على إحصائيات تقريبية فيما بين أيدينا من مصادر بالإضافة إلى الشبكة العنكبوتية، والموسوعات العالمية، فلم نتمكن؛ لعدم وجود إحصائيات فعلية، لاسيما وأنها في ازدياد مضطرد.

وبنظرة عامة على ما سبق من أهداف عامة، وخاصة، وعالمية، ومحلية للهيئات، والمنظمات الإسلامية التي أسست لخدمة الأمة الإسلامية، ووحدتها؛ لتعيد إليها مكانتها، وقوتها العالمية في ظل العقيدة الإسلامية الصحيحة لتقييم جهودها:

- هل كُللت جهود تلك المنظمات، وهيئاتها بالنجاح بحسب واقعنا المعاصر؟، وتطلعاتنا للوحدة الإسلامية؟.
- هل أُخذت قرارات، وتوصيات المؤتمرات على محمل الجد، و خرجت من حيز التنظير إلى حيز التطبيق العملي الواقعي؟.
- ما الذي يعطل تنفيذ القرارات لاسيما أنها صادرة من الأجهزة العليا للدول الكبرى إذا كانت محلية، ومن اتحاد الأمم الإسلامية إذا كانت عالمية؟.
- هل ما زالت قرارات الأمة الإسلامية تنذر بخطر الوحدة الإسلامية فتعطل عالمياً؛ لئلا تقوم للمسلمين قائمة؟
- ما هو البديل الذي يرد لنا وحدتنا بعد تفرقنا، وكرامتنا بعد هدرها، وأرضنا بعد سلبها، وأمتنا بعد تيهها؟ ألف سؤال، وسؤال يطرح عن جدوى قرارات تلك المنظمات، والمؤتمرات، والهيئات، والمجالس، لاسيما العالمية، والدولية منها عندما نرى عالمنا الإسلامي يرزح في صنوف من البلايا، والكوارث الاجتماعية، والاقتصادية، ورزايا القنوات الإعلامية، دون حلول منها على سبيل المثال:

- السلسلة المتكررة للسخرية، والاستهزاء بالنبي العظيم ^، وكتاب الله الكريم، والدين الإسلامي، وتشريعاته بدءاً من سليمان رشدي المرهون بحماية الصهاينة، وليس انتهاءً بالرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للإسلام، فلماذا لم نسمع أي أصداء؛ لإنفاذ قرارات المنظمات، والهيئات، والمؤتمرات، والمجالس العمومية الإسلامية على أرض الواقع؟، ولماذا لا تأخذ توصياتها بعين الاعتبار؟.
- ارتفاع غلاء المعيشة، والفقر، والمجاعة والبطالة، والجهل والأمية، و...
- ازدياد وتيرة الحروب الداخلية، والخارجية، والإرهاب، والتطرف، والاضطهاد والقتل والتعذيب لاسيما للأقليات المسلمة أينما وحدت في شتى أنحاء المعمورة.
- ضعف الدين في نفوس المسلمين، وانتشار المذاهب الهدامة بين أبناء الأمة الإسلامية، كالعلمانية، والحداثة، والليبرالية، والبرجماتية، و...

=

الإسلامي لمالكي البواخر 7) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 8) صندوق التضامن الإسلامي (انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي: دراسة لمؤسسة سياسة إسلامية: عبدالله الأحسن. ص37. وانظر: الموقع الرسمي لمنظمة المؤتمر الإسلامي: التعريف بالمنظمة).

وكذلك: منظمة الدعوة الإسلامية العالمية 1400هـ: تدار بواسطة مجلس أمناء يتكون من (60) عضوا من دول عربية وإسلامية منها السعودية، السودان، اليمن، الكويت، مصر، قطر، الإمارات، ليبيا، نيجيريا، وأوغندا. ويضم المجلس وزراء سابقين، وقادة رأى ودعاة ومصلحين، لها وجود فاعل في أكثر من 40 دولة افريقية وآسيوية، ويرأسها حاليا المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، تهدف إلى نشر الإسلام بين غير المسلمين، وترشيد الجامعات الإسلامية، والإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية للمسلمين، ويستند أسلوبها الدعوي إلى الحكمة والموعظة الحسنة (انظر: الموقع الرسمي منظمة الدعوة العالمية على الشبكة العنكبوتية.التعريف بالمنظمة).

(1) صندوق النقد الدولي: 1947م وهو وكالة عالمية من وكالات الأمم المتحدة أنشئ بموجب معاهدة دولية في عام 1945م؛ للعمل على تعزيز سلامة الاقتصاد العالمي. ومقره في واشنطن، ويديره أعضاؤه الذين يشملون جميع بلدان العالم تقريباً بعددهم البالغ (184) بلداً تهدف إلى تثبيت نظام فعّال للتجارة والمدفوعات الدولية. وتسعى كما تنص لوائحها، إلى مساعدة الدول الأعضاء على التوصل إلى نمو اقتصادي سريع، ومستوى رفيع من العمالة، ومستويات معيشية أفضل. ثم إنها تقدم الاستشارات حول المسائل المالية والديون العالمية. ويتعاون أعضاؤها للحفاظ على ترتيبات منتظمة للمبادلات المالية بين الأمم. وقد. ويستخدم الصندوق هذا التمويل لمساعدة الأعضاء في مواجهة مشكلات ميزان المدفوعات.(انظر: الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي على الشبكة العنكبوتية. ماذا يعني صندوق النقد الدولي).

(2) مجلس التعاون لدول الخليج العربي (GCC): 1401هـ مقره في الرياض، وأول أمين عام عبد الله بشارة، ويضم المجلس عضوية كلٍ من (السعودية، الكويت، عُمان، قطر، البحرين، الإمارات) ويهدف إلى التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي والتجاري، والعسكري (انظر: الموقع الرسمي لمجلس التعاون لدول الخليج على الشبكة العنكبوتية. التعريف بالمجلس).

- ارتفاع معدلات الجريمة، والقتل، والانتحار الفردي، والجماعي الأسري، والتعدي على النفس، والمرأة، والأطفال، و...
- تزايد، وتنوع الأمراض: الوبائية، والحميات، والفيروسات الفتاكة، و...
- انهيار الاقتصاد المحلي، والعالمي، و...
- انهيار الأسر بسبب ارتفاع نسبة الطلاق، والعنف الأسري، والعنوسة، وعزوف الشباب عن الزواج، و...
- ارتفاع معدلات الحوادث، والوفيات من: الطرق، والقتل، والانتحار، و...
- انتشار القنوات الداعية للرذيلة والإباحية، والمجون، والتفسخ حتى أنها طالت قنوات الدول الإسلامية،...

ولعل ما يصيب الأمة من الوهن، وضعف القرارات، وعدم جدوى المؤتمرات، والهيئات، والنداءات العالمية، مصداقاً لقوله ^ فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد اللَّهِ حدثني أبي ثنا أبو جَعْفَرٍ المدائني أنا عبد الصَّمَدِ بن حَبِيبٍ الأَزْدِي عن ابنه حَبِيبِ بن عبد اللَّهِ عن شُبَيْلِ بن عَوْفٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ^ يقول لِثَوْبَانَ: **«كَيْفَ أنت يا ثَوْبَانُ إِذْ تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كَتَدَاعِيكُمْ على قَصْعَةِ الطَّعَامِ يُصِيبُونَ منه»**، قال ثَوْبَانُ: بِأَبِي وأمي يا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا؟. قال: **«لاَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ يُلْقَى في قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ، قالوا: وما الْوَهْنُ يا رَسُولَ اللَّهِ قال حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ»**(1).

عندما نتدبر كتاب الله، وسنة نبيه المصطفى نرى واقع أمتنا الإسلامية المؤلم رأي العين في ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها؛ لنزداد إيماناً، ويقينا بأنه ^ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كما قال ذلك الحق تبارك وتعالى: ﴿اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ (سورة النجم، آية: 3: 4) فها هو نبي الرحمة يحدثنا عن واقعنا الحالي، وكأنه بيننا، ويصور لنا بدقة متناهية وضعنا الراهن، ويشخص الأسباب، ويبيّن النتائج، ويعطي العلاج، والتوصيات، وذلك قبل ألف وأربعمائة عام، ويزيد في عبارة لا تزيد عن ثلاثة أسطر، حيث وردت الإشارة، والتنبيه عليها صريحة دون لبس، أو غموض، فيما روي من حديث ثوبان τ مولى رسول الله ^ حيث قال: قال رسول الله ^: **«يوشك أن تداعى**(2)**عليكم الأمم كما تداعى الأكلة**(3) **إلى قصعتها**(4)**»**، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء**(5)**، كغثاء السيل، ولينزعن**(6)**الله من صدور عدوكم المهابة**(7) **منكم وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن**(8)**»** قالوا يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: **«حب الدنيا وكراهية الموت»**(9). ومنطوق هذا الحديث يشخِّص، ويصوِّر مصابنا، وحالنا المعاصر، وواقع أمتنا الإسلاميّة بهيئاتها، ومنظماتها، ومجالسها العالمية.

قال تعالى: ﴿...الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر﴾ (سورة المنافقون، آية: 8)، وذلك لا يكون إلا إذا غيَّرنا أنفسنا قال تعالى: ﴿السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى ...﴾ الآية (سورة الرعد، آية: 11) وقال: ﴿غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح﴾ (سورة محمد: آية: 7).

فالأمة بحاجة لمزيد من الجهود التي تبذلها المنظمات، والهيئات الإسلامية، وبحاجة إلى هيئة على غرار هيئة الأمم المتحدة لها قراراتها، وقوتها بحيث تُدعم من دول العالم الإسلامي تحت مسمى هيئة الأمم الإسلامية المتحدة تخدم شؤون الأمة، ونلمس دورها الفعلي عملاً واقعياً،

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده:359/2. 278/5. وقال حديث حسن. وأبو داود في كتاب الملاحم. 111/4. باب : في تداعي الأمم على الإسلام. وابن ابي شيبة في المصنف. رقم الحديث: 139. وابن نعيم في الحلية. 1/ 182. والطبراني في المعجم الكبير. رقم الحديث: 1452. وأخرجه الألباني: كتاب الفتن وأشراط الساعة والبعث. الحديث: 958. وصححه وذكر له شواهد ومتابعات. الأحاديث الصحيحة. ج2. مكتبة المعارف. الرياض (ط: 1415هـ).
(2) تداعي: التجمع الكثيف غير المنظم.
(3) الأكلة: جمع آكل.
(4) قصعتها: وعاء كبير يؤكل فيه، ويثرد، ويشبع العشرة.
(5) غثاء: ما يحف فوق السيل مما يحمله الزبد من الوسخ، وفتات الأشياء التي على وجه الأرض.
(6) ولينزعن: يُخرج : وأصل الإخراج النزع: وهو الجذب والقلع.
(7) المهابة: الإجلال والاحترام والتقدير.
(8) الوهن. الضعف في العمل والأمر.
(9) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 278/5. وقال حديث حسن. ورواه أبو داود في سننه. الحديث4297. وأبو نعيم في الحلية:182/1. من طريقين وقال فيهما حديث صحيح. وقال الألباني في هامشه: حديث صحيح.

وكلمتها المؤثرة في القرارات الغربية لا من حيث صد الاعتداءات علي الإسلام، وأهله، بل من حيث إخراج الكيان الصهيوني المعتدي من فلسطين الكامن في قلب الأمة، وتمزيقه، وأن تكون لها سلطة واضحة على السياسيات العالمية ضد العدوان على المقدسات، والأراضي الإسلامية، وحقن دماء المسلمين المستضعفين من الأقليات المسلمة في بلاد الكفر، والإلحاد، ودفع دفة العلم، والإنتاج، والصناعة، وأن تكون رائدة الاقتصاد العالمي، وأن يكون لها دور واضح في توجيه وتوظيف طاقات الشباب من الجنسين، وتوجيههما بما يخدم الأمة، ورسالتها، وعقيدتها وذلك عن طريق تنقية الفكر العربي، والغربي ـ الموجه إلى مجتماعاتنا ـ أخلاقياً، واجتماعياً، وإعلامياً نحو الخير، والحق، والصواب.

الخاتمة

وتشتمل:

أولاً نتائج الدراسة.

: التوصيات والمقترحات.

ثانيًـــــا:

أولاً: نتائج الدراسة

1- اتضح من خلال الدراسة أن لفظ الأصولية، ومفهومه من الألفاظ، والمفاهيم المعاصرة، والتي ليس لها أصل في اللغات، والتشريعات السماوية ظهر ببدايات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية؛ نتيجة لاحتدام الخلاف بين البروتستانت المحافظين، والحداثيين، والذي كان من ثماره نشر سلسلة الأصول ابتداءً من عام (1910م)، والمكونة من اثنتا عشرة مجلداً، وتضم تسعين مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية، أوحل وسط مع الحداثة، ثم عمم المفهوم على كل من تمسك بمبادئه، وعقائده تمسك لا يقبل النقاش، واستثنوا من هذه القيمة المسلمين فعندما يطلق لفظ مسلم أصولي عني به التطرف، والإرهاب بزعمهم.

2- قامت الدراسة على أن هناك عداوة متأصلة، ومحتدمة بين اليهود والنصارى منذ بدء المسيحυ بدعوته، ومطاردة اليهود له حيث رفعه الله إلى السماء وإلى الزمن الحاضر، وإن الله هو مَن ألقى ذلك بينهم لكفرهم، وضلالهم، وبعدهم عن الحق قال تعالى: ﴿الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل قريش الماعون﴾ (سورة المائدة، آية: 64)، وظلت كذلك على مدى ثمانية عشر قرناً من الزمان.

3- أثبتت الدراسة فرضية وجود علاقة معاصرة وثيقة بين الأصوليتين اليهودية، والنصرانية بعد العداوة السابقة التي دامت قرون مبنية على مصالح مشتركة للطرفين تصب في صالحيهما ضد الإسلام، والمسلمين، والأراضي الإسلامية المقدسة وقد ولدت هذه العلاقة بجهود مُظنِية بذلتها بريطانيا العظمى البروتستانتية آنذاك، وأمدتها بكل ما تحتاجه من مساعدات حتى تقوم لها قائمة، وذلك عن طريق تقديم تنازلات من كل طرف للآخر عن بعض القيم، والمعتقدات، والحقوق مع تزوير بعض الأفكار، والمصطلحات، والمفاهيم، وقبولها، وتبنيها من كليهما على أنها مسلمات كل حسب ما يخدم أغراضه، ومصالحه السياسية الاستعمارية، أو الدينية الاستيطانية ما جعل من الإنجيلية التدبيرية الرائد الأول في السياسة الأمريكية، وجعل من إسرائيل الناشئة دولة تحاكي سائر دول العالم المتقدمة في الحقوق، والامتيازات، كما تتغلب في غالب الأحيان على حقوق سائر دول العالم بما فيها الدول الداعمة، والمساند لها، من خلال تعنتها، ورفضها الخضوع، والانصياع للقرارات الدولية على اختلاف الجهات الصادرة عنها القرارات.

4- اكتساب إسرائيل قوتها رغم ضعفها كدولة تعتمد في كل ما ينظم شؤونها، وسياستها الداخلية، والخارجية على المساعدات الأورمريكا(1)انطلقت من نقطتين رئيسيتين هما الأولى: صناعة الذهب التي أمتاز بها يهود العالم؛ للسيطرة، والتحكم في صانعي القرار من خلال البنوك العالمية، والثانية: جماعات الضغط الصهيوني (اللوبي) التي تتحكم في تغيير مجرى القرارات السياسية؛ لتصب في صالح إسرائيل بتحيز علني سافر متحدية بذلك السياسات، والنظم العالمية التي تحكم دول العالم لما يعوّل عليها من دعم مادي، وسياسي ضخم لحملات الانتخابات الرئاسية،...

5- إن العلاقة التي تربط الأصوليتين الصهيونيتين اليهودية، والنصرانية هي علاقة مصالح نشأت من خلال تقديم أرض فلسطين كوطن قومي لليهود مقابل أن يحمى اليهود مصالح أوربا في المنطقة العربية.

فتكونت بذلك الأصولية الصهيونية العالمية، ـ وهما خلاف الأصوليتين اليهودية، والنصرانية الصهيونية ـ وأصبحتا ذاتا مرتكزات دينية واحدة، وإن اختلفت جزيئاتها الداخلية حسب تصور كل فريق إلا أنها تتفق في غالب الأطر الخارجية للمعتقدات، والأفكار ذلك أن مرجعيتهما الدينية الكتاب المقدس بعهديه، وأقوال علمائهم، وحاخاماتهم.

وأوجزها باختصار كنتيجة عامة لما توصل إليه البحث في الآتي:

- إن الأصولية إذا قيدت باليهودية:

فهي تعني عندهم: تقديس النص، أي: تطبيقه حرفياً، وتقديس الشخص: أي بإعطاء الحاخامات سلطة عليا مطلقة، ويكون كلامه أعلى من سلطة النص التشريعي ذاته، وهو ما يعني أن هذه الطائفة اليهودية هي التي ظلت على المعتقدات التقليدية اليهودية ما قبل القرن العشرين، وهم مَن يطلق عليهم الأصوليون بحسب التعريف أعلاه وهم أتباع ناطوري كارتا، وفرع من الفهود السود،

(1) الأورمريكا: أي الأوربية والأمريكية.

وطائفة ساطمر، وغيرهم ممَن يحرم تحريماً قاطعاً احتلال فلسطين، والاستيطان، وتعجيل الخلاص، على أن الخلاص بيد الله يقضي به متى شاء، ومقاطعة إسرائيل، وحكومتها، والانفصال عنها في حياتهم العامة، والتعليم، ورفضهم التجنيد، والدفاع عن الوطن؛ لعدم اعترافهم به.

- **فأما إذا قيدت الأصولية اليهودية بـ(الصهيونية):**

فهي التي تزعم العودة للأصول، والتفسير الحرفي للتوراة ليس لهم من الأصولية إلا الاسم، فهم من العلمانيين المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالاشتراكية، وهم أتباع هرتزل، وديفيد بن غريون، وغولد دمائير، وموشى ديان، وهذه الطائفة لا تعرف عن اليهودية، وعقائدها، وطقوسها، وعباداتها إلا ما قامت على دراسته مؤخراً؛ لإرضاء العامة المتدينة؛ ولتقنع نفسها بما رسمت لها الصهيونية المسيحية من مساحة في ثقافتها البروتستانتية تحت مسمى عقائد اليوم الآخر من القول بالعودة لأرض المعاد، وبناء الهيكل الثالث، وظهور الماشيح، وقيام معركة هرمجدون، وحكم العالم لألف عام، وقد تلقفتها الصهيونية اليهودية بالقبول، والترويج لها مع علمها اليقيني بأنها مجرد ادعاءات، ولا يوجد ما يثبتها في كتبهم.

وهذا يعني أن **«الأصولية اليهودية خلاف، ونقيض الأصولية الصهيونية اليهودية»**.

- أما مطلق الأصولية النصرانية:

فيقصد بها التقليديون من رجال الدين المتمسكون بنصرانية ما قبل القرن العشرين التي لم يطرأ على معتقداتهم، وأفكارهم أي تغيير، وتتمثل في طائفة قليلة من الإنجيليين المعتدلين، وغالب الطائفتين الكاثوليكية، والأرثوذكسية بكنيستيها العربية، والغربية وهم الذين يرفضون رفضاً تاماً قيام إسرائيل، أو التعاون معها، كما يرفضون ما ابتدعته البروتستانتية الإنجيلية المهودَّة من أفكار مبتدعة لا أصل لها في أصولهم المعتمدة في مسألة نهاية العالم.

- **وإذا قيدت الأصولية الإنجيلية بـ(التدبيرية، أوالصهيونية):** فهي التي تعني بتفسير نصوص الكتاب المقدس تفسيراً حرفياً، ولا تحصر فهمه في اللاهوتيين من رجال الكنيسة، وتهتم هذه الطائفة اهتماماً كبيراً بإسرائيل، وبنبوءات نهاية العالم، وتؤكد على تحقيقها تحقيقاً حرفياً، وتدعو إلى التشدد في مسائل العقيدة، وتؤمن بضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين، وأحقيتهم بها، وقيام دولتهم فيها، كما تؤمن بضرورة بناء الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى، والعودة الثانية للمسيح بصورة حرفية كما وردت في كتبهم، وهذه المعتقدات عبارة عن عملية تهويد للفكر النصراني قامت بها مجموعة من البروتستانت المتهوِّد للخروج بالمعتقدات البروتستانتية الجديدة، وذلك أبان النزعات الكنسية التي خرجت خلالها بعض الممالك المسيحية الأوربية عن سيطرة البابا، واستقلالهم عن الكنيسة الأم في روما فرغب عدد منهم، وعلى رأسهم بريطانيا في جذب أثرياء اليهود، والاستفادة من ثرواتهم في رفع اقتصاد البلاد مقابل تقديم المساعدات لهم بإيجاد وطن قومي لأبناء جلدتهم في فلسطين بعيداً عن أوربا، وأمريكا، وبذلك تتحقق فائدة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهي وقف الهجرة اليهودية لأوربا، وأمريكا، وفي ذات الوقت تحقيق طموح اليهود بإيجاد وطن قومي لهم يكون لبريطانيا فيها الفضل في تحقيق أملهم على أرض الواقع، وتزامن ذلك كله مع بداية ضعف الخلافة الإسلامية، وظهور بوادر الحرب العالمية، وامتلاك بريطانيا للأسلحة التي تساعد على تحقيق وعدها بالاتفاق السري مع فرنسا على تقسيم الدول العربية، وكان الانتداب البريطاني على فلسطين الذي مهَّد لها تسليمها لليهود على أن يقوم أثرياء اليهود بتسهيل المعاملات المالية، والقروض للخزينة البريطانية التي أشهرت إفلاسها أثر الحروب الطاحنة بينها، وبين دول أوربا خلال القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلادي، وتقوم إسرائيل في ذات الوقت بدور المراقب لتحركات الدول العربية، والإسلامية في الشرق الأوسط، كما ستكون المعبر الاستراتيجي، والرئيس لأوربا إلى الشرق الأدنى، والأقصى (الحلم البريطاني).

6- نشأ الخلاف بين الأصوليات في اليهودية، والنصرانية لرفض الأصوليات التقليدية الأفكار، والمعتقدات الدخيلة، والمبتدعة في الحين الذي تلتزم الأصولية الصهيونية، وتتمسك بها، وتعوّل احتلالها لفلسطين عليها ـ حيث قمنا في هذه الدراسة بتفنيدها وردها ـ.

7- يختلف الصهاينة في تقرير هذه العقيدة فالصهيونية اليهودية تزعم أن المسيا اليهودي سيكون ملك من ذرية داود υ، وسيكون وجوده هو الأول، وليس الثاني، ولن يكون نبياً، وسيحارب مع اليهود، ويقتل كل أعدائهم في معركة نووية مدمرة يذهب ضحيتها ثلثي سكان العالم. أما الصهيونية النصرانية انقسمت في نزوله υ فمنهم قائل بنزول واحد، ومنهم قائل بنزولين إلا أنهم يتفقوا على شخصيته υ بأنه نبي، وأنه عيسى بن مريم عليهما السلام لا غير، وليس بملك، وسيأتي لغايات أهمها إيمان اليهود به، وتصدقهم به بعد أن كذبوه، كما سيقوم بالدفاع عن المؤمنين به، ويقاتل الوحش، والنبي الكذاب، ومن لا يؤمن به يذهب إلى لجُات الجحيم.

8- تختلف الأصوليتان الصهيونيتان في مسألة حكم العالم فاليهود يزعمون بأنهم هم من سيحكم العالم، وكل أعدائهم سيقتلهم المسيا في معركة هرمجدون الفاصلة بين الحق، والباطل، ولا

يبقى إلا من يؤمن بما يؤمنوا به، وسيحكمون العالم من العاصمة أورشليم لألف عام سعيدة. أما النصرانية فتذهب طائفة إلى أن الحرب الهرمجدونية ستقتل ثلثي سكان الأرض، وطائفة تأكد على فناء ثلثي يهود العالم، وأن الذي يبقى سيكون من المؤمنين بالمسيح، ويعيشون معه للألف عام سعيدة.

9- تناولنا بموضوعيه المعتقدات، والأفكار المزعومة، وما وجدنا منها له أصل في أصولهم الدينية أثبتناه حسب وروده، وما لم يرد رددناه مع مبررات الرد لكون الفكرة المعوّل عليها حدثت في زمن سابق، وانتهت، على ضوء ما جاء على لسان قساوستهم، وحاخاماتهم، ومفكريهم المعتدلين.

10- تضع الصهيونية العالمية الإسلام، والمسلمين العدو الأول، وهذا هو القاسم المشترك الرابط بين عناصرها بمعتقداته الباطلة، والمزعومة، حيث تبادر مسلمي العالم بهجماتها المستمرة على أساس هذه المعتقدات المزعومة.

11- تتنوع أساليب الهجمات على الإسلام، والمسلمين، وتتلون، فكلما فشل أسلوب ابتُكر آخر أشد بأساً، ونكاية، وقوة عن سابقه في مختلف المجالات: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والإعلامية، والتربوية، و...؛ لتتمكن من استمرار إحكام السيطرة عليهم.

12- من وسائل الحرب المعلنة، والمستخدمة ضد المسلمين القيام بالتبشير، والتغريب، والهجمات الاستشراقية التشكيكية، وزرع الطوائف التي تدَّعي انتمائها للإسلام كالقاديانية، والبهائية؛ لتفريق كلمة الأمة، وتمزيق وحدتها، والعمل على نشر الأفكار الانحلالية كالعلمانية، والحداثة، والليبرالية، بالإضافة إلى المبادئ الهدَّامة كالوجودية، والبرجماتية، والماركسية، والشيوعية.

13- أحدثت الأصولية الصهيونية في العالم الإسلامي وما زالت زلزلة عظيمة في مقدرات أبناء الأمة الإسلامية بتعدياتها المتعددة، والمتنوعة السافرة، وأهمها ما يحدث على أرض فلسطين المحتلة من الزيادة في بناء المستوطنات، وتهجير الأسر الفلسطينية خارج البلاد، مع استقطاب اليهود من دول العالم مما أسفر عن تأزم في المواقف الغربية، والإسلامية؛ لعدم اتخاذ الولايات المتحدة مواقف حازمة إزاء تلك التعديات، وفق القوانين الدولية للهيئات العالمية للأمم المتحدة.

وقد تصدى قادة الدول الإسلامية، وعلماؤها، ومفكروها بأعمال فردية، أوجماعية لمواجهة تلك الهجمات المتوالية على الإسلام، والمسلمين وذلك عبر المنظمات الإسلامية، والدولية، والعالمية، ومنابر الإعلام المسموع، والمقروء إلا أنها تظل تحتاج إلى قوة (ضغط) إسلامي يضاهي اللوبي اليهودي في القوة، والتأثير لاسيما أن العالم الإسلامي يملك مقوِّمات القوة المؤثرة على القرارات العالمية.

ثانياً: التوصيات والاقتراحات

بناءً على ما تكشف لنا من خلال الدراسة وجدنا أنه من الضرورة بمكان وضع برنامج مدروس لمواجهة الصهيونية العالمية بكل معطياتها الحربية، والسلمية (الصورية) بمختلف أبعادها على النحو الآتي:

1- تكثيف الاجتماعات بين رجالات المنظمات العالمية العربية، والإسلامية لوضع البرتوكولات، والاقتراحات السياسية الكفيلة بإخراج العدو الصهيوني من الأرض المقدسة ، وإيقاف الاستيطان، وإنهاء الاحتلال، وإعادة أبناء الشتات الفلسطينيين إلى وطنهم، وأرضهم، ومن ذلك تملك أراضي في فلسطين من قبل المستثمرين العرب، والمسلمين ذوي المقدرات المالية العالية، وشراء الأراضي الصالحة للزراعه، واستثمارها، وبناء المدارس، والمعاهد الإسلامية في القطاعات الإسلامية في فلسطين، ومساعدة غير القادرين على العودة إلى فلسطين على العودة بدعمهم مالياً، واجتماعياً؛ ليتمكنوا من المعايشة في الأوضاع الجديدة، وبناء الوحدات السكنية للعائدين لفلسطين التي تمكنهم من العيش بأمان، وتقديم العروض، والدعم المالي السخي للراغبين بالعودة، ووضع صندوق خيري في جميع بلدان العالم العربي، والإسلامي لدعم هذه المشاريع، وتقويتها، وتشجيع تعدد الزوجات، وزيادة النسل،...، أسوة ببرامجهم الداعمة لإسرائيل.

2- **إنشاء جامعة أكاديمية متخصصة في دراسة الديانات، والمذاهب المعاصرة:** هدفها القيام بتدريس الديانات، والمذاهب بمختلف مشاربها، دراسة دقيقة بكافة جزئياتها، ومسائلها العقدية، وشبهاتها، وأساليب الرد العلمي، والشرعي بالحجة، والبرهان، وبمختلف أساليب البحث العلمي، والحوار، والنقاش مع تكثيف المناهج والأساليب الشرعية في الدعوة، يكون مقرها الرئيسي في بريطانيا، وفروعها في سائر دول أوربا، وأمريكا، حيث إنها مقر التشريعات الكنسية الإنجيلية التدبيرية، ومنبع سائر المذاهب الهدَّامة، وتشرف عليها منظمة، أو هيئة إسلامية عالمية من مختلف الدول العربية، والإسلامية، وتقدم لها البعثات المجانية للطلبة من كافة الدول الإسلامية ممن لديه نبوغ في البحث العلمي، والدراسات الأكاديمية الشرعية، وذلك:

- لدراسة الحركات التبشيرية، والتنصيرية من منابعها الأساسية بالمخالطة، والتعرف عن قرب على التوجهات الدينية، والسياسية، والعمل على وأدها في مهدها.
- متابعة كل جديد في الخطط التبشيرية، والدعوات الهدامة، والوقوف على نقاط الضعف لحربها قبل انتشارها، أو الحد من انتشارها.
- تخريج دفعات قوية في العقيدة، والبناء العلمي في إدارة الحوار، والمناظرة، والمحاجة بالدليل، والبرهان القاطع للحجة.

هذا بالإضافة إلى تقوية الدراسات النظرية القائمة في الجامعات، والكليات، والمعاهد الإسلامية في الدول الإسلامية، وتنمية معارف الطلاب بمستحدثات الموضوعات، والتركيز عليها مع طرق المواجهة، والعلاج.

3- إنشاء هيئة خاصة بالدراسات، والبحوث الكتابية، والإعلامية التي تهاجم الإسلام؛ للرد عليها حين صدورها على أن تكون مجهزه بكافة الاحتياجات التي تساعد على الرد الفوري على كل الادعاءات، والأباطيل من شبكات متلفزة، وإذاعات بمختلف اللغات.

4- دعم، وتشجيع الحوارات، والمناظرات، العلنية بين المسلمين، والنصارى بشكل دوري مع تحديد، واختيار قضية عقائدية معينة لطرحها في كل لقاء، ودحضها.

5- التعاون الإسلامي مع الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت المناهضين للصهيونية العالمية، لدحض الدعاوي الصهيونية فيما يختص بفكرة الشعب المختار، وأرض المعاد، وبناء الهيكل الثالث، فيما يدعم القضية الفلسطينية، والاحتلال، والاستيطان.

6- توجيه الإعلام الإسلامي بالتعاون بتنظيم، وإنتاج حملات واسعة، ومستمرة في مختلف وسائل الإعلام المرئي، والمسموع، والمقروء فيما يخص تفنيد أكذوبة الشعب المختار، وأرض المعاد، وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى بجميع لغات العالم، ولهجاته المحلية؛ لتصل لكل دار بالقارات السبع، وبلغة أهل الدار، والرد على مزاعم الداعية الديني: جيري فولويل، وبات روبرتسون، وجيمي سواغيرت،... وغيرهم بتفنيد أكاذيبهم.

7- دفع وتشجيع الأعمال التي تقوم على إظهار صورة الإسلام بوجهه الحقيقي على اختلاف أنشطتها، وأنواعها بعد عرضها على جهات المنظمة للأعمال الدعوية؛ لتظهر بالصورة اللائقة للإسلام مع إظهار النقد للسياسات التي تخفي الجانب المضيء للإسلام، وتظهر الافتراءات، والأكاذيب الملفقة ضده.

8- تشجيع الدراسات، والأعمال التي تنصر نبي الرحمة ^ بكل صورها، والتي تظهر أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يزعم العداء مع بيان نواحي الدعوة إلى الإسلام المضيئة

في حياة النبي ^، وصحابته الكرام، والفاتحين المسلمين على مر العصور، وإظهار صورة البربرية، والوحشية في العلاقة بين اليهودية، والنصرانية خلال (18) قرن من القتل، والتعذيب، وحرق المعارضين أحياء، وبربرية الحروب الصليبية، والهتلرية النازية، والبلشفية، والنصرانية الوحشية في فيتنام، واليابان، ونيزاكي، والصهيونية العالمية المعاصرة في فلسطين،...

9- إعداد الأفلام الوثائقية التي تركز على الدعوة الإسلامية في بداياتها، وانتشار الإسلام وسماحة الفاتحين، ــ مع عدم التعرض لشخوص الصحابة الكرام ــ، والأفلام السينمائية للناشئة لرجال الأمة العظام من بدء الفتوحات الإسلامية سلفاً وخلفاً، باللغات العالمية موجه للشعوب الأوربية النصرانية خاصة, حيث يناقش، ويحاور مواطن شبهاتهم، والرد عليها بأسلوب حواري راق، وحاذق رداً على السينمائيات التي تدعم لدى أجيالهم بالأحقية التاريخية لليهود في فلسطين، وأنهم الشعب المختار.

10- رصد الجوائز للرد على الكتب الأصولية، واليهودية التي تناهض الإسلام، وتشكك فيه كأن يحدد أسماء الكتب التي صدرت في ذلك العام عن الصهيونيتين، والرد عليها تحت لجان علمية لدراستها أسوة بجائزة الملك فيصل العالمية بحيث تصدر الجائزة عن رابطة، أو منظمة عالمية للبحوث، والدراسات؛ ليتم استيعاب كل ما كتب في هذا المجال، والرد عليه في حينه، وترجمته بلغات العالم، ونشره.

11- شراء قنوات عالمية؛ لتعرية القنوات الصهيونية التي تلفق الحقائق، وتقلب الوقائع؛ لتصور طفل فلسطيني أعزل لا يملك سلاح ضد المدرعة، والجندي المدجج بصنوف الأسلحة سوى الحجر، بالمسلم الإرهابي، البربري المتعطش للدماء بأثر قوة الإعلام الغربي الصهيوني، وسيطرته على العقول، والأفكار، وتوجيهها حسب سياستها.

12- ضرورة دعم، وتشجيع الصناعات الإسلامية بكل أنواعها، لاسيما الصناعات الثقيلة التي لها وزن عالمي، وأثر على قوة اقتصاد الدول؛ ليتم الاستغناء التدريجي عن الصناعات الأوربية مع الالتزام بشروط الجودة، والقوة، ومناسبتها للمواصفات، والمقاييس العالمية؛ لتؤدي الغرض منها وإلا ظل الاحتياج للتصنيع الغربي ذي الجودة العالية قائماً.

13- إلزام أثرياء العالم الإسلامي بالسيطرة على الاقتصاد العالمي من خلال برنامج يتبع فيه شراء حصص، وأسهم بالبنوك العالمية التي لها دور مميز في تشكسل السياسة العالمية وأن يكون الهدف من ذلك خدمة العالم الإسلامي لا الخدمة الشخصية، ولتلافي ذلك نقترح أن تكون شركات مساهمة تتوزع فيها الحصص للبعد عن التطلعات الشخصية.

14- إنشاء هيئة على غرار هيئة الأمم المتحدة تجمع الأمة الإسلامية تعد الهيئة العليا التي تصدر القرارات الخاصة بالمسلمين على أن تكون لقراراتها القوة، والنفوذ أسوة بقرارات الأمم المتحدة.

15- ضرورة دعم، وتشجيع وجود هيئة علمية عليا من علماء العالم المتخصصين في العلوم الكونية، والذرة، والإنتاج العسكري، لمضاهاة الصناعات الأوربية، والروسية، وسد الاحتياج الإسلامي، للاستغناء التدريجي عن السيطرة الغربية.

16- نرى ضرورة أن يكون هناك قوة ضغط إسلامية، كقوة ضغط اللوبي الصهيوني، لكسب القرارات التي تساعد على تحرير فلسطين، وطرد اليهود، وعودة المسجد الأقصى لحوزة المسلمين، ويقوم ذلك على دراسة، ومعرفة الأبعاد، والأسباب التي أدت إلى تأثير اللوبي الصهيوني لتغيير السياسات القاضية بالحق الفلسطيني في الأرض، ولا يعني ذلك أن تخضع الأمة الإسلامية للقرارات الغربية، إنما ليتمكن العالم الإسلامي من النهوض؛ لأداء دوره القوي المناط به، وتكون أمة الإسلام هي القائدة، وليس ذلك ببعيد إذا اتحدت القلوب، وشحذت الهمم، فما لدى العالم الغربي لدى المسلمين أضعاف مضاعفه من المال، والقوة، والنفس التي تضحى لجل أمتها، وعزتها، ولكن لابد أن يكون هناك صدق المبادرة قال تعالى: ﴿... السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد ﴾ (سورة الرعد، آية: 11).

لقد اجتهدت في هذا البحث، وبذلت ما مكنني الله فيه، وأعانني عليه، ولا شك أن عملنا لا يخلو من الخطأ، والتقصير. فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله عليَّ، وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ، أو تقصير فهو من نفسي، والشيطان. أسأل الله العفو، والمغفرة، وأن يعينني على تدارك التقصير، وأن يلهمني الصواب، ويرزقني السداد. اللهم تقبل عملي هذا خالصًا لوجهك الكريم، واجعل ثوابه في صحيفتي ووالدايَّ يوم ألقاك، وأختم قولي بقوله عزَّ وجل: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿

(سورة يونس: آية: 10).

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الكلمات الغريبة.
- فهرس الديانات والمذاهب والتيارات الفكرية.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر المراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

بسـ بسـم بسـم

فهرس الأعلام

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الديانات والمذاهب والتيارات الفكرية

بِسْــــبِسْمِــــبِسْمِـــــمِ

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).
3. آباء الحركة الصهيونية: حيا هارئيل وموشى شيدف وآخرون ترجمة: عبد الكريم النقيب. دار الجليل. عمان (ط1: 1987م).
4. احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: سعد الدين صالح. دار الأرقم. القاهرة (ط. ب).
5. الأحزاب السياسية في إسرائيل: هاني عبد الله. م . ت . ف. بيروت (ط:1981م).
6. الأحزاب اليهودية في العالم اليهودي: مجلة كيفوئيم. عدد تشرين الثاني ترجمة: مركز البحوث والمعلومات. بغداد (ط: 1984م).
7. الأحزاب والحكم في إسرائيل: غازي السعدي. دار الجيل. عمان (ط1: 1988م).
8. أحلام روتشيلد، صفحات مجهولة من المؤامرات الصهيونية تنشر لأول مرة في العالم العربي. محمد محمود زيتون. منشأة المعارف، الإسكندرية (ط: 1973م).
9. الاختراق الصهيوني للمسيحية. القس: إكرام لمعى. دار الشروق (ط2: 1993م).
10. أساليب البحث العلمي: أركان أونجل، معهد الإدارة العامة، الرياض (ط1، 1403هـ).
11. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: علي جريشة. ومحمد شريف الزئبق. دار الاعتصام للنشر. القاهرة (ط3 :1979م).
12. الإستراتيجية العسكرية الصهيونية، مؤسسة الأهرام م . ت . السياسية. القاهرة (ط: 1974م).
13. الاستشراف بين الإنصاف والإجحاف: عبدالله العليان. المركز الثقافي.المغرب(ط1: 2003م).
14. الاستشراق تاريخه، وأهدافه: أحمد شلبي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة (ط: 1993م).
15. الاستعمار وفلسطين: رفيق شاكر النتشة. دار الجليل. عمان. 1984م.
16. الاستغلال الديني في الصراع السياسي: محمد السماك. دار النفائس. بيروت (ط1: 1420هـ).
17. الإسرائليون الأوائل: توم ستيف. ت. خالد مايزو وآخرون. م. ت. ف. بيروت (ط1: 1981م).
18. إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب: لورنس ماير. ترجمة: مصطفى الرز. مكتبة مدبولي. القاهرة (ط1: 1997م).
19. إسرائيل الكبرى: أسعد رزوق. مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت (ط1: 1968م).
20. إسرائيل بين الدعوة والرفض قراءة كتابية على ضوء الأحداث الحاضرة:كوستي بندلي. دار النور. بيروت (ط: 1985م).
21. إسرائيل بين المسير والمصير: صابر طعيمة. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة (ط1: 1973م).
22. إسرائيل والتلمود: إبراهيم خليل أحمد. دار المنار. القاهرة (ط: 1990م).
23. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: أبكار السقاف. عالم الكتب. القاهرة (ط: 1967م).
24. الإسرائيليون الأوائل: 1949م: توم سيغف. ترجمة: خالد عايد وآخرون. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1986م).
25. الإسرائيليون الجدد: يوسي مليمان. ترجمة: مالك فاضل البديري. الأهلية للطباعة والنشر. عمان (ط1: 1993م).
26. الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية: أ. د. مصطفى حلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة (ط1: 1427هـ /2006م).
27. أسطورة غاندي: د. خالد بن محمد الغيث. جامعة أم القرى.كلية الشريعة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية. بحث (مخطوط).
28. أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية بأقلام عربية: محمد السماك. دار المحجة البيضاء. بيروت (ط1: 1424هـ).
29. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبدالواحد وافي. نهضة مصر. القاهرة (1996م).
30. إشارات الإسلام والكتب السماوية إلى الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط: هاشم كمال عبدالحميد. (الدار: ب) (ط: ب).
31. أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم: داود علي الفاضلي. مكتبة المعارف. الرباط

(ط: 1968م).
32. الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها: روجيه جارودي، تعريب: د.خليل أحمد خليل، دار عام الفين، باريس (ط. ب:2000م).
33. الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير: حسين سعد،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط1: 2005م).
34. الأصولية الإسلامية، إمبراطورية الشرق الجديدة: جيل كيبل، حوار: فؤاد أبو منصور، مجلة معلومات، عدد3، مايو1993م.
35. الأصولية الإنجيلية: صالح عبدالله الهذلول. دار المسلم. الرياض (ط1: 1416هـ).
36. الأصولية الإنجيلية: محمد السماك. مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطا (ط2: 1998م).
37. الأصولية المسيحية في أمريكا: دراسة في الأبعاد الفلسفية (مقال) جورج المصري. مجلة الإنسان العدد الثامن: 1413هـ.
38. الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: جورجي كنعان، دار الدعوة والدعاة. بيروت (ط: 1995م).
39. الأصولية اليهودية العقيدة والقوة: ديفيد لانداو. ترجمة: مجدي عبد الكريم. مكتبة مدبولي. القاهرة (ط1: 1994م).
40. الأصولية اليهودية في إسرائيل: إسرائيل شاحاك وميزفينسكي نورتن، ترجمة: ناصر عفيفي. مكتبة الشرق الدولية. القاهرة (ط1، 2004م).
41. الأصولية اليهودية في إسرائيل، إيان لوستيك، ترجمة: حسين زينة. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت (ط1: 1991م).
42. الأصولية اليهودية في الكيان الإسرائيلي: نديم عيسى. مخطوط رسالة دكتوراه في العلوم السياسية. جامعة بغداد (ط: 1995م).
43. الأصولية بين الغرب والإسلام: د. محمد عمارة. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).
44. الأصولية في العالم العربي، ريتشارد هرير كمجيان. ترجمة: عبد الوارث سعيد. دار الوفاء المنصورة. مصر (ط3: 1992م).
45. الأصولية في عالمنا الراهن: فريدها ليداي. مجلة أبواب. ع1 صيف: 94م.
46. إظهار الحق: رحمة الله الهندي. مكتبة الوحدة العربية. الدار البيضاء (ط: 1964م).
47. أعرف كتابك المقدس: لجنة النشر بمطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم. مطبعة شفيه بدير الغرب (ط1: 1997م).
48. الأعلام الإسرائيلي. غازي السعدي. منير الهور. دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان (ط1: 1987م).
49. الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية: محمد علي حوات. دار الأفاق العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 2001م).
50. الإعلام العربي والإعلام الصهيوني: حافظ محمود. مركز البحوث والدراسات العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1973م).
51. الإعلام في نزول عيسىυ: الإمام السيوطي. تحقيق مجدي الشهاوي. المكتبة التوفيقية. القاهرة (ط.ب).
52. الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده: ت: محمد عمارة. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1993م).
53. أفحام اليهود. السموؤال بن يحي المغربي. تحقيق: د. محمد عبدالله الشرقاوي. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة. الرياض (ط6: 1986م).
54. الأقباط في مصر الحديثة نظرة في النزاعات القبطية في الأربعينيات والخمسينات: جورج خليل. (دار:ب) القاهرة (ط: 1996م).
55. الأمانة العامة لرابطة العام الإسلامي: رابطة العالم الإسلامي عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد. مكة المكرمة (ط: 1401هـ).
56. أمريكا ـ إسرائيل و11 أيلول 2001: ديفيد ديوك. ترجمة: سعد رستم. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2002م).
57. أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل: محمد معروف الدواليبي. دار القلم. دمشق (ط1: 2000م).
58. أمريكا والصهيونية: سامي حكيم. دار الأنجلو المصرية. القاهرة (ط1: 1989م).
59. انتحار شمشون: حسني إبراهيم الحايك. دار النفائس. بيروت (ط1: 1993م).
60. إنجيل برنابا إنجيل مزيف في ضوء التاريخ والعقل والدين: عوض سمعان. دار النشر الأسقفية. القاهرة (ط9: ب).
61. الإنجيليون والعمل القومي: دراسة توثيقية: أديب نجيب سلامة. دار الثقافة. القاهرة (ط1:

ب).
62. الإنفاق العسكري الإسرائيلي (1965– 1990م): طلال كداوي. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة أطروحات الدكتوراه (31). لبنان. بيروت (ط2: 2000م).
63. أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية: اللواء: محمود شيث خطاب. إصدار مجمع البحوث الإسلامية. الكتاب16. دار النصر. القاهرة (ط: 1970م).
64. الأيدلوجية الصهيونية وإسرائيل: محمد وجدي الدباغ. مطبعة أسعد. بغداد (ط: 1989م).
65. الأيدلوجية الصهيونية: د.عبد الوهاب المسيري. القسم الثاني. المجلس الوطني للثقافة والفنون. الكويت (ط1: 1983م).
66. إيلاف قريش: د. فيكتور سحاب. المركز الثقافي العربي. بيروت (ط. ب).
67. بذل المجهود في إفحام اليهود: السموأل بن يحيى المغربي. مطبعة الفجالة. القاهرة (ط.ب).
68. برتوكولات حكماء صهيون: ترجمة: محمد التونسي. دار التراث. القاهرة (ط. ب).
69. بروتوكولات حكماء صهيون من التنظير إلى التدمير: حسن الباش. دار قتيبة. سوريا (ط1: 1990م).
70. بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود: شوقي عبدالناصر. دار الكتب الحديث. بيروت (ط: 1988م).
71. بروتوكولات حكماء صهيون: د. إحسان حقي. دار النفائس. بيروت (ط2: 1410هـ).
72. بروتوكولات حكماء صهيون: عجاج نويهض. م . ع . ت. بيروت (ط4: 1996م).
73. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. د. يوسف الحسن. م . ت. و. ع. بيروت (ط:197م).
74. البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي: إسماعيل محمد الحسيني. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 2000م).
75. تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين الزبيدي، مكتبة الحياة، بيروت (ط. ب).
76. التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن: نجيب زبيب. دار الهادي. بيروت (ط2: 2002م).
77. تاريخ الرسل والملوك: الطبري. دار الشروق. القاهرة .
78. تاريخ الشرق الأوسط الحديث: دزموند ستيوارت. ترجمة: زهدي جارالله. دار النهار للنشر. بيروت (ط1: 1974م).
79. تاريخ القرن العشرين: بيير رونوفر. تعريب: د. نور الدين حاطوم. مطبعة الجامعة السورية. دمشق (ط: 1959م).
80. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر من: 1854 إلى 1980م: أديب نجيب سلامة. دار الثقافة. القاهرة (ط1: 1980م).
81. تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا: فيصل أبو خضراء. (دار. ب). الرياض (ط.ب).
82. تاريخ انهيار دولة إسرائيل ومحو الهيكل من الجغرافيا والتاريخ: لواء أحمد عبد الوهاب. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة (ط1: 2001م).
83. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة. المكتبة العصرية. بيروت (ط: 1969م).
84. تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين: د. فيليب حتي. دار الثقافة. بيروت (ط.ب).
85. تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست: المركز العالمي للاستثمارات الاستراتيجية. مكتبة العبيكان للطباعة والنشر. الرياض (ط2: 1425هـ).
86. التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية: أحمد سعد الدين الباسطي. القاهرة (ط: 1989م).
87. التربية الإسلامية أسسها ومناهجها في الوطن العربي: حسن شحاته. مركز الكتاب للطباعة والنشر. القاهرة (ط: ب).
88. تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان. دار السلام. القاهرة (ط2: 1994م).
89. التزوير الصهيوني للمسيحية: ماريا المعلوف. دار الشرق. لبنان (ط: 2006م).
90. التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور الكشميري. تحقيق عبد الفتاح أبو قدة. دار القلم. بيروت (ط5: 1412هـ).
91. التعريف بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، أهدافها، وأوجه نشاطها، ونظامها الأساسي: الندوة العالمية للشباب. الرياض (ط: 1405هـ).
92. التغريب: طوفان من الغرب: سيرج لاتوش. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة (ط: 1990م).
93. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: أبو محمد الحسين البغوي. تحقيق: خالد عبد الرحمن ومروان سوار. دار المعرفة. بيروت (ط: 1986م).

94. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. بيروت (ط2: 1978م).
95. تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير. دار المعرفة. بيروت (ط6: 1413هـ).
96. التفسير الكبير: فخر الدين الرازي. دار الفكر. بيروت (ط: 1981م)
97. التفكر الديني في العالم قبل الإسلام: د. أورنج رحمات. ترجمة: د. رؤوف شلبي. دار الثقافة. القاهرة (ط: 1983م).
98. التفكير الديني اليهودي: د.حسن ظاظا. دار القلم. دمشق (ط2: 1987م).
99. التكافل الاجتماعي في الإسلام ودوره في مكافحة الجريمة: أحمد علي المجدوب، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، (ط1: 1407هـ).
100. التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان. دار النفائس. بيروت (ط6: 1985م).
101. التلمود والصهيونية: د. أسعد رزوق. مركز الدراسات الفلسطينية. بيروت (ط1: 1997م).
102. التلمود: ترجمة: شمعون مويال: دار التكوين. دمشق (ط1: 2004م).
103. التنصير مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته: علي بن إبراهيم الحمد النملة. (دار. ب). الرياض (ط3: 1424هـ).
104. تنظيم الأسرة وتنظيم النسل: الشيخ: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. القاهرة (ط. ب).
105. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام: سعد بن منصور بن كمونة. دار الأنصار. بيروت (ط ب).
106. التوراة الهيروغليفة: د. فؤاد حسنين علي. دار الكتاب العرب. القاهرة (ط. ب).
107. التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب. دار النفائس. بيروت (ط1: 1981م).
108. التيارات الدينية اليهودية وعلاقتها بالصهيونية: موعد حمد. مجلة الأرض.ع2.كانون الأول: 1989م).
109. ثلاثة ينتظرهم العالم، المهدي المنتظر، المسيح الدجال، المسيح عيسىυ: حمزة الفقير. دار الإسراء. عمان (ط: 1995م).
110. جامع البيان في تأويل القرآن الكريم: أبي جعفر بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية. بيروت (ط: 1992م).
111. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت (ط: 1990م).
112. الجامع لأحكام القرآن الكريم: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الفكر العربي. بيروت (ط: 1995م).
113. الجدل اليهودي في مواجهة العقيدة الإسلامية: عثمان علام. مخطوط: رسالة ماجستير جامعة الأزهر. أصول الدين بالزقازيق قسم العقيدة.
114. جذور البلاء: عبدالله التل. المكتب الإسلامي للطباعة. بيروت (ط3: 1988م).
115. جماعة شهود يهوه أخطر منظمة تواجه انتشار الإسلام في الغرب: طارق عبدالباقي منينة. دار الإسكندرية. القاهرة (ط: 1998م).
116. الجمعيات السرية في العالم البروتوكولات الماسونية البهائية: عبدالوهاب المسيري. سلسلة كتاب الهلال. رقم515 (ط: 1993م).
117. الجمعيات السرية والحركات الهدامة. محمدعبدالله عنان. دار الوفاء القاهرة (ط: 1995م).
118. جنرال إسرائيل موشيه بن شاؤول. دار هادر للنشر. تل أبيب (ط: 1968م).
119. الجيتو اليهودي: سناء صبري. دار القلم. دمشق (ط1: 1999م).
120. حائط البراق: د. زينب عبد العزيز. دار الحرمين. القاهرة (ط1: 2001م).
121. حديث مع جون كالفن: القس لبيب مشرقي. دار نوربار. بيروت (ط: ب).
122. حراس المدينة: روت بلاو. دار النشر الفرنسية. باريس (ط: 1978م).
123. حرب النعوت والألقاب ومفهوم الأصولية بين التصحيح والتسطيح: سعيد عبد الله سليمان. مجلة الباحث. بيروت السنة 12 عدد:4. اكتوبر/ ديسمبر: 93م.
124. الحركات الإسلامية في مصر: حسن حنفي، المؤسسة الإسلامية للنشر. بيروت (ط: 1986م).
125. الحركات الأصولية في الغرب: منى فياض. مقال: جريدة الحياة. عدد: 10404. 1412/1/21هـ.
126. الحركة الصهيونية النصوص الأساسية: إسحق جرينفيم. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران 1967م.
127. الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي: د. محمد خليفة حسن. دار المعارف للطباعة والنشر. القاهرة (ط:1981م).
128. الحركة الصهيونية: إسحاق جرينفيم. ترجمة: جودت السعد. دار الجاحظ للطباعة والنشر. إربد. الأردن (ط: 1984م).

129. الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقاتها بالصهيونية: محمد إبراهيم صقر. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة (ط1: 1424هـ).
130. حركة تحديد النسل: أبو الأعلى المودودي. الدار السعودية للنشر. الرياض (ط: 1984م).
131. الحزبية في إسرائيل بين الاستمرارية والتغير: ناثان ياني. ترجمة: مركز بحوث منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الشرق الأوسط جامعة كولمبيا. بغداد (ط: 1998م)
132. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: توفيق الواعي. دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر. المنصورة (ط: 1408هـ).
133. حقيقة إسرائيل: محمد عمر الحاجي. دار المكتبي. دمشق (ط1: 2002م).
134. حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر: أحمد عبدالوهاب. القاهرة. مكتبة وهبة (ط: 1981م).
135. حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي: أحمد محمد زايد. سلسلة الرسائل الجامعية، دار المعالي، الأردن (ط1: 1420م).
136. الحقيقة بين النبوة والسياسة: محمد الحافظ نضال. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).
137. الحلف غير المقدس: آلان دريمز. المركز اللبناني للبحوث. بيروت .
138. حمار المسيح الأصولية اليهودية الحاضر والجذور: سفي رخلافسكي. ترجمة عن العبرية: إسماعيل دبج. داركنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية. دمشق (ط2: 2005م).
139. حمى سنة2000نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين: عبدالعزيز مصطفى كامل. دار السليم. الرياض (ط1: 1999م).
140. الخداع جديد العلاقات الأمريكية الإسرائيلية: بول فندلي. ت: د . محمود زايد. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت (ط3: 2002م).
141. خدعة هرمجدون:محمد إسماعيل المقدم. دار بلنسيا للنشر والتوزيع. الرياض (ط1: 2003م).
142. الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي. ماجد كيلاني. الدار السعودية. جدة (ط3: 1409هـ).
143. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي، ترجمة الأستاذ: عباس محمود العقاد. دار التقوى للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2004م).
144. الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام. د. عدنان حداد. دار البيروني. بيروت (ط1: 1997م).
145. خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام. الأب: طانيوس منعم. مؤسسة موتارشا. بيروت (ط2: ب).
146. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية. عبدالله التل. المكتب الإسلامي. بيروت (ط3: 1399هـ).
147. خطوة بخطوة نحو نهاية العالم: إبراهيم صبري. مطبعة كنيسة الأخوان. القاهرة .
148. خطيئة إسرائيل: فيدال: دومنيك وجوزيف الغازي. ترجمة: سعد الطويل. إصدارات مجلة سطور. القاهرة (ط1: 2003م).
149. الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: إسماعيل الكيلاني. المكتب الإسلامي. بيروت (ط2: 1990م).
150. دار الحاخامية ودورها السياسي في الكيان الصهيوني: د. نديم عيسى. مجلة الزحف الكبير. جريدة القادسية العراقية. ع1. حزيران: 1999م.
151. دراسات في الاستشراق ورد شبهة المستشرقين حول الإسلام: علي شاهين. دار المحمدية. القاهرة (ط1: 1992م).
152. دراسات في إنجيل متى عن مجلة كنوز الكتاب المقدس: تعريب وهيب ملك. مطبعة كنيسة الإخوة. القاهرة (ط ب).
153. دراسات في تاريخ العرب الحديث، الشرق العربي من الفتح العثماني وحتى نهاية القرن التاسع عشر: عبدالعزيز عمر. المكتب الحديث. الإسكندرية (ط: 1972م).
154. دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: د. جمال البدري. دارالأوائل. دمشق (ط1: 2003م).
155. دراسة في السيرة: عماد الدين خليل. دار الوفاء. القاهرة (ط.ب).
156. دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية: محمد الصوياني. دار طيبة للطباعة والنشر. الرياض (ط1: 1989م).
157. دلالة الحائرين: موسى بن ميمون. ترجمة: حسين أتاي. مكتبة الثقافة. القاهرة (ط ب).
158. دوامة الدين والدولة في إسرائيل: عزمي بشارة. مركز الدراسات الإستراتيجية. مركز الأبحاث. الجامعة الأردنية (ط: 1996م).

159.دور الاستشراف في تغريب المرأة المسلمة: عبدالفتاح بركة. هدية مجلة الأزهر. ملحق محرم: 1406هـ.
160.دولة إسرائيل. كادمي كوهين. منشورات فلسطين المحتلة. (ط:1981م).
161.الدولة العثمانية والمسألة الشرقية: د. محمد كمال الدسوقي. دار الثقافة. القاهرة (ط: 1976م).
162.الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود: إسرائيل شاحاك. ترجمة: حسن خضر. سيناء للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 1994م).
163.الدين اليهودي ودوره في تكوين الشخصية اليهودية في الكيان الصهيوني: خالد إسماعيل علي. مخطوط. بحث مقدم إلى اللجنة العليا لبحوث قادسية صدام. بغداد.
164.الدين في القرار الأمريكي: محمد السماك. دار النفائس. بيروت (2003م).
165.الدين والدولة في انتخابات الكنيست الأخيرة: عبد العزيز شادي.مجلة شئون فلسطينية. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. العدد 233: 234. أب. أيلول 1992م.
166.الدين والدولة في انتخابات الكنيست الأخيرة: عبد العزيز محمد شادي. مطابع كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة (ط: 1993م).
167.الدين والسياسة في إسرائيل: دانيال العازار. وجانيت أفياد. ترجمة: مركز البحوث والمعلومات. مجلس قيادة الثورة. بغداد (ط1: 1982م).
168.الدين والسياسة في إسرائيل: عبد الفتاح محمد ماضي. مؤسسة الدراسات الفلسطسينية. مركز الأبحاث. دمشق (ط: 1979م).
169.الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية: مايكل كوبرت وجوليا ميتشل كوبرت. ترجمة: زين نجاتي ونشأت جعفر. مكتبة الشرق الدولية. القاهرة (ط1: 2002م).
170.ديوان الإمام الشافعي. مكتبة الإيمان. المنصورة. مصر (ط. ب).
171.الرؤية العربية لليهود ذات السلاسل: د.مهنا يوسف حداد. الكويت (ط1: 1989م).
172.الرجاء المبارك ومستقبل العالم: طلعت فكري. دار الطباعة القومية. القاهرة (ط: 1918م).
173.رسائل بن غوريون. بن غوريون. ترجمة: ديانا عبد الحميد. دار القدس. بيروت (ط: 1978م).
174.رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية: سمير مرقس. دارالشروق. القاهرة (ط: 2001م).
175.رسالة في اللاهوت والسياسة: اسبينوزا. ترجمة: حسن حنفي. دار الطليعة. بيروت (ط. ب).
176.زاد الميعاد من هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية. دار عمر بن الخطاب. القاهرة (ط. ب).
177.الزحف إلى مكة حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي: عبدالودود شلبي. الزهراء للإعلام الغربي. القاهرة (ط: 1989م).
178.سرقة أمة: وليم بيكر: ترجمة: سهيل زكار وعدنان برنيه. دار حسان. دمشق (ط1: 1985م).
179.سفر التاريخ اليهودي: رجا عرابي. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م).
180.سلسلة الرسائل الجامعية (رسالة الماجستير للأستاذ: يوسف عبدالله الوابل: أشراط الساعة. الفصل الأول ص249. دار ابن الجوزي. الدمام (ط20: 1424هـ).
181.سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط: 1395م).
182.سنن أبي داود: ابن سليمان السجستاني. دار الحديث. القاهرة (ط: 1988م).
183.سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت (ط.ب).
184.سنن البيهقي، دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت (ط1: 1347 هـ).
185.سنن الترمذي، دار الكتب العلمية. بيروت. (ط: 1987م).
186.سنن الدرامي: السمرقندي، تحقيق فواز زمرلي وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت (ط1، 1407هـ).
187.السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: مبني على آراء أفاضل اللاهويتة، دار الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت (ط. ب: 1973م).
188.السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي 1967- 1973م: د. هالة أبو بكر سعودي. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة أطروحات الدكتوراه . بيروت (ط2: 1986م).
189.سيرة ابن هشام، مكتبة الأنوار المصرية. القاهرة (ط.ب).
190.السيطرة على الإعلام: ناعوم تشومكسي. ت: أميمة عبداللطيف. مكتبة الشروق. القاهرة

(ط2: 2005م).
191. السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: د. جمال البدري. دار الأوائل للطباعة والنشر. دمشق (ط1: 2003م).
192. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: رشاد عبدالله الشامي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت (ط1: 1988م).
193. شرح سفر الرؤيا: حنا ناشد. مطبعة كنيسة الأخوان. القاهرة (ط1: 1967م).
194. شوكة في عيونكم: الحاخام مائير كاهانا. ترجمة: غازي السعدي. دار الجيل.عمان (ط1: 1985م).
195. صحافة بني إسرائيل: محمد عبدالعزيز منصور. مكتبة مدبولي. القاهرة .
196. الصحافة والمجتمع الإسرائيلي: حبيب قهوجي. م. الدراسات الفلسطينية. دمشق(ط: 1974م).
197. صحيح ابن حبان.تحقيق: شعيب الأرنؤوط. دار الرسالة للنشر. بيروت (ط3: 1418هـ).
198. صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي. بيروت (ط. ب).
199. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط2: 1972م).
200. صدام الأصوليات: عاطف عبدالغني. دار الخيال للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2000م).
201. صراع الوجود والبقاء فلسطين: أبوبكر عبد الستار خليل. دار القبس. القاهرة (ط: 1992م).
202. الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح السياسات الدولية: رضوان السيد، دار الكتاب العربي. القاهرة (ط1: 2004م).
203. صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية: د.أحمد سوسة: مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد.ع1.كانون الثاني: 1974م.
204. الصهيونية المسيحية: كيلي انغرام. نشرة The Link ترجمة : م. ب. م. نيويورك (ط: 1984م).
205. الصهيونية المسيحية: محمد السماك. دار النفائس. بيروت (ط3: 2000م).
206. الصهيونية بين الدين والسياسة: عبد السميع سالم الهراوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1985م).
207. الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلبي. مكتبة السائح. بيروت (ط: 1999م).
208. صهيونية هرتزل العلمانية: د. عبد الوهاب المسيري. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. مج3. ع4. كانون الثاني 1975م.
209. الصهيونية وإسرائيل وآسيا:ج. هـ. جانسن. ترجمة: راشد حميد. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1972م).
210. الصهيونية وخطرها على البشرية. د. حمود أحمد الرحيلي. وما بعدها. دار العاصمة للنشر والتوزيع. الرياض (ط1: 1996م).
211. صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية: ناديا سالم. دار مأمون. القاهرة (ط: 1978م).
212. العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري: فتحي يكن. دار الرسالة. بيروت (ط6: 1986م).
213. العامل الديني وأثره في الكيان الإسرائيلي دراسة سياسية اجتماعية: رشيد عمارة ياس. مخطوط رسالة ماجستير. كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد. إشراف د. خلدون ناجي معروف (1413هـ).
214. العجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استنابول (ط3، ب).
215. العد التنازلي نحو المجيئ الثاني للمسيح والاختطاف. صبري بطرس. مطبعة أوتوبرنت. القاهرة(ط1: 1998م).
216. العرب واليهود في التاريخ: د.أحمد سوسة. دار الحرية للطباعة. بغداد (ط1: 1972م).
217. عشر مخالفات شرعية في مشروع برنامج مؤتمر السكان والتنمية: عبدالحي الفرماوي. دار الشروق. القاهرة (ط: 1974م).
218. العقائد القبطية الأرثوذكسية ونشأة الطوائف المسيحية: لجنة النشر بمطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم. مطبعة شفيع. القاهرة (ط1: 1997م).
219. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر التنير. تعليق: محمد الشيباني. مكتبة ابن تيمية. الكويت (ط1: 14-8هـ).
220. العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد حرب تشرين الأول 1973م: أمين محمود عطايا. الرواد للنشر والتوزيع. بيروت (ط1: 1993م).

221.عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآنا وتوراة وإنجيلاً وتاريخاً: عابد الهاشمي. دار أم القرى. القاهرة (ط: 1995م).
222.العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: سعدالدين صالح.مكتبة مدبولي.القاهرة (ط: 1984م).
223.العلاقات السياسية الدولية: إسماعيل صبري مقلد.مطبعة جامعة الكويت.الكويت (ط: 1971م).
224.العلاقة بين المتدينين والعلمانيين في دولة إسرائيل: اليعيزر شافيد. ترجمة: مجلة سيكراه حودشيت في 1986/5/11م. العدد 4 في 28 تموز 1986م. وكالة المنار للصحافة والنشر.
225.العلمانية الأثر والنشأة في الشرق والغرب: زكريا فايد. دار الزهراء. القاهرة (1995م).
226.على أعتاب الألفية الثالثة الجذور المذهبية لحضارة الغرب وأمريكا وإسرائيل: حمدان حمدان. بيسان للنشر والتوزيع والإعلام. بيروت (ط1: 2000م).
227.العنصر الديني في التطرف القومي الإسرائيلي: جارلس ليمبان. ترجمة: م. ب. م. بغداد (ط: 1987م).
228.العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الإيديولوجي الديني: علي حسن طه. دار الهادي. بيروت. (ط1: 1422هـ).
229.العنصرية الصهيونية في التوراة: أحمد السقاف. شركة الربيعان. الكويت (ط: 1984م).
230.العنصرية اليهودية: أحمد الزغيبي. مكتبة العبيكان. الرياض (ط1: 1998م). و
231.الغارة على العالم الإسلامي: أ. ل. شاتليه. تعريب: محب الدين الخطيب وسعد اليافي. مكتبة أسامة بن زيد. بيروت (ط. ب).
232.الغرب والإسلام: منى ياسين. دار الجهاد للنشر والتوزيع. القاهرة (ط1: 1994م).
233.الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: إعداد مجموعة من الباحثين. دار الوفاء للتوزيع والنشر. بيروت (ط: 1989م).
234.غوش إمونيوم الوجه الحقيقي للصهيونية: داني روبنشتاين. ترجمة: غازي السعدي. دار الجليل. عمان (ط1: 1983م).
235.فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني. دار الحديث. القاهرة (1424هـ).
236.فتح القدير: للشوكاني. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. دار الوفاء. المنصورة (ط1: 1995م).
237.الفرق والمذاهب المسيحية: نهاد خياطة. دار الأوائل. دمشق (ط2: 2004م).
238.الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم. مكتبة المتنبي. بغداد (ط.ب).
239.فضح التلمود لتعاليم الحاخامين السرية:الأب آي.بي. برانايتيس. ت: زهدي الفاتح. دار النفائس. بيروت (ط3: 1985م).
240.فضيحة التلمود: عابد الهاشمي. مؤسسة الرسالة. بيروت (ط1: 2000م).
241.فضيحة التوراة: عابد الهاشمي. مؤسسة الرسالة. بيروت (ط: 2000م).
242.الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: د.حسن ظاظا. مكتب سعيد رأفت. القاهرة (ط1: 1975م).
243.الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية إبراهام إسحاق كوك، منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. ع9 حزيران: 1970م.
244.الفكرو الصهيونية النصوص الأساسية: منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت (ط1: 1970م).
245.فلسطين بالخرائط والوثائق: بهاء فاروق. دار هلا للنشر والتوزيع. بيروت (ط: 2002م).
246.فلسطين والمواقف العربية والدولية: إبراهيم المسلم. دار الأصالة. الرياض (ط1: 1985م).
247.فهرس الكتاب المقدس: د. جورج بوست، مطبعة الحرية، بيروت (ط11: 2000م).
248.في الفكر الصهيوني المعاصر: مجموعة من مؤلفين. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1968م).
249.في ظلال القرآن: سيد قطب. دار الشروق. بيروت. (ط22: 1994م).
250.قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، أبيدوا أهله: جلال العالم. دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر. القاهرة (ط6: 1985م).
251.القاموس الاقتصادي: حسن النجفي. مطبعة الإدارة المحلية. بغداد (ط: 1977م).
252.قاموس الجيب (عربي فرنسي، فرنسي عربي) متري ألياس، دار الياس العصرية، القاهرة، (ط. ب: 1981م).
253.القاموس السياسي: أحمد عطية. دار النهضة العربية. بيروت (ط: 1968م).
254.قاموس الكتاب المقدس: نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين. مكتبة العائلة. القاهرة.

255.القاموس المحيط: الفيروز آبادي، حقيق مؤسسة الرسالة، بيروت (ط4: 1415هـ).
256.قاموس المورد، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت (ط. ب: 1981م).
257.القاموس الوحيد (ألماني، عربي): رياض فياض، المطبعة العصرية، القاهرة (ط3، ب).
258.قاموس محيط المحيط: بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت (ط87،1م).
259.قبل أن يهدم المسجد الأقصى: عبدالعزيز مصطفى. دار التوزيع الإسلامية. القاهرة .
260.القدس: جعفر الخليلي. دار التعارف. بغداد. (ط1: 1971م).
261.قرارات إسرائيل المصيرية: يهو شفاط هركابي ترجمة: منية سمارة، ومحمد ظاهر. دار الكرمل للطباعة. عمان (ط ب:1990م).
262.القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم-دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي. مكتبة مدبولي. القاهرة (ط2: 2004م).
263.قصة الحضارة: ول ديورانت. دار الجيل. بيروت (ط. ب).
264.قصة المسيح الدجال ونزول عيسىυ وقتله إياه: محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية للطباعة. عمان (ط1: 1424هـ).
265.قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل: د. أسعد رزوق. معهد البحوث والدراسات العربية للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1971م).
266.قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث: آمال قرامي. دار الجنوب. تونس (ط: 1996م).
267.القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي. أنور سعيد الحيدري، مخطوط رسالة ماجستير. كلية العلوم السياسية جامعة بغداد (ط: 2004م).
268.القومية اليهودية لا يمكن أن تكون علمانية: ميخائيل باينس. منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت (ط:1970م).
269.القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، دار الإرشاد. القاهرة (ط2: 1970م).
270.القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية: داود عبد العفو سنقرط. دار الفرقان. عمان (ط2: 1987م).
271.القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: رشاد عبدالله الشامي. سلسلة عالم المعرفة. الكويت (ط: 1994م).
272.الكارثة نذير ونفير: عبدالعزيز مصطفى كامل. دار البيان. الكويت (ط: 2000م).
273.كتاب الحركة الصهيونية النصوص الأساسية: رسالة إلى المؤتمر الصهيوني الأول: الحاخام صموئيل موهيليفر. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1897م.
274.كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية (الصهيونية: 1902): ماكس نورداو. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت (ط:1970م).
275.كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية: الحاخام إبراهام إسحق كوك. منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1970م.
276.كتاب الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، المسألة اليهودية وكيفية حلها: لويس دمبيتز برانديس. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران: 1915م.
277.كتاب الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية. الدولة اليهودية: تيودور هرتزل. أنيس صائغ. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران(1970م).
278.كتاب الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية: الانتقاد الذاتي. جوزيف حاييم برنر. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت. حزيران. 1970م.
279.كتاب من الفكر الصهيوني المعاصر، بنو إسرائيل وأرض إسرائيل في الفكر الصهيوني المعاصر: ر.ج. رفي فير بلونسكي. مركز الأبحاث. بيروت. شباط (ط: 1968م).
280.كنز العمال في سنن القوال والأفعال، علاء الدين البرهان فوري، مؤسسة الرسالة. بيروت (ط: 1413هـ).
281.الكنز المرصود في فضائح التلمود: د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار عمران. بيروت (ط1: 1414هـ).
282.الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج. أشيل لوران، ترجمة: يوسف حنا نصر الله. بيروت. لبنان (د ب، ط2: 1968م).
283.الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج. ترجمة: يوسف حنا. بيروت (ط: 1968م).
284.كنوز التلمود: س.ليفي. ترجمة: محمد خليفة التونسي. دار التراث. القاهرة (ط2: 1991م).
285.كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: أسد رستم. المكتبة البوليسية. بيروت (ط1: 1989م).
286.لبنان الطائفي: أنيس صائغ. دار الصراع الفكري. بيروت (ط: 1955م).

287. لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله عبد الكبير وآخرون.دار المعارف. القاهرة (ط.ب).
288. لماذا أسلم هؤلاء القساوسة. الشوادفي الباز. مكتبة العبيكان. الرياض (ط1: 1417هـ).
289. لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر: غازي بن محمد القرني. قدم له: عوض القرني. شركة المدينة للطباعة. جدة (ط1: 1993م).
290. اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة أوروبا: فايز سارة. دار الكامل. عمان (ط: 1988م).
291. اللوبي اليهود وسياسة أمريكا الخارجية: إدوارد تيفين.ت: د.محمود زايد. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. بيروت (ط4: 1993م).
292. المؤامرة على التعليم والمعلم: سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية رقم3. إصدار مجموعة من الباحثين. دار الوفاء القاهرة (ط: 1993م).
293. ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير: إبراهيم الجبهان. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد، الرياض (ط1: 1404هـ).
294. مائير كاهانا غلاة التطرف الصولي اليهودي: فيليب سيمون. رفائيل ميرجي. ترجمة: عائدة عم علي. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).
295. الماسونية تحت المجهر، هدية مجلة التوحيد: إبراهيم فؤاد عباس. دار الرشاد. جدة (ط1: 1988م).
296. الماسونية في العراء: محمد علي الزغبي. (دار. ب) بيروت (ط: 1983م).
297. مبتدأ الأوجاع: صاموئيل مشرقي. مطبعة أوتوبرنت. القاهرة (ط ب).
298. المتغيرات الداخلية في صنع السياسة الخارجية الإسرائيلية. هدى شاكر معروف. مخطوط رسالة ماجستير عام: 1986م. معهد البحوث والدراسات العربية. جامعة بغداد .
299. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل الطبرسي. تحقيق: السيد الطباطبائي. دار المعرفة. بيروت (ط1: 1406هـ).
300. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبدالله الدرويش. دار الفكر. بيروت (ط: 1994م).
301. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد. مجمع الملك فهد. المدينة المنورة (ط: 1416هـ).
302. المجيء الثاني وهل سينتهي العالم عام: 2001 أو 2012: القس: عبد المسيح بسيط أبو الخير. مطبعة المصريين. القاهرة (ط1: 1999م).
303. محاضرات في النصرانية: الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. القاهرة (ط3: 1961م).
304. محاضرات في علم اللاهوت النظامي: هنري ثيسن. ت: د. فريد عبد الملك. ص650. دار الثقافة. القاهرة .
305. المدرستان الاقتصادية والميكانيكية في علم الاجتماع: الكسندر سوركن. ترجمة: حاتم الكعبي. (دار. ب) بيروت (ط. ب).
306. مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين. بيروت (ط: 1973م).
307. مذكرات وايزمن التجربة والخطأ. ترجمة: محمد رشاد الشهابي. مكتبة النافذة. بيروت (ط2: 1952م).
308. المرأة ومكانتها في الإسلام: أحمد عبدالعزيز الحصين. (دار. ب). القاهرة (ط:1981م).
309. المستدرك على الصحيحين. حقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت (ط1: 1411هـ).
310. المستشرقون والصحوة الأصولية: علي إبراهيم النملة. بحث قدم في ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. التي عقدت في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في المدة من 1420/7/25/22هـ.
311. مستقبل الأصولية الإسلامية: د. يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 1997م).
312. المسيح الدجال وأسرار الساعة: محمد بن أحمد السفاريني. المكتب الإسلامي. بيروت (ط3: 1411هـ).
313. المسيح الدجال ومعركة هرمجدون: هشام محمد أبو حاكمة.دار الإسراء.عَمان (ط1: 2002م).
314. المسيح الدجال: الإمام القرطبي. دار الفجر. القاهرة (ط1: 1419هـ).
315. المسيح المنتظر وتعليم التلمود: محمد علي البار. الدار السعودية. جده (ط1: 1987م).
316. المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب طويلة. دار السلام. القاهرة (ط6: 2004م).
317. المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا: رضا هلال. مكتبة الشروق. القاهرة (ط2: 2001م).

318.المسيح اليهودي: منى ناظم. مؤسسة الاتحاد. الإمارات العربية (ط: 1986م).
319.المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب. مكتبة وهبة. القاهرة (ط1: 1978م).
320.المسيح هو المشكلة: جورجي كنعان. مكتبة الفرات. بيروت (ط: 2001م).
321.المسيحية وإسرائيل: بشرى زخاري ميخائيل. مطبعة الطلبة. القاهرة (ط1: ب).
322.المسيحية والحرب، قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي: رفيق حبيب. دار يافا للدراسات والأبحاث. القاهرة (ط: 1991م).
323.المسيحية: أحمد شلبي. دار المعرفة. القاهرة (ط6: 1978م).
324.مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي: د. محمد نصر مهنا.دار المعارف.القاهرة (ط: 1979م).
325.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. أحمد الفيومي. دار العلم. بيروت (ط: ب).
326.المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه: د. حنا جرجس الخضري. دار الجيل. القاهرة (ط1: ب).
327.معارك في سبيل الإله الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام: كارين ارمسترونج، ترجمة: د. فاطمة نصر. وآخر. دار سطور. القاهرة (ط1: 2000م).
328.المعتقدات الدينية لدى الغرب: عبدالراضي محمد عبدالمحسن. مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية (ط1: 2001م).
329.معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر. بيروت (ط: 1993م).
330.المعجم الفلسفي: د.جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب (ط ب: 1414هـ).
331.المعجم الفلسفي: د.عبد المنعم الحفني، الدار الشرقية، القاهرة (ط1 :1410هـ).
332.المعجم الفلسفي: مراد وهبة وآخرون: دار: بدون، القاهرة (ط1، 1966م).
333.معجم اللاهوت الأرثوذكسي، بوريس بوبر ينسكوي: ترجمة: الأب إبراهيم سروج. مكتبة السائح. لبنان. طرابلس (ط1: 1999م).
334.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت (ط. ب) .
335.معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب أبو عمرو. دار الفكر. بيروت (ط1: 1425هـ).
336.معركة المصحف: محمد الغزالي. دار الصحوة. القاهرة (ط: 1992م).
337.المعونات الأمريكية لإسرائيل: محمد عبدالعزيز ربيع. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت (ط1: 1990م).
338.مفاهيم تلمودية نظرة اليهود للعالم: عبدالمجيد همو. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2003م).
339.المفسدون في الأرض، جرائم اليهود السياسية، والاجتماعية عبر التاريخ: س. ناجي. المكتب العربي. دمشق (ط2: 1973م).
340.مفهوم النقاء العرقي اليهودي في الفكر الصهيوني: جهاد تقي الدين الحسني. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. ع15: 1981م.
341.مقارنة الأديان (اليهودية): د.أحمد شلبي.مكتبة النهضة المصرية. القاهرة (ط8: 1988م).
342.مقارنة بين الأناجيل الأربعة: محمد علي الخولي. دار الفلاح. عمان. ط2: 2000م).
343.المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان: د. حسين شحاتة. المكتبات الإسلامية الكبرى. القاهرة (ط1: 1426هـ).
344.مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا: عادل المعلم. مكتبة الشروق. القاهرة (ط1: 1425هـ).
345.مقدمة كتاب العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق: الشيخ: أحمد ديدات. دار الفضيلة. القاهرة (ط.ب).
346.مكايد يهود عبر التاريخ: عبد الرحمن حسن حبنكة. دار القلم. دمشق (ط2: 1398هـ).
347.الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل الفاروقي. معهد البحوث والدراسات العربية. جامعة الدول العربية. القاهرة (ط: 1968م).
348.الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل راجي. مطبعة الجبلاوي. بيروت (ط: 1968م).
349.الملل والنحل: الشهرستاني. تحقيق: محمد رشيد كيلاني. دار صعب. بيروت (ط: 1986م).
350.من اليهودية إلى الصهيونية: د.أسعد السحمراني. دار النفائس. بيروت (ط1: 1413هـ).
351.من حائط البراق إلى جدار العار: زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي. دمشق. (ط1: 2004م).

352. من يجرؤ على الكلام: بول فندلي. ترجمة: محمود زايد. شركة المطبوعات. بيروت (ط6: 1990م).
353. من يحكم في تل أبيب: حامد ربيع. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت (ط1: 1925م).
354. من يحكم في تل أبيب: د. حامد ربيع، المؤسسة العربية للدراسات. بيروت (ط1: 1975م).
355. مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: برناردي لازار. ترجمة: د.ماري شهرستان. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م).
356. مناهضة السامية تاريخها وأسبابها: برناردي لازار. ترجمة: د.ماري شهرستان. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2004م).
357. منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية. الفجالة. القاهرة (ط: ب).
358. المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة: د.حسين عمر. الكتاب الجامعي. دار تهامة للنشر. جدة (ط2: 1404هـ).
359. المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على الإسلام: أحمد تهامي سلطان. مكتبة التراث. القاهرة .
360. المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على المسلمين: أحمد تهامي سلطان. مكتبة التراث الإسلامي للنشر. القاهرة.
361. المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل: لي أوبرين. ترجمة جماعة من الأساتذة. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.بيروت (ط1: 1986م).
362. منظمة المؤتمر الإسلامي:د. عبدالله الأحسن. ترجمة: عبدالعزيز الفايز. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي (ط1: 1410هـ).
363. المواثيق والعهود في ممارسات اليهود، قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر: جبر الهذلول. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت (ط1: 2004م).
364. موجز من كتاب مفصل العرب واليهود في التاريخ: د. أحمد سوسة. مطبعة العربي للطباعة والنشر. بغداد (ط: 1981م).
365. موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، مصطلحات ومفاهيم: عامر رشيد مبيض. دار القلم. حلب (ط1: 1420هـ).
366. الموسوعة العربية الميسرة: محمد شفيق غربال، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (ط1: 1965م).
367. الموسوعة الفلسطينية: إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية. دمشق (ط: 1984م).
368. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية: عبد الوهاب المسيري. مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية. القاهرة (ط: 1974م).
369. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية: د. عبدالوهاب المسيري. مركز الدارسات السياسية والإستراتيجية. القاهرة (ط1: 1975م).
370. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.. إشراف: د. مانع الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر. الرياض (ط4: 1420هـ).
371. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف: د. مانع الجهني، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. مطبعة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض (ط2: 1418هـ).
372. الموسوعة النقدية الفلسطينية اليهودية: عبدالمنعم حفني. مدبولي. القاهرة (ط1: 1980م).
373. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبدالوهاب المسيري. دار الشروق. القاهرة (ط1: 2003م).
374. موسى والتوحيد: فرويد. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة. بيروت (ط. ب).
375. موشيه بن شاؤول جنرال إسرائيل: دار هادرا للنشر. تل أبيب (1968م).
376. موقف الأمة الإسلامية من القديانية: نخبة من علماء باكستان. من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية (ط: 1976م).
377. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية: د. حسان حلاق. جامعة بيروت العربية. مركز الأبحاث. بيروت (ط1: 1909م).
378. موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم: د.سارة العبادي. مكتبة الرشد.الرياض (ط1: 1426هـ).
379. ناطوري كارتا. نادية المختار. مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. جامعة بغداد. العدد 24 أيلول تشرين الأول 1977م.
380. النبوة والأنبياء في المسيحية واليهودية والإسلام: أحمد عبدالوهاب. مكتبة وهبة للطباعة والنشر. القاهرة (ط: 1988م).
381. النبوة والأنبياء: محمد علي الصابوني. دار النصر. سوريا (ط2: 1395هـ).

382. النخبة الحاكمة في إسرائيل: د. نظام محمود بركات. مطابع الكرمل. بيروت (ط ب: 1982م)
383. النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة: غازي محمد فريج. دار النفائس. بيروت (ط1: 1990م).
384. النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: د.عرفان عبدالحميد فتاح. دارعمار. عَمان (ط: 2000م).
385. نظام الحكم في إسرائيل: عبد الحميد متولي. معهد الدراسات العربية العالمية. جامعة الدول العربية. القاهرة (ط: 1964م).
386. النظام السياسي الإسرائيلي: سعد تيم. دار الجيل. بيروت (ط1: 1989م).
387. نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله: عماد الدين خليل. دار النفائس. بيروت (ط: 1995م).
388. نظرة في أحزاب إسرائيل. د. أسعد رزوق. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1966م).
389. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي. دار الكتب العلمية للطباعة. بيروت (ط1: 1415هـ).
390. نفاق اليهود: مارتن لوثر. ترجمة: عجاج نويهض. دار الفكر. بيروت (ط1: 1974م).
391. النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية: فؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي. مطبعة الفيصل. الكويت (ط1: 1407هـ).
392. النهايات الهوس القيامي الألفي: ديتر تسمر لنغ. ترجمة: ميشيل كيلو. قدمس للنشر. دمشق (ط1: 1999م).
393. نهاية العالم حقيقة لا وهم: عبدالمحسن دهيني. دار الهادي. بيروت (ط1: ب).
394. نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان: محمد محمود المنداوي. دار المحجة البيضاء. بيروت (ط1: 1422هـ).
395. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية. المكتبة القيمة. القاهرة (ط: 1398هـ).
396. هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية: محمد أحمد أبو فارس. بيت الحكمة. بغداد (ط2: 1995م).
397. هل يملك المسيح على الأرض: إكرام لمعي. دار الثقافة. القاهرة (ط1: ب).
398. هيكل سليمان الوطن القومي لليهود من عوالم الماسونية. يوسف الحاج. مطبعة مختارات. لبنان. بيروت (ط2: 1998م).
399. هيكل سليمان والمزاعم الإسرائيلية: الأمبا: بيتري لوتاس. دار الطباعة القومية. القاهرة (ط1: 1998م)
400. الوجيز في الاقتصاد الإسلامي: محمد شوقي الفنجري. دار الصحوة القاهرة (ط: 1985م).
401. الوحي ونقيضه: برتوكولات حكماء صهيون في القرآن: د. بهاء الأمير. مكتبة مدبولي للطباعة والنشر. القاهرة (ط1: 2006م).
402. وسائل التربية عند الأخوان المسلمين: علي عبدالحليم محمود. دار الوفاء. القاهرة (ط1: 1989م).
403. وعد الله ليس لبني إسرائيل: محمد عبدالرحمن عبداللطيف. الهيئة المصرية العامة. القاهرة (ط: 1971م).
404. الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الإمبراطورية: ديب علي حسن. مراجعة: إسماعيل كردي. دار الأوائل. دمشق (ط1: 2002م).
405. وهكذا ضاع الشرق الأوسط: الفريد ليتنال. من سلسلة اخترنا لك رقم (38) دار القاهرة للطباعة. القاهرة (ط.ب).
406. اليد الخفية: د. عبد الوهاب المسيري. دار الشروق. القاهرة (ط1: 1998م).
407. يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحها لصالح إسرائيل: هالسل جريس. ترجمة: محمد السماك. دار الشروق. القاهرة (ط1: 2000م).
408. يسألونك عن الإرهاب: أحمد ضميرية. (دار. ب). بيروت (ط: 2006م).
409. اليهود الشرقيون في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل: أودي أوديب وآخرون. مركز دراسات الوحدة العربية (ط: 2003م).
410. اليهود على حسب التلمود: أوغست روهلنج. أشيل لوران، ترجمة: يوسف حنا نصر الله، دار فلسطين للتأليف والترجمة. بيروت (ط3: 1970م).
411. اليهود على حسب التلمود: أوغست روهلنج. دار فلسطين. بيروت (ط2: 1970م).
412. اليهود في الظلام: د. أحمد شلبي. الهراء للإعلام العربي. القاهرة (ط1: 1412هـ).
413. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: د. غوستاف لوبون. ترجمة: عادل زعيتر. مطبعة

عيسى. القاهرة (ط:1970م).
414. اليهود من كتاباتهم: محمد علي الخولي. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن (ط: 1998م).
415. اليهود والتوراة والعالم وقضايا أخرى حقائق تظهرها المستندات: حسن حدا. مطبعة اليازجي. دمشق (ط3: 1998م).
416. اليهود: زهدي الفاتح. (دار. ب) (ط2: 1987م).
417. اليهودي واللايهودي: إسحاق دويتشر وماهركيالي. المؤسسة العربية. بيروت (ط: 1971م).
418. يهودية أم صهيونية: عبدالوهاب زيتون. دار الأصالة. بيروت (ط1: 1411هـ).
419. اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية: د.عرفان عبد الحميد. دار البيارق للطباعة. بيروت (ط1: 1997م).
420. اليهودية والصهيونية وإسرائيل: عبد الوهاب المسيري. المؤسسة العربية للدراسات والبحوث. بيروت (ط: 1975م).
421. اليهودية واليهود: د. علي عبد الواحد وافي. مكتبة غريب. القاهرة (ط ب:1970م).
422. اليهودية واليهودية المسيحية: د. فؤاد حسنين. معهد الدراسات العربية. القاهرة (ط: 1968م).
423. اليهودية: د.أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (ط8: 1988م).
424. يوم الرب العظيم المسمى معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقرآن: أحمد علي السقا. دار الكتاب العربي. القاهرة (ط: 2004م).
425. يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب: د. سفر عبدالرحمن الحوالي. مخطوط (ط: 1421هـ).
426. يوميات تيودور هرتزل: ترجمة: هلدا شعبان صايغ. مركز الأبحاث. بيروت (ط: 1968م).

الصحف والدوريات:
427. جريدة الجيل المصرية. الثلاثاء. 24 رجب 1423هـ. أكتوبر 2006م. ع21.
428. جريدة الشرق الأوسط الدولية اليومية. جدة: إبراهيم الفقيه. الثلاثاء 2/ 9/1426هـ. ع9807.
429. جريدة الوطن السعودية: البرنامج: ندوة الوطن: الموضوع: الجمعيات الخيرية الإسلامية في ظل الأحداث الراهنة، العدد (544) السنة الثانية. الأربعاء 13 محرم 1423هـ. الموافق 27. مارس 2002م. جدة: خالد المحاميد.
430. جريدة الوطن الكويتية: إعداد سالم عبد الغفور. اقتصاديون كويتيون: توقعنا انهيار النظام الرأسمالي ولكن ليس بهذه السرعة تاريخ النشر: 2008/10/14م.
431. صحيفة الشرق القطرية: أ. د . سليمان صالح. مقال بعنوان: ما دور اليهود في الأزمة الاقتصادية العالمية. زاوية: الشرق في أسبوع (18/ 2/ 2009م). يومية سياسة جامعة. تصدر عن دار الشرق. الدوحة قطر.
432. مجلة الدراسات الفلسطينية: ع36. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت عام: 1998م.
433. مجلة فلسطين المسلمة، عدد كانون الأول (ديسمبر) 2006.
434. مؤسسة الأهرام العسكرية الصهيونية: مركز الدراسات السياسية. القاهرة (ط: 1974م).
435. مجلة روز اليوسف ع3751، 29/ 4/ 2000م.
436. جريدة السفير المصرية الصادرة في: 28/ 7/ 2001م. نقل الصحفي حلمي موسى عن جريدة (معاريف) الإسرائيلية.ى زت حك
437. مجلة المجتمع : تقارير تاريخ: 2003/07/12م. النصارى الصهاينة..
الشبكة العنكبوتية (النت):
438. الحملة على الإسلام والمسلمين. إعداد: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء (1: 2) موقع نسيج بالشبكة العنكبوتية: www.naseej.com.
439. الفاتيكان:عدد المسلمين تجاوز الكاثوليك لأول مرة في التاريخ. (الموقع الرسمي لـ: www.islamhouse.com.
440. فتوى العلماء في المقاطعة الاقتصادية. نبيل العوضي. موقع طريق الإيمان.
441. الموقع الرسمي لجامعة الدول العربية على الشبكة العنكبوتية: التعريف بالجامعة.
442. الموقع الرسمي لرابطة العالم الإسلامي على الشبكة العنكبوتية: التعريف بالرابطة.
443. الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي على الشبكة العنكبوتية. ماذا يعني صندوق النقد الدولي.
444. الموقع الرسمي لمجلس التعاون لدول الخليج على الشبكة العنكبوتية. التعريف بالمجلس.

445. الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة (عربي).
446. الموقع الرسمي لمنظمة المؤتمر الإسلامي: التعريف بالمنظمة.
447. الموقع الرسمي منظمة الدعوة العالمية على الشبكة العنكبوتية.التعريف بالمنظمة.
448. الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي: القسم: أقوال وتصريحات علماء الغرب الموضوعية عن الاقتصاد الإسلامي. الخبير المصرفي البريطاني ردوني ويلسون. تعريب: طارق محمد.
449. موقع الموسوعة الحرة العالمية: ويكيبيديا.
450. موقع بوابة الإسلام: الموضوعات العامة، ارتفاع معدلات الإسلام في الغرب. تاريخ المقال: 2007/10/2م.
451. موقع بوابة الإسلام: الموضوعات العامة، ارتفاع معدلات الإسلام في الغرب. تاريخ المقال: 2007/10/2م.
452. موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت. القسم: لقاء وحوار. رئيس قسم الدراسات الإسلامية: أ. د. بدر الماض. موضوع اللقاء: هيئة عالمية للإعلام الإسلامي ضرورة إعلامية. البوابة الإسلامية.
453. موقع: رابطة العالم الإسلامي: الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام. أخبار الأقليات المسلمة في العالم. إحصاءات غربية: انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا رغم حملات التشويه تاريخ المقال: 9/ 13/ 2004م.

بِسْـــــبِسْـــبِسْــــــمِ

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع
الصفحة